

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»





كانون الثاني «يناير» سنة ١٩٦٨ م

رمضان سنة ١٣٨٧ هـ

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار	١٢٠٠ قرش سوري

وإذا طُلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تُضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

ملاحظات شتى على معجمات حديثة

من المعروف أن في بيروت حركة تأليف وترجمة ونشر كبيرة ، وأن هذه الحركة قد أنتجت كتباً أدبية وعلمية ولغوية مختلفة ، وأن في جملة الكتب اللغوية معجمات حديثة بحث زميلنا الدكتور عدنان الخطيب فيها أجمل بحث في محاضراته التي ألقاها سنة ١٩٦٧ ، في معهد البحوث والدراسات العربية ، بعنوان « المعجم العربي بين الماضي والحاضر » .

وقد تصفحت بعض تلك المعجمات فأوحت إليّ بملاحظات شتى كنت ذكرتها في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » منها :

الملاحظة الأولى : لا يستطيع الفرد في بلادنا أن يضع معجماً أعجمياً عربياً في مصطلحات علوم مختلفة ، ما لم تزل قدمه ، وذلك لاتساع العلوم الحديثة واختلاف المصطلحات العربية للمعنى الواحد .

وهذه الملاحظة يمكن أن نذكرها للأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله العلايلي الذي ألّف معجماً وسيطاً سماه « المرجع » ، وأصدر منه جزءاً واحداً حمّل نفسه فيه حملاً ثقيلاً جداً ، فزلت قدمه مرات ، وكثرت أخطاؤه . ولست في سبيل ذكر الطريقة التي اتبعها في تصنيف هذا المعجم . فقد ظن أن من الأمور السهلة ذكر مادة لغوية بتلك الطريقة ، وذكر كونها صحيحة أو عامية أو مولدة قديماً أو حديثاً ، وذكر اسمها الفرنسي واسمها الإنكليزي واسمها العلمي ، « وإذا بكتابه خمسة معاجم في معجم واحد » على حد قول « الأستاذ فؤاد أفرام البستاني » الذي كتب تمهيداً للمعجم .

ومع أن الأستاذ العلايلي نقل عن الطبعة الأولى لمعجم الألفاظ الزراعية (من دون أن يشير إليه) معظم المصطلحات الزراعية ، ومعظم الأسماء الفرنسية والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات والحشرات وفصائلها فقد جاءت أخطاء النقل كثيرة هاكم بعضها على سبيل التمثيل :

الصفحة في المعجم

٢٠ مما جاء في « المرجع » في مادة أَبَرَ : أَبَرَ الزرعَ — أصلحه . وأَبَرَ الشجرَ — ألقحه وبالفرنسية Féconder و Greffer .

قلت الصحيح بالفرنسية Polliniser و Féconder . أما Greffer فهو التطعيم والتركيب .

٣٨ مادة إِثابَة . جاء فيها ما يلي : (عامي مفصح) جنس نبات من الفصيلة القستاسية « لحية التيس » اسمه العلمي Cistus salvilius .

قلت أولاً لا وجود للإثابة ولا أدري من أين أتى بها . ثانياً لا وجود لاسم Cistus salvilius بل يوجد نوع نباتي (لا جنس) هو Cistus salvifolius وهو بالفرنسية Ciste à feuilles de sauge وبالعربية قَسْتُوس ناعِميُّ الورق . ثالثاً اسم الفصيلة هو الفصيلة اللاذَنية ، واللاذَن هو القستوس . رابعاً لحية التيس هو نبات آخر من الفصيلة المركبة اسمه الفرنسي Salsifis و Barbe de bouc ، واسمه العلمي Tragopogon porrifolius ، واسمه في المفردات طَراغُوْبُوْغُن وفُوْمي . أما لحية التيس فهي ترجمة الفرنسية الثانية .

٤٥١ مادة بَلُّوط : جنس شجر من الفصيلة الكاسية أو البلوطيات .

قلت الصحيح من الفصيلة البلوطية . ولا وجود لفصيلة اسمها الفصيلة الكاسية .

الصفحة في المعجم

١٨١ مادة أَصَف : نبات معمر من الفصيلة القَبَّارية ... ويسمى أيضاً الكَبَر ، اللَّصَف ، القَبَّار ، الكَبَّار .

قلت الصحيح الفصيلة الكَبَرية . والأسماء الصحيحة هي الأصَف واللَّصَف والكَبَر . أما القَبَّار والكَبَّار فعاميتان ، الأولى في الشام ، والثانية لم نسمع بها .

٦ جاء أن كلمة آر Are الفرنسية قياسها ١٠٠ متر مربع وعربيتها الجريب .

قلت أين الآر من الجريب . فالجريب لا يقل عن عشرة أمثال الآر . وقد حسبه المرحوم الشيخ أحمد رضا في معجمه « متن اللغة » بالأمتار المربعة إما ١٤٧٤،٥٦ وإما ٢٣٠٤ . والدونم الذي ورثناه من الدولة العثمانية والذي يبلغ نحو ألف متر مربع كان وضع على أساس الجريب .

٤٤٥ جاء في مادة سماها بليسكاء نبات ينشب في الثياب ، منه الأبيض والأصفر ويسمى أيضاً : عمّي خذني معاك ، وهو بالإنكليزية Burdock ، وبالفرنسية Baradane ، وعلمياً Galium .

قلت مادة بلسكاء لم أذكرها في الطبعة الأولى من معجم الألفاظ الزراعية ، بل ذكرتها في الطبعة الثانيـــة . وهاكم ما جاء في « المرجع » من أخطاء .

أولاً الكلمة هي بَلَسَكاء أو بِلِسِكاء أي بباء وسين مفتوحتين أو مكسورتين بينها لام ساكنة ثم ألف وهمزة . وترد الكلمة بالفتح مقصورة أي بَلَسَكَى . ثانياً يسمى هذا النبات أيضاً اللُّصَيْقَى وحشيشة الأفعى . ثالثـــاً اسم النبات العلمي Galium aparine وهو اسم هذا النوع ، أما Galium وحدها فهي اسم الجنس أي

غاليون وأنواعه كثيرة . رابعاً الاسم الفرنسي هو Gaillet gratteron وليس Bardane وهذا الأخير هو الأَرْقطيون وقد ذكره مصنف « المرجع » في مكانه . والإنكليزية Burdock هي أيضاً الأرقطيون لا البَلَسْكاء . خامساً لا أدري من أين أتى بجملة عمي خذني معك .

أكتفي بهذه الأمثلة الستة . وقد عثرت على عدد كبير من الأخطاء وأنا أقلب بعض صفحات « المرجع » ممعناً النظر في ألفاظ الزراعة والنبات . وليس من الغريب أن يكون في هذا المعجم أخطاء كثيرة في مصطلحات علوم أخرى ؛ فالأستاذ العلايلي قد وضع على عاتقه حملاً ثقيلاً لا يقوى الفرد في بلادنا على حمله . ولو كنتُ مكانه لأحجمت عن مثل هذا العمل ولقلتُ لنفسي لا يحمّلك الله إلا وسعك . ومع هذا ففي المعجم فوائد كثيرة . وقد صدر الجزء الأول هذا منه في سنة ١٩٦٣ في بيروت ، وانتهى عند كلمة جَخْدَل . ولا علم لي بصدور جزء ثانٍ أو أكثر .

* * *

الملاحظة الثانية :

يجب في معجمات اللغة ، ولا سيما في التي تكون ألفاظها موضوعة على حسب حروف الهجاء ، أن يشير مصنفو تلك المعجمات إلى الكلمات غير الصحيحة فيها .

فمعجم « الرائد » الذي أصدره الأستاذ جبران مسعود في بيروت سنة ١٩٦٤ ، ورتب كلماته على حسب حروف الهجاء ، قد خلا من ذكر صحة الألفاظ أو عدم صحتها ، فلا يدري من يراجع كلمة في المعجم المذكور أهي صحيحة أم مولدة قديماً أو حديثاً ، أم هي عامية ، أم دخيلة معربة . وهاكم بضع كلمات على سبيل التمثيل :

رقم الصفحة

٣٢٢ جاء في المعجم : البَسْطُرْما : لحم قديد مضغوط خُلط به الثوم والتوابل.
قلت : كان يجب أن يذكر المؤلف الفاضل أن هذه الكلمة عامية .
ومن المفيد أن يضيف إلى ذلك أنها تركية النجار .

٣٢٢ جاءت كلمة البِسْكويت : أقراص من الحلوى تصنع من الطحين والحليب والبيض والسكّر وغيرها .
قلت هذه الكلمة معرّبة ، وهي من الفرنسية .

١٢٥٥ الكَمَر : ١ — كل بناء فيه عقد ، كبناء الجسور والقناطر .
٢ — زنار توضع فيه الدراهم .
قلت الكلمة من الدخيل ، وهي من أصل فارسي . أما معناها الثاني فهو عامي .

٧٨٦ الزَّنْزَلَخْت : شجر جيد الخشب يُزرع للزينة .
الزنزلخت عامية ، والكلمة الصحيحة أزَدَرَخْت (وأزادِرَخْت) وهما معربتان قديماً من الفارسية .

٣١٩ البرواز : إطار يحيط بالشيء . ج بَراويز .
قلت كلمة برواز عامية من أصل فارسي .

٨٦٧ شَحَّلَ تَشْحيلاً . الكَرْمَ : ر . قَضَّبَ .
التشحيل في لبنان عامية من أصل سرياني وهي تطلق فيه على التقليم أو التقضيب أو الحِطاب .

١١٨٤ القَضَامِيّ . حِمّص يُبَلّ ثم يحمّص فيُقضَم . ومنه ما يملّح .
القضامي عامية شامية .

٨٣ الأَرْضِيّ شَوْكِي . نبات يُسلق ويُطبخ .

رقم الصفحة

الاسم الصحيح هو الحَرْشَف . أما الأرضي شوكي فعامية شامية منْ Artichaut الفرنسية . وهذه من حَرْشَف العربية . فتأملوا كيف ترد العامة إلينا كلماتنا العربية مشوهةً ، وذلك كتسمية بعض دور السينما باسم الهمبرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر .

٦١٩ الخُرْشُوف . نبات الأرضي شوكي .

كلمة الخرشوف تستعمل في مصر على الأخص . وهي غير صحيحة . والكلمة الصحيحة هي الحَرْشَف ، على ما ذكرته في المادة السابقة .

أكتفي بهذه الأمثلة . وأشباهها في المعجم كثيرة . والمعجم عمل كبير بلغت صفحاته ١٦٣٧ صفحة ، وتم طبعه سنة ١٩٦٥ . ومما يستوقف النظر أن مصنفه الفاضل لم يهمل ذكر أصول الكلمات التي سردها على حسب حروف الهجاء ، فهو عندما يذكر مثلاً كلمة المِنْحَت يضع إلى جانبها (ن ح ت) أي انها من نَحَتَ الثلاثي ، وعندما يأتي بفعل أَوْغَلَ إيغالاً يضع إلى جانبه (و غ ل) أي أنه من وَغَلَ . وعندما تُذكر أصول المشتقات على هذا الشكل لا تنقطع الصلة بينها وبين أصولها في معجماتنا القديمة والحديثة وإن وردت هذه المشتقات أحياناً بعيدة جداً عن أصولها في مثل هذا المعجم المرتب على حسب حروف الهجاء .

* * *

الملاحظة الثالثة : يجب في المعجمات العلمية تحري المصطلحات التي ذكرها الثقات أو أقرتها المجامع اللغوية والعلمية ، وعدم جمل الصحيح وغير الصحيح من المواد في مرتبة واحدة .

وهذه الملاحظة لاحظتها على معجم كبير أصدره في بيروت المهندس الزراعي ادوار غالب في مجلدين صدر أحدهما سنة ١٩٦٥ والثاني سنة ١٩٦٦ ،

وسمّاه « الموسوعة في علم الطبيعة » ، وهو معجم يبحث على الأخص في ألفاظ العلوم الزراعية وما إليها من نبات وحيوان وحشرات واقتصاد زراعي وأمراض فطرية وغير ذلك . وله ملحق في الفهارس .

والمعجم مطبوع طبعاً متقناً ومحلى برسوم كثيرة جميلة ، كـكل ما يصدر عن المطبعة الـكاثوليكية في بيروت . وقد ذكر المؤلف الفاضل لكثير من النباتات أسماءها العلمية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية . واقتصر على الاسم العلمي والاسم الفرنسي والاسم الانكليزي في بعض العلوم ، وعلى الاسم الفرنسي والاسم الانكليزي في بعضها . ولم يهمل ذكر أسماء المراجع المديدة التي استقى منها فذكرها في أمانة . ومما ذكره الطبعة الأولى لمعجم الألفاظ الزراعية التي صدرت سنة ١٩٤٣ فنقل منها كثيراً من المصطلحات . وكنت أود لو أنه راجع طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٥٧ في القاهرة فهي أوسع وأصلح من الطبعة الأولى . وكذلك كنت أود لو كان راجع البحوث العديدة التي كتبتها في موضوعات سِفره النفيس في مجلات المجمع العلمي العربي ، وفي كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » الذي طبعه مجمعنا بدمشق طبعة ثانية ، إذن لـكان تجنب كثيراً من المصطلحات غير الصحيحة أو المعدلة التي نقلها من مراجع أخرى مختلفة . وإليـكم مثالاً واحداً في ذلك وهو مادة « تصنيف » أي تصنيف الأحياء : فقد ذكرت في مقدمة الطبعة الثانية لمعجم الألفاظ الزراعية أنني كنت اتفقت أنا وأعضاء لجنة الأحياء والزراعة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة على مصطلحات قدمتها فأقرها المجمع المامع إليه بعدئذ نهائياً بدلاً من مصطلحات قديمة كان وضعها :

المصطلح الذي ذكره الأستاذ ادوار غالب	المصطلح الذي أقره مجمع اللغة العربية	المصطلح الفرنسي
مملكة	عالَم	Reigne
قسم	شعبة	Embranchement
صف	طائفة	Classe
رتبة	رتبة	Ordre
فصيلة	فصيلة	Famille
سبط ، قبيلة ، ردف	قبيلة	Tribu
جنس	جنس	Genre
نوع	نوع	Espèce
ضرب	صنف ، ضرب	Variété
سلالة ، عرق	سلالة	Race

أما الأقسام الصغيرة التي تكون بين قسمين من أقسام التصنيف المذكورة فقد أقر المجمع جعلها بصيغة التصغير مثل عُوَيلِم Sous - reigne ، وشُعَيبة Sous - embranchement ، وطُوَيئِفَة Sous - classe وهلم جرا .

هذا مثال واحد ذكرته وهو مادة « التصنيف » وعندي أمثال عديدة تدل على أن الأستاذ ادوار غالب كان في وسعه أن يقلل الأخطاء اللغوية والاصطلاحية الكثيرة في معجمه .

ثم إن ألفاظ الأجناس النباتية ، في الأسماء العلمية المؤلفة من اسم للجنس النباتي واسم للنوع ، لا توضع ولا تنقل إلى العربية على هوى الواضع أو الناقل ، بل هناك قواعد يجب مراعاتها سواء فيما يعرّب أو فيما يترجم من تلك الألفاظ على حسب أصولها . وكذلك الألفاظ التي تدل على الأنواع

النباتية فإن معظمها نعوت وصفات قابلة للترجمة ولهذا فهي تترجم بالعربية ، ويجب أن تكون الترجمة صحيحة [1] .

ومما حداني أيضاً على ذكر الملاحظة الثالثة أن مؤلف هذا المعجم قد جعل كلمات مواده الأساسية في مرتبة واحدة وحروف واحدة من دون أن يميز الصحيح من غير الصحيح ، سواء في نوع الحروف أو في الشروح . فمادة سرطان مثلاً تجدها على الصورة الآتية :

سَرَطان،سَلْطَعَان،سَلَطَعُون،خُمْخُم Cancer(s). Crabe(F). Crabe(E)

فلا يدري المطالع أن السلطعان والسلطعون هما عاميتان .

وخذ مادة الجعفيل المشهور عند الفلاحين Orobanche تجد أسماءها العربية على ما يلي :

جَعْفِيل ، سَبْع ، حامُول ، هالُوك .

وهنا أيضاً لم يُمَيَّز الاسم العربي الصحيح من غير الصحيح . وهكذا سائر مواد المعجم .

ولاحظت في المعجم أغلاطاً في النقل وأغلاطاً في الطبع كثيرة مثل كلمة الشَّقِرّان المنقولة عني فقد شُدِّدت راؤها غلطاً ، ومثل أصابع القَيْنات فقد وردت أصابع القَنَيْات ؛ وأشباه هذه الأخطاء كثيرة .

---

(١) تراجع الطبعة الثانية لكتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » (ص ٨٧ – ٩٠) و (ص ١٥٨ – ١٩٠) ؛ وتراجع مجلة المجمع العلمي العربي هذه (الجزء الثاني من المجلد ٣٥ ص ١٧٧) .

وكنت قدمت إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة بحثاً يشتمل على ترجمة عربية لسبعمائة لفظة لاتينية من ألفاظ الأنواع النباتية ، وهي أهم تلك الألفاظ ، فاتباعها يسهل كثيراً عمل الأستاذ ادوار غالب وعمل واضعي كتب النبات المسهبة . وهذا البحث منشور في المجلد ٣٦ من هذه المجلة (ص ١) بعنوان : « ألفاظ الأنواع النباتية » .

ومهما يكن من أمر ففي هـذا المعجم جهد يستحق المهندس الزراعي ادوار غالب عليه الثناء الجميل. ولا بد أن يمر على لغتنا زمن طويل قبل أن نجد فيها معجماً علمياً خالياً من الهنات والشوائب ، ولا سيما في المصطلحات العربية الصحيحة أو الراجحة .

* * *

الملاحظة الرابعة : إن لتعريفات المواد في المعجمات حدوداً يجب مراعاتها .

كنت لاحظت في إحدى جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة أن بعض مواد المعجم الوسيط الذي أصدره المجمع معرّفة تعريفاً طويلاً لا يناسب نوع هذا المعجم ، فقدمت إلى المجمع الملاحظة الآتية :

« من المهم جداً أن يجيء تعريف الألفاظ والمصطلحات ، في المعجمات ، تعريفاً علمياً يناسب نوع كل معجم وحجمه . ولنضرب التعريف العلمي لأسماء النباتات مثلاً حسب الخطة التي يتبعها الأوربيون في معجماتهم ، فهم يبدأون بذكر اسم النبات في لغاتهم ، وذكر الاسم العلمي لجنسه ولنوعه أو لأنواعه المهمة ، ثم يذكرون أنه شجرة ، أو جَنْبة (شجيرة) ، أو جُنَيبة ، أو عُشْبة ؛ وهل هو حَوْلي أم مُحْوِل أم مُعَمِّر ، وهل هو بري أم زراعي ، ويذكرون اسم فصيلته النباتية ، وشيئاً من تحلية أعضائه أحياناً ، ومن فوائده أو مضاره . وكل ذلك يمكن تلخيصه في سطرين لكل نبات في مثل المعجم الوسيط ، وفي بضعة أسطر في مثل المعجم الكبير ، وفي أكثر من ذلك في مثـــل الموسوعات الزراعية أو النباتية . والكلام على

الحيوانات شبيه بالكلام على النباتات . والمهم في كل ذلك معرفة حد التعريف العلمي الذي يناسب نوع كل معجم وحجمه » .

وهذه الملاحظة تصح أيضاً في معجم (موسوعة) المهندس الزراعي الفاضل ادوار غالب ، فقد عرّف مثلاً مادة تعاوُنيّة في أقل من سطر ، ومادة تعاونيّة زراعية في أقل من سطرين ، بينما عرّف القنفذ والقطا وبعض الحشرات التي لا كبير شأن لها وغير ذلك بسطور عديدة .

مصطفى الشهابي



مهمة رجال اللغة

أحتفظ في جملة ما أحتفظ به من الأوراق التي كنت أطالعها من سنين بقطع من جريدة « الآداب الفرنسية » ؛ في هذه القطع طائفة من مقالاتٍ في باب من أبواب اللغة الفرنسية ؛ صاحب هذه المقالات « ألبر بايه » . لست أعرف شيئاً عن منزلته ، إلاّ أنّ مقالاته كانت تقع الموقع الحسن ، وعنوانها : الألفاظ والحياة ، فهو لم يبحث في مقالاته عن ميلاد الألفاظ وحياتها أو موتها ، فلم يُفض في شيء من العوامل النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي يكون لها في معظم الأوقات الأثر الأبلغ في اللغـــة ، وإنما بحثه في مقالاته الوجيزة كانت له صلة بطائفةٍ من ألفاظ كان يرى فيها خطأً أو صواباً فينبّه على هذا الخطأ أو على هذا الصواب مستعيناً في بعض الأوقات بأقوال فريقٍ من كبار الشعراء والكتّاب في عصور فرنسة الأدبية .

كلّ ما تقدمت الإشارة إليه لا يهمّ رجال لغتنا ، وإنما المهمّ على ما أعتقد إنّما هو مقال كتبه « ألبر بايه » وعنوانه : على هامش معجم المجمع الفرنسي ؛ في هذا المقال أشياء كثيرة قد يجد فيها رجال اللغة سبيلاً إلى الأخذ والردّ ، ولا بأس بالإشارة إليها .

أعلن المجمع الفرنسي من سنين أنّ طبعة معجمه قد شُرع فيها سنة ١٩٣٧ وإذا جرت الأمور مجراها فان هذه الطبعة قد يفرغ منها سنة ٢٠٨٥ . وقد جاء في إعلان المجمع أنه اطّرح جملةً من الألفاظ وقبل جملةً أخرى .

لم يعترض كاتب المقال على ما قرّره المجمع الفرنسي في هذا الباب ، وإنما سأل هذا السؤال : من أين جاء المجمعَ الحقّ في قبول طائفة من

الألفاظ واطراح طائفة ثانيـــة . في الأصل جاءه هذا الحقّ من الملك وهو يعني بذلك الملك لويس الرابع عشر الذي عهد إلى المجمع أن يضع مفردات للطبقة المصطفاة من الشعب ، غير المفردات التي تستعملها العامّة في لغتها ، فاطّرح المجمع دون شيء من الشفقة ألفاظاً أكل الدهر عليها وشرب وألفاظاً عامية وألفاظاً فنية وألفاظاً تظهر عليها آثار التكلّف ، وهكذا فقد حُدّدت لغة خاصّة لطبقة من الأشراف ، وقد أضاف الكاتب إلى قوله المتقدّم أن هذا العمل كان مقبولاً في حين تقريره لأنّ القرن السابع عشر قد جاء بآيات بيّنات في الأدب ، إلاّ أنّ الأحكام تختلف على اختلاف الأزمان ، فالقرن العشرون غير القرن السابع عشر ، ثم أشار الكاتب إلى ألفاظ اطّرحها المجمع الفرنسي لعاميّتها واعترض على هذا العمل بانياً اعتراضه على أنّ « هوغو » و « بلزاك » كانا يستعملان في لغتهما ألفاظاً عاميّة وقد كثر في هذا العصر الكتّاب الذين يستعملون هذا النوع من الألفاظ .

لقد ألقى المجمع الفرنسي الألفاظ الجافّة والألفاظ القذرة فكان مثله في ذلك مثل المتقدّمين من العلماء الذين كانوا يأنفون من فحص مواد تتقزّز النفوس منها ، ثم إنّ المجمع إذا قرّر أنّ هذا اللفظ إنما هو قديم وغير مستعمل فانه لا يستطيع أن يأتي ببرهان على قراره ، فبناءً على كل ما تقدّم إن الطبعة التي ستتمّ سنة ٢٠٨٥ ستكون طبعة باطلة فان الناس ينتظرون العمل المطابق لروح العلم الحديث ، والذين يدركون روح العصر يعلمون أن الألفاظ ليس فيها ما هو شريف وما هو غير شريف ؛ لا مفاضلة بين الألفاظ ، فان اللغة تشتمل على ألفاظ قد استعملت في العصر الفلاني أو في المجتمع الفلاني ، فمهمّة رجال اللغة الأولى أن يسجّلوا هذه الألفـــاظ والمهمّة الثانية وهي أصعب أن يحدّدوا تأريخ ميلاد هذه الألفاظ وشيوعها في المجتمع ، والمهمّة الثالثة وهي أصعب المهمّات تنحصر في تحديد معاني هذه الألفاظ . وقد تعجّب الكاتب في الخاتمـــة من الأمر الآتي : إنهم

لم يُعنوا حتى هذا اليوم بإحصاء الألفاظ التي وجدت في اللغة الفرنسية من القرن الحادي عشر حتى القرن العشرين ، ولماذا هذا كله ، لأنّ الذين عملوا المعجمات اهتمّوا بتوجيه العرف والاصطلاح بدلاً من اهتمامهم بتسجيل هذا العرف وهذا الاصطلاح فان عملاً مثل هذا العمل يستلزم تهيئة جماعات لها العُدّة الصالحة ، غير أنّ هذا العمل إذا تمّ فانه قد يُفضي بعلم النفس وبعلم الاجتماع إلى تقدّم عجيب ؛ إن عملاً مثل هذا العمل قد يكون من عواقبه خصب اللغة ، فانّ علم اللغات لا يزال متأخراً عن علوم الطبيعة .

هذه خلاصة ما جاء في مقال « ألبر بايه » وأظن أنّ هذا المقال كتب من عشرين سنة .

★ ★ ★

أفلا يوحي إلينا هذا المقال أشياء كثيرة ؟ إنه يشتمل على آفاقٍ مديدةٍ مختلفة ، وقد يضيق مجال الإفاضة في كلّ هذه الآفاق في مقال واحد لقد ألمع الكاتب إلى حق المجامع في اطّراح ألفاظ من اللغة وقبول ألفاظ وتكلم على طبقة من الألفاظ من حيث شرفها وانحرافها عن هذا الشرف كما تكلّم على تاريخ ميلاد الألفاظ ، وهو يعني بهذا الميلاد متى ولد اللفظ الفلاني ومتى عاش أو مات ، أو متى انتقل معناه من وجهٍ إلى وجهٍ .

إن الاندفاع في كل أفق من هذه الآفاق في مقال واحد لا يتسع له المجال ، ولكني أقتصر على أفق واحد ولا أشبع القول في هـــذا الأفق وإنما أختصر الكلام اختصارا .

في لغتنا كثير من الألفاظ العامية التي استفاضت في العامّة وأصبح لها معنى قوي ما أظن أن غيرها من الألفاظ الفصيحة يقوم مقامها في الإعراب عن هذا المعنى ؛ في جملة هذه الألفاظ قولنا : تطنيش . . . حردان . . .

زعلان ... وكما نجد في لغتنا العامّة ألفاظاً قوية فكذلك نجد فيها تراكيب قوية مثل قولنا : كلامه قَطْع وَلَحْش .

لا بأس بتحديد معاني هذه الألفاظ والتراكيب ، فالتطنيش في لغة العامة معناه قلّة المبالاة بما يقوله محدّثنا أو قلّة الالتفات إلى ما يطلبه أو قلة الاهتمام بما ينبّهنا عليه ، فإذا قلنا لفلان كذا وكذا فطنّش فنحن نريد بذلك أنه لم يكترث لقولنا ، أو إذا ألتمسنا منه كذا وكذا فطنّش فنحن نعني بذلك أنه جعل ملتمسنا وراء ظهره ، فهو قد فهم ما نقول وعرف ما نلتمس ولكنه لم يبال بكل هذا ، وما أظن أن هذه المادّة العاميّة تقوم مقامها مادة فصيحة ، ليس معنى الأمر أن اللغة تضيق عن أداء مثل هذا المراد وإنما معناه أن هذه المادّة العاميّة أقوى من غيرها لاستفاضتها في العامّة وشدّة تأثيرها في الأذهان .

وإذا لم يكن لمادّة التطنيش أصل في اللغة فانّ لمادّة الحَرْدان أصلاً فصيحاً ؛ من جملة معاني هذه المادّة : حرد كضرب وسمع غضب ، فهو حارد وحرِد وحَرْدان ، ولكن إذا قلنا : فلان غضبان ، فان هذا القول لا يعدل في القوّة قولنا : فلان حَرْدان ، فالحردان يغضب ثم يعتزل ويتنحّى ، فهو لا يحضر مجلس الوزراء إذا كان وزيراً ولا مجلس الحزب إذا كان داخلاً في هذا الحزب ، فلفظة الحردان أقوى من لفظة الغضبان وهذه اللفظة فصيحة من جهة ومن جهة ثانية إن من معانيها الاعتزال والتنحّي ، فالرجل الحارد أو الحريد هو المعتزل المتنحّي .

ولكن إذا استطعنا أن نجد أصلاً فصيحاً للحردان فاننّا لا نجد مثل هذا الأصل للزعلان العامية ، فالزعلان في لغة العامة معناه معروف ، وما أظن أن لفظاً آخر يسدّ مسدّه على كثرة ما تحتوي عليه اللغة من مفردات الهمّ أو الانكسار أو الحزن أو ما شابه ذلك وقد سمّوا قديماً : زعلان ولكن من الزّعَل وهو النشاط .

وإلى جنب هذه المفردات العامية نجد تراكيب تشيع على ألسن العامة منها قولنا : فلان كلامه قطع ولحش ... أي أنه يتكلم ولا نظام في كلامه ولا تنسيق ولا منطق ولا تسلسل ولا صلة ، فأيّ تركيب ينوب عن هذا التركيب ، لا ريب في أن مادّة القطع فصيحة وأن مادّة اللحش غير فصيحة ولكن قد تكون العامة تصرّفت فيها بعض التصرف كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مقال متقدّم ، فان قولنا : وحش بثوبه معناه : رمى ، فقد يجوز أن العامّة حذفت الواو في لغتها وجعلت بدلاً منها لاماً ، ثم نقلت هذه المادّة إلى المجاز فقالت : كلامه قَطْع وَلحْش ، وهو الرمي بالكلام دون تدبُّر .

ما هو رأينا في أشباه هذه الألفاظ العامية ، إذا كنّا معاشر المحافظين على فصاحة اللغة نجتنب استعمال الألفاظ العامية في كتاباتنا أفلا يجوز لنا أن نعترف بقوة هذه الألفاظ وأثرها ؟ أفلا يجوز لنا أن نُعنى بتدوينها في معجم خاص ؟ وقد عُني بمثل هذا الأمر في المملكة المغربية الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فسمّى معجمه : معجم الأصول العربية والأجنبية للعامّية المغربية . لقد اهتمّ تأريخنا في القديم بالطبقات الخاصة أكثر من اهتمامه بالطبقات العامّة على أن لهذه الطبقات العامّة لغة خاصة ؛ إن لها فكراً وشعوراً وذوقاً فلماذا لم يلتفت تاريخنا إلى هذه اللغة فيدونها في معجم خاص ويوضّح معانيها فان المعجمات تشتمل على روح الأمة ، على لحمها وعظمها ودمها ؛ والطبقات العامّة جزء من هذه الأمة ، وقديماً لم يتذمّم إمام من أئمة البلاغة وأعني به الجاحظ من استعمال بعض ألفاظ عامية ؛ وإذا كنّا في عصرنا نتذمّم من مثل هذا الاستعمال ، إذا كان من الواجب علينا أن نرفع لغة العامّة إلى أفق لغة الخاصّة فمن حق العامّة أن ندوّن لغتها في معجم خاص يوضح معاني مفردات هذه اللغة .

شفيق جبري

كلمات من الصحاح
في عاميّة أهل الفرات
وردت في كتيب
(التبغ في حياة الناس)
من تأليف الأستاذ عبد القادر عياش

أحب **دير الزور**، حاضرة الفرات، حيث رأى النور لأول مرة، وكانت على أرضها مدارج طفولته، وعلى شطآن الفرات مرابع صباه، فهام بها حبّاً، حتى غدا أريج ترابها يغذوه وعبير طرفائها ينشيه، ولما شبّ وفى دينه لوادي النهر العظيم، فوقف جهوده وما ورثه أو يجنيه من مال على خدمة هذا الوادي، ناشطاً في دراسة تاريخه، هاوياً جمع آثار من أقاموا فيه، دائباً على البحث والتنقيب عن عادات وتقاليد المعاصرين والغابرين من أهل الفرات، مدوناً ما يتجمع لديه من أعراف ومفاهيم تتصل بحياتهم الشعبية، فإذا صنفها أخرجها للناس في كتيّبات أطلق عليها اسم (**سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات**)، وقارىء هذه البحوث يجد فيها لمحات تاريخية عما ورثه أهل الفرات عن أسلافهم من عادات وتقاليد، كما يجد فيها صوراً رائعة ووصفاً ممتعاً لحياة الناس في بيوتهم وفي معايشهم، وفي مزارعهم وحقولهم الممتدة على شواطىء الفرات مصدر الخصب والثروة في كل من سورية والعراق.

ذلك هو **الأستاذ عبد القادر عياش** الذي تفضل وأهدى إليّ آخر ما أصدره من أبحاثه العديدة، وكان بعنوان (**التبغ في حياة الناس**) فاستمتعت بقراءة طائفة من المعلومات الطريفة عن تاريخ التبغ وبدء انتشاره في البلاد

العربية ، وعن صناعته وأساليب تدخينه ، كما استمتعت بالاطلاع على طائفة من التقاليد التي يرعاها المدخنون عادةً ، وبشيء مما قيل في التبغ من شعر أو نثر ، وقد عثرت خلال أسطر هذا الكتيّب على معلومات لغوية ثمينة ، فقد جمع المؤلف الفاضل فيه ، الأمثال والأقوال التي يتداولها الناس في وادي الفرات فيما يتصل بمعاناة تدخين التبغ ، وفيها عدة كلمات عليها طابع العامية **وهي في حقيقتها من الصحاح** ، انتهى بها الاستعمال إلى معانيها الشائعة اليوم ، وقد التقطتُ مما ورد في الكتيب المشار إليه الكلمات التالية :

اللَّمْج ــ لُمْجَة

[ويسمى مضغ التبغ في بادية الفرات (لِمجَة) بكسر اللام ؛ ويسمى الماضغ (لَمّاج) بفتح اللام وفتح الميم وتشديدها ، وتسمى الماضغة (لَمّاجة) ، والفعل (لَمجَ يلمج) وبعض (اللمّاجات) تُبقي (اللمجة) ساعات في فمها ..] .

وفي الأمّهات :

اللَّمْج : الأكل بأطراف الفم ؛ وقال الليث : اللّمْج : تناول الحشيش بأدنى الفم . قال لبيد يصف عَيْراً :

يَلْمُجُ البارِضَ لَمْجاً في النّدَى من مَرَابِع رياضٍ ورِجَلْ

وأول ما يطلع من النّبات تَلْمَجه لَمْجاً أي تَنْتِفه .

واللُّمْجة : ما يُتعلَّل به قبل الغِذاء ، وقد لَمَّجْتُهُ ولَهَّنْته بمعنى واحد .

قال أبو عمرو : التَلَمُّج مثل التَلَمُّظ . ورأيته يتَلَمَّج بالطعام ، أي يتلمّظ .

وقولهم : ما ذُقتُ شَمَاجاً ولا لَمَاجاً ، وما تَلَمَّجْتُ عنده بلِمَاج ، وهو أدنى ما يُؤكل ، أي ما ذُقت شيئاً .

والملامِجُ : الملاغِم ، وهو ما حول الفم .

وإذا كان (المضغ) لغةً : لوك الطّعام بالأضراس ؛ فإنّ (اللّمج) بالتبغ أولى ، لأن من اعتاد وضع التبغ في فمه ، إنما يتلمّج به تلَمّجاً ثم يَمَصّ نُقَاعتَه من اللعاب .

شَرِب ـ مَشْرَب ـ شَرّاب

[يطلقون على تدخين التبغ فعل (شَرِب) وعلى المُدخّن (شرّاب) وجمعه (شَرّيبة) وعلى حاملة السيكارة (المَشْرَب)] .

وفي الأمّهات :

شَرِب الماء شَرْباً وشُرْباً : جرعَه ، والشِّرْب : الماء بعينه يُشْرَب .

والشِّرْبُ أيضاً : وقت الشُّرْب ؛ والمَشْرَبُ : الوجهُ الذي يُشْرَبُ منه ويكون مَوْضِعاً ، ويكون مصدراً . والمَشْرَب أيضاً : الشُّرْب نفسه .

والشَّراب : اسم لما يُشْرب ، وكل شيء لا يُمضَغُ فإنه يقال فيه يُشرَب .

والشَّرِيبَ كالشِّرّيب وزن سكّيت : المولَعُ بالشّراب ، والشّرّاب : الكثير الشُّرب كالشَّروب .

والمِشْرَبَةُ : إناء يُشرَب فيه .

من هذا نجد أن الأصل في معنى (الشرب) هو جَرْع الماء ، ثم استعملت هذه الكلمة في كل ما لا يمضغ من السوائل ، ويوم عرف الناس التبغ [1] ، أنزلوا الدّخان منزلة السوائل فقالوا : (شُرْب الدخان) وإذا كان من الخطأ القول بأن الدّخان (يُشرب) فان إطلاق لفظة (المَشْرب) على ما يسميه البعض (المبْسِم [2]) يتلاءم مع ذلك الخطأ وهو صحيح مثل بقية الألفاظ المشتقة من فعل (شَرِب) .

---

(١) عندما عرف الناس التبغ في البلاد العربية أطلقوا عليه اسم (التتن) ، وقد أطلق مجمع دمشق عليه اسم التبغ أو الدّخان ، مقترحاً تسمية (السيكارة) بلفيفة أو لفافة ، وأطلق الأب أنستاس الكرملي على (السيكارة) كلمة دُخَينة وعلى (السيكار) اسم دُخنة ، وأخيراً أقرّ مجمع القاهرة كلمة (التدخين) وأثبت المعجم الوسيط ما يلي : دخّن التّبغ ونحوه : أحرقه متعاطياً إياه (مج) .

(٢) المَبْسِم لغةً : الثّغر . وعند بعض المحدثين : أنبوبة من خشب أو معدن أو نحوهما ، توضع فيها لفافة التدخين ، أو تُدخن بها النارَجيلة (المعجم الوسيط) .

كَثَح

[يقولون : فلان (يكثح سيكارة) أي يدخن . ويقولون : خذ (كثّح) أي دخن] .

وفي الأمّهات :

كَثَحتْ الرّيح فلانا : سَفَتْ عليه الترابَ ، أو نازعته ثيابه ، وتكاثَحوا بالسيوف : تكافحوا ، وكَثَحَ من المال ما شاء : أخذ مثل كَسَح ، وكَثّحَ الشيء : جمعه وفرّقه كأنّه ضدّ .

ومن المجاز – على ما يظهر – استعمل العامّة فعل (كَثَح) بمعنى : بدّدَ ونفّخ ، أو دخّنَ .

عَمّر النفَس — تَعْميرَة

[يقال (عمّرَ نَفَس تنباك) لتدخينه أي أعدّه ، ويُسَمّي البعض النفَسَ تعْميرةً] .

وفي الأمّهات :

١ – عَمَرَ يَعْمُر ويَعمِر : بقي زماناً .

وحكى ابن الأعرابيّ : عَمَر ربَّه : عبَدَه ، وعَمَر البيت : خدمه ، والمعمور المخدوم .

وعَمَرَ اللهُ منزلك عمارة ، وأعمره : جعله آهلاً .

وعَمَّرَه الله : أبقاه ، وعَمَّر نَفْسَه : قدَّر لها قَدَراً محدوداً .

وعَمَّرْتك اللهَ تعميراً : سألت اللهَ أن يطيل عُمُرك .

وعَمَّرَ الثوبَ : أجاد نسجه وأحسن غزلَه وليَّنه .

والعامة تقول : عَمَّر بمعنى : بنَى ، وهذا المعنى لم يُسمع في الفصيح ولكن المتأخرين من العلماء أجازوه على سبيل المجاز .

٢ — التَّنَفَس : خروج الهواء من الفم أو الأنف . والنَّفس : الجُرْعة .

والنَّفَس : الفرج من الكرب .

ونَفَّسَ عنه تنفيساً ونَفَساً . فرَّج ، ونَفَّس كربتَه : كشفها .

وتَنَفَّس : استمدَّ النَّفَس فأدخله إلى باطنه وأخرجه .

وتَنَفَّسَ في الإناء : شرب من غير أن يُبِنيه عن فيه .

ومن هذا نرى أنَّ إطلاق تعبير (تعمير نَفس) من قبل العامة للدلالة على تهيئة (نارجيلة) لتدخين (التُّنباك) بها هو من قبيل المجاز المقبول ، وكذلك إطلاق لفظة (تعميرة) على المرة الواحدة من إعداد (النارجيلة) للتدخين بها ، كما أن إطلاق لفظة (النَفَس) على كامل مدة التدخين يعتبر مجازاً مقبولاً .

نَفَّض — مُنفِّض

[يقولون : فلان (مُنَفِّض) من الدُّخان ، أي خالٍ منه] .

وفي الأمّهات :

أنْفَضَ القومُ : نَفِدَ طعامُهم ، مثل أرملوا ، وقومٌ نَفَضٌ : أي نفضُوا زادَهم ؛ وكأنهم نَفَضُوا مزاوِدَهم لخلوّها ، وانفَضَ مثل أرمَلَ وأقفَرَ ، والإنفاضُ : المجاعةُ والحاجة . وأنفضُوا زادهم : أفنوه : قاله ابن دريد وجعله متعدّياً .

وفي المحكَم : نَفَّضَه تنفيضاً : نَفَضَه ، شُدِّد للمبالغة .

وعلى هذا فمن استهلك ما معه من التّبغ ، أو كان خاليَ الوِفاض منه ، فقد أنفَضَ ونَفَّض فهو مُنَفِّضٌ .

مُقلّم ــ مُجلّم

[يقولون : (مُجلّم) أي ليس معه دخان] .

وفي الأمهات :

إنّما قيل للسهم قَلَم لأنّه يُقلَم أي يُبْرَى . وكلُّ ما قطعتَ منه شيئاً فقد قلمتَه ، من ذلك القَلَم الذي يُكتب به ، وإنّما سُمّيَ قلماً لأنّه قُلِمَ مَرّةً بعد مرّة .

والقَلَمُ : الجَلَمُ ، وكلاهما صحيح .

وقَلَمَ الظُّفُرَ والحافر والعود يَقْلِمُه قَلْماً وقلّمه : قطعه وبَرَاه .
ويقال للضّعيف : هو مقلوم الأظفار .

القلَمة : العُزّاب من الرجال ، وامرأة مقلّمة : أي أيّمٌ بغير زوج .
قال ابن الأعرابي : وخَطَب رجل إلى نسوة فلم يُزَوّجنه ، فقال : أظنكنّ مقلّماتٍ ، أي ليس لكنّ رجل ولا أحد يدفع عنكن .

وجَلَم الشيءَ : قطعه ، وجَلَم الشَّعرَ والصوف : جَزّه . وجَلَم الجزور (١) : أخذ ما على عظامها من اللّحم .

وكأن أهل الفرات رأوا صاحب التبغ يَقْلِمُه مرةً بعد مرة ، فإذا أنفَض ، وصفوه بالمقلّم أو المجلّم مجازاً .

خَرِم ــ خَرْمان

[يقولون : فلان (خرمان) أي ليس لديه ما يدخّنه مع رغبة شديدة في التدخين] .

في الأمهات :

خَرِم الرّجلُ : تشقّق أنفُه ، وخَرِمَ أنفُه : انشقّتْ وَتَرَتُه .

---

(١) تقول العامة في بلاد الشام : جَرّم اللحم للمعنى نفسه .

وتخرَّمت وترةُ أنفِه ، قُطِع طرف أرنبته شيئاً لا يبلغ الجَدْع . فهو أخرم ، وهي خرماء .

ومن المجاز : اخترِمَ فلانٌ أي مات ، واخترمته المنيَّة : أخذته .

ومنه أيضاً : الخَرْم في الشعر : ذهاب الفاء من فعولن .

ورأى النَّاس – على ما يظهر – من يفتقد التبغ ، وقد اعتاد تدخينه ، كيف يلوب أو يدوخ وكأن أنفه قد خرِم ، فاستسهلوا صيغة (خرمان) وزن (جَوْعان) ، فوصفوه بها ، وهي صيغة أدلّ على الحالة النفسية التي التي يعانيها أمثاله من صيغة (أخرم) .

لَقَعَ – لجعة

[وفي الأقوال الشعبية : أول مضرته : لجعةُ النار بيدك ..]

وفي الأمهات : لَقَعَت الحيَّةُ : لَدَغت ، ولقَعَه بعينه : أصابَه بها ؛

والمعروف أن القاف تنطق عند كثير من أهل البادية جيماً ، فلقعةُ النار عند أهل الفرات : تعني : لذعة النار أي كيتها .

عدنان الخطيب

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كايرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١٤ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٧١٧٠	لا خثور ، لا يتخثر	Incoagulable	7170
(١)			(1)

ولا يتجلط أيضاً (كما أقرها مجمع اللغة)[١] .

٧١٧٠	لا ضبوط ، لا يُضبط	Incoercible	7170
(٢)			(2)

لا يتوقف أو لا يمكن توقيفه كقولنا : قيء لا يتوقف في ترجمة (vomissement incoercible)

٧١٧١	عدم التوافق أو التناسق	Incohérence	7171

وأرجح عدم الترابط أو الارتباط كقولنا آراء غير مترابطة ترجمة لـ (idée incohérente) في الأمراض العقلية .

(١) الصفحة ٤١٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

7178 Inconscience, état d'inconscience — ٧١٧٨ لا شعور ، حالة اللاشعور

فقد الوعي ، لا شعور حالة فقد الوعي .

7179 Inconscient (l') — ٧١٧٩ فاقد الوعي ، غافِل

فاقد الوعي فقط ، ولا أرى لفظة غافل تفي بالمعنى المقصود [١] .

7185 Incontinence par regorgement, incontinence d'urine paradoxale, ischurie paradoxale, fausse incontinence. — ٧١٨٥ سَلَس تصبباً ، سلس متناقض

سبق لي التعليق على هذه اللفظة [٢] بترجمة الأولى من الألفاظ بسلس البول بالطَفْح أو بالفَيْض وسلس البول العجيب (ترجمة paradoxale) وأضيف إلى ذلك ترجمة (ischurie paradoxale) بقطور [٣] البول العجيب ثم سلس البول أو المَثَن [٤] الكاذب .

هذا وقد أقر مجمع اللغة لفظة الشَّغْية [٥] ترجمة لـ (dribbling of urine) وجاء في التعريف : نزول البول قطرة قطرة . وتصلح هذه اللفظة للدلالة على نوعين من اضطراب سيلان البول : أحدهما يتأتى عن امتلاء المثانة المفرط وفيض البول أو طفحه إثر ذلك ، والثاني عدم بقاء البول في المثانة بشلل

---

(١) في اللسان : غَفَل عنه يَغْفُل غُفولاً وغَفْلة ، وأغفله عنه غيره وأغفله تركه وسها عنه .

(٢) الصفحة ٦٥١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في تاج العروس : قطر الماء والدمع وغيرهما من السَّيَّال يقطُر قَطْراً بالفتح وقطوراً بالضم وقَطَرَاناً محركة ، سال ، وقطره الله تعالى يتعدى ولا يتعدى وأقطره اقطاراً أساله قطرة قطرة .

(٤) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) في اللسان : التشغية تقطير البول والاسم الشَّغْي . الشَّغْية أن يقطر البول قليلاً قليلاً .

مُصيرتها ومنه سيلان البول قطرة قطـرة دونما استمساك[١] لذا أرى أن يكون التمييز بينهما بأن تدعى الحالة الأولى شغية أو تشغية الطفح أو الامتلاء ، والثانية تشغية الشلل أو السَلَس الشللي .

٧١٨٦ عدم ارتباط ، عدم انتظام — 7186 Incoordination

وأرجح عدم التناسق تاركاً عدم الارتباط أو الترابط ترجمـــة لِـ (incohrence) وعدم الانتظام لِـ (arythmie)[٢] .

٧١٨٧ ضم ، جمع الأجسام ، مَزْج — 7187 Incorporation en-globement

وأفضل دَمْج وإدماج ثم شَمْل ، وأقر مجمع اللغة اندماج .

٧١٨٨ إفراغ داخلي — 7188 Incrétion

والصحيح إفراز داخلي[٣] وجاء في المعجم الأصلي لفظة أخرى بعد هذه اللفظة إيضاحاً لها وهي (sécrétion interne) ومعناها إفراز داخلي وقد أهملتها اللجنة وافراغ ترجمة لِـ (excrétion) (انظر اللفظة ٥٤٠١ في هذا المعجم) .

٧١٨٩ حِشاء تَرْصيع — 7189 Incrustation

والصحيح تغطية ، تلبيس[٤] أو تغشية وليس لحشاء وترصيع أن تفيا بالمعنى[٥].

---

(١) انظر شرح لفظة (dribble) في معجم بلاكستون (Blakiston's) وجاء فيه ما يلي : الافراغ بقطرات كالبول من مثانة متوترة أو مشلولة .

(٢) الصفحة ٦٢٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) وجاء في شرح اللفظة في معجم (M. Garnier V. J. Delamare) : ضد الافراغ (excrétion) وتدل اللفظة على إفراز غديدي يبقى داخل البدن .

(٤) وجاء في شرح هذه اللفظة في معجم بلاكستون (Blakiston's) : وهو تكوّن قشر من جراء نتحة (exudate) أو نَدْبة أو قشرة جافة .

(٥) في اللسان : حشأه بالعصا حشأً مهموز ضرب بها جنبيه وبطنه ، وحشأه بسهم يحشؤه حَشْأً رماه فأصاب به جوفه الخ .

والترصيع : التركيب يقال تاجٌ مرصَّعٌ بالجوهر وسيف مرصَّع أي محلى بالرصائع وهي حَلَق يحلّى بها : الواحدة رصيعة ورصَّع العِقْدَ بالجوهر نظمه فيه وضم بعضه إلى بعض .

7190 Incrustation calcaire ٧١٩٠ حِشاء كِلْسي ، ترصيع كلسي
والصحيح رسوب كلسي[1] .

7207 Indice de réfraction ٧٢٠٧ قرينة الانكسار ، نسبة الانكسار
وأقر مجمع اللغة معامل الانكسار وجاء في الشرح : معامل انكسار الضوء عند نفوذه من وسط مشف (شفاف) إلى آخر مشف : هو النسبة بين جيب زاوية السقوط في الأول إلى جيب زاوية الانكسار في الثاني ، وإذا أطلق المصطلح قصد به أن الوسط الأول هو الخلاء .

7216 Inductance ٧٢١٦ ممانعة التأثير الذاتي (كهربا)
وأرجح نسبة التأثير .

7219 Induration, v. concrétion ٧٢١٩ تصلب ، انظر تكثف
وأفضل قساوة ، انظر رسوب . إذ سبق للجنة أن استعملت على صواب لفظة تصلب ترجمة لـ (sclérose) (اللفظة ١٢١٤٩) .

7220 Induration brune ٧٢٢٠ تصلب أسمر (رِئة)
أقول قساوة سمراء .

7221 Induration cyanotique ٧٢٢١ تصلّب ازرقاقي
وأرجح القساوة الزُرَاقية أو الزُرْقية .

7222 Induration grise ou blanche ٧٢٢٢ تصلب أشهب أو أبيض
وأفضل قساوة رَمادية أو سنجابية ثم بيضاء .

7223 Induration avec infiltration pigmentaire des poumons ٧٢٢٣ تصلب الرئتين مع ارتشاحها الصباغي
أقول قساوة الرئتين مع ارتشاحها الصباغي .

---

(١) انظر شرح اللفظة في معجم لاروس (Larousse) .

٧٢٢٤ تصلب أحمر — 7224 Induration rouge

وأرجح قساوة حمراء .

٧٢٢٥ متصلب ، انظر تصلبي — 7225 Induré, ée v. scléreux

قاسي ، انظر تصلبي .

٧٢٢٨ عدم تساوي الحدقتين — 7228 Inégalité pupillaire

والصحيح عدم تساوي البؤبؤين [١] .

٧٢٣٠ عَفْل — 7230 Inerte

والأفضل ترجمة اللفظة بهامد أو ساكن ، وعلى ذلك يصبح همود الرحم أو سكونها ترجمة لِـ (inertie utérine) للدلالة على كفها عن التقلص والحركة ، وقد أقر مجمع اللغة ترجمة الأخيرة بقصور الرحم (وقد أهمل المعجم الأصلي إثبات هذه اللفظة) وجاء في الشرح : هو نقص في قوتها أثناء الولادة . وأرى سكون الرحم أو هدوءها أو همودها أفضل ، ولأن القصور خصصت لترجمة (insuffisance) .

٧٢٣٤ احتشاء ، امتداد — 7234 Infarcisation, infarcissement

وأرجح الفَعامة والفعومة [٢] بدلاً عنها ، لاستعمال لفظة الاحتشاء ترجمة لِـ (infarctus) (اللفظة ٧٢٣٥) وكذلك الامتلاء المستعملة ترجمة (pléthore) (اللفظة ١٠٤٦٢) .

٧٢٣٥ احتشاء ، سُداد — 7235 Infarctus

والأفضل الاقتصار على احتشاء فقط .

---

(١) الصفحة ٤٧٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في القاموس المحيط : فَعُمَ الساعد والإناء ككرم فعامة وفعومة امتلأ فهو فعيم .

7240 Infectant, ante ٧٢٤٠ مُعْدٍ ، مُخْمِج ، سارٍ

وأرجح مُحدث الانتان [١] أو العفونة وتخصيص لفظي معدٍ وسارٍ ترجمة لِ (contagieux) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٣١٤٦) .

7241 Infecté , ée ٧٢٤١ مُعْدى ، مخموج

وأفضل مصاب بالانتان أو بالعفونة .

7242 Infecter , contaminer ٧٢٤٢ أعدى ، لوّثَ

أصاب بالانتان ، لوّث .

7252 Infection septique , fièvre septique ٧٢٥٢ خَمَج مُنْتِن ، حمى مُنْتِنة

وأرجح انتان عَفَني ، حمى عَفِنة .

7253 Infection transmise par les mains ٧٢٥٣ عَدْوى بالأيدي

أقول الانتان الساري بالأيدي [٢] .

7254 Infectiosité ٧٢٥٤ خموجية

وأرجح حالة الانتان وامكانية الانتان .

7257 Infiltrat ٧٢٥٧ شُرابة

وأرجح رُشاحة (وقد ترجمت اللجنة لفظة infiltration بترشيح أيضاً) .

7275 Inflammation nécrosante ٧٢٧٥ إلتهاب ناخِر

وأقر مجمع اللغة تعريب (nécrose) بالنيكروز أيضاً ، فتصبح الترجمة ناخر ومُنكرز ونكروزي أيضاً .

---

(١) انظر الصفحة ٩٦ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) انظر الصفحة ٩٦ من المجلد الرابع والثلاثين وشرح اللفظة (٧٢٤٠) .

٧٢٧٦ التهابٌ مُتَشَعِّبٌ مُهَيْكِل — 7276 Inflammation proli-férative hyperplasique

والصحيح التهاب تكاثري فائق النماء .

٧٢٨٢ سيَّالة — 7282 Influx, flux

وأرجح تدفق ، سيلان .

٧٢٩١ نُقاعة زَهْر البَلَسان — 7291 Infusion de fleurs de sureau

٧٢٩٢ نقيع — 7292 Infusion froide

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بنقيع ـ منقوع وتسريب . وجاء في الشرح : المنقوع محلول مصفى ناتج عن غمر عقاقير نباتية في سائل تقل درجة حرارته عن درجة الغليان .

والتسريب إدخال سائل في الوريد ببطء ، كمحلول الجلوكوز .

٧٢٩٤ أقوات — 7294 Ingesta

وأرجح المأكول والمشروب . لأن المقصود من اللفظة ما يدخل أنبوب الهضم من طعام وشراب اطلاقاً . والقوت [1] غير ذلك .

٧٢٩٥ ابتلاع ، ازْدراد — 7295 Ingestion

والأفضل بل الصحيح الأكل أو الاغتذاء كما أقرها مجمع اللغة وجاء في الشرح هو تناول الطعام . لأن لفظتي ابتلاع وازدراد مخصصتان للفظتي (avaler) (اللفظة ١٣٢٧) و (déglutition) (اللفظة ٣٨٨٦) .

٧٣٠٠ منَع ، نَهى — 7300 Inhiber

ودرجت على ترجمتها بثَبَّطَ وأراها أفضل بالمعنى الطبي خاصة .

---

(١) في اللسان : القوت ما يُمْسِك الرَّمَق من الرزق ، المُسْكة من الرزق ، ما يَقوم به بدن الإنسان من الطعام .

٧٣٠٢ نهيٌ تنفسيٌ ، فَلْج مركز التنفس — 7302 Inhibition respi-ratoire paralysie du centre respriatoire

والصحيح نهيٌ أو تثبطٌ تنفسي ، شلل مركز التنفس ولأن لفظة فَلْج (١) لا تفي بالمعنى المقصود . وعندي لا يصح استعمال لفظة الفَلْج والفالج إلا ترجمة للفظة (hémiplégie) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٦٦٦٨) وتبقى لفظة شلل ترجمة لِ (paralysie) كما فعلته اللجنة أيضاً (اللفظة ٩٧٧٣) .

٧٣٠٦ قَبِل ، أشرك ، أدخَل — 7306 Initier

ولعلَّ علَّم ودرَّب بالمعنى الطبي أفضل .

٧٣١١ حَقْن مثير أو مُحرِّض — 7311 Injection déchainante

ومُطْلِق أو مُحلِّل كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانيــــة للمعجم الأصلي (٢) ولأن لفظة مثير قد استعملت ترجمة لِ (excitant) (٣) ومحرِّض أو حاث ترجمة لِ (stimulant) .

٧٣١٨ حَقْن وريدي بكمية كبيرة ري وريدي — 7388 Injection intraveineuse massive, infusion in-traveineuse

وأرجح تسريب وريدي (٤) كما أقرها مجمع اللغة (٥) .

---

(١) في اللسان : فَلْجُ كل شيء نصفه ، وفَلَج الشيءَ بينهما يفلجه بالكسر فلجاً قسمَه بنصفين والفالج الفَلْج إلى أن قال وفلجْت الشيء فانفلج أي شققته نصفين ، وكلّ شيء شققته فقد فلجته . والفالج ريحٌ يأخذ الإنسان فيذهب بشقه وقد فلج فالجاً فهو مفلوج .

(٢) (releasing) في الانكليزية و (auslösende) في الألمانية .

(٣) الصحفة ٨٧٥ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٣٢ من هذه المجلة .

في اللسان : سَرِبَت العين سَرَباً وتَسرَّبت تَسرُّب سروباً وانسربت سالت .

(٥) سبقت الملاحظة على هــذه اللفظة (الصفحة ٦٥٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة) .

7324 Innervation — ٧٣٢٤ إعصاب

وأقر مجمع اللغة إعصاب وإمداد بالعصب ، لأن للفظة معنيين : الواحد توزع الغصون العصبية في بقعة ما من البدن ، والثاني ربط أحد الأحشاء بالعصب المجاور كقولنا إعصاب المبيض ويعني إمداده بالأعصاب .

7326 Innominé , ée — ٧٣٢٦ مَهمَل ، لا اسم له (غير مسمّى)

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بلا اسمي ولا مسمَّى .

7331 Inopérable — ٧٣٣١ لا يُبْضَعُ ، غير قابل البَضْع

وأقر مجمع اللغة عَصِي الجراحة .

7336 Inquiétude — ٧٣٣٦ قَلَقٌ ، ضَجَرٌ ، عدم ارتياح

وأرجح مُلال وتَمَلْمُل [١] ، تاركاً لفظة قلق ترجمة لِ (angoisse) شأن ما فعلته اللجنة [٢] (اللفظة رقم ٧٥٤) وضَجَر ترجمة لِ (anxiété) (الرقم نفسه) .

7341 Insémination — ٧٣٤١ بَذْر ، إمناء ، إخصاب

7341 Insémination artificielle — ٧٣٤١ إخصاب اصطناعي

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية بالتلقيح الصناعي . وجاء في الشرح : وهو التمنية الصناعية ، وتكون بوضع مني في المسالك التناسلية للأنثى . وعليه تكون ترجمة اللفظة الأولى تمنية . وقد سبق للجنة أن استعملت على صواب لفظة إخصاب ترجمة لِ (fertilisation) (اللفظتان ٥٦٣٤ و ٧١١٨) .

7343 Insertion — ٧٣٤٣ إندغام ، إرتكاز

وأفضل إدخال ، إقحام ثم ارتكاز كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي [٣] .

---

(١) في اللسان : والمُلال التقلب من المرض أو الغم ، وتَمَلَّل الرجل وتَمَلْمَل تقلب .

(٢) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (insertion , intercalation) .

7354 Inspection فَحْص ، رقابة ، تأمل ٧٣٥٤

وأقر مجمع اللغة المعاينة وأرجحها مع التأمل .

7370 Instinct sexuel فِطْرة تناسلية ٧٣٧٠

وأفضل فطرة جنسية .

7372 Instinctif, ve impulsif, ve فِطْري ، باعث، مُحرِّض ٧٣٧٢

وأرجح فطري ودافع .

7373 Institution تأسيس ، تشييد ٧٣٧٣

إقامة وتأسيس ومؤسسة على ما أرجح .

7376 Insuffisance, défaillance, faiblesse قُصور ، وَهْن ، نَقْص ، ضَعْف ٧٣٧٦

وأرجح قُصور (أو تقصير) ، عَجْز وضَعْف مع تخصيص لفظة وَهْن ترجمة لِ (asthénie) [1] .

7382 Insuffisance mitrale قصور تاجي ٧٣٨٢

وأفضل قصور إكليلي [2] أو قِلَنْسي كما أقرها مجمع اللغة .

7396 Intégration استتمام ، استكمال ٧٣٩٦

وإدماج (كما جاء في معجم لاروس) .

7400 Intempérance شَرَهْ ، إفراط ، نَهَم ٧٤٠٠

7401 Intempérant, ante شَرِهْ ، مُفْرِطْ ، نَهِمْ ٧٤٠١

وأرجح إفراط وإسراف في الأولى ومفرط ومُسْرِف في الثانية .

---

(١) الصفحة ٧٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ١٠٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

7411 Interdiction judicaire ٧٤١١ حُرْمانٌ شرعي

وأرجح حَجْر (١) .

7416 Interne ٧٤١٦ باطن إنسي

ومُعاوِد (٢) أيضاً . وهو الطبيب المبتدىء المقيم في أحد المشافي في السنة الأولى من الخدمة (٣) .

7418 Intéroceptif, ve ٧٤١٨ تَقَبُّل داخلي

وأفضل استقبال داخلي أو حشوي ، وما يعنى باللفظة إمكانية استقبال أحد الأحشاء المثيرات الباطنية المنشأ .

7421 Interrupteur électrolytique ٧٤٢١ قاطعة تحليلٍ كَهْرَباوي

وأرجح قاطعة بالتحليل الكهربائي ، لأنّ المقصود أن يكون قطع التيار بالتحليل الكهربائي لا أن القطع موجّه إلى التحليل الكهربائي .

7429 Interval (musique) ٧٤٢٩ فَتْرة (مُوسيقى)

وأقر مجمع اللغة الفاصلة .

---

(١) في المعجم الوسيط : الحَجْرُ في الشرع : المنع من التصرف لصغر أو سفه أو جنون . وجاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي إيضاحاً للفظة ما يلي : وضع الشخص المصاب عقلياً قيد الرقابة الرسمية .

(٢) وهي لفظة من وضعي عوضاً عن الطبيب الداخلي ، وتطلق على الطالب في السنة الأخيرة من الدراسة في كلية الطب من جامعة دمشق أو في السنة الأولى بعد التخرج عندما يدعى الى العمل في أحد المشافي . وهو لقب رسمي معترف به قانوناً والجمع معاودون والعمل أو الوظيفة المعاودة . في اللسان : المعاود المواظب .

(٣) شرح اللفظة كما جاءت في معجم بلاكستون (Blakiston's) .

٧٤٣٥ مِعى (غليظة) 7435 Intestin (gros)

(١) مِجال (1) Ampoules

(٢) سَبائِب عضلية (2) bandelettes musculaires

ويعنى باللفظة الأولى الانتفاخات البادية في المِعى الغليظ ، وقد جاءت ترجمة اللفظة في الانكليزية في المعجم الأصلي (sacculations) وأقر مجمع اللغة ترجمتها بجُرَيبات . أما مِجال و (ampoules) فقد سبقت ملاحظتي عليها في مكان آخر (١) .

وأرجح ترجمة اللفظة الثانية بالشُرَيطات العضلية لا السَبائب (٢) .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح



---

(١) الصفحة ٣٠٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : والسبيب من الفَرَس شَعَر الذنب والعُرْف والناصية ، وفي الصحاح السبيب شَعَر الناصية والعُرْف والذَّنَب ولم يذكر الفَرَس إلى أن قال : والسَّبِيب والسبيبة الخُصْلة من الشَّعَر الخ .

أدب الفقهاء

-١٣-

فنون شتى

ويشتمل أدب الفقهاء على أغراض أخرى وفنون شتى من القول ، غير الموضوعات الشعرية الأساسية التي سبق الكلام عليها ، وبعضها مما يتضمن معاني وصوراً قلما نعثر عليها في شعر الأدباء من غير أصحابنا ، وبعضها الآخر مما يحتوى على صنعة أدبية فريدة ، وطراز بديع من الصياغة الشعرية لم تتحدث عنه كتب هـذا الفن إلا قليلا . ونرى من تمام العناية بهذا الأدب أن نلم من ذلك بنماذج تمثل ما للفقهاء من اهتمامات أدبية تختلف مضموناً وشكلاً عن القواعد والمجالات المعروفة في عالم الأدب ، وأقل ما يستنتج منها هـذا الأفق الواسع للرؤية الشعرية عند الفقهاء ، الذي ينفي عنهم كل ما قيل في ضعف إنتاجهم الأدبي ، والشعر منه بخاصة .

وأول ما نبدأ به قولهم في نقد الأوضاع الاجتماعية الفاسدة ، والتنديد بالحكام الجائرين ، وصنائعهم من أعداء الملة والدين ، وفي هذا الباب يجب أن نتذكر ما لشعراء الخوارج ، وأكثرُهم من الأئمة الأعلام ، من أشعار تتمثل فيها روح الثورة على الظلم والاستبداد ، والحكم المطلق ، والحياة العابثة التي كان المتسلطون يُشيعونها في الناس ، ولكنا لا نورد شيئاً من هـذه الأشعار لاشتهارها أولاً ، ولأنها ثانياً تعبر عن نزعة سياسية خاصة لسنا بصدد التعرض لها في هذا البحث الذي إنما يُعنَى بالناحية الأدبية من أعمال الفقهاء ورجال العلم .. على أن أشعار الخوارج هي باتفاق نقَدَة الأدب في الذروة من البلاغة

وحسن الأداء ، فما كان منها لفقهائهم فهو حجة لأدبهم وأدب الفقهاء بعامة . ونشير إلى نماذج متداولة من أقوال فقهائنا المعروفين في هذه المقاصد ، وهي التي تعتمد بقوة الكلمة وحدها ، ولا تعتبر قوةً غيرَها وسيلةً إلى الإصلاح ، على طريقة الرعاة والمرشدين ، والأدباء الملتزمين فمن ذلك ما اشتهر من قول أحد متقدمي أهل العلم :

هـذا الزمان الذي كنا نحاذره ... في قول كعب وفي قول ابن مسعود

إن دام هذا ولم يحدُثْ له غِيَرٌ ... لم يُبكَ ميْتٌ ولم يُفرَحْ بمولود

وهذان بيتان هما مما جـــرى على كل لسان ، وأصبحا مثلاً مضروباً في فساد الزمان وأهله ، وفشو المنكر ، وانحلال المجتمع ، حتى انه قلما يتحدث متحدث أو يكتب كاتب في موضوع التربية الدينية والخلقية ولا ينشدهما ويتمثل بهما وهما على ما نرى من متانة الحوك وشدة التأثير بحيث ينفذان إلى أعمـــاق النفس ويغمران المشاعر بفيض من الأسى والحسرة ، وذلك غاية ما يتوخى من أية تجربة شعرية ناجحة . وكعب المذكور فيهما هو كعب الأحبار تابعي مشهور ، وابن مسعود هو الصحابي الجليل عبد الله الهذلي ، وتروى عنهما أقوال في فساد الزمان وتغيير المنكر .

ومنه قول أبي الفرج بن هندو في ملك ليس له من الملك إلا الاسم :

لنا ملك ما فيه للملك آية ... سوى أنه يوم السلام متوّج

أقيم لإصلاح الورى وهو فاسد ... متى يستقيم الظل والعود أعوج

ولا نجـــد لشاعر من الشعراء مثل هذين البيتين في تصوير ما آل إليه الأمر في بعض العصور من تنصيب إحدى الدمى على العرش ، وإطلاق اسم الملك عليها ، واعتماد هذا الملك بالتحية وسائر مظاهر الملك ، وادعاء أنه سيصلح البلاد والعباد ، ومع أنه في نفسه فاسد ، فكيف يأتي الصلاح من الفساد ، والظل إنما يمثل الشاخص ؟ فاذا كان هـذا مائلاً فان ظله لا يكون

إلا مثله . والتعبير بالاستقامة والاعوجاج في الشعر أبلغ مما فسرنا به مثلَه المضروب ، وذلك مما زاده بلاغةً وقوة حجة .

إن مثل هذا الملك كثيراً ما لهج الشعراء بمدحه ونوهوا بأياديه ، ومن هنا يُعلَم صدق التجربة الشعرية عند أصحابنا العلماء ، فهم ينظرون للصالح العام . ولا يُغويهم عطاء الملوك فيبتذلوا الكلمة ويتآمروا مع المتآمرين .

ولأبي بكر الطرطوشي يخاطب الملك الأفضل شاهنشاه :

يا أيها الملكُ الذي جوده يطلبه القاصد والراغب
إن الذي شَرُفتَ من أجله يزعُم هـذا أنه كاذب

وقصة البيتين كما حكاها القرافي[1] أن الأفضل غضب على الطرطوشي غضباً شديداً بتحريض وزير له ذمّي فأمر باحضاره عازماً على عقوبته ، فلما دخل عليه ورأى الوزير المذكور بجنبه خاطبه بذينك البيتين ، ففهم الأفضل دسيسة الوزير وأقامه من مكانه وأجلس فيه الشيخ وأكرمه .. والوزراء والمستشارون من هذا القبيل بحكم الفنّيّة والخِبْرة ، كم جرّوا على البلاد من محن ، وكم أثاروا من فتن ، ولم يوجد من ينبه على خطرهم إلا فقيه شاعر هو الطرطوشي .

ولأبي عبد الله بن جُزَيّ في طبيب يهودي :

ورب يهودي أتى متطبباً ليأخذ ثاراتِ اليهود من الناس
إذا جسّ نبض المرء أودى بنفسه سريعاً ، ألم تسمع بفتكة (جسّاس)

وهذه صورة أخرى تجسم مكر اليهود الذين يتخذون العلم وسيلة لاستغلال ضعف الإنسان والتآمر عليه ، وهي صورة طبق الأصل مما توصي به

(١) أورد الطرطوشي الحكاية في كتابه سراج الملوك باختلاف يسير ، ناسباً لها إلى رجل ذي عقل وأدب فلعله كنى بذلك عن نفسه ، وهي في ابن خلكان أيضاً منسوبة إليه .

بروتوكولاتُ صهيون ، اليهودَ ، أبرزَها العالم ابنُ جُزَيّ قبل نشر هذه البروتوكولات بقرون ، ودل بذلك على بُعد نظرٍ وشدة انتباهٍ إنما يوجدان عند أهل العلم ، ثم سجّلها ظاهرةً عُنصريةً بَغيضةً في بيتين من الشعر على جانب كبير من الفصاحة والبيان .

وشعرهم في فساد المجتمع وانتقاد الحكام كثير ، وقد ذكرنا منه تفاريق فيما مضى من التراجم كترجمة عبد الله بن المبارك وغيره فلنكتف منه بهذا القدر .

ومن الموضوعات العزيزة التي نلتقي بها كثيراً في شعر الفقهاء ، محاربةُ الشعوذة والتدجيل وتنمية الوعي والشعور بقيمة العلم والعقل ، مما أثّر دائماً في رفع المستوى الفكري والحضاري لعامة الشعب ولم يتركهم فريسة الأوهام والخرافات .

فمن ذلك قول محمود الوراق في المُرائين من الزهاد :

أظهروا للناس نُسكاً ... وعلى الدينار داروا
وله صلّوْا وصاموا ... وله حجّوا وزاروا
لو رأوه في الثريا ... ولهم ريش لطاروا

وقول آخر في العلماء المزيّفين :

قل للذين تكلّفوا زيَّ التقى ... وتخيّروا للدّرْس ألفَ مجلد
لا تحسبوا كَحَل العيون بحيلة ... إن المَها لم تكتحل بالإثمد

ومنه لأُمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت العالم الطبيب الأديب في بطلان التنجيم واعتماد الطالع :

لا ترجُ في أمرك سعْد المُشتري ... ولا تخف في فوته نَحْسَ زُحَل
وارجُ وخف ربها فهْو الذي ... ما شاء من خير ومن شر فعَل

ولغيره في المعنى :

من كان يخشى زُحَلاً أو كان يرجو المشتري
فانني منــــه ، ولو كان أَبي الأدنَى ، بَرِي

ولآخر مصححاً العقيدة في ذلك :

خَبّــرنْ عنيَ المنجم أني كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أنّ ما يكون وما كا ن قضاء من المهيمن واجب

ولآخر مبيناً الغاية التي تتوخى من الرصد :

ليس للنجم إلى ضـــــرّ ولا نفع سبيل
إنما النجم على الأو قات والسَّمْتِ دليل

ولأبي بكر الزبيدي اللغوي وارتكب فيه المذهب الكلامي من البديع :

يقول المنجم لي لا تسِرْ فإنك إن سرت لُقّيت شرا
فإن كان يعلم أني أسير فقد جاء بالنهي ظلماً وجوْرا
وإن كان يجهل أني أسير فجهلُ العواقب أولى وأحرى

ولآخر يخاطب أحد الملوك وقد نهاه مُنَجّمُه عن الغزو :

دع النجوم لطُرْقِيّ يعيش بها وقُم لوقتك وانهض أيها الملك
ان النبيّ وأصحاب النبي نَهَوْا عن النجوم وقدأبصرتَ ماملكوا

ومنه للشيخ أحمد زروق في التنبيه على نوع آخر من الشعوذة وهو الاشتغال بالكيمياء واستخراج الكنوز :

كافُ الكنوز وكافُ الكيمياء معا لا يُوجَدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحـــدث أقوام بأمرهما وما أظنهما كانا ولا وقعـــا

وغني عن البيان ما في هـذه الأشعار من تنوير للعقول وتمحيص للحقائق ، فاذا كان بعض الشعر ، وخاصةً هـذا الذي يستعين بالمثولوجيات وأساطير الوثنيين ، قد يزيد الناس عمى ويعود بهم في حافرة الجاهلية الأولى ، فان

هذه الأشعار تنبه الغافلين ولا تدع الجهل يستبد بأوساط الناس ، لأنها دعوة إلى التحرر من عبودية الدجالين والمشعوذين ، ونبذ الأفكار الرجعية والترهات الباطلة . وهذا المحتوى الإنساني الرفيع إلى النظم البياني البديع ، هو الذي جعلنا نسميها أشعاراً ونعدها في خاص الخاص من أدب الفقهاء . وكان بودنا أن نقف عند كل قطعة منها ونبرز ما فيها من صدق التجربة وجمال الأداء ، ولكنا رأينا ذلك يطول فضربنا عنه صفحاً مكتفين بالإشارة إلى مقارنة البيتين اللذين يخاطب بها صاحبُها الملكَ المتوقف عن الغزو لنهي منجمه له عنه ، بالأبيات الأولى من بائية أبي تمام التي يمدح بها المعتصم لما فتح عمورية :

السيف أصدق أنباءً من الكتب   في حده الحدّ بَيْن الجد واللعب
بيضُ الصفائح لا سُود الصحائف في   متونهن جلاء الشك والريب ... الخ

فهذه المقارنة تظهر أن نفَس الشاعر وإن كان أطول وأقوى ، إن بيتي صاحبنا الفقيه يكتسيان حلة من الوضوح وقوة الحجة ليست لأبيات أبي تمام ، ومع ذلك فهي أسْيَر وأشهر لمكانة الشاعر ، ومكانة الممدوح ، ومكانة المدينة المفتوحة وما كان لفتحها من صدى بعيد في البلاد حتى لقد سماه أبو تمام فتح الفتوح . على أن من تتمة حكاية البيتين المذكورين فيما يُروَى أن الملك المخاطَب بهما نهض إلى حرب عدو ، فانتصر عليه وظفر به ظفراً مبيناً ، تماماً كما وقع في عَمُّورية .

ومن طريف أدب الفقهاء ما يقولونه في وصف الحياة العلمية والانقطاع إلى الدرس والتحصيل واغتباطهم بذلك واعتباره أعظم متعة روحية تقر بها أعينهم وتغنيهم عن كل متعة مادية يشتغل بها غيرهم ، حتى أن بعضهم جعل اللذة الحقيقية هي لذة المعرفة كما قال ابن السبكي في جمع الجوامع : (واللذة حصرها الإمام (١) والشيخ الإمام (٢) في المعارف) وهكذا نجد أحدهم وهو

---

(١) إمام الحرمين أبو المعالي الجويني .

(٢) والد ابن السبكي .

أبو سليمان الخطابي في برجه العاجي يقول مستهيناً بالدنيا وما فيها :

أنِسْتُ بوحدتي ولزمت بيتي فدام الأنس لي ونما السرور
وأدّبني الزمان فما أبالي هُجِرتُ فلا أُزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوماً أسار الجند أم ركب الأمير

ويجيب أحمد بن فارس اللغوي من سأله كيف أنت ؟ مظهراً غاية الاعتزاز بالعلم :

وقالوا كيف أنت فقلت خيرٌ تُقضّى حاجة وتفوت حاجُ
نديمي هرّتي وأنيس نفسي دفاتيري ومعشوقي السراج

ويعتبر القاضي أبو الحسن الجرجاني لذة العيش هي القراءة قائلاً :

ما تطعّمتُ لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندي من العلـم فما أبتغي سواه أنيسا

أما محمد بن هرون الدمشقي فان قرة عينه أن تتوفر له أدوات الكتابة الكافية كما يقول :

لَمِحبرةٌ تجالسني نهاري أحب إلى من أنس الصديق
ورَزْمةُ كاغَد في البيت عندي أحب إلى من عِدل الدقيق

ويقول عبد السلام جشُوس في فضل أهل العلم :

إذا ما اعتز ذو جهل بمال وعُظّم في نفوس الجاهلينا
فأهل العلم أعلى الناس قدراً وأعظم عند رب العالمينا

ويقول غيره في رضى العلماء بقسمتهم :

رضينا بالعلوم تكون فينا مخلّدةً وللجهال مال
فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باق لا يزال

ويحسم آخرُ الخلافَ في المفاضلة بين أهل العلم وغيرهم فيقول :

ما الناس إلا العالمون حقيقةً وسواهم متطفل في الناس

ومما قاله الجاحظ في لقاء أهل العلم :

يطيب العيش إن تلقى لبيباً | غـذاه العلمُ والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل | وفضل العـــلم يعرفه الأريب
سقام الحرص ليس له دواءٌ | وداء الجهـــل ليس له طبيب

وللقاضي عياض في تقريظ أهل العلم وبركة اجتماعهم :

ولله قوم كلمـا جئتُ زائراً | وجدتُ قلوباً كلها مُلئت حلما
إذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة | ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

وذيَّله أبو الحسن الرُّعَيْني فقال :

أولئك مثلُ الطيب كلٌّ له شذى | ومجموعُه أذكى أريجاً إذا شمّا

وزاد عليه أبو بكر بن عتيق اللاردي :

تعاطَوْا كؤوس العلم في روضة التقى | فكلهم من ذلك الريّ لا يظما

هذا جو من الحياة السعيدة المليئة بالغبطـة والسرور ورضا النفس وطمأنينة القلب ، يعيش فيه الفقهاء والعلماء معتزين بما أوتوه من شرف الحكمة وما خُصوا به من مزية المعرفة ، فهم في عالم طُوباوي لا يرضون به بديلا ، ومهما تظاهر أهل الجاه والمال بمظاهر العظمة والعيشة الرخية ، فان ذلك لا يكبر في أعينهم ولا يستهويهم ، لأنهم يرون أن ما هم فيه من متعة روحية هو العيشة الراضية والحياة الكريمة التي لا معنى للوجود بدونها . ولقد قال بعضهم في هذا الصدد : لو يعلم الملوك ما نحن فيه من كرم العيش لجالدُونا عليه بالسيوف . والأشعار التي أوردناها ، وهي قُلّ من كُثْر ، تعبر عن هذا المعنى أصدق تعبير ، فلذلك قلنا في هذا الموضوع أنه من طريف أدب الفقهاء .

ومن لطائف أدبهم أوصاف وصور يبرزون فيها المعقول بهيئة المحسوس ويُبسِّطون فيها المُركَّب حتى يُزايله الغموض ، وذلك نتيجة لتعودهم على الدرس وتوضيح المسائل ، فمما نذكـــره في هذا الباب قول ابن المُعافى مُجسِّماً نتيجة العجز والتواني :

ألم تر أن العجز زوَّج بنتَه من ابن التواني ثم ساق لها مَهْرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتَّكيي فصارا كلاهما لا شك أن تلدا فقرا

وقول آخر مفضلاً الحلم على العقل بحجة كلامية .

حلمُ الحليم وعقلُ العاقل اختلفا مَن الذي منها قد أحرز الشرفا
فالحلمُ قال أنا أحرزتُ غايتَه والعقل قال أنا بي اللهُ قد عُرِفا
فأفصح الحلم إفصاحاً وقال له بأيِّنا اللهُ في قرآنه اتصفا
فبانَ للعقل أن الحلم سيدُه فقبَّل العقلُ رأسَ الحلم وانصرفا

وقول آخر يصف بليداً :

لو قيل كم خمس وخمس لارتأى يوماً وليلته يعُدّ ويحسُب
ويقول معضلة عظيم أمرها ولئن فهمت فانَّ فهمي أعجب
حتى إذا حصِرت أناملُ كفه عدًّا وكادت عينه تتصوَّب
أربى على نشْز وقال ألا اسمَعُوا قد كدتُ من فرحٍ أجَن وأطرب
خمس وخمس ستة أو سبعة قولان قالها الخليل وثعلب

وقول آخر في مُناظر مُراوِغ :

مالي إذا ألزمتُه حجــــةً قابلني بالضحْك والقهقهـــة
إن كان ضحْكُ المرء من فقهه فالذيب في الصحراء ما أفقهه

وقول أبي حيان في مثله :

وإذا جلستَ إلى الرجال وأشرقت في جو باطنك العلوم الشُّرَّد
فاحذر مناظرة الحسود فإنما تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

ولمنصور الفقيه في ذم الحسد بطريقة الجدل :

ألا قل لمن ظلّ لي حاسداً أتدري على من أسأتَ الأدب
أسأتَ على الله في حكمـــه لأنك لم ترضَ لي ما وهب
فجازاك عـــني بأن زادني وسدّ عليك وجوه الطلب

ولغيره في تمثيل الرزق :

مثَــــلُ الرزق الذي تطلبه مثَلُ الظل الذي يمشي معك
أنت لا تـدركه مجتهــداً وإذا ولَّيْتَ عنـــه تبعك

ولآخر ملمحاً لجنس الحقيقة الانسانية في تبرير تـكافؤ الأفراد وإن اختلفت حيثياتهم .

إذا شُوركتَ في أمرٍ بدُونٍ فلا يك منك في هذا نفور
ففي الحيوان يجتمع اضطراراً أرِسطاليسُ والـكلب العقور

ولآخر فيما يخالف ذلك :

وللزُّنبـــور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحةٌ وخَفْق
ولكـــن بين ما يصطاد بازٍ وما يصطاده الزنبورُ فرْق

وشعرهم من هذا القبيل كثير فلا نطيل به ، لا سيما ونحن نكتب ، في الغالب من حفظنا ولا نستحضر قائله فلا نحب أن نتورط فيما لا يكون من شعرهم ، وإنما نثبت ما تحققنا منه وشككنا في صاحبه ، أو ما دل بصياغته على أنه من بضاعتهم ، وفوق جهدك لا تلام .

وبعد هذه الأمثلة من المعاني والصور الفريدة التي عُنِيي بها أدب الفقهاء إلى جانب الموضوعات الأدبية الرئيسية ، نورد نماذج من كلامهم الذي اعتمدوا فيه صناعةَ البديع والمحسنات اللفظية لنرى إبداعَهم في هذا الفن أيضاً ، بل تصرفهم فيه بما يدل على أن الرؤية الشعرية عندهم أوسع من أن تحدها الأشكال والعبارات ، وبما أن هذا الباب واسع فسنقتصر منه على نوع واحد هو التضمين .

فالتضمين ، وهو اقتباس بيت أو شطر من كلام شاعر سابق مع حسن تأتٍّ يجعله ينسجم وكلامَ المقتبِس حتى يبدوَ كأنه جزءٌ منه ، هو من محسنات البديع ، وقد كثر وقوعه في كلام المتأخرين وهم يتفاوتون في إحكام

صنعته بحسب القوة والضعف في صياغة الكلام وعدم ظهور التعمل فيه ، ومن أرقاه ما وقع لابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد من تضمين شواهد العروض في جميع بحور الشعر الخمسة عشر فلْيُنظَر فيه .

أما أصحابنا الفقهاء فمن قول بعضهم فيه مُضمِّناً شطر بيت من ألفية ابن مالك :

العلماء كلُّهم مَن سادا أو لمْ يسُدْ ، لم يَبْلُغِ المرادا
فرزقُهم مُرخَّم منادَى (كياسُما فيمن دعا سُعادا)

والشطر المضمَّن هو من قول الألفية في باب الترخيم :

ترخيماً احذِفْ آخر المنادى كياسما فيمن دعا سمادا

وقد تأتّى له هذا الفقيه الأديب أحسن التأتي وأدخله في كلامه بصورة لا يهتدي إلى أنه مضمَّن ، من لم يكن يعرف الألفية وأنها هي التي ضربتْه مثَلاً للترخيم ، وهذا بقطع النظر عن جمال هذا الكلام وما فيه من اقتباس لقاعدة الترخيم في علم النحو حتى حَسُن تضمين الشطر المذكور وضرْبُه مثلاً لنقصان رزق العلماء وقلة حظهم على حسب ما يقال .

وتضمين أشطار الألفية مما أولع به الطلبة والمشايخ حتى انهم استعملوه في النسيب والمدح وغيرهما من الأغراض الشعرية ، ومما نذكره من ذلك قول بعضهم :

إذا أتى الحبيب للباب ودَقّ (افتح وقُلْ مَن بكسره نطق)
وإن أتى الرقيب (والملحق به بعكس ذاك استعملوه فانتبه)

وفي نفح الطيب رجزية لمحمد بن يوسف التاملي نصف أبياتها أشطار من الألفية ، وهي في مدح صاحبِ النفح ، فمن قوله فيها :

نشير بالتضمين للنحرير المقَّريِّ الفاضلِ الشهير
ذاك الإمام ذو العلاء والهمم (كعلَم الأشخاص لفظاً وهوعم)

فلن ترى في علمه مثيـــلاً (مستوجباً ثنائي الجميـــلا)

ومدحـــه إيايَ لازم أتى (في النظم والنثر الصحيح مثبتا)

وهذان المثالان إنما أتينا بهما على سبيل الإحماض للمناسبة، وإلا فهما لا يرتقيان إلى درجة المثال الأول الذي أحكم معنى وأسلوباً.

ومن أبدع ما وقع للمتأخرين في هذا الباب قول الشيخ يوسف النبهاني في آخر لاميته التي عارض بها قصيدة كعب بن زهير الشهيرة في مدح النبي (ﷺ) وهو هذا البيت:

إن كان متبولَ قلب حين أنشدكم (بانت سعاد، فقلبي اليوم متبول)

ومعلوم أن هذا الشطر المضمن هو صدر مطلع القصيدة المعارَضة، ونصه بصدره وعجزه.

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبول متيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبول

فالنبهاني لما ضمَّن صدر هذا البيت، وهو يخاطب الممدوح عليه السلام، جعل منه جواباً لصدره هو، فقلب معنى الفاء في صدر كعب من العطف إلى جواب الشرط، وأوهم أن المضمن إنما هو قول كعب (بانت سعاد) أي جزء الصدر، وساعده على ذلك أن هذه القصيدة اشتهرت باسم بانت سعاد أي بهذه الجملة كما قال أبو اسحق الغزي فيها:

محت بانت سعادُ ذنوبَ كعبٍ وأعلتْ كعبَه في كل ناد

وما احتاج النبي إلى قصيدٍ مُشبَّبةٍ ببَيْن من سُعـاد

ولكن سنَّ إسداء الأيادي فكان إلى المكارم خير هاد

وعلى كل حال فقد بقي جزء الصدر الآخر وهو قوله فقلبي اليوم متبول كأنه خارج من التضمين لأنه جواب الشرط في صدر النبهاني، والحال أنه مضمن كالجزء الأول، وذلك منتهى البراعة.

والغاية في هذا الباب قصيدة أبي بكر بن جُزَيّ التي ضمّنها أعجاز قصيدة امرئ القيس ونقلها من معانيها الهزلية إلى معان جدّية من الوعظ والمديح النبوي وذلك حين يقول :

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي)
أما واعظي شيب سما فوق لمتي (سموّ حباب الماء حالاً على حال)
أنار به ليـــل الشباب كأنه (مصابيح رهبان تشب لقفال)
نهاني عن غيّي وقال منبهـــاً (ألست ترى السمار والناس أحوالي)
يقولون غيّره لتنعم برهةً (وهل ينعمن من كان في العصر الخالي)
أغالطُ دهري وهو يعلم أنني (كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي)
ومؤنسُ نار الشيب يقبح لهوُه (بآنسة كأنها خط تمثـــال)
أشيخاً وتأتي فعل من كان عمره (ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال)
وتشغفك الدنيا وما ان شغفتها (كما شغف المهنوءة الرجل الطالي)
ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها (ديار لسلمى عافيات بذي خال)
فأين الذين استأثروا قبلنا بها (لناموا فما إن من حديث ولا صال)
ذهلت بها غياً فكيف الخلاص من (لعوب تنسيني إذا قمت سربالي)
وقد علمت مني مواعد توبتي (بأن الفتى يهذي وليس بفعّال)
ومُذْ وثقت نفسي بحب محمدٍ (هصرت بغصن ذي شماريخ ميّال)

ومن هنا تخلص للمديح وسار فيه على هذا المنهاج متانة أسلوب وحسن صياغة ، ولما أنشد المقري هذه القصيدة في نفح الطيب عقب عليها بقوله : « ولا خفاء ببراعة هذا النظم وإحكام هذا النسج وشدة هذه العارضة » وهذا ما يهمنا أن يعرفه كل من يزري بأدب الفقهاء ، وما نريد أن يتحقق منه مَن كان في شكٍ من أمر هذا الأدب ، حتى يرد له اعتباره ويقدر ، حقّ قدره .

عبد الله كنون

نظرة عيان وتبيان
في مقالة
(أسماء أعضاء الانسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

-٣-

٦٣) السَّمّ

ف Fosse nasale ; narine
ز Nasal fossa ; nasal cavity

في الأصل . — حرف الأنف (= ثقب الأنف) .

في (ق) . — السم ويثلث ، الثقب ، وهـذا القاتل المعروف ج سموم وسِمام .... وسمام الإنسان وسمومه : فمه ومنخراه وأذناه .

ملاحظتي . — السم ليس بخاص لثقب الأنف فهو عامّ . والكلمة الخاصة بثقب الأنف نصاً في (ق) هي (المَنْخَر) بفتح الميم والخاء ، وبكسرهما وبضمها وكمجلس وكمُلْمُول : ثقب الأنف ويقـــابله بالفرنسية (narine) وبالانكليزية (nostril) .

★ ★ ★

٦٤) الأنْف

ف Nez (m.)

ز Nose

في الأصل . — لم يذكر له تعريف .

في (ق) . — الأنف ، معروف .

في معجم متن اللغة . — الأنف ويضم أوله ، المنخران والحاجز بينهما والقصبة جميعاً يكون للانسان وغيره . ج أنوف وآناف وآنُف . ومن كل شيء طرفه أو جانبه أو أوّله (كل هذا على المجاز) .

في معجم لاروس ذي المجلّدين . — الأنف الجزء الناشز أي البارز من الوجه بين الفم والجبين ، وهو عضو الشم . في أسفله ثقبتان هما المنخران (١) ذروته تدعى الجذر (٢) . الطرفان الجانبيان هما الخنّابتان (٣) . هيكله عظمان خاصان به ، وغضاريف (٤) الخنابتين وغضروف الوترة . والهيكل يغشّيه جلد وعضلات جلدية صغار . وفي خلف الهرم الأنفي جوفان (٥) متعوّجان يتصلان — بوساطة ثقبتين وهما قمّا الفم (٦) [= فوهتا المنخرين الخلفيتين (٧)] — بالقسم الخلفي من البلعوم وهو البلعوم الأنفي (٨) أو الكهف (٩) . هذان الجوفان أي المنخرين [= حفرتا الأنف (١٠)] منفصل أحدهما عن الآخر بحاجز يدعى الوترة (١١) أو وتيرة الأنف كل منهما دِهْليز طويل ضيق أمامي خلفي (١٢) . أما الجدار الخلفي فهو ذو ثلاث صفيحات ناشزات حلزونيات الانحناء هن القُرَيْنات الأنفية (١٣) يحددن ثلاث ميزابات (١٤) يؤلفن فتحات المنخرين (١٥) . هذا ويتصل المنخران بالأجواف المحفورة في عرض عظام الوجه هن الجُيُوب (١٦) كما أن أعضاد الأنف مفروشة داخلاً بغشاء مخاطي (١٧) . اهـ .

وفيما يلي ما يقابل الأرقام من المصطلحات الفرنسية والانكليزية :

1) Narine (nostril)
2) Racine (root ; radix)
3) Ailes (alæ nasi)
4) Cartilage (cartilage)
5) Cavité (cavity ; cavum)
6) Choanes (posterior nares)
7) Orifice posterieur (posterior orifice)
8) Nasopharynx (nasopharynx)
9) Cavum (cavum)
10) Fosses nasales (nasal fossa ; nasal cavity)
11) Cloison (septum)
12) Antéro - posterieur (anteroposterior)
13) Cornets (concha nasalis)
14) Gouttières (gutters ; olfactory fossa)
15) Meat des fosses nasales (nasal meatus)
16) Sinus (sinuses of the nose)
17) Membrane pituitaire (pituitary membrane : nasal mucous)



٦٤ مكرر) الأنف الأشمّ

ف Beau nez

ز Distainful nose

في الأصل . — المشرق التام .

في (ق) . — الشمم محركةً ارتفاع في قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة أو ورود الأرنبة وحسن استواء القصبة وارتفاعها .. الخ فهو أشم .

★ ★ ★

٦٥) الأنف الأقنى

ف Nez aquilin , plat

ز Aquilin (or Roman) nose

في الأصل . — الذي نتأ وسطه مشرفاً على طرفيه .

قلت : هو كمِنْسر النَّسْر .

في (ق) . — قَنى الأنف ، ارتفاع أعلاه واحديداب وسطه وسنوع طرفه أو نتوّ وسط القصبة وضيق المنخرين (في الفرس عيب . وفي الصقر والبازي مدح) .

* * *

٦٦) الأنف الأدْلف

ف Nez fin et petit

ز . . . . .

في الأصل . — القصير العريض .

في (ق) . — ليس له ذكر . وكذا في معجم متن اللغة .

* * *

٦٧) الأنف الأخنس

ف . ز . . . . . .

في الأصل . — أقصر من الأدلف ويتأخر عن الشفة .

في (ق) . — الخنس محركةً : تأخر الأنف مع ارتفاع الأرنبة وهو أخنس وهي خنساء .

* * *

٦٨) الأنف الأفطس

ف Nez camus ; épaté

ز Pug nose snub nose

في الأصل . — المتطامن من الوسط .

في (ق) . — الفطس محركةً : تطامن قصبة الأنف وانتشارها وانفراش الأنف في الوجه . والنعت أفطس .

في (ل) . — صفة لمن أنفه قصير عريض ، وعلى التوسع للأنف نفسه .



٦٩) الأكثم

ف Estropié

ز Maimed

في الأصل . — الأكثم (بالثاء) المقطوع الأنف .

ملاحظاتي . — الأكثم بالثاء خطأ عن النسخ [كثم القثاء ونحوه أدخله في فيه وكسره . ولا ذكر للأنف وصفاً من هذه الكلمة] . والصحيح الأكشم (بالشين) وهو المقطوع الأنف من (الكَشْم) بسكون الشين وهو قطع الأنف باستيصال كالإكتشام . أما الكشم محركةً فهو النقص في الخَلْق وفي الحسب . فوضعت الكلمة مصححةً في (الرقم ٦٩) . ولم ينتبه إليها المحقق . [مدلول الافرنجيتين : مطلق القطع . فيجب ذكر العضو المقطوع] .

★ ★ ★

٧٠) الأخْرم

ف ، ز Acromion

في الأصل . — المنشق الوتَرة .

في (ق) . — بعد معان وافرة يقول : والأخرم من قطعت وترة أنفه .

في (ل) . — معنى الكلمة الفرنسية هو ناتيء عظم الكتف بشكل المَلْوَق.

ملاحظتي . — بحسب شرح الأصل (المنشق الوترة) لم أجد له ما يقابله بالفرنسية .

أما بحسب ما جاء في (ق) من أن (الأخرمين) آخر ما في الكتفين من العضدين أو طرفا أسفل الكتفين ، اللــذان اكتنفا كَعْبَرة الكتف ، أما لهذا المعنى فتوافق الكلمة الفرنسية التي وضعتها .

★ ★ ★

٧١) الأسْلَت

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — المقطوع الأنف كله .

في (ق) . — الأسلت من أوعب جدع أنفه .

قلت : جدَعَ (قَطَعَ عضواً ما) .

ف Estropier

ز To maim ; to mutilate ; to cripple ; to stunt

ما أضفته عن الأنف :

١ — التهاب أنف ضموري

ف Rhinite atrophique

ز Ozæna ; ozena

٢ — أنف سرجي

ف Nez en lorgnette ; en selle ; en pied de marmitte

ز Saddle , saddle - back , swayback nose

٣ — ترقيع الأنف

ف Rhinoplastie
ز Rhinoplasty

٤ — تنظير الأنف

ف Rhinoscopie
ز Rhinoscopy

٥ — خَشَم

ف Ozène
ز Ozæna

٦ — خَشَم مزمن

ف Punaisie
ز Ozæna

٧ — خَنَن

ف Rhinolalie
ز Rhinolalia

٨ — خنخنة

ف Nasillement ; rhinolalie fermée
ز Rhinolalia clausa

٩ — خنين (= خُنَّة)

ف Nasonnement ; rhinolalie ouverte
ز Open rhinolalia

١٠ — خياطة الأنف

ف Rhinorraphie
ز Rhinorraphy

١١ — سيلان مخاط الأنف

ف Rhinorrhée
ز Rhinorrhæ

١٢ — غُنَّة

ف Rhinophonie
ز Rhinophonia

١٣ — مَسْخ مُشَوَّه الأنف

ف Rhinencéphale ; rhinocéphale
ز Olphactory brain

١٤ — نزف أنفي (= رُعاف)

ف Rhinorragie
ز Rhinorragy

★ ★ ★

٧٢) الشَّفَة

ف Lèvre (f.)
ز Lip

في الأصل . — لم يذكر سوى : ج شفاه .

في (ق) . — شفتا الانسان طبقتا فمه . الواحدة شفة .

في لاروس ذي المجلدين . — الشفة جزء الفم الخارجي الذي يغطي الأسنان . والشفتان عليا وسفلى ، تلتقيان على زاوية في كلتا جهتي الخط المتوسط مؤلفتين ما يسمى ملتقى الشفتين (١) . أما الناحية الحرة فمغشّاة بمخاطية رقيقة جداً هي حَوِيَّة الشفتين (٢) .

١) Commissures des lèvres
٢) Bourrelet des lèvres

ما أضفته :

١ — شفة سفلى

ف Lèvre inferieure
ز Nether, under lip

٢ — شفة عليا

ف Lèvre superieure

ز Upper lip

٣ — شَفَهي أو شَفَوي

ف ، ز Labial

٤ — لِجام الشفتين

ف Frein des lèvres

ز Frenum of the lips

★ ★ ★

٧٣) الإطار

ف Bords des lèvres

ز Borders of lips

في الأصل . — حرف الشفة عند ملتقى الجلد واللحم .

في (ق) . — بعد معان يقول : والإطار ككتاب ما يفصل بين الشفة وبين شعرات الشارب ؛ وكل ما احاط بشيء .

★ ★ ★

٧٤) الشِدْقان

ف Commissure (des lèvres), coins de la bouche

ز Commissure (of lips) ; cuneus of mouth

في الأصل . — ملتقى الشفتين وهما المَطْعَمان (= نهايتا الفم من الجانبين) . ج أشداق .

قلت : ملتقى الشفتين هو (الصّاميغان) أو (الصّماغان) أو (الصّيمغان) وكذا (الصّواران) .

في (ق) . — الشدق بالكسر ويفتح ، والدال مهملة ساكنة : طفطفة الفم من باطن الخدين . والشدق محركةً سعة الشدْق . ومجتَمَع الشدقين هو (الحُنْثرة) .

★ ★ ★

٧٥) الشفة الحَوّاء

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — الشفة الحمّاء (بالميم) هي التي إلى السواد .

في (ق) . — الحمّاء (خاصةً) الإست .

ملاحظتي . — من شتى معاني (حمّ) : [حمّمت الأرض ، بدا نباتها أخضر إلى السواد . وتحمّمْتَ يا فتى ، صرتَ أحمَّ أي أسود] . فلعل المؤلف استعملها على المجاز توسعاً ، أما النعت الخاص بسواد الشفة فهو (اللَّمى) ولمي لمياً اسودّت شفته فهو ألمى وهي لمياء . والأصح في رأيي : (الشفة الحَوّاء) كما وضعتها (في الرقم ٧٥) ولم ينتبه إليها المحقق . فالشفة الحوّاء بالواو (لا بالميم) من الحُوّة بالضم : سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد . وشفة حوّاء : حمراء إلى السواد) وهذا يوافق ما جاء في الأصل من الشرح .

أما كيف وقع خطأ النسخ فإليكه :

[الواو — محكوكَة الذيل أو منقطعته — تشبه الميم المتوسطة في الكتابة (المساة بعرف الطباعة : ميم وسط) فكتبها الناسخ كما شاهدها دون انتباه «الحماء» ذهولاً] . قلت : ومثلها (اللَّعْساء) ، من اللَّعس محركةً وهو احمرار مستحسن في الشفة والنعت ألعس ولعساء .

ومن أنواع الأصباغ التي تستعمل في هذه السنوات ، حمرةٌ للشفاه تجميلاً ،

على شكل أصابع أو أقلام ما اصطلحتُ عليه بكلمة :

مَلْمَعَسة

ف Rouge pour lèvres
ز Lip - stick

★ ★ ★

٧٦) الشفة الظمياء

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — هي الذابلة اللطيفة .

في (ق) . — الظمياء ... ومن الشفاه ، الذابلة في سمرة ؛ ومن العيون ، الرقيقة الجفن ؛ ومن السوق القليلة اللحم . . . الخ .

★ ★ ★

٧٧) الشفة العَلْماء

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — المنشقّة من أعلاها .

أضفت :

العَلَم [= الشق في الشفة العليا] .

ف Bec - de - lièvre
ز Harlip

★ ★ ★

٧٨) الشفة الفلحاء

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — المنشقّة من أسفلها .

أضفت :

الفَلَح [= الشق في الشفة السفلى]

ف Bec - de - lièvre

ز Harlip

ملاحظة . — لا فرق بين الحالتين في المصطلح الفرنسي ولا الانكليزي .

★ ★ ★

٧٩) الشفة الوارد

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — التي تغطي الأسنان .

ملاحظتي . — قوله في الأصل (الشفة الوارد) فيه نظر . فالشفة مؤنثة والنعت مذكر فلا يصح الوصف . هذا أول خطأ في النسخ . ثم انه ليس بين معاني (وَرَدَ) ما يصلح صفة للشفة الطويلة بحيث تغطي الأسنان . وهذا خطأ ثان في نسخ الشرح .

قلت : لعل الصحيح (الشفة الوارّة) من (الوَرّ) وهو الخِصْب فالشفة الوارّة ، الخصبة التي تغطي الأسنان (على الإستعارة) .

أو لعلها (الشفة الوارية) من (وَرِيت الإبلُ سمنت فكثر شحمها . (فالشفة الوارية) هي الشَّحِمة السمينة بحيث تغطي الأسنان .

أو لعلها (الشفة الوارمة) من (ورم النبات سَمَقَ أي علا وطال . فهي اذن (الطويلة) التي تغطي الأسنان .

وقد تكون أيضاً (الوارهة) من وَرِهَ كوَرِث (كثر شحم المرأة) فالوارهة ، الكثيرة الشحم كالوارية المذكورة آنفاً .

هذا ما بدا لي من تقليب وجوه التصحيف عرضته دون القطع بأيّ الكلمات هي الصحيحة في (الأصل المخطوط) . ويغلب على الظن أن تكون الكلمة الأصح (الوارة) لأن الهاء (ه) إذا انشطرت طولا اتكالاً أو احتكاكاً حاكت (د) وهي نصف الهاء (ه) .

★ ★ ★

٨٠) الأهْدَل

ف Qui a les lèvres pendantes

ز . . . . . .

في الأصل . — الأدْله ، المسترخي الشفتين .

ملاحظتي . — لم أجد بين معاني (دَلَهَ) ما يوافق ـ ولو تلميحاً ـ استرخاء الشفتين . فالدَّله والدُّلوه ، ذهاب الفؤاد من همٍّ ونحوه . ودلَّهه العشق .. الخ . فكلمة الأدله في الأصل خطأ مصحَّفة عن (أهدل) من (هَدَلَ المِشْفر استرخى فهو أهدل) فاستعملها المؤلف للانسان تعمياً ، استعارةً ، على ما يبدو . فوضعتها في (الرقم ٨٠) مصححـــةً ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨١) البائع

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — الباتع بالتاء المثناة الفوقية ، الذي تنقلب شفته إذا ضحك .

ملاحظتي . — للباتع ـ كما في الأصل ـ معنى لا يتلاءم معها جاء صفةً لمن تنقلب شفته عنـــد الضحك . فهي من خطأ النسخ عن الأصل المخطوط . فالبَتَع محركةً طول العنق مع شدة مغرِزها فهو بَتِع وهي بَتِعة ؛ ورسغٌ أبتع ممتلئ ، وككتف : الشديد المفاصل والمواصل من الجسد ومن الرجال ، وفعله كفرح فهو أبتع وهي بتعاء . ج بُتُع بضمتين .

أما صفة الشفة التي تنقلب عند الضحك فهي من (البَثَع) بالمثلثة محركةً وهو ظهور الدم في الشفتين خاصةً . [وإذا كان بالغَيْن المعجمة أي (بَثَغ) ففيها وفي الجسد] . من (بثعت الشفة كفرح انقلبت عند الضحك ، بالمثلثة الفوقية والعين المهملة) . والشفة البائعة بالمثلثة لا غير ، ينبثع فيها الدم حتى تكاد تتفطر . وهو أي الرجل أبثع ، وهي أي المرأة بثعاء . على هذا ان

(باتع ، بالتاء) كما في الأصل المطبوع هي (بائع بالمثلثة) ، ليصح الشرح الموضوع لهـــا . ولقد وضعتها في (الرقم ٨١) مصححةً كما بدت لي . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨٢) الفم

ف Bouche (f.)

ز Mouth

في الأصل . — ليس له تعريف . ج أفواه .

في (ق) . — الفم أصله فوه وقد تشدّد الميم .

في (ل) . — الفم ، الجزء الأول للأنبوب الهضمي وهو غارٌ (جوف)(١) يحدّه الشفتان والخدان والحِفاف (= شراع الحنك)(٢) وقاع الفم (٣) . ويتصل من الخلف بالبلعـــوم(٤) بوساطة برزخ الحلقوم(٥) . ويحتوي على اللسان والأسنان .

١) Cavité ٢) Voile du palais (soft palate)
٣) Plancher buccal (buccal floor) ٤) Pharinx
٥) Isthme du gosier (isthmus of gullet)

ما أضفته :

١ — فم بلعومي

ف Oro - pharynx ; pharynx buccal

ز Oro - pharynx

٢ — فم السِّناد (= هَدَل)

ف Lèvre de tapir

ز Tapir mouth

★ ★ ★

٨٣) اللَّهاة (= مُرَيْطَى)

ف Luette (f.) ; uvule

ز Uvula

في الأصل . — اللحمة المتدلية من الحنك الأعلى .

في (ق) . — اللحمة المشرفة على (أو بين) منقطع أصل اللسان ، ومنقطع القلب من أعلى الفم . ج لهوات ، لهيات ، لُهِيّ ، لِهِيّ ، لِهاء .

في (ل) . — ذيل لحمي قابل للتقلص ، معلق في مدخل البلعوم ويشارك في غلق المنخر (= الحفرة الأنفية) في أثناء البلع .

ما أضفته :

١ — لَهَوي

ف Uvulaire

ز Uvular

٢ — لهاة دُودةِ المُخَيْخ

ف Uvula du vermis

ز Uvula vermis ; uvula cerebelli

★ ★ ★

٨٤) النِّطْع

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — النقرة في الحنك الأعلى .

في (ق) . — ما ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتخريز .

في معجم متن اللغة . — النطع بالكسر والنطع محركةً ، والنِطَعة ، ما ظهر من غار الفم الأعلى وهي الجلدة الملتزقة بعظم باطن الغار الأعلى وفيه آثار كالتخريز . وهنالك موضع اللسان في الحنك . ج نُطوع . والحروف النِطْعية هي ط د ت .

★ ★ ★

٨٥) الخُلَيْقاء

. . . . .

ف ، ز

في الأصل . — جلدة النِّطْع وهي الخليقات (بالتاء) .

ملاحظتي . — لم أجد في المعاجم (خليقات) بالتاء . وهي هنا خطأ في النسخ من المخطوطة . والصحيح (الخليقاء) بالهمزة (ومثلها الخَلْقاء) بدون تصغير ، وهي باطن الغـــار الأعلى وما املاسَّ منه . وهذه من (الخُلْقة) بالضم وهي المَلاسة كالخَلُوقة والخَلاقة بالفتح .

فإنْ قيل إن (الخُلَيْقات) جمعٌ لمصغر الخُلْقة (: خُلَيْقة ج خُلَيْقات) لم يصح التعريف بأن الخُليقات جلدة النطع لأن الخُلقة هي الملاسة وليست اسماً لشيء بعينه . ولهذا وضعتها في (الرقم ٨٥) مصححةً ولم يتنبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨٦) اللّغانين (= النّغانغ)

. . . . .

ف ، ز

في الأصل . — ما لصق باللهاة من لحم الحلق .

في (ق) . — اللُغْن بالضم ، الوترة عند باطن الأذن .

في معجم متن اللغة . — اللُغْنون ، لحمٌ بين اللسان والنكفتين من باطن . ج لغانين . أما النغنغ بالضم فهي لحمة تكون في الحلق عند اللهاة وهي اللغنون . ج لغانين .

★ ★ ★

٨٧) الشَدَق

. . . . .

ف ، ز

في الأصل . — سعة الشِّدْقين [أنظر الرقم ٧٤] .

★ ★ ★

٨٨) الضَّزَز

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — لصوق الحنك الأعلى بالأسفل .

في (ق) . — الأضَزّ الضيّق الشدق الذي التفّت أضراسه العليا والسفلى ، فلم يَبِن كلامُه ... الخ .

قلت : لجنة المصطلحات الطبية قد خصّصت (الضَّزَز وزان فَعَل) للداء الذي يصيب الفكّين (trismus) أي (mal des mâchoires) .

★ ★ ★

٨٩) الفَقَم

ف Prognathisme ; prognathie

ز Prognathism

في الأصل . — أن يكون الحنك الأسفل على الأعلى .

في (ق) . — تقدّم الثنايا العليا فلا يقع على السفلى .

في (ل) . — أن يكون الفك مستطيلاً .

★ ★ ★

٩٠) الذَّوَط

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — الذوحا قصر الذقن .

ملاحظتي . — لم أجد كلمة (الذوحا) ولا ما يقرب منها رسماً بالخط في (ق) ولا في متن اللغة عند التحقيق . فغلب الظن أن تكون مصحَّفة أو من خطأ النسخ عن المخطوطة .

وبعد تأمل تذكرت أنها (الذوط) بالطاء . فالذوط محرّكةً هو صِغَر الذقن أو قِصَره ، وهو أذْوَط وهي ذوطاء . ولا تصح (الذوطا) نعتاً للذقن فالذقن مذكر . فوضعتها في (الرقم ٩٠) مصححةً .

إذن كيف كان الخطأ؟ كان أن الناسخ حين كتب (ذوط) انزاح ألف الطاء فصار إلى جانب الطاء فاشتبهت على القاريء أو الناقل (حا): [ذو طا ، ذوط] فتأمل إلى أي مدى يبلغ الخطأ. ولم ينتبه إليها المحقق، والحق معه إذ لم تخطر بباله هذه المرونة في خطوطنا العربية.

★ ★ ★

٩١) الأفْوَه

ف Qui a une grande bouche

ز . . . . .

في الأصل. — الواسع الفم.

قلت: الفَوَه — وزان فَعَل — سعة الفم أو أن تخرج الأسنان من الشفتين مع طولها. فهو أفوه وهي فَوْهاء.

★ ★ ★

٩٢) اللّسان

ف Langue (f.)

ز Tongue

في الأصل. — المِقْوَل.

في (ق). — اللسان، المقول ويؤنث. ج ألسُن، ألسنة، لُسُن.

في لاروس ذي المجلّدين. — اللسان جسم لحمي حرك جداً. عضلي شكله كقمع مسطح وهو عضو الذوق الأساسي. وإلى هذا يقوم بعمل عظيم في تكييف الصوت، وفي المضغ والبلع والمص. هيكله مؤلف من: عظم لامي (١) ومن صفيحتين ليفيتين: الحاجز اللساني (٢)، والغشاء تحت اللساني (٣)؛ عليها وعلى الأجزاء المجاورة ترتكز تسعُ عضلات مختلفات، واللسان مغشّى بمخاطية تستمر بغشاء الفم. هذا الغشاء يؤلف في القسم الأسفل والمتوسط

انشاءً هو لجام اللسان أو عنان اللسان (٤) . وعلى سطح اللسان ألوف البَرْزات(٥) أي الحُلَيْمات التي تسمى حسب بنائها : كأسية (٦) ، فُطرية (٧) ، خيطية (٨) ، وارقة (٩) ، نصف كروية (١٠) . الحليمات الكأسية منفرشة على المثلث الخلفي ، مكونةً ما سُمي V اللساني (١١) اهـ .

وفيما يلي ما يوافق الأرقام بالفرنسية :

١) Os hyoïde ٢) Membrane hyoglossienne
٣) Septum lingual ٤) Frein ou filet
٥) Élevures ou papilles ٦) Caliciforme
٧) Fongiforme ٨) Filiforme ٩) Foliée
١٠) Hémisphérique ١١) le V lingual

أهم ما أضفتـــه :

١ — لجام اللسان

ف Frein = filet de la langue
ز Frenium of the tongue

٢ — لسان أسود

ف Langue noire veilleuse ; glossophytie
ز Black tongue ; glossophytia ; black hairy tongue

٣ — لسان الببغاء أو كالشِّواء

ف Langue de perroquet ou rôtie (dans la fièvre typhoïde)
ز Parrot , baked tongue (in typhoïd fever)

٤ — لسان مُجَعَّد

ف Langue plicaturée , scrotale
ز Plicated tongue

٥ — لسان المِزْمار (= فَلْكَة)

ف Anche
ز Reed

٦ — لسان مشقَّق

ف Langue scrotale
ز Scrotal tongue

وعلى وجه عام :

آ) خافض لسان

ف Abaisse - langue
ز Tongue depressor ; tongue spatula

ب) لساني

ف ، ز Lingual

★ ★ ★

٩٣) الغُدْبة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — العذبة (بالعين المهملة والذال) طرف اللسان .

ملاحظتي . — العذبة بالعين المهملة والذال ، خطأ . وصححها المحقق (غذبة) بالغين والذال المعجمتين . وهذا خطأ أيضاً . والصحيح (غدبة) بالغَيْن المعجمة والدال المهملة وبضم الأول كما وضعتُها في (الرقم ٩٣) مصححةً . فالغُدبة ، بالضم هي لحمة غليظة في اللهازم ، أو شبيهة بالغدة في اللهازم . ولا ذكر لكلمة (عذبة) ولا (غذبة) في المعاجم التي بين يدي للمعنى المطلوب في الأصل فهما من خطأ النسخ (في القاموس : العَذْبة بالفتح وبالتحريك وبكسر الثانية : الطُحْلب . وماء عذِب ككتف مُطَحلِب . والعَذْبة شجرة تموّت البُعران ، ودواء معروف) .

★ ★ ★

٩٤) الأسَلَة

ف Pointe de la langue

ز Spike of the tongue

في الأصل . — من اللسان مستدقُّه .

في (ق) . — من اللسان طرفه . ومن النصل والذراع مستدقه ، ومن النعل رأسها .

قلت : من هذا الشرح يتبين أن الأسلة هي رأس اللسان وهذا ما جعلني أضع مقابلها بالفرنسية والانكليزية .

★ ★ ★

٩٥) العَكَدَة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — العُكدة بالضم أصل اللسان .

في (ق) . — العكدة محركةً أصل اللسان وأصل القلب . [أما العكدة ، بالضم ، فهي العصعص ، والقوة وجحر الضب . فلا توافق مطلوب المؤلف . فهي العَكَدَة بالتحريك] .

في معجم متن اللغة . — العكدة محركةً أصل اللسان والذنب وعقدته أو وسطه أو معظمه ج عُكَدٌ بضم ففتح وعَكَدٌ بفتحتين .

قلت : فتأمل كثرة ما تُطلق عليه كلة واحدة .

★ ★ ★

٩٦) الصُّرَدان

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — عرقان أخضران في ناحيتي اللسان .

في (ق) . — عرقان يستبطنان اللسان .

في معجم متن اللغة . — عرقان أخضران في أسفل اللسان ، أو هما عظمان يقيمان اللسان .

ملاحظتي . — أترك وضع المقابل باللغتين الفرنسية والانكليزية لما بعد تحديد ما كان يقصده العرب من (العِرْق) هل هو (الشريان Artère) أم هو (الوريد Veine) أم كليهما معاً .

★ ★ ★

٩٧) اللَّحْيان (= الفكّان)

ف Mâchoire (f.)

ز Jaw

في الأصل . — العظمان اللذان فيهما الأسنان من فوق ومن أسفل . الواحد لَحْيٌ ؛ (فكٌّ) .

في (ق) . — الفكّ اللحي أو مجمع الخطم . واللَّحْي منبت الذقن .

في (ل) . — الفك عظم الوجه ، الذي يحمل الأسنان . (في الإنسان : يتألف الفك العلوي من عظمَي الفكين ملتحمين فيما بينهما ومع العظمين المجاورين . أما الفك الأسفل فعظم واحد فقط متصل بالجمجمة بمفصل لُقْمي[١]) .

١) Condylome

ما أضفتـــه :

١ — فك سُفلي

ف Mâchoire inférieure ; maxillaire inférieure ; mandibule

ز Lowerjaw ; inferior maxilla ; mandible

٢ — فك علوي

ف Mâchoire supérieure ; maxillaire supérieure

ز Upper jaw ; superior maxilla

٣ — فكّي

ف Maxillaire
ز Maxillary

٤ - جيَيب فكّي

ف Sinus maxillaire
ز Maxillary sinus

★ ★ ★

٩٨) الأسنان

ف Dents (f.); denture
ز Teeth (= tooth): set of teeth

في الأصل . — لم يذكر لها تعريف .

في (ق) . — السّن ، الضرس ج أسنان ، أسِنّة ، أسُنّ .

في (ل) . — السن ، عضو قاس مندمج في الفك . يتألف من العاج المغشّى بالميناء فوق الإكليل . يفيد لمضغ الأطعمـــة والعضّ والنهش (من الأمام إلى الخلف يميّز : القواطع ، الأنياب ، الأضراس) اه .

جاء في الأصل : الأسنان (٤ ثنايا) ، (٤ رباعيات) ، (٤ أنياب) ، (٤ ضواحك) ، (١٢ رحى ، ثلاث في كل شق) ، (٤ نواجذ في أقصى الأسنان) . وإليك ما يقابلها بالفرنسية والانكليزية :

آ) ثنايا (أسنان أمامية)

ف Dents antérieures
ز Front, anterior, oral teeth

ب) أنياب

ف Canines ou œillères
ز Canine, cuspid or eye teeth

ج) ضواحك

ف Dents prémolaires ; petites molaires

ز Bicuspid premolar teeth

د) رحىً (= ضِرْس)

ف Dents molaires

ز Molar, multicuspid teeth

هـ) نواجذ

ف Dents de sagesse

ز Wisdom teeth

و) قواطع

ف Dents incisives

ز Incisor teeth

أهم ما أضفته :

١ — إكليل

ف Couronne

ز Crown of the tooth

٢ — جذر

ف Racine

ز Root of the tooth

٣ — دَرادر الفكَّيْن

ف Alvéoles des maxillaires

ز Tooth - sockets ; alveoli

٤ — عاج

ف Ivoire ; dentine

ز Dentin ; dentine

٥ — عضو الميناء

ف Organe de l'émail

ز Enamel organ

٦ — عُنَيْق

ف Collet

ز Neck of the tooth

٧ — لُبّ

ف Pulpe

ز Dental pulp ; dentinal pulp

٨ — مِلاط

ف Cement

ز Dental cement

٩ — ميناء

ف Émail

ز Enamel

١٠ — أسنان أمامية

ف Dents antérieures

ز Front , anterior , oral teeth

١١ — أسنان دائمة

ف Dents permanentes ; denture

ز Permanent teeth

١٢ — أسنان موقتة (= رواضع)

ف Dents temporaires ; dents de lait ; denture temporaire

ز Deciduous , milk , temporary teeth

١٣ — أسنان نخرة

ف Dents gâtées

ز Defective, decayed, rotten teeth

١٤ — أسناني ، جراح أسنان

ف Dentiste ; chirurgien - dentiste

ز Dentiste

١٥ — ذو أسنان

ف Dentu

ز Toothed, dentate ; denticulated

١٦ — مجموعة الأسنان (= طقم أسنان)

ف Denture ; râtelier, dentier

ز Prothesis ; prosthesis

١٧ — جهاز أسنان

ف Prothèse dentaire

ز Prothesis ; prosthesis

١٨ — لثة

ف Gencive

ز Gum

١٩ — لثوي

ف ، ز Gingival

٢٠ — حروف سنيّة (= نطعية)

ف Lettres dentales

ز Dental consonants

٢١ — سَنُون (مسحوق للأسنان)

ف Dentifrice

ز Tooth - powder ; dentifrice

٢٢ — فِرْجَون أسنان (مِسْواك)

ف Brosse à dents

ز Tooth - brush

٢٣ — معجون للأسنان

ف Pâte dentifrice

ز Tooth - paste

٢٤ — سنّ الرشد (البلوغ)

ف Âge de puberté ; majorité

ز Full age ; majority

٢٥ — صغير السن

ف Jeune

ز Young

٢٦ — كبير السن

ف Âgé ; vieux

ز Old

★ ★ ★

٩٩) الرَّأدة ، الرَّأد

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الراد ، العظم الناتيء في أصل اللحي .

في (ق) . — الرأدة (بالهمز) أصل اللحي .

في معجم متن اللغة . — الرُّؤْد ، والرُّأد ، أصل اللحي النابت تحت الأذن ؛ والرأدان أعلى اللحيين عند الماضغتين .

ملاحظتي . - الراد ، إطلاقها على (العظم الناتئ في أصـل اللحي) فيه نظر [أليست هي الخُشّاء على التخصيص ؟ وإلا فهناك ناتئ وجني ، وناتئ صاعد ، وناتئ حنكي كلهن في الفك العلوي . فأيهن الرأدة ؟] . ثم ان (الراد) من خطأ النسخ . الصحيح (الرّأدة) بالألف المهموزة في آخرها (تاء) التأنيث كما في القاموس ؛ وبدون التأنيث كما في متن اللغة . فوضعتها كلتيهما في (الرقم ٩٩) مصححتين . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

١٠٠) الفنيك

ف Côté du menton

ز . . . . .

في الأصل . — طرف اللحيين عند العنفقة بل هو أصل اللحي والمركّب في الرأس .

في (ق) . — مجمع َلحْيين أو طرفها عند العنفقة ؛ وعظم ينتهي إليه حلق الرأس ، والزمِكّى كالإفنيك .

في معجم متن اللغة . — زيادةً على ما في (ق) : عجب الذنب ، مجتمع الوركين حيث يلتقيان .

قلت : ما أعجب هذا التضاد في الشرح : بين (الرأس !) و (الذنب !) فأيها يتم الاتفاق عليه لدى الاختصاصيين ؟ فلننتظر .

★ ★ ★

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

المحتسب

في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

تأليف : أبي الفتح بن جني

- ٢ -

ص ٦٦ ، س ٨ — ٩ « ... لما كان الغرض فيه أنه قد عرفها وعلمها » .
ضبط الفعلان بالتخفيف مبنيين للفاعل ، وضبطا في ت : « ... عُرِّفَها وعُلِّمها » بالتشديد مبنيين للمفعول ؛ وهو ما يقتضيه سياق المعنى .

س ١٣ « ... فقد عُلِمَ أن الغرض بذلك في جميعـــه أن الإنسان مخلوق ومضعوف » .
في ت : « ... فقد عُلِمَ بذلك أن الغرض في جميعه ... » وهو النظم البيّن للعبارة .

س ١٣ — ١٤ « ... وكذلك قولهم : ضُرِب زيد إنما الغرض منه أن يعلم أنه منضرب ، وليس الغرض أن يُعْلَم من الذي ضربه » .
في ت : « ... أنه قد ضُرِب » وهو محض الصواب ، فإن بناء « انفعل » من « ضرب » منكر غير معروف . وقد أعاد أبو الفتح تقرير هـذه المسألة ص : ١٠٤ وعبارته ثمة عن هذا المعنى : « ... أن يُعْلَمَ أنه مضروب » .
وفي ت أيضاً : « ... إنما الغرض فيه » وهو المألوف في عبارة أبي الفتح ، كقوله فيما تقدّم نقله آنفاً « لما كان الغرض فيه ... » و « أن الغرض في جميعه » . وقد ثبتت « فيه » في ت بعد قوله « ... وليس الغرض » إلا أنها صحفت ها هنا إلى « منه » .

ص ٦٧ ، س ٤ « ونحوه قراءة : (أن تبوّيا) ... » .

في ت : « ونحوه قراءة من قرأ : (أن تبويا) ... » .

ص ٦٨ ، س ١١ « ... صحّتا متحرّكتين في ضوٍ ونوٍ وشيٍ ... » .

زاد بعدها في ت : « وفيٍ » ويعزز هـــذه الزيادة أنه ذكر قبل ثلاثة أسطر الألفاظ الأربعة .

س ١٢ فكما تكون الياء مضمومة مع التحقيق في قوله : « أنبئهُمْ » .

في ت : « فكما تكون الهاء مضمومة ... » وهو محض الصواب .

س ٢١ « ... فإنه أشبع الكسرة فمطّها فبلغت ياء ... » .

في ت « ... أشبع الكسرة فمطلها ... » وهو المألوف في عبارة أبي الفتح وأكثر المتقدمين في التعبير عن هـذا المعنى . وقد عقد في الخصائص بابين لإشباع الحركات والحروف سمى أولهما « باب في مطل الحركات » والآخر « باب في مطل الحروف » ٣/١٢٤ وما بعدها .

ص ٦٩ ، س ١٠ « ... فجرت مجرى المنفردة البتة » .

في ت « ... مجرى المفقودة البتة » وهو الصواب .

س ١١ « ... ولا يجري عندي مجرى ياء طواويس ونواويس ... » .

في ت « ... ولا يجري عندك ... » وهو أشبه بسياق الكلام .

ص ٧٠ ، س ٦ « ... فخُفّفَت الهمزة وأُلقيت حركتها ... » .

في ت « فخففت الهمزة فحذفت وألقيت ... » وهو أتم وأبين .

س ١٤ « .. لم يحفلوا بلفظ » .

في ت « ... لم يحفلوا بلفظه » وهو الصواب .

س ٢٢ « ... ودبّة مهيار ـ وهو من تهوّر » .

في ت « ... وهو من تهوّر الجرف » ويعزز هذه الزيادة قوله ص : ١١٨ كما قالوا « في تهوّر الجرف : تهيّر » .

ص ٧١ ، س ١ « ... وأصله كله قنو وصبوة ... » .

في ت « ... قنوة » وهو الصواب ؛ لأن الحديث في أصل « قنية » . وقد ألم أبو الفتح بهذه المسألة في الخصائص ١/٩٣ ، ١٣٧ .

س ١٣ « .. ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من « اسجدوا » لسقوط الهمزة أصلاً إذا كانت وصلاً » .

في ت « ... إذ كانت وصلاً » وهو الصواب ، ويشهد بذلك أن أبا الفتح تناول ص ٢٤٠ فما بعدها قراءة أخرى لأبي جعفر نحو القراءة التي تناولها في هذا الموضع فقال في هذا المعنى : « ... والوصل يحذف هـــذه الهمزة أصلاً إذ كانت همزة وصل » .

س ٢٣ — ٢٤ « ... وهو حذفه حركة الإعراب لحركة غير ملازمة » .

في ت « ... لحركة غير لازمة » وهو الصواب .

ص ٧٢ ، س ١ « ... فإن همزة « اسجدوا » يحذفها في الوصل البتة » .

في ت « ... يحذفها الوصل البتة » بإسقاط « في » وهو الصواب . ويعزز ذلك قوله عقبه « ... وإذا كانت محذوفة البتة لم يكن إلى تخفيفها سبيل لأن الوصل يستهلكها البتة » وقوله ص : ٢٤٠ في العبارة عن هـذا المعنى أيضاً « ... والوصل يحذف هذه الهمزة أصلا » .

س ٢٢ « وحكى أبو زيد في خبأة ... » وشرحت « خبأة » في الحاشية ٦ بما نصه : « امرأة خبأة : لازمة بيتها » . وهذا تفسير صحيح من جهة اللغة إلا أنه ليس المراد هنا ، وإنما « خبأة » اسم كتاب لأبي زيد ذكره القفطي في الإنباه ٢/٣٥ نقلاً عن ابن النديم إلا أنه صُحِّف فيه إلى « حياة » كما صُحِّف فيه وفي غيره أسماء غير كتاب من كتب أبي زيد . وقد سقط اسم هذا الكتاب من مطبوعة فهرست ابن النديم أصلاً .

ص ٧٣ ، س ١ « ... يريد : على الأرض ، فحذفت همزة أرض تخفيفاً ، وألقيَ حركتُها على اللام وهي ساكنة كما ترى » .

في ت « فحَذَفَ همزةَ أرض وألقى حركتَها ... » وهو الصواب الموافق لسياق الكلام .

س ٦ « ... والتاء من السوءة محرّكة » .

في ت « ... متحرّكة » وهو المعروف من لغة أبي الفتح في هـــذا الكتاب وغيره .

س ٩ — ١٠ « قال أبو علي ما نحن عليه ونعى هذه القراءة [يعني قراءة الكسائي : بما أنزلـّيك] وقال : لحركة لام أنزل . فإذا قبح ذلك مع أن حركة اللام بناء فما الظن بما حركته إعراب » .

في ت « مع أن حركة لام أنزل بناء ... » وهو أحسن وأبين .

س ١٢ « وقول أحمد بن يحيى : إنه ألقى فتحة أنتُنّه على كسرة الهاء ... »

في ت « ... على كسرة التاء » وهو الموافق لما جاء في أول الخبر ص : ٧٢ حكاية عن أحمد بن يحيى ، وهو قوله : « ... وألقت حركة الهمزة في أنتنه على كسرة التاء من السوءة ... » على أن العبارة عن هذه التاء بالهاء صحيح أيضاً .

ص ٧٨ ، س ١١ « وكذلك قوله : قبقي ، أراد : قبقبَ ، ثم أشبع فصار قبقبا ، وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس ... » .

وقع في العبارة سقط أخلّ بالمعنى ، وتمام الكلام كما في ت : « ... ثم أشبع فصار قبقبا ، ثم أبدل في الوقف فصار قبقبي ، وعلى هذا التخريج ... » .

ص ٧٩ ، س ٤ « ... وفي ذلك رد لقول يونس : إن لبيك مفرد ... » .

في ت « ... إن لبيك اسم مفرد ... » وهو أبين ، ويؤيده قول سيبويه الذي نقله المحققون في الحاشية ١ ونصه : « وزعم يونس أن لبيك اسم واحد ... » .

ص ٨٢ ، س ٥ — ٦ « فأما التثنية والجمع في نحو قولك : قمت قيامين ، وانطلقت انطلاقين ، وعند القوم أفهام ، وعليهم أشغال ، فلم يُثَنَّ شيء من ذلك ولا يجمع ولا يُرَدْ وهو مراد به الجنس ... » .

وفي ت « ... فلم يُثَنَّ ولا جُمِعَ ... » وهو الصواب الذي تتسق معه العبارة ، وأما اللفظ الذي يليه « ولم يرد » فسقط في ت ، وصواب ضبطه كما يقتضيه المعنى « ولم يَرِد » بفتح الياء وكسر الراء ، مضارع « ورد » لا بضم اليـــاء وفتح الراء ، مضارع « أراد » مبنياً لما لم يسم فاعله ، كما ضُبِط في هذه المطبوعة .

ص ٨٣ ، س ١ « ... فقال قتادة : (فاقتلوا أنفسكم) من الاستقالة » .
في ت « ... فقال قتادة : إنما هي (فاقتالوا أنفسكم) ... » وهو أوفى وأشبه بسياق الكلام .

ص ٨٣ — ٨٤ « ... وعلى أنه لو كان بمعنى استقلت لوجب أن يستعمل باللام فيقال : استقلت لنفسي أو على نفسي ، كما يقال : استعطفت فلاناً لنفسي وعلى نفسي ، وليس معناه أن يسأل نفسه أن تقيله ، وإنما يريد أنه يسأل ربه عز وجل أن يعفو عن نفسه . وكان له حرى ـ لو كان على ذاك ـ أن يقال : فاقتالوا لأنفسكم أي استقيلوا لها واستصفحوا عنها » .

في ت « ... كما يقال : استعطفت فلاناً لنفسي ، أو على نفسي ، وليس معناه أنه يسأل نفسه ... » وهو أشبه بسياق الكلام .

وفي ت أيضاً : « أن يغفر [يعفو] له عن نفسه . وكان حرى ـ لو كان على ذلك ـ أن يقال : فاقتالوا لأنفسكم ... » وهو النظم البيّن للعبارة . وقد فُسّر « حرى » في الحاشية ١ بما نصه : « حرى : وجه ، فمن معاني الحرى : الناحية » وهذا تفسير بدع لا يقوم به المعنى ، وإنما « حرى » ها هنا بمعنى

خليق وجدير . وأبو الفتح كثيراً ما يعبر عن نحو هذا المعنى بنحو هذه العبارة ، ومن ذلك قوله ص : ٨٩ من هذا الكتاب : « ... ولو كان في الأصل وصفاً لكان حرى أن يستعملوا منه فعلاً » .

ص ٨٥ ، السطر الأخير « ومنه أيضاً اختصارهم من ثلثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد . ولم يقولوا ثلاث مئين ... » .

في ت « ومنه أيضاً اقتصارهم ... » وهو محض الصواب .

ص ٨٦ ، س ١٠ « ومنه قولهم : « خالُ مالٍ ، وخائل مالٍ : إذا كان حسن الرعية والتفقد للمال » .

في ت « ومنه قولهم : فلان خالُ مال ... » وهو أوفى وأتمّ .

ص ٨٧ ، س ٢ — ٣ « ... قال الأصمعي : سألت أعرابياً ـ ونحن في الموضع الذي ذكره زهير ـ يعني هذا البيت ... » .

في ت « ... يعني في هذا البيت » وهو الوجه ، ولعل « في » سقطت في الطبع .

ص ٨٨ ، س ٢٠ « ... عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس محمد ابن يزيد ... » .

في ت « ... علي بن سليمان الأخفش عن ... » .

ص ٨٩ س ٢ « ... غير أن القراءة بترك الهمز : (أدني) ... » .

في ت « ... بترك الهمز من (أدنى) ... » وهو أحرى بالصواب ، وربما كانت « من » مصحفة عن « في » .

س ٢ « ... وينبغي أن يكون من دنا يدنو . أي قريب » .

في ت « ... أي قَرُبَ » وهو الصواب .

س ٧ « ... ويؤنّس هـــذا المذهب الثاني أنا لا نعرف فعلاً تصرف من هذا اللفظ ... » .

في ت « ويُؤْنس بهذا المذهب ... » وهو الصواب .

س ١٢ « ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم : (ما سِألتم) بكسر السين » .

في ت « ... بكسر السين ، مهموزة » ويعزز هذه الزيادة قوله بعد أسطر « فإذا كان كذلك فقراءتها (سِألتم) مكسورة السين مهموزة غريب » .

السطر الأخير « ... فصار ذلك من تركيب اللغة » .

في ت « ... فصار ذلك من تركيب اللغتين » وهو أحرى بالصواب .

ص ٩٠ ، س ١٥ — ١٦ « وكذلك قوله أيضاً : « سِألتم » بكسر الفاء على حد كسرها في سِلتم ، ثم استذكر الهمزة في اللغة الأخرى فقال : سِألتم » .

في ت « ... كسرَ الفاء ... ثم استذكر ... » وهو الصواب الذي يؤيده سياق الكلام .

س ٢٠ « ... فلما كسر السين استذكر الهمزة فراجعه هنا كما راجعه في القول الأول » .

في ت « ... استذكر الهمز فراجعه ... » وهو الوجه لتذكير الضمير العائد عليه .

ص ٩١ ، س ١٢ — ١٣ « ومن ذلك قراءة قتادة « وإن من الحجارة » وكذلك قراءته : « وإن منها » مخففة . قال ابن مجاهد : أحسبه أراد بقوله : مخففة — الميمَ ؛ لأني لا أعرف لتخفيف النون معنى » .

في ت « ... قراءة قتادة : « وإن من الحجارة لما » وكذلك قراءته : « وإن منها لما — مخففة ... » وهو أوفى وأتم ، ولا بد من ذكر « لما » في كلا الموضعين ليتضح مراد ابن مجاهد من قوله : « أحسبه أراد بقوله : مخففة — الميمَ » .

ص ٩٢ ، س ١٧ — ١٩ « ... وقد جاء هبطته متعدياً كما ترى ، قال :

ما راعني إلا جناح هابطاً على البيوت قوطَه العلابطا

وأعمله في القوط ... » .

في ت « ... فأعمله ... » وهو الوجه .

ص ٩٣ س ٦ — ٨ « ... ألا ترى أن قوله :

لها حافر مثـــل قعب الوليـــــد تتخذ الفأر فيه مغـــارا

أي لو اتخذت فيه مغارا لغوره وتقعبه لوسعها وصلح لها » .

وقد خلت العبارة من خبر لـ « أن » والصواب كما في ت : « ألا ترى إلى قوله ... » وأمثال هذه العبارة كثيرة الدوران في كلام أبي الفتح ، من ذلك قوله ص ٩١ : « ألا ترى إلى قول الله تعالى : « إن كاد ليضلنا عن آلهتنا » و « إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » أي إنهم على هذه الحال ... » .

س ١٤ — ١٥ « ومن ذلك قراءة الأعمش : « يسمعون كلم الله » .

« الكلام كل ما استقل برأسه » .

في ت « قال أبو الفتح : الكلام كل ما ... » . وهذا ما درج عليه أبوالفتح في هذا الكتاب من أوله إلى آخره : أن يستهل كلامه على كل قراءة بعد حكايتها بـ « قال أبو الفتح » لئلا يلتبس كلامه بكلام من يحكي عنهم القراءة .

ص ٩٥ س ٩—١٠ « ... وذلك قولهم في أثانيّ وأناسيّ : أثانية وأناسية ...» .

وفُسِّر « أثانيّ » في الحاشية ٤ بما نصه : « ... كأنه جمع أثناء ، وواحد الأثناء : ثِنْي كحِمْل ، وهو من الثوب طيه » .

وفي ت « ... أثافيّ وأناسيّ : أثافية ... » ويظهر أن كلا اللفظين مصحف ، والصواب : « أثابيّ » و « أثابية » جمع « أثبيّة » بمعنى « الثبة » . قال في اللسان (ثبا) ـ : « والثبة والأثبية : الجماعة من الناس ، والجمع أثابي وأثابية ، الهاء فيها بدل من الياء الأخيرة » .

س ١٣ « ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبي عمرو « وآيدناه » . قال ابن مجاهد ـ على ما علمناه ـ ممدودة الألف خفيفة الياء » .

جُعِلت عبارة « على ما علمناه » جملة معترضة من كلام أبي الفتح ! وقد وقع فيها تصحيف منكر ، والصواب كما في ت « على فاعلْناه » وهي من كلام

ابن مجاهد ، يريد أن « آيد » من بناء « فاعَل » . وتصديق ذلك ما جاء عقب ما تقدم من قوله : « وقد روى عن مجاهد في قوله [تعالى] : « إذ أيّدتك » : « آيدتك » قال ابن مجاهد : على فاعَلْتك » .

ص ٩٦ ، س ٣ — ٤ « ولكن قراءة من قرأ « آتينا بها » فاعَلْنا ، ولو كان أفعلنا لما احتاج إلى حرف الجر ، لأنه إنما يقال : آتيت زيداً بكذا، وآتيته » .

في ت « ... وآتيته كذا » وهو الصواب الذي يقتضيه سياق الكلام . وقد خُرِّجت الآية المذكورة في الحاشية ٣ على أنها الآية ٧٤ من سورة الحج ، وإنما هي الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .

س ٥ ٦ « ... فقوله في تلك القراءة « آتيناها » كقولك : حاضرنا بها وشاهدنا بها » .

في ت « فقوله في تلك القراءة : « آتينا بها » . . » . وهو الصواب وهذه هي القراءة التي حكاها فيما تقدم نقله آنفا .

س ١٥ « ... وكثر فيه فعّلت : أيّدت ليؤمن ذاناك الاعتلالان » .

في ت « ... ذاناك الإعلالان » وهو الصواب .

(يتبع) أحمد راتب النفاخ

بين الشعر والفلسفة

إن كلمة « فلسفة » التي وردت في عنوان هذا الموضوع لا يقصد فيها إلى الفلسفة التي قرأنا عنها في صفوف الفلسفة من المدارس ، أعني أنها ليست الفلسفة التي أفنى عمره فيها سقراط وأفلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا .

هذه الفلسفة العلمية ، إن صح التعبير ، أو المدرسية ، ذات القواعد والأصول ، لست بسبيل البحث فيها ، وإنما أقصد في كلمة « فلسفة » إلى هذه الأفكار التي تعرض للشعراء الموهوبين ، الشعراء العباقرة في سبحات خيالهم ، وتحليق أرواحهم وسمو نظراتهم التي تصل بهم إلى أجواء لا نعرفها إلاّ بأقوالهم ، وسماوات لا تخطر على بالنا لولا تلك الصور الشعرية الأخاذة التي تقربها من أيدينا حتى نكاد نلمسها لمس اليد ، هذه الأفكار الشعرية ، التي تتناول مصير الإنسان ونهاية البشر وخاتمة الخليقة ، هذه الأمور التي لا تفارق الإنسان مدة عمره ، هي التي أقصد إليها في هذا الموضوع ، فالبحث إذن يتناول ما يجول بخاطر الشعراء من خوف وهلع للنهاية التي تنتظر كل إنسان في هذا الوجود ، أولئك الشعراء الذين يتحدثون عن كل أمر من أمور الحياة حديثاً له لغته الخاصة وتعبيراته اللماحة التي لا يحسنها إلا الذين أوتوا ملكة البيان وعرفوا طواعية الفكر وذلاقة اللسان .

والفرق بين الشاعر والفيلسوف ؛ أن الشاعر يتحدث بلغة الإحساس المرهف والشعور المتوفر في حين أن الفيلسوف لا يحدثك إلا بلغة العقل والفكر المحض ، كما يقول أصحابنا الفلاسفة ، هـــذا يتحدث بشعوره ، وذاك يتحدث بعقله ، وشتان بين الطريقين .

ولكن هذا العقل وهذا الإحساس ، ولنطلق عليه ، القلب ، لابد أن يلتقيا أحياناً ، فإذا التقيا غلبت الموهبة الأصيلة ، فمن كانت فلسفته أشد ظهوراً ، كان كلامه فلسفة ، ومن كانت شاعريته أقوى أثراً ، كان حديثه شعرا ، وهكذا نجد أنه لا بد للفلسفة من بعض الشعر ، كما لا بد في الشعر من قليل من الفلسفة ، على أن تكون هذه الفلسفة غير ظاهرة في الشعر ظهوراً يقلب الشعور إلى فكر ، ويعطينا بدل اللذة والاستمتاع تفكيراً جافاً ، صرفاً ، هو التفكير الفلسفي .

في الشعر تكون الأفكار الفلسفية أشبه باللمح ، وفي الفلسفة يكون الشعر أقرب إلى الزينة والبهرج ، الشعر يخفف من جفاف الفلسفة ، والفلسفة تزيد الشعر عمقاً ورجاحة واطمئنانا ، بشرط أن لا تزيد عن مقدارها المقبول فهي ، في لغة الصيادلة والأطباء ، أشبه بالمقادير الطبية المفيدة النافعة ، حتى إذا زادت عن مقدارها المحدد أوشكت أن تكون سماً قاتلا .

ولقد أحس الشعراء القدامى هذه الحقائق ، ونظروا فيها ، وأبدوا آراءهم حولها ، وكان البحتري سبّاقاً إلى ذلك ، لأن البحتري شاعر محترف ، وأعني بالاحتراف هنا أنه كان شاعراً ، ولم يكن يستطيع أن يكون إلا شاعراً ، إن الشعر عند هذا الشاعر مهنة واختصاص ، فهو يأكل ويمشي ويتحدث ويكتب ويغني ، إنه يفعل كل ذلك بصفته شاعراً ولا يفعل شيئاً في حياته فيما لو فارقته هذه الصفة التي كونت شخصيته وتناولت كل وجوده .

يقول البحتري في حديثه عن الشعر :

ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنـ ـطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

فالفلسفة التي أشرنا إليها آنفاً وأعني الفلسفة التي يجوز لها أن تمتزج بالشعر وأن تبدو على الكلام الشعري هي فلسفة أقرب إلى الخيال وأشبه بالشعر نفسه ، وليست منطقاً مبنياً على مقدمات ونتائج ، أو هي ليست حقيقة

رياضية تعتمد على أن اثنين واثنين تساوى أربعة ، أو هي ليست حقيقة كيميائية ، تجعل من الماء ذرة من الاوكسجين وذرتين من مولد الماء ، كل هذه الحقائق العامية أو الفلسفية لا تدخل في باب الشعر ولا تلجه إلا قسراً ، فاذا ولجته كانت غريبة عنه ، شاذة في جوه ، مستكرهة في عالمه ودنياه . لذلك تذكر البحتري امرأ القيس ، وهو يمثل الشاعر الملهم في اللسان العربي ، الشاعر الذي عاش للشعر ومات في سبيل حقيقـة شعرية خالدة هي الفكرة التي دعاه اليها قلبه في حين أن عقله كان ينهاه عنها ويهيب به الى تركها ؛ لقد دعاه قلبه الجريح الى الأخذ بثأر أبيه ، ولم يكن في سعيه هذا أي أثر للمنطق والعقل بعد أن خذله الناس وتركوه وحده في دنيا العرب حتى لجأ الى دنيا الروم حيث مات غريباً مشرداً ، لم يكن امرؤ القيس إذن يتكلم بلغة المنطق ، ولم يبحث في حياته نوع هذا المنطق وأسبابه ومسبباته ، بل ترك لقلبه العنان ولنفسه الحرية المطلقة كما ترك خياله يهيم في أجواء الشعر أنى شاء وكيف أراد . هذه هي الفكرة الشعرية التي دعا اليها البحتري الشاعر ، وهو بعد أن ضرب المثل بامرئ القيس إمام الشعراء وحامل لوائهم في النار ، عرّف الشعر تعريفاً ما أظن أن الأدب العربي ، أو الأدب العالمي قد وصلا الى تعريف يفوقه جمالاً وقوةً واختصاراً واصابةً ، يقول البحتري :

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

إن كلمة « لمح » لتضم بين حروفها الثلاثة عالماً كاملاً من الشعر وأعظم منها هذه الجملة التي وردت بعدها في قول الشاعر « تكفي إشارته » فما ينبغي للّمح أن يطول أمده ، وأن يبهر العين ويعشي البصر حتى يعرفه الناظر اليه ، إن ومضةً واحدةً من ومضاته تكفي لمعرفته وإدراكه ادراكاً يغني عن طول المدة والبقاء والاستمرار ، وهذه « الومضة » هي « الإشارة » الكافية التي تغني في الفهم عن كل ما عداهـــا ، ان قارئ الشعر المرهف يستغني بهذه الإشارة عن كل كلام آخر ، ولعل في الشطر الثاني من هذا

البيت العجيب توضيحاً لما قلت ، فان الشعر الذي هو لمح تكفي الإشارة منه ، ليس بالهذر ، ولا يمكن أن يكون خطبةً طويلةً تتكرر عباراتها وتعاد جملها بحيث تصير نثراً ، أو كتابةً لا شعر فيها ولا شعور وإنما هي أفكار مبثوثة قد أحكم الرابطة بينها منطق له مقدمات وله نتائج .

ولو تعمقنا في النظر بهذين البيتين اللذين مرّا بك لأدركنا أن البحتري إنما قصد إلى إقصاء الشعر عن الفلسفة ، وأنه سعى بكل شعوره إلى الفصل بين الفلسفة والشعر ، لأن لكل منهما عالماً خاصاً وجواً يعيش فيه .

ولكن البحتري كما ترون قد نأى في رأيه هذا عن الفلسفة كلها . هذه الفلسفة التي جعل عنوانها « المنطق » وهو تعبير قديم كما ترون ، فربما كان المنطق في عهد من العهود السابقة ممثلاً للفلسفة كلها ، ويبدو أن الفلسفة المبنية على المنطق ، هي التي أراد الشاعر الهروب منها ، وله الحق في هذا ، فإن المنطق لا يمكن أن يختلط بالشعر ، فالأول بني على القيود والحقائق التي لا تقبل الشك في حين أن الشعر بني على الحرية وهو حليف الخيال الذي لا يعرف حداً غير حد الشعور والإحساس ، أما ألوان الفكر التي دخلت في عالم الفلسفة بعد العصور الأخيرة ، وبعد أن قام الفلاسفة بوضع التصنيفات الكثيرة ، إن هذه الألوان لا يمكن أن تنفى كلها عن الشعر ولا يجوز للشعر أن يضيق بها ذرعاً ما دامت تستطيع أن تعيش في جوه ، بشرط أن تتخذ لها شكلاً يقرب من الشعر .

من هذه الألوان بحث ما وراء الطبيعة في بعض نواحيه الغيبية ، كالفلسفة التي تتناول نهاية الإنسان والبعث والنشور وخلود الروح وما شاكل هذه الأفكار التي شغلت الفلاسفة العرب كابن سينا وشغلت الفلاسفة الأجانب من عهد يونان حتى أيامنا هذه ، إن هذه الأفكار قد اختلطت بالشعر وكانت لوناً شعرياً مستقلاً أعجب به أناس كثيرون حتى لقد عدوا الشعر المجرد عن هذه الأفكار شعراً بسيطاً قليل المادة ، أو قليل الدسم إذا أردت .

فنحن إذن نجد أنفسنا أمام لونين من الشعر ، اللون الأول ، هو الشعر الصافي أو الشعر المحض ـ إذا جازت هذه التسمية ـ وهو الشعر الذي يعتمـــد على اللفظ الموسيقي والعبارات المنغومة والصور الشعرية التي تأتي الشاعر عفو البديهة وعن طريق الإلهام ، الذي يشكل العنصر الأساسي للشعر والذي يتفاوت الشعراء حسب ما يملكون منه ، هذا اللون من الشعر بعيد عن الأفكار الفلسفية والآراء التي تعتمد على العقل أكثر مما تعتمـــد على الوحي والإلهام ، ومن هذا الصنف من الشعراء البحتري ، والعباس ابن الأحنف ومسلم بن الوليد ، وعمر بن أبي ربيعة وشوقي والشعراء العذريون الذين قضوا حياتهم يبكون ويشتكون ، وينظمون عواطفهم القلبية التي لا تعرف المنطق ولا تؤمن به ولا تفكر فيه

أما اللون الثاني فهو الشعر الذي اتسع أفقه ، وانفسحت رقعته ، وانفرج بابه حتى دخلت منه الفلسفة ، التي امتزجت بالشعور والخيـــال والنغم فأصبحت جزءاً من الشعر ، بحيث يرى القارىء في هذا الشعر المتعة واللذة إلى جانب الدسم الفكري الذي يملأ الإنسان لذة وفهما ، ويقوم على رأس هذا الصنف من الشعراء العرب أبو الطيب المتنبي ، ويأتي بعده أبو نواس وبشار .

ولو أخذنا العلم الفرد من بين هؤلاء ، وأعني أبا الطيب ، لوجدنا عنده شعراً عجباً ، لقد جاء المتنبي إلى هذه الدنيا شاعراً كبيراً ، وكأن هذا الشاعر الكبير لم يعرف عهداً يسمى الطفولة ، إلا إذا كان شعره الطفل قد عدت عليه يد الزمن فذهبت به وأضاعته من بين أيدينا ، وإلا فان الأبيات التي بقيت لدينا من طفولة هذا الشاعر لا تبعد كثيراً عن شعر الشعراء الكبار بل هي لا تختلف اختلافاً بيناً عن شعر المتنبي ذاته حـــين بلغ أوجه ووصل إلى القمة .

يقول مؤرخو الشاعر :

ومر في صباه برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعَجّبان الناس من كبره فقال :

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا سريع العطب

رماه الكناني والعامري وتلاّه للوجه فعل العرب (١)

كلا الرجلين أتّلا قتله فأيكما غلّ حر السلب (٢)

وأيكما كان من خلفه فان به عضة في الذنب

هذا الشعر القوي ، وهذا الشعر الجارح ، وهذا الأسلوب العربي الدال على متانة وعلى جزالة أصيلتين ، هـذا كله من فعل صبي لم يبلغ بعد طور الشباب ـ وليس يخفى ما في الشطرة الأخيرة من إضحاك وغمز وسخر ، وهذا التساؤل الذي سبق ذلك في الشطرة الأولى يدل على نضج في الملكة الشعرية وعلى تمكن من اللغة والعروض ، وعلى طواعية في الخيال والاستيحاء الشعري ·

ولو تركنا هذه الأبيات التي لم يَنْحُ المتنبي فيها نحو الحكمة ، أو الفلسفة الشعرية كما أسميناها ، واستمعنا إليه وهو يمدح في صباه « محمداً بن معن » في قصيدته التي يقول في مطلعها :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

لعجبنا من قوله :

أبني أبينا نحن أهل منازل أبداً غراب البين فيها ينعق

نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

---

(١) تلاّه : قتلاه .

(٢) أتّلا : تولى القتل وباشره ، غلّ : خان ، أي اشتركا في قتله ثم خان أحدهما الآخر في سلب أشياء القتيل .

أين الأكاسرة الجبابرة الأُلى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق

انه يذكر الحكمة الخالدة في الحياة ويبحث القضية الكبرى وهي الموت وهو بعد صبي ، فماذا أبقى لأيام الشباب ، وماذا ادخر هذا الشاعر العجيب ، لأيام الكهولة والشيخوخة ، حين تبلغ الملكات الإنسانية كمالها وتصل إلى غايتها من النضج والاستواء .

فالنظرة نظرة فلسفية تشير إلى أن غاية العيش العناء . وان نتيجة الحياة إلى الموت فالزوال ، ولو كتبت هذه الفكرة نثراً لاستطعت أن تصل إلى المعنى المقصود من وراء الكلمات ، ولكنك حين تنثرها ، تفقد هذا الرنين وهذا النغم وهذا الجرس الذي يضفي على الكلمات ثوباً آخر من الزينة والأناقة لتغني الفكرة غناء بدل أن تقرأها قراءة جافة لا طرب فيها ولا نشوة ، ذلك هو الفرق الكبير والبون الشاسع بين أن تقول الكلمة نثراً وأن تنظمها شعراً ، ولا أنسى التشبيه الرائع الذي حفظناه عن بول فاليري الذي شبه النثر بالمشي العادي كما شبه الشعر بالرقص الموقع المنغوم .

المتنبي إذن يقف وحده على رأس هذا الصنف من الشعراء ، شعراء الفكر والنغم ، شعراء الفلسفة وفلاسفة الشعراء ، لقد أتوا بالفلسفة فجعلوها خفيفة على الفكر ، لطيفة على السمع والذوق ، بأن كسوها الثوب الشعري البراق فصارت طعاماً لا صعوبة في الوصول إليه .

وليس أبو نواس بالمنكور في هذا الباب ، لقد نظر في أخريات أيامه نظرات فلسفية صائبة ما تزال حتى الآن مثلاً يحتذى ونموذجاً كاملاً للشعر الفلسفي :

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار الى قرار مكين

يحـــول شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
حتى استوت حركات مخـلوقة من سكون

فالعبقرية الشعرية هنا تتجلى في أن الشاعر قد سلط إلهامَه وشاعريته على حقيقة علمية هي في أصلها أقرب إلى علم الطب أو علم وظائف الأعضاء أو علم الأجنة ، فغير من ثوبها العلمي الجاف وجعل لها ثوباً شعرياً شفافاً رقراقا ، وانظر إلى هذا التعبير الشعري الذي بلغ أعلى درجات السمو في قوله « مخلوق من سكون » فالحركة تخلق من السكون ، وان العلم نفسه والفلسفة ليعجزان عن التعبير عن هـذه الحقيقة تعبيراً آخذاً كهذا التعبير الذي يهفو له القلب وتستجيب النفس . لقد عبر الشاعر عن هذه الفكرة العلمية بطريقة شعرية سهلة على القراءة ، حلوة في الحفظ والفهم والإدراك ، واختصر قصة الحياة الإنسانية في أبيات قليلة العدد ، كانت كلها وحياً وإلهاما .

أما بشار فان ملكته البيانية تفوق حدّ الروعة ، وخاصة في قصيدته البائية والميمية ، وان أبياته في الشورى لتعطيك دستوراً للحياة الاجتماعية ، وقانوناً تسير عليه فلا تخطىء أبداً ولا يصيبك من ورائه إلا التوفيق .

ولكن المتنبي يظل زعيم هـــذا الصنف من الشعراء المتفلسفين ، الذين فلسفوا الحياة بكلام شعري جنبوه جفاف العلم وحموه من خشنة الفلسفة .

لقد نظر المتنبي في شؤون الحياة نظرة أدرك بها ما وراء مظهرها من أمور خفية ومعان مستورة فوصف ما رآه للناس ، وجعل من عقله الشاعر مصنعاً لدساتير الحياة والقواعد الاجتماعية بحيث أنك لو أخذت هذه الدساتير الشعرية فرتبتها الواحد إلى جوار الآخر لكان لك من ذلك نظـــام موضح مفصل تسير عليه فتصل إلى نهاية عيشك دون أن تجد في كل ذلك خطأً أو انحرافاً عن الحقيقة الخالدة ، وهل يمكن أن يقال غير هذا القول في مثل هذه الحقائق :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

إذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها أن لا يدوم لها عهد

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا نتقى حتى نكون ضواريا

ولقد اشتط نفر من النقاد ، فجعلوا للمتنبي فلسفة خاصة في الحياة . وقرنوا هذه الفلسفة بفلسفة داروين « إرادة الحياة وحفظ النوع » وفلسفة « نيتشه » « إرادة القوة » وكان العقاد أبرز من تحدث عن المتنبي وفلسفته ، وقد زعم أن شاعرنا قد وفق بين الفيلسوفين الانكليزي والألماني فأقر فكرة « إرادة الحياة » كما أقر فكرة « إرادة القوة » وذلك في قوله :

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبا

فحب الجبان النفس أورثه التقى وحب الشجاع النفس أورثه الحربا

فالحياة حبيبة إلى نفس الشجاع وهذه الفكرة تدخل في باب « إرادة الحياة » ، ولكن الشجاع لا يحب إلا الحياة المثالية ، حياة الجاه والجبروت والتسلط والقوة وهذا ما يمكن أن يعزى إلى إرادة القوة ، لكن العقاد كان معجباً بالمتنبي ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وأرى أن المتنبى على جلالة قدره لم تخطر على باله هاتان الإرادتان — إرادة الحياة وإرادة القوة — وكل ما أراد قوله هو أن الإنسان أناني لا يحب إلا نفسه ، وان طريقة هذا الحب تختلف بين إنسان وآخر . لقد قالها المتنبي بكل بساطة فكان قوله أقرب إلى النفس وألصق بالقلب ، لأنه شاعر ولأن الشعر يضفي على الأفكار ثوباً خاصاً لا تجود بمثله الفلسفة ولا يعرفه العلم . والذي صنعه المتنبي ليس فلسفة بالمعنى العلمي وإنما هو شعر امتدت يده إلى الآراء الفلسفية فأخضعها لقانونه وسيطر عليها .

ولربما خطر على البال شاعر آخر من هذه الزمرة وقد رأينـا أن لا نحشره في جماعة معينة لأنه هو زمرة وحده ، هذا الشاعر هو أبو العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ، وأبو العلاء كما نرى لم يكن شاعر الفلاسفة ، لأنه حين أراد أن يكون فيلسوفاً أضاع الشعر ، وحين حاول أن يصبح شاعراً أضاع الفلسفة وهذه الفكرة تعود بنـا إلى أول حديثنا عن العلاقة بين الشعر والفلسفة ، فالفلسفة التي تريد أن تعيش مع الشعر في جو واحد وفي إناء واحـد ، يجب أن تأخذ شكل الشعر وأن تلبس لبوسه ، وأن تغير من طبيعتها ، حتى تسيغها النفوس مع ما تسيغ من الشعر ، أما أن تبقى الفلسفة منعزلة عن الشعر في البيت الواحد أو في القصيدة الواحدة ، دون انصهار في كيان واحد ، فإن ذلك مما يجعل هذا البيت فكرة فلسفية أقرب إلى النثر ، على ما فيها من وزن ومن قافية ، لأن الشعر شيء آخر ينضم إلى الوزن والقافية ، وهذا الشيء هو روح الشعر ، وإلا فما الفرق بين أبيـات ابن مالك وشعر البحتري فيما لو اشترطنا الوزن والقافية وحدهما ، وأبو العـــلاء في أكثر شعره قد طغت فكرته على شاعريته ، وجنف عقله على موسيقاه . وتعدى رأيه حدود خياله ، فخرج شعره وهو أقرب إلى مجموعة من الآراء العقلية والفلسفية استقر وراءهـا الشعر حتى لا يظهر له أثر .

لقد نظم أبو العلاء الشعر في موضوعات فقهية واجتماعية وفلسفية ، ولكن هذا الشعر كان خلوا من العاطفة الشعرية التي يتحدث الشاعر فيها عن حبه وأحلامه وآماله وأشجانه ، ولا يمنع رأينا هذا في أبي العلاء أن نجـــد له شعراً في شبابه الباكر قد ملىء شعوراً وعاطفة ، بل ان له من هذا اللون

قصيدة واحدة قد تعدل في رأي الكثيرين ديواناً كاملاً من الشعر العالي ، تلك قصيدته الرائعة :

غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شادي

فالقصيدة ليس فيها خيال شعري رفيع ، ولا صور أخاذة ، ولكن فيها أسلوباً عالياً وفكرة قريبة إلى القلب والنفس ، وحزناً ناعماً يشعرك بحزن الشاعر ويأسه من هذه الحياة التي تتخطف الأصحاب وتستأثر بالأعزاء واحداً بعد الآخر دون شفقة ولا رحمة .

ولقد يمر ببالك أيضاً شعراء الصوفية من مثل محي الدين بن عربي والحلاج والسهروردي وغير هؤلاء كثير والذي أعتقده في هؤلاء أن الشعر عندهم لا يحرك القلب وإنما يحرك العقل ، والقلب هو مصدر الشعر والشعور في كل فن . وابن الفارض مثلاً قد غلب عليه الشعر في حين أن محي الدين قد غلبت عليه الفلسفة والتشريع والتفسير وغير هذه الأمور التي كانت تشغل ذهنه وتملأ عليه حياته ، وما أبدع قول ابن الفارض :

خفف السير واتئد يا حادي   إنما أنت سائر بفؤادي

فالصورة بديعة رائعة وليس من الفلسفة في شيء أن يتخيل ابن الفارض الحادي وجماله سائرة في فؤاده لكثرة ما أحزنه هذا السير الذي أبعد عنه أحباب قلبه ، وانظر إلى قوله أيضاً يتغزل :

كل من في حماك يهواك لكن   أنا وحدي بكل من في حماكا

وإن محاولة إقناع الحبيب بهذه الطريقة الحنون لشيء لا يمكن أن يأتي به إلا الشعر ولكن ابن الفارض يضيع شاعريته حين يتحدث إليك عن الناسوت واللاهوت ومع هذا فابن الفارض قد غلب عليه الشعر ، وأن التصوف عنده كان شيئاً عارضاً أو كان أشبه بالذهول .

بقي أن أتحدث عن شاعر آخر ، شاعر لم يرزقه القدر شهرة ولم يعرفه إلا القلائل من قراء الأدب والمطلعين على الآثار العربية في الشعر النابه ، هذا الشاعر الكبير هو : الحسين بن عبد الله البغدادي ، ولقد وُلد ببغداد ونشأ فيها وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتحدث عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء فقال : كان متميزاً بالحكمة والفلسفة ، خبيرا بصناعة الطب ، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً ، ثم يعد تلامذته وأساتذته على طريقة هـــذا المؤرخ ، والشيء المهم أن هذا الشاعر قد اختلط بعض شعره بشعر ابن سينا الرئيس ، إن جاز لنا أن نسمي ما نظمه ابن سينا شعراً ، فهو ولا شك ، نظم ، ولا تزد ، أعني أنه كلام تضمن حقائق علمية لم يتناولها الشعر ولم يترك الإلهام عليها أي أثر من آثاره ، ومن شعر الحسين البغدادي قصيدة رائية نسبت لابن سينا وفيها يتساءل الشاعر تساؤلاً جديداً في الشعر العربي ويحاول دراسة « الفلك » واستكناه الأقدار وما تضمره من خير أو شر ، ومع هذا فهي برغم جودة نظمها واتساق سبكها أقرب إلى العلم والفلسفة منها إلى الشعر ، لقد طغت الحقيقة على الخيال السمح فأساءت إلى شاعرية هذه القصيدة :

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء ففي أفهامنا منك انبهـــار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار

والبيت الأخير يذكرنا بهذه الأقمار الاصطناعية التي كشفت لنا عن عوالم جديدة ، وكأنه يتساءل جاداً عن منطقة الجاذبية الأرضية وعن المناطق التي تليها ، فهناك فضاء خلف هذا الفضاء ، وهذا ما أدى إلى معرفته العلم الحديث ، ثم ينتقل الشاعر إلى قضية أخرى هي قضية الأرواح التي ترفع إلى مكان آخر غير هذه الأرض حين يدرك الجسد الموت ، هل هي خالدة أم تموت كما يموت الجسد :

وعندك ، ترفع الأرواح أم هل مع الأجساد يدركها البوار

ثم ينتقل إلى وصف الفلك وما يحتويه من مجرّة وشمس ونجوم وهلال فيقول :

وموج ذي المجرة أم فرند على لجج الذراع لها مدار
وفيك الشمس رافعة شعاعا بأجنحة قوادمها قصار
وطوق للنجوم إذا تبدى هلالك أم يد فيها سوار
وأفلاذ نجومك أم حباب تؤلف بينه لجج غزار
وتنشر في الفضا ليلاً وتطوى نهاراً مثلما يطوى الإزار

ثم يأخذ صاحبنا بالتساؤل تساؤلاً يخرجه عن التقية ويضعه في مصاف أولئك الذين أثرت فيهم الفلسفة حتى زندقتهم ، فهو يتحدث عن آدم وهبوطه من الجنة بسبب أكلته المشؤومة فيقول :

لقد بلغ العدو بنا مناه وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا خائبين كقوم موسى ولا عجل أضلَّ ولا خوار
فيا لك أكلة ما زال منها علينا نقمة وعليه عار

ثم يرثي لحال البشر فيقول :

نعاقب في الظهور وما ولدنا ويذبح في حشا الأم الحوار
وننتظر البلايا والرزايا وبعد فالوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب أخرجه الوجار

ثم يبلغ المرحلة الأخيرة من ضيق الصدر والإحساس بالظلم والعسف فيقول :

فماذا الامتنان على وجود لغير الموجَدين به الخيار
وكان وجودنا خيراً لو انّا نخير قبله أو نستشار
أهذا الداء ليس له دواء وهذا الكسر ليس له انجبار

والقصيدة كلها من هذا النمط الرفيع في النظم والسبك ، وليس فيها ما يعاب إلا تعاقب الأفكار تعاقباً يتعب القارىء ، والعهد بالشعر أن يترك المجال للمستمع ، ليتغنى ويريح باله [١] .

فإذا تركت هذه القصيدة التي طغت عليها الفلسفة والفكرة العلمية رغم ما فيها من شعر وشعور وانتقلت إلى قصيدة أخرى للشاعر ، أعجبت بغنائه الحزين وذكرياته الجميلة عن قرية « كوثا » العراقية ومما يلفت النظر حقاً هذا البحر الجميل وهذه القوافي الموسيقية الممتعة ، يقول الشاعر :

بنا إلى الدير من (كوثا) صبابات ... فلا تلمني فما تغني الملامات
لا تبعدن وإن طال الزمان بها ... أيام لهو عهدناها وليلات
فكم قضينا لبانات الشباب بها ... غنماً وكم بقيت عندي لبانات
ما مكنت دولة الأيام مقبلة ... فانعم ولذ فإن العيش تارات
قبل ارتجاع الليالي فهي عارية ... وإنما منح الدنيا غرامات

ثم ينتقل إلى الخمرة وهو يرى فيها سلوة الهموم وراحة الحزين الأسيف ، وهو يقرر أن الدنيا دار شقاء لا يمكن أن تقطع أوقاتها إلا باللهو والراح :

يم التعلل لولا الراح في زمن ... أحياؤه في سبات الهم أموات
بدت تحبي فقابلنا تحيتها ... وقد عراها لخوف المزج روعات
مدت أشعة برق من أبارقها ... على مقابلها منها شعاعات
فلاح في ساق ساقيها خلاخل من ... تبر وفي أوجه الندمان شارات
قد وقع الصفو سطراً من فواقعها ... لا فارقت شارب الراح المسرات

ولكن شاعرنا هذا يظل متماسكاً ، يضيق صدره حيناً فينفس عنه بأبيات يضمنها تساؤله ودهشته واستغرابه البقاء في هذا الوجود الذي لم يدرك

---

(١) هذه القصيدة تقع في / ٤٩ / بيتاً وقد نشرت في الصفحة / ٢٤ / من الجزء العاشر من معجم الأدباء لياقوت مطبوعات دار المأمون المصرية .

كنهه ، وهذا التساؤل في حد ذاته فلسفة كله ، ولكن الشاعر ينقلب إلى شاعر كبير حين يموت أخوه فتثور العاطفة الجياشة وتتحرك الأفكار المتشائمة المفلسفة في ضميره وتتحد هذه العناصر النفسية الشعرية كلها لتخرج قصيدة ما أظنك تلقى الكثير من مثلها في الشعر العربي كله ، يقول :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحي من بعد ميت بقاء
لا لبيد (بأربَدٍ) مات حزناً وسلت صخراً الفتى ، الخنساء
مثل ما في التراب يبلى الفتى فالـ ـحزن يبلى من بعده والبكاء
غير أن الأموات زالوا وأبقوا غصصاً لا يسيغها إلا حياء

تلك قصة الإنسانية المعذبة ، أعزاء يموتون وأحباب يذهبون ، ويبقى الهم معلقاً بقلوب الأحياء فتسوء حياتهم ويبكون كلما ذكروا أولئك الذين غالتهم يد المنون ، وهذه آراء تشبه ما قاله ديك الجن بعد موت حبيبته :

لو كان يدري الميت ماذا بعده للحيّ منه بكى له في قبره

ويتم شاعرنا البغدادي حديثه الحزين فيقول :

نتمنى وفي المنى قصر العمر فنغـدو بما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كانت ولا كان أخذها والعطاء
راجع جودها عليها فمهما يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلماً تمر بنا الأيام أم ليس تعقـل الأشياء

إنه يتحدث عن المشاكل الإنسانية كلها ، يتحدث عن الأماني الذاهبات والعلل التي تصيب الإنسان وهذا القدر الذي نلقاه من دنيانا الغرور وهذا الكرم الذي لا نجد وراءه غير الحرمان لأنه كرم كاذب ، ثم يتساءل أخيراً تساؤل من ضاع عقله وذهب لبه ، أهذه الحياة حلم أم نحن لا ندرك ما يمر بنا من أشياء .

وينتقل بعد ذلك إلى لوم الوالدين ، فهما سبب وجوده في كون كله عذاب بعذاب .

قبح الله لذة لشقانا نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـر فإيجادنا علينا بلاء

والبيت الأخير اعتراض صريح على الوجود في هذه الدنيا وهو الاعتراض الذي أقض مضجع الفلاسفة من أصحاب التشاؤم والسخر ، وهو الذي حير الشعراء والبلغاء .

ثم يختصر لك الحياة كلها في هذا البيت الرائع :

انما الناس قادم اثر ماض بدء قوم للآخرين انتهاء

هذا شعر دخلت عليه الفلسفة بعد استئذان ، فانصهرت به وعاشت في ظله ، فإذا قرأت هذا الشعر الرائع أحسست بنشوة الفكرة العميقة ولمست أثر العقل المرهف الفنان ، فاذا بلغ الشعر هذه المرحلة من السموّ ، كان شعراً عالياً تنحني أمامه الرقاب .

أحمد الجندي



ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة[1]

— ٣ —

حرف الدال

(١٧٨) ص ٧٨٤ « دبيس بن صدقة (القرن ١٢) فارس عربي ظهر أيام الحروب الصليبية . غامر كثيراً ... انحاز إلى الصليبيين فترة قصيرة ثم تخلى عنهم » .

من الملاحظات : أ — ان صفة « فارس » في غير مكانها ، لأن الفروسية ليست المغامرة وحدها ، وليست اللفظة من استعمال عصر دبيس ، وفي دبيس غير قليل من الحمق والخرق ... قتل سنة ٥٢٩ هـ .

ب — لم تتحدث الموسوعة عن أبيه صدقة — في حرف الصاد — وهو مؤسس الحلة وأعظم الأمراء الزيديين ، وليس دبيس شيئاً بالقياس إليه .

(١٧٩) ص ٧٨٥ « دجلة ... ويتفرع نهر دجلة في أقسامه السفلى إلى فروع كثيرة أهمها : الغراف ، والبتيرة ، والشرح ، والكحلا ، والمجر الصغير ، والكرية ... » .

أ — دجلة لا يتفرع ، ولكن الرواضع تتفرع ...

ب — ذكرت الموسوعة المجر الصغير ولم تذكر المجر الكبير .

ج — صحيح الكرية : المجرية .

---

(١) كان رئيس المجمع نشر في مقال عنوانه « الموسوعة العربية الميسرة » النهج الذي يجب أن يتبع في الطبعة التالية للموسوعة . وجاءه شكر على ذلك من القائمين عليها . ولذلك نكتفي بهذه الملاحظات . (المجلة)

(١٨٠) ص ٧٨٥ « دحلان ، أحمد زيني (القرن ١٩) مؤرخ عربي ولي سنين طويلة وظيفة المفتي وشيخ العلماء بمكة ، كتب تاريخ مكة وأحوالها السياسية من القرن الإسلامي الأول . مما كتبه « سيرة الدحلانية » شملت تواريخ الأسرات العربية الكبيرة ، وألف عن الوهابية وانتقد بعض نواحي المذهب » .

أ — لم تذكر الموسوعة تاريخ ولادة دحلان ووفاته مع أنهما معلومان ، فلقد ولد بمكة سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ — ١٨١٨ م وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠٤ / ١٨٨٦ .

ب — لم أصل إلى معرفة ما سمته الموسوعة « سيرة الدحلانية » . ولعله شيء لا وجود له على هذه الصورة ، ولعل المقصود الأول به : السير الدحلانية .

جـ — لا داعي إلى الحديث العام عن موضوعات مؤلفاته ، لأن ذكرها — وهي مطبوعة — أدق وأدل . ومنها : ١ — الفتوحات الإسلامية ، ٢ — خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام ، ٣ — الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين ، ٤ — السيرة النبوية ، ٥ — الدرر السنية في الرد على الوهابية .

د — لا بد من النص على أن دحلان شافعي ، وانه مفتي الشافعية بمكة .

(١٨١) ص ٧٨٧ « دراهم ، جامعة ... بانجلترا » .

الصحيح انها دَرَمْ وهي بالإنجليزية Durham .

(١٨٢) ص ٧٩٠ « درعية ... تقع على بعد ١٨ كم عن الرياض » .

الصحيح : (١١) كم .

(١٨٣) ص ٧٩١ « درهم وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية أخذ اسمه من الدراخمة اليونانية ، أما استعماله في المعاملات المالية فقد استعاره العرب من الفرس ... » .

الملاحظة : أن الموسوعة لم تذكر أن الدرهم مستعمل الآن في العراق ، وهو وحدة معدنية تساوي خمسين فلساً ...

(١٨٤) ص ٧٩٣ « دريد بن الصِّمة ... مات بأوطاس قرب الطائف » .
الملاحظ أن الكلام عام ولا بدّ من قول ابن قتيبة : « قتل يوم حنين مع من قتل من المشركين » ومما يذكر أن أوطاس - كما جاء لدى ياقوت - « واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ ببني هوازن ... » .

(١٨٥) ص ٧٩٥ « دستويفسكي ١٨٨١ » ولد في موسكو ...
مؤلفاته : المهانون والمجرحون ، المقامر ، الجريمة والعقاب ، ... العبيط ، الاخوة كرامازوف ... »

أ —

ب — لا بد من النص على أن هذه المؤلفات كلها - أو جلها - قد ترجمت إلى العربية في دمشق والقاهرة .

ج — المهانون والمجرحون ١ - في الأصل من غير « الـ » ، ٢ - المجرحون ليست ترجمة معقولة للكلمة التي حلت محلهـــا ، ٣ - لقد ترجم الكتاب إلى العربية مرتين : ترجمه الدكتور سامي الدروبي بدمشق ، دار اليقظة العربية بعنوان مذلون ومهانون وهو ينظر إلى الترجمة الفرنسية Humiliés et offensés ؛ وترجمه عصام الدين حفني ناصف بالقاهرة بعنوان « المستذلون والمهانون » .

د — الجريمة والعقاب في الأصل من دون « الـ » ولكن المترجمين العرب ألفوا أن يزيدوا أداة التعريف هذه .

هـ — العبيط ترجمة لقصة L'idiot أي الأبله ، واللفظة (العبيط) من العامية (المصرية) ولا يدل فصيحها على عنوان القصة لأن العبيط في القاموس الذي يُنحر لغير علة ، ولحم عبيط أي طري وكذلك الدم ... فهل هذا من ذاك !

و — كرامازوف ، صحيحها كرامازوف وقد ترجمت إلى العربية (في دمشق والقاهرة) من دون تاء ، وهي كذلك في الترجمة الفرنسية وهي بالروسية Kramazovy .

ز — ومما ترجم إلى العربيـــة من آثار دستويفسكي الموسوعـــة :

١ — نيتوتشكا (ترجمها الدكتور سامي الدروبي ، دمشق ، دار اليقظة)
٢ — الزوج الأبدي (... الدروبي ...) ٣ — ذكريات بيت الموتى (... لجنة ...)
٤ — منزل الأموات (ترجمة عباس حافظ ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ط . بيروت دار الكشاف) ٥ — المقامر (القاهرة دار الكاتب المصري) ...

(١٨٦) ص ٧٩٦ « دعبل الخزاعي ، الحسن ... ولد بالكوفة أو قرقيسياء ، ومات بزويلة بالمغرب أو قتل بطوس أو بالطيب أو السوس بالأهواز . . وولي أسوان مدة قصيرة ... ديوانه مفقود . ألف كتاب طبقات الشعراء » .

أ — تؤكد الموسوعة أن اسمه الحسن وتنص عليه دون شك ، وكان الأولى الوقوف عند « دعبل » لأنه هكذا يرد في كتب التراجم التي تسير على حروف الهجاء في ترتيب أعلامها ، ولأن نسبه مذكور في الأغاني وبين أجداده من اسمه دعبل .

ب — أما « الحسن » فلم يأت عبثاً ، فقد وردت رواية تشير إليه ، ولكنه ليس بذي بال ، ويكفي أنه جاء مع أسماء أخرى ، في الكتاب الذي تحدث عن الشاعر في حرف الدال . قال الخطيب البغدادي : « زعم أحمد بن القاسم أن دعبلاً لقب واسمه الحسن ، وقال ابن أخيه : اسمه عبد الرحمن . وقال غيرهما اسمه أحمد ... » وقال : « ... اسمه عبد الرحمن بن علي وإنما لقبته دايته لدعابة كانت فيه فأرادت ذعبلاً فقلبت الذال دالا » وقال ابن خلكان : « ... وقيل ان دعبلاً لقب واسمه الحسن ، وقيل عبد الرحمن وقيل محمد » .

ومن هذا يظهر أن ليس صحيحاً النص الأكيد على أن اسمه الحسن .

جـ — أما مكان الوفاة أي أمكنة الوفاة فيصعب جداً أن تجتمع على هذه الفوارق بينها فأين زويلة من الأهواز ؟ ! وما الحاجة إلى زويلة ولدينا « الأغاني » يذكر انه « هرب إلى الأهواز واغتيل في قرية من نواحي السوس وقيل بل حمل إلى السوس ودفن بها » ؛ ووفيات الأعيان يذكر أن وفاته « بالطيب وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز » ،

(١٨٧) ص ٨٠٩ « دوبيت ... لفظ مركب من كلمتين : هما دو فارسية بمعنى اثنين ، وثانيتهما عربية تعني الوحدة الشعرية ، ويسميه العرب الرباعي لأن وزن شطر البيت فيه أربع أفاعيل مختلفة وإذا شطر كان البيت الكامل فيه رباعي الأجزاء ...

أ — « وثانيتهما عربية تعني الوحدة الشعرية » : لم هذا التعبير الذي يزيد الأمر تعقيداً وإطالة ، لم هذه « الوحدة الشعرية » ولم نقل « وثانيتهما : بيت ... » وهي أوضح لدى القارئ العربي .

ب — ومتى سماه العرب الرباعي ؟ وأين ؟ لم يكن للمصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في التسمية ؟ .

ج — ومن أين أتت الموسوعة بالأفاعيل ؟ ولم لم تقـــل تفعيلات ؟ وأسئلة أخرى ؟ ! .

(١٨٨) ص ٨١٤ « دودية ، الفونس ١٨٤٠ — ١٨٩٧ ... أديب فرنسي بدأ حياته الأدبية بنشر ديوان من الشعر عنوانه « العاشقات » ١٨٥٧ أتبعه بتأليف مجموعـــة من القصص جمعها في الكتاب المعروف باسم « خطابات طاحونتي » ١٨٦٦ ، وتلا ذلك « الشيء الصغير » ١٨٦٧ وهو ترجمـــة لحياة المؤلف وكثيراً ما يقارن بكتاب دافيد كوبر فيلد لديكنز ، و « أحاديث الاثنين » ١٨٧٣ و « الملوك في المنفى ١٨٧٩ » .

ومن التصحيح على هذا :

أ — ديوان ... العاشقات ١٨٥٧ : العاشقات ١٨٥٨ ثم أعاد طبعه سنة ١٨٧٣ ووضع تحت العنوان « قصائد ... ١٨٥٧، — ١٨٦١ » أي انه احتوى في هذه الطبعة ما نظمه بين هذين التأريخين .

ب — خطابات طاحونتي : رسائل طاحونتي لأنها بالفرنسية . Lettres de mon moulin (وهي مترجمة إلى العربية) . وكلمة خطابات التي استعملتها الموسوعة عامية في دلالتها .

جـ — القول ان « الشيء الصغير » ترجمة لحياة المؤلف غير صحيح وغير دقيق ؛ إنما هو من قصص الترجمة الذاتية ، ومثله في ذلك دافيد كوبرفيلد ؛ والقصة غير ترجمة الحياة .

د — أحاديث الاثنين : حكايات الاثنين لأنها بالفرنسية Contes du Lundi

هـ — لدوده مؤلفات أخرى يحسن ذكرها منها Tartaran de Tarascon

(١٨٩) ص ٨٢٢ « دون جوان : تنطق بالاسبانية دون هوان .

الصحيح : دون خوان .

(١٩٠) ص ٨٢٤ « دوهامل ، جورج ... أشهر أبطاله « سالافان » في « مجموعة سالفان » .

الصحيح : في مجموعة (أو سلسلة) « حياة سالافان ومغامراته » وقد ترجمت منها « صديقان » . دمشق . دار اليقظة ، ترجمها ابراهيم الحلو .

(١٩١) ص ٨٢٤ « دي بلاي ... شاعر فرنسي من شعراء الپلاياد ... » .

الصحيح : شعراء البليّاد La Pléiad ، ويحسن أن يقال شعراء الثريا أو أن تفسر كلمة البليّاد بالثريا . أما اسم الشاعر فيلفظ دي بلّه .

(١٩٢) ص ٨٢٥ « دي جويه ، ميخائيل جان ١٨٣٦ — ١٩٠٩ مستشرق هولندي ... نشر « المكتبة الجغرافية » التي ضمت عدداً من أهم النصوص للجغرافيين العرب : مسالك الممالك للاصطخري ، وأحسن التقاسيم للمقدسي والمسالك والممالك لابن حزداذبة ... ومن بين دراســــاته « مذكرة عن قرامطة البحرين ... » .

أ — دي جويه : يرد على دخويه .

ب — أهم النصوص : أهم الكتب (أو الآثار) .

جـ — ابن حزداذبه : ابن خرداذبه (وترد على حرداذبه) .

د — مذكرة عن قرامطة البحرين : « قرامطة البحرين » أو « بحث في قرامطة البحرين » لأن كلمة مذكرة بمعنى بحث غير معروفة لدينا .

(١٩٣) ص ٨٢٥ « دي ساسي ، انطوان سلفستر ... » منح لقب عميد جامعة باريس .

الصحيح : لقب رئيس [أو مدير] جامعة پاريس — والعميد كما هو معروف مدير الكلية .

(١٩٤) ص ٨٢٥ « دسلان ... من آثاره نشر ... تاريخ ابن خلدون ، والمغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب لأبي عبيد البكري ... » .

أ — لم ينشر دسلان تاريخ ابن خلدون وإنما نشر منه القسم الخاص بالمغرب — تحقيقاً وترجمة .

ب — ليس المغرب ... للبكري كتاباً قائماً بنفسه وإنما هو قطعة من كتاب ضخم للبكري اسمه : « المسالك والممالك » .

(١٩٥) ص ٨٢٧ « ديار بكر : مدينة ق تركيا الوسطى على نهر دجلة ... » والملاحظ ان الموسوعة لم تشر إلى العرب فيها قديماً وحديثاً .

(١٩٦) ص ٨٣٤ « ديك الجن ... كان أحد الشعراء الذين تخرج أبو تمام على شعرهم » .

أ — لا دلالة تذكر لهذا القول ، وهو جدير بالتمحيص والتدقيق (١) !

ب — ديوان ديك الجن مفقود . وقد جمع شعره عبد المعين الملّوحي ومحي الدين الدرويش من مظانه وطبعاه في حمص باسم « ديوان ديك الجن الحمصي » — ومن المفيد أن نذكر أن جمعاً آخر صدر ببيروت عن دار الثقافة بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري .

(١٩٧) ص ٨٣٤ « ديكارت ، رينيه ... فيلسوف فرنسي وعالم رياضي ... » . لم تذكر الموسوعة آثاره — ومنها غير الطريقة — تأملات ، مقالات فلسفية ...

(١٩٨) ص ٨٣٩ « دينار لفظ أخذ من اللفظ اليوناني اللاتيني ديناريوس اوريوس أطلق على وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب ... » .

---

(١) تروي كتب الأدب أن أبا تمام زار ديك الجن في داره وهو حدث وأن ديك الجن أعطاه مجموعة من شعره لينتفع بها . « يراجع شعراء الشام لخليل مردم بك » ، والجزء الأول من وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٣٦٨ . (المجلة)

لم تذكر الموسوعة أن الفلة قائمة الآن فتطلق في العراق والأردن على وحدة ورقية ، كما أنها مستعملة في إيران وتطلق على وحدة صغيرة جداً . وفي القواميس ان أصل لفظة دينار لاتيني .

(١٩٩) ص ٨٤٠ « الدينوري ، أبو حنيفة أحمد ... فقيه ولغوي عربي مؤرخ وصل إلينا من مؤلفاته « الأخبار الطوال » الذي ذكر فيه أخباراً مفصلة عن فتح العراق على يد العرب وأسهب في وصف معركة القادسية ، طبع بليدن ١٨٨٨ » .

أ — ماذا تعني كلمة عربي محشورة هكذا « فقيه ولغوي عربي مؤرخ » ؟

ب — لم تشر الموسوعة إلى مكانة الدينوري في علم الحساب والهيئة والرصد وهي تعدل مكانته في الفقه إن لم تزد .

جـ — لا بد من النص — إذا كان لا بد من الحديث عن كتابه التاريخي الذي وصل إلينا — على أن « الأخبار الطوال » تعني « الأخبار القصار » ولا أدل على ذلك من أنه حوى تاريخ البشرية من آدم أبي البشر الى المعتصم العباسي في أقل من ٤٠٠ صفحه » وجاء في مقدمته انه « مختصر من السير ومقتصر عن الإطالة » .

د — إن كلمتي « مفصلة » و « أسهب » الواردتين في حديث الموسوعة عن الكتاب مضللتان ، إذ ليس في الكتاب كله شيء من مدلولها وحسبك ان كل ما جاء عن فتح العراق والقادسية يقل عن ست عشرة صفحة . ولا أدري لم اختارت الموسوعة هذين الموضوعين ولديها — إذا كان لابد — ما هو أطول منها ، فقد زادت وقعة صفين وحدها على الـ (٢٠) صفحة .

هـ — ان قول الموسوعة : طبع في ليدن ١٨٨٨ يوهم القارئ بأنه لم يطبع غير هذه الطبعة ، وكان الأجدر أن تقول : طبع أول مرة في ليدن ١٨٨٨ لأن الكتاب طبع أكثر من مرة ، آخرها سنة ١٩٦٠ عن وزارة الثقافة والإرشاد بالقاهرة .

حرف الذال

(٢٠٠) ص ٨٤٦ « الذهبي ، محمد بن أحمد ... تصانيفه كثيرة منها ... تاريخ الإسلام ، وسير النبلاء ، والكاشف في تراجم رجال الحديث » .

أ — تاريخ الإسلام - خ .

ب — سير النبلاء طبع منه ثلاثة أجزاء بالقاهرة بعنوان « سير أعلام النبلاء ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٢ .

ج — الكاشف في تراجم رجال الحديث : الكاشف في معرفة أسماء الرجال .

د — لم تذكر الموسوعة للذهبي كتباً أخرى مهمة مطبوعة منها : « ميزان الاعتدال ، المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ... ابن الدبيثي ، العبر ... »

(٢٠١) ص ٨٤٧ « ذو الرُّمَّة ، غيلان ... شاعر ولد بالدهناء ببادية اليمامة ، مات بها أو بأصبهان أو البصرة ... » .

لا معنى لهذه الأسماء المتباعدة لمكان الوفاة ولا سيما لقارئ موسوعة ميسرة ، ولذا كان مناسباً أن يقال : مات بالبادية (وقيل في غيرها) — اذا كان لا بد من الاحتياط . أما ذكر اصبهان فغريب في بابه .

وقد أكدت المصادر مكان وفاته فقال ابن قتيبة : « لما حضرته الوفاة بالبادية ... » ، وجاء في الأغاني « توفي وهو خارج الى هشام بن عبد الملك ودفن بحزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعـــره ... » وجاء : « فأنت اذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدو على مسيرة ثلاث » وجاء : « قبر ذي الرمة بأطراف عناق وسط الدهناء مقابل الأواعس ... » .

وهذا كلام لا يدع مجالاً للبصرة فضلاً عن اصبهان ...

حرف الراء

(٢٠٢) ص ٨٤٩ « رابليه ... من كبار الكتاب الفرنسيين ... » .

الصحيح أن يلفظ : رابلِه لأنه Rabelais .

(٢٠٣) ص ٨٥٤ « راسين مؤلف مسرحي فرنسي ... نظم « اندروماخا » ... ترك ... عدداً كبيراً من المسرحيات ... : برتنيس ... وفيدر ... ترجمت اندروماخا إلى العربية ... » .

أ — اندروماخا : اندروماك لأنها Andromaque .

ب — برتنيس : بەرەنيس Bérénice .

ج — ترجمت أندروماخا ... : ترجمت اندروماك (ترجمها طه حسين بهذا العنوان الصحيح) .

(٢٠٤) ص ٨٥٥ « الرافعي مصطفى صادق ... بدأ حياته الأدبية ... فأخرج عدة دواوين ظهر أولها سنة ١٩٠٢ ... » .

لم يخرج الرافعي عدة دواوين ظهر أولها سنه ١٩٠٢ ، إنما أخرج ديواناً في ثلاثة أجزاء صدر الأول (بعد ديوان حافظ) سنة ١٩٠٣ ، والثاني سنة ١٩٠٤ ، والثالث ١٩٠٦ .

وصدر له في سنة ١٩٠٨ الجزء الأول من ديوان النظرات .

(٢٠٥) ص ٨٦١ « ربات الرشاقة : في أساطير اليونان : تسع ربات كانت كل منهن ترعى فناً من الفنون ... » .

أ — المقصود بربات الرشاقة ما يقابل لدى الفرنسيين Les Muses والترجمة غير موفقة ، أصح منها : ربات الفنون ، أو الملهات .

ب — قد يكون الأصح أن ينسب كونهن تسعاً أو واحدة لكل فن بعينه ، إلى الرومان — وهن لديهم بنات زيوس Zeus .

(٢٠٦) ص ٨٦٥ « ردريق ... آخر ملك قوطي غربي اسبانيا ... هزمه طارق ٧١١ على شواطئ بحيرة جاندا قرب مدينة صيدونيا ، في معركة عرفت فيما بعد بمعركة كوادليت ، بناء على قراءة خاطئة للتواريخ العربية ... » .

من الملاحظات على هذا : أ — ردريق تسمية لا غربية ولا شرقية ، لأنها في الغرب ردريك أو رودريك (أو رودريكو أو رودريجو ...) ، أما لدى العرب فهي لذريق (وقد تأتي على رذريق ... وحتى على : الأدرينوق) ولكنها لم تكن على أي حال كما أوردتها الموسوعة .

ب — بحيرة جاندا : بحيرة لاخاندا Lajanda وقد تترجم ببحيرة الخندق .

ج — صيدونيا : Sidonia ويكتبها المختصون بالأندلس شدونة (أوشذونه) .

د — « في معركة عرفت فيما بعد بمعركة كوادليت بناء على قراءة خاطئة للتواريخ العربية » . هنا يسأل القارئ من عرف المعركة فيما بعد بهـذا الاسم ؟ ماذا كان اسمها لدى العرب ؟ كيف حُرّفت ؟ .

ولا بد من الملاحظة أن الموسوعة كتبت القراءة الخاطئة خطأ ، لأن نهجها أن يكتب الحرف G = ج على الطريقة المصرية ، أما هنا فقد كتبته كافاً ذلك ان الاسم الاسباني للمعركة هو Guadalette ، ولذا وجب على الموسوعة أن تقول : جواداليت .

أما اسمها لدى العرب فكان بكّه ، وحرفه بعضهم إلى لكّه أو وادي لكّة ، ويقول المختصون بالأندلس ـ فيما يقولون : « قد أساء الراوية الاسباني رودريجو درادا نقل هـــذا اللفظ فنقله إلى ليتَه ووادي ليته ، ومن هنا نشأت هذه التسمية الخاطئة التي سيقع فيها كل المؤرخين الاسبان بعده فسموا هذا الموضع الذي دارت عنده المعركة الحاسمة بين العرب والاسبان جواداليت Guadalette ـ ينظر الدكتور حسين مؤنس ـ فجر الأندلس ص ٧١ » .

(٢٠٧) ص ٨٧٠ « الرصافة : مدينة ببادية تدمر بسورية ، سميت قديماً : سرجيوبوليس ، نسبة إلى القديس سرجيوس الذي استشهد فيها (٣٣٢) ... توفي ودفن بها الخليفة هشام بن عبد الملك ، ومن ثمّ سميت رصافة هشام » .

لا ندري سبباً لاختيار هذه الرصافة دون غيرها ، مع أن الرصافات كثيرة ، وفيها ما هو أشهر أو أهم . والمرء أن يرجع إلى ياقوت ليرى :

رصافة أبي العباس بالأنبار ... رصافة البصرة ، رصافة بغداد بالجانب الشرقي (لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي [من دجلة] واستتم بناءها أمر ابنه المهدي أن يعسكر في الجانب الشرقي وأن يبني فيها دوراً وجعلها معسكراً له فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور . .) رصافة الحجاز ... رصافة الشام (في مواضع كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقّة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها في الصيف ؛ كذا ذكر بعضهم ... وانها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير) ، رصافة قرطبة ، رصافة الكوفة ، رصافة نيسابور ، رصافة واسط .

إذا كان لا بد من الاختيار بين هذه الرصافات الكثيرة ، كانت رصافة بغداد (وما زال الاسم قائماً) أجدر مما سواها ، ولا يغني الاختيار عن الإشارة إلى أن هناك أكثر من رصافة .

(٢٠٨) ص ٨٧٠ « الرصافي ، معروف ١٨٧٧ — ١٩٤٥ .. اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، فنظم أناشيدها ، وكان من خطبائها ... » .

أ — أول ما يذهب ظن قارىء الموسوعة إلى أن « الرصافي » نسبة إلى الرصافة التي تحدثت عنها الموسوعة قبل الرصافي ، لأنه لم يجد في متناول يده غير رصافة هشام ؛ وإلا فلم هذه النسبة ؟

يُذكر أن في الكرخ من بغداد قبر علم من أعلام الصوفية : معروف الكرخي ، فلما كان معروف الشاعر يدرس على محمود شكري الآلوسي لقبه بمعروف الرصافي تشجيعاً ...

ب — لم يشترك الرصافي في ثورة رشيد عالي الكيلاني، ولم يكن في بغداد ابّانها ، وإنما أيّدها وهو في « الفلوجة » . ومن مظاهر تأييده أن نظم فيها قصيدة مطلعها :

اليوم قرّي يا مواطن أعينا وتطرّبي بالحمد منك الألسنا

وأن رثى من أعدم من رجالها – بعد خيبتها – بأبيات أولها :

أيها الأنجم التي قد رأينا عبراً في أفولها كالشموس

(ينظر الحسني ، الأسرار الخفية ط . ١٩٥٨)

ومعلوم أن تأييد الثورة غير الاشتراك فيها .

جـ — لم ينظم الرصافي نشيداً في ثورة عالي الكيلاني (لو كان لها نشيد) .

د — ولم يكن من خطبائها (لو كان لها خطباء) .

(٢٠٩) ص ٨٨٣ « الرواية نوع من القصص ... استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في انجلترا في القرن ١٦ ... ، في القرن ١٧ « لا ستريه » لاونوريه دوفيه ... والروايات التي كتبتها مدموازيل دى سيكيوديري . أما أشهر الروايات في الأدب الفرنسي في القرن ١٨ فقد كانت تلك الرواية التي كتبها روسو بعنوان « الواز الجديدة ... » .

أ — قول الموسوعة « الرواية ... استخدمت هذه الكلمة ... » أية كلمة ؟ انها ليست الرواية بحروفها العربية – كما يقتضي السياق – راء ، واو الخ ؟ فهذا غير معقول . وإذاً فلا بد من أن نرجع إلى الأصل – إذا كان ذلك ممكناً – لنرى حروف الكلمة المقصودة ، وحينئذ نجد كلمة مثل (Novel) أو (Roman) [1] .

ب — صحيح لفظ « لاستريه » لاونوريه دوفيه : لا سترَ [د] لأنورَ [ه] دورفَ [ه] ، لأنها : L'Astrée d'Honoré d'Urfé

جـ — صحيح لفظ سيكيوديري [2] : سكُدرى لأنها : Scudéry

د — الواز الجديدة : ألوئيز [3] الجديدة La Nouvelle Héloïse

---

(١) نجد في معجم « لاروس » الفرنسي أن كلمة Nouvelle (تكتب هكذا بالفرنسية) ومعناها حكاية نثرية أقصر وأدق من القصة (Roman) . (المجلة)

(٢) اللفظ الصحيح فرنسياً هو : سكودەري . (المجلة)

(٣) اللفظ الصحيح فرنسياً : (ايلويز)) ولا تقرأ الهمزة . (المجلة)

هـ ـ عندما تحدثت الموسوعة عن القصة العربية الحديثة اقتصرت على القصاصين المصريين ، ولم تشر ـ أية إشارة ـ إلى أن الأقطار العربية الأخرى زاولت القصة ...

و ـ ان في تاريخ الثقافة العربية مدلولاً خاصاً لكلمة « رواية » بحروفها هذه وهو مصطلح علمي جدير أن تخصص له أسطر في (موسوعة ميسرة) ولكن الموسوعة مضت كأن لم تكن للعرب رواية الشعر ورواية اللغة ورواية الحديث ..

(٢١٠) ص ٨٩٤ « روسو ١٧١٢ ـ ١٧٧٨ ... أتم قصة ألواز الجديدة ١٧٦١ ... ثم ... في رحلة إلى انجلترا وهناك بدأ كتابة « الاعترافات » ... » .

أ ـ ألواز : الوئيز Heloïse .

ب ـ لا يكون الحديث عن بدء كتابة الاعترافات على هذه السهولة ، لأنه من الأمور الشائكة المعقدة ، ويبدو أن خير ما يمكن أن يقال في الموضوع أن روسو بدأ مسودة لقسم من اعترافاته قبل أن يسافر إلى انجلترا ، حتى إذا كان فيها طلب هذه المسودة وأعاد النظر وأضاف ..

جـ ـ لم تنص الموسوعة على أن آثاراً لروسو ترجمت إلى العربية ، كما هو واجب ، وكما تفعل أحياناً (ينظر دكنز) ، والحقيقة ان الذي ترجم لروسو جدير بالذكر . ومن ذلك : العقد الاجتماعي (ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤) ، أصل التفاوت بين الناس (... زعيتر ...) ، إقرار الإيمان (ترجمة جودت عثمان والسلكاوي ـ القاهرة دار المعارف) ، اميل (ترجمة الدكتور نظمي لوقا ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨) ، الاعترافات (ترجمة محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ونشر قبل ذلك في « كتابي » على ثلاثة أجزاء) .

(٢١١) ص ٨٩٧ ـ ٨ « رومان رولان ١٨٦٦ ـ ١٩٤٤ ، كاتب مسرحي وروائي فرنسي ... ألف قصة في عشرة أجزاء عنوانها « جان كريستوف » ١٩١٢ (ترجمت إلى العربية) .

أ — ... في عشرة أجزاء : الأصح أن يقال في عشرة أقسام (الفجر ، الصباح ، الراهقة ...) ، أما مسألة الأجزاء فهي قلقة غامضة لأن القصة نشرت ـ أوّل ما نشرت ـ متسلسلة في ١٢ كراسة من « الدفاتر نصف الشهرية » التي كان يصدرها المؤلف ... ثم طبعت في عشرة مجلدات ... ثم في مجلد واحد .

ب — لم تترجم قصة جان كريستوف المذكورة إلى العربية .

ج — مما ترجم إلى العربية من آثار رومان رولان : حب وحرب (ترجمها فؤاد أيوب ، دمشق ، دار اليقظة ١٩٥٣ ، وأصل عنوانها بالفرنسية بيير ولوس Pierre et Luce وقد أشار إلى ذلك المترجم) ، سيأتي الوقت (مسرحية ترجمها حمدي غيث ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد) .

انطوانيت (ترجمة رءوف كامل ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ١٩٥٤) بيتهوفن (ترجمة فؤاد أيوب ، دمشق ، دار اليقظة) .

(٢١٢) ص ٩٠٠ « رومان ، جول ... روائي فرنسي ... من مسرحياته المشهورة « الدكتور نوك » أو « انتصار الطب » ١٩٢٣ ... » .

الصحيح : كنوك Knock ، ومن غير « الدكتور » ـ وهي مترجمة إلى العربية بالقاهرة .

(٢١٣) ص ٩٠٥ « الرياض سكانها ١٢٠ ألف نسمة ... تبعد عن الخليج العربي بنحو ٣٧٠ كم ... »

أ — ان نفوس الرياض أكثر من هذا الرقم ، فقد بلغت حسب الإحصاء الرسمي لعام ١٩٦٢ (١٦٠) ألف ولا بد من أنها كانت في حدود ربع المليون لدى تاريخ الموسوعة العربية الميسرة .

ب — تبعد الخليج بـ ٥٠٠ كم (أو أكثر) .

(٢١٤) ص ٩٠٥ « ريال ... الكلمة مقتبسة من الريال الاسبانية بمعنى الملكي ... ريال يمني ... » .

لم تذكر الموسوعة الريال السعودي ... والريال الإيراني .. والبرتغالي ... وريال الأقطار اللاتينية .

(٢١٥) ص ٩٠٩ « الريحاني ، أمين ... من كتبه : زنبقة الفور ... »
الصحيح : زنبقة الغور .

(٢١٦) ص ٩١٠ « الريسولي ، أحمد بن محمد ١٨٥٧ ؟ — ١٩٢٥ زعيم مغربي دعا إلى ثورة عامة ضد الفرنسيين وحكومة المغرب واستفحل أمره في جبال بني عروس » .

أ — الريسولي : الريسوني . يقول الزركلي في الأعلام ١ : ٢٣٧ « يسميه الفرنج الريسولي أو الرسولي باللام ويدعوه رجاله الشريف الريسوني » .

ب — ١٨٥٧ ؟ ١٨٥٤ ؟ ينظر الزركلي .

ج — استفحل أمره : تعبير يلمح إلى الحط من شأن من يعود الضمير عليه والأولى فيه أن يصدر عن فرنسي في ثائر مغربي عربي .

د — بني عروس : بني عَرُّوس (بتشديد الراء المضمومة) .

حرف الزاي

(٢١٧) ص ٩٢٣ « الزركلي ، خير الدين ١٨٩٣ - كاتب ومؤرخ ... وأهم مصنفاته : الأعلام في عشرة مجلدات (١٩٢٧ ، ١٩٥٩) ... »

التاريخان يشيران إلى طبعتي كتاب « الأعلام » ، ومجموع الخبر يدل قارئ الموسوعة على أن الطبعتين كانتا في عشرة مجلدات ، وهذا غير صحيح ، لأن الطبعة الأولى كانت في ثلاثة مجلدات .

هذا إلى أن عام ١٩٥٩ ليس تاريخاً دقيقاً للطبعة الثانية ، إنما هو تاريخ الانتهاء من الطبع ، أما الابتداء فكان عام ١٩٥٤ .

(٢١٨) ص ٩٢٤ « زفر ، ابن الهزيل ... من أقدم أصحاب أبي حنيفة وأدقهم قياساً » .

الصحيح : ابن الهذيل – ومن المفيد أن نذكر ما رواه ابن قطلوبغا في « تاج التراجم » من أن أبا حنيفة « كان يفضله ويقول هو أقيس أصحابي » .

(٢١٩) ص ٩٢٦ « الزمخشري ، محمود بن عمر ... لغوي ومتكلم ومفسر ولد بزمخشر في خوارزم ، ... ورغم فارسيته أحب العربية وكتب فيها وتبحر في نحوها وصرفها ، واستن سنة جديدة في وضع المعاجم اللغوية تلتزم الترتيب الأبجدي التزاماً كلياً ، وأخذ بمذهب الاعتزال ... ومن مؤلفاته : القسطاس . له ديوانا شعر ، ونثر ...

أ – لا داعي للعجب إذا أحب الزمخشري العربية ... فلم يكن الأول في ذلك ولم تكن الظاهرة بالنادرة ، بل انها في تاريخ حب اللغة العربية ... بديهة وقاعدة ، وأن عصر الزمخشري متأخر كثيراً عن بدء تاريخ الحب .

ب – السُّنة ليست جديدة تمام الجدّة ، فقد رأيناها مثلاً لدى ابن فارس ولكن المهم فيها أن التزم الترتيب الهجائي – أجل الهجائي وليس الأبجدي – في كل كلمات المعجم دون أن يقسمه إلى مجاميع يلتزم الترتيب الكلي في كل مجموعة من كل حرف .

جـ – كان الواجب أن يذكر كتابه « أساس البلاغة » بعد « التزاماً » كلياً لأن القارئ يريد أن يعرف أين كان الالتزام وما اسم المعجم ؟ .

د – القسطاس – خ ، كتاب ثانوي بين كتب الزمخشري ، وبين كتب الفن الذي يتناوله ، لأنه في العروض من مؤلفات القرن السادس .

هـ – له ديوانا شعر ، ونثر : له ديوان رسائل ، وديوان شعر – ولا قيمة تذكر لهذين الكتابين .

وإذا كان لا بد من ذكر هـــذه الكتب الثلاثة ، فلا يعني ذلك إهمال « الفائق » في الحديث – ط .

(٢٢٠) ص ٩٢٩ « زنديق : معرّب عن الفارسية ، أطلقه الفرس قديماً على الخارج على دين الدولة ، ببدع معينة ، أهمها القول بأزلية العالم ... »

لم تذكر الموسوعة ما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية من « أن الزنديق عند أتباع مزدك هو الملحد الذي يأتي بتفسير جديد للأفستا ... » وهو أمر مهم لدى الكلام على الزندقة .

(٢٢١) ص ٩٢٩ - ٩٣٠ « الزهاوي ١٨٦٣ — ١٩٣٦ كان عضواً في مجلس الأعيان العراقي إلى أن توفي ... له عدة دواوين : ديوان الزهاوي ، الكلم المنظوم والشذرات وغيرها ... »

أ — لم يكن الزهاوي عضواً في مجلس الأعيان إلى أن توفي ، إنما كان فيه لمدة محدودة هي أربع سنوات (١٩٢٥ — ١٩٢٩) .

ب — الشذرات . قال عنها رفائيل بطي في كتابه « الأدب العصري في العراق » ١ : ١٤ « مجموعة تتضمن مختارات دواوين الزهاوي كلها - على وشك الطبع - وكان تاريخ طبع الأدب العصري عام ١٩٢٣ ، ويبدو أنها لم تطبع ولم تر النور - باسم الشذرات في الأقل .

ج — من دواوينه الأخرى : اللباب ، الأوشال ، الثمالة ، النزغات .

(٢٢٢) ص ٩٣١ « زهير بن أبي سلمى ... كان أبوه وخال أبيه بشامة بن الغدير وزوج أمه أوس بن حجر شعراء ... بلغ من الإجادة درجة جعلت النقاد ينسبون مدرسة « عبيد الشعر » إليه ويعدونه مؤسسها الأول ، ويعدونه أحد الجاهليين الثلاثة المقدمين على غيرهم ، ويقدمه بعضهم على زميليه أيضاً » .

أ — خال أبيه بشامة : المعروف المشهور - الأصح - أن بشامة خال زهير . قال ابن سلام ط . دار المعارف ص ٥٦٣ زهير ابن أخت بشامة بن الغدير . وينظر الأغاني ط . دار الكتب ١٠ : ٣٠٩ ، ٣١٢ .

ب ــ كلمة « مدرسة » حديثة جداً ، وقد تنسجم لو كان النقاد معاصرين لنا ، ولكنها تعني القدماء قبل أن تعني هؤلاء المعاصرين .

ج ــ « يهملون مؤسسها الأول » عبارة لا تعني شيئاً لقارئ موسوعة . فمن المؤسس الأول ؟ وإذاً ، وجب ذكر اسمه صريحاً : أوس بن حجر . علماً أن الإهمال ليس قاعدة .

د ــ « يعدونه أحد الثلاثة .. ويقدمه بعضهم على زميليه » جملة أخرى غير موسوعية . فمن الثلاثة ؟ ومن زميلاه ؟ لذا وجب على كاتب المادة ان يذكر الإسمين صريحين ، وهما : امرؤ القيس والنابغة .

(٢٢٣) ص ٩٣٣ « زولا ، أميل ١٨٤٠ ــ ١٩٠٢ روائي فرنسي ... بين قصصه العديدة قصة أسرة « روجون ماكار ، ١٨٩٣ ... ورباعية « الخصوبة » ١٨٩٩ والعمل ١٩٠١ والحقيقة ١٩٠٣ ولم يكمل الرباعية » .

أ ــ « روجون ماكار ١٨٩٣ » ليست قصة كما يفهم من كلام الموسوعة ، فليس لزولا قصة تحمل هذا العنوان ، إنها سلسلة من عشرين قصة طويلة أراد أن يؤلف بها « التاريخ الطبيعي والاجتماعي لعائلة في عهد الامبراطورية الثانية » وروجون ماكار هو اسم هــــذه العائلة ، واقد بلغ عدد شخوص السلسلة حوالي الـ ١٢٠٠ ومن هنا حسن أن تترجم بآل روجون ماكار ، وهي بالفرنسية : Les Rougon Macquart .

وقد يوهم العام ١٨٩٣ الذي وضعته الموسوعة إزاء الاسم انه عام تأليف القصة ، وهذا غير صحيح ، لأن تأليف السلسلة ونشر حلقاتهـــا استغرق اثنتين وعشرين سنة ، فقد بدأها زولا سنه ١٨٧١ وهو في الحادية والثلاثين وانتهى منها عام ١٨٩٣ وهو في الثالثة والخمسين .

أتسمي هذه قصة بين قصص ؟

ب — « رباعية الخصوبة .. والعمل .. والحقيقة ... » ليس هذا اسماً للرباعية ، ان اسمها كما أراده لها المؤلف « الأناجيل الأربعة » ، وقصد بها إلى القوى الأربع التي تجدد البشرية وتقودها إلى السعادة ، وقد توفي قبل أن يتم القصة الرابعة : العدالة .

ومما يذكر أن المراد بالخصوبة ـ إذا أبقينا على ترجمة الموسوعة ـ الخصوبة في النسل ، أي كثرة النسل .

(٢٢٤) ص ٩٣٤ « الزيات ، محمد بن عبد الملك ... له شعر في فنون الشعر التقليدية ... » .

ولم تذكر الموسوعة أن له ديوانا (طبع عام ١٩٤٩) .

الدكتور علي جواد الطاهر

مجتمع الهمذاني
من خلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ١ —

ما زلت أذكر يوم كنا طلاباً في كلية الآداب بجامعة دمشق وكان أستاذنا الكبير شفيق جبري يلفت انتباهنا في كل مناسبة إلى مظاهر الحياة الاجتماعية في النصوص الأدبية ، ويطلب إلينا أن نقف عند ألفاظ أو تعبيرات تدل على جوانب من حياة القوم لنتعرّف الى ما اتخذوه من مأكل أو ملبس ، وما عقدوا عليه مجالسهم من جدّ أو هزل .

كنا من قبل نقرأ في كتب الأدب فلا نقف عند كثير مما ينبغي للقارىء أن يقف عنده ، فكان ـ حفظه الله ـ يطلب إلينا أن نقف ونستشف ما وراء الألفاظ من مظاهر حياة القوم . ثم كانت دراسة الأستاذ جبري لكتاب (الأغاني) خطوة قيمة في هذا الباب .

ولست أنسى يوم كلفني أن أدرس أبواباً من (العقد الفريد) وأن أسلك في دراستي مسلكه في دراسة الأغاني . ثم كان تشجيعه لي حافزاً دفع بي إلى المضيّ في هذا النوع من الدراسة حتى كان هذا البحث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في مقامات الهمذاني . وهو بحث كتبته منذ زمن ، ثم حالت ظروف وشواغل بيني وبين إتمامه . وظهر الجزء الثالث من المجلد الثاني والأربعين من مجلة المجمع فإذا فيه « بيت القهوة » للأستاذ شفيق جبري ، وهو مقال

في المسلك الاجتماعي الذي كان قد لفتنا إليه في دراسة النصوص الأدبية ، فكان مقاله منبهة جديدة لي على إعادة النظر وإتمام البحث الذي أقدمه اليوم معترفاً لأستاذي الكبير بفضله أولاً وأخيراً .

مدخل البحث :

من الناس من يقرأ الأدب على أنه غذاء روحيّ يثقف ويفيد ، ومنهم من ينظر إليه على أنه فن جميل يغذي الخيال ويرهف الإحساس ، ومنهم من يقبل عليه على أنه متعة تسلّي وتبهج .

والحق أن الأدب ، إلى جانب كونه غذاء للروح ينعشها ، وفناً للذوق يرهفه ، ومتعة للنفس يبهجها ، قد يكون صورة تصوّر بعض جوانب المجتمع الذي وضعت فيه . ولسنا نعني بذلك أن الأدب – في كل عصر من العصور – صورة لعصره ، بل إنه إذا كان كذلك فإن من المرايا ما هو مقعّر وما هو محدّب ، ومنها ما هو غير مستوٍ على كل حال ؛ إن منها ما يقلب الحقيقة ويغيّرها بتصغيرها أو تضخيمها أو تشويهها . والجيد منها وحده هو القادر على أن يعطيك صورة الواقع بدون زيف ولا تحريف .

والأدب يستطيع إلى حدٍ ما أن يصوّر لنا جانباً أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية التي نشأ في ظلها ، ويختلف وضوح هذه الصورة وصدقها باختلاف الظروف والأحوال ؛ ونرى أنه كلما كان الأدب أبعد عن قصور الملوك وتصوير حياتهم ، وأقرب من الشعب وتصوير حياته ، كان أبعد عن الكذب والرياء وأقرب إلى الصدق والواقع ، وأن الأدب الوصفيّ خير أنواع الأدب التي نطلّ منها على الحياة الاجتماعية ، لأنه أدب لا تشوبه الأغراض الخاصة والغايات الدنيا ؛ كالتكسّب أو التزلّف ، والتقرّب أو التكلّف ، هذه التي

تشوب أكثر الموضوعات الأدبية الأخرى فتفسد فيها صدق العاطفة وأمانة التصوير وحرّية التعبير .

إن في استطاعة الأدب ـ حين يريد وتتهيأ له الظروف ـ أن يقدّم لنا صورة من الصور الكثيرة التي تتراءى فيها المجتمعات وتعيش فيها الشعوب .

موضوعنا :

والمجتمع الذي نحاول في هذا البحث استخراج صورة له من خلال الأدب ، هو المجتمع الذي عاش فيه بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ هـ — ٣٩٨ هـ) . والأدب الذي سنطلّ من خلاله على ذلك المجتمع هو المقامات الهمذانية . تلك المقامات التي نظر إليها الناس على أنها ثروة لفظية ، أو على أنها فنّ من فنون الأدب كثرت فيه الزينة والصنعة ، أو على أنها قصص أو حكايات فيها تسلية ومتعة ، ولم ينظروا إليها على أن من ورائها حياة تصورها ، وعلى أنها إلى جانب كونها كنزاً لفظياً ، وأدباً ممتعاً ، وحكايات فكهة ، صورة لجوانب مختلفة من المجتمع الذي أنشئت فيه : إنها تأخذ بأيدينا الى الماضي وتقفنا على فترة من فترات الحياة التي عاشها أسلافنا ، وتذيع علينا الكثير من أسرارهم ومما ضنّ به تاريخهم . وأي تاريخ يصوّر لنا حياة القوم في مجالسهم العاديّة ، وفي هزلهم ومجونهم ، وما يدور بينهم في دورهم وأنديتهم ؟ بل أي تاريخ يدخل بنا حماماتهم وحاناتهم ويعرض علينا نماذج من طعامهم ولباسهم ؟

إن بديع الزمان يقوم بكل ذلك كما سنرى ، وإن إعجابنا به ليزداد إذا علمنا أنه لم يكتب ما كتبه في هذه المقامات للغرض الذي ندرسها من أجله ، وإنما كان غرضه منها أن يفيد المتعلّمين ، ويحبّب إليهم اللغة ويغريهم بحفظ مفرداتها ، وأن عنايته فيها كانت منصرفة الى المبنى وتزيينه ، والى الأسلوب وتحسينه ، لا إلى المعنى وتبيينه ولا إلى المجتمع وتصويره .

فصول البحث :

وسيكون بحثنا هذا في أربعة فصول : يتناول الأول منها حياة بديع الزمان ، وخاصة ما يتصل منها ببحثنا . ويتناول الثاني مقامات الهمذاني وموضوعاتها خاصة ، وأدبه بصورة عامة . ويبحث الفصل الثالث في الحياة الاجتماعية من خلال المقامات ، وسنصرف جهدنا في هذا الفصل الى توضيح صورة المجتمع عن طريق لمّ أجزاء هذه الصورة التي تفرّقت في ثنايا المقامات ، وسنترك الموضوع نفسه ـ عن طريق الموازنة بأخبار التاريخ ـ أن يعيّن مدى وضوح هذه الصورة وصدقها وانطباقها على الصورة التاريخية لذلك المجتمع . وأما الفصل الرابع فسيكون خاتمة تبحث في قيمة هذه الصورة المستقاة من المقامات ، وتذكّر ببعض تراثنا الأدبي الذي حفظ لنا الكثير من صور مجتمعاته .



١ — الفصل الأول

من هو بديع الزمان ؟

موجز حياته : ولد أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد في « همذان » فنسب إليها ، ولقب ببديع الزمان ، وكني بأبي الفضل . وكانت ولادته سنة ٣٥٨ ه .

ولم تكن همذان ولا غيرها دار مقام لبديع الزمان ، لأنه كان دائم التنقل كثير الترحال ؛ فلقد قصد « هَراة » سنة ٣٨٠ ه وأقام فيها سنتين ، ثم غادرها إلى نيسابور ، وفيها بدأت مرحلة جديدة في حياة بديع الزمان ؛ إذ أنه اجتمع في نيسابور بأبي بكر الخُوارزْمي وناظره ، وكان لهذه المناظرة في شهرته أثر بعيد ، كما أنه في نيسابور أيضاً أملى مقاماته ، وإلى هذه المقامات يعود الفضل الأول في شهرته الأدبية .

وعاد الهمذاني بعد ذلك إلى « هراة » حيث أصهر إلى أحد أعيانها ، وصارت له فيها أسرة وضياع وأملاك ، وبقي فيها حتى وافاه أجله فمات سنة ٣٩٨ ه مسموماً أو بالسكتة القلبية ، وهو في الأربعين من عمره .

وروى ابن خلّكان عن الحاكم أنه لما مات الهمذاني عجّلوا بدفنه ، فأفاق في قبره ، وسُمع صوته بالليل ، ونبش عليه فإذا هو قابض على لحيته ميت من هول القبر (١) . وقد ترك وصية تدل على صدق إيمانه وحسن اعتقاده وبعده عن الزيغ وأهل البدع والأهواء (٢) .

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ٦٩ .

(٢) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ص : ٥٣٤ وما بعدها .

ونسبة « الهمذاني » دفعت بعض الناس إلى الظن أنه فارسي الأصل ، مع أنها نسبة إلى مكان ولادته ، أما نسبه فعربيّ مُضَريّ كما صرّح بذلك هو نفسه في إحدى رسائله إلى الفضل بن أحمد الاسفرائيني حيث قال : « اسمي أحمد ، وهمدان المولد ، وتغلب المورد ، ومُضَر المحتد » .

من اتصل بهم : وأشهر من اتصل بهم بديع الزمان من رجال عصره الصاحب بن عبّاد ، إذ ورد حضرته فتزوّد من ثمارها وحسن آثارها ،(١) وأبو الحسن أحمد بن فارس صاحب المجمل ، إذ أخذ الهمذاني عنه ، وروى عنه (٢) ، وكذلك روى عن عيسى بن هشام الإخباري (٣) .

واتصل بأبي سعيد محمد بن منصور فقرّبه وكرّمه . قال الثعالبي : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيّش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم ، واختص بأبي سعيد محمد بن منصور . . . الذي أعانه على حركته إلى نيسابور وأزاح علله في سفرته . (٤) » وقد ذكر ذلك أيضاً آدم متز وعلّله بأن بديع الزمان . . كان رجلاً يعرف دائماً أين تكمن القوى الكبرى والمال الأوفر . . » (٥)

واتصل الهمذاني بأحد أعيان « هَراة » وأثريائها وصاهره ، وهو أبو علي الحسين بن محمد الخشنامي الذي نعته الثعالبي بالفضل والكرم والأصالة ، ويبدو أنه كان غنياً ذا نفوذ ، وأنه كان لصهره بديع الزمان نصيب من غناه وكرمه فلقد أصبح بعد اتصاله به غنياً « وتعرّفت القرّة في عينيه والقوة في ظهره واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة وعاش عيشة راضية » .

---

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٥ .
(٢) وفيات الأعيان ١ : ٦٨ .
(٣) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .
(٤) يتيمة الدهر ٤ : ١٦٤ .
(٥) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢ : ٥٠ .

اتصاله بالخُوارِزْمي : والحادثة التي أطارت صيت الهمذاني ونشرت اسمه في الآفاق هي مناظرته لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، وكان ذلك في سنة ٣٨٣ هـ أي في السنة التي مات فيها الخوارزمي كما روى البيهقي (١) .

كان الخوارزمي شيخاً جليلاً ، وعالماً فاضلاً ذائع الصيت ، لقيه الهمذاني في نيسابور ولم يلبث أن حصل بينهما شيء من الجفاء انتهى إلى تجرّؤ البديع على مناظرة أبي بكر . وكانت هذه الجرأة وحدها كافية ليذيع اسم البديع ، فكيف إذا صحّ زعم قوم أن الغلبة كانت له أيضاً ؟

على أنه جدير بالباحث أن يتنبه إلى أن هذه المناظرة كانت بين رجل ذكروا أنه كان متعصباً لأهل الحديث والسنة (٢) ، وأن أخاه أبا الصفّار محمد ابن الحسين كان مفتي همذان ، وبين آخر ميّال إلى الشيعة ؛ فقد يكون لهذين الاتجاهين المذهبيين أثر في تغليب البديع ومناصرته . ثم إن الخوارزمي كان شديد التعصب لآل بويه ، وكان يغضّ من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه حتى حكم عليه من جراء ذلك بالسجن ، فسجن وأوشك على القتل (٣) » . ولئن صدقت أقوال الهمذاني في قصيدته التي قالها في مديح الصحابة وهجاء الخوارزمي والردّ على طعنه في الصحابة ... ، لئن صدقت لقد كان الخوارزمي من غلاة الشيعة . وهي – على كل حال – أرجوزة في غاية الإقذاع أثبتها ياقوت في أخبار بديع الزمان (٤) .

---

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٧٣ .

(٢) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .

(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٢٦ (ط محيي الدين ٤ : ٢٠٨) .

(٤) معجم الأدباء ٢ : ١٩٦ .

ومهما يكن من أمر هذه المناظرة فإنها كانت سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلوّ أمره ، إذ لم يكن في الحساب أن أحداً من العلماء ينبري لمساجلة الخوارزمي ، فلما تصدّى الهمذاني لمباراته ، وجرت بينهما مقامات ومبادهات ومناظرات ، وغلَّب قومٌ هذا ، وغلَّب آخرون ذاك ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وشاع ذكره في الأُفتّاق ، ودرّت له أخلاف الرزق ، فلما مات الخوارزمي خلا له الجوّ (١) . ولا يخفي الثعالبي أن قوماً من الوجوه أعانوا البديع على الخوارزمي ، فيقول في معرض حديثه عن أبي بكر : « ورُمي في آخر أيامه بحجر من الهمذاني الحافظ البديع ، وبلي بمساجلته ومناظرته ومناضلته ، وأعان الهمذاني الحافظ البديع عليه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاقى ما لم يكن في حسابه (٢) » .

وحق ما قاله الثعالبي ؛ فلقد بُلي الخوارزمي بمناظرة ما كان أغناه عنها وأزهده فيها ، وإن من يقرأ الرسائل المتبادلة بينه وبين البديع (٣) يشعر أن الهمذاني متربص يحثّ ويستفزّ ، وأبو بكر صلب القناة ، رحب الصدر ، أنِفٌ ؛ يريد إسكات خصمه دون استعطافه ، إنه شيخ العصر وعظيم أهل العلم يقول : « وإني لمشتاق إلى ظلّ

رجالٍ يوازنك المودّة جاهداً يعطي ويأخـــذ منك بالميزان
فإذا رأى رجحان حبّة خردلٍ مالت مودّته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضل ، فأصبحنا نقترح العدل ، وإلى الله المشتكى لا منه » . وكلام الخوارزمي في رسائله يلين ويخشن ، فهو يريد مودة الهمذاني

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٦ .
(٢) يتيمة الدهر ٤ : ١٢٧ .
(٣) هذه الرسائل سبع ؛ خمس منها صادرة عن الهمذاني وثنتان صدرتا عن الخوارزمي وهي بمجموعها في معجم الأدباء ٢ : ١٨٥ ــ ٢٠٢ .

لا مخاصمته ، ولكنه يعزّ عليه التصريح فيقول : « والشوق الذي ذكره سيدي ـ يعني الهمذاني ـ فعندي منه الكثير الكبير ، وعنده منه الصغير اليسير . وأكثرنا شوقاً أقلّنا عتاباً وألينا خطاباً . ولو أراد سيدي أن أصدّق دعواه في شوقه إليّ ليغض من حجم عتبه عليّ ، فإنما اللفظ زائد واللحظ وارد ، فإذا رق اللفظ دقّ اللحظ ، وإذا صدق الحب ضاق العتاب والعتب .

فبالخير لا بالشرّ فارجُ مودّتي وأي امرئ يُعتاد منه الترهّب

عتاب سيدي قبيح ولكنه حسن ، وكلامه لين ولكنه خشن ؛ أما قبحه فلأنه عاتب بريئاً ، ونسب إلى الاساءة ما (١) لم يكن مسيئاً ، وأما حسنه فلألفاظه الغرر ، ومعانيه التي هي كالدرر ، فهي كالدنيا ؛ ظاهرها يغرّ وباطنها يضرّ ، وكالمرعى على دمن الثرى ؛ منظره بهيّ ومخبره وبيّ ، ولو شاء سيدي نظم الحسن والإحسان ، وجمع بين صواب العقل واللسان » (٢) .

ونرى من خلال ما دار بينهما أن الهمذاني ذكيّ ، حاضر البديهة سريع الجواب ، وأنه ذو لباقة يعرف معها كيف يستميل القوم إليه على اختلاف أهوائهم ؛ إنه مثلاً يمدح آل البيت بقصيدة يستميل بها أحد الأشراف ممن حضر مجلس المناظرة ، ويلجأ إلى السخرية بخصمه بغية الحطّ من قيمته في أعين الناس .

ولن أتحدث هنا عن أدب الهمذاني ، فإن لذلك موضعه من البحث ، ولكنا نبادر إلى ذكر ما وصفوه به من ذكاء نادر وحافظة غريبة وروح مرحة ...

مذهبه : لقد كانت الفترة التي عاش فيها بديع الزمان فترة صراع عنيف بين الطوائف المختلفة وأتباع المذاهب المتعددة ، على نحو ما سنرى في الفصل الثالث من هذا البحث . وغير خاف أن جانباً كبيراً من هذا الصراع كان

---

(١) كذا في الأصل ولعلها : مَن .

(٢) معجم الأدباء ٢ : ١٩٣ .

بين المسلمين من سنة وشيعة ، وأن تطرّف إحدى الفئتين كان يؤدي دوماً إلى بعد الشقة بين الطرفين وازدياد الجفاء بينهما .

وطبيعي أن يحرص أصحاب التراجم على ذكر مذهب من يترجمون لهم ، وخصوصاً إذا كان هؤلاء ممن عاشوا في فترة من فترات الصراع المذهبي كتلك التي عاش فيها بديع الزمان . وكان ياقوت ممن ذكروا مذهب الهمذاني فقال في ترجمته : « كان شديد التعصب لأهل الحديث والسنة [١] » . ولعلّ هذا التعصب ، من ناحية ، وما وقع بينه وبين الخوارزميّ ، من ناحية ثانية ، جعل بعض الناس يتهمونه بكره آل البيت حتى اضطر إلى الدفاع عن نفسه وإنكار هذه التهمة وذلك في قصيدة يقول فيها [٢] :

يقولون لي : لا تحبّ الوصيّ ... فقلت : الثرى بفم الكاذب
أحب النبيّ وأهـــل النبيّ ... وأختص آل أبي طالب
وأعطي الصحابة حق الولاء ... وأجري على السّنن الواجب
فان كان نصباً ولاء الجميـع ... فإني ـ كما زعمـوا ـ ناصبي
وإن كان رفضاً ولاء الوصيّ ... فلا يبرح الرفض من جانبي
أيرجو الشفاعةَ من سبَّهم ... بل المثـــل السوء للضارب
أعزّ النبيَّ وأصحــابه ... فمـا المرء إلا مع الصاحب

ومع ذلك لم يسلم من الاتهام ؛ فقد ادعى الخوارزمي أن البديع أشعري [٣] وذلك حين كتب إليه : « وتكليف المرء ما لا يطيق يجوز على مذهب الأشعري ، وقد زاد سيدي على أستاذه الأشعري ... » [٤] وهذه التهمة ألصقها الخوارزمي

---

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .
(٢) ديوان الهمذاني : ٨ .
(٣) الأشعرية مذهب وسط بين المعتزلة الذين ينفـون الصفات وبين المجسّمة . وينسب هذا المذهب إلى أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (٢٦٦ ـ ٣٣٣ هـ) .
(٤) معجم الأدباء ٢ : ١٩٤ .

بالبديع لأنه يزعم أن البديع حين يعاتبه على التقصير في إكرامه ، يكلّفه ما لا يطيق ، فهي تهمة في معرض الدفاع ، ولم يفصّل في الحديث عن أشعريّة البديع أحد ، ولم يذكرها سوى ياقوت حين قال عن الهمذاني إنه « كان ثقة في الحديث ويتهم بمذهب الأشعرية . »(١)

وما دمنا بصدد علاقة الهمذاني بالخوارزمي فمن حق البديع علينا أن نذكر له ـ إلى جانب عتبه القاسي على الخوارزمي ـ نبله معه في مواقف أخرى ؛ من ذلك أن بعض أعداء الخوارزمي لمّا علموا بمرضه كتبوا إلى الهمذاني يبشّرونه بمرض خصمه ، فكتب إليهم كتاباً كله نبل وحكمة ، ومنه قوله : « والشامت إن أفلت فليس يفوت ، وإن لم يمت فسيموت . وما أقبح الشماتة بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ؟ » ثم يقول : « وهذا الفاضل ، شفاه الله ، وإن ظاهر بالعداوة قليلاً فقد باطنّاه وداً جميلاً . والحرّ عند الحميّة لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد . فلا تتصوّر حالي إلا بصورتها من التوجّع لعلّته ، والتحزّن لمرضته . وقاه الله المكروه ، ووقاني سماع السوء فيه ، بمنّه وحوله ولطفه وطَوله »(٢) .

ثم لما مات الخوارزمي رثاه الهمذاني بأبيات رأى الثعالبي فيها دمّاً وسعاية ،(٣) وقد يرى غيره فيها شيئاً من النبل والندم ، ومنها قوله(٤) :

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .
(٢) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان : ١٧٦ وزهر الآداب ١ : ٤٦٣ .
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٢٧ .
(٤) ديوان الهمذاني : ١٢ .

تحمّلت فيك من الحزن ما تحمّله ابنـــك من صامت
حلفتُ لقد متَّ عن معشرٍ غبيّين عن خطــــر المائت
يقولون : أنت به شامت ، فقلت : الثرى بفم الشامت
وعزّت عليَّ معــــاداته ولا متدارك للفــائت

خلاصة : وبعد فلست أريد أن استطرد في الحديث عن هـذا الكاتب الأديب وحياته ، وإنما جمعت بعض ما تفرّق من أخبار حياته ، وصلاته برجالات عصره ، وكل الذي يعنينا من هذه الحياة التي عاشها أبو الفضل هو أنه كان كثير التنقل بين البلدان المختلفة ، وقد تصرّفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلدان خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى وجبى ثمرتها واستفاد خيرها وميرها [١] ، وأنه أكثر من مخالطة الناس ، وأية مدرسة أوسع من مدرسة الحياة الواقعية الواسعة يسافر فيها بين البلدان ويخالط البشر بجميع طبقاتهم رجل ذكيّ حفّاظ كأبي الفضل بديع الزمان ؟ ولذلك فلا عجب إذا رأيناه يقدّم لنا بعض الصور الطريفة عن الحياة التي بلاها والمجتمع الذي خالط أبناءه .

وإن حياته ـ وإن لم تطل ـ قد كفته لمطاولة أساتذة عصره الذين أحبّه بعضهم فقرّبه ، أو رهبه فتجنّبه ، كما كفته لتخليد اسمه بفضل ما ترك في ميدان الأدب ، شعره ونثره ، من آثار ، وإن كان شعره دون نثره جودة وإتقانا .

كل ذلك إلى جانب أنه فتح باب فنّ جديد هو فنّ المقامة في الأدب العربيّ . ونحن ، بصرف النظر عن طبيعة هذا الفن المقيّدة ، وعدم قابليتها لمسايرة التقدم الفكري والتعبير عن أعماق النفس وجمحات الفكر ، لا نستطيع إلا أن نعجب به

(١) يتيمة الدهر ٤ : ١٦٨ .

فنّاً يتطلب وفرة في المحفوظ ، ومعرفة باللغة ، وقوة في الذاكرة ، وسلامة في الذوق ، وخفة في الروح ، وإلاّ كان سمجاً على النفس ، ثقيلاً على الأذن ، غليظاً على الروح .

تأليف المقامات وعددها : يرى أكثر الباحثين أن بديع الزمان ألّف مقاماته مقلّداً أو معارضاً ابن دريد في أحاديثه الأربعين ، وقد قال بهذا صاحب زهر الآداب كما قال به بعض المحدثين . أما « زهر الآداب » ففيه أن بديع الزمان « لما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر أنه أستنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض عجمية ، وألفاظ حوشية ... عارضه بأربعمائة مقامة في الكُدية ، تذوب ظرفاً وتقطر حسنا ... » (١)

وأما الدكتور شوقي ضيف فيظن أن بديع الزمان كان يعرض على طلابه أحاديث ابن دريد (٢) . وهو يربط بين العملين فيقول « وقد رأينا أن كلمة مقامة معناها حديث ، وفي هذا ما يربط أدقّ الربط بين العملين ، ويستطيع القارىء أن يرى ذلك في وضوح إذا رجع إلى كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، وهو الكتاب الذي يحتفظ بأحاديث ابن دريد الأربعين . ولا تدور هذه الأحاديث على الكدية ، كما هو الشأن عند بديع الزمان ، ومع ذلك فالصلة بين العملين واضحة ؛ وذلك أن أحاديث ابن دريد تصاغ في شكل رواية وسند يتقدمها ، ثم هي غالباً مسجوعة ، وتمتلىء باللفظ الغريب . فهي أحاديث أُلّفت لغرض تعليم الناشئة اللغة ؛ بالضبط كما حاول بديع الزمان في أحاديثه ، وإن كانت

---

(١) زهر الآداب ١ : ٢٣٥ .

(٢) المقامة : ١٦ .

خفيفة رشيقة . »[١] ثم يعود الدكتور ضيف إلى القول : « على كل حال أنشأ بديع الزمان مقاماته معارضة لأحاديث ابن دريد ، وإن من يقرأ الأمالي ويتعقب بديع الزمان في عمله ، يرى الصلة واضحة تمام الوضوح بين الصنيعين ، وان المقامة الأسدية عنده لتعدّ صيغة نهائية لصفة الأسد في ذيل الأمالي ، وكذلك الشأن في المقامة الحمدانية وما جاء بها من صفة الفرَس فإنها تكميل وتتميم لما جاء في الأمالي من وصف الفرس ، وكثير من الأدعية والمواعظ في المقامات يتصل اتصالاً مباشراً بما في الأمالي ، ونفس الحكم والأمثال والوصايا كل ذلك نجد صوره واضحة عند بديع الزمان ... وليس ذلك حسب ، فقد تكون الفكرة التي أدار حولها مقاماته ، ونقصد الكدية أو الشحاذة ، استمدها مباشرة من خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام التي رواها صاحب الأمالي عن ابن دُريد .

ومعنى ذلك أن الأدلة كثيرة على أن بديع الزمان تأثر ابن دريد في مقاماته ، وأنه عارضه بها معارضة . على أنه ليس وحده الذي ألهم البديع مقاماته ، فهناك عمل آخر للجاحظ أثر فيه أثراً بليغاً ؛ إذ تحدث في بعض كتبه عن أهل الكدية حديثاً طويلاً وقصّ نوادرهم ...[٢] » ويلخص الدكتور ضيف رأيه فيقول : « ومعنى ذلك أننا نظن ظناً أن البديع قد استوحى في عمله ما كتبه الجاحظ وقصّه عن أهل الكدية ، كما استوحى في عمله أيضاً ما كتبه ابن دريد من أحاديثه المعروفة في كتاب الأمالي . فهو قد اطلع على العملين ، ومن غير شك يعلو في التأثير فيه العملُ الأول على العمل الثاني ؛ فابن دريد وجّهه ليكتب أحاديث تعليمية ، أي أنه أثر فيه من جهة الشكل ، أما الجاحظ فأثر فيه من جهة الموضوع ، إذ جعله يدير أحاديثه أو مقاماته على الكدية[٣] . »

(١) المقامة : ١٧ .

(٢) المقامة : ١٨ .

(٣) المقامة : ٢٠ وانظر « الفن ومذاهبه في النثر العربي » للدكتور ضيف أيضاً ص ٢٤٨ .

ويتعرّض الأستاذ مارون عبود لهذا الموضوع في كتابه « بديع الزمان الهمذاني » فينكر أن يكون لغير البديع يد في خطة المقامات، ويقول: « إن خطة المقامات هي من عمل البديع، فلا لابن فارس ولا لابن دريد يد في صنعها. فالهمذاني هو الذي ألبسها هذا الطراز الموشّى، وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام. فعبثاً نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع. »[١] ولكن الأستاذ عبود يؤيد ما سبق أن ذكره الدكتور ضيف من تأثر البديع بالجاحظ في موضوع المقامات[٢].

وأما عدد المقامات فقد ذكر مؤلفها في إحدى رسائله أنها أربعمائة مقامة، وذلك حين كتب إلى أبي بكر الخوارزمي في إحدى رسائله « ... فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية أربعمائة، لا مناسبة بين المقامتين لا لفظاً ولا معنى، وهو لا يقدر منها على عشر، حقيق بكشف عيوبه، والسلام. » وبمثل هذا العدد صرّح الثعالبي في اليتيمة والحصري في زهر الآداب. ولكن الباحثين اليوم ينكرون هذا العدد الضخم ويرونه محرّفاً عن الأربعين، ويعلّل الدكتور ضيف هذا التحريف بغلط الناسخ ويقول « مجرد معارضة بديع الزمان لابن دريد في أحاديثه الأربعين يقتضي أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضاً. ويظهر أنه صنع في نيسابور أربعين مقامة فقط، ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخرى بعد مبارحته لها، فزاد ستاً في مديح خلف بن أحمد في أثناء نزوله عنده، كما زاد خمساً أخرى، وبذلك أصبحت المقامات نيّفاً وخمسين[٣]. » وإلى مثل ذلك أيضاً ذهب الدكتور عزة حسن في كتابه عن المقامات[٤]. وليس لدينا ما يمنع من الأخذ بهـذا الرأي ما دامت المقامات التي وصلت إلينا لم تتجاوز هذا العدد الذي قدروه، وما دام أحد من القدماء لم يأت بشيء زائد عليها.

---

(١) بديع الزمان الهمذاني : ٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣٤ ـ ٣٧ .

(٣) المقامة : ١٧ ـ ١٨ .

(٤) بديع الزمان الهمذاني : عصره، حياته، مقاماته. وهو رسالته للدكتوراه وقد تفضل باطلاعي على كتابه المذكور .

مارون عبود والهمذاني — نقد ورد

للأستاذ مارون عبود كتيب عنوانه « بديع الزمان الهمذاني » وهو الكتيب التاسع في سلسلة (نوابغ الفكر العربي) التي تصدرها دار المعارف .

وقد رأيت لزاماً عليّ ، قبل أن انتقل إلى الفصل الثاني من هذا البحث ، أن أقف عند بعض الشكوك الكثيرة التي نثرها الأستاذ مارون في كتابه المذكور ، وسأقتصر منها على ما له صلة بموضوعنا .

١ — يشك الأستاذ في اسم بديع الزمان « أحمد » .

٢ — يشك في اسم أبيه « الحسين » .

٣ — ينكر نسبه العربيّ .

٤ — ينكر ما يتصل بأخبار حافظته القويّة .. وحافظة غيره أيضاً .

٥ — يحكم على بديع الزمان بالتأثر بالإسماعيلية وفلسفتهم الباطنيّة (١) .

★ يقول الأستاذ بصدد اسم بديع الزمان : « واتفـــاق اسمه مع اسم أبي الطيب يوقظ في نفسي الشك ... » ثم يقول : « ولعل هذا الشك قد تسرّب إليها من قراءتي أولى رسائله الموجّهة الى الفضل بن أحمد الاسفرائيني .... قال البديع في رسالته إلى الاسفرائيني : إني عبد الشيخ واسمي أحمـد ، وهمذان المولد ، وتغلب المورد ، ومضر المحتد . » ولو سألنا الأستاذ عمـا أيقظ في نفسه الشك ؟ وما في كلام البديع مما يوقظ الشك ؟ لاستعان بشك آخر فجعله دليلاً « جازماً » على شكه الأول فقال : « ومن يصل بنسبه إلى مُضَر وهو فارسي لا شك فيه ، لا يبعد أن يطبّق المفصل ليكون له اسم شاعر الدهر أبي الطيب ...

---

(١) هذه الشكوك الخمسة وغيرها أيضاً وردت جميعهـــا في صفحتين فقط من كتاب « بديع الزمان الهمذاني » وهما الصفحتان : ١٦ و ١٧ .

وهكذا وبجرّة قلم وشطحة فكر ينسف الأستاذ مارون اسم الرجل ونسبه ، ولا دليل عنده سوى الشك يستدلّ به على الشك وهو لا يقترح اسماً آخر لبديع الزمان لأنه لم يجد مصدراً واحداً يعينه على ذلك ، وحسبه أنه « أثبت » كذب الرجل في نسبه ومن يكذب في نسبه فغير بعيد أن يغيّر اسمه ! وهذا النسب الذي يقول عنه الأستاذ مارون إنه « فارسي لا شك فيه » يقول فيه الدكتور شوقي ضيف : « وفي رسائل بديع الزمان المطبوعة دلالات مختلفة على أنه من أسرة عربية كريمة استوطنت هناك » ثم ينقل الدكتور ضيف نسب بديع الزمان ويقول : « فهو ليس فارسياً ، كما قد يُظن ، وإنما هو عربيّ مُضريّ تغلبيّ » .

وقد كنا نتمنى لو أن الأستاذ مارون رأى رأيه وترك المجال « للشك فيه » إذ هو عند غيره يقين لا شك فيه ! وإذا انتفى أن يكون البديع فارسياً فقد سقط دليل الأستاذ في تغيير اسمه موافقة منه لاسم شاعر الدهر ...

★ وأما الشك في اسم أبيه فليس دليل الأستاذ عليه بأقوى من دليله الأول فهو يقول « أما الذي جعلني أشك في اسم أبيه أيضاً ، فهو قول الحاكم أبي سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست جامع رسائل البديع ، قال حين بلغ الرسائل التي تبادلها البديع وأبوه : (ولوالده إليه كتب ورقاع أنشأها هو - أي البديع - ونسبها إلى والده ليقرأها الأفاضل من الكتاب فيستدلّوا بها على فضل والده .) » يقول الأستاذ عبود : « ومن يفعل هذا ، كما قال معاصره ، لا يخشى التصرّف باسمه واسم أبيه ليأتي اسمه كما يتمنى ويرغب . وهب هذا هو اسم أبيه فلا شك عندي في أنه بدون ال ، أعرف جيداً أن الاسم لا يقدّم ولا يؤخر ولكنها فكرة عرضت لي فلم أبقها في صدري » ! !

وليت الأستاذ أبقى فكرته العارضة في صدره لأنها في الحقيقة تقدّم وتؤخر ، إذ لو ثبت تغيير الاسم لجاز أن نبحث عن العلّة والدافع ، أو لجاز أن يزعم بعض الناس أنه غيَّر اسمه تخلّصاً من نسبه ، على عكس ما فعل الأستاذ . ثم هل في اتهام البديع بنحل الرسائل لوالده دليل على تغيير اسم الوالد ، وهل يعني « عدم خشيته » من نحل الرسائل عدمَ خشيته من تغيير الاسم ؟ وعدم الخشية من تغيير الاسم هل يَعني أنه غيَّره فعلاً ؟

ثم أليس بين الناس من يعرف اسم الأب قبل أن يكبر الابن فيغيّر له اسمه ؟ ثم هل في المصادر التي نعرف ويعرف الأستاذ مصدر واحد يشير إلى ذلك ؟

★ وننتقل إلى شك الأستاذ في الأخبار المرويّة عن حافظة بديع الزمان فنراه يقول : « وهب ذاكرة قوية وحافظة نادرة ، فكان قفلة لا يفلت من خاطره ما يعلق به . ولعل هذا هو الذي حمل معاصريه على القول فيه : (إنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط ، وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم منها حرفاً . وينظر في أربع أو خمس أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره ، نظرة واحدة ثم يمليها عن ظهر قلبه ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلّم جرّاً إلى الأول ، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه .) ثم يقول : « إنها مبالغات نسبوا مثلها إلى المتنبي والمعري وأبي تمام ، وهي عندي إلى الحكايات أقرب منها إلى التاريخ الرصين ، فليست الأذهان دفاتر ، ولا آلات تصوير شمسية حتى تحفظ وتلتقط آثار الأدباء كما هي . »

وللأستاذ مارون رأيه في هؤلاء النوابغ من أعلام الأدب العربي وله « حسن » ظنه في ذكائهم وذاكرتهم ، ولنا رأينا وظنّنا . ولكنا نعجب كيف يقبل الأستاذ بالشك وحده دليلاً ويرفض آراء « المعاصرين » وقد

أجمعت آراؤهم وتواترت رواياتهم عن ذكاء هؤلاء الأعلام ؟ أفنقبل الشك أو الرأي متفقاً مع الهوى ونرفض الآراء إن جاءت على ما لا نحب ونهوى ؟

ولو أن في البحث مجالاً لذكَّرت الأستاذ بما يعرفه من علم النفس من أن قيام عضو من الأعضاء بوظيفته إنما يعود عليه بالقوة والنماء ، وأن الحياة في عصر أولئك الأذكياء الذاكرين كانت تجبرهم على استعمال عقولهم والاعتماد على حافظاتهم أكثر مما تضطرنا حياتنا الآن الى الاعتماد على الدفاتر والمفكرات وآلات التصوير الشمسية .

★ وأما تأثر بديع الزمان بالباطنية فيقول الأستاذ مارون بصدده : « ثم غادر ـ أي البديع ـ حضرة الصاحب وقصد جرجان ، حيث خالط علماءها وهم من الإسماعيلية ، فعاش بينهم حيناً مقتبساً من علومهم وفلسفتهم الباطنية . »

ولا شك أن الأستاذ يعوّل في دراسته هذه على ما قاله الثعالبي وغيره من أن بديع الزمان اتصل في جرجان بالإسماعيلية وعاش في أكنافهم ... (١) والذي ذكره الثعالبي وأخذه عنه آدم متز كما رأينا غير الذي فهمه الأستاذ عبود ؛ إذ أن « الإسماعيلية » أسرة معروفة في جرجان ذات جاه ومال ونفوذ ، وليست هي نسبة إلى المذهب الإسماعيلي كما توهّم الأستاذ . ثم إنه لا يكتفي بذلك بل يقفز بسرعة عجيبة ليجعل بديع الزمان متأثراً بالفلسفة الباطنية ، وهذا لم يقل به أحد لا من القدماء ولا من المحدثين ، بل كيف يجوز مثل هذا القول وهم قد وصفوه بالبعد عن الزيغ وأهل الأهواء (٢) ؟ وقالوا إنه كان شديد التعصّب لأهل السنة والحديث وإن أخاه كان مفتي همدان (٣) .. ؟

(١) انظر ما سبق في ص : ١٢٩ .
(٢) سبق ذكر ذلك في ص : ١٢٩ .
(٣) هو أخوه لأبيه وأمه ، واسمه محمد بن الحسين بن يحيى ... أبو سعد . وانظر معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ ولسنا ندري بهذه المناسبة هل هو ابن أبيه قبل أن يغيّر أخوه البديع اسم أبيه أو بعده ؟

وجملة القول إن من يقرأ ما كتبه الأستاذ مارون عبود عن بديع الزمان يشعر بكره الكاتب للهمذاني، وبتسرّعه في الحكم عليه، ويشعر أن الكاتب لم يستطع أن يكتم كرهه له، بل كان ينفّس عنه بين الحين والحين، وهو يطالعك في أول الحديث عن بديع الزمان بقوله: «أما لقب بديع الزمان فلست أدري كيف أحرزه، ما أحسب هذا اللقب إلا من صنعه أو من صنع صاحب اليتيمة لكي تتمّ له السجعة ويقول: هو بديع الزمان ومعجزة همذان ...» على أن نفسيّة الناقد الأديب تتغلّب على عاطفة الأستاذ نحو البديع فيتحدث عن أدبه وفنّه حديث المعجب ويجعله سيّد القلم[1].

(يتبع) الدكتور مازن المبارك

(١) بديع الزمان ص: ٤٥.

ابن القارح

- ١ -

لقيتْ « رسالة الغفران » من عناية الأدباء في عصرنا هذا ما لم يلقه أي أثر من آثار أبي العلاء لعدة عوامل أظهرها ، في اعتقادي ، قيمتها الفنية من جهة ، ونزعاتها الفكرية من جهة ثانية . والواقع أنها جديرة بالدرس والبحث ، وكلما أوغل الأدباء والباحثون في دراسة آثار شاعرنا الفيلسوف ونزعاته الشكوكية ، وآرائه الحرة في الكون والحياة وفي فساد جبلّة البشر ، جدّت لهم ظواهر جديدة .

على أن أديباً عاصره وعلق اسمه باسمه ، وكان من الحوافز التي أثارته ليبدع أثراً من أخلد آثاره ، هذا الأديب لم ينل من عناية الباحثين ما يستحق أن يُلتفت إليه الالتفات الذي يكشف بعض ملامح من هواجسه وأمنياته ؛ ومن قلقه وشكوكه ، وما لاقاه من خير وشر ، أريد به « أبا الحسن علي ابن منصور بن طالب الحلبي ، الملقّب دوخلة ، والمعروف بابن القارح » .

وهذا اللقاء الفكري بين فيلسوف المعرة وأديب حلب جدير بأن يلفت نظر الباحثين ، وأن يوغلوا في دراسة رسالته ، وطرف من حياته وأدبه .

قد يقول قائل أين ابن القارح النحوي ، اللغوي ، الراوية ، المؤدب ، من أبي العلاء الشاعر ، الفيلسوف الذي يعتبر قمة من شوامخ الأدب العالمي ، بله الأدب العربي ولا نقول غير ذلك . ولكن أديباً أثار شاعراً فيلسوفاً ترك لنا ، كما قلت أثراً من أخلد آثارنا الأدبية ، هذا الأديب الذي هزّ ضمير أبي العلاء ودغدغ خياله الخصب ليحلّق في الآفاق ، جدير بأن نخصه بأكثر

من دراسة واحدة ، فقد تكمل دراسته بعض الفجوات من رسالة أبي العلاء الذي خصّ ابن القارح بكثير من الغمز واللمز في إطار من الحمد والثناء ! .

وقد تباينت حياة ابن القارح بمراحل طريفة مَنْ تتبّعها يَرَ صورة من قلَق العصر ، ومن بَرَم الأدباء بالكثير من الظواهر والآراء التي يسودها التزمّت إلى الحيرة والشكّ ، وإلى غير ذلك من النزعات الهدامة التي هزت ضمير الأدباء والمفكرين ، في ذيالك العصر ، فانطلقوا يعبّرون عن آرائهم وهواجسهم ، وكان فيلسوفنا الشاعر أبرزهم في الإفصاح عن آرائه بأسلوب غاية في الطرافة والنقد المبطّن بالهزء المرّ .

وقد عاش أديبنا الحلبي فترات صعبة بين بؤس الحياة ولين العيش ، وبين نزغات الشك ونزعات اليقين ، وأحاط بجميع التيارات التي تطبع عصره ، وهو العصر الذي ازدهرت فيه الحياة العقلية بشتى ألوانها ومختلف ظواهرها ، وكان لا بدّ له من أن يعبّر عن آلامه وهواجسه ، وعما تردّده أروقة المدارس وندوات المجالس من مختلف الآراء والمذاهب ، ولا سيما بعد أن طوف بالبلدان والعواصم ، واجتمع إلى مختلف الهيئات وشتى الطبقات .

ومن الأمانة لتاريخنا الأدبي ألاّ نهمل الحديث عن نشأته ودراسته ، والأساتذة الذين أخذ عنهم ، والمدارس التي تتلمذ عليها ، والأمراء الذين لقيهم ، وظواهر من حياته في العواصم التي زارها ، ثم رجوعه إلى حلب يحمل إلى أبي العلاء خلاصة تجاربه في الحياة ، وفي هذه النزعات التي قرعت سمعه وهزّت ضميره ، فظهر ، بعد تطوافه الطويل خلال عشرات السنين ، ظهر بمظهر الغريق الذي يطلب النجاة بعد أن غرق أو كاد في لجج الأحداث ، ولم يكن ربّانه الذي ينقذه غير أبي العلاء الذي أفضى إليه بكل ما يثقل ضميره ، ولنبدأ القصة من أولها :

- ٢ -

ولد ابن القارح في حلب سنة ٣٥٤ هـ ، وفي رواية ، وهي الأصح ، سنة ٣٥١ هـ ، وهي السنة التي كانت نذير شؤم على المدينة .

فبعد أن عاشت « حلب » في أعراس المجد ، في ظلال أميرها البطل سيف الدولة الذي استطاع بمعاركه الجسام أن يغزو البيزنطيين في عقر دارهم ، وأن يركز الراية العربية فوق القلاع والحصون الرومية ، وأن يحتل مدنها بعد أن كاد يقرع أبواب القسطنطينية لولا اضطراره أن يعود إلى عاصمة ملكه ليخمد الفتن الداخلية ، أقول بعد أن عاشت المدينة في أعراس المجد عادت لتبكي وتولول بنتيجة الحرب الدامية التي نشبت في شوارعها بعد أن جهز القائد البيزنطي بنسفور فوكاس حملة كبرى من ثمانين ألف مقاتل للانتقام من الأمير الحمداني الذي سجّل عليه العديد من الانتصارات ، فاحتلّوا المدينة وحرقوا دورها ونهبوا بيوتها وقصورها وذبحوا نساءها وأطفالها ، فهريقت الدماء دون أن يظفروا بأميرها الذي تراجع إلى قنّسرين يدافع عن المملكة ويدفع عنها الخطر ، بينا اعتصم جنوده في القلعة المنيعة يدفعون عنها زخم هذا الحصار الذي طوّق المدينة والذي دام تسعة أيام قاست خلالها الأهوال ، وتحمّلت الكوارث والويلات . وما زالت صامدة إلى أن تركوها خرابات وأطلالاً تعوي وتندب سوء حظها ، بعد أن كانت تنافس بغداد واستانبول بزهو قصورها ، وعظمة أمجادها ، في تلك السنة المشؤومة ولد الطفل الذي أسماه أبوه « عليـــاً » ، فلم تنطلق الزغاريد ، ولا دقّت طبول الفرح ابتهاجاً بمولده .

ومَنْ يدري ؟ فربما حوقل أبواه وهما يريان البؤس يخيّم على المدينة ، وقد توقعا له حياة ضنكةً في ظلال هذه الأيام السوداء .

- ٣ -

وتمرّ الأيام بسرعة . ويترعرع الطفل ، ويرسل إلى الكتّاب أسوة بلداته الأطفال الذين يبدأون عهد تلمذتهم بدراسة مبادئ القراءة والكتابة مع حفظ سور القرآن الكريم ، وهي فترة لم تطل حتى حفظ الطفل أكثر السور . وحين فاض قلبه ولسانه بحفظ كلام الله أحبّ العربية حباً جماً ، واعتبر إتقان صرفها ونحوها أساساً لإدراك بلاغة وأسرار معاني الآيات ومقاصد السور .

وتحفيظ الأولاد القرآن الكريم في الصغر تقليد درج عليه الأوائل فكان من العوامل التي دفعت الكثيرين إلى التوسّع في علوم العربية لإدراك مقاصده وغاياته ، والتلذذ بسحر بلاغته وجمال بيانه . ولم يشذّ ابن القارح عن هذا النهج ، فلم يكد يتخطّى عهد الطفولة ، ويدخل عهد التلمذة حتى انجذب إلى دراسة علوم العربية .

وكانت حلب ما تزال تغصّ بالأعلام . وكان ابن خالويه ، سيد هذا العلم ، فيتتلمذ عليه ويأخذ عنه .

ويسمع أن ابن جنّي مؤسس مدرسة النحو والصرف أي المدرسة التي نزعت نزعة جديدة في عدم الوقوف عند النص وفي استخدام القياس إلى أقصى حد ، يسمع أن هذا العالم المجدّد قد تتلمذ على أبي علي الفارسي ، فيحضر دروسه ، ويخدم في بيته ، ولا يجد في ذلك أي غضاضة ما دام في ذلك طريقه الى المعرفة . وفي عصرنا هذا نجد كثيرين ممن أصبحوا أعلاماً لم يجدوا أي غضاضة في الخدمة لقاء إعفائهم من الأقساط المدرسية . وهو تقليد درجت عليه الجامعات الأمريكية ، وتبعتها بعض الجامعات الأوربية .

★ ★ ★

وما هي سنوات تمرّ من حياة التلمذة وهو يأخذ عن أئمة اللغة وأعلام الصرف والنحو حتى أخذ يعي مظاهر الحياة الثقافية في مدينته الحبيبة .

وبدأ يسمع الأحاديث المستطابة عن فترة انقضت كانت ترتفع خلالها رايات الأدب في بلاط الأمير الحمداني . وحزّ في نفسه أن الزمن لم يتقدّم به ليشهد معارك السلاح التي خاضها سيف الدولة أو معارك الأدب التي كانت تدور في بلاطه بين أئمة البلاغة وفحول الشعراء ، بين مدرستي القديم والحديث . وواضح أنه في كل عصر لا بدّ من معركة حامية الوطيس بين الشيوخ والشباب . ولكل فئة نهجها واتجاهها . وتنقضي الأيام ويخمد لهيب الثورات ولا يبقى إلاّ الصحيح .

وحزّ في نفسه أكثر أنه لم يتح له أن يكحّل عينيه بمرأى المتنبي وهو ينشد أميره الشجاع قصائده الغرّ ، تلك القصائد التي سجّلت أعنف المعارك التي خاضها – والذي استطاع في فترة قصيرة من حكمه أن يؤسس دولة ذات كيان مستقل ، وأن يهرع الأدباء والشعراء والحكماء إلى بلاطه فيحتضنهم ويخلق نهضة أدبية ما تزال بعد نيّف وألف عام ذات صدى قوي في تاريخ النهضة الفكرية – نعم ، لم يتح لابن القارح أن يشهد أحداث تلك الفترة بنعيمها وجحيمها ، بسلمها وحربها ، فحين بلغ السادسة ، وهو عمر الطفولة ، كان سيف الدولة قد ارتحل عن مملكته مُثخَنَ الجراح لينام نومته الأبدية في ميافارقين ، وكانت شمس الدولة الحمدانية قد آذنت بالغروب .

– ٤ –

بعد أن طويت راية الأمير الحمداني انقلب صبح المدينة الى غشاوة ، وفجرها المؤتلق الى ظلمة دامسة ، وأغاريد شعرائها الى حزن وبكاء .

فقد خمدت الحركة وأخذ الناس ، بعد أن لزموا بيوتهم ، يجترّون آلامهم ، ويقصّون قصص المعارك التي انتهت أمجادها إلى نهايات محزنة .

عاشت حلب ، تلك الفترة ، في ثورة من الخوف والقلق ، لا تعرف ما يَخْبَأ لها الغد ، وما هي مقدمة عليه ، ولا سيما بعد أن هجرها الأدباء والشعراء والمفكرون ، ومَنْ كانوا سند الأمير الحمداني الذي جعل من عاصمته لؤلؤة تشعّ بأزهى ما تبدعه القرائح والعقول ، وما تنبض به الضمائر والقلوب ـ هجرها المتنبي والنامي والببغاء وكشاجم والخالديان وابن نباتة السعدي وابن نباتة الفارقي أشهر وأبلغ خطبائه ، كما هجرها الفلاسفة والحكماء وغيرهم وغيرهم من ذوي المهن والاختصاص في شتى فنون المعرفة .

يذكر ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء : « أنه كان لسيف الدولة أربعة وعشرون طبيباً منهم عيسى الرقي ، وكان يُعطي عطاءً لكل عمل ، وكان عيسى الرقي يأخذ أربعة أرزاق : رزقاً بسبب الطب ، ورزقاً بسبب ترجمة الكتب من السرياني إلى العربي ، ورزقين بسبب علمين آخرين »(١) .

ولا مجال للحديث عن ازدهار الحركة الفكرية في تلك الفترة ، فقد وصفها المرحوم أحمد أمين بقوله : « كانت أكبر حركة في الشام وأعظمها في الأدب واللغة وعلومها ، فاتت حركة الشعر واللغة والنحو وما إليه نظيرتها في مصر ، وربما في العراق أيضاً »(٢) .

★ ★ ★

وقد كان الحنين إلى تلك الأيام الحلوة العذبة يستبدّ بقلب كل من شهدها أو شارك فيها . فبعد أن ترك أبو بكر الخوارزمي حلب إلى أصفهان قال :

« .. وقد رأيت في هذه الحضرة ـ حضرة أبي محمد العلوي بأصبهان ـ أقواماً كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ، ومنهل الصفا عذب ، وعود الشباب رطب وذكرت بهم مآرب هناك ، وأياماً سُلبتها سلباً ، ونُزعت من يدي غصباً ، ودهراً كأني كنت أقطعه وثباً »(٣) .

---

(١) طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٤٠ .
(٢) ظهر الإسلام ص ١٧٧ .
(٣) اليتيمة ج ١ ص ١٣ .

وكتب الأدب تروي الكثير من نبضات الحنين إلى ذيّالك العصر الزاهر الذي انفرط عقده وانطوت رايته بانطواء راية الأمير الحمداني .

وعاصمة تُقفر أنديتها من الأدباء والشعراء والمفكرين بله القادة والموهوبين ، تبدو كئيبة مظلمة الجوانب مهما أضفي عليها من بريق الزينات والمهرجانات ، هي في صميمها وفي ضمير الشعب ، مظاهر كاذبة لا تهزّ المشاعر ولا تهدئ الخواطر ولا تُطمئن الضمائر .

- ٥ -

لقد وعى ابن القارح ، وهو في أول تفتحه للحياة ، هذا اللون القاتم من حياة المدينة بعد أن كانت ترقص بالمهجات ، ووعى هـذه الأحاديث عن أساتذته وشيوخه فأثارت في نفسه ذكريات ممضّة حزينة .

وبدأ يفكر أيبقى حيث ولد وترعرع ، وحيث المدينة تغوص في بحر من الظلمات ، وفي جحيم من الاضطرابات والوشايات ؟ أم يغامر برحلة تزيد من ثقافته وتطمئن بعض نزعاته ، وتزيل بعض قلقه وشجونه . وبعد تفكير لم يطل قرر أن يهجر مسقط رأسه . فقد رأى في الهجرة المتنفّس الذي يحدّ من ثورانه ، ويزيل بعض اضطرابه ، وهي متنفّس كل انسان حر الفكر ، حر الضمير ، ولو أدّت به الهجرة أن يعيش في الضنك والبؤس ، وفي الشظف والحرمان .

- ٦ -

كانت بغداد في اكتمال نُضْجِها الفكري ، تعجّ بالأعلام من الأدباء والشعراء واللغويين والفقهاء والفلاسفة والحكماء ، كما تعجّ بمدارس الأدب قديمها وحديثها ، وأصبحت العاصمة الكبرى لألوان مختلفة من شتى الثقافات ،

يهرع اليها الأدباء والمفكرون من كل حدب وصوب . وكان ابن القارح ، وهو في ضيق من بيئته التي ران عليها الخمول ، قد أنس بصحبة أستاذه أبي علي الفارسي (١) الذي أخذ منه أصول العربية وقواعدها فشدّ اليه الرحال ، ولم يكد يبلغ بغداد التي بهرته حتى لازمه ملازمة الظل لخياله ، وكلما تقدّمت به الأيام ازداد معرفة وتمكناً من علوم العربية ، إلى إلمام بثقافة العصر .

وبدأ يغشى مجالس العلماء وندوات الأدباء ، ويتعرّف على هذا وذاك من الأساتذة المتفوقين ويسجّل في كناشه كل شاردة وواردة .

إنه طالب علم ، وطالب العلم نهم لا يشبع ، وظَمِيء لا يروى ، فكما أخذ عن أستاذيه ابن خالويه وأبي علي الفارسي تتلمذ على غيرهم من ذوي المعرفة والاختصاص . اتصل بأبي سعيد السيرافي (٢) ، وبعلي بن عيسى الرُّمّاني (٣) ، وبالمرزباني ، وبأبي حفص الكتّاني وبغيرهم وغيرهم من أعلام اللغة والنحو ، فلم تمض عليه سنوات ، وهو في بغداد ، حتى كان قد وعى علوم العربية وقرأ الكثير من الكتب ، وحفظ الكثير من الشواهد ، وأصبح في وضع يمكّنه أن يفيض قلبه ، ببعض ما أخذ عن أساتذته ، وقد أشير إليه كأستاذ من المبرزين في علوم العربية ، ولا سيما في علم النحو .

وإذ كان من المعسرين رأى أن يمتهن التعليم ، وأخذ يدرّس متتبعاً نهج أساتذته ، حريصاً كل الحرص على أصول العربية وأسرار بلاغتها وفصاحتها .

نقل ياقوت في معجم الأدباء عن ابن عبد الرحيم قوله :

---

(١) ترجمته في قاموس « الأعلام » للزركلي ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) ترجمته في « الأعلام » للزركلي ج ٢ ص ٢١٠ .

(٣) ترجمته في « الأعلام » للزركلي ج ٥ ص ١٣٤ .

« .. هو شيخ من أهل الأدب . شاهدناه في بغداد، راوية للأخبار ، وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار ، قؤوماً بالنحو ، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره ، وهو صبي ، ثم لازمه ، وقرأ عليه ، على زعمه ، جميع كتبه وسماعاته . وكانت معيشته من التعليم بالشام ومصر »[1] .

- ٧ -

بعد أن درّس فترة غير قصيرة وهو في غضارة الشباب ، وقد استوى على رجليه أستاذاً ملء بردتيه الطموح ، رأى أن يترك بغداد التي تزوّد منها بفيض العلم والتي تركت في نفسه أجمل الذكريات وأمتع اللقاءات مع فطاحل اللغة وأئمة البيان ، ورأى أن يتركها إلى القاهرة ليلقى شيوخها وفضلاءها ورجالات الفكر في مدارسها وجوامعها .

ويقطع هذه المسافات الطويلة دون ملل ، حافزه رغبة ملحّة في الوصول إلى كنانة الله ، فيمر بالبلدان ، ويتعرف على مدارسها ورجالاتها وأنديتها ، ومازال حتى يهبط القاهرة .

★ ★ ★

ونتساءل لماذا لم يرجع إلى حلب ، مسقط رأسه ؟ فلا يعوزنا الجواب . فالأحداث السياسية ، والاضطرابات الداخلية التي ازدادت سوءاً وعنفاً هي التي حفزته أن يبتعد عن الأتون اللاهب .

كانت الأنباء تتحدث عن الصراع القوي الذي اشتدّ بين ابن سيف الدولة أبي المعالى شريف الذي عرف باسم سعد الله ، وبين خاله أبي فراس الأمير الشجاع الذي كان ينافسه على سرير الملك والذي انتهى بمقتله على يد حاجب

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٤ .

الدولة قرغويه المملوك التركي الذي عاد فثار على سيده سعد الدولة وطرده من حلب ، وهذه سجية المماليك في الثورة والانتفاض على أسيادهم حين تسنح الفرص .

وحين حاصر الروم المدينة عقد قرغويه معهم هدنة ووقّع لهم معاهدة مزرية كلّفت المملكة الكثير من المال ، والكثير من الذل والخسران .

وقد ألمع ابن الأثير إلى هذه الفترة العصيبة التي عاشتها حلب ، وهي فترة الحصار المريع الذي انتهى بالهدنة المشؤومة ، بقوله :

« .. وحصروا البلد وفيه قرغويه - وهو الذي استنجد بالروم على سيده سعد الله - وأهل البلد قد تحصّنوا بالقلعة ، فملك الروم المدينة ، وحصروا القلعة » .

وبعد الحصار وما أصاب المدينة من تخريب وتهديم ، وما أصاب الأهالي من ضنك وضيق وبؤس وبرم يقول ابن الأثير :

« .. فخرج إليهم جماعة من أهل حلب وتوسّطوا بينهم وبين قرغويه وتردّدت الرسل . فاستقرّ الأمر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرغويه إليهم »[1] .

وأشار يحيى بن سعيد إلى هذه المأساة بقوله :

« ونازل الروم المدينة وحاصروها سبعة وعشرين يوماً ، وترددت المراسلات بينهم وبين أهلها إلى أن تقرر الأمر على صلح وهدنة مؤبدة ، ومال يحمل إلى ملك الروم في كل سنة عن حلب وحمص وجميع أعمالها من المدن والقرى ، وهو ثلاثة قناطير ذهب عن حق الأرض ، وسبع قناطير ذهب عن خراج هذه الأعمال ، ومن كل رجل حالم دينار واحد في السنة» .[2]

---

(١) ابن الأثير ج ٣٧/٧ .

(٢) يحيى ابن سعيد ص ١٢٥ - ١٢٦ .

هذا بعض ما جاء في تلك المعاهدة المشؤومة التي اجترّ الحلبيون مرارتها وتحمّلوا الكثير من أعبائها[١] بنتيجة ثورة مملوك أعجمي على سيده العربي .

وحين ارتقى سعد الدولة عرش المملكة ، كان أول ما عمله تخفيف عبء تلك المعاهدة التي طوّقت عنق المملكة بقيد ثقيل خانق ، فوفق ، بعد مراسلات طويلة مع الروم ، إلى أن أنزلها إلى أربعمائة ألف درهم فضة ، وهو مبلغ اعتبر ضئيلاً بالنسبة إلى القناطير الذهبية التي قبل بها قرغويه ، إضافةً إلى الكثير من الأعباء الثقيلة والقيود الجائرة .

— ٨ —

هذا الاضطراب الذي كان يسود مجتمعات حلب هو الذي دفع ابن القارح أن لا يرجع إلى البيئة التي أنبتته والسماء التي أظلته ، وأن ينأى عن آله وذويه ، فيممّ وجهه شطر وادي النيل حيث الأنباء كانت قد أشارت إلى تأسيس جامع الأزهر الذي كان قد فرغ من بنائه سنة ٣٦١ هـ .

وهذا أيضاً من العوامل التي حفزته أن يشدّ الرحال إلى مصر ، فما كاد يستريح من وعثاء السفر ويكحل عينيه بمرأى النيل العظيم حتى قصد جامع الأزهر فتعرّف إلى أساتذته ، وراقب طور التدريس في أروقته ، وعاش فترات حلوة في هذا الجوّ العلمي الذي تعبق من جوانبه عطور الأدب واللغة في إطار قدسيّة الدين .

— ٩ —

ولم تكن مصر في تلك الفترة أحسن مما هي عليه سائر الأقطار الإسلامية ، فحين أمّ ابن القارح مصر لم يكن يعرف أي شيء عن مجتمعاتها وعمّا يمثّل

---

(١) في زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم (ص ١٦٣ ــ ١٦٨) ذكر مسهب لشروط هذه الهدنة المزرية .

على مسرحها من مخازٍ ، كما لم يكن يعرف أحداً من رجالاتها سوى أبي الحسين المغربي الذي كان يختلف إلى داره في حلب .

وقد قصده تواً ولم يكد يطرق بابه حتى لقي منه كل ترحيب ، وليس هذا فقط بل فتح أمامه السبل ليعرّفه على المرموقين ، ولم يلبث أن قدّمه إلى الحسين بن جوهر ، فسرعان ما أناط به تعليم ولديه ، وكانا مختصَّين بالحاكم ، فقام بمهمته خير قيام .

وعن طريقها تعرّف بالحاكم ومدحه بقصيدة نال عليها مكافأة سخية .

روى ياقوت في « معجم الأدباء » القصة التالية :

قال ابن القارح : كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر . وكانا مختصين بالحاكم وآنسين به ، فعملت قصيدة وسألت المسمَّى منها جعفراً ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، أن يوصلها ففعل وعرضها عليه ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقال مؤدبي ، قال : يُعطى ألف دينار .

واتفق أن المعروف بابن القشر الطبيب كان حاضراً فقال : لا تثقلوا خزائن أمير المؤمنين ، يكفيه النصف ، فأعطيتُ خمسمائة دينار(١) .

والحاكم الذي مدحه هو العزيز بالله والد الحاكم بأمر الله .

والقصيدة على وزن « منهوكة أبي نواس » ومطلعها :

إن الزمان قد نضر بالحاكم الملك الأغر

وهي طويلة ، وشعره ، كما يقول ياقوت ، يجري مجرى شعر المعلمين ، قليل الحلاوة ، خالٍ من الطلاوة .

★ ★ ★

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٧ .

وكما مدح الحاكم فقد هجا الوزير المغربي هجاءً مقذعاً !

وكثيراً ما يلتبس الأمر على الكثيرين فيظنون أنه هجا الذي أحسن اليه ، ولكن الواقع أنه هجا ابنه « أبو القاسم » الأديب الوزير الذي ألمع إليه في الرسالتين المتبادلتين بين ابن القارح وأبي العلاء .

ولا بأس من وقفة قصيرة عند هذا الحادث :

ففي ندوة من ندوات أبي العلاء جرى ذكر ابن القارح بعد أن كثرت رحلاته واستفاضت شهرته .

وسُئِلَ شيخ المعرة هل يعرفه فقال :

« .. أعرفه جيداً ، هو الذي هجا أبا القاسم علي بن الحسن المغربي » .

وبلغت هذه الكلمة ابن القارح فتفزّع من هذا الوصف الساخر وارتاع ، وخشي أن يكون دليلاً على سوء رأيهِ فيه ، فكاشفه بما استولى على نفسه من الخوف ، وكيف أشفق من أن يتمثله أبو العلاء في صورة المتنقّص العياب ، فراح يدافع عن نفسه حتى يمحو من ذهنه تلك الصورة الشرسة الجاحدة ، ويبرأ مما توحيه من معاني العقوق واللؤم ومجازاة المحسن بالإساءة فأعلن أنه يؤثر أن يكون نكرة من النكرات ، وفرداً خاملاً من غمار الناس ، على أن يكون موصوفاً باللؤم والعقوق ، كما تصفه تلك الغمزة الفاتكة التي نطق بها شيخ المعرة »(١) .

★ ★ ★

وقصة الخصومة قصة طويلة خلاصتها أن أبا الحسن ـ صديقه ـ أسرّ اليه ذات يوم خوفه من طموح ولده ، أبي القاسم ، وتوثبه ، وخشيته من أن

(١) على هامش الغفران لكامل الكيلاني ص ٤٤ .

تغريه مطامعه وتورده موارد التهلكة ، ثم طلب الوالد إليه أن يوافيه بكل ما يفضي به ولده من أسرار ، حتى لا يؤخذ الوالد على غرة .

ولم يلبث أبو القاسم أن كاشف ابن القارح بدخلته ، وأفضى إليه بما يعتزمه ويتحفز له من الثورة .

وقد أسرع ابن القارح وأطلع أبا الحسن على ما يدبّره ولده ، فارتاع وأيقن أن ابنه سيورده حتفه وشيكاً ، ولم يكد يعرف ما أذاعه من سرّ حتى تنكّر له ، وتبدّل صفوه كدراً [1] .

★ ★ ★

ويروي ابن القارح نصّ الحديث الذي جرى بينهما بقوله :

« قال لي سراً : أنا أخاف همة أبي القاسم أن تنزو به إلى أن يوردنا ورداً لا صدر عنه ، وإن كانت الأنفاس مما يكتب ويحفظ ، فاكتبها واحفظها ، وطالعني بها » .

وكان أبو القاسم ينوي القيام بثورة على حاكم مصر ، وقد أفضى بدخيلة نفسه إلى ابن القارح بقوله : ما نرضى بالخمول الذي نحن فيه ! .

فقلت : وأي خمول هنا ؟ .

تأخذون من مولانا ـ خلّد الله ملكه ـ في كل سنة ستة آلاف دينار وأبوك من شيوخ الدولة ، وهو معظّم مكرم .

فقال : أريد أن تصار إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والقانب ، ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان .

★ ★ ★

(١) على هامش الغفران لكامل الكيلاني ص ٤٦ .

ونقل ابن القارح نصّ هذا الحديث إلى أبيه فقال :

ما أخوفني أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه ، وقبض على لحيته وهامته !.

وعلم أبو القاسم بذلك ، فصارت بيني وبينه وقفة ! (١).

★ ★ ★

وهنا تأزّمت العلاقة بين ابن القارح وأبي القاسم الذي أضمر له السوء. وهجوه ، على ما نظن ، بنتيجة ما سمعه من قارص الكلام وتوعّد بالشر ، مع أنه حرص ، بإفضاء هـذا السرّ ، أن يجنّب العائلة الشرور التي كانت تغمر مصر .

— ١٠ —

واستفاضت شهرة ابن القارح في مصر ، وقرّبه الحكام ، وشرّفوه بخدمتهم ، واستطاع وهو يتولّى تدريس ابني القائد أن يغشى القصر وأن يشاهد الأمور عن كثب ، وقد أشار إلى بعضها بقوله :

« وأنفذ إليّ القائد أبو عبيد الله الحسين بن جوهر ، فشرّفني بشريف خدمته ، فرأيت الحاكم كلما قتل رئيساً ، أنفذ رأسه إليه وقال :

هذا عدوّي وعدوك يا حسين ! .

وما كان ليستطيع أن يستمرّ في الخدمة ـ أو في هذا التشريف على حد قوله ـ ، والعيش في ظل هذا العهد .

وبعد تفكير لم يطل ، وبعد أن قضى لبانته من زيارة مصر ، وتعرف على أدبائها وشعرائها وفقهائها وأئمة النحو في أزهرها ، وبعد أن غشي مجالس

(١) رسالة الغفران ص ٥٠ .

شيوخها وعلمائها وكبار رجالاتها ، وخبر جبلّة ناسها وطيب سريرة شعبها ، وغطرسة الحكام من غير أبنائها ، والمضحكات والمبكيات من نزواتهم وتصرفاتهم ، بعد كل ذلك آثر السلامة والهرب ، فاستأذن القائد في الحج ، وما كان ليأذن له لولا مكانته وأثره في تعليم ولديه ، وبعد لأيٍ أذن له ، فخرج سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وقد بقي في الحجاز مدة طويلة ، حجّ خلالها ، فيما يقول ، خمسة أعوام متتالية .

★ ★ ★

وعاوده الحنين إلى مصر بعد هذه الفترة الطويلة ، ولم يكد يصلها ويتصل بأصدقائه وزملائه ، ويتقرّى الأمور بعين فاحصة وحدس ثاقب حتى رآها أسوأ مما كانت عليه حين تركها .

لقد توقّع أن تكون الفتن العمياء قد خمدت . ولكن خاب ظنه . وقد هاله أن يعلم أن الحاكم العزيز بالله قد قتل صديقه الوفي والد أبي القاسم ، فذعر ، واضطرب ، وانهالت الدموع من عينيه .

وحين علم أولاد صديقه بعودته إلى القاهرة هرعوا يتوسلون إليه أن يرعاهم ، وأن ينقذهم من المأزق الذي يتخبّطون في مفازاته ودياجيره . وكانوا مختبئين خشية أن يطالهم البطش ، ومصيرهم إذا ظفر بهم القتل .

ويحار ابن القارح فيما يجب أن يعمله لإنقاذهم .

وبعد تفكير طويل قرر أن الهرب هو الوسيلة الوحيدة للخلاص من المصير الأسود الذي ينتظرهم فيقول لهم ـ وقد أوجس الشرّ على نفسه أيضاً ـ « خير مالي ولكم الهرب . ولأبيكم ببغداد ودائع هي خمسمائة ألف دينار ، فاهربوا وأهرب » .

وانصاعوا لنصيحته ، فهربوا وهرب هو ، وقد سلك كل واحد طريقاً . والطريق الذي سلكوه لم ينجهم ، فلم يكد يصل ابن القارح إلى طرابلس

حتى علم أنهم قتلوا في دمشق ، فجزع وحزن أشدّ الحزن لهذا المصير الذي انتهى إليه صديقه وأبناء صديقه ، ولم ينج من أبنـــاء صديقه غير أبي القاسم ، الوزير الأديب الذي اعتزم الثورة على حكام مصر ، وقد ازداد هـذا العزم وازدادت نقمته وزاد اضطرابه وهيجانه بعد مقتل أبيه وعمه وأخويه ، وصمم على الانتقام وتدبير ثورة جديدة مهما كان الثمن ، ولكن هل يفلح ؟ لقد قصد الرملة وهو محطّم الأعصاب ، فلم يكد يستقر ويستجير بصاحبها حسّان بن الجراح ويمدحه حتى يجيره ويسكّن جأشه ويزيل خوفه ووحشته ، ولكن أنّى لرجل طموح في دمه روح الانتقام لدم أبيه وعمه واخوته أن تسكن ثائرته . لقد اعتزم الانتقام بأي ثمن ، وسرعان ما حرّض ابن الجراح صاحب الرملة عليه ، فلم يتلكأ ، فاستجاب لتحريضه ، وخلع طاعته وثار عليه . وحرّض بدوره أمير مكة أبا الفتوح فثار عليه أيضاً .

وقد استطاعا ـ بتدبير ابن المغربي وحنكته ـ أن يتغلّب جيشها على جيش العزيز حاكم مصر الذي لجأ إلى المال فأغرى ابن الجراح بخمسين ألف دينار إذا خذل أمير مكة فرضي ، وخذل أبو الفتوح وعاد إلى مكة .

– ١١ –

وحين أخفقت الثورة أو الخطة التي رسمها ابن المغربي شعر بالخيبة المرة ، وخشي على نفسه أن يقع في الفخ وأن يصبح مصيره كمصير أفراد عائلته ، فهرب إلى العراق ، ولم يكد يستقرّ فيها حتى اتهم بأنه جاء لتدبير ثورة على الدولة العباسية بعد الذي عُرف عن محاولاته الخطرة في مصر وفلسطين والحجاز ، ولا سيما ، والنزعة الثورية أصيلة في العائلة ، فما تكاد تخدم أميراً أو حاكماً حتى تطمح إلى الرئاسة فتثور ، وقد تعدّدت ثورات أفرادها وانتفاضاتها في كل قطر نزلته .

★ ★ ★

هكذا مرّت حياة أبي القاسم في إثارة الثورات ، إلى أن انتهى إلى الموصل ، فديار بكر حيث وزر لسلطانها أحمد بن مروان ، فأقام عنده وزيراً مفضلاً يكتب آراءه فيما يجب أن يتحلّى به الحاكم ، فكتب كتاباً « في السياسة » عكس فيه آراءه على ضوء حياة أحمد بن مروان ، هذا الحاكم الذي تصفه كتب التاريخ بالصلابة والتقى ، والذي لم تفته صلاة الصبح عن وقتها رغم انهماكه في الملذات ، وملذّاته أن يخلو كل ليلة بجارية ، فقد كان له ثلاثمائة وستون جارية ، يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة ، فلا تعود النوبة إليها إلاّ في مثل تلك الليلة من العام الثاني (١) .

— ١٢ —

كان لا بدّ من هذا الاستطراد لعلاقة الوزير أبي القاسم المغربي بحياة ابن القارح الذي هرب من مصر ، كما ألمعنا ، فجاء طرابلس ومنها إلى انطاكية حيث مكث فترة قصيرة ، ولم يعرّج على حلب ، وقد اقترب من تخومها ، لعلمه أن الأمور لم تتحسّن بل كانت تسير من سيء إلى أسوأ ، فسافر إلى ملاطية حيث حلّ ضيفاً على خولة بنت سعد الدولة . وخولة هذه حفيدة سيف الدولة ، وكانت على جانب غير قليل من تذوق الأدب ورواية الشعر ، وهذا غير غريب ، فحب الأدب ورعاية أهله والإغداق عليهم سجية امتاز بها الحمدانيون ، وقد ورثوها صاغراً عن كابر ، فأضافت الشيخ الملمّ ابن القارح ، وقد تتلمذت عليه ، وأنست بهذه الضيافة التي تميّزت بأحاديثه عن رحلاته . وعمن لقيهم في مصر وبغداد والحجاز ، وعن الأحداث التي هزّت العالم العربي ، إلى الدور الكبير الذي لعبه جدها في الذود عن تراث الأجداد .

★ ★ ★

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٧ .

وبينا هو ينعم بهذه الفترات الحلوة الهادئة في ظلال هذه الأميرة الحمدانية التي امتازت بالنبل والذكاء وبالأصالة والجمال إذا بأبي القاسم يستدعيه إلى ميّافارقين . ويتردد في تلبية هذه الدعوة . ويتساءل عن مغزاها ؟ أتكون مكيدة للانتقام منه لأنه أفضى بدخيلة نفسه الى أبيه ؟ أم لشكره على نصيحته بالهرب ؟

وبعد يومين عاشهما في جحيم الريب والشكوك اطّرح من ذهنه كل هذه الهواجس وسافر إلى ميافارقين غير هيّاب ولا وجل .

والتقيا . وكان كل واحد يظهر لصاحبه غير ما يبطن . ويروي ابن القارح قصة هذا اللقاء الذي يعطينا صورة عن نفسية أبي القاسم ، وهي نفسيته الثائرة ، الهائجة ، المضطربة .

وأنقل نصّ الحوار الذي جاء في صلب الرسالة :

قال الوزير المغربي : ما رأيتك !

أجاب ابن القارح : أعرضت حاجة ؟

قال : لا . أردت أن ألعنك !

قلت : العنّي غائباً .

قال : لا . في وجهك أشفى !

قلت : ولِمَ ؟

قال : لمخالفتك إياي فيما تعلم !

★ ★ ★

ويضيق ابن القارح بهذا اللقاء الموحش فيهجره ، ثم يجتمعان ويتماتبان من جديد . ولا يلبث أبو القاسم أن يكيل له الصاع صاعين .

ويروي ابن القارح طرفاً من شذوذه ليسوّغ لأبي العلاء حوافز هجوه ، بالحديث الآتي :

« .. وقلت له : ونحن على أنسٍ بيني وبينه ، لي حُرُمات ثلاث » :

١ — البلدية ، أي انها من بلد واحد .

٢ — وتربية أبيه لي .

٣ — وتربيتي لإخوته .

فقال : هذه حُرَمٌ مهتكة :

١ — البلدية ، نسبٌ بين الجدران .

٢ — وتربية أبي لك ، منّةٌ لنا عليك .

٣ — وتربيتك لإخوتي ، بالخِلَعِ والدنانير .

وأردت أن أقول له : « استرحتَ من حيث تعبَ الكرام ، فخشيت جنون جنونه ، لأنه كان جنونه مجنوناً ، وأصحّ منه مجنون ، وأجنّ منه لا يكون ، وقد أنشد :

جنونُك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

بل جُنّ جَنَانه ، ورقص شيطانه :

به جنّةٌ مجنونة غير أنهـــا إذا حصلت منه ألبّ وأعقل

وظلا طوال حياتها على جفوة ونفور ، فما اجتمعا إلا اصطدما بقارص الكلام . ولا عجب فلكل واحد نزعته وسجيته وهما نزعة أمير ثائر وسجية شيخ مؤدب ، ونكتفي بهذا الإلماع فقد نعود الى ما بينهما من نقاش وعراك حين نعرض الى مضمون الرسالة .

ولم تطل إقامة ابن القارح في ميافارقين ، فما لبث أن فارقها إلى آمِد . موطن غير واحد من الأدباء والشعراء ، يعيش فترات في ظلال البيئة التي أنبتت الأديب الناقد الذي كتب « الموازنة بين البحتري وأبي تمام » و « أغلاط قدامة بن جعفر » في كتابه « نقد الشعر » ، ومع علمه بأن الآمدي (١) ولد

(١) في « أعلام » الزركلي (ج ٢ ص ١٩٩) ترجمة الآمدي .

ومات في البصرة ، وأنه لم يحظ بلقائه ، فقد أثاره منبته أي المدينة (١) التي التصق اسمها باسمه ، وكثيراً ما تثير المدن والأماكن التي تنبت العباقرة والموهوبين ذكريات عبقة في نفوس الأدباء والمفكرين .

وكم من زائر لحلب لا يكاد يمرّ بمعرة النعمان . حتى يقف وقفة طويلة لزيارة قبر أبي العلاء ، وترديد الكثير من حكمه وآياته .

ولم تكن زيارة ابن القارح لآمد إلاّ من هذا القبيل .

-١٣-

لم تطل إقامته في آمد ، فبعد تطوافه الكثير في المدن والعواصم ، وقضائه سنوات طوالا نيّفتْ على الخمسين عاماً بعيداً عن أهله ووطنه ، يعيش في الأجواء الفكرية المشوبة بالكثير من التيارات المختلفة ، عاد إلى مسقط رأسه ، إلى حلب ، يتعرّف على معالمها وناسها . لقد غادرها شاباً ملء بردتيه الطموح ، فعاد إليها شيخاً عركته الأيام وطحنته أعباء السنين .

فقد آن له أن يستريح ، ولكن أنّى له الراحة والمشاهد والصور والأحداث والآراء التي اختزنها خلال رحلاته كانت تثيره ، وقد خشي أن تموت بموته ، فرأى أن يفضي بها إلى رجل يحسّ إحساسه ويتفهّم مقاصده . فمن هو هذا الرجل ؟

---

(١) آمد : مدينة قديمة بين النهرين ، يسميها الأتراك «آمدُ» و « قره آمد » أي آمد السوداء ، لسواد حجارتها ، وهي من الحصون القديمة التي تداولتها الدول . وكثر ذكرها في الحروب المتتابعة بين الروم والفرس ، ثم بين الروم والعرب ، ولا سيما الحمدانيين منهم ، ثم بين المسلمين والصليبيين ، وموقعها على دجلة تستدير بها كالهلال ، في قول ياقوت ، وينسب اليها عدد من الأدباء والشعراء ، واسمها اليوم ديار بكر .

لقد كتب رسالته التي تضمّنت الكثير من الآراء في طبيعة الحياة، وفي جوهر الحياة الأدبية، فغمز ولمز، وأوضح رأيه في الكثير من المشاكل، وبعث بها إلى إمام العصر، إلى أبي العلاء الذي لم يكن غيره يستطيع أن يزيل الشكوك التي هزّت ضميره، وهي تلك الرسالة التي أثارت الشاعر الفيلسوف الذي لم يبخل عليه بالجواب، فكان للأدب العربي تلك الطرفة الخالدة التي تعتبر من أروع رسالات الفكر في الأدب الإنساني.

سامي الكيالي

❋❋

على هامش

« دعوى الصعوبة في تعلم العربية »

بقلم الدكتور خليل ا . ح . سمعان

أستاذ مشارك

جامعة ولاية نيويورك في بنغمتن

— ٢ —

يجدر بنا قبل الاسترسال في مناقشة « تعلّم العربية وتعليمها لأبنائها وللأجانب »[١] أن نتابع عرضنا لآراء في العربية أبداها قبل حوالي القرن أحد أبنائها المصريين العرب في محاضرة ألقاها على المستشرقين المجتمعين في مؤتمرهم العالمي في ستوكهولم عاصمة اسوج عام ١٨٩٠ .

وكانت الآراء الغربية ، آراء بعض المستشرقين ، التي ناقشها ذلك المصري العربي ، المرحوم الشيخ أمين فكري ، في محاضرته المشار اليها هي :

١ — ان اللغة العربية لا تصلح للتخاطب ولا تفي بالغرض كأداة للعلم والتعلّم ، وانها لغة صعبة لا يمكن إتقانها إلا بعد عناء شديد ووقت طويل .

٢ — وان اللغة « العاميّة » أسهل من العربية وأوفى بالغرض ولذلك يجب استعمالها أداة للتعليم والتعلم في جميع الحقول ، العلمية منهـــا والفنية والمهنية والأدبية .

٣ — وإذاً فيجب الاستغناء عن العربية كلياً .

---

(١) راجع بحثنـــا المنشور في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » م ٤٢ ، ج ٤ ، ص ٧٩٤ — ٨٠٤ .

ولقد ناقشنا بإيجاز ، في بحث نشر في العدد السابق من المجلة ، حقيقة اللغة العربية ومشكلة الصعوبة في تعلمها ولا نزيد . أما المرحوم الأستاذ فكري فقد أخذ على نفسه إبطال هذه الآراء المستشرقيه الفاسدة فأحسن إذ قال :

« أما نحن » فاننا نخالف القائلين بهذه الآراء من المستشرقين الغربيين » ونذهب غير مذهبهم لوجوه : [1]

الأول : ان ما يجدونه من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون واستئثارها بالكتابة (٦٠) سيجدونه في نقل العلوم إلى اللغة العامية ، بل يجدون في الثاني ما هو أشد من الأول .

فان اللغـة العامية تختلف باختلاف الأقطار والبلاد بما لا ينقص عن الاختلاف بين العامي والفصيح بل وربما زاد . فان جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة إذا (٦٥) ورد إلى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية وحاله مع أهل ذلك البلد يكون بعينه أو أكثر في مصري ذهب إلى بلاد المغرب [2] الأقصى أو الجزائر أو سورية وهكذا من يجيء من تلك الجهات إلى مصر إذا كان لم يدخل المكاتب ولم يسبق له مخالطة أهل البـــلاد التي جاءها .

(٧٠) فإنا لا نشك في أنك إذا قلت لمصري عامي (كَيْفَ حالُكْ) باللغة الفصحى ، من غير لحن ، تجده يفهم من هذه العبارة ما أردت ، بخلاف ما إذا قال له المغربي (أشنّيْكْ) أو (آشْنْتَايَا) . وكذلك فهم المغربي العامي إذا قلت له (كيف حالك) أسهل من فهمـــه لقول (٧٥) العامي المصري (ازّيَّكْ) . وهكذا يفهم المصري قول العربي الفصيح (ما هُو) بخلاف قول المغربي (آشْنُو) و (شيهُو) أو قول السوري (شيكْلو) . وكذلك

---

(١) الأعداد المذكورة خلال الكلام تشير الى أرقام الأسطر في المخطوط الأصلي .
(٢) « الغرب » في المخطوط .

يفهم المغربي والسوري من قولك (ما هو) أكثر من قول المصري (ايهْ هُوّا) أو (هُوّا إيهْ) . (٨٠) وكذلك قولك المصري (هذا الوقت) أسهل عليه فهماً من قول المغربي (دَوّا) أو (دِرْوَقْ) أو (دِرْوَكْ) أو قول النابلسي (هالْقِيت) ؛ وقول البيروتي (هَلاّءْ) بتفخيم اللام ، والطرابلسي (هَلاّءْ) بترقيقها . وقولك (عمامه) أسهل عليه من قول المغربي (٨٥) (كَشْطَه) والشامي (لَفّه) ، فانه لا يفهم « اللفّه » إلا بمعنى الثوب الذي يلف فيه الطفل الصغير وهو رضيع غير مفصل عليه . وقولك (النّعل) أو (النّعال) أسهل من قول المغربي (الصَّبّاطْ) ، و (كثير) أسهل من قوله (ياسِرْ) أو (بالزّافْ) ، و (المطفه) (٩٠) أسهل من (الزّنْقَهْ) ، و (سفينه) أسهل من (شْقَفْ) أو (شَقّوفْ) ، و (رواق) أسهل من (بُرْطالْ) ، وقولك (امضاء) أسهل من قوله (خَنْفوسَه) ، وقولك (أمضيت الكتاب) (٩٠) أسهل من (خَنْفَسْتْ الكتاب) و (الكتاب مُخَنْفَسْ) ، وقولك (هل عندك ساعة) أسهل عليه من قول المغربي (ثمّاشْ مِنْقالَه)(١) ، وقولك (كم الساعة) أسهل عليه من قول المغربي (قَدّاشْ التّمْديلْ) (١٠٠) و (حمص) أسهل عليه من قول الشامي (أضامَه) وهكذا مما يطول إيراده ولا ينحصر تعداده » .

ثم أشار الكاتب إلى واقع اللغة العامية في البلاد ، وإلى اختلافاتها الاقليمية فقال :

« ومن دقق النظر في أحوال البلاد العربية يجد أن البلاد المصرية نفسها يختلف بعضها عن بعض بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهل اللغة

---

(١) قوله « منقالة » هذه : القاف تقرأ عندهم كالقاف في نطق صعيد مصر ، وكالجيم في نطق أهل القاهرة ، أي غير معطشة .

الفصيحة الصحيحة . فان أهل (٢٧٠) الصعيد الأعلى يستعملون من الألفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمه أهل البحيرة . بل لأهل مديرية الشرقية ، مثلاً ، من الألفاظ ما لا يفهمه أهل مديرية الدقهليّة الملاصقة لها ، إلا من تكرر سماعه لها . بل لأهل المديرية الواحدة ، في بعض البلاد ، ألفاظ تخالف ما هو مستعمل (٢٧٥) في معناها بالبعض الآخر ، وللعربان كذلك . وهكذا نجد في سائر البلاد العربية ، في ما نعلم ، ولا نطيل في إيراد الأمثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر . فمن أراد نقل العلم إلى اللغة العامية لزمه أن يفرق بين أهل الأقاليم في معارفهم وآدابهم وما باعد [١] بين أفكارهم . وانقلبت الأمة بسعيه (٢٨٠) إلى أمم مختلفة لا يفهم الأفراد من احداها ما يقول الأفراد من الأخرى وهم أهل شريعة واحدة . . . . . . [٢] وكل واحد منهم في حاجة إلى معونة الآخر في أقل الضروريات وأجلها » .

ومن الطريف أن هذا الرجل العربي ، في نقده الرصين لآراء المستشرقين ، لم يكتف بلعن الظلمة بل تجاوز ذلك فأشعل نوراً يضيء السبيل أمام المستشرقين ومن مشى في ركابهم فقال :

« فان قال أهل ذلك المذهب أننا نضع كتاباً يحتوي على جميع اللغات العامية (٢٨٥) في الأقطار العربية أو يحتوي جميع الألفاظ المصرية مثلاً ، مرتبة على الحروف والأبواب ، وتعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ، وتفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي ، فاذا عثر أحد من أهل الغربيــة مثلاً على لفظ في كتاب لأحد من أهل جهة أخرى راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده .

---

(١) « باعد » في المخطوط ولذا أضفنا « ما » .

(٢) حذفنا من الأصل عبارة (وفي سلطان حاكم واحد) لانعدام الفائدة منها بعد زوال سلطان العثمانيين الأتراك عن بلادنا العربية . هذا وان هذه العبارة بالذات ستظهر في طبعة هذا المخطوط الذي نقوم بتحقيقه وترجمته الى الإنجليزية .

(٢٩٠) قلنا : لو تسنى ذلك لنا بالفرض لم يكن ذلك بأسهـــل من مراجعة الكتب اللغوية التي بأيدينا اليوم على أنا اذا اقتصرنا في كتبنا الصناعية والفنية ، التي يحتاج اليها عامة الناس ، على الموافق للاستعمال الحالي والقريب اليه من العربي الصحيح وتركنا الغريب والبعيـــد عن المستعمل (٢٩٥) لسهل الأمر جداً ، كأن نستعمل في المؤلفات بدل لفظ (اللجين) ، مثلاً ، لفظ (الفضة) بمعناه ، فان الثاني ، مع كونه لفظاً صحيحاً فصيحاً في هذا المعنى ، هو كما تراه قريب من اللفظ العامي ، فلهذا يفهمه العامي وغيره ، (٣٠٠) بخلاف الأول . ولذا ندعه ونستعمل الثاني . وكذا نستعمل بدل لفظ (العسجد) ، مثلاً ، لفظ (الذهب) ، اقرب الثاني من اللفظ العامي ، لا يفرق بينهما إلا بالذال منقوطة في الصحيح ، والدال غير منقوطة في العامي ، فلهذا لا يتعسر فهمه . وهكذا ومن هذا القبيل ما قصدناه (٣٠٥) على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي (المنقوطة) و (غير المنقوطة) في هذه العبارة بدل لفظي (المعجمة) و (المهملة) الغالبتين في المؤلفات . ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناه هنا لأننا نكتب للخواص لا للعـــوام . فاذا اعتنينا برعاية ما ذكرناه ، أعني الاقتصار في المؤلفات التي يحتاج اليها عامة الناس ، كما ذكر ، لا خاصتهم ، على مألوف الاستعمال لم يبق من حاجة غالباً إلى مراجعة الكتب اللغوية إلا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها من العلماء والأدباء ومن يريد اللحاق بهم ، والترقي في درجات البلاغة إلى (٣١٥) درجاتهم ـ وما ذاك بتعين على عامة الناس ، ولا تدعو إليه ضرورة بالنسبة إليهم . ومن أراده ممن تسمو به نفسه عن تلك الطبقة [1] للتوسل به

(١) برأينا أن هذه العبارة ، بالرغم من دلالتها الطَبَقيّة ، صحيحة لا غبار عليها . فالرجل يكتب في القرن التاسع عشر ولأبناء القرن التاسع عشر . ومعلوم أن التفكير الطبقي كان طبيعياً في القرن الماضي ، لا بالنسبة الى العـــرب وحسب ، بل وبالنسبة الى أوربة والأمريكتين أيضاً .

إلى علوم التفسير ونحوها وإجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بهـــا ، وجد الكتب التي يحتاج (٣٢٠) إليها في ذلك حاضرة ، والطريق مسلوكة ، والطريقة سهلة ، والمرام على طرف الثمام[1] بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربية في النطق والمكاتبة والتأليف كلها ، وهجرناها مليا ، فان ذلك تندثر به تلك الكتب وتتناسى ، ويضمحل أمرها ويتلاشى ، وبتداول الزمن ، يصبح الوصول إلى ذلك المراد أصعب من خرط القتاد » .

ولا يكتفي شيخنا بهذا القدر من العلم والحكمة والنصح ، بل يزيد فيحذر المستشرقين المخلصين في خدمة العلم والعربية من مغبة التفكير الخاطيء بهـــذا الشأن العلمي الأصيل وصعوبة تطبيق آراء لا منطقيه ولا علمية عليه فيقول :

« والعمل في جمع متفرق اللغات العامية وتمييزها مما يصعب نجاحه كل الصعوبة ، فان واضع مثل ذلك الكتاب الجامع لا يصل إلى الغرض حتى يخالط أهل كل اقليم (٣٣٠) بل كل ناحية ويسمع كلامهم في جميع المقاصد والأغراض ليتسنى له بذلك الإحاطة بجميع الألفاظ . وهـذا يستغرق من الزمن والنفقة ما لو صرف بعضه في حمل الناس على التكلم بالفصيح لأتى بالغرض المطلوب على أتم وجهه وأكمله . (٣٣٥) هذا كله إذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العامية وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش .

فاذا نظرنا إلى هيئات التراكيب التي تختلف أيضاً باختلاف الأقطار والنواحي لاحتجنا إلى فن نحو خاص بكل قطر أو بكل ناحية ولكان على

---

(١) الأصح « الثمام » . راجع : البكري ، فصل المقال (خرطوم ١٩٥٨) ص ٢٧٦ ؛ العسكري ، جمهرة الأمثال ، ٢/٢٥٧ ؛ الزمخشري ، مستقصى ، ٢ / ٣٨٧ رقم ١٤٢٢ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٣٢٦ الخ . ؛ والنويري ، نهاية ، ٣/٥٥ ؛ أدين للمستشرق الدكتور انطون شبيتالر ، جامعة مونيخ ، بمساعدتي على حل هذه العقدة الفيلولوجية وتوجيهي إلى المصادر .

العربي منا (٣٤٠) أن يتعلم كل نحو وضع لكل لغة حتى يتمكن من فهم كل ما يُكتب في اللغة العامية من أي بلد من بلاد العرب ، وهذا يكلفنا من المشقات أضعاف ما يكلفنا تعلم اللغة العربية الفصيحة . ونحتاج أيضاً إلى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية لتكون (٣٤٥) كتابة كل جهة جارية على أصول مضبوطة وطريقة واحدة ، وإلاّ صار كل واحد من أفراد الناس يكتب بهوى نفسه ، على حسب ما يعن له ، من غير قاعدة مقررة ، ولا قانون ضابط فمثل (إلّلِي) في العامية بمعنى (الذي) في الصحيحة ، هل تكتب (٣٥٠) بلام واحدة ، مثل ما يكتب (عِلِّي) في اللغة الصحيحة ، بلام واحدة مشددة ، جرياً على قاعدة الادغام المرعية عند أربابها في النطق والرسم ، أم تكتب (اللي) بلامين بناء على أن تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها ، كما تكتب (قِلْلي) (٣٥٥) من اللغة التركية (١) بمعنى « ذي شعر » بلامين و (أَلْلي) أيضاً بمعنى « خمسين » بلامين كذلك ، لعدم رعاية الإدغام عندهم (٢) واختصاصه باللغة العربية الأصلية الصحيحة ؟ ومثل (قَلْلي) المحرفة من (قالَ لي) : هل تكتب بلام واحدة مشدّدة أم تكتب (٣٦٠) بلامين متصلتين ، أو منفصلتين ؟ وعلى كل هل تكتب بألف بين القاف واللام على الأصل ، للتفرقة بينها وبين (قُلْ لي) المركبة من فعل أمر وجار ومجرور ، أم هل تترك الألف من الرسم لسقوطها في النطق ؟ وعلى كل أتكتب (٣) بالهمزة بدل القاف (ألْ لي) (٣٦٥) أو (آلْ لي) أو (ألّي) أو غير ذلك ؟ ثم على كل هل تكتب بالهمزة في أولها بدل القاف ، لأن النطق بها كذلك في العامية ، في بعض البلاد ، مثل القاهرة ، أو بالقاف الحقيقية لأن النطق بها كذلك في بلد آخر ، كرشيد ؟ أو تكتب بالجيم

(١) اللغة التركية المرموز اليها هي اللغة العثمانية القديمة لا اللغة الأتاتوركية الحديثة .
(٢) أي الأتراك العثمانيين .
(٣) « تكتب » في المخطوط .

رعاية لحال النطق بها في بعض آخر ، كالصعيد ، (٣٧٠) لأن أهله ينطقون بها بما يشبه جيماً غير معطشة كالجيم العامية المعتادة في القاهرة ؟ أو تكتب بالقاف ويرمز لها بما يميزها عن القاف الحقيقية ، أو بالجيم مرموزاً لها بما يميزها عن المعطشة ، أو يوضع لها حرف جديد ؟ وبالجملة يلزم وضع علم للرسم في هـذه (٣٧٥) اللغة العامية إذا نقلنا إليها الكتابة والفنون لتتحد الكتابة فيها وإلاّ انتشر في كتابتها الخلاف ، وعمل كل برأيه وعلى حسب ما يراه الصَّواب . ويتسع الاختلاف كثيراً في رسم الكلمة الواحـــدة في بلدين ، مثلاً ، بل في بلد واحد ، بحسب اختلاف الأنظار فيما هو (٣٨٠) الصَّواب في الرسوم وهلمّ جرا ، إلى سائر ما يلزمنا استحداثه في الفنون ، لنقل التآليف والكتابة إلى اللغة العامية . وبعد هذا كله نرجع ونقول إن الزمن الذي يكفينا لتعلّم الفنون والقواعد لهذه اللغة العامية ، من نحو ورسم وغيرهما ، يكفينا لتعلم لغتنا العربية الصحيحة (٣٨٥) ونربح وحدة اللغة ، وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات أسلافنا فوق ألف سنة ، مع الاقتصار على الضروري من تلك القواعـد اللغوية ، بقدر ما يلزم لعامة الناس ، لا خاصتهم ، كما مر .

فان قال أحد من أهل هذا المذهب : لا يلزم (٣٩٠) وضع قواعد لهذه اللغة العامية ، لأنها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين أهلها . قلنا : لو كان الأمر كذلك ، لما اضطرت كل أمة من الأمم المتمدنة إلى وضع قواعد لضبط لغتهم التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم (٣٩٥) ومفضولهم ، مثل معرفة عامينا للغتنا العامية في الأقل ، ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها ، حسماً ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمفاسد ، وقد بينا بعضه .

فان قالوا : ان الطريق الذي سلكه المتقدمون (٤٠٠) في الإحاطة باللغة العربية الفصيحة ، وحصْر مواردها ، وضبط قواعد النطق بها ، نسلُكُه فيما نريد من ذلك للغة العامية . قلنا : كانت اللغة العربية وصلت إلى حدّ الكمال ، واستقرّت على حالة رسخت في الأذهان ، وثبتت في القرائح ، واختلط أهلها من جميع أطراف (٤٠٥) البلاد العربية ، حتى عَرفَ كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين : فكان البدوي من أهل اليمن يخاطب الحضري من أهل الشأم والعراق فلا يرتاب واحد منهما في لفظ مما ينطق به الآخر ، إلاّ أن يكون لفظ طرأ من لغة أجنبيّة ، فعربه التوليد (٤١٠) وهو مما لا يلتفت إليه في لغة واسعة . ثم انقرضت الطبقة التي كان يعتـد بلغتها ، ويستشهد بكلامها ، في إثبات مفردات اللغة وعلومها .

واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه إلى ذلك العهد ، لا تقبل تغييراً ولا تبديلا . ولهذا سَهُلَ على واضعي قوانينها (٤١٥) وحفاظ موادها ، أن يحيطوا بأطرافها ، ويأتوا على كل جوانبها . وأفادها الشرع الشريف تأييداً وتأبيدا ، وأمدها أمداً مديدا ، بخلاف حال العربية العامية المستعملة اليوم ، فهي عرضة للتّغيّر والتبدل » .

ومن أطرف ما جاء به شيخنا من آراء رأي هو في الواقع مبدأ اجتماعي ـ ألسْني (سوسيولِنْجْوِيسْتِيك) عرفه العرب قديماً ولم يكتشفه الغرب إلا مؤخرا ، ألا وهو أن اللغة إنما هي كائن حي تختلف أعضاؤه قوة ونشاطا باختلافها مراناً وتدريبا.[1] قال المرحوم الشيخ أمين فكري :

---

(١) انظر مثلاً مقدمة ابن خلدون ، الباب السادس الفصل السادس بعد الأربعين (ص ٥٧٤ في طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، غير مؤرخة) حيث يقول « إعلم ان لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً . . . . إلى . . . . ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء » وقس عليه المبدأ الألسني المشار إليه .

« ان من تتبع أحوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد أنها كما تختلف باختلاف الأزمنة تختلف أيضاً باختلاف الأشخاص والأمكنة . فانك تراها ترتقي إلى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند أهل العلم ، وعند البعض ممن يخالطون العلماء (٤٩٥) وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد ، وكما أنك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي إلى هذه الدرجة ، تراها تسفل وتنحطّ عن الفصيح ، عند من لا يعرفون سواها ، فلو أردنا تقريرها ونقل العلوم إليها لعسر علينا تعيين هيئةٍ خاصة في المواد والتراكيب ، وكان حَمْلُ الناس على التزام تلك الهيئة أشدَّ عسراً . ولكونها تعدّ تحريفاً لا لغة ، وليس لها هيئة ثابتة ، ولا سلطة لنا على لسان العامة ، ما دام التحريف له (٥١٠) عادة اننا مهما حرصنا على هذه العادة ، التي سميناها لغة ، لا نأمن أن نراها بعد قرن واحـــد قد صارت إلى ما لا نتصوّره الآن . ويأتي أهل القرن الثاني ويقولون فيما وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة الفصيحة . وهكذا يستمر التغيير والتبديل (٥١٥) في اللغة العامية : فإما أن يتبعه التغيير والتبديل في الكتب والكتابة ، كلّ زمان ، قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، تبعاً لتغيّر نطق اللسان ، كما يريدون أن يكون الآن ، حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الأجيال ، ولا يفهم لسانهم من يأتي (٥٢٠) بعدهم ، ويصير كل جيل منهم أمّة قائمة بنفسها ، منفردة بذاتها ، وحدها عمن قبلها ، ومن بعدها ، وهذا الأمر ، فضلاً عما يتبعه من طول العمل فيه ، وكثرته ، وتكرره ، والعناء في تقريره ، عصراً فعصراً ، لا يخفى ما فيه .

وإما أن لا يتبع ما يحدث من التغيير والتبديل (٥٢٥) في النطق تغيير وتبديل في الكتب والكتابة ، بل تبقى الكتب والكتابة ثابتة على ما يتقرر أول مرة ، لو حصل ، مهما تغير التكلّم ، وتبدّل ، وحينئذ نرجع إلى ما نحن فيه ، من أن الكتب تكون على لغة ، والنطق على غيرها ، ويضيع

التعب سُدًى ، والعمل عقيما عن (٥٣٠) الفائدة ، بل يزيد على ذلك ، انا نكون بهذا العمل ، قد استحدثنا لغة زائدة ، فيزيد الطين بلة ، وتكون المؤلفات القديمة ، المؤلفة في أكثر من ألف سنة في آفاق العالم ، وأقطار الدنيا ، مبنية على لغة مهجورة حينئذ ، وهي العربية الصحيحة ، وتكون الكتب التي تستحدث (٥٣٥) الآن على لغة غيرها ، وهي العامية المستعملة الآن ، التي ستهجر بعد ، ويكون التكلم على لغة أخرى ، وهي التي تحدث للنطق بعد جيل ، مثلاً ؛ فان تبع تغيير الكتب تغيير النطق والتكلم ، على الوجه الأول ، تكون لغة رابعة ، فان تغير بعد ذلك أيضاً ، تستجد لغة خامسة ، وهكذا تتسلسل اللغات إلى ما لا يتناهى لو حصل ذلك ـ لا حصل » .

أما بصدد ماهية اللغة العامية وطبيعتها فلقد أوجز الكاتب فأجاد إذ قال : « إن اللغة العامية جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة وأضيف إليها بعض ألفاظ أجنبية من لغات الأقوام الذين دخلوا في اللغة ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها ، وإنما حفظ منها ما اشتدت إليه حاجة المتكلمين بها للتفاهم في الأغراض المعاشية (٥٨٥) الظاهرة . أما العلوم والآداب فلم يكن لهذه اللغة حظ منها » .

ثم أشار إلى ماهية اللغة الفصحى إشارة عابرة ولكنها وافية وقال :

« كانت أمة العرب قبل الإسلام منحصرة في بلادها غير منتشرة في آفاق الأرض (نريد انتشار الجماهير المجمهرة والألوف المؤلفة للغلبة والاستيلاء (٤٤٠) والفتوح لا انتشار الأفراد والجماعات القليلة للتجارة ونحوها من الأسباب ، فان الثاني لا ينشأ عنه أثر ذو بال وأهمية بخلاف الأول) . ثم ظهر فيها الدين المبين الإسلامي ، وكثر وانتشر ، وقوي أهله ؛ وسارت الدعوة إليه ، على يد القائمين به ، (٤٤٥) الناصرين له ، الناشرين كلمته ، إلى من جاورهم ومن قاربهم ، ومن بعدهم ، وغيرهم ؛ وتوالت على أيديهم الفتوح ،

حتى انتشروا في مشارق الأرض ومغاربها ، مؤيدين بالظفر ، ظافرين بالنصر ؛ وأسلم معهم من أهل البلاد التي احتلّوها من أسلم ، فصار منهم ، (٤٥٠) وانقاد من لم يُسْلِمْ ، فدخل في ذمتهم ؛ وأقام في كل صقع ناس منهم ، للقيام بالأمر وتقرير أحكام الشرع ، وتعليم أصول الدين وفروعه ، وحفظ البلاد التي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم ، واختلطوا مع أهل تلك البلاد ، على حكم الضرورة ، في المعاشرة (٤٥٥) والمحاورة ، وسائر ما تستتبعه المساكنة « والمجاورة » وأمور المعاملة ، والتصق أهل تلك البلاد بهم ، واختلطوا معهم ، وتعلموا من لغتهم وعادتهم ، وسرى من كل فريق منهم أشياء إلى الآخر ، بحكم المخالطة ، وتوالي الأيام والأعوام عليها . وانتقل ذلك إلى الأبناء بعد الآباء (٤٦٠) والأحفاد بعد الأجداد ، إلى أن صار أهل تلك البلاد التي دخلوها واستولوا عليها ، مَزيجاً مركبا ، صدق فيه ما قيل « نَبَطٌ اسْتَعْرَبُوا[1] وعَرَب اسْتَنْبَطُوا » وأن يقال « عجم استعربوا وعرب استعجموا » . وثبتت اللغة العربية في البلاد التي كانت (٤٦٥) تمكنت فيها تلك اللغة أفضل تمكن ، كمصر ، مع ما طرأ عليها من التحريف والتغيير ، وازداد بطناً بعد بطن ، وقرناً بعد قرن ، لا سيما بعد أن تَقَلَّصَتْ ظلال دولة العرب ، وخلفهم على البلاد غيرهم من أمم مختلفة ، وأجناس من الناس متباينة (٤٧٠) تداولتها ، واستولت عليها . كما أنها دخلها أيضاً ولا يزال يدخلها أخلاط من الأمم ، للتوطن والإقامة ، كثيرٌ منهم موافق لأهل البلاد ، في أصل اللغة ، ومطلق التحريف ، مخالف لهم في كيفيته ، فيأخذون مما عند الأهلين ، ويأخذ الأهلون مما عندهم ، وهكذا صار وقوع التغيير (٤٧٥)

(١) النبط بفتحتين ، والنبط قوم ينزلون بالبطائح . (آ) والعجم خلاف العرب . (وآ) في المخطط « بالبطائح » .

بهذه الأسباب طريقة غير متغيرة ، عرفها من عرفها ، ولا ينكرها إلا مَن جَهِل أمرها » .

وختم شيخنا كلامه بقوله :

« وآخر الكلام أن اللغة العربية الفصيحة هي سبيل تقدم العرب في جميع أحوالهم فإن وجدت (٧٨٥) الناصر وانبعث إلى العمل من وجهه أشرقت على العرب أنوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة ، وأضاء عليهم من سناها ما أضاء على أمم العالم أجمعين عدة قرون لم يخف علم حالها على الناظر فيها » .

الدكتور خليل سعادة

التعريف والنقد

القاموس التشريحي

لاتيني (ألماني) عربي

تأليف الدكتور أنطون شالار

ط . م طب عصام حسن قلا

طبع في فينا

وهو معجم يقع في ٢٤٠ صفحة من القطع الوسط طبع في فينا توخى مؤلفاه (كما ذكر في المقدمة) « تذليل السبيل الى فهم مصطلحات التشريح لطلاب الشرق الأوسط في البلاد الألمانية حيث يكثر استعمال المصطلحات العلمية باللغة اللاتينية مما يجعل من الصعب على الطالب الذي ليس لديه المعرفة الكافية باللغة اللاتينية أن يفهم معنى اللفظ الذي يضطر الى حفظه عن ظهر قلبه دون أن يدرك معناه الحقيقي » .

وأورد المؤلفان في آخر الكتاب مصدرين اعتمدا عليهما في التأليف ، أحدهما الترجمة العربية لمعجم (Clairville) طبع باريز سنة ١٩٥٣ مع أن الواقع أن الترجمة العربية للمعجم المذكور طبعت في دمشق سنة ١٩٥٦ ومؤلفوها الأساتذة الدكاترة مرشد خاطر وحمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي.

والمعجم في جملته مفيد يستطيع الطالب الذي يدرس الطب باللغة الألمانية أن يجد فيه بغيته من معنى اللفظ اللاتيني أو الألماني ، وحبذا لو بحث المؤلفان

أو أحدهما (العربي) فيما تحويه المكتبة العربية من ألفاظ صحيحة من قديمة ومستحدثة لم ترد في معجم المصطلحات الكثير اللغات الذي اعتمدا عليه.

وعلى ذلك يجد من تصفح الكتاب بعض الألفاظ التي كان ينبغي الإمعان في البحث عنها، وللمؤلفين بعض العذر لبعدهما عن البيئة العربية وعساهما يعيدان النظر في ترجمة بعض الألفاظ متى أتيح لهما إعادة طبع هذا المعجم طبعة ثانية. وأذكر على سبيل المثال الألفاظ التالية:

Agonist : عكس المضاد (عضلة تقوم بحركة معينـة، هذه الحركة تعاكس Antagonist انظر هذا)، عوضاً عن مؤازر ومؤازرة.

Allantois : وشيقة، كيس الثانية البدئي، عوضاً عن الغشاء اللفائفي[1].

Albugineus : أبيض.

Albugen (tunica) : غشاء نسيجي ضام أبيض للخصية والمبيض. والصحيح أن يقال في اللفظة الأولى نسبة إلى الغلافة البيضاء وفي الثانية الغلافة البيضاء[2].

Alveole : حجرة صغيرة، حُفيرة صغيرة حويصل رئوي سنخ، عوضاً عن الدُردر والسنخ[3] والحجيرات حسب موضع استعمالها[4].

Magenblase : الجزء العلوي المملوء بالهواء من المعدة، عوضاً عن الحدبة الكبيرة.

---

(١) انظر الصفحة ٣١٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة.
(٢) « « ٦٤٧ « « السابع والثلاثين « « «
(٣) « « ٣٢٠ « « الرابع والثلاثين « « «
(٤) « « ٦٥٠ « « السابع والثلاثين « « «

Plasma : هيولى عوضاً عن بلازما أو مصورة .

Protoplasma : المبينة قبلاً ـ هيولى عوضاً عن الجبْلة .

Intrapleural : واقع ضمن غشاء الجنب ، عوضاً عن في جوف الجنب .

Intra - uterin : واقع ضمن الرحم ، عوضاً داخل الرحم .

in vitro : في المخبار الزجاجي ، عوضاً عن في الزجاج .

Marginalis : عائد إلى حرف عائد الى طرف عوضاً عن هامشي .

Margo - inis : حرف ، طرف ، عوضاً عن حافة .

Medialis : نحو الوسط باتجاه الوسط ، أنسي عوضاً عن متوسط .

Internus : داخلي عوضاً عن داخلي ، باطن وأنسي .

الدكتور حسني سبح



العلم الحديث

في

المجتمع الحديث

كتاب جديد بقلم فؤاد صروف

فؤاد صروف اسم غني بنفسه عن أي تعريف ، فهو الذي حمل لواء « **المقتطف** » سنة ١٩٢٧ بعد يعقوب صروف أحد مؤسسيه ، والمقتطف هو المدرسة التي حملت مشعل العلم ، إلى الدنيا العربية ، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ونحن اليوم إنما ننعم بجنى ثمراتها اليانعات ، ونغتذي بنتاج قرائح خرّيجيها ومؤازريها وجهودهم في اللغة والأدب والعلوم المختلفة ، بعد أن انتهت إليهم زعامة الفكر والعلم في أرجاء البلاد العربية، ويكفي هذه المدرسة ، اشادة بذكرها ، قول **شوقي أمير الشعراء** في مؤسسي المقتطف وفي مدرسته :

الشرق إلى العلم انصرفا وبفضل نوابغه اعترفا

اليوم استثمر ما غرسوا أعلامٌ نشروا (**المقتطفا**)

هجروا الأوطان إلى بلد وطّأهُ الله لهم كنفا

سورية أهدت صفوتها والبحر بلؤلؤه قذفا

ينبوع طال تفجّره وعليه القرن قد انتصفا

وكفى بالعلم لحامله شأناً ولخادمه شرفا

* * *

قام الأستاذ فؤاد صروف أخيراً بإتحاف المكتبة العربية بجهد جديد ، جمع فيه أبحاثاً قيمة عن « **العلم والانماء** » في المجتمع الحديث ، مؤرخاً خلالها

المراحل التي قطعها العالم العربي في مجالات المعرفة والتقدم العلمي ، مبيناً المراحل التي يجب عليه أن يُغذّ السير ليلحق بركب الحضارة العالمي ، وفي الكتاب صورة كاملة عن **« تطور الفكر العلمي العربي من سنة ١٨٦٠ إلى سنة ١٩٦٠ »** ، وقد اختار المؤلف لكتابه اسم **« العلم الحديث في المجتمع الحديث »** وقامت إحدى مطابع بيروت باخراجه للناس في طباعة أنيقة في أواخر سنة ١٩٦٦ .

إن من يطالع كتاب فؤاد صروف تأخذ بمجامع قلبه ، بادئ ذي بدء ، ومضة وفاء تملأ النفس تقديراً لصاحبها وإجلالاً لخلقه الرفيع ، فقد توّج المؤلف كتابه بكلمة إهداء إلى (**ذكرى كرنيليوس فانديك**) الرجل الذي خدم النهضة العربية الحديثة خدمة لا ينكرها إلا جاهل أو جاحد ؛ ولقد وصفه المؤلف بحق فقال : إنه « **أحد رواد نهضة الفكر العلمي العربي في القرن التاسع عشر** » .

إن فصول كتاب « العلم الحديث في المجتمع الحديث » عديدة وكلها قيّم ممتع ، لغة مشرقة وبيان ناصع وعلم غزير ، وإذا كان لي ، في هذه المجلة ، أن أخص فصلاً من فصوله بوقفة ، فالفصل الذي عقده المؤلف تحت عنوان « **سير ألفاظ علمية عربية مستحدثة** » فهو فصل فيه متعة ، فقد دوّن المؤلف فيه قصة : « سير بضعة ألفاظ استحدثها الكتّاب أو استحيوها ، وفيها بعض من دراسة ، وبعض من طرافة ، وهي في الحالين جزء ، وإن هان ، من تاريخ نهضتنا الثقافية ، **وعسى أن تضاف إليه أجزاء أخرى من أقلام العلماء والكتاب** » .

أما الألفاظ التي دوّن الأستاذ صروف طرفاً من سيرها فمنها :

أولاً : — لفظة (**النفّاثات**) ترجمة لكلمة (Jet) الإنكليزية ، ويذكر المؤلف أنه دفع إلى ضابطين من سلاح الطيران المصري ، يوم كان رئيساً لتحرير

مجلة «**المختار**» مقالاً لترجمته فاقترحا عليه الكلمة فقبلها، وظهرت المجلة في أيلول سنة ١٩٤٢ تحمل مقالاً عنوانه «**أعجوبة المحرك النفّاث**» ولم تمض بضع سنوات إلا وأصبحت الكلمة وما يتفرع عنها ملء الأسماع والكتب في جميع البلاد العربية.

ثانياً: — لفظة (**التلفزة**) وهي كلمة وضعها المؤلف بنفسه في أواخر العقد الثالث من هذا القرن تعريباً للفظتي (**تليفزيون**) الفرنسية و (**تلفجن**) الانكليزية، ومعناها «الرؤية عن بعد» وقد تخيّر هذه الصيغة المعربة لأنها تجري على الأوزان العربية، ويصاغ منها فعل (**تلفز**)، واسم الآلة (**تلفاز**) وابتدأ بنشرها بعدد أيار سنة ١٩٢٨ من «**المقتطف**» وقد شاعت هذه اللفظة اليوم شيوعاً كبيراً، وأدخلها بعض المؤلفين معاجم صنعوها.

ثالثاً: — لفظة (**التزريع**) والمؤلف كان سنة ١٩٦١ قد اقترح استحداثها بمعنى (**تطبيق الأساليب العلمية والتقنية الحديثة على الزراعة والصناعات الزراعية**) مقابلة للفظة (**التصنيع**) التي أقر مجمع اللغة العربيــة في القاهرة معناها المستحدث: «**جعل الأمة صناعية بالوسائل الاقتصادية**» أو «**نشر الصناعة فيها**».

وليس أدل على **البواعث النبيلة** التي دفعت فؤاد صروف إلى إخراج كتابه. من هذه النبذة التي ختم بها أحد فصوله، إذ قال:

«إذا أحسنا تقدير ما تم عندنا في تطور الفكر العلمي ودراسه العلوم، في المئة سنة الأخيرة، وبخاصة في الثلث الثاني من القرن العشرين واتخذناه حافزاً، **وإذا لم تحرفنا النشوة بأمجادنا العلمية القديمة** وتقدمنا الحديث عن قياس حالنا قياساً صحيحاً بأدق المقاييس، وإذا مضت الحكومات في الطريق الذي بدأت تسلكه إلى تشجيع البحوث العلمية والاحتفاء بالقائمين عليها وبها،

وانضم إليها الأفراد الأغنياء والشركات القادرة ، في الإنفاق عليها ، وإذا حرصت الجامعات وأساتذتها على **تخريج العلماء الذين مهرت نفوسهم بالشوق إلى البحث والكشف** ، ودُرِّبت عقولهم وأيديهم على طرائقها ، **وطبعت أخلاقهم بطابع القيم والفضائل العقلية والخلقية** ، التي يقتضيها البحث العلمي من المقدمين عليه ، فليس عندي شك في أن قدرتنا على السير مع مواكب العلم العالمية ، وعلى الأخذ بمنافعه المطبقة على المجتمع ، خليقة أن تزداد ازدياداً مطرداً ، **وعلى هذا ينعقد الرجاء** » .

عدنان الخطيب

مقام إبراهيم عليه السلام

بيان

من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ،

عن مقام إبراهيم عليه السلام

« مؤلف من (٤٨) صفحة بالقطع المتوسط »

ملخص قرار الرابطة ومقدمته أن من يؤم البلد الأمين لأداء فريضة الحج أصبح أضعافاً مضاعفة عما كان عليه في الماضي ، حتى صار المسجد الحرام رغم هذه التوسعة العظيمة يضيق بالوافدين إليه ، وإن أشد ما يقع الزحام والضيق – من بعد توسعة المطاف – في الجزء من المطاف الذي يقع بين الحجر الأسود وبين مقام إبراهيم ، فيحصل بسبب ذلك الزحام للطائفين على اختلاف أنواعهم من الحرج والمشقة ما الله تعالى به عليم . وقد أدى في بعض الحالات إلى إزهاق الأرواح من الضعاف والشيوخ دهساً بالأرجل . وكان القرار الإجماعي بإزالة جميع الزوائد الموجودة حالياً في هـذا الجزء من المطاف ، كالبناء القائم على مقام إبراهيم عليه السلام – وكالعَقد المسمَّى بباب بني شيبة ، لأن جميع هذه الزوائد لا تمتّ إلى مقام إبراهيم بأي صلة ، كما أن البناء الموجود حالياً فوق مقام إبراهيم لم يكن موجوداً في صدر الإسلام ، إنما هو من المحدَثات التي حدثت فيما مضى كما هو مدوّن في كتب التاريخ ، ومعظم الزحام إنما ينشأ من وجود هذه الزوائد التي لا ضرورة لبقائها ، بل بزوالها يزول عن الطائفين والقائمين والركع السجود الكثير من الضيق والحرج والمشقة .

اتخاذ مقام إبراهيم مصلّى

« وإذ جعلنا البيت مَثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى » .

المصلّى موضع الصلاة والدعاء والثناء على الله تعالى ، وهـــذا الأمر

« واتخذوا » لمن كان في عهد إبراهيم ولمن جاء من بعده ، حتى كأن الأمر موجه إليهم ، فنحن مأمورون بالدعاء في مقام إبراهيم كما أمر به من كان في عصره من المؤمنين .

ومضمون ما فسر به الأئمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف هـذا البيت ، وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدراً من كونه مثابة للناس ، تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، ـ استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله : « فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم » وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمن ، بناء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لأجل العبادة خاصة « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » ثم بني المسجد الأقصى بعد ذلك بقرون .

رفع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الأستاذ محمد سرور الصبان القرار بازالة جميع الزوائد الموجودة حالياً حول مقام إبراهيم كالهيكل القائم عليه ، والعقد المسمى بباب بني شيبة ، فاستجاب الملك وصدر أمره بتنفيذ المشروع . وقد جرى الاحتفال بازاحة الستار عن الغطاء البلوري (في ١٨ رجب سنة ١٣٨٧) في حفل إسلامي كبير ، وقد وضع الغطاء على الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم حينما قام ببناء بيت الله الحرام ، ثم سلم خادم الحرمين الشريفين الملك فيصل مفتاح الغطاء إلى آل الشيبي سدنة بيت الله الحرام . وقد تحدث سفراء الدول الإسلامية في المملكة ، وممثلو الشعوب الإسلامية بكلمات جليلة ونبيلة تناسب المقام ، وكان ذلك مسك الختام .

محمد بهجة البيطار

ـ إننا بلا وطن ـ

مجموعة شعرية تقع في (١٢٦) صفحة من القطع الصغير
للشاعر محمد صالح يونس وهي من مطبوعات دار الكتاب
الجديد في بيروت عام ١٩٦٧

هذه المجموعة الشعرية من نظم الشاعر الفلسطيني الأصل محمد صالح يونس مدرس اللغة العربية في مدارس المقاصد في بيروت . وضع مقدمة المجموعة الدكتور حسن ظاظا وفيها تحدث عن الوطن والعودة والقضية الفلسطينية بكلمات مختصرة ولكنه لم يذكر شيئاً عن رأيه في شعر الشاعر الذي قدّم له . وفي الغلاف ترجمة قصيرة لحياة الشاعر مع قائمة بمؤلفاته تحت الطبع .

في الشعر الذي قرأناه في المجموعة لمحات فنية وصور شعرية تنبئ بمستقبل شعري رغم ما فيه من قصائد تخرج على الوزن الشعري العربي ، ولم تسلم المجموعة من بعض الأخطاء في اللغة ، وأبرز ما فيها العاطفة الوطنية الصادقة والأسف العميق على والده الشهيد . وكل ذلك يغري بالقراءة والاطلاع .

أحمد الجندي



ـ مطلّ الضياء ـ

ديوان شعري للأستاذ جورج داوود . عدد الصفحات ١٧٤
من مطبوعات جريدة « زحلة الفتاة » عام ١٩٦٤

هذا ديوان أنيق المظهر نال به صاحبه جائزة الشعر في المسابقة الشعرية التي نظمتها لجنة مهرجان الكرمة في مدينة زحلة عام ١٩٦٤ ، وقد صدر الشاعر ديوانه بالقصيدة الفائزة ، وفي الديوان (٢٣) قصيدة تختلف طولاً وقصراً ، وقد تصل الطويلة منهـا أحياناً إلى حدّ الملاحم ، والمعاني التي وردت على لسان الشاعر تتراوح بين وصف لبنان والحديث عن أبطاله كيوسف كرم وجبران أو عن أماكنه التي عرف بها كمغارة قاديشا والأرز .

والذي لاحظناه أنّ شعر الديوان أميل إلى البساطة والصحة في التعبير وأن الشاعر لا يتعب نفسه في الغوص على المعاني الجديدة أو الصور اللماحة البراقة ، والنغمة العربية الأصيلة ظاهرة على هذا الشعر وكأنك تعود فيه إلى بعض ما تقرأ من شعر في نهاية العصر العباسي .

أ . ج .

❋❋

ـ أغانٍ صيفية ـ

مجموعة شعرية للأستاذ أحمد سليمان الأحمد ، من مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي بدمشق عام ١٩٦٧ .

هذه مجموعة من القصائد الشعرية وضعها الشاعر في فترة ما بين عام ١٩٤٤ وعام ١٩٦٤ كما يقول العنوان الأخير ، والشاعر أحمد سليمان الأحمد شاعر شاب إذا لم تَعد السنين ولكنه قديم العهد بالنظم ، وفي مجموعته هـذه تجديد في طريقته الشعرية ، فقد خرج على الأوزان والقوافي التي كان يلتزمها في ماضيه الشعري وأسلم نفسه إلى طريقة الشعر الحر في كثير من قصائد هذه المجموعة ، لكن المهم في هذا الشعر أنه صحيح البناء مستقيم اللفظ تحس بموسيقى حروفه وأنغام كلماته ، لأن الشاعر قرأ كثيراً في شبابه وحفظ من الشعر أحسنه في مطلع حياته الفنية ، غير أنه يلجأ الى الغموض أحياناً في تصوراته فلا تواتيه الكلمات التي تستطيع أن تجلو الغامض من الأفكار والصور ، وهو يكرر بعض الألفاظ كالحلم والأزهار والرؤى ، ولكنك لن تعدم في هذا الشعر أن تجد النغمة العربية الصافية واللهجة الأصيلة كما في قصيدة « ثريا » التي يعود فيها الشاعر إلى طريقته الأصيلة في صباه .

أ٠ج٠

معجم المخطوطات المطبوعة

بين سنتي ١٩٦١ — ١٩٦٥

الجزء الثاني : عدد صفحاته ١٤٤

تأليف : الدكتور صلاح الدين المنجد

طبع : دار الكتاب الجديد ببيروت ١٩٦٧

هذا الجزء من المعجم خاص بما صدر من المخطوطات العربية المطبوعة بين عامي ١٩٦١ — ١٩٦٥ ، ومعظم ما هو مذكور في هذا الجزء ، هو ما دخل إلى خزانة كتب المؤلف أو ما اطلع عليه بنفسه ، ولم يأخذ عن المجلات إلا ما نشر من المخطوطات في المغرب ، ولم يصل إليه ، كما اعتمد على ما نشر من المخطوطات العربية بالقاهرة على ثبت الأب قنواتي .

وقد رتب الدكتور المنجد معجمه هذا على أسماء المؤلفين ، فذكر أولاً المؤلف ومصادر ترجمته ، ثم أورد مؤلفاته التي نشرت في هذه الفترة من الزمن ، فذكر اسم الكتاب ، ثم ناشره ، ومكان وتاريخ طبعه .

وقد ذيل المؤلف الفاضل كتابه بفهرس مرتب على حروف المعجم ، لأسماء المخطوطات العربية المطبوعة ، وأتبع ذلك فهرساً آخر بأسماء محققيها ، فسهل بذلك على الباحثين والمطالعين عناء البحث ، وذلل العقبات التي كثيراً ما تعترض المؤلف والباحث والمطالع ، فجزاه الله كل خير بما قدم ويقدم من أبحاث أصيلة للعلم والأدب .

عمر رضا كحالة

Catalogue of Arabic Manuscripts
in Raza library, Rampur
V. I. p. 657, prepared by :
Imtiyaz 'Ali 'Arshi
printed 1963

هذا فهرس باللغة الانكليزية وضعه السيد امتياز علي عرشي عن المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة رضا برامبور (باكستان) فوصف في الجزء الأول من هذا الفهرس المخطوطات العربية التي تبحث في علوم القرآن والحديث فذكر المخطوطات التي تبحث في التجويد والقراءات والتفسير على اختلاف مشارب المفسرين ، فأورد فيه تفاسير المتصوفة والشيعة والزيدية ، فالتفاسير التي تبحث في أحكام القرآن وإعرابه ، والناسخ والمنسوخ .

ثم ذكر فيـــه المخطوطات التي تبحث في العقائد والأحكام والآداب والفضائل ، ثم أعقب ذلك بذكر أجزاء في الحديث ، فكتب الأحاديث المسلسلة والمتواترة ، فالأربعينيـــات ، فالمجاميع ، فالأحاديث الموضوعة والضعيفة ، والأسانيد ، ثم ذكر كتب الحديث عند الزيدية والشيعة .

وأما ترتيب هذا الفهرس ، فذكر المصنف موضوع الكتاب ، فرقمه ، فعنوانه ، فاسم مؤلفه ، فقياسه ، وعدد الأسطر في الصفحة ، وقدمه ، وملاحظات خاصة عليه .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهد في تنسيق وترتيب هذا الفهرس متمنين له متابعة هذا العمل الجليل .

ع . ك .

الذريعة إلى تصانيف الشيعة

الجزء السابع عشر : عدد صفحاته ٣٣٣

تأليف : آقا بزرك الطهراني

نقحه وزاد فيه : ابن المؤلف أحمد المنزوي

طبع بتهران ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

ولد مؤلف هذا الكتاب محمد محسن الشهير بآقا بزرك الطهراني ، في ١١ ربيع الأول ١٢٩٣ هـ ، وأخذ العلوم العربية والإسلامية ، بالنجف الأشرف ، عن محمد كاظم الخراساني ، ومحمد كاظم الطباطبائي اليزدي ، ومحمد تقي الشيرازي ، كما روى عن عدد من أفاضل العلماء والأدباء ، وانقطع للدرس والتدريس والتأليف ، فألف المؤلفات الآتية : نوابغ الرواة في رابعة المئات ، إزاحة الحالك الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس ، الثقاة العيون في سادس القرون ، الأنوار الساطعة في المائة السابعة ، الحقائق الراهنة في تراجم أعيان المائة الثامنة ، الضياء اللامع في عباقرة القرن التاسع ، إحياء الداثر من مآثر أهل القرن العاشر ، الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة ، الكواكب المنتثرة في القرن الثاني بعد العشرة ، الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال ، وغير ذلك من المؤلفات القيمة التي تعد أصولاً في البحث والتأليف في الموضوعات المختلفة .

وقد خص المؤلف مؤلفه بالكتب التي صنفها الشيعة ، واعتمد في تشييع المؤلف على شهادة عدلين ، أو عدل واحد ذي خبرة بحاله .

وأشار المؤلف إلى مظان وجود الكتب التي ذكرها ، في المكتبات العامة ، التي يسهل للطالب الوصول إليها ، أو المكتبات الخاصة التي يمكن الاستفادة منها .

وقد رتب المؤلف كتابه على أسماء الكتب ، مرتبة على حروف المعجم ، وأشار إلى لغة الكتاب إن كانت لغته غير عربية ، ثم ذكر مؤلفه وولادته ووفاته ، وأول الكتاب ، ثم وصفه وذكر شيئاً من موضوعاته ، وتاريخ نسخه ومكان وتاريخ طبعه ، إن كان مطبوعاً .

وقد ألحق المؤلف بكتابه فهرساً بأسماء المؤلفين مما سهل على الباحث والمطالع كل عناء ونصب ، فجزاه الله خير جزاء بما قدم للعلم والأدب من خدمات جلى ، وأمد الله بعمره وقواه .

ع . ك .

الشعر والشعراء من الذريعة الى تصانيف الشيعة

الجزء التاسع في أربعة أقسام عدد صفحاتها ١٥٣٩

نقحه وزاد فيه : ابن المؤلف ع . المنزوي

هذا الجزء بأقسامه الأربعة من أهم أجزاء كتاب الذريعة ، وأوسعها ذكراً للدواوين الشعرية باللغات العربية والفارسية وغيرهما من لغات الشرق .

وقد رتبها المصنف الفاضل على حروف المعجم أسوة بغيرها من مواد الكتاب ، ثم ترجم لصاحب الديوان ، وذكر مصادر ترجمته ، ثم عدد نسخ الديوان ، وأماكن وجودها وتاريخ نسخها ، ومكان وتاريخ طبعها إن كانت مطبوعة .

وقد ألحق بهذا القسم فهرس للشعراء المذكورين بما ينسبون إليه من بلد أو حرفة أو غير ذلك ، فذلل بذلك العقبات التي تعترض الباحثين والمطالعين ، فجزاه الله أحسن جزاء .

ع . ك .

بحثان قيّمان

١ — الإنجيل والقرآن : بقلم الشيخ البيطار : المطبعة الجديدة (٥١ص)
٢ — الرحلة النجدية الحجازية : « « : المطبعة الجديدة (٦٣ص)

اتجه منذ زمن أستاذنا الشيخ محمد بهجة البيطار إلى التوجيه الديني وبعث الوعي العقائدي والتاريخي الذي يجمع إلى عرض الآداب والمواعظ والإرشاد من طريق تفهم الآيات القرآنية والتاريخ ، وتحقيق حوادثه ، المتعة الفنية الأدبية ، لذلك يأتي كل بحث يتناوله تشريعياً وتوجيهياً أدبياً ، قيماً خطيراً ، قيمته في حجته القوية وبيانه الناصع ، وهو لهذا يعتبر حدثاً جديداً جالاً في التوجيه العقائدي والدعوة إلى الفكر الإسلامي من غير شك .

ومن تلك المباحث الحية المتحدة في عمق الفكرة وصدق المنطق ، والتي تؤلف بين القلوب ، وتوحّد بين النفوس ، وتجمل الحياة إخاء ومودة ورحمة ، (كتاب الإنجيل والقرآن) .

لقد قلبت صفحات الكتاب وسرت معه إلى النهاية ، فلمست بين طياتها علاجاً لمشاكل الثقافة والاجتماع والتاريخ والوجود والنفس ، فأتى فيه بالنصوص الصحيحة الصريحة بوحدانية الله تعالى ، وبرسالة السيد المسيح ، وقد ألفت بين الأديان الثلاثة ، وهذا هو الإخاء الصحيح بين محمد وموسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام .

هذه دعوة حية إلى توحيد الكلمة ، وهي على جانب كبير من الأهمية من الناحية الاجتماعية والعقائدية ، ووسيلة قوية فعالة من وسائل تجسيم القيم الأخلاقية والمثل الاجتماعية ، إذا عرفنا ضرورة توجيه الناس ودفعهم إلى الله والإيمان الصحيح ، وإرشادهم لما فيه خيرهم ونفعهم .

أما البحث الثاني الذي يزخر بالإنسانية والأخلاق ، وفيه روح المؤلف الكبير ووجدانه ، وقد جاء بأسلوب سهل واضح لا غموض ولا أنانية فيه كتاب : الرحلة النجدية الحجازية ـ وقد تناول بالوصف رحلته الكريمة عام ١٣٣٨/١٩٢٠ إلى نجد بصحبة شلاش النجدي الذي كان يومئذ مؤتمن الأمير فيصل بن الحسين قبل أن يصير ملكاً .

والغاية منها إيصال كتابين أرسلا من قبل الإمام السيد محمد رشيد رضا والأمير فيصل إلى الأمير عبد العزيز آل سعود في نجد قبل أن يكون ملكاً أيضاً ؛ يدعوان فيها إلى نصرة الإسلام ودفع العدوان الأجنبي ، بعد أن تم اختيارهما لهذا الغرض ، فسافرا بمشيئة الله ، ولقيا من المخاطر والأهوال ما تشيب له النواصي ، فذكر المؤلف فيه مشاهداته ومذكراته المفصلة ، عن هذه الرحلة التي امتدت خمسين يوماً .

وفي آخر الرسالة ثلاث رسائل متبادلة بين شيخنا البيطار حفظه الله ... وبين الأمير عبد العزيز آل سعود والسيد محمد رشيد رضا ، وفيها تلخيص لما عاناه في الرحلة والمغرض منها ، وللموضوعات العامة التي جرت المذاكرة فيها بواسطة الرسل واللقاء والمشافهة أو الكتابة .

وأردفها أخيراً بترجمة موجزة لحياته المليئة بالمفاخر ، وبعد هذا فان من واجبنا أن نهنىء المؤلف الكريم على كتابيه والمكتبة العربية بهذا الظفر الأدبي والديني .

(النجف — العراق) **محمد هادي الأميني**

آراء وأنباء

انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

نظراً لانتهاء مدة رياسة سيادة الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، عقد الأساتذة أعضاء مجمع اللغة العربية اجتماعاً بتاريخ السابع من شهر كانون الأول سنة ١٩٦٧ جرى فيه انتخاب رئيس للمجمع للسنوات الأربع القادمة بالطريقة السرية ففاز للمرة الثالثة[1] باجماع الأصوات بالرآسة سيادة الرئيس الحالي الأمير مصطفى الشهابي وعلى هـــذا صدر المرسوم التالي :

مرسوم رقم (١١٢)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم /٣١/ لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق في ١٩٦٧/١٢/٧ والتي تم فيها تجديد انتخاب رئيس المجمع .

وعلى اقتراح وزير التعليم العالي .

---

(١) عين سيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي رئيساً للمجمع للمـــرة الأولى بتاريخ ١٩٥٩/١٢/١٥ (مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٥ صفحة ١٤٤) .

يرسم ما يلي :

١ — يجدد تعيين الأمير مصطفى الشهابي رئيساً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ ١٩٦٧/١٢/١٦ .

٢ — يتقاضى الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة ، ويصرف من الباب الأول (الرواتب) من موازنة المجمع .

٣ — ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٣٨٧/١٠/١٤ و ١٩٦٨/١/١٣

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء
الدكتور يوسف زعين

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٨٧ / ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور أسعد الحكيم
٣ « أمجد الطرابلسي
٤ الأستاذ جعفر الحسني (الأمين العام للمجمع)
٥ الدكتور جميل صليبا
٦ « حسني سبح
٧ « حكمة هاشم
٨ « سامي الدهان
٩ الأستاذ شفيق جبري
١٠ الدكتور شكري فيصل
١١ الأستاذ عارف النكدي
١٢ الدكتور عدنان الخطيب
١٣ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٥ « محمد كامل عياد
١٦ الأستاذ محمد المبارك

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الأستاذ عمر أبو ريشة
٣ « محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٤ الدكتور قسطنطين زريق

الجمهورية العربية المتحدة

٥ الأستاذ أحمد حسن الزيات
٦ الدكتور أحمد زكي
٧ « طه حسين

لبنان

٨ الأستاذ أمين نخلة

٩ الأستاذ أنيس المقدسي
١٠ 〃 بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
١١ الدكتور صبحي المحمصاني
١٢ 〃 عمر فروخ
١٣ الأستاذ محمد جميل بيهم

فلسطين

١٤ الأستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الاردنية الهاشمية

١٥ الأستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

١٦ الأستاذ أحمد حامد الصراف
١٧ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث
١٨ الأستاذ ساطع الحصري
١٩ 〃 عباس العزاوي
٢٠ الشيخ كاظم الدجيلي
٢١ الأستاذ كوركيس عواد
٢٢ الشيخ محمد بهجة الأثري
٢٣ الدكتور مصطفى جواد
٢٤ الأستاذ منير القاضي

السودان

٢٥ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٦ الأستاذ حمد الجاسر
٢٧ 〃 خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٨ الأستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٩ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٠ 〃 محمد الطاهر ابن عاشور
٣١ 〃 محمد الفاضل ابن عاشور
٣٢ 〃 عثمان الكعاك

المملكة المغربية

٣٣ الأستاذ عبد الله كنون
٣٤ 〃 علال الفاسي

ايران

٣٥ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٦ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي
٣٧ 〃 أبو الحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٣٨ الأستاذ عبد العزيز الميمني

٣٩ الأستاذ محمد صغير حسن معصومي
٤٠ 〃 يوسف البنوري

فرنسة

٤١ الدكتور بلاشير (رجيس)
٤٢ الأستاذ كولان (جورج)
٤٣ 〃 لاوست (هنري)
٤٤ 〃 ماسه (هنري)

بريطانية

٤٥ الأستاذ أربري (أ . ج .)
٤٦ 〃 جيب (ه . ا . ر .)

المانية

٤٧ الأستاذ ريتر (هاموت)
٤٨ 〃 هارتمان (ريشارد)

السويد

٤٩ الأستاذ ديدرنغ (س.)

الولايات المتحدة الاميركية

٥٠ الدكتور ضودج (بيارد)
٥١ 〃 فيليب حتي

اسبانية

٥٢ الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥٣ الدكتور اشتولز (كارل)
٥٤ الأستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٥٥ الأستاذ جبرايلي (فرنشيسكو)

هولاندة

٥٦ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

٥٧ الأستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٥٨ الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتين)

البرازيل

٥٩ الأستاذ رشيد سليم الخوري

المجر

٦٠ الدكتور عبد الكريم جرمانوس

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ 〃 سليم البخاري
٣ 〃 مسعود الكواكبي
٤ الأستاذ إلياس قدسي
٥ 〃 أنيس سلوم
٦ 〃 جميل العظم
٧ 〃 سليم عنحوري
٨ 〃 عبد الله رعد
٩ 〃 رشيد بقدونس
١٠ 〃 أديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الأستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ 〃 محمد البزم
١٦ 〃 سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الأستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ 〃 جرجس منش
٢٣ الأستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ 〃 راغب الطباخ
٢٨ 〃 عبد الحميد الجابري
٢٩ 〃 عبد الحميد الكيالي
٣٠ 〃 محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ أمين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الأستاذ متري قندلفت
٣٩ 〃 عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
٤٠ 〃 نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

٤١ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٢ 〃 رفيق العظم
٤٣ 〃 أحمد كمال
٤٤ 〃 أحمد تيمور
٤٥ 〃 أحمد زكي باشا

٤٦ الدكتور يعقوب صروف
٤٧ السيد محمد رشيد رضا
٤٨ الأستاذ حافظ إبراهيم
٤٩ 〃 أحمد شوقي
٥٠ الشيخ أحمد الاسكندري
٥١ الأستاذ أسعد خليل داغر
٥٢ 〃 داود بركات
٥٣ الدكتور أمين المعلوف
٥٤ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٥ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٦ الدكتور أحمد عيسى
٥٧ الأمير عمر طوسون
٥٨ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٩ الأستاذ أنطون الجميل
٦٠ 〃 خليل مطران
٦١ 〃 إبراهيم عبد القادر المازني
٦٢ 〃 محمد لطفي جمعة
٦٣ الدكتور أحمد أمين
٦٤ الأستاذ عبد الحميد العبادي
٦٥ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٦ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٧ 〃 منصور فهمي
٦٨ الأستاذ أحمد لطفي السيد
٦٩ 〃 عباس محمود العقاد
٧٠ 〃 خليل ثابت
٧١ الأمير يوسف كمال

لبنان

٧٢ الأستاذ حسن بيهم
٧٣ الأب لويس شيخو
٧٤ الشيخ عبد الله البستاني
٧٥ الأستاذ جبر ضومط
٧٦ 〃 عبد الباسط فتح الله
٧٧ الشيخ عبد الرحمن سلام
٧٨ 〃 مصطفى الغلاييني
٧٩ الأستاذ عمر الفاخوري
٨٠ 〃 بولص الخولي
٨١ 〃 أمين الريحاني
٨٢ الأمير شكيب أرسلان
٨٣ الشيخ إبراهيم المنذر
٨٤ الأستاذ جرجي يني
٨٥ الشيخ أحمد رضا
٨٦ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨٧ 〃 فيليب طرازي
٨٨ الشيخ فؤاد الخطيب
٨٩ الدكتور نقولا فياض
٩٠ الشيخ سليمان ظاهر
٩١ الأستاذ مارون عبود

فلسطين

٩٢ الشيخ سعيد الكرمي
٩٣ الأستاذ نخلة زريق

٩٤ الشيخ خليل الخالدي
٩٥ الأستاذ عبد الله مخلص
٩٦ 〃 محمد إسعاف النشاشيبي
٩٧ 〃 عادل زعيتر
٩٨ الأب ا . س . مرمرجي الدومنكي

الجمهورية العراقية

٩٩ الأستاذ محمود شكري الآلوسي
١٠٠ 〃 جميل صدقي الزهاوي
١٠١ 〃 معروف الرصافي
١٠٢ 〃 طـه الراوي
١٠٣ الأب انستاس ماري الكرملي
١٠٤ الدكتور داود الچلبي
١٠٥ الأستاذ طـه الهاشمي
١٠٦ 〃 محمد رضا الشبيبي

الجمهورية الجزائرية

١٠٧ الشيخ محمد بن أبي شنب
١٠٨ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

١٠٩ الأستاذ محمد الحجوي
١١٠ 〃 عبد الحي الكتاني

تركية

١١١ الأستاذ زكي مغامز
١١٢ 〃 أحمد أتش

ايران

١١٣ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
١١٤ الأستاذ عباس إقبال

الهند

١١٥ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١١٦ الأستاد فران (جبرئيل)
١١٧ 〃 هوار (كليمان)
١١٨ 〃 بوفا (لوسيان)
١١٩ 〃 مالنجو
١٢٠ 〃 كي (ارتور)
١٢١ 〃 باسه (رينه)
١٢٢ 〃 ميشو بلّير
١٢٣ 〃 مارسيه (وليم)
١٢٤ 〃 دوسو (رينه)
١٢٥ 〃 ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٢٦ الأستاذ مرجليوث (د . س .)
١٢٧ 〃 بفن
١٢٨ 〃 براون (ادوارد)
١٢٩ 〃 كرينكو (فريتز)
١٣٠ 〃 غليوم (الفرد)

ألمانية

١٣١ الأستاذ هومل
١٣٢ « ساخاو (ادوارد)
١٣٣ « هوروفيتز (يوسف)
١٣٤ « هارتمان (مارتين)
١٣٥ « ميتفوخ (أوجين)
١٣٦ « بروكلمن (كارل)

المجر

١٣٧ الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)
١٣٨ « ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الأميركية

١٣٩ الأستاذ ماكدونالد (د . ب .)
١٤٠ « هرزفلد (ارنست)
١٤١ « سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٤٢ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
١٤٣ « برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٤٤ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٤٥ الأستاذ لويس (دافيد)

ايطالية

١٤٦ الأستاذ جويدي (اغنازيو)
١٤٧ « نالينو (كارلو)
١٤٨ « غريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٤٩ الأستاذ مونته (ادوارد)
١٥٠ « هس (ج . ج .)

بولونية

١٥١ الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تشكوسلوفاكية

١٥٢ الأستاذ موزل (الوا)

هولاندة

١٥٣ الأستاذ هورغرنيه (سنوك)
١٥٤ « اوراندوك (ك .)
١٥٥ « هوتسما (م . ت .)

الدانيارك

١٥٦ الأستاذ بوهل (ف . م . ب .)
١٥٧ « استروب (ج .)

السويد

١٥٨ الأستاذ سترستين (ك . ف .)

البرازيل

١٥٩ الأستاذ سعيد أبو جمرة



نظير زيتون

(١٨٩٦ — ١٩٦٧ م)

نظير زيتون

(١٨٩٦ — ١٩٦٧ م)

فجع مجمع اللغة العربية بدمشق صباح يوم السبت في ٢٢ تموز سنة ١٩٦٧ بفقد الأديب الكبير الأستاذ نظير زيتون أحد أعضائه المراسلين .

ولد الفقيد في مدينة حمص سنة ١٨٩٦ ، وفيها تلقى علومه الأولية ، فلما شبّ نأت به الديار ، وحطت رحاله في مدينة (سان پاولو) في البرازيل سنة ١٩١٤ ، مهاجراً إليها يطلب العمل والعيش فيها .

عالج الفقيد في مهجره أبواباً من التجارة فلم تفتح له ، فعاد عنها إلى ميوله الأدبية واللغوية ، وقد وجدت في مقامه الجديد حافزاً يشجعها وبواعث تنشطها ، فما كان منه إلا أن أرخى لها العنان ، منصرفاً إلى دراسة اللغتين البرتغالية والإسبانية ، عاملاً على التبحر في آداب العربية وعلومها ، ولم يمض بضع سنوات حتى أصبح الفقيد واحداً من ألمع قادة الحركة الفكرية العربية في أميركة الجنوبية .

واشترك الفقيد ، مع غيره من أدباء المهجر ، في حمل رسالة الفكر العربي إليه ، كما اشترك معهم ، بنثره البليغ وبيانه المشرق ، في قيام « الحركة الأدبية العربية » في المهجر ، وقد أسندت اليه سنة ١٩٢٦ رياسة تحرير جريدة « فتى لبنان » وظل يشرف عليها حتى سنة ١٩٤٢ .

كان الفقيد خطيب « النادي الحمصي » في (سان پاولو) وركناً من أركان « العصبة الأندلسية » وقد أسهم في تحرير مجلتها الرفيعة فلمع اسمه في مختلف المهاجر وأرجاء البلاد العربية .

نشر كثيراً من المقالات الأدبية والدراسات الاجتماعيـــة ، في مختلف المجلات والصحف العربية ، وقد جمع بعضها في كتب طبعت ، وظل أكثرها ينتظر من يجمعها لتعم فائدتها .

وحمل الحنين إلى الوطن فقيدنا إلى سورية ، فلقي من مواطنيه كل تقدير لأدبه الرفيع وجهوده البالغة في خدمة القضايا العربية ، ومنحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق السوري ، وقام المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية اليوم) في سنة ١٩٦٢ بانتخابه عضواً مراسلاً له .

لقد خسرت العربية بموت الفقيد نظير زيتون أديباً كبيراً من أصحاب الأسلوب الخاص ، وأسلوبه يدل على علو كعب في صناعة الإنشاء ، وإتقان السجع الأصيل ، كما يدل على حظ كبير في حفظ المفردات مع معرفة واسعة لقواعد اللغه ، واطلاع عميق على كتب الأدب والتاريخ .

تغمده الله برحماته وغفرانه وعوض أمته عنه خير عوض .

***

المعرِض أم المعرَض[1]

أو كلاهمـــا

في سنة ١٩٣٦ كنت على معرض دمشق وأظن أن ذلك المعرض كان المعرض الرابع الذي تقيمه هذه العاصمة . كما كان المعرض الأول الذي أطلق عليه « معرض وسوق » .

وكان الاستعمال السابق كما كان الاستعمال الشائع على ألسنة الخاصة والعامة أن يقال المعرَض بفتح الراء .

---

(١) المعرِض أو المعرَض سواء أفتحت راؤهما أم كسرت جمعها « معارض » والمعرض بمعنى المكان الذي تعرض فيه الأشياء ، سليم في لفظه ، صحيح في معناه . غير أن العرب استعملوا في جاهليتهم وفي صدر الإسلام « السوق » وهم على هذا الى اليوم . حتى انهم أطلقوا « السوق » على بعض أحياء وأماكن في كثير من البلدان .

وقد فرّق المتأخرون بين السوق والمعرض فأطلقوا « السوق » على المكان الذي تعرض فيه البضاعة للمبايعة ـ والمعرض على المكان الذي تعرض فيه الأشياء عرضاً لا يقع معه بيع .

أما العرب فكانت السوق عندهم سوقاً ومعرضاً معاً . سوق بيع وشراء ، ومعرض مفاخرة ومباهاة ، ومكاثرة ومنازعة ومخاصمة . يقصد إليه الشعراء بقصائدهم ، والخطباء بخطبهم ، والدعاة بدعاياتهم ، حتى ان الرسول (ﷺ) كان في أول أمره يطوف على هذه الأسواق يدعو القبائل الى الدين الحق .

ومن أراد تفصيلاً ، فعليه أن يرجع الى الصفحة الـ ١٦١ من الجزء الثاني من كتاب الأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزوقي الاصفهاني . ففيه تعداد للأسواق ، وذكر لأماكنها وما يقال فيها .

ورجعت يومئذ إلى القاعدة العامة وهي أن ما كانت عين مضارعه مكسورة ، بني اسم المكان والزمان منه على مَفعِل . نحو (مجلِس) من جلس يجلِس ، و (منزِل) من نزل ينزِل . إلا ما شذ وهو قليل .

ولما كان مضارع « عرض » « يَعرِض » بكسر الراء وجب أن يكون اسم المكان « المعرِض » بكسر الراء لا « المعرَض » بفتحها .

وزيادة في التوثق ، لجواز أن يقع شذوذ في هذه اللفظة ـ كمثل ما هو واقع في المسجِد والمشرِق والمغرِب وغيرها ـ رجعت إلى ما كان يومئذ في متناول اليد من كتب اللغـــة ، فوقعت على المنجد لليسوعيين ، والبستان للبستاني : عبد الله ، ومحيط المحيط للبستاني بطرس ، وأقرب الموارد للشرتوني . فاذا بها كلها تنص على « المَعرِض » بكسر الراء فاستأنست بها بل اعتمدت عليها . وجعلت منذ ذلك الحين استعمل المعرِض بكسر الراء في خطبنا وحديثنا . ونستعملها كذلك في ما نكتب حتى وضعنا المعرض رواسمه بهذه الراء المكسورة كي لا يلفظ « مَعرِض » يقام بدمشق في هذه المدينة العربية الخالدة لفظاً مغلوطا .

وما زال إلى اليوم أصدقاء الأمس الذين عاصروا ذلك المعرض إذا تحدثوا عنه وذكروا أيامه ، وما كان فيه ، أصروا على لفظه بالراء المكسورة المذكرى والمباسطة ، على أني كنت ، أستثقل هذه الكسرة على الراء ، تقع بين العين والضاد وهذا ما حملني بعد ذلك على الرجوع إلى لسان العرب لعلي أجد فيه ما يجيز فتح راء « مَعرِض » كما جاز بل وجب كسر جيم « المسجِد » وراء « المشرِق » و « المغرِب » على حين مضارع كل من هذه الكلمات الثلاث مضمومة عين مضارعه (سجد) (يسجُد) و (شرَق) (يشرُق) و (غرَب) (يغرُب) وسائر أخواتها من الشواذ .

فوجدت فوق ما نشدت ، وجدت لسان العرب يقول ، في مادة « عرض »

« المَعرَض » (بفتح الراء) المكان الذي يَعرِض فيه الشيء (١) .

والمِعرَض : الثوبُ تعرض فيه الجارية وتُجلى فيه .

وزيد في الهامش على المتن :

قوله : المَعرَض : المكان ... في شرح القاموس هو كمَقعَد . اه .

وفي المصباح : وفي الأمر : لا تعرِّض له بكسر الراء وفتحها . أي لا تعترض له ، فتمنعه باعتراضك أن يبلغ مراده ... اه .

ويظهر أن ما هنا من هذا . وعليه يكون المعرِض بمعنى المكان كمقعد ومجلس . كتبه مصححه . اه .

قلنا هذا ما قاله مصححه مجيزاً الفتح والكسر ، ولم يقله مؤلفه الذي أوجب الفتح . على انا إذا أخذنا بقول المصحح : فقد جاز لنا في راء « المعرض » الفتح والكسر كما نقول « المطلِع والمطلَع » .

ومتى جاز اللفظان واستوى الاستعمالان ، كان المَعرَض أحلى في اللسان ، وأخف على الآذان، وهو إلى اليوم ـ أكثر شيوعاً من المعرِض، بين الخاص والعام .

هذه كلمة كانت تختلج في صدري منذ برهة ، إلى أن بلغني أن إذاعة دمشق الكريمة قد أوجبت المَعرِض بكسر الراء ، وخطَّأت من يقولها بالفتح .

فرأيت أن أعالن بها تصحيحاً لما كنت وقعت فيه ، مستغفراً أخطائي ان كان بعض من جروا على هذا الاستعمال قد شايعوني على ما كنت وقعت فيه .

عارف النكدي

---

(١) نقول : ولعله كان أولى باللسان لو قال : المَعرَض المكان الذي يُعرَض فيه الشيء كما قال بعد ذلك عن المِعرَض : الثوب تُعرَض فيه الجارية .

استدراك : أما الشيخ أحمد رضا العاملي فيقول في معجمه وقد طبع بعد أيام المعرض . المِعرَض : ثوب تُعرَض به الجارية على المشتري ليجملها ـ ثوب تجلى به الجوارى ليلة العرس .. والمكان الذي يعرض فيه الشيء الى أن يقول : قال المرزوقي في شرحه : فليم مكسورة . كذا قولهم في معرض الزوال . ومنهم من فتح الميم لأنه اسم موضع من عرض : اذا ظهر . كما في شرح الشافيـة ؟

كتـــاب (مخطوط)

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها

لأبي هلال العسكري

هذا معجم في المعاني والصفات ، وضعه أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ . وهو حلقة من سلسلة كتب اللغة التي وضعها علماؤنا القدامى في موضوع المعاني والصفات . ولكنه يمثل الغاية التي انتهى إليها هذا الضرب من التأليف في اللغة . فقد كانت الكتب التي أُلِّفت قبله كتباً بالمعنى المعروف المألوف من مفهوم الكتاب . فلم تَرْقَ إلى صفة السعة والشمول التي تتصف بها المُعْجَمات ، بل ظلت كتباً تتناول أطرافاً وأبواباً من الموضوع كثيرة أو قليلة ، ولكنها تضيق عن الإحاطة بالموضوع من أطرافه جميعاً . حتى جاء أبو هلال العسكري ، ووضع كتاب التلخيص هـــذا ، فارتفع به إلى مستوى المعجم في سعته وشموله ، على الرغم من إيجازه واختصاره كما يستدل من اسمه . ولا يفوقه في ذلك إلا كتاب المخصص لابن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ . على أنه لا يغني كتاب عن كتاب . ففي كتاب التلخيص ما ليس في المخصص على الرغم من سعته وضخامته .

أحسن أبو هلال تبويب كتابه وتنظيمه ، فكسره على أربعين باباً ، وجعل كل باب منها في معنى من المعاني العامة الواسعة . وقسم كل باب إلى فصول صغيرة في الفروع الخاصة للمعنى العام الذي بُنِيَ عليه الباب .

قال أبو هلال في مقدمة الكتاب في التعريف بموضوعه : « هذا كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها ، وشرح أنواعها وفنونها التي تفتقر عامة أهل الأدب إلى علمها ، وتحتاج إلى إتقانها وحفظها . قد هذبته ، وشذبته ، ونقحته ، وأوضحته ....

فضمنته من أسماء خَلْق الإنسان وأوصافها ، وذكر أخلاقه وأصنافها ، ومن أسامي الآلات والأدوات ، وألوان المطعومات والملبوسات ، وجل أنواع المشروبات والمشمومات ، وأجناس البهائم والطيور والحشرات ، وغير ذلك من أسماء السحاب والأمطار ، وأوصاف النبات والأشجار ، وذكر المياه والأنهار ، ونعوت الأحساء والآبار ، وتسمية الأبنية والدور ، والمنازل والقصور ، ما عجز جميع كتب الأسماء والصفات عن بلوغ غايته فيه ، وقصر عن التخطي إلى انتظام معانيه » .

بدأ أبو هلال الكتاب بموضوع الإنسان ، فذكر خَلْقَه وصفاته ، وما يتعلق به في حياته من جميع أدواته وحاجاته . وأورد ذلك جميعه في في سبعة عشر باباً .

ثم انتقل إلى موضوع السماء والنجوم والأزمنة ، وظواهر الهواء كالريح والمطر ، وما ينشأ عنها من الظواهر الطبيعية . وقد أورد ذلك كله في خمسة أبواب .

ثم انتقل إلى أسماء النبات والشجر والثمر ، وذكر الزراعة وأدوات الزراعين . واستنفدها في أربعة أبواب .

ثم انتقل إلى الجماد ، فذكر أسماء الأرضين ، وأسماء الفلوات والجبال والرمال . وأوردها جميعاً في باب واحد .

ثم انتقل إلى موضوع الحرب والسلاح . فذكر أصناف السلاح ، وأسماء مواضع الحرب ، وصفات الجيوش والكتائب في باب واحد .

ثم انتقل إلى عالم الحيوان ، فذكر الخيل والإبل وغيرها ، والوحوش والسباع والهوامّ والطيور . واستنفدها جميعاً في سبعة أبواب .

ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوع الصناعات . فذكرها وذكر الأدوية والكتب وأدوات الكتابة ، والملاهي والملاعب . وأورد كل ذلك في أربعة أبواب .

وختم الكتاب أخيراً بباب ذكر فيه أسماء أشياء مختلفة ، لا تدخل في الأبواب السابقة . ومما أورده في هذا الباب الأخير الميسر ، وطريقة لعبه عند العرب في الجاهلية . ولا نجد هذا المعنى مذكوراً في معجم آخر من المُعْجَمات العربية مثلما أورده أبو هلال ها هنا في بيان وتفصيل . وقد أوردت فقرة منه في آخر هذا الكلام .

اتبع أبو هلال ، كما نرى ، في تأليف هذا الكتاب مبدأ عاماً اتخذه لنفسه . وهو مبدأ تقسيم الكون إلى كائنات عامة ، مثل الإنسان والسماء والطبيعة والنبات والحيوان والجماد وغير ذلك . ثم تصور أبو هلال ، بعد هذا التقسيم ، معاني عامة تتعلق بكل كائن من هـذه الكائنات . فجعل هذه المعاني في أبواب عامة . ثم كسر كل باب من هذه الأبواب على فصول صغيرة عديدة ، جعلها في الفروع والشُّعَب الخاصة التي تتفرع من المعنى العام الأصلي ، وتتشعب منه .

على أن أبا هلال قد خالف خطته في التنظيم ، وأخلّ بتبويب كتابه حين أتى بين أبواب النبات وأبواب الحيوان بباب أصناف السلاح ، وأسماء مواضع الحرب ، وصفات الجيوش والكتائب . وكان حق هـذا الباب أن يذكره المؤلف مع أبواب حاجات الإنسان . كما أن الأبواب الأخيرة من الكتاب المتعلقة بالصناعات ألصق بموضوع الإنسان وحاجاته . وكان من حقها أن يذكرها المؤلف في أبواب هذا الموضوع . ولعل لأبي هلال العسكري رأياً في ذلك لم يستبن لنا .

كانت الخطة التي اتبعها أبو هلال العسكري في إيراد الألفاظ في كتابه هي خطة علماء اللغة التي اتبعوها في كتب اللغة ، مثل ابن السكيت في كتاب الألفاظ . وهي خطة تقوم على إيراد الألفاظ التي تدور في الكلام للتعبير عن معنى

من المعاني ، في أحواله المختلفة ، وشرح هذه الألفاظ ، وذكر الألفاظ المترادفة ، وبيان ما بينها من فروق وتفاوت في المعنى . ثم سياقة الشواهد من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول (ﷺ) ، ومن أقوال العرب الفصحاء وأمثالهم ، وأبيات الشعر القديم الموثوق بصحته وضبطه ، لتوثيق صحة هذه الألفاظ ، وإيضاح معانيها .

على أن أبا هلال كان يسعى إلى الاختصار في كتابه ، والتخفيف عن القراء الذين ينظرون فيه ، وجَعْلِه مرجعاً لجمهور القراء . فمن ثَمَّ سمّاه التلخيص . ولذلك أيضاً أراد أن يخلي الكتاب من الشواهد ، فلم يورد منها إلا نَبْذاً يسيراً تفرق في أثناء الكتاب . قال أبو هلال في بيان رأيه في ذلك : « قد هذبته وشذبته ، ونقحته ، وأوضحته . ونفيت الشواغل عنه بإسقاط الشواهد والتصاريف منه . إلا نَبْذاً يسيراً متفرقاً في أثنائه ، لا يشغل خاطراً ، ولا يمل ناظراً ، لتتدانى شعبه ، وتتقارب سبله ، ولا يكبر عن المبتدئين ، ولا يصغر عن المتوسطين » .

مخطوطة الكتاب

لم يصل إلينا من كتاب التلخيص إلا نسخة مخطوطة واحدة فيما أعلم . وهي محفوظة في خزانة لاله لي Lâleli في استانبول برقم ٣٥٥١ . رأيت هذه النسخة الفريدة في صيف عام ١٩٦٥ . فنظرت فيها ، وعرفت قدرها . كما أنني عرفت قدر الكتاب بالموازنة بينه وبين كتب اللغة التي أُلّفت في الأسماء والصفات من قبله ومن بعده .

وهذه النسخة المخطوطة جيدة ، مكتوبة بخط نسخ جميل ، فيه إتقان وإحسان ، ومضبوطة بالشكل ضبطاً تاماً من أولها إلى آخرها . ولكن في

هذا الشكل أوهام قليلة نراها هنا وهناك . ونقدر أن النسخة مكتوبة في القرن السادس ، أو القرن السابع . وفي حواشيها تعاليق منقولة عن أبي منصور موهوب الجواليقي صاحب كتاب المعرب المتوفى سنة ٥٤٠ . وهذا دليل على أن النسخة مكتوبة بعد هذا التاريخ . وكانت هذه التعاليق موجودة في حواشي الأصل الذي نقلت عنه هذه النسخة . وقد صرح الناقل بذلك في حاشية الورقة [٢٥ب] ، إذ كتب : « في الحاشية : موهوب الجواليقي : الوَرَعُ ، بالراء والعين مهملتين ، الضعيف » . وفي حاشية الورقة [١٩٦] : « قال الشيخ الإمام موهوب : المغد النتف . أي لم ينتف فيبيض شعرها ، وإنما هي خلقة » . وهذا التعليق في شرح بيت من الشواهد . وربما كانت هذه التعاليق مكتوبة بخط الجواليقي نفسه في حواشي الأصل .

ويبدو أن ناقل هذه النسخة كان ورّاقاً ضابطاً ، إذ كان ينظر في نسخ أخرى من الكتاب حين نقل هذه النسخة . وقد أثبت في الحواشي الفروق التي رآها في هذه النسخ . وكان يشير إلى ذلك دائماً بوضع حرف (خ) ، أي نسخة ، أمام ما يثبته منها . حتى إذا وجد زيادة في إحدى النسخ غير موجودة في الأصل الذي ينقل عنه ألحق هذه الزيادة في متن الكتاب ، وأشار إليها بقوله « من » في أول الزيادة ، وقوله « إلى » في آخرها ، وكتب كلمة « نسخة » بعد كلمة « إلى » . وكل هذا يدل على قيمة هذه النسخة المخطوطة ، وصحة نقلها وضبطها .

وقد سقطت من آخر المخطوطة ورقة أو ورقتان . ولو سلمت من هذه العاهة لعرفنا اسم الوراق الذي نقلها ، وتاريخ النقل ، والأصل الذي نقل عنه . كما سقطت من أولها الورقة الأولى التي يثبت فيها عنوان الكتاب واسم المؤلف في العادة .

وأصابت الرطوبة أوراقها ، فتحلل الحبر بعض التحلل في مواضع كثيرة منها ، فلحق الكتابة أذى وضيم من جراء ذلك ، ولا سيما في أواخر المخطوطـــة حيث انطمس كثير من الكلمات ، فصعب لذلك قراءة بعض الأوراق .

وورق المخطوطة سميك أبيض إلى زرقة خفيفة ما هو ، وربما كان ذلك من تأثير الرطوبة التي أصابتها . وقد كتب الناسخ الأبواب والفصول ورؤوس الفقر بالمداد الأحمر ، وبخط أكبر من خط الكتاب .

وهي في ١٤٩ ورقة ، قياسها ٢٦×١٧ سم ، وفي كل وجه من أوراقها ١٧ سطراً .

* * *

وهذه فقرة من فصل (ذِكْرِ المَيْسِرِ) من الكتاب نوردها ها هنا أنموذجاً ومثالاً على طريقة الكتاب وموضوعه :

« وكانوا إذا أرادوا القمارَ ، وهو المَيْسِر ، والقامرون الأيسارُ ، الواحِدُ يَسَرٌ ، اجتمع منهم سبعةُ نَفَرٍ . فنحروا جَزُوراً ، وجزَّؤوها على ثمانية وعشرين جُزْءاً . ثم اختار كل واحد منهم قِدْحاً ، على قدر حاله ، من الأقْدُح التي تقدّم ذكرُها ، ودفعوها إلى رجل يتراضَوْن به . واسمه الحُرْضَةُ . فيجمعها في الرِّبابة ، وهي خِرْقة تجمَعُ الأقْدُحُ فيها ، وتُجْمَع أطرافها ، ويُعَدَّلُ بينها . ثم تُشَدُّ عيناه . فيأخذها في يسراه قابضاً عليها كأنها ضِغْثُ خلا . ثم يضرب رؤوسها براحة يمناه . فأيُّها طلع من الربابة كان فائزاً . وقيل : إنه كان يجمعها في الربابة ، وهي قطعة أديم . ثم يضرب بها تحت ملاءة . فأيها تقدم صواحبه كان فائزاً .

فمن خرج له الفَذُّ كان له سهم واحد، وغَرِمَ ثلاثة . وإن خرج التوءم كان له سهمان ، وغرم سهمين . وإن خرج الرَّقيبُ كان له ثلاثة ، وغرم سهماً . وإن خرج الحِلْسُ كان له أربعة أسهم، لم يَرْبَحْ ، ولم يوُضَعْ . ومن خرج له النافِسُ فله خمسة أسهم، يربح واحداً . ومن خرج له المُصْفَح فله ستة أسهم، يربح سهمين ، ومن خرج له المُعَلَّى فله سبعة أسهم، يربح ثلاثة » .

* * *

هذا وقد وافق مجمع اللغة العربية بدمشق على نشر هـــذا الكتاب في سلسلة مطبوعاته . فعكفتُ عليه منذ صيف عام ١٩٦٥ ، واشتغلت به ، حتى فرغت من تحقيقه وإعداده للطبع . ولسوف نبدأ بطبعه في هذه الأيام .

الدكتور عزة حسن

مشروعات مجمع اللغة العربية

لدورة سنة ١٩٦٦ — ١٩٦٧ (١)

انقضت دورة مجمع اللغة العربية لعام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ على أحسن ما يرام بها . ونستقبل اليوم بعد انتهاء العطلة الصيفية الدورة الجديدة لعام ١٩٦٧/١٩٦٨ ونأمل أن تكون هذه الدورة بفضل توجيهات سيادة الرئيس وإرشاداته ومؤازرة السادة الزملاء ومعونتهم المعتادة كالدورة السابقة أو أفضل منها في خدمة أغراض المجمع اللغوية والثقافية .

ويطيب لي أن أستعرض أمامكم الأعمال التي أنجزت في الدورة الماضية والتي أوكل مجلسكم الكريم أمر تنفيذها على مكتب المجمع ولجنته الإدارية ، وأن أنقل إليكم أيضاً ما جدّ خلالها من شؤون وأحداث طارئة .

١ — الوفيات :

فجع المجمع في مستهل هذه الدورة بفقد الزميل الكريم والعلامة الكبير المرحوم عز الدين التنوخي نائب رئيس المجمع ، وكان آخر الأحياء الأخيار الذين أسسوا هذا المجمع ومن الذين عملوا جاهدين مع الزملاء الأحياء والراحلين على رفع شأنه وتكثير إنتاجه ، كما كان رحمه الله ركناً من أركان اللغة العربية وعاملاً مخلصاً في دعم صرحها والذود عنها .

وكذلك فقد المجمع أحد أعضائه المراسلين القدماء وهو الأمير يوسف كمال صاحب الموسوعة الجغرافية المصرية الكبيرة ، وكان رحمه الله لا يضن بماله

(١) تلاه الأستاذ جعفر الحسني الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق في الجلسة الافتتاحية المنعقدة بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٦٧ .

على المشروعات العلمية والثقافية ، كما كان من كبار هواة جمع الآثار القديمة العربية والإسلامية ، يجمعها حيثما يجدها في أسواق الغرب والشرق . وقد أهدى أكثرها إلى المتحف العربي بالقاهرة .

وفقد المجمع أيضاً في أثناء العطلة الصيفية عضواً مراسلاً من أعضائه البارزين وهو المرحوم نظير زيتون أحد كبار وأدباء المهجر العاملين ممن أدوا بقلمهم وسلامة عقيدتهم خدمات جليلة لقوميتهم وللغتهم العربية . رحمهم الله جميعاً وأجزل ثوابهم .

٢ — شؤون ادارية :

ومن الشؤون التي حدثت خلال الدورة الماضية إلحاق المجمع بموجب المرسوم التشريعي رقم (١٤٣) وتاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ [١] بوزارة التعليم العالي المحدثة ، ولم يمس هذا العمل كيان المجمع ومصالحه بل لقي من الوزارة الجديدة — كما كان الحال مع وزارة التربية — كل رعاية وتقدير .

٣ — الانتخابات :

آ — انتخب مجلس المجمع بجلسته التي عقدت في السادس من تشرين الأول سنة ١٩٦٦ عدداً من الأعضاء المراسلين من البلاد العربية والأجنبية وتم تعيينهم بموجب القرارين رقم (٤٧) وتاريخ ١٩٦٦/١٢/٥ ثم رقم (٢٢) وتاريخ ١٩٦٧/٥/٤ [٢] وهم السادة :

١ — قداسة أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق — عن العراق .

---

(١) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية — المجلد (٤٢) صفحة ٣٦٦ .

(٢) نشرا في مجلة مجمع اللغة العربية — المجلد (٤٢) صفحة ١٧٢ وصفحة ٨٤٠ .

٢ — الأستاذ جميل بيهم عن لبنان .

٣ — الأستاذ أمين نخلة 〃 〃

٤ — الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور عن تونس

٥ — الأستاذ عثمان الكعاك 〃 〃

٦ — الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي عن باكستان

٧ — الدكتور عبد الكريم جرمانوس عن المجر

ب — جدد انتخاب الزميل الأستاذ عارف النكدي لعضوية لجنة المجلة والمطبوعات لغاية سنة ١٩٦٧ بموجب القرار رقم (١) وتاريخ ١/١/١٩٦٧ .

٤ — المطبوعات :

تم طبع الكتب التالية :

١ — معجم المصطلحات الأثرية باللغتين الفرنسية والعربية ، وضعه الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، ونظرت فيه وراجعته لجنة مشتركة من أعضاء مجمعنا ومن كبار موظفي المديرية العامة للآثار القديمة برآسة سيادة رئيس المجمع . ويحق للمجمع أن يعتز بإخراج هذا الأثر الوحيد من نوعه باللغة العربية ، وهو عمل من صميم أغراض المجمع ومن أجلها فائدة بمصطلحاته وصوره . وسيجد فيه المراجعون والباحثون ما يصبون إليه ، وهو يوفر عليهم عناء البحث والتنقيب عن مصطلحات هذا العلم ، وسيبقى هذا المعجم لزمن طويل مرجعاً مفيداً وعاملاً قوياً على توحيد المصطلحات الأثرية في الأقطار العربية .

٢ — ديوان فتيان الشاغوري : بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي .

٣ — كتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابئ . بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .

٤ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الدكتور سامي حمارنة وراجعته السيدة أسماء الحمصي .

٥ — مدرسة ساليرنو الطبية : بقلم الدكتور فيصل دبدوب .

٦ — كتاب الكون والفساد لابن باجّة الأندلسي : بتحقيق الدكتور محمد صغير حسن معصومي .

٧ — المدرسة الظاهرية : بقلم السيدة أسماء الحمصي .

٨ — مقالة في أسماء أعضـــاء الإنسان لابن فارس : بتحقيق الدكتور فيصل دبدوب .

٩ — مجلة مجمع اللغة العربية (المجلد الحادي والأربعون) .

١٠— رسالة آداب المؤاكلة لبدر الدين محمد الغزي : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا .

وتحت الطبع أو رهن التحقيق الكتب التالية :

١ — فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية (قسم الحديث) : وضعه الشيخ ناصر الدين الألباني .

٢ — فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية (قسم اللغة وعلومها) : للسيدة أسماء الحمصي .

٣ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (للمجلدات ٣١ — ٤٠) : وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

٤ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (قسم بلاد العجم) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

٥ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ملحق شعراء الشام) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

٦ — تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثالث) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (القسم الثاني من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٨ — ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب للزبيدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٩ — غريب الحديث لابن قتيبة (الجزء الأول) : بتحقيق الآنسة ملك هنانو .

١٠ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الثالثة) بتحقيق الآنسة ملك هنانو .

١١ — التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

١٢ — ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا .

١٣ — آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة للغزي : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا .

١٤ — التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني : بتحقيق الدكتور أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبدالمعين الملوحي .

١٥ — نظرة عيان وتبيان في أسماء أعضاء الإنسان (عربي - فرنسي - انكليزي) : للدكتور صلاح الدين الكواكبي .

١٦ — كتاب وقفية المدرسة الجوهرية : بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني .

١٧ — الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي : باشر بتحقيقه المرحوم عز الدين التنوخي ووافاه الأجل قبل الانتهاء منه ، وسيعمل المجمع على إتمام تحقيقه ونشره .

٥ — المجـــلة :

صدر من المجلة المجلد الحادي والأربعون . ويزداد الإقبال على طلبهـا في البلاد العربية والإسلامية وتتبادل المجلة مع (٢٨٥) مجلة وصحيفة ومعهد علمي ، وتزود هذه المبادلة دار الكتب الوطنية بعدد كبير من الكتب والمجلات والصحف . وتعتبر المجلة لدى المستعربين والباحثـــين على اختلافهم من أهم المراجع التي يراجعها العاملون في ميدان اللغة والثقافة العربية .

٦ — الإنشاءات :

ضاق المستودع الرئيسي للمجمع بما يحتويه بسبب زيادة مطبوعاته وتراكمها ، ولهذا السبب لجأنا إلى الخربة الموجودة في الزاوية الشرقية الشمالية من بناء المجمع ورممنا منها ما يمكن إصلاحه والانتفاع به فأوجدنا أربع غرف وألحق ثلاث منها بالمستودع والرابعة بمكاتب الإدارة .

وجددنا طلي جميع المنجور الخشبي المطل على باحة المجمع بالدهان الزيتي بعد أن تعرى من دهانه القديم الذي مضى عليه نحو نصف قرن بسبب تعرضه لحرارة الشمس وأمطار الشتاء .

٧ — الشؤون الإدارية :

جدد المجمع تكليف الأستاذ عارف النكدي لعضوية لجنة المجلة والمطبوعات لغاية سنة ١٩٦٧ .

وأنهى المجمع مدة إعارة الدكتور عزة حسن مدير دائرة المخطوطات في دار الكتب الظاهرية للمملكة العربية السعودية لكي يعود إلى استلام عمله في المكتبة .

وتدارك المجمع كمية كافية من الورق اللازمة لطبع المجلة والمطبوعات .

وأخذ يجدد فهرس خزانة كتب المجمع وتسجيل محتوياتها وضبط موجوداتها وعهد بذلك إلى السيد وجيه جبر المنتدب من قبل وزارة الثقافة للعمل في المجمع .

٨ — اللجنة الإدارية ولجنة المجلة والمطبوعات :

تعمل اللجنتان في مهامها بجد ونشاط ودون انقطاع .

دار الكتب الوطنية الظاهرية

لقد حدَّت أسباب طارئة من نشاط دار الكتب ونقص عدد روادها قليلاً بسبب أعمال الهدم والبناء القائمة حالياً ، وهدم قسم من قاعات المطالعة ومستودعات الكتب ولكن إدارة المكتبة تلافت هذا النقص بنشاط إداري ، ذلك انها وضعت نظاماً داخلياً لدار الكتب حددت فيـــه علاقة القارئ وسلوكه مع الإدارة وما له وما إليه .

وقد أقرت وزارة التعليم العالي هذا النظام بالقرار رقم (١٥) لسنة ١٩٦٧[١].

واتخذت بسبب الأحوال الحاضرة تدابير وقائية لسلامة المخطوطات وحفظها .

وابتاعت أكثر ما يلزم لقاعة المطالعـة الجديدة من أثاث حتى تصبح جاهزة لاستقبال المطالعين فور الانتهاء من تجديد بنائها .

ووضعت السيدة أسماء الحمصي القائمة على شؤون دار الكتب كراساً أوردت فيه خلاصة تاريخ المدرسة الظاهرية ونشاطها العلمي وسيرة أكثر مدرسيها منذ نشأتها إلى أن توقف التدريس فيها ، وذكرت في الكراس إحصاءات مفيدة عن دار الكتب ومحتوياتها ، وهي رسالة تعريف بالمدرسة الظاهرية تشكر عليها .

وقد دخل إلى دار الكتب خلال الفترة الواقعة بين شهر حزيران لعـام ١٩٦٦ وشهر حزيران ١٩٦٧ :

٥٥٣ مخطوطة
١٠٧٩ كتاباً مطبوعا
١٤٩٤ مجـــلة
٤٥٠ نشرة

(١) نشر هذا القرار بالمجلد (٤٢) صفحة ٣٣٦ .

وهي كتب عربية وأجنبية مشتراة أو مهداة دخلت بطريقة المبادلة بمجلة المجمع ، وبلغ عدد الكتب المعارة إلى القراء خلال هذه الفترة (١٤٧٠٩) كتاباً برغم العقبات التي ذكرناها . وكانت أعمال شعبة التصوير مرضية فقد أنجزت (١١٩٠٠٠) صورة من الأفلام الصغيرة (ميكرو فيلم) و (٤٥٠٠) من الصور المكبرة (فوتوكبي) .

ج . ح

★ ★ ★

مشروعات مجمع اللغة العربية

لدورة سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨

انقضت الدورة السابقة وخلفت لنا على وفرة ما حققته تركة مثقلة بالأعمال التي لم يتيسر لمكتب المجمع (لأسباب قاهرة وخارجة عن إرادته وقدرته) أن ينجزها في حينها . ونأمل أن يتوصل في دورته الحالية إلى انجاز أكبر عدد منها .

لقد نقلنا من الدورة السابقة إلى الدورة الحاضرة انجاز طبع (١٧) كتاباً بالإضافة إلى المجلة ـ قلة منها هي الآن تحت الطبع ، والكثرة الباقية هي رهن التحقيق ونأمل أن يسعفنا الحظ والوسائل لنفي بتعهدنا كاملا .

وعلى المجمع بالإضافة إلى ما بيناه أن يبحث الشؤون الإدارية التالية :

١ — الانتخابات :

أ — انتخاب رئيس لمجمع اللغة العربية .
ب — ملء شواغر الأعضاء العاملين .
ج — انتخاب أعضاء مراسلين جدد .
د — انتخاب نائب رئيس المجمع خلفاً للمرحوم عز الدين التنوخي .
هـ - انتخاب عضو ثان للجنة المجلة والمطبوعات في نهاية هذا العام .

٢ — الشؤون الإدارية :

أ — تعديل بعض مواد المرسوم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ المتعلقة بطريقة انتخاب الأعضاء العاملين .

ب — تأكيد اقتراح المجمع المقدم سابقاً بأن تكون مدة عطلة المجلس الصيفية ثلاثة أشهر بدلاً من أربعة أشهر .

ج — تعديل القرار (٤٨) لسنة ١٩٦٠ المتعلق بتعويضات أعضاء لجان المجمع وجعله ينسجم مع أحكام المرسوم رقم ١٦٧ لسنة ١٩٦٣ .

٣ — الانشاءات :

مواصلة أعمال البناء لتوسيع دار الكتب الوطنية . ونأمل أن يتم المشروع في الأشهر المتبقية من هذا العام أو في أوائل عام ١٩٦٨ .

هذه يا سادتي لمحة موجزة عما حققه المجمع في الدورة السابقة وما ينوي عمله في دورته الحالية متكلاً على الله ومعتمداً على مؤازرة السادة الزملاء الكرام .

الأمين العام

جعفر الحسني

تصويبات

لأخطاء وقعت في الجزء الرابع
من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٦٨٠	١٥	عليها	عليها
٦٨١	١٠	مفتحة	مفتتحة
٦٨١	١٢	والصلا	والعلا
٧٧٥	١٤	تراه	نراه
٧٧٦	١٥	للتعليم	للتعلم
٧٧٧	١٨	لا حاجة للفاصلة بعد كلمة « العيسوي »	
٧٧٨	١٨	ضع كلمة « للنصارى » بعد كلمة « الامتيازات »	
٧٨١	٥	وفي	ومن
٧٨١	١٧	السيد	السير
٧٨٥	١	تحذف كلمة « في » بعد كلمة « الثقافي »	
٧٨٨	١٥ (الأخير)	توضع كلمة « دونكم » قبل كلمة « أبواب »	
٧٨٩	٧	الفتنا	التفتنا

* * *

تصويبات معجم المصطلحات الأثرية

Vocabulaire des termes archéologique

صفحة	الخطأ	الصواب
269 و ٦٨	قُرْبَة	قِرْبَة Outre
345 و ٦٨	قُرْبَوي الشكل	قِرْبي الشكل Utriculaire

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٨ م المحرم سنة ١٣٨٨ هـ

ملتقطات

أعيد من حينٍ إلى آخر قراءة الأغاني ، هذا الكتاب العظيم الذي لا يكاد المرء يشبع من تقليب النظر فيه ، وإذا كنت في هذا المقال أجاوز ما يشتمل عليه من جدّ وهزل أو من آثارٍ وأخبار وسيرٍ وأشعار متصلةٍ بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام فانني لا أجاوز بعض ما أمرُّ به من ملتقطات في اللغة تدلّ على سعة هذه اللغة ومرونتها ومن طائفة من الألفاظ التاريخية أو الألفاظ التي ماتت بموت عصرها أو من فئةٍ من بقايا الفصاح أو من استعمال بعض الألفاظ العامية وما شابه هذه الأمور كلّها .

من قبائل العرب : الذُهلان واللهازم ، وقد جاءت الإشارة اليها في شعر الفرزدق :

وأرضى بحكم الحيّ بكر بن وائلٍ إذا كان في الذُهْلين أو في اللهازم

وما يهمني في هـذا المقام تفصيل الـكلام على هاتين القبيلتين وإنما المهمّ الإشارة إلى واحدةٍ منها وهي اللهازم ، وليست هذه الإشارة من باب الـكلام على النسب وإنما هي إشارة لغوية لا غير ، جاء في الأغاني في أخبـــار أبي كلدة ونسبه ما يلي : « فلمّا جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتلهزموا ودخل معهم حلفاؤهم ... » .

فقوله : تلهزموا معناه انتسبوا إلى قبيلة اللهازم أو تشبهوا بها ، وقد نجد في هذا الباب طرائف كثيرة ، فكما اشتقـّوا من القبائل مادّة تفصح عن الانتساب إليها أو التشبه بها فكذلك اشتقوا من أسماء الأعـــلام والبلدان والحيوان أشباه هذه المادة . ورد في أخبار ابن سريج على لسان اسحق بن ابراهيم الموصلي ما يلي :

« هذا صوت قد تمعبد فيه ابن سريج ، فقال له : ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تمعبد ابن سريج وإنما معبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجياً . »

فقوله : تمعبد يدلّ على التشبه بمعبد في الغناء ، ومن هذا النحو ما ورد في أخبار عبيدة الطنبورية ، فقد كان اسحق بن ابراهيم بن مصعب يشتهي أَن يسمعها ويمنع نفسه ذلك لتيهه وتبرمكه وتوقيه أن يبلغ المعتصم عنه شيء يعيبه ... فالتبرمك في هذا المقام إشارة إلى بَرْمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي وهم البرامكة .

أمّا البلدان فقد قالوا في الانتساب إلى بعضها : تبغدد فلان إذا انتسب إلى بغداد أو تشبّه بأهلها .

وقد اقتصر في التشبه بالحيوان على مادّة وردت في أخبار ابن هرمة ونسبه ، جاء في خلال هذه الأخبار ما يلي :

« فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشي ... فلا شك في أن تقنفذ معناها تشبه بالقنفذ في مشيته أو وضعه وغير بعيدٍ أن « تقنبذ » العامية أصلها « تقنفذ » الفصيحة وقد حرّفوها فجعلوا الفاء باءً إلاّ أن بين المعنيين ، العامي والفصيح ، شيئاً من التباعد ، فان تقنفذ الفصيحة تدلّ على التضاؤل والتصاغر في العبارة التي جاءت في الأغاني ، أمّا « تقنبذ » العامية فان لها في لغة العامة في دمشق معنى آخر ، فان قولهم : فلان « متقنبذ » معناه أن له جلسة خاصة أو مشية خاصة أو وضعاً خاصاً فيه التصدّر أو الترفّع أو التكلف مما يحمل على السخرية . أمّا في اللغة فانهم يقولون : تقنفذه بالعصا ضربه كما يضرب القنفذ .

وكما اشتقوا من القنفذ مادّة فقد اشتقوا من النمر مادّة فقالوا : تنمّر فلان اذا غضب وساء خلقه ... وهذا باب طويل لا سبيل الى التوسع فيه في هذا المقال ، من كل ما تقدّم يتبيّن لنا مقدار سعة اللغة ، فقد رزقنا الله تعالى لغةً لا تجمد على حالٍ من الأحوال ، يتصرّف فيهـــا أبناؤها كل متصرّف ، ولكن لا يجوز لنا الغلوّ في هذا التصرّف ، اني أعيش في قريةٍ من قرى الزبداني ، فأسمع أهلها في هذا الشهر الذي أكتب فيه هذا المقال وهو تشرين الثاني يقولون : تَشْرَنَتْ أي دخل الشجر في تشرين فاصفرّ ورقه وتناثر على الأرض ، ويقولون : شرّط بيني وبينك ، بتشديد الراء ، أي مدّ الشريط بين أرضي وأرضك وإذا كانت لفظة التشريط فصيحة ، والشريط هو الخوص المفتول الذي يشرّط به السرير ونحوه فان أُختها التي ذكرتها : تَشْرَنَتْ عامية ، وعلى ما به لا يجوز لنا أن يستعمل كل واحدٍ منّا حريته في التصرف في أمور الاشتقاق ونحوه فيغلو ويفرط وإلاّ دخل الضيم على اللغة فأصبحت فوضى ، فاذا تصرف كل واحدٍ منّا في الألفاظ على مشيئته وهواه فلست أدري حينئذٍ عاقبة هذا الأمر .

ومن مظاهر سعة اللغة وخصائص مرونتها مادّة جاءت في أخبار ابراهيم الموصلي على لسان مخارق ، قال مخارق :

« فجئت الى ابراهيم الموصلي ، فاذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس والبوّاب قاعد ، فقلت : ما خبر أستاذي ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاذا هو جالس في رواقٍ له وبين يديه قدور تغرغر وأباريق تزهر والستارة منصوبة والجواري خلفها ، وإذا قدّامه طست فيه رطلية وكوز وكأس ...

فالذي يعنينا من هذا الخبر إنما هو لفظ الرطلية ، ولا شك في أن معناها الإناء الذي يسع رطلاً من النبيذ ونحوه ، وهكذا نجد أنهم وضعوا للفظة الرطل لفظة الرطلية التي تسع هـــذا الرطل ، وهي أدق من الإناء أو الوعاء ، فالإناء عام والرطلية خاصة والتخصيص من شروط الدقة في مفردات اللغة .

والى جنب هذا النوع من التصرف والمرونة نجد ألفاظاً اصطلح علماء اللغة على أن يسمّوها : الألفاظ التاريخية ، وهم يريدون بذلك أسماءً كانت تدلّ في عصرٍ من العصور على مسمّياتٍ ، ثم ذهب العصر وذهبت معه المسمّيات فبقيت الأسماء وحدها ، من هذا القبيل ما ورد في أخبـــار علوية ونسبه :

« وقدم المأمون من خراسان وكان يخرج الى الشمّاسية دائماً يتنزّه ، فركب في زلاّل وجئت أتبعه فرأيت حرّاقة علي بن هشام ، فقلت للملاّح : اطرح زلاّلي على الحرّاقة ففعل ... » .

إن قوله : فركب في زلاّل ، يدلّنا على أن الزلال ّنوع من المراكب ولم أجد له تفسيراً في القاموس المحيط ، أمّا الحرّاقة فقد ورد تفسيرها ، فمن معـاني الحرّاقات مشدّدة ً سفن بالبصرة ، وفيها مرامي نيرانٍ يُرمى بها العدوّ .

وكثيراً ما ورد ذكر الحرّاقات في الأغاني ، من ذلك ما قاله هبة الله ابن ابراهيم المهدي : « اتخذ أبي حرّاقة فأمر بشدّها في الجانب الغربي بحذاء داره ، فمضيت اليها ليلة ، فكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه فنسمعه وبيننا عرض دجلة وما أجهد نفسه . » .

وكذلك ورد ذكر الزلاّلات ، قال أبو العتاهية :

« كان الرشيد يعجبه غناء الملاّحين في الزلاّلات اذا ركبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم . » .

من هذا كله يتبيَّن لنا أن الحرّاقات والزلاّلات كانت مراكب الخلفاء بني العبّاس يتنزّهون عليها في دجلة على نحو الذهبيات في النيل . وسوآء أجاء في القاموس المحيط تفسير للزلال والحرّاقة أم لم يجيء انّا لا نعرف صورتها ولا نعرف عنها شيئاً ، فان هاتين المادّتين من الألفاظ التاريخية التي ذهبت بذهاب عصرها ، وهذا هو السبب في أن معاني الألفاظ التاريخية غامضة في معظم الأحوال لأنّا لا نعرف عنها شيئاً ولا نستطيع أن نتصوّرها .

واذا كانت طائفة من الأسماء تذهب عنّا معانيها لذهاب مسمّياتها فان طائفة ثانية من الألفاظ تظهر في عصر من العصور ثم تموت ، من ذلك ما جاء في أخبار علوية في حكاية طريفة لا سبيل الى ذكرها كلها ، فقد وردت في هذه الحكاية العبارة الآتية :

« وعمل له علوية حكاية أعطاها للزفّانين والمخنّثين فأحرجوه فيها ... »

في اللغة زفَن يزفِن رقص ، فالزفّان الرقّاص ، ولكن هذه المادّة لم يبق لها أثر في لغة هذا العصر ، فمن الذي يقول الزفّان بدلاً من الرقّاص ، فلكل عصرٍ لغة ، فكثير من الألفاظ تموت بموت العصر الذي شاعت فيه .

ومن الألفاظ التي ماتت على ما أعتقد لفظ الأَبْزَن الذي جاء في أخبار ابراهيم الموصلي ، قال علوية الأعسر :

« دخلت على ابراهيم الموصلي في علّته التي توفّي فيها وهو في الأَبزن وبه القولنج الذي مات فيه ... » .

فالأبزن ، مثلثة الأول حوض يُغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس ، معرّب : أبْ زنْ ، وأهل مكة يقولون : بازان للأبزن الذي يأتي اليه ماء العين عند الصفا يريدون : آب زَنْ .. فمن الذي يستعمل في هذا العصر : الأبزن بدلاً من المغطس .

واذا كانت فئة من الألفاظ تموت بموت عصرها فانّ فئة ثانية منهـــا تعيش في كل العصور ، فهي من بقايا الفصاح ، فعلى الرغم من غلبة أُمم شتى على أرضنا في مواضي الليالي وعلى الرغم من منازعة لغة تلك الأمم للغتنا بقيت في لغة العامّة فضلاً عن الخاصّة ألفاظ وتراكيب فصيحة تدلّنا على قوة لغتنا وعلى غلبتها على اللغات التي نازعتها .

من هذا النوع من بقايا الفصاح طوائف كثيرة لا يتسع المجال الاستقصاء فيها وانما أقتصر على يسير منها .

جاء في أخبار ابراهيم الموصلي ما يلي : ثم بكرت على الفضل بن يحيى ، فاذا هو جالس وحده ، فلمّا نظر اليّ ضحك ثم قال لي : يا ضيّق الحوصلة ! حرمت نفسك عشرين ألف دينار .... وهذا التعبير نفسه لا يزال مستفيضاً في لغة العامّة يومنا هذا ، إلاّ أنهم حرّفوا الحوصلة وجعلوها الحوصليّة فقالوا : فلان حوصليته ضيّقة ، وهم يريدون بذلك ضيق صدره وقلة صبره .

ومن هذا الشكل قولنا : رأساً برأس فانّا نجد في أخبار سياط ما يلي :

« دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت ، فقال له : ألك حاجة ، فقال : نعم ، لا تزد في غنائي شيئاً ولا تنقص منه ، دعه رأساً برأس ، فانما هو ثمانية عشر صوتاً ...

أفلا نسمع هذا التعبير في عاميتنا كل يوم ، وقد فسّر في العبارة المتقدمة أوضح تفسير .

ومن طرائف الأمور أن نعرف في عصرنا هذا شيئاً من لغة العامة في عصر ابراهيم الموصلي ، فقد كان ابراهيم اذا سكر كثيراً ما يغنّي على سبيل الولع :

أنا جت من طرق موصل أحمل قلل خمريا

من شارب الملوك فلا بدّ من سكريا

لا يهمّنا أن يشكّ صاحب الأغاني في هذه الحكاية ، فقد ذكرها على غثاثتها لشهرتها عند الناس ، وانما الذي يهمنا شيوع هذا النحو من العامية في أيّام ابراهيم الموصلي .

وأخيراً بقيت الإشارة الى بعض ألفاظٍ استعملت في عصرٍ ثم بدّلت في عصرٍ آخر ، إلاّ أنها لم تمت كما مات غيرها فهي لا تشبه لفظ الأبزن الذي تقدم ذكره ، إنهم يقولون اليوم في رجال الفن : هذا محترف وهذا هاوٍ وفي اللغة هويه كرضيه فهو هوٍ ، وقديماً لم يستعملوا هاتين المادتين فقد كانوا يقولون : هذا متكسّب وهذا ملتذّ ، ففي حكاية طويلة على لسان جدّ حمّاد ما يلي :

فأقمت على تلك الحال حتى بلغ محمد بن سليمان بن علي خبري ، فوجّه إليّ فأحضرني وأمرني بملازمته فقلت له : أيّها الأمير ، لست أتكسّب بالغناء وإنما ألتذّه ... » .

فالمتكسب لم تمت وإنما قامت مقامها : المحترف في لغة هذا العصر ، وكذلك الملتذ فقد قامت مقامها : الهاوي ، وهذا دليل على انتقال اللغة من وجه الى وجه على تراخي الأيام .

ومن هذا النمط لفظة : الممتحنة ، فنحن نقول في عصرنا : الهيأة الفاحصة الذين يتولون امتحان الطلاب ولكنهم كانوا يقولون في القديم : الممتحنة ، وقد وردت هذه المادة في خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ :

« فصاحوا بهم : انزلوا يا اخوة القرود والخنازير ! فنزلوا إليهم ، فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة ، أحضروا الممتحنة غداً . . . »

★ ★ ★

هذا قليل مما التقطته من الألفاظ في قراءة بعض الأغاني ، وهو غيض من فيض ، وإذا أردت أن أجد صفة للغتنا فاني لا أجد أصلح من الصفة التي كان يصفها بها إمام من أئمة القرن التاسع عشر وأعني به الشدياق ، فلم يأت ذكر اللغة في خلال كتاباته إلا قال : لغتنا الشريفة .

شفيق جبري

الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٠ -

الصريح

في الفرنسية	Explicite
في الانكليزية	Explicit
في اللاتينية	Explicitus

صرح الأمر صراحة صفا وخلص وبان فهو صريح أي واضح وخالصٌ مما يشوبه. وصرّح المتكلمُ بما في نفسه أبداه وأظهره. وفي المثل : صرح الحق عن خالصه ، يضرب في ظهور الأمر بعد استتاره.

واللفظ الصريح عند الأصوليين لفظ انكشف المقصود منه في نفسه لكثرة الاستعمال حقيقةً كان أو مجازاً ، وتقابله الكناية.

والمعنى الصريح هو المعنى الواضح ، والظاهر ، والبيّن ، خلافاً للمعنى الضمني أو المستتر أو المضمر (Implicite).

والشخص الصريح هو الذي يعبّر عما في نفسه بوضوح تام ، أو يقول كل ما يبدو له دون إبهام أو مواربة.

الصفاء

في الفرنسية	Pureté
في الانكليزية	Purity
في اللاتينية	Puritas

صفا صفواً وصفاء خلص من الكدر. تقول صفا الماء راق ، وصفا الجو خلا من الغيم.

وصفاء الذهن استعداد النفس لاستخراج المطلوب بلا تعب (تعريفات الجرجاني).

وإخوان الصفا وخلاّن الوفا اسم فرقة فلسفية سرّية تألفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة ، ويسمّون أيضاً أهل العدل ، وأبناء الحمد ، وضعوا بينهم مذهباً زعموا أنه يقربهم إلى الفوز برضوان الله ، وذلك أنهم قالوا إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلاّ بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة والشريعة فقد حصل الكمال (عن أبي حيان التوحيدي) ، والصافي مرادف المحض « Pure » ، (راجع هذا اللفظ) .

الصفة

في الفرنسية	Attribut, qualité
في الانكليزية	Attribute, quality
في اللاتينية	Attributum, qualitas

الصفة هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات أو الحالة التي يكون عليها الشيء : كالسواد ، والبياض ، والعلم والجهل الخ ..

والصفة عند النحويين هي النعت ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وما يجري مجراها .

والصفة عند الفلاسفة هي الخاصة التي تحدد طبيعة الشيء . قال ابن سينا : « إن الشيء الواحد قد تكون له أوصاف كثيرة كلها ذاتية ، لكنه إنما هو ما هو لا بواحدٍ منها ، بل بجملتها » (النجاة ، ص ١١) .

والفلاسفة يفرقون بين صفات الذات (Attributs d'essence) وصفات الأفعال (Attributs d'action) ، فصفات الذات هي ما لا يجوز أن يوصف الشيء بضدها ، وصفات الأفعال هي ما يجوز أن يوصف الشيء بضدها .

ويفرقون أيضاً بين الصفات النفسية والصفات المعنوية . فالنفسية هي التي لا يحتاج وصف الذات بها إلى تعقّل أمر زائد عليها : كالإنسانية للانسان ، والمعنوية هي التي يحتاج وصف الذات بهـا إلى تعقل أمرٍ زائد عليهـا : كالتحيز والحدوث .

ويطلق على الصفة في المنطق اسم المحمول ، فاذا وصف الشيء باحدى الصفات سمي الموصوف موضوعاً (Sujet) والصفـة محمولاً (Attribut) كقولنا : زيد عالم ، فزيد هو الموضوع ، وعالم هو المحمول . فالموضوع والمحمول عند المنطقيين هما بمنزلة المسند والمسند إليه عند النحاة . وقد أطلق (اسبينوزا) اسم المحمول على المعنى الذي يدركه العقل في الجوهر من جهة ما هو مقوم لذاته ، فكل مدرك بذاته ولذاته فهو محمول كالامتداد فهو مدرك بذاته ولذاته على خلاف الحركة ، فانك لا تستطيع أن تتصورها إلا مضافةً إلى معنى آخر ، وهو الامتداد .

والصفات الإلهيـة (Attributs divins) هي ما يوصف به الله من صفات التعظيم كالقدرة والحياة والإرادة .. الخ . ولفلاسفتنا القدماء إزاء هـــذه الصفات موقفان : الأول موقف الصفاتية والآخر موقف المعتزلة . فالصفاتية يثبتون لله تعالى صفات أزلية ، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، حتى لقد بلغ بعضهم في اثبات الصفات إلى حد التشبيه . والمعتزلة يقولون بنفي الصفات لامتناع تعدد القديم . لأننا إذا قلنا انه تعالى قادر ، وعالم ، وحي ، ومريد ، وكانت هذه الصفات قائمة به منذ الأزل ، كانت قديمة مثله ولا قديم إلاَّ الله . ومعنى ذلك ان الصفات عند المعتزلة ليست مختلفة عن الذات ، وإنما هي والذات شيء واحد . فالله تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، قادر بقدرة ، وقدرته ذاته ، حيٌّ بحياة ، وحياته ذاته . وهذا يرجع الى إثبات ذات هي بعينها صفة ، أو اثبات صفة هي بعينها ذات . لذلك قيل ان المعتزلة نفاة الصفات معطلة الذات . (راجع : الكيفية ، والحال ، والمحمول) .

الصفر

في الفرنسية Zéro

في الانكليزية Zero

وعلامته في العربية نقطة وفي اللغات الأوربية (0) وهو الحرف الأول من لفظ (Ouden) اليوناني ومعناه : لا واحد ، ولا شيء .

الصفر في اللغة العربيةِ الخالي ، تقول بيت صفر المتاع ، وهو صفر اليدين أي ليس في يده شيء .

والصفر عند علماء الرياضيات هو الرتبة الخالية من الكم ، إلا أنه إذا أثبت في يمين العدد زاد قيمته عشرة أضعاف .

ودرجة الصفر نقطة الابتداء التي تقدر بعدها الأعداد والدرجات والمسافات والتغيرات ، تقول بدأنا انتاجنا الاقتصادي من درجة الصفر .

وساعة الصفر في اصطلاح الجيش الوقت السري لبدء العمل الحربي (مج) .

الصلابة

في الفرنسية Rigorisme

في الانكليزية Rigorism

وهذان اللفظان مشتقان من اللفظ اللاتيني (Rigor) .

اذا أطلقت الصلابة على احدى الكيفيات الملموسة دلت على ما نعبر عنه في اللغة الفرنسية بلفظ (Rigidité) ، وهي ضد اللين ، واذا أطلقت على إحدى الصفات المعنوية دلّت على الاشتداد والقوة لأن الصلب هو الشديد والقوي ، تقول فلان صلب في دينه ، وراعٍ صلب العصا ، اذا كان يعنف الإبل .

ويطلق هذا اللفظ في الفلسفة الحديثة على التشدد في تفسير القوانين وتطبيقها . كبعض الفرق التي تتمسك بحرفية النص ، وتتشدد في تطبيق الحدود . وهي نقيض الإباحية التى تسمح بالتحلل من قيود القوانين الأخلاقية لاعتقادها أن الأفعال طباع ، وأنه ليس للانسان كسب إرادي ولا قدرة على اجتناب المعاصي .

وللفظ الصلابة أو التشدد عند (كانت) معنى خاص وهو إطلاقه على الفعل المستقل عن كل دافع إلاّ دافع القانون ، لأن الواجب عنده أمر مطلق ، فاذا خالطه دافع قلبي أو نفعي فقد صفته الأخلاقية .

الصَّمم اللفظي

في الفرنسية Surdité Verbale

في الانكليزية Word - deafness

الصمم ذهاب السمع ، تقول صُمَّتْ أذنُه سدت ، وصَمَّ عن حديثه أعرضَ ولم يشأ أن يسمع .

والصمم اللفظي عجز المرء عن فهم معاني الألفاظ بالرغم من استعداده الطبيعي لسماع أصواتها .

والصمم الموسيقي (Surdité Musicale) عجز المرء عن إدراك ارتفاع الأصوات وعلاقاتها ، ونسبها ، ومحلها في السلم الموسيقي .

والصمم العقلي (Surdité mentale) عجز المرء عن إدراك معاني الأصوات عامة . وهو اضطراب عام يطلق عليه اسم (Asymbolie) أي العجز عن إدراك الرموز والإشارات كالصمم اللفظي والعمى اللفظي (Cécité verbale) والصمم الموسيقي .

الصميمي

في الفرنسية	Intime
في الانكليزية	Internal, inmost
في اللاتينية	Intimus

الصميم من كل شيء خالصه ومحضه . والصميم من القلب ونحوه وسطه . يقال هو من صميم القوم أي من أصلهم وخالصهم ، والنسبة اليه صميمي .
وللصميمي في الفلسفة الحديثة معنيان :

١ — صميم الشيء داخله وباطنه ، وهو ضد الخارج والظاهر منه ، ويطلق على الأمر الباطن أو المستتر الذي لا يدركه الجمهور ، أو على الأمر الفردي أو الشخصي الذي لا يعرفه إلاّ صاحبه بالعرض أو بالذات والطبع . ومنه الحسّ الصميمي (Sens intime) الذي أطلقه (مين دوبيران) ومعظم فلاسفة التوفيق على الشعور أو الوعي ، وهو الحس الباطن أو الحس الداخلي . والفرق بين الحس الظاهر والحس الباطن أن للأول آلة في البدن ، على حين أن الثاني ليس له آلة محددة . ان من خصائص الظواهر النفسية أن يكون حدوثها مصحوباً بشعور داخلي مباشر . ويسمّى هـــذا الشعور الداخلي بالحس الصميمي .

٢ — والصميم من الشيء جوهره الذي به قوامه وهو ضد ظاهره ، يقال : ان هذا المؤلف يصيب صميم المسائل أي جوهرها وأعماقها ، وان هذين الجسمين متحدان في الصميم ، وان بين هذين الرّجلين علاقة صميمية أي علاقة روحية عميقة .

٣ — وقد انتشر لفظ الصميمي في أيامنا هذه انتشاراً واسعاً حتى صار

يطلق على كل أمر داخلي وعميق. كقول (لافل): «توكيد اتحادنا الصميمي بالوجود ... واكتساب هذا الاتحاد الصميمي أو الكشف عن الذات يقوم على نفوذنا إلى أعماق الموجود نفسه» (Lavelle, la présence totale, P. 45 — 47).

الصناعة

في الفرنسية	Technique, (art)
في الانكليزية	Technics, (art)
واصله في اليونانية	Technikos

الصناعة في الأصل حرفة الصانع، وهي، في عرف العامة، العلم الحاصل بمزاولة العمل، وفي عرف الخاصة، العلم المتعلق بكيفية العمل (التهانوي). وكل عمل يمارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له يسمّى صناعة، كالطب والفلاحة والحياكة والموسيقى وغيرها.

وقد يطلق لفظ الصناعة على الملكة التي يقتدر بها على استعمال المصنوعات على وجه البصيرة لتحصيل غرض من الأغراض بحسب الامكان، أو يطلق على الملكة النفسانية التي تصدر عنهـــا الأفعال الاختيارية من غير رويّة (الجرجاني) أو يطلق على الفلسفة والمنطق والرياضيات وغيرها، يقال صناعة الفلسفة وصناعة المنطق.

والصناعة بالفتح تستعمل في المحسوسات وبالكسر في المعاني، ويرادفها الصنعة وهي عمل الصانع وحرفته، وإذا استعمل لفظ الصنعة في المعاني الفلسفية دلّ على الطريقة المنظمة التي تتبع في عمل يدوي أو ذهني.

وللصناعة في اصطلاحنا عدة معان:

١ — مجموع الطرق المحدّدة التي تتبع من غير روية لتحصيل بعض الأغراض، كالطرق العملية المتبعة في بعض الحرف، فهي قواعد أولية آليّة

تتوارثها الأجيال المتعاقبة وتنتقل من شخص إلى آخر بالتعليم والتدريب ، وهي على العموم لا تقتضي ما يقتضيه العلم من رويّة ونظر ، إلاّ أنها لا تخلو من بعض العناصر الفكرية التي تتغذى وتنمو بالتجريب ، وتهيء أسباب العلم . وتختلف درجة اشتمال الصناعة على هذه العناصر الفكرية باختلاف التقدم الحضاري ، فاذا كانت الحضارة أعلى كان اشتمال صناعاتها على العناصر الفكرية أكثر ، وإذا كانت أدنى كان اشتمالها عليها أقل .

٢ — مجموع الطرق المنظمة المبنية على المعرفة العلمية . وهي ضد الطرق العملية أو العادات التقليدية التي يمارسها العامل عفواً من غير تحليل وروية . والمقصود بالطرق المنظمة القواعد العلمية التي يتبعها الفنيّون والاختصاصيون في أعمالهم ، وهي ما نطلق عليه اليوم اسم القواعد التقنيـــة أو التقنيّات (Techniques) كالتقنيّات التربوية ، والتقنيّات المالية والادارية . وهي طرق مستمدة من العلم تقوم على تطبيق الحقائق النظرية تطبيقاً محكماً لتحصيل بعض النتائج . والفرق بين العلم والصناعة ان غاية العلم معرفة الحقيقة ، على حين أن غاية الصناعة هي الانتاج . وقد يطلق لفظ الصناعة على الأعمال المادية التي يقوم بها أرباب الحرف في المصانع ، ويقابله في اللغة الفرنسية لفظ (Industrie) ، أو يطلق على قواعد السلوك الإنساني المستمدة من علم النفس والاجتماع ، وهو المقصود بقولهم صناعة الأخلاق النظرية أو فن الأخلاق المستمد من العلم (Art moral rationnel) .

٣ — وإذا أطلق لفظ الصناعة على الفن (Art) دلّ على عدة معان : وهي : آ — مجموع الطرق المتبعة في استخدام بعض الآلات والأدوات كصناعة العزف على احدى الآلات الموسيقية ، أو صناعة الشعر ، أو صناعة النحت . ب — مجموع الطرق المتعلقة ببعض أساليب الفن كأسلوب الفن العربي ، أو أسلوب الفن الفارسي أو أسلوب الفن البيزنطي . ج — مجموع الطرق الخاصة

بأسلوب فنان معين أو كاتب معين كأسلوب اسحق الموصلي أو أسلوب الجاحظ أو أسلوب أبي تمام .

٤ — والصناعات الخمس عند المنطقيين هي البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة .

٥ — والصناعات السبع أو الفنون السبعة عند اليونان قسمان : الثلاثيات (Trivium) ، والرباعيات (Quadrivium) . فالثلاثيات قواعد اللغة والبلاغة والمنطق ، والرباعيات الحساب والهندسة والفلك والموسيقى .

٦ — والصناعات الجميلة أو الفنون الجميلة هي الطرق المتعلقة بكيفية تحصيل الجمال لا سيما في الفنون التشكيلية (Arts plastiques) كالتصوير والنحت والنقش والتزيين والعمارة .

٧ — وقد تكون الصناعة مادية أي عملاً من أعمال الصانع ، أو تكون معنوية كصناعة الأخلاق والسياسة والاقتصاد ، أو تكون فنية كصناعة الشعر أو الموسيقى أو التصوير أو العمارة الخ ..

٨ — والصناعي (Technique) هو المنسوب إلى الصناعة ويطلق على الطرق الفنية أو العلمية أو على كل ما يستفاد بالتعلم من أرباب الصناعات . والصناعي أيضاً ضد النظري ويرادفه العملي ، وضد الطبيعي كما في قولنا حرير صناعي .

٩ — والصنعي (Artefact) هو المنسوب إلى الصنع ومعناه العملي أو المصنوع ، وهو خلاف المطبوع ويرادفه المفتعل ، وإذا استعمل هذا اللفظ في علم النفس دل على الأحوال النفسية الناشئة عن سبر أحوال الشعور ببعض الطرق الصناعية ، يقال الأحوال النفسية المصطنعة أو المفتعلة .

١٠ — والصانع (Artisan) هو الذي يحترف إحدى المهن أو يصنع الأشياء بيديه . ويطلق في الفلسفة القديمة ولا سيما في فلسفة أفلاطون على

صانع العالم (Démiurge) ، وهو المبدأ الذي ينظم الموجودات ويرتبها ، ويطلق على فعله اسم الصنع ، وهو تركيب الصورة في المادة .

١١ — وعلم الصناعة (Technologie) هو العلم الذي يبحث في طرق الصناعة عامة من جهة علاقتها بتطور الحضارة ، ويشتمل على ثلاثة أقسام (الأول) هو الوصف التحليلي للفنون والصناعات الموجودة في مجتمع معين أو في زمان معين . (والثاني) هو البحث في الشروط والقوانين المحيطة بكل نوع من الطرق الصناعية والكشف عن أسباب نجحها العملي . (والثالث) هو البحث في تطور الطرق الصناعية في مجتمع معين ، أو في نوع من المجتمعات ، أو في الإنسانية جمعاء . وجملة القول إن علم الصناعة هو النظر في الصناعة ، وقد يراد به الصناعة العملية نفسها . هذا ما أشار إليه (غوبلو) بقوله إنّ علم الأخلاق صناعة السعادة .

١٢ — راجع الألفاظ التالية : فن ، عمل ، علم .

الصنف

في الفرنسية	Classe
في الانكليزية	Class
في اللاتينية	Classis

الصنف من الشيء جزء منه متميز . وهو النوع والضرب والصفة ، يقال : عنده صنف من الأمتعة ، أي نوع منها .

١ — والصنف عند المنطقيين هو النوع المقيد بقيد كلي عرضي كالعربي والفارسي واليوناني ، فانّ المعاني المندرجة تحت الكلي إما أن يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو بهما معاً . والأول يسمى نوعاً ، والثاني صنفاً ، والثالث قسماً . وعلى ذلك فالصنف كلّي مقول على كثيرين متفقين بالحقائق متباينين بالعرضيات . ويطلق الصنف في الفلسفة الحديثة على الكلي الأعم من

الجنس والنوع ، أو على الكثيرين المشتركين في صفة واحـــدة أو في عدة صفات .

٢ — والصنف عند علماء الاجتماع طائفة من الأفراد الذين يضعهم الرأي العام أو القانون في مرتبة اجتماعية واحدة ، وهو مرادف للطبقة ، ويدل على الأفراد المتشابهين في الحال والمنزلة والمرتبة والدرجة . وقد أدّى التطور الاجتماعي إلى قلب النظام الطبقي القائم على التفاوت في النسب أو الدين أو الجنس إلى نظام قائم على التفاوت في مستوى الدخل ، أو في كيفية تحصيله ، حتى أصبح المجتمع الحديث مؤلفاً من الفلاحين والعمال والموظفين وأرباب العمل والباعة والتجار وأرباب المهن الحرة ، والمالكين وغيرهم . وللصنف بمعنى الطبقة في النظرية الشيوعية معنى أخص وهو أن المجتمع في طريقه إلى إرجاع الطبقات الاجتماعية إلى طبقتين إحداهما طبقة المتمولين ، والثانية طبقات الفقراء الكادحين . (راجع : البيان الشيوعي تأليف ماركس وانكلز ص ٢٠ — ٢١ من الترجمة الفرنسية لآندلر) وسيؤدي نزاع الطبقات عندهم إلى زوال الطبقة الثانية .

٣ — والصنف عند علماء الحياة حلقة من حلقات الأحياء ، ويرادفه الصفّ . والحلقات مرتبة من الأعلى إلى الأدنى على الوجه الآتي :

العالم	Régne
الشعبة	Embranchement
الصنف أو الصف	Classe
الرتبة	Ordre
الفصيلة	Famille
الجنس	Genre
النوع	Espèce
السلالة	Race
الضرب	Variété

(راجع معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية للأمير مصطفى الشهابي) .

٤ — ويطلق الصف أيضاً على ترتيب التلاميذ في المدارس كالصف الأول ، والصف الثاني ، والصف الثالث ، أو على ترتيب الجنود في الجيش ، أو على ترتيب الأفراد في الفرق الرياضية .

(راجع الألفاظ الآتية : الجنس ، النوع ، الضرب ، التصنيف ، الترتيب) .

الصنم

في الفرنسية	Idole
في الانكليزية	Idol
في اللاتينية	Idola

الصنم في اللغة تمثال من حجر أو خشب أو معدن يعبده الوثنيون ويزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله ، وجمعه أصنام .

أطلق الصوفية لفظ الصنم على كل ما يشغل الإنسان عن الحق ، فقالوا : كل ما شغلك عن الحق فهو صنم .

وأطلق بيكون لفظ الأصنام بالجمع على ضلالات العقل ، فجعلها أربعة أقسام ، وهي :

١ — أصنام القبيلة (Idola tribus) ، وهي الضلالات الناشئة عن طبيعة الجنس البشري ، كميله الى الكسل ، أو انقياده للعواطف والأهواء ، وتسرعه الى التصديق والتعميم . فإنّ ذلك كله ينقله من الحكم على بعض الحالات الجزئية الى الحكم على كل الحالات ، ويوقعه في كثير من الضلالات ، كضلالات علم النجوم وعلم السحر والطلسمات ، وعلم الكيمياء القديمة . وخير وسيلة لاجتناب الوقوع في هذه الضلالات شك الإنسان في نفسه ، وابتعاده عن الأفكار الغامضة ، والتزامه الحياد التام في الحكم ، وامتناعه عن الانتقال بسرعة الى الحكم على الكلي بما حكم به على بعض أجزائه .

فالإنسان ليس محتاجاً الى أجنحة يطير بها من الجزئي الى الكلي ، وإنما هو محتاج الى أن يعلق بأجنحته أثقالاً من رصاص تمنعه من القفز والطيران السريع .

٢ — أصنام الكهف (Idola specus) أو (Idoles de la caverne) وهي الضلالات الناشئة عن سجية الفرد ، وطبعه ، وتربيته ، ومزاجه ، وبنيته الجسمية والعقلية . مثال ذلك ان العقول التحليلية لا تدرك الا الاختلاف والتباين ، والعقول التركيبية لا تدرك إلا التشابه والمماثلة . وكثيراً ما تؤدي تربية الفرد ومزاجه وبنيته الى الوقوع في الضلال . فكأن صفاته الفردية أشبه شيء بكهف لا يطلع المحبوس فيه إلا على ظلال الحقيقة ، ولا يدرك من الأشياء إلا ما تعوده .

٣ — أصنام الميادين العامة (Idola fori) أو (Idoles de la place publique) وهي الضلالات الناشئة عن الألفاظ الغامضة التي نستعملها دون تحليل معانيها أو دون معرفة مطابقتها لما نريد التعبير عنه . مثال ذلك أن بعض الفلاسفة يتكلمون على اللانهاية ، وعلى العلة التي لا علة لها ، والمحرك الذي لا يتحرك من غير أن يحللوا معاني هذه الألفاظ . ولو حللوها لوجدوا فيها كثيراً من اللبس والغموض وخير وسيلة لإصلاح الفلسفة توضيح معاني هذه الألفاظ وإبطال أكاذيبها .

٤ — أصنام المسرح (Idola theatri) أو (Idoles du théatre) وهي الضلالات الناشئة عن المذاهب الفلسفية ، فإنّ لكل فيلسوف مذهباً يروي لنا فيه قصة العالم كما يقص علينا الروائيون كيفيات الوقائع والأفعال التي يتخيلونها وفقاً لمقتضيات المسرح . فكأن المذاهب الفلسفية مسرحيات تخلط الحقائق بالأوهام ، وكأن الوجود الذي يصفونه وجود متخيل لا وجود حقيقي ، وهذا كله يوقعنا في كثير من الضلالات كضلالات الفلاسفة التجريبيين الذين يجمعون ظواهر الوجود ، ويكدسونها بعضها فوق بعض كما تكدس

النملة موتها ، وضلالات الفلاسفة العقليين الذين يبتعدون عن التجربة ليؤلفوا نظريات شبيهة بخيوط العنكبوت .

وعبادة الأصنام (Idolâtrie) هي عبادة التماثيل والصور لذاتها لا لغيرها لأن المؤمن اذا اعتقد أن هذه التماثيل ليست سوى صور حسية ترمز الى حقيقة دينية متصورة لم يكن وثنياً .

وكثيراً ماتطلق عبادة الأصنام في أيامنا هذه على عبادة الأشخاص البارزين ، أو على تقديس بعض الأشياء المشوقة .

الصواب

في الفرنسية	Justesse
في الانكليزية	Justness
وهو مشتق من اللفظين اللاتينيين	Justus, Justitia

الصواب ضد الخطأ ، وهو الحق والصدق والسداد ، تقول أتى بالصواب أي أصاب . وحكم له بالصواب أي صوّب رأيه . وقد يدل الصواب على اللائق والأولى ، والمرضي ، والثابت .

والفرق بين الصواب والصدق والحق ، ان الصواب هو الأمر الثابت الذي لا يجوز إنكاره ، على حين أن الصدق والحق يدلان على المطابقة بين التصورات العقلية والأشياء الخارجية . فاذا كان ما في العقل مطابقاً لما في الخارج كان صدقاً . وإذا كان ما في الخارج مطابقاً لما في العقل كان حقاً . والصواب والخطأ يستعملان في الفروع والمجتهدات ، والحق والباطل يستعملان في الأصول والمعتقدات .

الصورة

في الفرنسية	Forme, image
في الانكليزية	Form, image
في اللاتينية	Forma, imago

آ — الصورة في اللغة الشكل والصفة والنوع ، ولها في عرف العلماء عدة معان :

١ — الصورة هي الشكل الهندسي (Figure géomètrique) المؤلف من الأبعاد التي تتحدّد بها نهايات الجسم ، كصورة الشمع المفرغ في القالب فهي شكله الهندسي . ومن قبيل ذلك صورة التمثال والأنف والجبل والغيم ، فهي تدل على الأوضاع الملحوظة في هذه الأجسام كالاستدارة ، والاستقامة ، والاعوجاج .. الخ ..

٢ — والصورة هي الصفة التي يكون عليها الشيء كما في قولنا ان الله خلق آدم على صورته .

٣ — والصورة هي النوع ، يقال : هذا الأمر على ثلاث صور أي على ثلاثة أنواع ، يقال : صور الانتاج ، أي أنواع الانتاج .

٤ — وقد تطلق الصورة على ما به يحصل الشيء بالفعل كالهيئة الحاصلة للسرير بسبب اجتماع خشباته ، وهي بهذا المعنى علة ، أي علة صورية ، ويقابلها العلة المادية ، والعلة الفاعلية ، والعلة الغائية .

٥ — أو تطلق على ترتيب الأشكال ووضع بعضها مع بعض ، واختلاف تركيبها ، وتسمى بالصورة المخصوصة .

٦ — أو تطلق على ترتيب المعاني المجردة ، فيقال صورة المسألة ، وصورة السؤال والجواب (راجع كليات أبي البقاء) .

٧ — أو تطلق على ما يجب أن يكون عليه الشيء حتى يكون مطابقاً للشروط القانونية كصورة العقد فهي شكله الكامل . وإذا أبطلت الدعوى في قانون المرافعات لخطأ في إجراءات المحاكمة دون موضوعها سمي إبطالها بالدفع الصوري ، أو الدفع الشكلي .

٨ — أو تطلق أخيراً على ما يرسمه المصور بالقلم أو آلة التصوير ، أو على ارتسام خيال الشيء في المرآة أو في الذهن ، أو على ذكرى الشيء المحسوس الغائب عن الحس ، تقول تصور الشيء أي تخيله واستحضر صورته .

ب — والصورة عند الفلاسفة مضادة للمادة ، وهي ما يتميز به الشيء مطلقاً فاذا كان في الخارج كانت صورته خارجية ، وإذا كان في الذهن كانت صورته ذهنية . غير أن المادة في نظرهم لا تتعرّى عن الصورة الجسمية .

١ — والفلاسفة يفرقون بين الصورة الجسمية (Forme corporelle) والصورة النوعية (Forme spécifique) بقولهم ان الصورة الجسمية جوهر بسيط متصل لا وجود لمحله دونه ، قابل للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم ، أو هي جوهر ممتد في الأبعاد كلها ، مدرك في باديء النظر بالحس ، على حين أن الصورة النوعية جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه (تعريفات الجرجاني) .

٢ — وهم يفرقون أيضاً بين الصورة الجوهرية (Forme substantielle) والصورة العرضية (Forme accidentelle) بقولهم ان الصورة الجوهرية هي ما يتميز به وجود الشيء ، لأن المادة لا تنتقل من حالة عدم التعين إلى حالة التعين إلاّ بالصورة الملابسة لها . فهي إذن جوهر لا في موضوع ، وهي المحددة لماهية الشيء ، والمقومة لوجوده الفعلي . مثال ذلك قولنا ان النفس صورة الجسد ، بمعنى ان الجسد ينقلب بعد الموت ، أي بعد انفصال النفس عنه إلى جثة هامدة ، فحياته ناشئة اذن عن اتحاده بصورة جوهرية نطلق

عليها اسم النفس . أما الصورة العرضية فهي ما يطرأ على الشيء من كيفيات تبدل أوضاعه وأحواله دون تبديل طبيعته .

٣ — ويرى الفلاسفة أن للفكر مادة وصورة ، أما مادته فهي الحدود التي يتألف منها ، وأما صورته فهي العلاقات الموجودة بين هـذه الحدود . مثال ذلك إذا قلنا في قياس من الشكل الأول والضرب الأول : كل زئبق معدن ، وكل معدن صلب ، فكل زئبق صلب ، كانت مادة هـذا القياس مؤلفةً من ثلاثة حدود ، وهي الزئبق ، والمعدن ، والصلب ، وكانت صورته مؤلفةً من العلاقة الموجودة بين هذه الحدود الثلاثة ، وهي علاقة صورية إذا وضعت لزم عن مقدماتها بذاتها لا بالعرض نتيجة ضرورية ، وإذا كان هذا القياس كاذباً فرد ذلك إلى الخطأ الواقع في مادته لا في صورته .

٤ — والقضايا المنطقية صفة صورية وهي انقسامها إلى أربعة أقسام : القضايا الموجبة ، والقضايا السالبة ، والقضايا الكلية ، والقضايا الجزئية .

٥ — والمعادلات الرياضية صفة صورية أيضاً كالمعادلة : $(ب + ح)^{٢} = ب^{٢} + ح^{٢} + ٢ ب ح$ فهي تتضمن علاقة صورية تصدق على جميـــع الأعداد الحقيقية .

٦ — وقد فرق (كانت) في نظرية المعرفة بين المادة والصورة ، فأطلق لفظ المادة على ما في المعرفة من عناصر مستمدة من الإحساس والتجربة ، وأطلق لفظ الصورة على ما في المعرفة من عناصر مستمدة من قوانين العقل ، ذلك لأن قوانين العقل عنده ترتب معطيات الحس ، وتفرغها في قوالب تعين على إدراكها وفهمها . فالزمان صورة الحس الداخلي ، والمكان صورة الحس الخارجي ، والزمان والمكان صورتان قَبْليتان تنظمان المدركات الحسية ، وكذلك مقولات العقل ومعانيه الكلية فهي صور محيطة بالتصورت الجزئية .

٧ — ويطلق لفظ الصورة في فلسفة الأخلاق على ما في القانون الأخلاقي من معنى الأمر (كما في أخلاق الواجب) أو على ما فيه من معنى التقويم (كما في أخلاق الخير والسعادة) . أما مادة القانون الأخلاقي فهي كيفية العقل المأمور به أو الحوادث الموضوعية المعترف بقيمتها الأخلاقيـــة . والأخلاق الصورية المحضة هي الأخلاق المطابقة للشروط التي وضعها (كانت) في نقد العقـــل العملي (Critique de la raison pratique, 1 ère partie chap. I, théorème III) ، قال « اذا كان ينبغي الموجود العاقل أن يتمثل القواعد الأخلاقية على صورة قوانين كلية فمرد ذلك إلى أنها مبادئ مشتملة في صورتها دون مادتها على ما يحدد عمل الإرادة » وقال أيضاً : اعمل بطريقة تستطيع معها أن تجعل قاعدة عملك مبدأ تشريع كلي .

٨ — ويطلق لفظ الصورة في نظرية الگشطالت (Gestalt) على البنية والتركيب والتنظيم ، وهي النظرية المساة بنظرية الصورة (Théorie de la forme) إلاّ أن أصحابها (كوهلر Köhler وويرتايمر Wertheimer وكوفكا Koffka) وسّموها حتى جعلوها نظرية فلسفية عامّة تصدق على الظواهر النفسية ، والظواهر الحيوية ، والظواهر الفيزيائية ، وقوام هـــذه النظرية الاعتقاد ان الظواهر الطبيعية ليست مؤلفةً من أجزاء معزولة وإنما هي مؤلفة من مجموع من الوحدات المستقلة ذات التضامن الداخلي ، وعلى ذلك فإنّ كيفية وجود الجزء تابعة لبنية المجموع وقوانينه . ان معرفتنا بالكل لا يمكن أن تستنبط من معرفتنا بالأجزاء المنفصلة الملحوظة فيه ، لأن الجزء ليس متقدماً على المجموع تقدماً فعلياً ، ولا هو أقدم منه ، ولا هو أقرب منه إلى الإدراك المباشر . دع أن لكل نوع من الظواهر مراتب من الصور متتابعة في نظام مسلسل . ويكفي أن تتوافر بعض الشروط الخارجية حتى تتبدل الصور من تلقاء نفسها وتعمل على تحقيق الصورة الكاملة .

وليس هذا التبدل مشتملاً على معنى غائي ، لأن مجرد اسقاط الجزء من المجموع أو ضمّه إليه يؤدي بالطبع إلى تغير أوضاع الأجزاء الأخرى وتبدل كيفية تركيبها . وإذا وجد هناك مجموعات بصرية مؤلفة من عدة صور مدركة ، وكانت احدى هذه الصور أبسط من غيرها ، وأكثر منها انتظاماً وتناظراً فرضت نفسها على المدرك وتغلبت على جميع الصور الأخرى . وتسمّى هذه الصورة البارزة بالصورة الجيّدة أو الموافقة للادراك .

٩ — ويطلق لفظ الصورة في علم النفس أيضاً على بقاء الإحساس في الشعور بعد زوال المؤثر الخارجي . والصورة التالية (Image consécutive) هي الصورة التي تعقب الاحساس مباشرة . وهي صورة ايجابية تتلو الاحساس من غير أن تبدله . والفرق بين الصورة التالية والصورة الحقيقية أن الأولى تعقب الإحساس مباشرة على حين أن الثانية هي التي تعود إلى مسرح الشعور دون تأثير حسي مباشر (راجع : الشكل والمادة ، والجوهر) .

الصوري

في الفرنسية Formel

في الانكليزية Formal

في اللاتينية Formalis

١ — الصوري هو المنسوب إلى الصورة . ويطلق في فلسفة القرون الوسطى على الفعلي أو الحقيقي ، وضده العقلي أو المتعالي الذي يكون وجود الشيء فيه بالقوة أو على سبيل الكون . ومع أن لفظ الصوري لا يستعمل اليوم بهذا المعنى فان بعض المحدثين لا يزالون يطلقونه على الصريح من الأمور . لأن الصريح هو ما ظهر المراد منه ، يقال صوّر الشيء جعل له صورة ورسمه ونقشه والصورة كل ما يصور ، فمعنى الصوري إذن هو الظاهر ،

والخالص ، والبين كالنظام الصوري المصرح به عن محض الحق ، والاعلان الصوري الذي يطلق على اظهار الأمر بعد ستره .

٢ – والمنطق الصوري (Logique formelle) هو الصناعة النظرية المشتملة على القواعد والقوانين التي تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ . والفرق بينه وبين علم النفس ان هذا العلم يبحث في العمليات الفكرية كما هي كائنة بالفعل على حين أن المنطق الصوري يبحث فيها كما يجب أن تكون ، ومعنى ذلك ان المنطق علم قاعدي (Science normative) يتضمن البحث في قوانين الحدود والتصديقات والحجج والبراهين وأنواعها ، وقد سمي بالصوري لأنه يتضمن البحث في صُوَر هذه القوانين دون موادها .

٣ – والتربية الصورية (Education formelle) هي التربية المبنية على القول ان العقل البشري مؤلف من ملكات مختلفة ، وأنَّ تمرين هذه الملكات تمريناً جيداً يؤدي إلى استخدامها في أنواع أخرى من التمارين . ومعنى ذلك أن الملكات العقلية التي ينميّها علم خاص يمكن أن تنشط نشاطاً عاماً نستطيع معه استخدامها في جميع العلوم الأخرى ، كأن هذه الملكات أسلحة تشحذ بالتسنين حتى تصلح لقطع كل شيء ، أو كأنها عضلات تنمو بالرياضة ، أو ضرع يقوى بالامتراء .

٤ – وقد يطلق لفظ الصوري على التربية المبنية على الدراسات الكلاسيكية كالثقافة الصورية (Formal culture) أوالثقافة العامة (Culture générale).

الصورية

في الفرنسية Formalisme

في الانكليزية Formalism

الصورية مذهب قوامه الاعتقاد ان حقائق العلوم صور مجردة مستندة الى موضوعات وتعريفات مسلَّم بها . فكل مذهب ينكر قيمة العنصر المادي

وأثره في المعرفة فهو مذهب صوري . وكل تعبير رمزي مجرد عن موضوعات الفكر فهو تعبير صوري كما في علم الرياضيات . ومن قبيل ذلك القول في فلسفة الجمال بوجوب طلب الفن لذاته ، والقول في علم الأخلاق بوجوب استقلال القانون الأخلاقي عن كل ما يرغّب النفس فيه ، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لصورته (أي لنية الفاعل) لا لمادته .

الصوفي

في الفرنسية	Mystique
في الانكليزية	Mystic, mystical
في اللاتينية	Mysticus

١ — الصوفي (Le mystique) هو السالك طريق التصوف ، أو العالم بالتصوف ، وأشهر الآراء في اشتقاق هذا اللفظ أنه مأخوذ من فعل تصوّف أي لبس الصوف تقشفاً ، أو من الصفاء . لذلك قيل ان الصوفي هو الذي صفا من الكدر وامتلأ من الفكر ، وانقطع الى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر ، والحرير والوبر .

والفرق بين الصوفي والمتصوف أن الصوفي هو الفاني بنفسه ، والباقي بالله ، والمستخلص من الطبائع ، والمتصل بحقيقة الحقائق ، على حين أن المتصوف هو الذي يجاهد لطلب هذه الدرجة .

٢ — والتصوف (La mystique) هو التخلق بالأخلاق الإلهية . وقيل هو تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على السرمدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسوله في الشريعة (تعريفات

الجرجاني) . وقيل أيضاً هو طريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد ، والتخلي عن الرذائل ، والتحلي بالفضائل لتزكو النفس ، وتنتقل من مقام أدنى الى مقام أعلى ، حتى تبلغ درجة الحلول أو الاتحاد أو الوصول أو الفناء .

٣ — أما مذهب التصوف (Mysticisme) فهو مجموع المبادئ التي يعتقدها الصوفية كما في تصوف الأفلاطونية الجديدة ، والتصوف المسيحي ، والتصوف الهندي والتصوف الإسلامي . فإنّ لكل من هذه المذاهب مبادئ فلسفية توضح الوسائل والغايات ، وتكشف عن الآداب التي ينبغي للصوفية أن يتأدبوا بها في مجتمعاتهم وخلواتهم .

ومعنى ذلك كله أن التصوف علم وعمل . أما العلم فهو ما يمكن تحصيله من مطالعة كتب التصوف مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي ، وابن سينا ، والسهروردي والغزالي ، وابن عربي ، والمأثورات المتفرقة عن الجنيد والحلاّج والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغيرهم . وأما العمل فهو ما لا يمكن تحصيله بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات .

ويسمى التصوف بعلم الباطن لاشتماله على كل ما يتعلق بمحاسبة النفس والرياضة والمجاهدة والذوق والوجد ، خلافاً لعلم الفقه المسمّى بعلم الظاهر ، لاشتماله على كل ما يتعلق بالأحكام العامة والعبادات والمعاملات . وإذا كان الصوفية يتبعون طريقة الرمز والمجاز للتعبير عن الحقائق فإن الفقهاء يتقيدون بظاهر النص في تفهم أحكام الشريعة .

٤ — وقد يطلق التصوف على النازع الصوفية أي على الأحوال الانفعالية والعقلية والخلقية التي يتميز بها الصوفي في رياضته ومجاهدته ، وأعلاها حالة الوجد (Extase) وهو شعور النفس بعد قطع علاقتها بالعالم الخارجي بوصولها إلى الله أو اتحادها به فانّ الاتحاد في نظر الصوفية هو امتزاج الذاتين واختلاطهما حتى يصيرا ذاتاً واحدة . ويسمّى هذا الاتحاد بمقام جمع الجمع وهو

الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله ، وهو المرتبة الأحدية . ومع ذلك فانّ الصوفي الحقيقي في نظر المتأخرين لا يتصف بحالة الوجد وحدها ، بل يتصف بالحياة والحركة والنمو . ومراحل هذا النمو كثيرة : منها التطلع إلى الوجود المطلق ، ومنها الزهد المصحوب بالتخلية والتصفية والتحلية ، ومحاسبة النفس ، وتوجيه الفعل والسلوك توجيهاً جديداً تتحقق فيه الحياة الكاملة . والفرق بين الزهد والتصوف ان الزهد مرحلة من مراحل التصوف تتميز بالإعراض عن اللذات ، وترك حظوظ النفس من كل ما في الدنيا ، على حين أن التصوف هو استغراق القلب بالكلية في الحق المطلق .

٥ — وجملة القول أن الصوفية يعتقدون انهم يستطيعون الوصول بالتأمل والرياضة ومجاهدة النفس إلى الاتحاد بمبدأ الوجود ، ولهم طريقان الأول صاعد ، وهو الاعتقاد أن مبدأ الوجود سامٍ ومتعالٍ ، وأن على الصوفي ان يقطع قلبه عن الدنيا ويهرب من الشواغل والعلائق ويقبل بكنه الهمة على هـذا المبدأ المتعالي حتى يتحد به ، والثاني طريق هابط وهو الاعتقاد أن الحقيقة كامنة في النفس ، وأن على الصوفي أن يعمق النظر في ذاته حتى يكشف فيها عن مبدأ الوجود . وكلا الاتجاهين يهدفان إلى غاية واحدة وهي الاتحاد بالحقيقة الأزلية .

٦ — وقد يطلق التصوف في أيامنا هذه على التجرد من الشواغل والمنافع المادية . فكل فيلسوف يجاوز المعرفة الحسية ويؤلّه العقل ، ويعظم القيم المثالية ، ويصغي إلى نداء الضمير ، ويعتقد أن الله حاضر في قلبه وعقله فهو بمعنىً ما متصوف . ومن قبيل ذلك قولهم : تصوف العلماء المنقطعين إلى الكشف عن الحقيقة ، وتصوف الشعراء المنقطعين إلى تأمل الجمال . (راجع : الحق ، الوجود ، الوجد ، الوجدان ، الوحدة) .

الصيرورة

في الفرنسية	Devenir
في الانكليزية	Becoming
في اللاتينية	In fieri

الصيرورة في اصطلاحنا انتقال الشيء من حالة إلى أخرى أو من زمان الى آخر . وهي مرادفة للحركة والتغير من جهة كونها انتقالاً من حالة الى أخرى ، كالانتقال من القوة الى الفعل أو من العدم الى الوجود ، أو من الوجود الى العدم .

والشيء المتصف بالصيرورة مضاد للشيء الثابت أو للحالات الساكنة . وهو في حالة متوسطة بين العدم والوجود .

واذا كانت الصيرورة سدى الزمان فالديمومة لحمته . وأنت لا تستطيع أن تتصور احداهما دون تصور الأخرى ، لأن الصيرورة اذا خلت من الديمومة لم يكن بين حالاتها المتعاقبة ارتباط ، ولأن الديمومة اذا خلت من الصيرورة لم تؤلف زماناً متصلاً متميزاً بكثرة آونته المتعاقبة .

والفرق بين الصيرورة والمصير والكون أن الصيرورة حركة وانتقال وتغير ، والمصير منتهى الأمر وعاقبته ، والكون لفظ مفرد كلي يدل على عدة معان : منها حدوث صورة نوعية وزوال صورة نوعية أخرى ، ومنها حدوث الشيء دفعة كحدوث النور بعد الظلام ، ومنها حدوث الشيء على التدريج وهو الحركة ، ومنها الوجود بعد العدم ، والعدم بعد الوجود ، ومنها الوجود المطلق العام .

وقد زعم المتكلمون أن الكون والوجود والثبوت والتحقق ألفاظ مترادفة ، وزعم المعتزلة أن الكون والوجود مترادفان ، وكذا الثبوت والتحقق ، إلا أن الثبوت عندهم أعم من الوجود ، والتحقق أعم من الكون . (راجع : الكون ، الوجود) .

جميل صليبا

أدب الفقهاء

- ١٤ -

النظم التعليمي

ومن ألوان أدب الفقهاء ما يسمى بالنظم التعليمي ، وهو هذه المتون العلمية المنظومة التي تزخر بها المكتبة العربية وتكوّن سجلاً حافلاً من الكتب الدراسية التي لبث طلاب العلم في العالم العربي قروناً طويلةً يستعملونها في دراساتهم المتنوعة ، ويقتبسون منها المعارف والفنون جيلاً بعد جيل . ويُرجَّح أن أول من تعاطى هذا اللون من الأدب أبانُ اللاحقي الأديب العباسي المشهور ، فانه كان في خدمة البرامكة كاتباً لهم ومؤدباً لأبنائهم فنظم لهم كتاب كليلة ودمنة في رجز سلس ليسهل عليهم حفظه وهو الذي يقول في أوله :

هذا كتابُ أدبٍ ومحنة　　وهو الذي يدعى كليلة دمنة

فيه احتيالات وفيه رشد　　وهو كتاب وضعته الهند

وقد أجازوه عليه بآلاف الدنانير . ثم نظم لهم رجزاً آخر في أحكام الزكاة والصيام ، ولا شك أن غيره من الأدباء نهج هذا النهج في نظم العلوم ، لا سيما مع العلم بما حصل عليه أبان من جوائز مغرية على ذلك . والمهم أن الفكرة خرجت أولاً من عند الأدباء ثم تبناها العلماء ، والجانب الأدبي فيها هو هذه الصياغة المختصة بالشعر ، ولا ريب في أن التعبير الجميل عن الفكرة ، أيّ فكرة ، هو مما يدخل في مفهوم الأدب بالمعنى العام ، فلهذا عددنا هذا الانتاج من ألوان الأدب .

ولمّا تداول العلماء هذا الفن من القول ، أبدؤوا فيه وأعادوا ، وأكثروا منه الى الحد الذي جاوز العد ، ولم يبق علم لم ينظموا فيه ولا أدب ولا فن ولا ضرب من ضروب المعرفة إلا أخضعوه للوزن والقافية ، إنْ في رجز أو غيره من الأبحر كالبسيط والطويل وغيرها . فنظموا قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبيان ومتن اللغة كذلك ، ونظموا الفقه والأصول والكلام والتصوف والقراءات ومصطلح الحديث ، ونظموا في الطب والكيمياء والفلك والمنطق والفلسفة والجبر ، ونظموا في بعض الصناعات كالخط وتجليد الكتب وبعض الألعاب كالرماية والشطرنج ، ونظموا ما يرجع الى العادات والأخلاق وأدب المجتمع ، وما يتعلق بأمر الآخرة كالبعث والحساب والجزاء ، ونظموا في علم الجدول والسيميا وتعبير الرؤيا وغير ذلك مما لا سبيل الى حصره في هذا الفصل .

وتختلف هذه الأنظام في الطول والقِصَر بحسب الموضوعات التي تتناولها ، فمنها ذات العشرات ، ومنها ذات المئات ، ومنها ذات الألوف من الأبيات . واشتهرت الألفيات منها على الخصوص في بعض العلوم كألفية ابن معطي وألفية ابن مالك ، وألفية السيوطي في النحو والصرف ، وألفية العراقي في السيرة النبوية ، وألفيته في المصطلح الحديثي وألفية السيوطي فيه أيضاً ، وألفية ابن الوردي في تعبير الرؤيا ، وألفية ابن الشحنة في الفرائض ، وألفية البرماوي في الأصول ، وألفية القباقبي في علوم البيان ، وألفية السيوطي فيه كذلك ، وألفية داود الأنطاكي في الطب وألفية أبي الوفاء المصري في المنطق ، وألفيته في العروض ، وألفية ابن شعبان في الخط وغير هذه من الألفيات المختلفة الموضوع .

وأما المنظومات التي جاوزت أبياتها الألف فمنها منظومة ابن زكرى التلمساني في علم الكلام المسماة بمحصل المقاصد ، ألف وخمسمائة بيت ونيف ، تحفة

الحكام في علم الفقه لابن عاصم ، مثلها ، منظومة الكواكبي في الأصول ألف وثمانمائة ، الشقرونية في الطب لعبد القادر ابن شقرون المكناسي مثلها ، الكافية في النحو لابن مالك ، نحو ثلاثة آلاف ، الأقنوم في مبادي العلوم لعبد الرحمن الفاسي وهو شبه موسوعة تكلم فيه على نحو مائة وخمسين علماً في أكثر من خمسة آلاف بيت .

ومن الغايات في هذا الباب منظومة بدر الدين الدمشقي المسماة بفصل الخطاب في وصل الأحباب ، تكلم فيها على العلاقة الزوجية وما يتعلق بها من آداب وأحكام في نحو أربعمائة واثني عشر ألف بيت ، منها عشرة آلاف بيت من نظمه ، والباقي مما استشهد به من نظم غيره (١) .

وعلى كل حال فالمعتبر من هذه الأنظام هو الكيفية لا الكمية ، وبإيرادنا بعض النماذج منها ومن غيرها نعرف أن عملية النظم هذه لم تكن سهلة ، وإنما تقتضي معاناة لكي يكون المنظوم سائغاً سهلاً يحقق المراد منه ، الذي هو تقريبُ حفظه وعلوقه بالذهن تيسيراً على الطلبة ، وتمكيناً لهم من تذكر قواعد العلم والاستشهاد بالبيت الذي يتضمن القاعدة المطلوبة في سهولة تامة ، لأن النظم يقيّدها وهو لا يعزُب عن الذهن إلا قليلاً ، كما قال ميمون الفخّار في نظم الآجرومية :

والقصد من ذا الرجز المقرّب   تعليم أولاد صغار المكتب
عسى الذي منهم به تعلما   يقول يا رب ارحم المعلما
لمّا رأيتُهم شقُوا وتعبــوا   في حفظ مَنثُور ولم يقتربُوا
أيقنتُ أن النظم فيما أدري   أشهى وأولى من نفيس النثر

ويعجبني قول الشَرف العمريطي في نظمها أيضاً :

وبعد فاعلم أنه لما اقتصــر   جل الورى على الكلام المختصر

(١) توجد نسخة من هذه المنظومة عند الأستاذ حماد بو عياد بفاس .

وكان مطلوباً أشدَّ الطلب	من الورى حفظُ اللسان العربي
كي يفهموا معاني القرآن	والسُّنة الدقيقــــة المعاني
والنحو أولى أولاً أن يُعلما	إذ الكلام دونه لن يفهمــــا
وكان خير كتبه الكثيرة	كرّاسةٌ لطيفة شهــــيرة
في عُربها وعُجمها والرُّوم	ألَّفهـــا الحبر ابنُ آجروم
وانتفعت أجلة بعلمهـــا	معْ ما تراه من صغير حجمهـا
نظمتها نظماً بديعاً مقتـــدي	بالأصـــل في تقريبها للمبتدي

فانظر هذه السلامة وهذا الوضوح ، وقارن بين ما قاله أبان اللاحقي ، وهو أديب كبير ، في طالعة نظمه لكليلة ودمنة ، وطالعة العمريطي هذه ، يَبِنْ لك فضل هذا العالِم مع تأخره على ذلك الأديب مع تقدمه .

ومن أحلى المطالع قول ناظم كتاب المغني لابن هشام ، وهو يبين أيضاً أن سبب النظم هو التسهيل :

هذا بحمد الله نظم سهـــل	مورده للطالبين نهـــل
ضمَّنتُه قواعـــد الإعراب	ومُلَح النحـاة والأعراب
معتمداً على كتـــاب المغني	لابن هشام شيخ هذا الفن
ترتيبه قصـــدتُ واختياره	اختزت واختصرتُ في العبارة
ولم أزد على بناء القاعـــدة	إلا الذي به تتم الفائـــدة
وأسأل الله الذي ألهمـــني	لوضع هذا النظم أن يرشدني
وأن يديم به الانتفاعـــا	حتى يكون صيّباً نفّـــاعا
ثم الصلاة مالها انصـــرام	على رسول الله والســـلام
ما أُعربت آياتـه وفُسّرت	وأُظهرت أسمـــاؤه وأُضمرت

وإذا كان أبان وغيره ينظم للجائزة فان أصحابنا الفقهاء ينظمون رغبة في الأجر والثواب من الكريم الوهاب لأنهم يعتبرون عملهم هذا من العبادة كما قال صاحب منظومة الظاء والضاد :

أفضل ما فاه به الإنسان ... وخير ما جرى به اللسان

حمد الإله والصلاة بعده ... على النبي فهو أسنى عنده

وكل ما يُنظم للافادة ... فذاك معدود من العبادة

وقد نظمت جملة من الكلم ... في الظاء والضاد جميعاً تلتئم

فاسمع بُنَيّ من أبيك سردها ... واعرف هديت حصرها وعدها

وابدأ إذا قرأتها بالظاء ... وثنِّ بالضاد على استواء

وهذه المطالع زيادة على بيانها للمراد من النظم فانها تعطينا مثالاً من العمل الأدبي أو التعبير الفني الذي يؤدي به الناظم معاني الكتاب وقواعد العلم الذي ينظمه ، وهي كما رأينا من حيث الصناعة غاية في الانسجام والبلاغة ، بحيث تجعل الطالب يتلقى حقائق العلوم وهو متأثر بسحر البيان ومأخوذ بسر الفصاحة ، واسمع هذا المطلع الجميل ، وتمتع بحلاوة لفظه ورقة معناه على طوله وهو من نظم الشقرونية في الطب :

الحمد لله الحكيم المرشد ... الملهم الخير لكل مهتد

المُنزل الغيثَ من السماء ... الرازق الأقوات للنّماء

سبحانه قد سخر الرياحا ... مفيدةً عباده صلاحا

وأرسل اللواقح العظيمة ... بين يديْ رحمته العميمة

ما طلعت من غور السحائب ... مبشراتٌ جمةُ العجائب

تحمل غيثاً سابغ الأيادي ... لكل حاضر وكل باد

سيقَتْ لسقي بلد مَوات ... أحْسِن بغيث شامل مُوات

فاخضرت الأرض بحسن ملبس ... رافلة في حلل من سندس

رائقة تجلى بحلى الزهر ... تسدي السرور وقت مد البصر

كم أصبحت عرائس الغصون ... تزهو بدُر بَرْدِها المصون

وافتر ثغر نَوْرها المعطار ... مكللاً بلؤلؤ الأمطار

أبدت سنابل تحيط بالثمر ... في نسق تحكي عقوداً من درر
نُوارها مختلف الأشكال ... يسمو على قلائد اللآلي
من ذي أكاليل وذي أبواق ... وذي مداهن وذي أحداق
غنى عليها النحلُ بالمَزامر ... عن أمر من بقهر كل آمر
وكل نبت من حشيش أو شجر ... خلقه لحكمة ربُّ البشر
ما خلق الرحمن شيئاً عبثا ... من كل بَرّيّ وما قد حُرِثا
يرزقنا في كل فصل نعمَا ... سبحانه عم البلاد كرما
نحمده حمد مقر بالنعم ... معترف يبعثه بعد العدم
معتقد أن ليس يُذهب الضرر ... إلا الذي أجرى القضاء والقدر
ثم الصلاة والسلام السرمدي ... على الرسول المُنْتَقَى محمد
وآله والصحب والأتباع ... ما انهلّ وابل على البقاع
وبعد فالقصد بهذي الجمل ... ذكر مزاج قُوتنا المستعمل
طبع الحبوب ومركّب الغذا ... وما له نفع وما له أذى
وكل قوت في اصطلاح المغرب ... لدى الحواضر وعند العرب
كذلك الخضر والمقاتي ... وما يرى منهن في الأوقات
وبَقْلها البريّ والبستاني ... وغالب المأكول من لُحمان
ومن فواكه على العموم ... من طيّب يرضي ومن مذموم
وما يخصُّ اللحم من توابل ... وما يُجيد طعمَه للآكل
وربما نذكر من مياه ... أمراً كثيرُ الناس عنه ساه
نتبعه أدوية نفيسة ... تذهب أمراضاً بدت خسيسة
كما نجيد القول في اللباس ... وفي المساكن ومأوى الناس
ونبسط التعبير في المقال ... كيما يرى مطابق السؤال
وأسأل الوهاب نيل الأرب ... فهو المرجي لبلوغ الطلب

وكان هذا النظم جواباً من العلامة ابن شقرون لسؤال من تلميذه الشيخ صالح ابن المعطي ، وهو ما أشار إليه بمطابقة السؤال . والمنظومة كلها من هذا النمط ، ولولا أني أطلت بجلب مطلعها كله لأعطيت منها أمثلة في موضوعهـــا لأنها مزدوجة الفائدة ، فهي تعليم الأدب وتَدْبير الصحة .

وللعلماء في مطالع أنظامهم نوادر من ألطفها ما يحكى أن ابن مالك لما شرع في نظم ألفيته قال في مدحها :

وأستعين الله في ألفيـــة مقاصد النحو بهـــا محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعد منجز
وتقتضي رضا بغير سخط فائقة ألفيـــة ابن معط
فائقة منهـــا بألف بيت .

ولما نظم هذا الشطر توقّف ولم يُفتَح عليه في تمامه ، ونام ليلته ؛ قالوا فرأى ابن معطي في نومه وهو لا يعرفه ، فأنشده أبياته هذه ، فأجاز شطره الأخير بقوله :

والحيُّ قدْ يغلِبُ ألْفَ ميْت

فاستيقظ ابن مالك من نومه واستحيى مما قال في حق ابن معطي وحذف ذلك الشطر وقال عقب الأبيات الثلاثة التي قبله :

وهْو بسبق حائز تفضيـلا مستوجب ثنـائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة

وتكررت الحكاية مع السيوطي ، فانه لما نظم ألْفِيتّه في النحو قال في مطلعها :

النحو خير ما به المرء عُني إذ ليس علم عنه حقاً يغتني
وهـــذه ألفية فيه حوت أصوله ونفعَ طلاب نوت
فائقة ألفيـــة ابن مالك لكونهـــا واضحة المسالك
وجمعِها من الأصول ما خلت عنه وضبط مُرسلات أهملت

لكن لم يحكِ لنا عن السيوطي أنه رأى ابن مالك في نومه وعاتبه كما عاتب ابن معطى ابن مالك .

وقد دخلت هذه المنظومات في حياة طلبة العلم وتمكنت من نفوسهم ، فبقطع النظر عن استعمالهم لها في دراساتهم المتنوعة واحتجاجهم بأبياتها في مناقشاتهم العلمية ، هناك بعض أبيات ومقاطع منها تجري على ألسنتهم ، وربما على ألسنة العموم مجرى الأمثال لدلالتها الشاملة وحسن صياغتها ، كالشطر الثاني من قول ابن عاشر في نظمه المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين :

فصلٌ وطاعةُ الجوارح الجميع قولاً وفعلاً هو الإسلام الرفيع

فهذا الشطر نجد حتى العامة يرددونه في المناسبات المقتضية له كالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وممارسة الشعائر الدينية فيقولون « قولاً وفعلاً هو الإسلامُ الرفيع » .

ومن اللطائف ما يجري على الألسنة من قوله في باب الحج : (وأسْرِعَنْ في بَطْنِ وادي النار) وذلك في أماكن المرور الخطيرة وملتقى الطرق التي تكثر فيها السيارات ونحوها .

ومن هذا الباب ما يجري على الألسنة من قول ابن مالك في الألفية : (وحذف ما يعلم جائز ...) وذلك عند عـــدم التصريح بما يكره وما لا لزوم لذكره .

ومنه قوله (كمالنا إلا اتباع أحمدا) في باب الابتداء تمثيلاً لوجوب تقديم الخبر عند الحصر . على حسب ما أشار له الشطر الأول من البيت وهو قوله (وخبرَ المحصور قَدِّم أبدا) فيجري تمثيله ذلك على لسان أهل العلم وجمهور المؤمنين عند اظهار التعلق بالتمسك بالسنة واتباع الرسول ﷺ .

ولا شك أن الكلام حين يرقى إلى هذه الدرجة من دورانه على الألسنة وجريانه مجرى الأمثال العامة ، يكون آخذاً بحظه من حسن الأداء وقوة

التعبير ، وذلك ما يؤكد القول بأن هذه الأنظام وان اشتملت على أغراض علمية صرفة أو تعليمية بعبارة أخرى ، فانها تكتسي حلة من البيان والوضوح تجعلها باعتبار آخر من الآثار الأدبية المرموقة .

وإلى هنا نكون قد تكلمنا على مُطلَق نظم العلوم ، أو جانب من النظم التعليمي هو المتعارف عند إطلاق هذا الاسم .

ولكنّ هناك نوعاً غريباً منه يجب أن نفرده بكلمة ، لأنه أدل على قدرة أصحابنا الفقهاء ، وبراعتهم الأدبية ، وهو النظم الذي يستعملون فيه رموزاً واصطلاحات خاصة فيُنيمّون في المنظومة الصغيرة والأبيات القليلة بقواعد علم كامل من العلوم ويُحصّلون مسائله ويضبطون أصوله بحيث لو لم يتأتوا لها ذلك التأتي اللطيف ويسلكوا لها ذلك المسلك العجيب لما وسعتهم الكتب المطولة والموضوعات المبسوطة لاستيفاء تلك الأغراض وتحصيل تلك المقاصد .

ومن أمثلته قصيدة حرز الأماني في القراءات السبع ، المعروفة بالشاطبية ، نظم أبي القاسم الشاطبي رحمه الله ، فانها على اختصارها في الجملة (إذ تبلغ ١٣٠٠ بيت) جمعت زبدة القراءات واحتوت من ذلك على علم غزير . ولذلك نجد الكثير من أهل العلم يحفظونها وقد خضع لها كبار الشعراء والبلغاء ، وحذاق أهل الرواية والقراء . قال ابن خلكان في ترجمته للشاطبي : « انه أبدع في حرز الأماني ، وهي عُمْدة قراء هذا الزمان في تعلمهم ، فقلّ من يشتغل بالقراءات إلا ويقدّم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة على رموز واشارات لطيفة ، وما أظنه سُبِق إلى أسلوبها » .

واصطلاحه هو الذي أشار إليه بقوله :

جعلتُ (أبا جادٍ) على كل قارئٍ	دليلاً على المنظوم أولَ أوّلا
ومن بعد ذكر الحرف أُسمّي رجاله	متى تنقضي آتيك بالواو فيُصلا
سوى أحرفٍ لا ريبة في اتصالها	وبالقَيْد أستغني عن القيد إن جلا

ومن هذا الباب قصيدة (غرامي صحيح) لابن فَرْح الاشبيلي التي جمع فيها ألقاب الحديث بأسلوب عجيب ومنهج غريب ، إذ سلك بها مسلك أهل الغزل في ظاهر اللفظ وحمل كل لقب من ألقاب الحديث على معنى يليق بهذا الغرض على طريق التورية ، حتى لو ألقيت على عربي فصيح خالي الذهن من اصطلاحات أهل الحديث لما فهم منها إلا معاني غزلية رقيقة تنشرح لها النفوس وتغتبط بها القلوب ، ومطلعها :

غرامي (صحيح) والرجا فيك (مُعضَل) وحزني ودمعي مطلق (ومسلسل)

ومن هذا الباب أيضاً قصيدة أبي الجيش محمد ضياء الدين الخزرجي الأندلسي أو السبتي المعروفة بالخزرجية في علم العروض التي سارت بذكرها الركبان ، والتي جمعت مهمات هذا العلم في تسعين بيتاً ونيف بفضل ذلك الأسلوب البديع الذي ألمعنا إليه وهو الرمز والإشارة ، فبعد أن يقول في مطلعها :

وللشعر ميزانٌ يسمَّى عَروضَه بها النقص والرجحان يدريها الفتى

فيأتي به نظماً واضحاً لا غبار عليه حتى في الخَرْم الذي بأوله ، يقول رامزاً لأجزاء التفعيل العشرة مشيراً إليها بحروف أبجد :

أصابتْ بِسَهْمَيْها جوارحَنا فدا رِكوني بهمّة كوقعيْهمَا سَوا

فما زائراتي فيهــــا حجبتها ولا بدُ طَولاهُنَّ يعتادُها الوفا

ومنه كذلك على طريقة التورية كما في نظم غرامي صحيح ، منظومة أبي القاسم المُهلّبي البلنسي لمثلث قطرب في اللغة وهو الذي يقول في طالعته :

يا مولَعاً بالغضب والهجر والتجنب في جده واللعب حبُّك قد برَّح بي

ان دموعي َغمر وليس عندي ِغمر يا أيها ذا الغُمر أقصر عن التعتُّب

إلى آخرها . وقد شرحه أحد المغاربة نظما على هذا المنوال هو المثبت في مجموع المتون الكبير المطبوع طبع حجر بفاس .

ويظهر أن هذا النوع من النظم قد انفرد به الأندلسيون أو كانوا هم الذين نهجوا سبيله لغيرهم فاننا لا نعلم لمشرقي نظماً على منواله إلا ما كان للعلامة الصبان الذي عارض قصيدة غرامي صحيح بأخرى فائية على مثالها في التورية يقول في أولها :

(صِلُوا)(صحيحَ) غرام صبرُه ضعفا وبدلوا (قَطْع) من في حُبِّكُم شُغِفاً

كما عارض قصيدة الخزرجية بقصيدة لامية استعمل فيها نفس رموز أبي الجيش وهي التي يقول فيها :

وبعدُ فعِلمُ الشعر فَنٌّ مؤكد فبادر إليه واستمع فيه ما حلا

وبعدُ ؛ فهذه كلمة قصيرة في هذا اللون من ألوان أدب الفقهاء ، وهو النظم التعليمي ، لم نزد بها إلا التنبيه على وجه آخر من وجوه الإحسان ، الذي لهم في ميدان الأدب ، والمشاركة التي لا تزري بهم أبداً في الانتاج الأدبي سواء كان خاصاً بهم أو عاماً ، وإلا فان بحث النظم التعليمي لا تفي به كلمة قصيرة أو طويلة ، وما أحراه أن يُفرد بالبحث ويكون أطروحة لبعض الدارسين تلم بأطرافه وتشير على سبيل التفصيل لأبعاده التي ما نظن أن كتاباً واحداً أو رسالة جامعية مفردة تحيط بها .

عبد الله كنون

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الأول)

— ١ —

كتاب فوات الوفيات تأليف صلاح الدين محمد بن شاكر الدمشقي الكتبي من كتب التراجم المشهورة المطبوعة المتداولة. وقد طبع بمطبعة بولاق مرتين الأولى في سنة ١٢٨٣ هـ والثانية في سنة ١٢٩٩ ومع ذلك أصبحت نسخه نادرة وكثر طالبوه. فتجرد له الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد وأعاد طبعه بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٥١ وقد ضبط كثيراً من أشعاره وكلمه وعلّق على تراجمه بفوائد تاريخية وأدبيّة ، وإذ كان الشيخ غير مختصّ بالتاريخ جاءت الطبعة دون ما كان يأمله أهل التحقيق والتدقيق وطلابها ، ووقعت فيه أوهام كثيرة كان على الشيخ الفاضل ان يستعين على تنقية الكتاب منها بذوي الاختصاص ، لأن مُراد النشر في هذه الأيام هو إبراز الكتاب في أبهى صوره على وجه السلامة والصحة ، وقد قرأت هذه الطبعة وعثرت بتلك الأوهام فعثرت عليها وإني مُوردها في هذه المجلة الكريمة لينتفع بها الأدباء فأقول :

١ — ورد في الجزء الأول ، ص ٩ « من هذه الطبعة في ترجمة إبراهيم ابن سليمان بن حمزة الدمشقي المعروف بابن النجار الكاتب المجود « ٥٩٠—٦٥١ » قوله — على ما تدعي طبعة الشيخ — :

لحا الله الحشيش وآكليها لقد خبثت كما طاب السُّلاف
كما تُصبي كذا تُضني وتشقي كما يشقى وغايتها الخراف
وأصغر دائها والداء جمّ بغاء أو جنون أو نُشاف

وإبراهيم بن سليمان هذا تولى نقابة الأشراف بالاسكندرية فكيف يأكل الحشيش ويتركه إلى السُّلاف ، وجاء بعد ذلك منسوباً إليه :

جُبلت على حُبي لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله معلنا

ولم يخل قلبي من هواها بقدر ما أقول : وقلبي خالياً فتمكنا

ثم ذكر من شعر غيره فيه على زعمه « ص ١٠ » :

لا تلم البغي[1] في فعله إن زاغ تضليلاً عن الحقّ

لو هذّب الناموس أخلاقه ما كان منسوباً إلى البـــقّ

والصحيح أن هذه الأشعار لغيره وأن هذا الهجو هو « أحمد بن البققيّ » الوارد ذكره في الصفحة ١٣٤ الذي تصحف اسمه على الشيخ إلى « الثقفي » فازداد الثقفيون زيادة غير مباركة ، فقد ورد في الصفحة ١٣٤ المذكورة « أحمد بن الثقفي ، كان جيد الذهن ذكياً ولكن أدّاه إلى الاستخفاف بالقرآن والشرع فضرب القاضي المالكي عنقه بين القصرين في ربيع الأول من سنة إحدى وسبعمائة وطيف برأسه وقد تكهّل ... » .

وقال تقي الدين المقريزي في حوادث سنة ٧٠١ : « ومات فتح الدين أحمد ابن محمد ... البَققي مقتولاً بسيف الشرع في رابع عشري[2] ربيع الأول ورُفع رأسه على رمح وسُحب بدنه إلى باب زويلة فصُلب هناك» ثم ذكر أمثلة من زندقته وقال : ومن شعره :

---

(١) هكذا ورد في طبعة الشيخ وإنما هو « البقيّ » أخذاً من نسبه « البققي » بدلالة قوله « ما كان منسوباً إلى البقّ » .

(٢) من مصطلحات مؤرخي القرون المتأخرة « يضيفون العقد الى ما بعده كجمع المذكر السالم ويحذفون النون » .

جُبلت على حبِّي لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله معلنا (١)

ولم يخلُ قلبي من هواها بقدر ما أقول : وقلبي خالياً فتمكنا (٢)

وكيف لم يتنبه الشيخ إلى اختلاط شعر ابن النجار المذكور بشعر ابن البقفي الزنديق ؟ وقد ورد في شعر ابن دانيال يهجوه « لا تلم البقّي في فعله » وأين عصر ابن دانيال من عصر ابن النجار الدمشقي المتوفى سنة ٦٥١ وكيف يقول ابن دانيال فيه بعد ذلك :

يظن فتى البق في أنه سيخلص من قبضته المالكي

نعم سوف يُسلمه المالكي قريبـــاً ولكن إلى مالك

وما معنى قول المؤرخ قبل هذين البيتين : « وقوله فيه لما سُجن ليقتل » ؟ وما صلة نقيب الأشراف إبراهيم بن سليمان الدمشقي بالقتل وهو نقيب ؟ قال الذهبي في المشتبه (ص٥٢) : « البقي مجد الدين أبو سالم مظفر بن عبد القاهر ابن الثقفي الحموي ... ونسيبه فتح الدين أحمد بن البقي الذي قتل على الزندقة بعد السبعمائة » . فتأمل .

٢ — وجاء في الصفحة ٢٣ قول تقي الدين اسماعيل بن ابراهيم محدث الشام :

قَصَصٌ بنمل عذاره مكتوبة يا حُسن ما خَطَّ الجمالُ وأجمله!

وقد فتح الصاد وهو اسم مجموع قِصة بكسر القاف . ولذلك قال مكتوبة ولو أراد القَصص المفتوح القاف المفرد لأبقاه مذكراً وقال « مكتوب » وفيه كسر للوزن ، فالصواب كسر القاف .

---

(١) نقلت هذين البيتين آنفاً منسوبين الى إبراهيم بن سليمان بن حمزة ، وهما وكثير غيرهما للبقفي .

(٢) السلوك « ج ١ ص ٩٢٥ ، ٩٢٦ » . ويراجع الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة « ١ : ٨٠٣ » .

٣ ــ وجاء في الصفحة ٢٤ « إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه أبو علي الحمدوني ، وجده حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد ... » . والصواب « الحمدويّي » بالياء لا الحمدوني ، لجده حمدويه لا حمدون ، قال عز الدين ابن الأثير في اللباب : « الحمدويّ (بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وبعد الواو ياء مثناة من تحتها) هذه النسبة إلى حمدويه وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه ... » .

٤ ــ وجاء في الصفحة قول ابن عز القضاة :

ولا غرو أن تحكي الأزاهرُ حسنها ... أليس جناها النحل قدماً من الزهر ؟

ولا ضرورة لحـــذف الياء من جمع الجمع « الأزاهير » ليكون أزاهر ، فالأفاعيل جمع الأفعال من حيث الوزن ، ولا تحذف الياء إلا للضرورة ، فالأصل « ولا غرو أن تحكي الأزاهير حسنها » بالياء ، جاء في نهج البلاغة « فهو كالأزاهير المبثوثة [1] » . والبحر يستوفي تفعيلته مع « الأزاهير » وتعوزه الياء عند حذفها .

٥ ــ وورد في الصفحة ٢٨ « وكان الأمير سيف الدين يشكر ــ رحمه الله تعالى ــ يكتب إليه : يقبل الأرض ... » . فليت شعري مَن هذا الأمير يشكر ؟ لقد تصحف اسمه على الشيخ لأنه غير مختص بالتاريخ والصحيح « تنكز » بالتاء والنون والكاف والزاي ، وقد ترجم له ابن شاكر في كتابه كما جاء في الصفحة ١٧٤ قال : « تنكز الأمـــير الكبير المعظم المهيب سيف الدين نائب السلطنة بالشام ... » وهو أمير مشهور السيرة محفوظ الاسم .

٦ ــ وجاء في الصفحة ٢٩ في حاشيتها « والحاوي في فقه الشافعية تأليف قاضي القضاة الماوردي » . ولم يبلغ الماوردي ــ رحمه الله ــ منصب « قاضي القضاة » بل بلغ رتبة « أقضى القضاة » وهي بينهما ، قال ياقوت الرومي

---

(١) شرح نهج البلاغة « ج ١ ص ٨٦ » طبعة البابي القديمة » .

الحموي : « علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، يكنى أبا الحسن ويلقب أقضى القضاة ، لقّب به سنة ٤٢٩ . وجرى من الفقهاء كأبي الطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية ...[1] » .

٧ — وجاء في الصفحة ٣٩ في ترجمة أشعب بن جبير المدني الطامع « فقلت لهم هذا أبان بن عثمان قد طبخ هريسة وهو يغرفها فاذهبوا إليه » . والصحيح « وهو يفرّقها » أراد بذلك صرف الصبيان عن نفسه وليس في الغرف ما يفيد التفريق فقد يجوز أنه يغرفها لعياله ولكنه لم يكن طباخاً .

٨ — وجاء في الترجمة نفسها « ولما مات ابن عائشة المغني جعل أشعب يبكي ويقول : قلت لكم زوّجوا ابن عائشة من السماسية حتى يخرج بينهما مزامير داود فلم تفعلوا ولكن لا يُغني حذر من قدر » . فلم يسأل الشيخ الفاضل محمد محيي الدين الذي « حقق الكتاب وضبطه وعلق حواشيه » مَن هذه السماسية ؟ إنها رُبَيْحة الشمَّاسيَّة بالشين فالسّين[2] .

٩ — وجاء في الصفحة ٤٢ « وكانت أعلامه سوداء » وجاء في الحاشية قول الشيخ : « كانت أعلام العباسيين سوداء » . وهذا خطأ والصواب « سُوْداً » بالجمع والنصب ، ومنشأ الغلط زيادة النساخ همزة بعد الألف قال تعالى « ومن الجبال جُدَد بيض وحُمر مُختلف ألوانُها وغرابيب سود » وقال عنترة :

فيها اثنتان وأربعونَ حلوبةً سُوداً كخافية الغراب الأسحم

١٠ — وفيها « فقال الهيثم إن عاش هذا ليكوننّ أشعر أهل الأندلس » . والصواب « لئن عاش . . . » ليصح وجه التوكيد بالنون ، ولا يصح مع الشرط

---

(١) معجم الأدباء « ٥ : ٤٠٧ طبعة مرغوليوث الأولى » .

(٢) الأغاني « ٨ : ١٨٦ طبعة دار الكتب المصرية » .

المجرّد في مثل هذه العبارة الواجبة التأكيد بل في مثل العبارة غير الواجبة التأكيد كقوله تعالى « فإمّا ترَيِنَّ من البشر أحـــداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً (١) » .

١١ — وورد في الصفحة ٥٥ في ترجمة إبراهيم بن معضاد « فلما وصلوا إليه قال له : قبر جادك دبير » والصواب « جاءَك » لأنهم خرجوا به إلى مكان دفنـــه ، فهو قد جاء المكانَ لا جادَه ، وما دخل الجُود في أمر مريض أراد أن يرى قبر نفسه ؟

١٢ — وجاء في الصفحة (٦٠) من هذا الجزء ترجمة « أحمـــد بن الدويتي ـ رحمه الله ـ » وهو تصحيف غريب لأحمد بن الدَّبَيْثي الأديب الشاعر المتصرف المشهور السيرة عنـــد المختصين بالتاريخ (٢) منسوب إلى « دَبَيْثا » من قرى العراق الشرقية وهو ابن عم جمال الدين محمد بن سعيد ابن الدَّبيثي المؤرخ المحدث المقرئ . وابن خلكان وشيخه زكي الدين المنذري المصري وغيرهما يضمّون الدال في المنسوبين إلى هذه القرية ، فأين بقي دُويت الشيخ ؟

١٣ — وجاء في الصفحة ٦٢ في الترجمة الشديدة الإيجاز للامام الناصر لدين الله العباسي « كتب إليه خادم اسمه يُمْن ورقة تتضمن عتباً فكتب إليه الناصر : يمن يمن يمن ثمن ثمن ثمن ثمن » . ولم يضبط الشيخ كلمة من هذه الكلمات ليكون القارئ المستفيد على بينة منها ، والصواب « بِمَنْ يَمُنُّ يُمْنُ ، ثَمَنُ يُمْنٍ ثُمْنُ ثُمْنٍ » .

(١) سورة مريم « الآية ٢٦ » .

(٢) ترجمة ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب وابن كثير في البداية والنهاية وابن العماد في الشذرات .

١٤ — وجاء في الصفحة ٦٤ في ترجمة الإمام ابن تيمية العلامة الحنبلي المشهور « نشأ في تصوف تام وعفاف وتأله » . والصواب « في تصوُّن » من الصون وهو التنزيه ولم تكن لابن تيمية صلة بالتصوف ولا كان التصوف من شأنه كما هو معلوم باجماع المؤرخين .

١٥ — وجاء فيها في ترجمته « وكذا كان يورد الدروس بتؤدة وصوت جهُوري فصيح » بضم الهاء وهو خطأ والصواب فتح الجيم وتسكين الهاء وفتح الواو ، جاء في مختار الصحاح « وجهـــر بالقول : رفع به صوته وبابه قطع وجَهْوَرَ أيضاً ورجُل جَهْوَري الصوت وجَهير الصوت » .

١٦ — وجاء في الصفحة ٦٦ في ترجمة الإمام المذكور « وقد أثنى عليه خلق من شيوخه ومن كبار علماء عصره كالشيخ شمس الدين بن أبي عمر ... والقاضي الجوني وابن دقيق العيد » . ولم يسائل الشيخ نفسه مَن هذا القاضي الجوني ؟ وهل نسبُه مكتوب على الصحّة ، والصواب « الخُوَيّي » نسبة إلى « خُوَيّ » قال الذهبي في المشتبه : « والخُوَيّي قاضي خُوَيّ أبو نُعيم ... وشمس الدين أحمد بن الخليل الخُوَيّي قاضي دمشق ، وأبو قاضيها شهاب الدين محمد » . والثاني هو المُراد في ترجمة الإمام ابن تيمية والمختصون بالتاريخ يعرفونه ، ولولا ذلك ما استوقف النظر تصحيف النسب من تسميته .

١٧ — وجاء في الصفحة ٧٣ في الترجمة المذكورة آنفاً « وذلك كقيامه في نوبة غازان سنة تسع وتسعين وستمائة وقيامه بأعباء الأمر بنفسه واجتماعه هو بنائبه حللوشاه ونبولاي » فمن هذان الرجلان ؟ سكت عنهما الشيخ ، والذي يعرف تاريخ المغول من المختصين بالتاريخ يعلم أنهما « ختلوشاه » ومنهم من يسميه « ختلغ شاه » ومنهم خطلوشاه ، والثاني « بولاي » وهو الأمير المغولي القائد المشهور الذي أغار على بلاد الشام على عهد غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان .

١٨ — وورد في الصفحة ٨٦ « ابن نقادة من شعره لغز في يوسف ... » والمعروف في أمثال هذا الاسم « نفاذة » بضم النون ، كما في المشتبه للذهبي ـ ص ٥٣٣ ـ قال : « نُفاذة جماعة » .

١٩ — وجاء في الصفحة ٩٠ وكتب ابن العزازي إلى ابن النقيب ملغزاً في شبّابة وأحسن ... فأجابه ناصر الدين بن النقيب :

أتت عجمية أعربت عنها لسلمان يكون لها انتساب

فعلّق الشيخ في الحاشية ما هذا نصّه « سلمان : أراد به سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ وغرضه أن يقول : إنها صنع من بلاد فارس » . وليس ذلك بمتّسقٍ ، وإنما أراد أنها مصنوعة من نوع من القصب يعرف قديماً وحديثاً بالفارسيّ وهو ينبت في عدة بُلدان ، فهي كسلمان الفارسي في كونها من القصب الفارسي ولم يكن سلمان شبّابياً .

٢٠ — وورد في الصفحة ٩٢ قول العزازي :

أحبْ بما تطلع الجنوب منها وما تبـــدي الكلل

فما الذي تطلع الجنوب وما الجنوب بالنسبة إلى الغزل ؟ والصواب « الجيوب » وهو جيب القميص فمنه تبدو بعض محاسن البدن كما هو معروف مألوف .

٢١ — وورد في الصفحة ١٠٤ قول شمس الدين بن خلكان :

أيّ ليل على المحب أطالَهْ سائق الظَّعْن يوم زَمَّ جمالَه ؟

وفتح الشيخ الظاء من الظعن ولا محل له لأن مصدر « ظعَن يَظعن » والصواب « الظُعْن » بضم الظاء وتسكين العين لأنه جمع ظعينة ، جاء في مختار الصحاح والظعينة : الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن والجمع ظُعْنٌ وظُعُنٌ وظعائن وأظعان » والأول هو الموافق لوزن البيت .

٢٢ — وجاء في الصفحة ١٠٩ قطعة من ترجمة فجعلها الشيخ ترجمةً مستقلة مع أن الإنسان المذكور فيها ليس هذا موضع ترجمته وهو « صدر الدين ابن وكيل بيت المال » وإنما موضعها في الجزء الثاني في الصفحة « ٥٠٠ » منه « محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون البارع صدر الدين ابن المرحل ويعرف في الشام بابن الوكيل المصري الأصل العثماني الشافعي » . فاسم المترجم « أحمد » كاسم من قبله واسم من بعده ، وقد سقط من هذه النسخة لأنها كما يظهر لي كانت المسودة .

٢٣ — وورد في الصفحة ١١٣ في ترجمة أحمد بن محمد بن سالم أبي المواهب ابن صَصرى نجم الدين قاضي القضاة « بلغه أن الشيخ صدر الدين ابن الوكيل نظم فيه بليقة يهجوه » . فقال الشيخ محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه الحواشي : « كذا ولم أعثر على ما يراد بالبليقة وأهل ظاهر السياق يدل على أنه أراد ورقة أو نحوها مما يكتب فيه أو ينقش عليه » . قلت : فالبليقةُ ضرب من النظم العاميّ أفلم تقرأ هذا الجزء لترى في ترجمة شرف ابن أسد المصري (ص ٣٨١) قول المؤلف نقلاً عن الصفدي « رأيته غير مرة بالقاهرة وأنشدني له شعراً كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك » . فالبلاليق جمع البليقة ، وفي الجزء الثاني ترجمة صدر الدين ابن الوكيل (ص ٥٠٢) قول المؤلف : « وشعره مليح إلى الغاية وكان ينظم الشعر والموشح والدوبيت والمخمّس والزجل والبليق » .

٢٤ — وجاءت في الصفحة ١١٩ ترجمة « أحمد بن محمد بن علي سيف الدين السامَرّيّ » نسبة إلى سامَرا وضبطها الشيخ « السّامُرّي » بضمّ الميم وقال في الحاشية : « سامرا ويقال سامراء ويقال سُر من رأى ويقال سُر من راء مدينة على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً وقد ينسبون إليها السرمريّ » . قلت : كل هذا القول صحيح والغلط في ضمّ الميم والصواب فتحها ، قال

عز الدين ابن الأثير في اللباب : « السامَرّي بفتح السين وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مشددة ، هذه النسبة إلى مدينة سر من رأى بالعراق فوق بغداد وهي مشهورة فخفّفها الناس وقالوا سامرا ... » والمهم من هذا الكلام فتح الميم (١) .

٢٥ — وقال في ترجمة هـذا السامَرّيّ أيضاً : « ومن شعره في ابن المقدسي لما حُبس في العرزاوية ... » ولم يسائل الشيخ نفسه عن هـذه العرزاوية ، بل تركها كأنها صحيحة معروفة مشتهرة ، قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٥٩٣ « وعذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ودفنت بالعذراوية » . وقال المحققون في الحاشية : العذراوية هي المدرسة التي بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بدمشق . عن عقد الجمان (٢) » . في الصواب « لما حُبس في العَذراوية » . وهذا هو الذي حفظناه .

٣٦ — وجاء في الصفحة ١٢٤ قول الشاعر :

وجه في مجالس الحـكم تجدي   من رآه بشراً وكيساً وفضلا

والصواب « يجدي » ولعله من غلط الطبع فليست غايتنا من النقد التشدد بل وجه الحق والتحقيق وغلط الطبع كثير .

٣٧ — وجاء في الصفحة ١٤٣ « وقد عارض هذا الموشح السّراج النجار الحلبي » وقال المحقق في الحاشية ما معناه أنه ورد في نسخة « ث المحار » . ولم يزد على ذلك مع أن الواجب عليه الترجيح إذا تبين له وجهه ، والصواب « المحّار » . وجاء في الصفحة ٢١٩ من الجزء الثاني « عمر بن مسعود الأديب سراج الدين المجان » فتصحف عليه إلى « المجان » وجاء في الصفحة ٥٠٦

(١) كرر المحقق الضابط للكتاب هذا الوهم في الصفحة ٢٠٢ بضمه ميم سامرا .

(٢) النجوم الزاهرة « ٦ : ١٤٣ » .

« وقال موشح (كذا) يعارض به السراج المختار » . فتصحف هذه المرّة إلى المختار فهذه ثلاثة تصحيفات .

قال ابن حجر العسقلاني : « عمر بن مسعود بن عمر الأديب سراج الدين المحار الحلبي نزيل حماة الكناني الشاعر المشهور تعاني الآداب ونظم الموشحات ففاق فيها وله شعر حسن (١) ... » .

والمحّار المشتغل بالمحائر جمع المحارة بالحاء وهي من المراكب شبه العمّارية وتعرف بالعراق باسم الكجاوة الفارسيّ .

٢٨ — وورد في ترجمة الملك الأمجد بهرام شاه قوله « ص ١٥٢ » :

ما هواك وإن تقادم عهده فشفيع وجهك ما يزال يُجِدّه

والشطر الأول مكسور وكان ينبغي للشيخ الفاضل أن يراجع ديوان بهرام شاه والصواب « باقٍ هواك وإن تقادم عهده » .

٢٩ — وجاء في الصفحة ١٦٠ « وأنوش الدمشقي » وفي ص ١٦١ « كسفدي الشمسي » والصواب فيها « آقوش الدمشقي وكشتغدي الشمسي » . وفي ص ١٦١ « وبكتون الجوكندار » والصواب « وبكتوت » بالتاء .

٣٠ — وجاء في الصفحة ١٦٦ « ذكر أولاده - رح - : الملك السعيد ناصر الدين بركة وأمه بنت حسام الدين بن كرخان الخوارزمي » . وفيه تصحيف والصواب « بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي » قال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٦٣٨ : « فاشتد القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزمية فانكسروا عندما قتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وانهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة ، وقتل بركة خان مملوك من الحلبيين وتشتت أمر الخوارزمية (٢) » .

٣١ — وورد في الصفحة ١٧٦ « وكان الناس يُجفلون قدامه إلى بلاد تورين السلطانية » وتورين تصحيف توريز وهو الاسم الثاني لهذه المدينة المشهورة وقد اشتهر في عصر المغول وقل استعمال تبريز .

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة « ٣ : ١٩٣ » .
(٢) النجوم الزاهرة « ٦ : ٣٢٥ » .

٣٢ — وجاء في الصفحة ١٨٠ « بستان السفلاطوني بالمنجية » بالفـــاء والصواب « السقلاطوني بالقاف [١] وقد اشتهر كثير من الأعيان بهذه النسبة .

٣٣ — وورد في الصفحة ١٨٤ في ترجمة توبة بن علي بن مهاجر التكريتي « وقال له : يا مولانا الصاحب أشتهي منك شفاعة إلى شيخ الخانقاه السميصانية حتى ينزلن فيها » . وما هذه السميصانية ؟ والصواب « السميساطية » ويجوز الصميساطية ، قال السمعاني في « السميساطي » من الأنساب « السميساطي هذه النسبة إلى سميساط وهي بلد بالشام والمشهور بهذه النسبة أبو القاسم علي ابن محمد بن يحيى السلمي السميساطيّ من أهل دمشق وظن أنَّ الخانقاه التي في دهليز جامع دمشق من بنائه والأوقاف التي لهـا هو وقفَها على الصّوفية و ...[٢] من أهل القرآن ... » ولعل العامة حرفوها إلى السميصاتية بالتاء لا بالنون كما وردت في تحقيق الشيخ وضبطه .

٣٤ — وورد في الصفحة ١٨٦ « قال سعد الدين بن خيمونة : لما قدم المعظم طال لسان كل من كان خاملاً في حياة أبيه ، ووجدوه مختلّ العقل سيّيء التدبير ، رفع خبر فخر الدين شيخ الشيوخ ... » ليْت شعري من سعد الدين بن خيمونة هذا ؟ وهل فخر الدين هو شيخ الشيوخ ؟ ذهب الأمر على الشيخ فذاك « سعد الدين ابن حَمُّويَه » وهذا « فخر الدين ابن شيخ الشيوخ » قال سبط ابن الجوزي في أخبار سنة ٦٥١ :

« وفيها ورد الخبر بوفاة سعد الدين محمد بن المؤيد ابن حمُّويه ابن عم صدر الدين شيخ الشيوخ بخراسان ، وكان هذا زاهداً عابداً ورعاً لطيفاً

---

(١) منسوب الى الثياب السقلاطونية وهي من أفخر الثياب ، من الحرير المطعم بالذهب وكان سقلاطون بغداد من أشهر السقلاطون كما جاء في مستدرك المعجمات العربية لدوزي المستشرق الهولاندي « ١ : ٦٦٣ » .

(٢) كلمة غير واضحة .

يتكلم في الحقيقة وله مجاهدات ورياضات وقدم وحج وسكن الشام، فأقام بقاسيون مدة في زاوية يتعبد ومعه جماعة من أصحابه ...»[١] ، وقال في حوادث سنة ٦١٤ «وفيها قدم شيخ الشيوخ تاج الدين ابن حمويه إلى بغداد رسولاً من العادل وقدم بعده ولده فخر الدين رسولاً من الكامل[٢]...» .

٣٥ — وورد في الصفحة ١٩٢ قول الحطيئة :

أُغربالاً إذا استُودعتِ سراً وكانوناً على المتحدثينـــا ؟!

بضم الغين والصواب كسرُها ، ولم نجد الضمّ في رواية ولا كتاب ، ولا من الأوزان المألوفة في العربية .

٣٦ — وجاء في الصفحة ١٩٦ قول أبي الجعد :

وما بنـا الناس لو أنا نزيدكم فاصبر فؤادك أو مُت هكذا ألما

والناس تصحيف «البأس» فالصواب «وما بنـا البأس لو أنا نزيدكم» ولا موضع للناس هنا .

٣٧ - وجاء في الصفحة ٢٠٤ «وقال الشريف محمـــد بن أسعد الحراني المعروف بالنحوي : كان الوزير ...» .

فمن هذا الشريف الحراني ؟ تصحف على الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشيه فهو «الجَوّاني» نسبة إلى «الجَوّانية» قال ياقوت : «الجوانية» بالفتح وتشديد ثانيه وكسر النون وياء مشدّدة : موضع أو قرية قرب المدينة إليها ينسب بنو الجواني العلويون منهم أسعد بن علي يعرف بالنحوي كان بمصر ، وابنه محمد بن أسعد ذكرتهما في أخبار

(١) مرآة الزمان «مختصر الجزء الثامن ص ٧٩٠ من طبعة حيدر آباد الدكن بالهند»
(٢) المرجع المذكور «ص ٥٨١ ، ٥٨٢» ورد اسمه في الكتـــاب المذكور وغيره مرات .

الأدباء[١] » . فهذا محمد بن أسعد الجَوّاني وذكرُهُ مستفيض في التواريخ وكتب التراجم وهو مشهور عند المختصين بالتاريخ .

٣٨ ــ وورد في الصفحة ٢٠٦ قول جعفر ابن ورقاء الشيباني :

ولما عبثن بأوتارهنّ ... قُبيل التبلج أيقظنني

جَسَسْنَ البهوم وأتبعنها ... بنقر المثاني فهيجنني

فما هذه البهوم يا ليت شعري ؟ تصحفت على الشيخ فهي « البُموم » جمع البمّ من أوتار العود الأربعة وهي البمّ والزير والمثنى والمثلث ، جاء في مختار الصحاح « البمّ : الوتر الغليظ من أوتارِ المزهر » .

٣٩ ــ وجاء في الصفحة ٢١١ في ترجمة جنكيز خان « وفوّض الأمر الى أركناي أحدهم » . فعلق عليه الشيخ ما هذا نصه « كذا ولعله أوعطاي أحد أولاد جنكز خان » . قلت : أوعطاي تلفُّظ آخر لهذا الاسم التتاري ولكن الأول مصحّف من « أوكتاي » فيجب التنبيه على ذلك ، قال ابن العبري في ذكر أبناء جنكيز خان : « والثالث أوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله وإصابة رأيه »[٢] .

٤٠ ــ وقال فيها أيضاً : « وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرحين » . والحقيقة أنه لا تمرحين ولا تسرحين بل هو « تموجين » بالواو والجيم ، قال ابن العبري : وكان رجل مؤيد من غير هذه القبيلة يقال له تموجين ملازماً لخدمة أونك خان » « كلمني الله وقال إن الأرض بأسرها أعطيتها لتموجين وولده وسمّيته جنكز خان »[٣] .

---

(١) معجم البلدان في « الجوانية » .

(٢) تاريخ مختصر الدول « ص ٣٩٥ » وورد هكذا عدة مرات .

(٣) المرجع المذكور « ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ » .

٤١ — وجاء فيها « وولي بعده موركونا وهو القان الذي هولاكو بعض مقدميه » . وقد تصحف على الشيخ أيضاً فهو « مونككا » قال ابن العبري في ذكر أبناء سرقوتني بيكي : « وكان لها من الأولاد أربعة بنين مونككا ، قوبلاي ، هولاكو ، أريغ بوكا » ثم قال : « وفيها اجتمع أولاد الملوك وأمراء المغول فوصل من حدود قراقورم مونككا بن تولي خان »[1] .

٤٢ — وجاء في الصفحة ٢١٢ في ترجمة جنكيز خان أيضاً « فقال لهم جنكيز خان : إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعة واتباع النسق الذي أضع لكم شرعه رددت خوارزم شاه عنكم » . فما هذا النسق ؟ الظاهر أن عطف النسق خطر ببال الشيخ فظن هذا ذاك . الصحيح « اليسق » بالياء وهو قانون جنكيز خان باجماع المؤرخين على كون أوله ياءاً لا نوناً ، وقد تكرر هذا الخطأ في الضبط بالصفحة المذكورة نفسها في هذه العبارة « وقرّر لهم أن كل مَن لم يُمض حكم النّسق » والعبارة الأخرى « فقال لم تعملُوا بالنسق » والصواب « اليسق » .

٤٣ — وورد في الصفحة ٢١٥ قول جوبان بن مسعود أمين الدين الدنيسري :

فما لاحظتــه إلا يضرّج خدّه خجلاً

والصواب : فما لاحظتُــه إلا تضرَّج خدّه خجلاً

٤٤ — وجاء في الصفحة نفسها :

نقش زهر البان إذ نابــه واهتز عند الصبح عجباً وفاح

وفيه تصحيف ظاهر والصحيح « نَفّشَ زهر البان أذنابه » ففيه تنفيش وأذناب جمع الذنَب لا نقش ولا رقش .

٤٥ — وورد في الصفحة ٢١٦ قول الشاعر « اربح وخذ نسيئة » والصحيح « بنسيئة » فبعده « واشرب وكل وامطُل ودافعْ » فهو من مجزوء الكامل ، أما « اربح وخُذ نسيئة » فهو من مجزوء الرجز .

---

(١) المرجع المذكور « ص ٤٣٤ ، ٤٥٦ » وقد ورد مرات أخرى .

٤٦ — وجاء في الصفحة ٢٢٣ قول عرقلة الدمشقي .

بروق الفوادي أم بروق المباسم   أشاقك وهناً أم هديل الحمائم ؟

والصحيح « أشاقتك » لأن جمع التكسير قد تقدم على الفعل فلا يجوز التذكير ولعله من غلط الطبع .

٤٧ — وورد في الصفحة ٢٢٦ قوله :

ولا زال ظل النيرين فانه   طويل وعيش المرء فيه قصير

وإنما هو « ظل النيربين » فتصحف على الشيخ الفاضل ، قال ياقوت الحموي : « نيرب بالفتح ثم السكون وفتح الراء وباء موحدة ... قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط بساتين ، أنزه موضع رأيته ، يقال فيه مُصلى الخضر عليه السلام ... وقد ذكرها أبو المطاع وجيه الدولة بن حمدان في شعر له وسماها (النيربين) بلفظ التثنية » وأورد ثلاثة أبيات موضع الشاهد منهنّ هو :

فما ذكرتها النفس إلا استخفني   إلى برد ماء النيربين حنين »

قال مصطفى جواد : وذكرها في شعره الشريف محيي الدين يوسف بن زيلاق الموصلي قال :

لبست جنان النيربين محاسناً   وقفت عليها كل طَرف يرمق

٤٨ — وجاء في حاشية الصفحة ٢٣٥ قول الشيخ في بعض تعليقاته « زائدتان على الوزن ولا يحتاجها المعنى » . وتعديته « يحتاج » بنفسه لا يحتاج إليها الفصيح فالفصيح في تعديته « لا يحتاج إليهما الوزن » مُعدّى بحرف الجر « إلى » . وسبيل الأول سبيل الشعر لا النثر الفصيح .

٤٩ — وورد في الصفحة ٢٤١ قول الحسن بن أبي حَصينة :

قل لبني الدنيا ألا هكذا   فليفعـــل الناس بالناس

والشطر الثاني مكسور وهو من السريع ، والصواب « فليفعل الناس مع الناس » أو « فليفعلنّ الناس بالناس » .

٥٠ — وورد في الصفحة ٢٤٤ « ولما مات ابن الحباب شمت به ابن المهذب » . والصواب هو ابن الجبّاب بالجيم هكذا حفظناه وهو مصري ، قال الذهبي في المشتبه - ص ١٣٨ - : « وبموحدة [الجَبّاب] أبو البركات عبد القوي ابن الجبّاب المصري وأقاربه ، كان جدهم عبد الله يعرف بالجبّاب لجلوسه في سوق الجباب » . وكرَّر الشيخ هذا الخطأ في ترجمة عبد العزيز بن الحسين ابن الجبّاب [1] « ص ٥٧٧ » .

٥١ — وجاء في الصفحة ٢٤٥ قول الحسن المذكور آنفاً :

وما طرباً صغنا القريض وإنما جلا النور مرآة القرائح مرآها

وفي الشطر الثاني تصحيف والصواب « جلا نور مرآة القرائح مرآها » يعني أن مرآها أضاء القرائح .

٥٢ — وجاءت في الصفحة ٢٥٣ ترجمة أبي الجوائز الحسن بن علي الكاتب وفيها « وذكره الخطيب في تاريخه وقال : عُلِّقت عنه أخبار وحكايات وأناشيد » . هكذا ببناء « علقت » للمجهول ، ولم يكلّف محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه نفسه الرجوع إلى تاريخ الخطيب البغدادي وهو مطبوع متداول ميسور ليرى أن ضبطه للفعل خطأ فالذي علّق عن أبي الجوائز هو الخطيب نفسه ، قال : « سكن بغداد دهراً طويلاً وعلّقْتُ عنه أخباراً وحكايات وأناشيد ، رواها لي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ولم يكن ثقة [2] ... » فالفعل « علّقتُ » مسند الى الخطيب المؤلف مبني للمعلوم .

٥٣ — وجاء في الصفحة ٢٦١ في ترجمة الحسن بن محمد الصاغاني « وحضرت دفنه في الحريم الظاهري » . ولم يكن ببغداد موضع اسمه « الحريم الظاهري »

---

(١) أورده بصورة « ابن الحُبّاب » وذكر أن جميع التسمية واردة على الصواب وذلك في الحاشية .

(٢) تاريخ بغداد « ٧ : ٣٩٣ » .

وإنما هو الحريم الطاهري نسبة إلى القائد المشهور طاهر بن الحسين الخزاعي بالولاء ، قال ياقوت الحموي : « الحريم الطاهري بأعلى مدينة السلام بغداد في الجانب الغربي منسوب الى طاهر بن الحسين بن مُصعب بن زريق وبه كانت منازلهم وكان مَن لجأ اليه أمِنَ ، فلذلك سمي الحريم وكان أول من جعلها حريماً عبد الله بن طاهر بن حسين وكان عظيماً في دولة بني العباس[1] ... » .

٥٤ — ووردت في الصفحة « ٢٦٦ » ترجمة الأديب « الحسن بن محمد ابن الطراح قوام الدين » فعلّق على اسمه ما هذا نصه « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب مع طويل البحث » . قلنا : هو في كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني ففيه « الحسن بن محمد بن جعفر ابن عبد الكريم بن أبي سعد قوام الدين ابن الطراح الشيباني الصاحب[2] ... » واستوفى ترجمته وذكر شعره ، ولو أحصيتُ المراجع التاريخية التي فاتت الشيخ المحقق لهذا الكتاب لكانت عشرات .

٥٥ — وجاء في ترجمة قوام الدين ابن الطراح هذا في الصفحة نفسها « وكتب إليَّ أخي أبو محمد المظفر يعاتبني على امتناعي عنه وهو الذي ربّاني وكفلني بعد الوالد فقال :

لو كنت يا ابن أخي حفظت إخائي   ما طبت نفساً ساعة بجفائي

فإن كان أخاه في النثر وهو الصحيح تاريخاً فكيف يكون في الشعر ابن أخيه ؟ ! فالصواب « لو كنت يا ابن أبي حفظت إخائي » . وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل .

٥٦ — وجاء فيها في الترجمة أيضاً « ثم سافر الى الشام ثم كرَّ منها راجعاً إلى العراق مع غارات وكنت سألته ... » فما غارات هذه ؟ الصحيح

(١) معجم البلدان في « الحريم » .
(٢) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٤ ، ٣٥ » .

« مع غازان » وهو السلطان محمود غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان . وهو الذي أسلم وأعلن إسلامه وأسلم معه ألوف مؤلفة من المغول والتتار ، وهذا التصحيح الذي ذكرته واجب أدبياً وتاريخياً ، والمرجع التاريخي فيه الدرر الكامنة قال ابن حجر : « ولما طرق غازان الشام رجع [ابن الطراح] معه الى العراق وكانت وفاته بها »(١) .

٥٧ — وورد في الصفحة ٢٧٠ في ترجمة المستضيء بأمر الله العباسي « ورد المظالم الكبيرة » وهذا يعني أنه لم يرد المظالم الصغيرة مع أنها مظالم محرم عليه عدم ردّها وإن كانت صغيرة ، والصواب « الكثيرة » لا الكبيرة ، وهذه عادة المؤرخين في المبالغة .

٥٨ — وقال في الترجمة المذكورة ـ ص ٢٧١ ـ « وحاجبه مجد الدين أبو الفضل ابن الصاحب وأبو سعد محمد بن الفرج » . وفي الثاني تصحيف يعرفه المختصون بالتاريخ وصوابه « المعوّج » من التعويج ، جاء في أخبار سنة ٥٧٣ من مرآة الزمان في هجوم الباطنية على الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء « وتفرق من كان معه إلا حاجب الباب ابن المعوج » وجاء في آخر الخبر « وأما ابن المعوّج حاجب الباب فاسمه محمد بن أبي نصر وكان شاباً عاقلاً جميلاً ذا مروءة مات في اليوم الذي جرح فيه ولم يبلغ ثلاثين سنة ، وله نوادر مع اللصوص : أتي بلصّ قد سرق فقال : افرشوه . يعني مدّوه على الأرض ... » وذكر نادرة أخرى قال فيها لبعض المنحرفين « لا بد أن أقوّمك . فقال : كنت قوّمتَ جَدّك ـ يعني المعوّج ـ فضحك واستتابه وأطلقه (٢) » . فالنادرة أثبتت أنّ جده المعوّج لأن المعوّج هو الذي يحتاج إلى التقويم .

(١) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٥ » .
(٢) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ » .

٥٩ — وجاء في الصفحة ٢٧٤ « وقال بعضهم : يا هذا كيف سرَّك غمَّه وغمَّنا ؟ » وفي العبارة نقصان والصواب « كيف سرَّك ما غمَّه وغمَّنا ؟ » سقط الاسم الموصول فنقص من الجملة المحصول .

٦٠ — ووردت في الصفحة ٢٧٥ ترجمة « أبي علي الحسين بن عبد الله ابن رواحة الأنصاري الفقيه الشافعي الشاعر » فعلّق على اسمه في الحاشية قوله : « بعد طويل البحث لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب » ، قلت : فهل فتشت معجم الأدباء ؟ قال ياقوت في ترجمته (الحسين بن عبد الله ابن رواحة بن إبراهيم بن عبـــد الله بن رواحة أبو علي الأنصاري الحموي الأديب الفقيه الشاعر المجيد[1] ...) .

وترجم له ابن واصل الحموي في حوادث سنة ٥٨٥ قال : (ولما عاد السلطان الى مضاربه أمر بمواراة الشهداء وكان من جملتهم الشيخ جمال الدين أبو علي الحسين بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الحسين بن رواحة بن ابراهيم ابن عبد الله بن رواحة بن عبيد بن محمد بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي الحموي وهذه النسبة نقلتها من نسخة بخط الشيخ جمال الدين هذا وكان رجلاً عالماً فاضلاً شاعراً زاهداً ...[2]) .

وترجم له العماد الاصفهاني قال : (ابن رواحة الحموي الفقيه أبو علي الحسين ابن عبد الله بن رواحة ذكر أنه من ولد عبد الله بن رواحة صاحب النبي (صلى الله عليه وسلم) ... لقيته كهلاً ، لكل فضيلة أهلاً ، وهو مقيم بحماة للاحتساب وإقراء فقه الشافعي والآداب ...) . وذكر محقق الخريدة[3] الأستاذ الدكتور شكري فيصل أن له ترجمة في الوافي بالوفيات للصفدي وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر وفي سير النبلاء للذهبي ، وفي معجم الأدباء .

(١) معجم الأدباء « ٣ : ٤٧ » طبعة مرغوليوث .
(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب « ٢ : ٣٠٠ — ٣٠٢ » .
(٣) خريدة القصر وجريدة العصر « قسم الشام ج ١ ص ٤٨١ — ٤٩٦ » .

قلت : وترجم له زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري المؤرخ المحدث في وفيات سنة ٥٨٥ قال : (وفي شعبان توفي الأديب البارع أبو علي الحسين ابن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي الشافعي »[١] . وذكر المعروفيّ المحقق أن له ترجمة في العقد المذهب لابن الملقن ، قلت : وله ترجمة في تاريخ الذهبي الكبير فقد ذكره في وفيات سنة ٥٨٥ قال : (الحسين بن عبد الله بن رواحة أبو علي الأنصاري الحموي الفقيه الشافعي الشاعر ابن خطيب حماة[٢] ...) فهذه تسعة مراجع لترجمة ابن رواحة الأنصاري هذا غير الفوات .

٦١ — وورد في الصفحة ٢٩٧ في ترجمة خالد بن يوسف النابلسي ثم الدمشقي الحافظ المفيد (وسمع ببغداد من ابن الأخضر وابن مينا) . وليس في محدثي بغداد في عصره ولا في غيره من اسمه (ابن مينا) وإنّما هو (ابن مَنينا) قال الذهبي في المشتبه ـ ص ٤٨٣ ـ (وبالفتح والتثقيل أبو المثنّا عن أبي أمامة ... ويتصحف بعبد العزيز بن معالي بن مَنينا صاحب قاضي المرستان . وأخوه عبد الواحد عن أبي البدر الكرخي) ، وقال الزكي المنذري في وفيات سنة ٦١٢ : (وفي ليلة الثامن والعشرين من ذي الحجة [توفي] الشيخ الصالح أبو محمد عبد العزيز بن معالي بن غنيمة بن الحسن البغدادي الأشناني المعروف بابن مَنينا ببغداد ودفن من الغد بمقبرة جامع المنصور ... ومَنينا بفتح الميم وكسر النون وسكون الياء آخر الحروف وبعدها نون مفتوحة[٣]) .

٦٢ — وجاء في الصفحة ٣٠٢ في ترجمة الملك الأشرف الهمام خليل بن قلاوون الصالحي (فلما ارتفع النهار إذا بطُلب كثير قد أقبله يقدُمُه زين الدين

---

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروفي البغـــدادي « الترجمة ٨٠ ص ٨١ » .

(٢) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ ، الورقة ٢١ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ١ ص ٩١،٩٢» .

كتبغا) . ولم يضبط الشيخ كلمة (طلب) بل ضبط (يقدمه) والطُلْب لا يوصف بكلمة (كثير) وحدها وإنما يوصف بكثير العدد أو بكبير ، فالأصل إذن (وإذا بطُلْب كبير) . جاء في مرآة الزمان (في مائة طلب كل طلب خمسمائة فارس[١]) . وذكر المستشرق الكبير دوزي (الطلب) بضم الطاء وتسكين اللام وجمعه على الأطلاب وأنه بحسب قول المقريزي : كلمة كردية تعني أميراً معقوداً له لواء ويقود سرية من الفرسان وأن الكلمة شاعت في الشام ومصر في عصر صلاح الدين وما بعده .

٦٣ — وجاء في الصفحة [٢] ... مدح القاضي شهاب الدين محمود الحلبي للملك الأشرف لما افتتح عكاء وقد وردت هذه القصيدة في الكتاب الذي طبعته باسم الحوادث الجامعة (ص ٤٧٠) وبينهما اختلاف يسير كان ينبغي للمعلق عليه أن يشير إليه ، ففي فوات الوفيات (كانت تخيلنا آمالنا فترى) وفي كتاب الحوادث (كانت تخيلها آمالنا فترى) وهذا أصح . وفي الفوات (أما الحروب فكم قد أنشأتْ فتناً) وفي الحوادث (أمُّ الحروب فكم قد أنشأت فتنا) وهو الصواب ، كما يقال : الخمر أم الخبائث . وفي الفوات (عارٌ وراحتهم ضرب من الضرب) وفي الحوادث (ضرب من الوصب) وهـــو الواضح المقبول وسقط من نصّ الفوات بيت هو :

تــاموها فلم تخلُ الرقاب بها من فتك منتقم أو كف منتهب

وفي الفوات :

مرفوعة نصبُوا أضغانهم فغدا للكسر والحطم منهم كل منتصب

وما دخل الأضغان في الكسر والحطم ؟ وفي الحوادث (أضعافهـــا) يعني المجانيق ، وسقط بيت آخر هو :

---

(١) مختصر الجزء الثامن « ص ٦٩٥ طبعة حيدر أباد الدكن » .

(٢) لم يرد في أصل المقال رقم الصفحة . (المجلة)

وحالت النار في أرجائها وعلت فأطفأت مابصدر الدين من كُرَب

وفي الفوات :

وخلفت بالدم الأسوار فانقمعت طيباً ولولا دماء الخبث لم تطب

وهو مصحّف والصواب :

وخلّقت بالدم الأسوار فانفغمت طيباً ولولا دماء الخبث لم تطب

فالتخليق من الخلوق لنوع الطيب المشهور والانفغام للطيب أيضاً وهذه رواية مؤلف الحوادث .

وفي الفوات :

الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت لك السعادة ملك الشرق والغرب

وفي الحوادث :

الله أعطاك ملك البَرّ فابتدأت بك السعادة ملك البحر فارتقب

وفي الفوات :

(بكل فتح مبين المنح مرتقب) وفي الحوادث (مبين النجح) وهو أصح وأوضح وأملح من ذلك .

٦٤ ــ وجاء فيها ــ ص ٣٠٦ ــ :

وغاص زُرق القنا في زُرق أعينهم كأنها شَطَن تهوي إلى قُلُب

في الحاشية : (الشطن : الحبال) مع أنه ضبط الشطن بالتحريك أي الفتح فكيف يفسر المفرد بالجمع فالصواب (شُطُن) بضمتين ، وقد قاسه الشاعر اضطراراً على سُقُف وأُسد لتقارب وزنيها .

٦٥ ــ اسمان للمكان من ملوك الفرس .

وفي الصفحة ٣٠٨ من تعليقه على قصيدة شهاب الدين الحلبي ونصها (كيقباذ وكيخسرو اسمان للمكان من ملوك الفرس) . الصواب : للمكين .

---

(١) الصواب : للمكين .

٦٦ — وجاء في الصفحة ٣١٨ في التعليق على ترجمة (راجح الحلي) الشاعر المشهور قول الشيخ : (ولراجح ترجمة قصيرة في شذرات الذهب ٥ : ١٢٣ سماه فيها شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلي . (وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ ذكر فيها ما ذكره صاحب الشذرات وزاد) . وهذا القول الأخير يشعر القارئ غير الحافظ لسني الوفيات أن ابن تغري بردي عاش بعد ابن العماد صاحب الشذرات لأنه ذكر في كتابه ما ذكره صاحب الشذرات ، وهذا غير صحيح فابن تغري بردي توفي سنة (٨٧٤ ه) . وابن العماد توفي سنة ١٠٨٩ ه . والشيخ محمد محيي الدين أعاد طبع وفيات الأعيان وسها عن أن ابن خلكان ترجم راجحاً الحلي استطراداً في ترجمة الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين بعد إيراده قصيدته البائية في رثاء الملك الظاهر المقدم ذكره . قال : (وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة بدمشق ودفن بظاهرها بجوار مسجد التاريخ شرقي مصلى العيد ومولده في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بالحلة وهو من مشاهير شعراء عصره)[1] .

وليس مُرادي أن أستدرك مراجع ترجمة راجح الحلي على الشيخ فلم يكن هذا وأمثاله من وكدي في هذا النقد . ولكني ذكرت ما كان الشيخ قميناً بعلمه لا غير لأنه أعاد طبع وفيات الأعيان كما ذكرتُ آنفاً .

(يتبع) مصطفى جواد

---

(١) الوفيات « ج ١ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ طبعة إيران وهي أصح الطبعات الى الآن » .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

– ٤ –

١٠١) العَنْفَقَة

ف ، ز . . . . .

في الأصل ، – ما بين الشفة السفلى والذقن لخفة شعرها . ج عَنافق .

في (ق) ، – العَنْفَق ، خفة الشيء ومنه المنفقة لشُعَيْرات بين الشفة السفلى والذقن .

★ ★ ★

١٠٢) الصَّبِيّ

ف ، ز . . . . .

في الأصل ، – مستدق اللحي .

في (ق) ، – . . . وناظر العين ، وعظم أسفل من شحمة الأذنين ، . . . وطرف اللحيين . ج أصْبِية وأصْبٍ .

★ ★ ★

١٠٣) الذَّقَن

ف Menton (m.)

ز Chin

في الأصل . — مجتمع اللحيين .

في (ق) . — مجتمع اللحيين من أسفلهما ويكسر . مذكر . ج أذقان .

في (ل) . — الجزء البارز من الوجه ، تحت الفم .

أضفت :

آ) ذَقَني (ذو علاقة بالذَّقَن)

ف Genien (qui a rapport au menton)

ز Pertaning to the chin ; genial ; genian

ب) رباط ذقني ، عِصابة ذقنية (= بُخْنُق)

ف Mentonnier

ز Relating to the chin

★ ★ ★

١٠٤) الشَّجْرة

ف Fassette du menton

ز . . . . . .

في الأصل . — ملتقى الصَّبِيَّيْن (= النقرة في ذقن الصبي) ثم الحلق .

في (ق) . — الشجر محركةً ما بين اللحيين . والشجرة بسكون الجيم النقطة في ذقن الغلام .

في متن اللغة . — كما في القاموس .

قلت : ومثلها (النونة) انظر (الرقم ١١٦) .

★ ★ ★

١٠٥) الحَلْق

ف Gorge (f.)

ز Throath

في الأصل . — لم يُذكر له شرح .

في (ق) . — الحلق ، الثوم ، والحُلْقوم .

في معجم متن اللغة . — مساغ الطعام والشراب في المريء . ج حلوق وأحلاق وحُلُق .

في (ل) . — هو القسم الأمامي من العنق .

أضفت :

١ — حَلْقي

ف ، ز Guttural

٢ — حروف حلقية

[أ ح خ ع غ هـ]

ف Lettres gutturales

ز Guttural letters or consonants

★ ★ ★

١٠٦) الجِران

ف ، ز . . . .

في الأصل . — ما أقبل على الصدر .

في (ق) . — جِران البعير مقدم عنقه من مَذْبَحه إلى مَنْحَره .

★ ★ ★

١٠٧) النَكَفَتان [المفرد : نكفة]

ف Parotide

ز Parotid gland

في الأصل . ــ غدتان في أصل اللُّغد كالاوزتين .

في (ق) . ــ النكفتان بالضم وبالفتح وبالتحريك اللَّهْزِمتان عن يمين العنفقة وشمالها .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . ــ النكفة غدة لعابية موجودة أمام الأذن . شكلها مثلث وهي نموذج الغدد كالعنقود . من الوحشي يمر منها السُباتي [١] والوريد الوداجي [٢] الخ . وهي التي تفرز اللعاب النكفي .

١) Carotide ٢) Jugulaire

ما أضفت :

١ ــ استطالات النكفة الماضغة

ف Prolongement massétérien de la parotide

ز Processus mendibularis parotidis

٢ ــ نُكاف (التهاب الغدة النكفية الساري)

ف Oreillons ; parotidite épidémique

ز Epidemic parotidis ; mumps

٣ ــ نُكافي

ف Ourlien

ز Pertaning to mumps

٤ ــ نَكَف

ف Ourles

ز Mumps

★ ★ ★

١٠٨) الشُّغْد

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — لم يُذكر له شرح .

في (ق) . — اللغد (بالضم) واللغدود (بالضم) والإلغديد (بالكسر) ، لحمة في الحلق أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن ، أو ما طاف بأقصى الفم إلى الحلق من اللحم . ج لغاديد ، ألغاد . أو اللغد منتهى شحمة الأذن من أسفلها .

قلت : لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب خصصت (الشُّغْد) لشحمة الأذن لما يقابل :

ف Lobule ou bout de l'oreille

ز Ear - lap ; lobule of the ear ; lobe of the ear

★ ★ ★

١٠٩) الحُلْقوم

ف Gosier (m.)

ز Gullet ; throath

في الأصل . — الحلقوم متصل بالرئة وهو مخرج الريح .

في (ق) . — حلقمه قطع حلقومه ولم يُذكر له تعريف .

في معجم متن اللغة . — الحلقوم الحلق والميم زائدة وهو مجرى الطعام والشراب . ج حلاقيم .

في (ل) . — هو القسم الباطن من العنق ، يشتمل على البلعوم ومدخل المريء والحنجرة . ومن معانيه بالفرنسية : عضو الصوت .

ما أضفته :

١ — بُلْعُوم

ف Pharynx (m.)

ز Pharynx ; fauces ; throath

٢ — بلعوم أنفي

ف Naso . pharynx ; épipharynx

ز Pharyngonasal cavity ; epipharynx

٣ — بلعوم حنجري

ف Pharynx laryngé ; laryngopharynx

ز Laryngopharynx

٤ — بلعوم فَوْهي

ف Pharynx buccal ; oro · pharynx

ز Oro · pharynx

٥ — بلعومي

ف Pharyngien

ز Pharyngeal ; faucial

★ ★ ★

١١٠) المري‌ء

ف Œsophage

ز Œsophagus ; esophagus

في الأصل . — المجرى ، مجرى الطعام من الحلق وأعلاه متصل بعكدة اللسان.

ملاحظتي . — قوله (المجرى مجرى الطعام) تعريفاً للشيء بالشيء لا يُحتمل وقوعه من المؤلّف العالم . هذه ملاحظـــة أولى . فهو من خطأ النسخ . فالصحيح (المري) بدون (جيم) . فالناسخ صحّفها باضافة الجيم ذهولاً منه

لوجود (مجرى الطعام) بعدها . ثم إني لم أجد في المعاجم العربية ، المجرى تعريفاً (ولو تلميحاً) يرادف المريء .

أما [المريء كأمير فهو مجرى الطعام والشراب وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم . ج أمرئة ومُرُوء كما في (ق)] . وهذا من (مَرَأَ الطعام مثلثة الراء ، مراءَةً فهو مريء ، هنيء حميد المغبّة . وكَلأٌ مريء غير وخيم . ومَرُؤت الأرض مراءةً فهي مريئة حَسُنَ هواؤها) . كل هذا دعاني لأضع الكلمة مصححةً في (الرقم ١١٠) ولم ينتبه إليها المحقق .

في (ل) . — المريء : أول قسم من الأنبوب الهضمي من البلعوم إلى سُدْفة المعدة . أعضاد هذا القسم الأمامية والخلفية متطابقتان احداها على الأخرى بالحالة الطبيعية ، ولا تتباعدان إلاّ حين مرور الكتلة الطعامية .

ما أضفته :

١ — تشنج المريء

ف Œsophagisme

ز Œsophagism ; spasm of the œsophagus ; œsophageal spasm

٢ — شَقّ المريء

ف Œsophagotomie

ز Œsophagotomy

٣ — مريئي

ف Œsophagien

ز Œsophagical : œsophageal

★ ★ ★

١١١) عَكَدَة اللسان

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ما اتصل بالحلق (ولم يُجعل عليها تشكيل) .

في (ق) . — العُكدة بالضم أصل الصمصص . وبالتحريك أصل اللسان وأصل القلب .

قلت : وضعتُها مشكولةً بالتحريك لينطبق عليها تعريف الأصل .

(انظر الرقم ٩٥) أيضاً .

★ ★ ★

١١٢) الحَنْجَرَة

ف ، ز Larynx (m.)

في الأصل . — ما غلظ من أعلى الحلقوم وأسفل اللسان والغلصمة .

في (ق) . — الحنجور السفط الصغير والحلقوم كالحنجرة . ج حناجر .

في (ل) . — عضو الصوت . وهي القسم من الرغامى - الشريان معلق على العظم اللامي ومحتو على قِطَع غضروفية (غضاريف درَقية ، حلقِية) التي تحمل الأوتار الصوتية .

أم ما أضفته :

١ — التهاب الحنجرة

ف Laryngite

ز Laryngitis

٢ — تشنج الحنجرة

ف Laryngospasme ; spasme glottique

ز Laryngospasm ; spasm of glottis

٣ — تنظير الحنجرة

ف Laryngoscopie

ز Laryngoscopy

٤ — حنجرة بلعومية

ف ، ز Laryngo - pharynx

٥ — حنجري

ف Laryngé ; laryngien

ز Laryngeal

٦ — خَزْع الحنجرة (*)

ف ، ز Laryngotomie

★ ★ ★

١١٣) المنفقة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — الشَّعَر تحت الشفة السفلى .

في (ق) . — شُعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

ملاحظتي . — في الأصل وردت (الغلصمة العنفقة) كأنهما مترادفتان . فأما الغلصمة فليس من معانيها ـ في المعاجم كلها ـ ما يجعلها مرادفة للمنفقة . فبالتأمل اتضح لي وجوب نقل (الغلصمة) إلى (الرقم ١١٢) تتمةً لما بعد (وأسفل اللسان ... والغلصمة) فيستقيم المعنى كما فعلتُ تصحيحاً فوضعتها في (الرقم ١١٢) في شرح الأصل . وحذفتها من (هـذا الرقم ١١٣) [أنظر أيضاً العنفقة في الرقم ١٠١] .

★ ★ ★

(*) قلت : الخزع هو القطع والكلمة الخاصة هي (ثقْب الحنجرة) أي ثقْبها والثقيب ما ثُقِبَت غلصمته .

١١٤) الشارب

ف Moustache (f.)

ز Mustache ; mustachio

في الأصل . — الشعر الذي على الشفة العليا .

في (ق) . — الشوارب ما سال على الفم من الشعر وما طال من ناحيتي السَّبَلَة والسبلة كلها شارب .

في (ل) . — الشارب ، من الذقن : القسم الذي ينبت على الشفة العليا .

★ ★ ★

١١٥) النَّبَرة

ف . . . . .

ز Pit of the lip

في الأصل . — النقرة (بالقاف) الهَزْمة على الشفة العليا .

في (ق) . — منقَطَع القَمَحْدُوة في القفا .

في معجم متن اللغة . — النقرة في القفا حفرة في آخر الدماغ منقطع القمحدوة وهو وهدة فيها . (ومعان عديدة أخرى ولا ذكر للشفة إطلاقاً) .

ملاحظتي . — النقرة ، في الأصل المطبوع ، خطأ عن النسخ والصحيح (النبرة ، وهي الحفرة في ظاهر الشفة العليا) . وأما (النّقرة ، كالنقير والنِقر والأُنقور ، فهي النكتة في ظهر النواة) فوضعت الكلمة مصححةً (في الرقم ١١٥) ولم ينتبه إليها المحقق .

قلت : يرادف النبرة ، الطُرْمة (مثلثةً) وهي النبرة في وسط الشفة العليا في (ق) . وهي بياض في وسط الشفة العليا ، وتسمى التي في السفلى : التُرْفة كما في (متن اللغة) . فهل هي البياض كما في المتن ، أم هي النبرة كما في (ق) ؟ وهل الطرمة والترفة شيء واحد أي هي النبرة للشفة العليا فحسب كما في (ق) أم الطرمة للشفة العليا ، والترفة للسفلى كما في (المتن) ؟

هذا وقد جاء في (كتاب المُثَنّى) لأبي الطيّب بن علي الحلبي اللغوي الذي حققه عز الدين التنوخي رحمه الله والمنشور في مجلة المجمع العلمي عام ١٩٦٠ المجلد ٣٥ ص ٤٤٦ ما يلي : (وقالوا : يقال للّحْمة المتدلية في وسط الشفة العليا : الطُرْمة ولمثلها من الشفة السفلى : التُرْفة . فاذا ثنّيْتهما جميعاً قلتَ : لفلانٍ طُرْمتان ولم تقل تُرْفتان ، يغلّبون الطرمة على الترفة) ثم في الحاشية (١) من ص ٤٤٦ ما يلي : قال ابن المكرم في ل (طرم) : (والطرمة مثلثة : نتوء في وسط الشفة العليا ، وهي في السفلى التُرفة فاذا جمعوا قالوا : طُرْمتين فغلّبوا لفظ الطُرمة على التُرفة) اﻫ . وأقول : تأمل ، هذا الاختلاف البيّن في شرح كلمتين ، بين أن يكون : النبرة ، أو البياض ، أو اللّحْمة أو النتوء في احدى الشفتين كلتيهما أفلا يحق لنا أن نتساءل بعد هذا : أيهن أصح ؟ ! .

★ ★ ★

١١٦) الهَزْمة

ف ، ز

. . . . .

في الأصل . — النقرة على الشفة العليا [قلت الصحيح النبرة لا النقرة انظر الرقم ١١٥] .

في (ق) . — الهزمة ، الحفرة . من (هزمه يهزمه فانهزم ، غمزه بيده فصارت فيه حفرة . وكل موضع منهزِم منه : هَزْمة) .

في معجم متن اللغة . — الهزمة الحفرة التي تكوّنها الغمزة في الجسم . والنقرة في الصخر ، والثغرة في أعلى الصدر ، وفي التفاحة . ج هزمات . والخُنْعُبة وهي مشقّ ما بين الشاربين بحيال الوترة .

ملاحظتي . — الخنعبة هي النّونة أو الهنة المتدلية وسط الشفة العليا أو منشقّ ما بين الشاربين حيال الوَترة . والنونة النقرة الصغيرة في ذقن الصبي (كما في ق) . ومثلها (الشّجْرة) انظر (الرقم ١٠٤) .

هذا وإن كان يراد من الهزمة : التي بين الترقوتين كما جاء في ملاحظة المحقق فهي (الثُغرة) بالثاء بعدها غين ، لا (النُقرة) بالنون بعدها قاف . فتكون (النقرة) مصحَّفةً ، صحيحها الثغرة بالضم وهي : نُقرة النحر بين الترقوتين ؛ ومن البعير هزمة يُنحر منها ؛ ومن الفرس فوق الجُؤجُؤ (ق) .

★ ★ ★

١١٧) اللحية

ف Barbe (f.)

ز Beard

في الأصل . — لم يُذكر لها تعريف .

في (ق) . — شعر الخدين والذقن ج لِحىً ولُحىً . والنسبة لِحَوي . ورجل ألحى ولِحْياني طويلها أو عظيمها ، ولحية كَثَّة إذا كثف أصلها .

في (ل) . — شعر الذقن والخدين .

أضفت :

لِحْياني

ف Barbu

ز Bearded

★ ★ ★

١١٨) السِّناط

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الذي ليس في عارضيه من الشعر إلا القليل .

في (ق) . — بالكسر وبالضم كَوْسَج لا لحية له أصلاً . أو الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج ، وكذا السنوط والسنوطي بفتحها .

قلت : أما الكوسج فمُعرَّبة عن الفارسية (كُوسه) بالضم لمن ليس في وجهه شعر ولا شاربان . ومثله الثَّطّ كالأثَط : الكوسج أو القليل شعر اللحية .

★ ★ ★

١١٩) الأسنط

ف Imbarbe ; glabre

ز Beardless

في الأصل . — (أشظ ، إذا لم يكن في وجهه شعر) .

ملاحظتي . — لم أجد (أشظ) في المعاجم التي بين يدي وأحسبها من خطأ النسخ . فهي مصحفة عن (أسنط) من (سَنُط كَكرم فهو سنِط أسنط) . فالمؤلف جعل (السّناط ـ رقم ١١٨) لخفيف العارضين لم يبلغ حال الكوسج ؛ وخصّ (أسنط) لمن ليس في وجهه شعر حسبما جاء في شرحه في الأصل . [فالناسخ ظن السكون فوق السين ثلاث نقط (^) فكتبها (ش) فانحرفت معه نقطة النون للطاء فكتبها (ظ) فصارت أسْنط (أشظ) بالتصحيف] . فوضعتها في (الرقم ١١٩) مصححة كما بدا لي ، ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

١٢٠) لحية كثّة

ف Barbe hirsute

ز Hirsute beard

في الأصل . — إذا كثف أصلها .

قلت : والأحْنَط : العظيم اللحية الكثّها .

★ ★ ★

١٢١) سُنّة الانسان : الوجه ، المحيّا

ف ، ز Face ; visage

في الأصل . — سنّة الإنسان وجهه وهي قسمته .

في (ق) . — السنّة الوجه أو حرّه أو دائرته أو الصورة أو الجبهة والجبينان . الخ من المعاني الكثيرة .

أما الوجه في (ق) : فمعروف . ومستقبل كل شيء ج أوجُه ووُجُوه وأُجوه .

وأما الجبهة ففي (ق) : موضع السجود من الوجه أو مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية .

وأما المحيّا في (ق) أيضاً : فهو كالحُمَيّا جماعة الوجه أو حرّه .

في متن اللغة . — السُنّة (من الشيء) : صورته ووجهه أو حُرّه أو دائرته . ومن الخد : صفحته . والسنة : الجبهة والجبينان . والسنة : أمر الله وحكمه . والطريقة والسيرة والطبيعة . والسنة : الخط الأسود على متن الحمار ؛ والطريق سنّهُ أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم ج سُنَن .

في (ل) . — الوجه ، الناحية الأمامية السفلية من الرأس . هيكله في الإنسان يشتمل على ١٤ عظماً متلاحمات فيما بينهن — إلا الفك السفلي — ومتثبتات بمتانة في الجمجمة .

ما أضفته (في المضغة) :

١ — بُرْعُم جبهي

ف Bourgeon frontal

ز Frontal process or protuberance

٢ — برعم الفكّ السفلي

ف Bourgeon maxillaire inférieur

ز Mandibular process

٣ — برعم الفك العلوي

ف Bourgeon maxillaire supérieur

ز Maxillary process

٤ — برعم الأنف الظاهر

ف Bourgeon nasal externe

ز Lateral nasal process

٥ — برعم الأنف الباطن

ف Bourgeon nasal interne
ز Median nasal process

وعلى وجه عام ، أضفت :

آ) وجه راحي

ف Face palmaire
ز Palmar , volar surface

ب) وجه طاحن (الأسنان)

ف Face triturante des dents
ز Bite plane , occlusal plane (of teeth)

ج) وُجَيْه

ف Facette
ز Facet ; facette

د) وَجْهي

ف ، ز Facial

هـ) زاوية وجهيّة

ف Angle faciale
ز Facial angle

★ ★ ★

١٢٢) المسنون

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — من الوجه : القليل اللحم .

في (ق) . — رجل مسنون الوجه ، مملّسه حسَنُه سهلُه ، أو في وجهه وأنفه طول .

★ ★ ★

١٢٣) المكَلْثَم

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — المستدير (من الوجه) .

في (ق) . — الكلثوم كزُنبور الكثير لحم الخدين والوجه . والكلثمة : اجتماع لحم الوجه بلا جُهومة .

★ ★ ★

١٢٤) الرَّيَّان

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — من الوجه ، الكثير الماء الحسن البشرة .

★ ★ ★

١٢٥) الأَخْيَل

ف Lentigineux

ز Lentigineous ; freckly

في الأصل . — الذي فيه خيلان (المفرد خال) .

في (ق) . — الخال شامة في البدن ج خيلان وهو خيِل ومَخيل ومَخْيول وهي خَيْلاء .

في معجم متن اللغة . — الخال يذكر والأخْيَل هو الكثير الخيلان .

في لاروس ذي المجلدين . — من به خيلان .

قلت : الخال آفة في الجلد بلون أسود أو وردي ، بقعـــةٌ بسيطة أو بارزةٌ مشعَّرة ، يرادفها :

شامـــة

ف Grain de beauté

ز Boty spot , mole

ما أضفته :

١ — الخال (شامة ، وَحْمة)

ف Lentigo; naevus (marque de naissance)

ز Lentigo ; freckle

٢ — خال أنبوبي ، شامة انبوبية

ف Môle tubaire

ز Tubal mole

٣ — خال ، وَحْمة مشعَّرة

ف Naevus pileux

ز Pilose nevus ; hairy mole

٤ — خال وخيم ، شامة مخرِّبة

ف Môle destructive

ز Malignant mole

٥ — شامة زُنّارية الشكل

ف Nævus zoniforme

ز Linear nevus ; nævus nervosus

٦ — شامة صباغية

ف Nævus pigmentaire

ز Pigmented mole

٧ — شامة ضخامية

ف Nævus hypertrophique

ز Naevus hypertrophicus

٨ — شامة عديمة اللون

ف Nævus achromique

ز Non pigmented nevus

٩ — شامة ناعمة

ف Nævus molluscum
ز Nevus mollusciformis

★ ★ ★

١٢٦) الأُنثَيان (= الأذنان)

ف Oreille (f.) ; organe de l'ouie
ز Ear ; organ of hearing

في الأصل . — الانثيان : الأذنان .

قلت : قد غلب إطلاق الأنثيين على الخصيتين كما في (ق) : الانثيان الخصيتان ، والأذنان (واحدها أذُن بالضم ، معروفة ، مؤنثة) .

في (ل) . — الأذن ، عضو السمع . وعلى التخصيص الجزء الخارجي من العضو على طرفي الرأس . والأذن في الإنسان والثدييات تتألف من ثلاثة أقسام :

الأول) أذن خارجية مع صَوان (١) ومجرى السمع (٢) المسدود بالطبلة (٣) .
الثاني) أذن وسطى وهي جوف (٤) (أو صندوقة الطبلة) (٥) يتصل بالبلعوم بوساطة بوق أو نفير (٦) أستاكيوس وفي هذا الجوف سلسلة من ثلاث عُظيمات (هن : مِطْرقة (٧) ، سَنْدان (٨) ، رِكاب (٩)) تنقل اهتزازات الطبلة إلى النافذة البيضوية (١٠) التي هي بدورها تنقلها إلى الأذن الداخلية .
الثالث) أذن داخلية (أو التّيه) وتحتوي على عضو التعديل (١١) (المؤلف من : قُرَيْبة (١٢) ، كيس صغير (١٣) ، قنوات نصف دائرية (١٤)) وعلى الجهاز السمعي (١٥) المؤلف من القوقعة (= المحَارة) المحتوية على خلايا قورتي السمعية الهدباء اهـ . ما يوافق الأرقام بالفرنسية والانكليزية :

١) Pavillon (pinna ; auricle)
٢) Conduit auditif (auditory canal)
٣) Tympan (tympanum)
٤) Cavité (cavity)

٥) Caisse du tympan

٦) Trompe , trompette (tube , trumpet)

٧) Marteau (hanner)

٨) Enclume (anvil)

٩) Étrier (stirrup)

١٠) Fenêtre ovale (oval window)

١١) Organe d'équilibration

١٢) Utricule (utricule)

١٣) Saccule (vestibular saccule)

١٤) Canaux demi - circulaires (semi circular duct)

١٥) Appareil auditif (auditory, acoustic apparatus)

ملاحظة . — بعد ما أسرد ما ورد في أصل (القالة) من الكلمات المتعلقة بالأذن ، سأضع ما يقابل المصطلحات العربية (التي وضعتها لجنة المصطلحات الطبية) بالفرنسية مضيفاً إليها ما يوافقها بالانكليزية .

ملاحظة . — بعد ما أسرد ما ورد في أصل (القالة) من الكلمات المتعلقة بالأذن ، سأضع ما يقابل المصطلحات العربية (التي وضعتها لجنة المصطلحات الطبية) بالفرنسية مضيفاً اليها ما يوافقها بالانكليزية .

★ ★ ★

١٢٧) الفرع

ف Bord supérieur de l'oreille

ز . . . . . .

في الأصل . — من الأذن أعلاها حيث تنتهي غصون (بالصاد) .

قلت : غصون بالصاد المهملة خطأ والصواب (غضون) بالضاد المعجمة . المفرد (غَضْن ويحرّك : كل تَثَنٍّ وتكسّر في ثوب أو درع أو جلد أو أذن أو غيرها وغضون الأذن منابتها كما في (ق) .

في (ق) ومتن اللغة . — الفرع من كل شيء : أعلاه . ومن الأذن أعلاها .

★ ★ ★

١٢٨) الغُضروف

ف Cartilage auriculaire

ز Auricular cartilage

في الأصل . — ما (حلب) من أعلى الأذن .

قلت : حلب بالحاء خطأ والصحيح (ما صلُب بالصاد) .

في (ق) . — كل عظم رخص يؤكل وهو مارن الأنف ، ورؤوس الأضلاع ورهابة الصدر ، وداخل قوف الأذن .

قلت : قُوف الأذن ، مستدار سمّها .

في متن اللغة . — كل عظم لين رخص في أي موضع كان (مارن الأنف ، رؤوس الأضلاع وما أشبه) .

في (ل) . — الغضروف نسيجٌ مقاوم ومطاط ، يؤلّف هيكل المُضغة قُبَيْل ظهور العظم ولا يبقى منه في الكهل سوى في صَوان الأذن ومارن الأنف وفي رؤوس العظام .

ملاحظتي . — بعد هذا الشرح العام ؛ الأصلح أن يقال (غضروف الأذن) تخصيصاً (وكذا غضروف الأنف ، غضروف العظم الخ) .

★ ★ ★

١٢٩) المَحارة (= الصَّدَفة)

ف Limaçon (m.)

ز Snail ; cochlea

في الأصل . — المحارة ، الصدفة (محركةً) .

في (ق) . — المحارة جوف الأذن . والصدفة لحمةٌ تنبت في الشحمة عند الجمجمة كالغضاريف .

في (ل) . — الحلزون (= المحارة) جزء الأذن الداخلية كقوقعة البزّاق حيث يميّز (حلزون عظمي وهو وقبة محفورة في العظم ، وحلزون غشائي في داخل هذا الأول فيه المتقبّلات السمعية أي عضو قورتي) .

ملاحظتي . — (المحارة ، والقوقعة ، والحلزون ، كل هذا مما خصصتْه لجنة المصطلحات الطبية لما يقابل الكلمة الفرنسية Limaçon المذكورة (في الرقم ١٢٩ هذا) .

★ ★ ★

١٣٠) الوَتِد

ف ، ز Tragus

في الأصل . — الشاخص في مقدّم الأذن وبين الوجه .

في (ق) . — الوَتْد بالفتح والتحريك وككتف : الهُنَيَّة الناشزة في مقدّم الأذن .

في متن اللغة . — الوتد والوتدة : الهنيّة الناشزة في مقدم الأذن مثل الثؤلول تلي أعلى العارض من اللحية .

في (ل) . — نُوَيْتِئ مثلث الشكل في الثقبة الخارجية لمجرى السمع .

★ ★ ★

١٣١) الصِّماخ

ف Méat (m.)

ز Meatus

في الأصل . — خرق الأذن الذي فيه السّم وهو ثقبها .

في (ق) . — الصماخ كالأُصموخ خرق الأذن .

قلت : الخَرْت بالتاء بالفتح والضم ، أخص وأصلح . (فالخرت هو الثقب في الأذن) . وللخرق معان شتى وإن جاز استعماله على المصدر إسماً من خرقه

مَزَّقه والثوبَ شقَّه . [وكذا الخُربة بالباء الموحدة ، سعة خرق الأذن]
[انظر الرقم ١٣٣] .

★ ★ ★

١٣٢) الشَّحْمة

ف Bout de l'oreille ; lobe de l'oreille ;
lobule de l'oreille

ز Ear - lap ; lobule of the ear ;
lobe of the ear

في الأصل . — ما تدلَّى من أسفل الأذن .

في (ق) . — بعد معان شتى : ومن الأذن مُعَلَّق القرط .

قلت : الأشهد كذلك . فهو منتهى شحمة الأذن من أسفلها وقد خصصتها لجنة المصطلحات الطبية لما ذكرتُ من الفرنسية . كما خصصت حِجَّة الأذن لما يقابل (Lobule de –) .

في (ل) . — من الأذن الجزء الرخو المستدير الذي يعلَّق فيه القرط .

★ ★ ★

١٣٣) الخُرْبة

ف . ز . . . .

في الأصل . — الحزبة (بالحاء المهملة والزاي) الثقب الذي يعلّق فيه القرط .

ملاحظتي . — ليس بين معاني كلمة (حزَب) ما يمكن استعماله شرحاً لثقب الأذن الذي يعلَّق فيه القرط فالحزبة كما في الأصل خطأ عن النسخ والصحيح (الخُربة بالخاء المعجمة والراء) وهي كل ثقب مستدير ، وسعة خرت الأذن ، ومن الإبرة ثقبها كخربها بفتح فسكون ، وخُرَّابتها بضم فتشديد الراء . وجاء في فقه اللغة للثعالبي في كلامه على الأذن أن الصماخ من فعلِ الخالق ، والخُرْبة من فعل المخلوق [انظر الرقم ١٣١] .

★ ★ ★

١٣٤) الحِتار

ف ، ز Helix (m .)

في الأصل · — الحتار حرف أعلى الأذن .

في (ق) · — الحتار من كل شيء كفافه وحرفه وما استدار به . والحِتْرَة مجتمع الشدقين .

قلت : على هذا فالأصلح أن يقال (حتار الأذن) تخصيصاً .

في (ل) · — هو الانثناء الذي يؤلف إطار صِوان الأذن .

أهم ما أضفته عن الأذن :

١ — أذن خارجية

ف Oreille externe

ز External ear

٢ — أذن داخلية (= تيه)

ف Oreille interne ; labyrinthe

ز Internal ear ; labyrinth

أقسامها :

١ً — أنبوب قوقعي

ف Tube cochléaire

ز Spiral canal of modiolus

٢ً — الخدود وعائي

ف Strie vasculaire

ز Stria vascularis

٣ً — تيه عظمي

ف Labyrinthe osseuse

ز Osseous labyrinth

٤ً — تيه غشائي

ف Labyrinthe membraneuse
ز Membranous labyrinth

٥ً — حصيات الأذن ، غبارات أذنية

ف Otolithes ; otoconies
ز Otoliths ; otoconia : ear dust ; otolites

٦ً — خلايا ديترس الدعامية

ف Cellules de soutien de Deiters
ز Deiters ' supporting cells

٧ً — خلايا سمعية

ف Cellules auditives
ز Auditory cells

٨ً — خلايا كلوديوس

ف Cellules de Claudius
ز Claudius ' cells

٩ً — خلايا هنزن

ف Cellules de Hensen
ز Hensen's cells

١٠ً — دهليز عظمي

ف Vestibule osseux
ز Osseous vestibule

١١ً — دهليز غشائي

ف Vestibule membraneux
ز Membranous vestibule

١٢ً — صفحة حلزونية

ف Lame spirale
ز Lamina spiralis

١٣ً — صفحة قاعدية ، غشاء قاعدي

ف Lame basillaire
ز Basillar membrane

١٤ً — عضو قورتي

ف Organe de Corti
ز Spiral organ of corti

١٥ً — عقدة قورتي

ف Ganglion de Corti
ز Corti's ganglion

١٦ً — عُمُد قورتي

ف Piliers de Corti
ز Corti's pillars or rods ; pillar cells

١٧ً — غشاء رَيْسنر

ف Membrane de Reissner
ز Reissner's vestibular membrane

١٨ً — غشاء ساتر

ف Membrane tectoria
ز Tectorial membrane

١٩ً — قُرَيْبَة

ف ، ز Utricule

٢٠ً — قناة قوقعية

ف Canal cochléaire
ز Cochlear duct

٢١ً — قناة اللنفا الداخلية

ف Canal endolymphatique
ز Endolymphatic duct

٢٢ً — قنزُعة حلزونية

ف Crête spirale
ز Prominentia spiralis

٢٣ً — قنوات نصف دائرية عظمية

ف Canaux demi - circulaires osseux
ز Semi - circular canals

٢٤ً — قنوات نصف دائرية غشائية

ف Canaux demi - circulaires membraneux
ز Semicircular ducts

٢٥ً — قوقعة عظمية ، محار عظمي

ف Limaçon osseux
ز Cochlea

٢٦ً — كيس صغير

ف ، ز Saccule

٢٧ً — مجرى السمع الباطن

ف Conduit auditif interne
ز Internal acoustic (auditory) meatus or canal

٢٨ً — مرقاة دِهليزية

ف Rampe vestibulaire
ز Scala vestibuli

٢٩ً — مرقاة طبلية ، سلّم طبلية

ف Rampe tympanique
ز Scala tympani

٣٠ً — نفَق قورتي

ف Tunnel de Corti
ز Corti's tunnel

٣ — أذن وسطى أو متوسطة

ف Oreille moyenne

ز Middle ear

يرادفها : آ) طبلة الأذن

ف Tympan

ز Tympanum

ب) جوف الطبلة

ف Cavité du tympan

ز Tympanic cavity

ج) صندوقة الطبلة

ف Caisse du tympan

ز Ear - drum

وعلى وجه عام أضفت :

١) اذني = متعلق بالأذن

ف Otique

ز Otic ; aural

٢) أذينة

ف Oreillete

ز Oricle of the heart

٣) التهاب الأذن

ف Otite

ز Otitis

٤) صلابة الأذن

ف Dur d'oreille

ز Dull of hearing ; hard of hearing

٥) طبيب الأذن ، آذاني

ف Otologiste

ز Otologist

٦) مبحث الأذن ، طب الأذن

ف ، ز Otologie ; otiatrie

٧) منظار الأذن

ف Otoscope ; speculum d'oreille

ز Otoscope ; ear - speculum

٨) ناتئ المطرقة

ف Apophyse du marteau

ز Process of the malleus

٩) وتيرة ، وترة الأذن

ف Anthélix

ز Anthelix ; antihelix

١٠) وَقْر = ثقل السَّمْع

ف Dureté de l'oreille

ز Hardness of hearing ; dullness of hearing ; paritial deafness

★ ★ ★

١٣٥) الأذن الخَذْواء

ف Oreille pendante

ز . . . . .

في الأصل . — (الخوذاء) بالخاء المعجمة بعدها واو ثم ذال : المسترخية .

ملاحظتي . — الخوذاء ، خطأ عن النسخ . والصحيح (خذواء) بالذال بعدها واو ، كما وضعتها مصححةً في (الرقم ١٣٥) . من (خذا يخذو خذواً استرخى . وأذن خذواء وخذاوية بيّنة الخَذاء . خذيت أذنه كرضي خذاً ، استرخت من أصلها وانكسرت مقبلةً على الوجه يكون خلقةً أو حَدَثاً) .
وليس في كلمة (خوذ) من المعاني ما يصح اطلاقه نعتاً للأذن المسترخية .
ومثلها (الأذن الخطلاء ، وهي المسترخية) .

والأخذى هو بالفرنسية (Oreillard) وبالانكليزية (Lopeared) .

★ ★ ★

١٣٦) الأذن الشَّرْفاء

ف Oreille d'âne

ز . . . . .

في الأصل . — الضخمة .

في (ق) . — الطويلة .

في متن اللغة . — الشرفاء ، الناقة الضخمة الأذنين ؛ الأذن الطويلة عليها شعر.

★ ★ ★

١٣٧) الأذن الصَّمْعاء

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — الصغيرة اللطيفة .

في (ق) . — الصغيرة اللطيفة المنضمة إلى الرأس والسالفة .

★ ★ ★

١٣٨) الأذن السَّكَّاء

ف ، ز . . . .

في الأصل . — أصغر من الصمعاء .

في (ق) . — السكَّاء من الدروع ، الضيّقة . ومن الطرق ، المنسدّ . والسَّكَك محركةً صِغَر الأذن ولزوقها بالرأس وقلة إشرافها ، أو صغر قوب الأذن وضيق الصماخ وهي سكّاء .

قلت : وفي المثل (كل شَرْفاء وَلود ، وكل سَكَّاء بَيوض) . معنى هذا أن ذوات الآذان الظاهرة « من الإناث » وَلود ؛ اما ذوات الآذان الخفيّة فهن بَيوض « دجاج وسواها » .

ما أضفته (عن الأذن) زيادةً :

الأخْرم

ف Qui a les oreilles percées

ز . . . . . .

الأصْلم

ف Qui a les oreilles coupées

ز . . . . . .

الأقنف

ف Qui a les oreilles épaisses

ز . . . . . .

أذن خَرْماء (الخرماء)

ف Oreille percée

ز . . . . . .

أذن قَنْفاء (القنفاء)

ف Oreille épaisse

ز . . . . . .

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

الشيخ ناصيف اليازجي

بعض رسائله وقصائده التي لم تنشر

دعتنا جامعة هارفارد لكتابة بحث عن المعاهد والأعمال الثقافية الأمريكية في سورية الكبرى أثناء القرن التاسع عشر ، فأخرجنا كتاباً باللغة الانكليزية طبع في مطبعة جامعة اكسفورد في سنة ١٩٦٦ .(١) وقد أخرجنا قبل ذلك ، برعاية جامعة لندن ، كتاباً آخر عن المعاهد والأعمال الثقافية البريطانية في فلسطين أثناء القرن التاسع عشر طبع في المطبعة نفسها في سنة ١٩٦١.(٢) وقد وقفنا أثناء جمع مادة الكتابين والتنقيب في السجلات الرسمية وفي دفاتر الجمعيات الدينية والعلمية في لندن وادنبره وواشنطون ونيويورك وغيرها على حقائق جديدة وتوصلنا إلى استنتاجات تناقض بعض ما نُشر دون تحقيق وفصلنا ذلك كله في الكتابين .

وكان من أهم ما وقعنا عليه بين أوراق المبشرين الأمريكان حقائق جديدة عن الشيخ ناصيف اليازجي وعدداً من رسائله وبعض قصائده التي لم تنشر . أما الحقائق فمعظمها لا ذكر له في الكتب التي تترجم له في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى . وأما الرسائل فعددها تسع موجهة كلها إلى القس عالي سمث وتبين مسائل ذات صلة بالتعليم وتاريخ الأدب في سورية . وأما القصائد فعددها ثلاث واحدة منها على الأقل تستحق اهتمام الأدباء والمؤرخين على السواء .

---

(1) American Interests in Syria , 1800 — 1901 .

(2) British Interests in Palestine , 1800 — 1901 .

يقول معظم المؤلفين الذين ترجموا للشيخ ناصيف أنه ساعد المبشرين الأمريكان في ترجمة التوراة إلى اللغـــة العربية ، ولا يزيدون على ذلك ولا يبيّنون نوع مساعدة من لم يعرف سوى اللغة العربية . فلا غنىً عن توضيح ذلك وغيره ، فقد صرف الأمريكان قبل أن يصلوا إلى مشروع ترجمة التوراة نحو ربع قرن يستخدمون من يعلمهم اللغة العربية ومن يتولى التعليم في بعض المدارس الابتدائية التي أخذوا ينفقون على فتحها . وكان من هؤلاء طانيوس الحداد الذي صار معلماً في أول مدرسة فتحت في بيروت في سنة ١٨٢٦ . وكان من طلابها الأذكياء ميشيل عرمان ، فاختاره المبشرون أحد ستة كوّنوا منهم ما يشبه مدرسة داخلية في بيروت ، يتخرج منها الطالب معلماً أو واعظاً .

حاول المبشرون أن يستخدموا الشيخ ناصيف كما استخدموا طانيوس الحداد وأمثاله تمهيداً لإدخالهم في المذهب البروتستنتي ، ولكنهم وجـدوا الشيخ ناصيف متحفظاً ، فقد أعرض عن الجواب عندما أرسل عالي سمث يرجو أن يقرئه مقامات الحريري . ولكن حوالى سنة ١٨٣٠ تمكن سمث من استخدام الشيخ في نسخ الكتب ، فبدأت بذلك صلة علمية مع المبشرين الأمريكان استمرت مدى الحياة دون أن تمس مسألة المذهب .

وكان الشيخ حينئذ يصيب شيئاً من راتب وظيفة كاتب في ديوان الأمير بشير وشيئاً من نسخ الكتب وشيئاً من تعليم من يقصده في منزله . فلم يكن بعدُ مُعْسِراً مضطراً إلى خدمة الأمريكان دون غيرهم . وظلت صلته بهم مقصورة على نسخ الكتب حتى سنة ١٨٣٩ عنـــدما لبى رجاء طانيوس الحداد فبدأ إقراء ميشيل عرمان شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، على نفقة الأمريكان .

وعندما سقط الأمير بشير في السنة التالية اضطر الشيخ ناصيف إلى الإقامة في بيروت وطلب الرزق فيهـا من أبواب النسخ والتعليم والتأليف ،

فانتهز الأمريكان هذه الفرصة واستخدموه في أول الأمر مصححاً في مطبعتهم في الوقت الذي استخدموا فيه بطرس البستاني معلماً في مدرستهم في بيروت . ولكل منهما مع المبشرين قصة طويلة ، شرحنا ثلاث ، الخاصة بالمعلم بطرس البستاني في بحث مطول في اللغة الانكليزية [١] ، وجعلنا هذا البحث خاصاً بالشيخ ناصيف .

وذكر استخدام الشيخ ناصيف في المطبعة الأمريكية يستوجب تصحيح بعض أوهام عنها تكرر ورودها حتى في كتب الباحثين . فالشائع أنها طبعت في مالطة ثم في بيروت كتباً في اللغة العربية كانت عاملاً في (إحياء التراث العربي) . وباعثاً للنهضة الحديثة . وهذا كله مخالف للحقيقة ، فسجلات المبشرين أنفسهم وقوائم الكتب التي طبعت في مالطة تثبت أن الكتب كلها كانت في اللغات الإيطالية واليونانية والأرمنية دون العربية . أما الكتب التي طبعت بهذه اللغة في مالطة فقد صدر بعضها من مطبعة جمعية تبشيرية انكليزية استخدمت فارس الشدياق مصححاً ، ومن مطابع تبشيرية أخرى .

أما في بيروت فالثابت من السجلات والقوائم أن المطبعة الأمريكية ظلت مكرسة للكتب الدينية الخاصة بطائفة البروتستانت ومنها الترجمة الامريكية للتوراة . ولم يطبع فيها شيء من (التراث العربي) بل صدر ما طبع منه حتى أول النصف الثاني من القرن التاسع عشر من بولاق واستانبول ، وبعد ذلك من المطابع الأهلية في بيروت وغيرها . ولكن للمطبعة الامريكية فضل في طبع بعض الكتب المدرسية في الرياضيات والطبيعيات استعملت في المدارس التي أسسها الأمريكان ، ثم في طبع كتب طبية وعلمية استعملت في الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأمريكية الآن) . وفيها أيضاً طبع عدد من كتب الشيخ ناصيف وخاصة المدرسية منها .

---

(1) The American Missionaries in Beirut and Butrus al - Bustani (St. Antony's Papers No. 16, Oxford), p 137 — 182 .

ومن أول هذه الكتب كتاب في الصرف والنحو أكمله الشيخ ناصيف وسلمه للطبع في صيف ١٨٤٥ كما يتضحُ من كتابه المؤرخ في ١٦ آب إلى عالي سمث الذي كان حينئذٍ في أمريكا . ولعل الأمريكان أرادوا تسهيل مهمة المعلمين في مدارسهم فطلبوا من الشيخ ناصيف أن يضع لهم ما هو أسهل من الألفية وأيسر من الكتاب الذي كان عندئذ مستعملاً في مختلف المدارس النصرانية وهو (كتاب بحث المطالب وحث الطالب) للمطران جبريل فرحات الحلبي الماروني ، وكانت مطبعة (بروباغندافيدي) الكاثوليكية في مالطة قد طبعته في سنة ١٨٣٦ .

وفيما يلي نص كتاب الشيخ ناصيف المذكور ، بإملائه وشكله وأغلاطه ، نقلاً عن الصورة الشمسية التي بيدنا . وهذا الكتاب هو أوفى الكتب التسعة ، ويثبت أن الشيخ أصبح بحاجة ماسة الى مال الأمريكان ، لكنهم في صيف ١٨٤٥ كانوا في أزمة مالية اضطرتهم الى اغلاق بعض المدارس والحد من نشاط المطبعة وإيقاف رواتب بعض الموظفين السوريين ومنهم الشيخ ناصيف ، فاقترح هذا الحصول له على مساعدة مالية من أمريكا أو انكلترا « لأجل تهذيب الناس وتنويرهم » في اللغة والأدب والتاريخ ، دون الاقتصار على الأمور الدينية التبشيرية :

الجناب الأكرم حضرة سيدي الأجل المحترم حفظه الله تعالى .

غب إبلاغ ما وجب ولاق من التحيات والأشواق والسوال عن خاطركم الكريم إن شآ الله تكونوا بأحسن حال وأنعم بال وان تلطفتم بالسوال عن حال هذا المحب القديم فاننا حين تاريخه بحمد الله على كل خير غير أننا لا نقدر أن نصف ما عندنا من الوحشة والأشواق ونحن دايماً نتذكر ألطاف جنابكم وصحة مودتكم الأكيدة ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بروية وجهكم الكريم وأنتم بالخير والسلامة . ثم ان جنابكم قد فارقتمونا على أننا متى فرغنا من الكتاب الذي كتبناه في أصول العربية نرسله إلى جنابكم ونطلب شغل غيره

من الخواجا هويتن (١) . أما الكتاب فسلمناه الى الخواجا هرتر (٢) والظاهر أنه يوخر إرساله إلى أن يكون مرسل لكم حوايج في صندوق فيرسله معها خوفاً من زيادة المصروف وهذا لا نعلم متى يكون . وأما الشغل فقد وقع في يدنا نسخة لقاموس الفيروزبادي بخط جميل في الغاية مقابلة بأمر الأمير حسين بن رستم عن يد جماعة من العلماء كما هو مكتوب في آخر الكتاب فاجتهدنا أننا استقرضناه لكي ننسخه لجنابكم غير أننا أرسلنا سالنا جناب الخواجا هويتن انه إذا كان عنده شغل لنا الزم منه يرسل لنا إياه وإلا فنشتغل فيه لأننا فرغنا من شغل كتاب الصرف والنحو فحضر لنا جواب مع الخواجا طمسن (٣) ان مالنا عندهم شغل يخص الديانة وهم ما لهم اذن يصرفوا مال المجمع (٤) على أعمال خارجة عن الديانة . غير انه استحسن أن جنابكم تعرفون بعض أناس في أميركا وانكليتارا يصرفون على أعمال دنيوية مثل كتب تواريخ ولغة وفنون أدبية وانه يوجد جمعيات وأشخاص مفردة ينفقون على مثل ذلك لأجل تهذيب الناس وتنويرهم وان جنابكم تدبرون هذا التدبير مع وجودكم في [تلك] البلاد . ومن جهة نساخة القاموس حضر الخواجا لوري (٥) وأفهمنا أن نتم نساخته على كيس بعض الأخوة فأخذنا في تتميمها لأننا كنا ابتدينا فيها وقصدنا تعريف جنابكم عن ذلك لكي تدبروا ما يحسن عندكم لأننا لا نريد أن نترك شغل جنابكم الذي تعودنا عليه وتعود علينا من نحو خمسة عشر سنة من غير انقطاع ولو حصل لنا أربح منه أضعافاً نظراً إلى المحبة والألفة المعهودة . وها نحن قد عرفنا جنابكم والأمر

(1) George Whiting المبشر

(2) George Hurter مدير المطبعة

(3) William Thomson المبشر

(4) American Board of commissioners for Foreign Missions اسم المجمع

(5) Thomas Lourie المبشر

إليكم بما يشاء الله وكنا قد أصحبنا الكتاب بأبيات من الشعر فأردنا أن نذكر صورتها هنا وهي محررة في الوجه المقابل عساكم ترونها وعسانا نراكم بكل خير وسلامة ودمتم بحفظ الله . هـ

المحب الداعي
ناصف
اليازجي
هـ

١٦ اب سنة ٤٥

قف بين ريحان العقيق وضاله — وقُل السلام على العقيق وآلهِ
وقل السلام على المنازل من فتىً — لم يبقَ غير سلامه وسؤاله
ربعٌ وقفت منادياً أطلالهُ — فبليت حتى صرت من أطلاله
قد كان لي صبرٌ كبعض سهوله — واليوم لي شوقٌ كبعض جباله
لا تنكروا سلب الحبيب حشاشتي — ماذا على متصرّفٍ في ماله
ركب النوى فحرمت نظرة وجهه — ونفى الكرى فحرمت طيف خياله
من كان يهوى الغانيات فانني — أهوى الّتي ليست تمرُّ بباله
الخايض الغمرات لم تبلُلْ له — قدماً ولم تقطع شراك نعاله
سبّاق غاياتٍ ينـــال بفعله — ما لا ينال سواه في آماله
البرُّ بين لســـانه وفؤاده — والبحر بين يمينــه وشماله
متأخرٌ في عصره متقـــدم — في فضله متفرد في حاله
ليس التفاوت في الزمان وإنما — يقع التفاوت فيـه بين رجاله
بيني وبينك بحر ماءٍ زاخرٌ — يا بحر عـــلمٍ فاقه بزلاله
تبدو الجواهر منك بارزة لنا — فوق الذي قد زُجَّ في أقفـــاله
عجباً له لم يحلُ لمّا خضته — إن الاثيم مولَّعٌ بخصـــاله
قد ضم منك الفُلك أفناناً كما — ضمّت سفينة نوح من أجياله
شِيَم الليالي ان تباعد صاحباً — حتى يكون زوالها كزواله
هي كالهباءِ فماسكٌ بحبالها — تحت الرجاءِ كماسكٍ بحباله

من كان يعرف ما مضى من دهره أغناه عن مستقبل بمثاله
يوم يمر كأمسه بغروره وغد يمر كيومه بمحاله
يا من يودّع راحلاً لفراقه أترى رجوت تحيّةً لوصاله
هذا اليسير من الفراق وإنما سترى فراقاً ليس من أشكاله

★ ★ ★

لم يجب عالي سمث على هذا الكتاب والقصيدة ، ولكنه على ما يظهر أوصى زملاءه باستبقاء الشيخ ناصيف حرصاً على الاستفادة منه عند البدء في مشروع ترجمة التوراة ، بعد انفراج الأزمة المالية . ولكن الأزمة دامت نحو سنتين ، فلم يستطع الأمريكان في أثنائها أن يخصصوا للشيخ سوى مكافآت على شراء الكتب أو نسخها ، وأجْعال على استعمال نسخ كتاب الصرف والنحو الذي ظل مخطوطاً . وهذا كله مفصل في الكتابين التاليين نثبتها بنصها دون تغيير .

الجناب الأكرم دام محروساً

بعد ابلاغ ما وجب ولاق من التحيات والأشواق قبله أرسلنا إلى جنابكم كتاباً به نسأل عن خاطركم ونعرّفكم عن مباشرتنا نساخة قاموس الفيروزبادي الذي ما سمحوا لنا الخواجات بنساخته على كيس المجمع بدعواهم ان المجمع لا يدفع مصروفاً لغير الأعمال الدينية وعلى ذلك لم يَعُد لنا عندهم شغل إلا إذا كنتم تعينوا لنا نفقة من بعض المجامع القائمة لمثل هـذه الأعمال الدنيوية في طرفكم وأصحبْنا تحريرنا المذكور بأبياتٍ من الشعر واعتذرنا عن تأخير ارسال الكتاب الذي راجعناه في علم العربية بانتظار الخواجات فرصةً لارساله مع حوائج أُخَر يرسلونها إليكم ولم يحضر لنا جواب فخشينا أن لا يكون تحريرنا وصل إلى يدكم وبناء على ذلك اقتضى تحرير هـذه الأسطر والغاية القصوى أن نستفيد بها علم صحتكم التي لا نزال نسأل عنها

وندعو بها كما نسأل عن رجوعكم بالسلامة وندعو بتقريبه وعلى الله الإجابة والقبول ودمتم كما رمتم ه

٣ شباط سنة ٤٦

المحب الداعى
ناصيف
اليازجى
ه

يكرم براحات الجناب الأكرم الخواجا عالي سميث الاميركاني المحترم دام بقاه

بعـــد السوال عن خاطركم العزيز اننا كتبنا عن التاريخ [١] إلى صاحبه فاجاب انه إذا أردتم أن تكتبوا عنه إلى البلاد فليكن الثمن الف غرش فصاعداً على حسب ما يمكن لأنكم تعلمون انه يستحق أكثر من ذلك وهو واصل بعد أن تستكفوا من الوقوف عليه عرفونا كيف يحسن عند جنابكم كذلك الشماس مبارك طلب منكم الكتاب الذي كتبناه في النحو فارسلتم له النسخة السابقة التي كتبها ملحم وهي لا تخلو من اختلال في الخط من غلط النساخة وفيها بعض عبارات مختلفة عن النسخة التي سلمناها لجنابكم وهي الأصح والأولاد يريدون أن يأخذوا منها نُسَخ لاجل الدرس فيلزم أن يكون ذلك عن النسخة الصحيحة فاذا كان يمكن نرجوكم ارسال هذه النسخة تبقى عنده بعض أيام لكي ينسخ النحو فقط منها ويرجّعها تحت الحفظ لان النسخة التي أرسلتموها لا يريد أن يعلّم بها وليس عنده

(١) على الغالب هذه اشارة إلى كتاب « الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان » للأمير حيدر أحمد الشهابي ، وقد سماه الشيخ ناصيف « تاريخ الأمير حيدر » في كتاب آخر الى عالي سمث أخبره فيه مقدار ما تمّ نسخه من الكتاب .

الآن كتاب يوافق للتعليم غيرها فتوقفت المصلحة ونرجوكم تطمنونا على صحتكم وتهدوا منا جزيل السلام بالاكرام لحضرة المصونة والمحروس ودام بقاه .

٣٠ تموز سنة ٤٧ الداعى لحبائكم

ناصيف

اليازجي

في سنة ١٨٤٧ هذه ألّف المبشرون الامريكان لجنة برئاسة عالي سمث للبدء بترجمة التوراة ترجمة جديدة إلى اللغة العربية ، وعيّنوا لمساعدته المعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي . فهل كانت الحاجة ماسة إلى هذه الترجمة ؟ وما هي مؤهلات كل من الرجال الثلاثة لهذا العمل ؟

ترجمت التوراة إلى اللغة العربية قبل ذلك ، ومن أقدم الترجمات تلك التي ظهرت حوالي سنة ٧٥٠ للميلاد برعاية مطران اشبيلية . ومن أقدم الترجمات المطبوعة ما ظهر في باريس ولندن منذ القرن السابع عشر . ولعل أشهر الطبعات العربية تلك التي ظهرت لأول مرة في روما سنة ١٦٧١ . وقد أعيد طبعها مراراً حتى القرن التاسع عشر ، عندما جاء المبشرون البروتستانت من الانكليز والاميريكان إلى الشرق الأدنى العربي وأرادوا نشر مذهبهم بين النصارى العرب . فأخذوا يعيدون طبع التوراة كما صدرت من روما ، مع حذف بعض الأسفار التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية مقدسة ولا يعتبرها البروتستانت كذلك . وقد سبّب ذلك اضطراباً ومشاحنة في أنحاء سورية . فكان عرض الامريكان الاستغناء عن طبعة روما بحذف ما لا يناسبهم وإصدار الباقي من مطبعتهم محررا من بعض الأغلاط .

صرف عالي سمث نحو عشرين سنة منذ وصوله إلى سورية وهو يتعلم اللغة العربية حتى أتقنها كما يتبيّن من بعض رسائله فيها ، واني نأمل نشر بعضها في مقالة أخرى . أما بطرس البستاني فقد تعلم في مدرسة عين ورقة المارونية ، اللغة العربية وشيئاً من السريانية واللاتينية والايطالية ، ثم تعلم من سمث وزملائه الانكليزية ومبادئ المذهب البروتستانتي الذي اعتنقه . أما ناصيف اليازجي فقد تعلم القراءة والكتابة على كاهن ، والطب القديم من أبيه عبد الله ، ولكنه بعد ذلك علّم نفسه بنفسه ، فقد حفظ القرآن الكريم وديوان المتنبي ، وظل محافظاً في الأمور اللغوية والدينية ، ولم يتعلم لغة أجنبية .

كان تعاون هؤلاء الثلاثة في ترجمة التوراة ابتداء من خريف ١٨٤٨ على هذا الوجه : يقدم البستاني مسودة يراجعها مع سمث ، ثم يحققها هذا مع اليازجي . والراجح ان البستاني اعتمد على الترجمات العربية التي كانت معروفة حينئذٍ ، لأنه لم يكن بعد قد تعلم شيئاً كافياً من العبرية أو اليونانية ويصح هذا القول أيضاً على سمث ، ولكن هذا كان يستشير زملاءه والاختصاصيين في مختلف البلاد .

أما المساعدة المطلوبة من الشيخ ناصيف فكانت مقصورة على تحرير الترجمة من الكلمات والعبارات التي لا يقبلها الذوق العربي السليم ، ولكن ظلت يده مغلولة بسبب القواعد التي وضعها المبشرون وأهمها اثنتان : عدم تغيير ما في الترجمات السابقة من كلمات وعبارات جعلها الاستعمال مألوفة ، تجنب اتخاذ الكلمات والعبارات القرآنية .

ودامت مدة استخدام الشيخ ناصيف نحو عشر سنوات انتهت بموت سمث في سنة ١٨٥٧ ، وكان الشيخ قد أصبح في أثناء ذلك موظفاً عند الأمريكان له راتب معين ، فقربه ذلك من سمث الذي كان حينئذٍ رئيسهم . وقد وجدنا بين أوراق سمث ثلاث رسائل من الشيخ يسأل فيها عن صحة سمث

وصحة زوجته وابنه ، ورسالة رابعة يطلب فيها سلفة راتب شهر لدفع أموال أميرية مقدارها خمسمئة قرشاً . نكتفي بالإشارة إلى هذه الرسائل ، ولكننا نثبت فيما يلي أبياتاً من قصيدة في أربعة وعشرين بيتاً قدمها الشيخ إلى سمث بمناسبة عودته من أحد أسفاره بحراً ، وقد وجدنا القصيدة بين أوراق سمث أيضاً :

١ قد طلع البدر من المغربِ ... فمن رأى هذا ولم يعجبِ
٢ والبحر في البحر أتى راكباً ... في طي[1] فلك طيب المشرب
٣ شخص ، إذا أقبل ، لكنّه ... من شخصه يخرج في موكب
٨ احاط بالعلم واسراره ... احاطة الهالة بالكوكب
٩ اوشك ان يحصى لغات الورى ... من معجم فيها ومن معربِ
٢١ [2]لابساً ثوبَ سوادٍ كما ... يلبس بدرٌ حلّة الغيهب
٢٢ عالٍ سميت اسماً جديراً به ... وأنسب الأسماء بالأنسب
٢٣ هيّجت بي في الشعر وجداً ولم ... يبق انا لولاك من مأرب
٢٤ والشعر مثل المهر في خلقه ... ان طال عهد الربط لم يُركب

ووجدنا بين أوراق سمث قصيدة أخرى للشيخ ناصيف وبخطه ، وهذه القصيدة فريدة في بابها نظراً لصناعتها ومادتها . وهي في اثني عشر دوراً اخترنا منها ستة نثبتها فيما يلي . والقصيدة كلها تشيد بنصر الدولة العثمانية على روسيا في حرب القرم سنة ١٨٥٦ ، وتمدح السلطان عبد المجيد الذي أعلن العدل والمساواة بين رعاياه في الخط الهمايوني :

٤ جادت الأيام بالعيش الخصيب ... وأتانا الله بالفتح القريب
ولسان الحال فينا كالخطيب ... قام يدعو لأمير المؤمنين

دور

(١) ورد الكلمتان في الأصل بلا نقط . (المجلة)
(٢) يلاحظ أن البيت فيه خرم وهو حذف أول الوتد من أول البحر السريع وكان الأصل : ولابساً . (المجلة)

٥ عين أعيـان الزمان المُصطفى غرّة الدنيـا وتاج الخلفا
قال ان الله حسبي وكفى فأتاه الله بالنصر المبـين

دور

٧ ملكٌ كالغيث قد أحيى البلاد وأقام العـدل ما بين العباد
وهو الغازى الذي اعتاد الجهاد وحباه الله بالروح الأمين

دور

٩ يا لهـا من دولة بين الدُوَل أشرقت كالشمس في برج الحمل
أحسنت في كل قولٍ وعمل انمـا الله يحب المحسنين

دور

١٠ دولة بالعـدل قامت والأمان إذ تولاّها سليمان الزمان
صارت الدنيا بها روض الجنان وربأها نزهـةً للناظرين

دور

١٢ متّع اللهم بالملك السـعيد وأدِمْ سلطاننـا عبد المجيد
ربِّ واجعل ظلّه الوافى المديد سابغاً فوق جميـع العالمين

★ ★ ★

كان موت سمث نهاية توظيف الشيخ ناصيف عند الامريكان ، إذ لما عُين كونيليوس ڤانديك لإكمال عمل سمث في ترجمة التوراة لم يُجدد تعيين الشيخ ناصيف ولا تعيين المعلم بطرس ، بل اعتمد ڤانديك ، الذي أتقن اللغـة العربية اتقاناً مكّنه أن يؤلف فيها الكتب ، على مساعدة الشيخ يوسف الأسير . فأما البستاني فقد استقلّ عن الامريكان وأسس مدرسة أهلية غير طائفية واشتغل بالتأليف والنشر ، وأما الشيخ ناصيف فقـد اكتفى بتعليم العربية في مدرسة البستاني وغيرها ، وانصرف إلى تأليف المزيد من الكتب المدرسية واللغوية . ولعل أقدم الاولى هو كتاب « فصل الخطاب في لغة الأعراب » الذي طبع لأول مرة في مالطه سنة ١٨٣٦ ، ثم طبع مراراً في بيروت .

والنماذج السابقة من نثر الشيخ ناصيف وشعره الذي لم ينشر جديرة باهتمام اللغويين والادباء والمؤرخين . وقلما يجد المدقق في الشعر ما يؤخذ على الشاعر ، ولكن نثر الرسائل فيه ركاكة وكلمات غير قاموسية وبعض الأغلاط التي يستغرب وقوعها . ولا يجوز لنا إرجاع ذلك إلى تهاون أو تبسيط لأن المكتوب له كان اعجمياً ، فالشيخ ناصيف كان يعلم حق العلم ان سمث تمكن من اللغة العربية تمكناً جعله يكتبها كأحد أدبائها . ولكن لا شك ان سبب ذلك سهو لا جهل . ونثبت فيما يلي نص كتاب غير مؤرخ ترد فيه عبارة « إذا كنتم تريدوا » ثلاث مرات ، بالاضافة إلى هفوات أخرى يراها القارئ في النص الآتي وصورته الشمسية المقابلة :

يكرم براحات الجناب الاكرم الخواجا سميث الامركاني المحترم دام بقاه

غب ابلاغ ما وجب ولاق انه قد وصل تحرير الجناب الكريم مع كتاب التاريخ المرسل ونحن نذكر ان تاريخ الامير حيدر الذي نسخناه كان إلى حد الفرنساوية وتاريخ القس حنانيا إلى مقاربة قتل جرجس باز فاذا كنتم تريدوا وصل تاريخ الأمير بعضه يلزم أن نرجع إلى نهاية المنسوخ عندكم ونوصل الاول بالثاني غير ان هـذا الجزء الذي أرسلتموه ناقص بين سنة ١٢٠٩ وسنة ١٢١٨ وبينهما حديث الفرنساوية لانه كان سنة ١٢١٣ فربما توجد الأوراق الفاقدة منه عند صاحبه وإذا كنتم تريدوا وصله بتاريخ القس حنانيا فذلك أيسر غير ان الكتاب يكون لمورخَين وهذا لا باس منه لانه لا يلزمنا ذكر ذلك وإذا كنتم تريدوا أن يكون هذا مجلداً بذاته فلا باس غير انه كما نرى لا بد من الوقوف على نهاية الحديث الذي نريد أن نكمّله من هذا الكتاب على أحد الأوجه لأن الغالب على ظننا أن قتل جرجس باز غير مذكور في الذي نسخناه وهذا لا يتم إلا بحضور جنابكم إلى هذا الطرف فعرفونا ما يحسن ودام بقاكم (١) .

الداعي لجنابكم

ناصيف

اليازجي

(١) الـكلمة في الأصل بلا نقط .

(المجلة)

صورة شمسية من نثر الشيخ ناصيف اليازجي

بقي أن نقول كلمة عن المرحلة الأخيرة من علاقة الشيخ ناصيف بالمبشرين الامريكان ، فبعد موت سمث أصبحت صلته بهم واهية ولكنها لم تنقطع ، إذ رجعوا إليه أحياناً لتصحيح بعض المطبوعات . وكانت آخر وظيفة تقلدها عندهم هي تدريس اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية الانجيلية التي فتحت في آخر سنة ١٨٦٦ . والغالب انه تولى التدريس فيها في السنة العلمية الثانية فقط ، أي ١٨٦٧ — ١٨٦٨ ، لأنه لا ذكر لاسمه بين معلمي السنة الأولى ، وتقرير رئيس الكلية دانيال بلس عن السنة الثالثة يذكر الشيخ يوسف الأسير لا الشيخ ناصيف معلماً للغة العربية . (١) ولعل سبب التغيير ما جاء في تقرير بلس المؤرخ في ٢٤ حزيران سنة ١٨٦٨ : « يظهر ان الشيخ ناصيف ، على سعة علمه في اللغة العربية ، لا قدرة له على تعليم الطلاب أو تنبيه عقولهم لحب المعرفة » .

ومع هذا ربما اضطر الشيخ ناصيف إلى ترك التدريس من تلقاء نفسه ، لأن صحته قد ساءت حينئذٍ ، ثم أصيب بفالج عطله عن العمل والحركة في السنتين الأخيرتين من حياته ، قبل أن وافاه الأجل في شباط سنة ١٨٧١ .

عبد اللطيف الطيباوي



(١) اطلعنا على جميع تقارير دانيال بلس الخطية في خزانة رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت .

ملاحظات

على «الموسوعة العربية الميسرة»

- ٤ -

حرف السين

(٢٢٦) ص ٩٤٢ (ساد ... جندي فرنسي ... كتب فاضحة ، منها (بؤس الفضيلة) و (قصة جوليت) و (أزهار الرذيلة) .

ومن التصحيح على هذا : أ — جندي : ضابط . ب — بؤس الفضيلة : حسنَين (كذا) أو بؤس الفضيلة . د — (قصة جوليت) و (أزهار الرذيلة) : قصة (جوليت أو ازدهار الرذيلة) .

(٢٢٧) ص ٩٤٢ (سارتر ... ومن رواياته : الغثيان ... وسبل الحرية .. ومن مسرحياته (الفاضلة) .. و (موتى بلا مدفن) .. ومن أشهرها (الذباب) .. وترجمت إلى العربية بعنوان (الندم) والأيدى القذرة .. ترجمت إلى العربية .

أ — الغثيان وسبل الحرية والفاضلة وموتى بلا مدفن ... مما ترجم إلى العربية وقد ترجمت الثانية بعنوان دروب الحرية والثالثة بعنوان البغي الفاضلة والرابعة بعنوان موتى بلا قبور .. وهي مما ترجمته دار الآداب ببيروت ، وترجمت لسارتر كثيراً غيرها .

ب — ترجمت الذباب بعنوان الذباب أيضاً .

(٢٢٨) ص ٩٤٥ (سافون ، أعظم شاعر يونانية ..) صحيح اللفظ سافو أو صافو .

(٢٢٩) ص ٩٤٧ (سامانيون ، أو الدولة السمانية) : السامانية (نسبة إلى سامان) .

(٢٣٠) ص ٩٤٨ (ساميون ... يشمل ... الأكاديين ... سرجون ملك آكاد ... » .

وردت (اكاد) في الموسوعة مرة بالهمز ومرة بالمد . ويبدو أن الهمز هو الصحيح .

(٢٣١) ص ٩٥٠ (سان سيمون ... أهم أعماله (خطابات من مقيم في جنيف) الصحيح : رسائل من ...

(٢٣٢) ص ٩٥٤ (ساند ، جورج ... روائية فرنسية ... أول قصتين لها : (السيدة الأولى) ١٨٣١ و (وردي وأبيض) كتبتها بالاشتراك مع جول ساندو ... كتبت وحدها ... (أحاديث جدتي) ... و (الشتاء في ماجوركا ...) .

أ — ساند : صاند Sand تلفظ بالفرنسية أقرب الى الصاد . ب — لم أعثر لها على قصة بعنوان (السيدة الأولى) ، ولم أقف على (وردي وأبيض) لأعرف الترجمة الصحيحة للعنوان : ولكن الذي لا شك فيه أن (أبيض) يجب أن تكون (بيضاء) لأنها Rose et Blanche . جـ — أحاديث جدتي : أحاديث جدة أو حكايات جدة . د — الشتاء في ماجوركا : شتاء في ماجورك .

(٢٣٣) ص ٩٦٣ (ستاندال .. روائي فرنسي ... ومن أشهر السير التي ألفها سيرة هنري برولار) التي ترجمت الى لغات عدة .

أ — ستاندال : ستَنْدال Stendhal . ب — سيرة هنري برولار ... : توهم عبارة الموسوعة أن المترجم له فيها شخص ما ، وهو لدى التحقيق ستندال نفسه ، وليذكر أن اسم ستندال الحقيقي : Henri Beyle :

(٢٣٤) ص ٩٧٠ (سجاح . . شاعرة أديبة ..) : سجاح ليست شاعرة ..

(٢٣٥) ص ٩٧٠ (سجع ... تواطؤ الفقرتين من النثر على حرف واحد ... والتزم الكتاب العباسيون السجع ، وظهرت مدرسة ابن العميد والصاحب ابن عبّاد التي اتصفت بسجع الفقرات ثم مدرسة القاضي الفاضل ... وعد السجع أعلى مرحلة من البلاغـــة فاتبعوه في مؤلفاتهم ، حتى المؤرخين في تواريخهم مثل العتبي وابن العماد ... » .

أ — تواطؤ الفقرتين : تواطؤ الفاصلتين (ينظر التلخيص للقزويني) . ب — لم يلتزم الكتاب العباسيون كلهم السجع ، ويكفي أن نذكر ابن المقفع والجاحظ ، ولذا وجب أن تقول الموسوعة : « التزم الكتاب المتأخرون من العصور العباسية السجع . . » . جـ — كلمة (مدرسة) لا دلالة لها ولا موجب (وان استعملها الزيات في كتابه تاريخ الأدب ...) د — أعلى مرحلة ... في العصور العباسية المتأخرة (وفيما يسمى بالفترة المظلمة ...) هـ — حتى المؤرخين : حتى المؤرخون . و — ابن العماد : العماد (أي العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ ، لأن ابن العماد وهو عبد الحي ... الحنبلي توفي سنة ١٠٨٩ وليس كلامه في كتابه « شذرات الذهب » سجعاً .

(٢٣٦) ص ٩٧٨ ، « سرفانتس ... رواية دون كيخوته ... أروع الكتب في الأدب العالمي » .

أ — دون كيخوته ت (مترجمة إلى العربية) . ب — أروع : من أروع .

(٢٣٧) ص ٩٧٩ « سركيس ، يوسف اليان ... له ... « معجم المطبوعات العربية والمعربة » ... لاشتماله على كل ما طبع باللغة العربية حتى عام ١٩٢٩ » .

أ — لم يشتمل على كل ما طبع ... فقد فات المؤلف شيء غير قليل ، وان المؤلف نفسه ضرب صفحاً « عن كتب الروايات الحديثة والكتب الدينية النصرانية ... ما خلا بعض حكايات لها علاقة بالتاريخ والأدب » وعن ذكر

« جميع الكتب المطبوعة في بلاد الهند وبلاد العجم .. طبع حجر ... وكذلك الكتب المطبوعة في المغرب بمدينة فاس ... » ـ ينظر التنبيه على الصفحة د من المعجم .

ب — ١٩٢٩ : ١٩١٩ .

(٢٣٨) ص ٩٨١ « سعد بن أبي وقّاص ... فتح فارس بعد معركة القادسية ومعركة جلولاء . . » .

فتح سعد ما يعرف بالعراق ، أما فارس (إيران) فلم يفتحها سعد وإنما فتحها قادة آخرون منهم النعمان بن مُقرن وحُذيفة بن اليمان ...

(٢٣٩) ص ٩٨٢ « سعدي الشيرازي ، أحد أنبياء الشعر الثلاثة عند الفرس (الفردوسي وأنورى) ... عاصر محنة غزو المغول للعالم الإسلامي ودخولهم بغداد التي رثاها ... كتب كتابيه « الكلستان » و « البستان » ... عني الترك بكتبه فترجموها وشرحوها ، وكذلك ترجمت هـــذه الكتب إلى العربية » .

أ — يُذكر سعدي على أنه أحد الشعراء الكبار الثلاثة . وهذا ما يمكن أن يوجّه لقارئ موسوعة ميسرة لأنه هو الشائع المعروف المقرر لدى الفرس أنفسهم ، أما مسألة « الأنبياء الثلاثة » فهي خاصة ليس لها من ذيوع الدلالة ما للشعراء الكبار الثلاثة .

ب — الكلستان : گلستان ، ولا تدخل عليها « ال » وإذا دخلت بقيت خارج القوسين . ومناسب أن تترجم إلى العربية كأن يقال (الروضة) كما فعل سعدي نفسه ، وكما فعل الأستاذ محمد موسى هنداوي لدي ترجمتــه العربية ، أما محمد الفراتي فقد جعل عنوان ترجمته (روضة الورد) ـ ولا بد من النص على أن (گلستان) كتاب نثري .

جـ — البستان : بوستان أو الـ (بوستان) لأن (البستان) العربيـــة (أو المعربة) ليست دقيقة فيما قصد إليه سعدي أي (مكان الرائحة) الطيبة ... ـ وبوستان ديوان شعر .

د ـ عني الأتراك ... : كانت عناية الترك فائقة ، ولكن عناية الهند جديرة أن تذكر ... وعناية الغرب كذلك .

هـ ـ لم تترجم كتب سعدي (كلها) الى العربية .

و ـ مناسب جداً أن تذكر ـ وهي تكتب لعرب ـ أن لسعدي شعراً باللغة العربية ...

(٢٤٠) ص ٩٨٢ (سعود بن عبد العزيز ... خلف أباه الملك عبد العزيز ابن سعود ..) .

الصحيح عبد العزيز بن عبد الرحمن (الفيصل آل سعود) .

(٢٤١) ص ٩٨٦ (السكاكي ... كتابه (مفتاح العلوم) .... ألف حوله كثير من الشروح والمختصرات والتعليقات ...) .

مفتاح العلوم ـ ط . والذي ألف حوله (كله) شرحاً وتلخيصاً قليل (ينظر حاجي خليفة ٣ : ١٧٦٣) لم يطبع منها شيء . أما الكثير فكان حول قسم منه ، القسم الثالث ، قسم المعاني والبيان .. (ينظر حاجي خليفة) وقد طبع كثير من الشرح والتلخيص للقزويني والتفتازاني وغيرهما .

(٢٤٢) ص ٩٩٣ (سكينة بنت الحسين . نبيلة شاعرة ...) : ليست سكينة شاعرة وأخشى أن يكون مرد الموسوعة أنها كانت تجتمع الى الشعراء أو ما روي أنها (كانت أحسن الناس شَعراً . . .) ـ ينظر الأغاني ط . دار الكتب ١٦ : ١٤٤ .

(٢٤٣) ص ٩٩٣ (سلاجقه ... وفي سنة ١٠٥٥ استنجد الخليفة العباسي القائم بزعيمهم طغرلبك ، للتخلص من سيطرة البويهين ... تمكن السلاجقة بزعامة ألب أرسلان ... من فتح الكرج وهزموا البيزنطيين في معركة ملاذكرد وأسروا الامبراطور البيزنطي رومانوس ...)

أ ـ لم يثبت (ولم يصح) أن الخليفة العباسي استنجد بطغرلبك ـ والترحيب غير الاستنجاد .

ب — لم تكن للبويهين (والملك الرحيم) سيطرة تذكر على الخليفة العباسي أيام طغرلبك وزحف السلاجقة .

جـ — ملاذكرد : ملازكرد (ينظر ابن الأثير ـ ط . الاستقامة ٨ : ١٠٩ عام ٤٦٣ . (أما ياقوت ـ معجم البلدان فيقـول مَنازْجِرد ... وأهله يقولون منازكرد ...)

د — رومانوس : يسميه العرب أرمانوس (ينظر ابن الأثير ...)

(٢٤٤) ص ٩٩٨ (سللي ... شاعر فرنسي من جماعة البرانس) : بارناس .

(٢٤٥) ص ٩٩٨ (سلمان الفارسي ... كان ... من مؤسسي التصوف ...

لم يقل أحد أن سلمان الفارسي من مؤسسي التصوف ، لأن التصوف بالمعنى الصحيح غير الزهد والتقشف ، ولم يبدأ أيام سلمان . والفرق كبير بين أن يكون سلمان من مؤسسي التصوف وأن يعتز متصوفة به ويدّعوه ـ ان الموسوعة الميسرة نفسها لم تذكر سلمان الفارسي لدى حديثها عن (التصوف) ص ٥٢٥ .

(٢٤٦) ص ١٠٠٢ (السماوي ، محمد ... شاعر عراقي ... له دواوين مطبوعة ...)

أ — ليس للسماوي ديوان مطبوع . ب — ديوانه مخطوط . جـ — الذي طبع له منظومات وأراجيز دينية تدخل فيما يسمى بالشعر التعليمي ـ ينظر علي الخاقاني ، شعراء الغري ١٠ : ٤٧٥ — ٥٠٣ ، رفائيل بطي ـ الأدب العصري ٢ : ٢٣ . هـ — يقترن بذكر السماوي ذكر الكتب والمخطوطات والنسخ .

(٢٤٧) ص ١٠١٦ (السمهودي ... له ... (الوفا بأخبار المصطفى) .

العنوان الصحيح : (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) ـ ط . اختصر به كتاباً له باسم : (اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) ـ وهو في عداد المفقودات .

(٢٤٨) ص ١٠١٧ (سميراميس ...) . لم تذكر الموسوعة ما اقترن باسمها من تشييد (الجنائن المعلقة) ببابل ـ وهي تعد في عجائب الدنيا .

(٢٤٩) ص ١٠١٨ (سنان : أحد أبناء ثابت بن قرة الحراني . كان يحلق بأبيه في معرفته بالعلوم وتمهره في الطب) .

يحلق : يلحق (ينظر ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء) .

(٢٥٠) ص ١٠١٩ (سنت اكسوبيرى ... كتب (بريد الجنـــوب) و (هروب الايل) .. و (قبطان الحرب) .. (الأمير الصغير) ...

أ ـ سنت اكسوبيري : سنت اكزوپري Sainte - Exupéry .

ب ـ هروب الليل : طيران الليل Vol de nuit (وهي مترجمـــة إلى العربية) ...

(٢٥١) ص ١٠١٩ (سنت بيف ... ناقد ومؤرخ أدبي فرنسي ... كتب أحاديث الاثنين الأولى والجديدة ...) .

أ ـ أحاديث الاثنين الأولى والجديدة : (أحاديث الاثنين) و (أثانين جديدة) .

ب ـ أهملت الموسوعة ذكر كتابه پور رويال (Port - Royal) وهو مهم جداً حتى برأى المؤلف نفسه ، ويعتز به اعتزازاً خاصاً .

(٢٥٢) ص ١٠٢١ (سنجر ... انتصر على ابن أخيه في معركة ساوى ...)

ساوى : ساوة (وينظر ابن الأثير ـ ط . الاستقامة ٨ : ٢٨٧ عام ٥١٣) .

(٢٥٣) ص ١٠٢٩ (سوخوم ... عاصمة جمهورية انجاز . .)

انجاز : ابخاز (وقد يحسن أن يقال بلاد الأبخاز أو أبخازيا) .

(٢٥٤) ص ١٠٣١ (السوربون : اسم يطلق غالباً على جامعة باريس) .

ليس الإطلاق صحيحاً ، وإنما هو (أو هي) جزء من جامعة باريس .

(٢٥٥) ص ١٠٣٢ (السوريانية : لغة آرامية ...) .

الصحيح : السريانية (لغة الآراميين) .

(٢٥٦) ص ١٠٣٤ (سوفوكليس ... وصلنا من مسرحياته سبع ...)

أ ـ وصلنا : وصل إلينا ب ـ ترجم الدكتور طه حسين ستاً من مسرحياته ...

(٢٥٧) ص ١٠٤٥ (سيبويه ، عمـر بن عثمان ... ولد بالبيضاء من مدن شيراز ...)

أ — عمر : عمرو . ب — ولد بالبيضاء : (وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء) – ابن خلكان ٣ : ١٣٤ – ٥ ، وينظر الخطيب البغدادي ١٢ : ١٩٥ .

حرف الشين

(٢٥٨) ص ١٠٦٢ « شاتوبريان ... كاتب فرنسي ... كتبه ... (أتلا) و (درينيه) ... »

الصحيح أتالا Atala ، رَنَ (اورَنَه) René – مترجمان الى العربية .

(٢٥٩) ص ١٠٧٣ (شبلي شميل ١٨٥٠ — ١٩١٧ ...) . يجعل الزركلي في الأعلام ٣ : ٢٢٧ ولادته عام ١٨٥٣ ، وكحالة في معجم المؤلفين عام ١٨٦٠ . ولم تذكر الموسوعة بين كتبه المهمة : (فلسفة النشوء والارتقاء) .

(٢٦٠) ص ١٠٧٤ (شتاينبيك ... رواياته ... (أعناب الغضب) ... (في مغيب القمر) ترجمت الى العربية .

أ — شتاينبيك : شتاينبك (Steinbeck) . ب — اعناب الغضب : ترجمت إلى العربية بعنوان (عناقيد الغضب) . جـ — في مغيب القمر ترجمت مرة أخرى بعنوان أفول القمر . د — مما ترجم له أيضـاً : مراعي السماء ، العاقر ، شارع السردين المعلب ، اللؤلؤة .

(٢٦١) ص ١٠٧٨ (الشدياق ....) لم تذكر له الموسوعة (الساق على الساق ...) .

(٢٦٢) ص ١٠٨٣ (الشريف الرضي ... درس اللغة والفقه والحديث والأدب وأخذ عن الفارسي والربعي وابن جني والمرزباني ... وكان إمامياً معتزلياً ... جمع من المختارات الأدبية : (المجازات النبوية ... وكتب التفسير : ... (تلخيص البيان في مجاز القرآن) ...

أ ـــ أخذ عن الفارسي ... هؤلاء أساتذة اللغة (والأدب) ، ولم تذكر الموسوعة أساتذته في الفروع الأخرى وأهملت ذكر الشيخ المفيد وهو اسم لا يمكن أن يهمل . ب ـ لا داعي إلى الإلحـــاح على اعتزال الشريف (في موسوعة ميسرة بخاصة) . ج ـــ ليس (المجازات النبوية) من المختارات الأدبية وإنما هو بيان لما في الأحاديث النبوية من استعارات ... د ـــ وليس تلخيص البيان .. تفسيراً بالمعنى المألوف للتفسير وإنما هو كما يدل عليه عنوانه ـ والكتابان ـ ط .

(٢٦٣) ص ١٠٨٣ (الشريف المرتضى ... وأشهر كتبه الأدبية أماليه المسماة (درر القلائد وغرر الفوائد) ... وله ديوان شعر كبير) .

أ ـــ درر القلائد وغرر الفوائد : غرر الفوائد ودرر القلائد ـ ط .

ب ـــ ديوانه ـ ط .

(٢٦٤) ص ١٠٩٦ (الشنفرى ... شهير بسرعة الجري) : شدة العدو (قيل : أعدى من الشنفرى) .

(٢٦٥) ص ١٠٩٧ (شينيه ، اندريه ... أمر روبسيير بالقبض عليه) : شينيه ، أندره André Chénier ... روبسپير .

(٢٦٦) ص ١٠٩٨ (شهرزاد ... ألف ليلة وليلة ... بمجرد ذيوع ترجمة جالان لليالي استلهم المؤلفون قصة شهرزاد أمثال بيير لويس وجونيه ودي رونيه في فرنسا ... واستلهم كتاب العربية حديثاً قصتها فاستوحاها طه حسين في أحلام شهرزاد والقصر المسحور . وتوفيق الحكيم في مسرحيته) .

أ ـــ يفهم من القول بمجرد ... الخ المعاصرة بين جالان وبيير لويس أو المعاصرة بين ذيوع الترجمة وبيير لويس ، وهذا غير صحيح ، فقد ترجم جالان ألف ليلة وليلة سنة ١٧٠٤ (ولنقل انه انتهى منها سنة ١٧١٧)

وقد عرفت وذاعت في عصره (ولنقل أواسط القرن الثامن عشر) ، ويعد پيير لويس Louys من كتّاب القرن العشرين (١٨٧٠ — ١٩٢٥) ونشر كتابه المقصود Les Aventures du roi Pausole سنة ١٩٠١ . أما دي رونيه (وصحيحه دي رنيه H. de Régnier) فقد توفي سنة ١٩٣٠ . وصحيح جونيه : جوتيه Gautier (١٨١١ — ١٨٧٢) .

ب — لم يؤلف طه حسين وحده القصر المسحور وإنما ألفه بالاشتراك مع توفيق الحكيم . ج — في مسرحيته : في مسرحيته شهرزاد) .

(٢٦٧) ١٠٩٩ (شو ... ومن مسرحياته ... بيت الأرامل) التي ترجمت إلى العربية ... ثم ... (القديسة جان دارك) ... وترجمت إلى العربية ...)

أ — مما ترجم لشو : كانديدا . ب — القديسة جان دارك : القديسة جان Saint Joan ، أما الترجمة العربية فقد صدرت بعنوان (جان دارك) فقط .

(٢٦٨) ص ١١٠١ (شوقي ، أحمد ...) توهم كتابة الاسم على هذه الصورة بأن شوقي اسم الأب وأحمد اسم الابن ، والحقيقة أن أحمد شوقي اسم واحد . ولم تذكر الموسوعة (الشوقيات) بين آثاره ــ وهي أهم ما يذكر .

(٢٦٩) ص ١١٠٥ (الشيرازى ، صدر الدين ... أكبر فلاسفة الفرس في عصر الصفويين والقاجريين يعرف بالخوند وملا ...)

الصحيح أ — يمكن أن يعد أكبر فلاسفة الفرس ... في (التصوف ممثــلاً في الإشراق . ب — القاجريين : القاجاريين . ج — الخوند : الـ « آخند » (أو آخوند) .

الدكتور علي جواد الطاهر

❋❋❋

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

مقدمة في نشأة شعر الوقوف على الأطلال

الحب عاطفة كبيرة من عواطف النفس الإنسانية . ولعله أقوى هذه العواطف إطلاقاً . وقد شعر بها الناس في جميع الأزمان شعوراً قوياً . ولا يضاهيها في ذلك عاطفة من العواطف الأخرى . ويستغرق الحب من فنون الأدب العالمي ، قديمه وحديثه ، شيئاً كثيراً ، ويشغل فيه حيزاً كبيراً .

والمرأة المحبوبة أو الإنسان المحبوب يصبح كائناً ممتازاً ، ويكتسب قيمة جديدة ليست للإنسان العادي . يسبغها عليه صاحب الحب في شيء كثير من الخيال . والأشياء التي يكون لها علاقة بهذا الإنسان المحبوب تكتسب هي أيضاً هذا الامتياز ، وهذه القيمة الجديدة ، بالقياس إلى الأشياء الأخرى . وتغدو بذلك ذات قدرة على إثارة الإحساسات والمشاعر التي يثيرها الإنسان المحبوب نفسه ، وعلى إثارة إحساسات ومشاعر خاصة أخرى .

وهذه الأشياء التي لها علاقة بالإنسان المحبوب تتمثل في بعض أدوات خاصة ، ذات قوة على الرمز والإيحاء ، مثل : الثياب والمناديل والهدايا المختلفة وغيرها . وتتمثل أيضاً في بعض حوادث معينة رافقت أطواراً في حياة الإنسان المحبوب . وتتمثل كذلك في أماكن خاصة شهدت جانباً من هذه الحياة ، وصارت كلها ذات قدرة على إيقاظ الذكرى .

وفي كل هذه الحالات يكون الإنسان المحبوب هو مبعثَ الإحساسات والمشاعر . وليست هذه الأشياء سوى وسائلَ للرمز إليه .

والدار التي قضى المحبوب شطراً من حياته في جنباتها من أبرز هـذه الأشياء وأقواها على إثارة الحنين والذكريات . قال نصيب الأسود الشاعر (١) :

أما والذي حجَّ المُلَبُّونَ بيتَه ... وعلَّمَ أيامَ الذبائحِ والنَّحْرِ

لقد زادني للغَمْرِ حبّاً وأهلِهِ ... ليالٍ أقامَتْهنَّ ليلى على الغَمْرِ

وهل يأثَمَنِّي اللهُ في أن ذكرتُها ... وعلَّلْتُ أصحابي بها ليلةَ النَّفْرِ

وسكَّنْتُ ما بي من كلالٍ ومن كرى ... وما بالمطايا من جُنوحٍ ولا فَتْرِ

ويبدو لي أن هذا الحنين الذي يشعر به الإنسان في دار الحبيب، بعد أن خلت هذه الدار من الحبيب ، هو الأصل وهو السر العميق في نشأة شعر الوقوف على الأطلال ، والبكاء عليها ، في الشعر العربي القديم .

ولسائل أن يسألنا الآن : إذا كان هذا الحنين الذي ينشأ في كل نفس إنسانية هو السبب في نشأة شعر الوقوف على الأطلال فما بال هذا الشعر قد ظهر عند العرب ، ولم يظهر عند غيرهم من الأمم ؟

ولنا أن نجيب على هذا السؤال بأن هذا الحنين هو الأساس الذي يقوم عليه شعر الوقوف على الأطلال في الحقيقة ، لأن هذا الشعر مرتبط بشعر الغزل ، ومتصل به دائماً في الأدب العربي ، ولا نجده قائماً بذاته وحده . فهو يأتي قبل الغزل في أغلب الأحيان ، ويأتي في ثنايا أبيات الغزل في بعض الأحيان . ويكون متصلاً به على كل حال . ولكن هذا الحنين الدفين في أعماق القلب ، الذي هو الأساس الأول في نشأة شعر الوقوف على الأطلال ، ليس

(١) الأبيات في لسان العرب (نفر) . وانظر أمالي القالي ٢٠٣/٢ .

شرطاً كافياً ، وإنما هناك شروط أخرى ، وجدت في حياة العرب ، ولم توجد عند غيرهم من الأمم . هذه الشروط تتمثل في حياة العرب الاجتماعية التي كانوا يحيونها في البادية .

فقد طبعت بيئة البادية حياة العرب الاجتماعية في الجاهلية بطابع خاص ، بدا أثره في جميع أنماط هذه الحياة . وتقوم حياة البادية على رعي الإبل والأغنام في الوديان التي تنبت الكلأ في مواسم المطر . فكان الأعراب من أصحاب الإبل والأغنام يرتحلون بأموالهم وأهليهم يتبعون مواقع الغيث ، ومنابت الكلأ . وهذه الرحلة تسمى « النُّجْعَة » . ثم ينتقلون بها جميعاً من مكان إلى مكان ، حتى يعودوا إلى منازلهم الأولى في الصيف ، ويقيموا فيها على مياههم من الآبار وغيرها .

ومن حياة التبدي للنجعة ، ثم الارتحال في البادية من موضع إلى موضع طلباً للماء والكلأ ، ثم الرجوع إلى المحاضر قرب المياه الدائمة في شهور الصيف نشأ شعر الوقوف على الأطلال في الشعر العربي في الجاهلية . ونفسر ذلك فيما يلي في تفصيل وفضل بيان .

لقد قسمت النجعة أيام السنة في حياة العرب إلى قسمين اثنين :

١ — حياة التبدي : وهي الخروج إلى البادية بالأموال في مواسم المطر للرعي وطلب الماء في الوديان والرياض .

٢ — حياة الحضر : أي الرجوع من البادية ، والإقامة في المنازل المعروفة الدائمة على المياه والآبار في فصل الجفاف .

وقد شرح ذلك أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (— ٢٧٦ هـ) في كتابه المعروف بكتاب « الأنواء في مواسم العرب » .

قال ابن قتيبة : « معنى التبدي أن يخرجوا إلى البوادي يبتغون الكلأ ومساقط الغيث . فلا يزالون كذلك إلى هَيْج النبات وانقطاع الرُّطْب وجفوف

الغدران . ثم يرجعون إلى محاضرهم ومياههم التي كانوا عليها[(١)] » . « والمقام في النُّجعة ثلاثة أزمنة كَمَلاً ، الربيع الأول وهو الخريف ، والشتاء ، والربيع الثاني . وهذه تسعة أشهر لمن تقدم في الخروج وتأخر عن الحضور »[(٢)].

وهكذا كان الأعراب بحكم حياتهم في الصحراء يُضطرون إلى التبدي والنجعة ، ثم إلى الارتحال من مكان إلى مكان طلباً للماء والمرعى كما قلنا . فكانوا يرعون الأرض التي ينزلونها حتى تنفد أعشابها ، وتنضب أمواهها ، فيقوضون بنيانهم ، ويرتحلون إلى أرض أخرى يجدون فيها العشب والماء ، بعد أن يتركوا في الأرض الأولى آثاراً باقية تدل على الحياة الماضية التي كانت فيها ، ثم رحلت عنها بعيداً .

وكان الأعراب في نزولهم على المياه تجتمع منهم عدة أحياء على ماء واحد وفي منزل واحد . فتنشأ مع الأيام ألفة ومودة وصلات قربى بين النازلين معاً ، تقرب بينهم ، وتكون سبباً في تعرف الفتيان والفتيات بعضهم ببعض ، في أثناء الأعمال اليومية في النهار ، وفي ساعات السمر على النار المشبوبة وسط البيوت في الليل .

وقد أطلق العرب على الناس الذين ينزلون معاً في مكان واحد كلمة « الخليط » . وهي بمعنى الصديق ، والقوم المجتمعين المتآلفين الذين أمرهم واحد ، وحياتهم واحدة في النجعة [(٣)]. وقد دخلت هذه الكلمة حيز الشعر ، وأصبحت كلمة شعرية غنية بالرمز والإيحاء ، تتردد في شعر الشعراء كثيراً ، ولا سيما في شعر الوقوف على الأطلال في مطالع القصائد .

(١) كتاب الأنواء ص ٩٦ .
(٢) كتاب الأنواء ص ١٠٠ .
(٣) انظر اللسان (خلط) .

وبعد حين من الدهر يُضطر الخليط النازلون في مكان واحد إلى الافتراق والرحيل . فكان كل فريق منهم يرحل إلى جهة ، ويذهب في سبيله إلى غير لقاء مأمول . وكان ذلك يسوءهم كثيراً ، فلذلك كثر ذكر الخليط والفراق والرحيل في شعر الوقوف على الأطلال عند العرب . جاء في لسان العرب في مادة (خلط) : « وإنما كثر ذلك (أي ذكر الخليط) في أشعارهم لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد . فإذا افترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك » .

قال بَشامَةُ بنُ الغَدِير :

إنّ الخَلِيطَ أجدُّوا البَيْنَ فابتَكَروا   لِنِيَّةٍ ، ثم ما عادوا ولا انتظروا

وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّيّ :

إن الخليط أجدُّوا البين فابتكروا   واهتاجَ شوقَكَ أحْداجٌ لها زُمَرُ

وقال جَريرٌ :

بان الخَلِيطُ ولو طُوِّعْتُ ما بانا   وقطّعوا من حبالِ الوصلِ أقرانا

وكل هذه الأبيات مطالع قصائد للشعراء المذكورين (١) .

وكلمة « الخليط » الشعرية هذه مأخوذة من « الخِلْطَة » ، بكسر الخاء ، وهي بمعنى المودة والعِشْرة .

وكثيراً ما كان الأعراب في رحلاتهم وأسفارهم يمرون بهذه المنازل التي كانوا نزلوا بها ، ثم خلفوها . فيجدونها خالية ساكنة ، تضرب في جنباتها الرياح . ويقفون قليلاً لينظروا إلى الآثار الباقية فيها ، وقد عدا عليها الخراب ، فيذكرون أياماً ماضية أصابوا فيها سروراً وسعادة ،

---

(١) انظر الأبيات وغيرها في اللسان (خلط) .

ونعموا فيها بالحب والمودة . ثم يسيرون لشؤونهم وقد حز الألم في نفوسهم ، وفاض الدمع من عيونهم ، لذكرى هذه الأيام الحبيبة إلى قلوبهم .

وهكذا فإن نمط الحياة الاجتماعية التي تدعو الأعراب إلى الارتحال من منزل إلى منزل ، ثم المرور بهذه المنازل المتروكة ، ورؤيتها خالية ساكنة ، والحنين الذي يثيره في النفس رؤيتها ، وتذكر الأيام الماضية فيها ، كل هذا في رأينا هو السبب في ظهور شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

ولسنا نرى هذا الرأي دون أن نجد له آثاراً في آراء غيرنا من النقاد العرب القدامى ، فقد قال ابن رشيق القيرواني في كتابه « العمدة » : « وكانوا قديماً (أي العرب) أصحاب خيام ينتقلون من موضع إلى آخر . فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار . فتلك ديارهم ، وليست كأبنيـــة الحاضرة . فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازاً ، لأن الحاضرة لا تنسفها الرياح ، ولا يمحوها المطر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمن طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيل [١] » .

يلفت نظرنا من كلام ابن رشيق هذا إشارته إلى تنقل العرب في حياتهم ، وإلى ذكر الديار في أشعارهم ، وذلك نتيجة لحياة التنقل . وهذا يقوي رأينا الذي شرحناه وفصلناه في نشأة شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

وقال الآمدي في كتابه « الموازنة » : « العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها . فإن كانت على سَنَن الطريق قال الذي له أرب في الوقوف لصاحبه أو أصحابه : قف وقفا وقفوا ، وإن لم تكن على سَنَن الطريق قال : عوجا وعرّجا وعوجوا وعرّجوا » [٢] .

---

(١) العمدة ١/١٩٨ـ ١٩٩ .

(٢) الموازنة ١/٤٠٩ .

وفي هذا الكلام أيضاً إشارة موجزة إلى حياة العرب في التنقل والارتحال من منزل إلى منزل ، ثم الاجتياز بهذه المنازل بعد حين من الدهر . وهذه الإشارة ، على الرغم من إيجازها الشديد ، تقوي رأينا في نشأة شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

* * *

وتعترضنا هنا قضية الأولية في نشأة شعر الأطلال في الشعر العربي القديم . وزعم بعض الرواة أن امرأ القيس قد سبق إلى معان جديدة في الشعر ، وفنون طريفة فيه ، فاستوقف على الدار وبكى على الأطلال .

يقول ابن سلاّم الجُمَحي في كتابه « طبقات الشعراء » على لسان من يقدمون امرأ القيس على غيره من الشعراء : « فاحتج لامرئ القيس من يقدمه ، قال : ما قال ما لم يقولوا (أي الشعراء) ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، استحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء . منها : استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب ... » (١) .

ونفهم من كلام ابن سلاّم أن امرأ القيس هو الذي ابتدع شعر الوقوف على الأطلال . ولكن ابن سلام نفسه يشك في هذه الدعوى . ويستدل على صحة شكه بقول امرئ القيس نفسه (٢) :

عُوجا على الطلَلِ المُحيلِ لعَلّنا   نَبْكي الديارَ كما بكى ابنُ خِذامِ

ونرى هنا امرأ القيس نفسه قد اعترف بأن شاعراً قبله قد سبقه إلى بكاء الأطلال . ويقول الرواة بأن هذا الشاعر من طَيِّئ . ولكنهم لا يعرفون اسمه ولا العصر الذي عاش فيه .(٣) هل كان قبل امرئ القيس أم كان حياً في زمانه ؟ لسنا ندري من ذلك شيئاً .

---

(١) طبقات الشعراء ٤٦ . وانظر العمدة ١/٩٤ ، والشعر والشعراء ٥٧ .
(٢) ديوانه ١١٤ .
(٣) طبقات الشعراء ٣٣ ، ولسان العرب (خذم) .

وهكذا نرى أن هذا القول ضعيف ، لا ينتهي بنا إلى اليقين في هذا الموضوع . وإنما ينتهي بنا إلى الشك وحسب . فلنبحث إذاً في الموضوع من وجه آخر . وذلك أننا إذا قرأنا شعر امرئ القيس وغيره من شعراء عصره نجد شعر الأطلال عندهم تاماً ناضجاً ، مؤتلف الأجزاء في ألفاظه ومعانيه . كما أننا نجده قائماً ثابتاً في شبه قاعدة فنية ، يلزمها الشعراء في مستهل قصائدهم . وكل ذلك يوحي إلينا أن شعر الأطلال عند امرئ القيس وأصحابه كان نتيجة تطور طويل ، في طريق طويلة ، قطعها هذا الشعر في تطوره وتغيره وتكامله خلال عصور سابقة لعصر امرئ القيس وأصحابه .

على أن امرأ القيس إن لم يكن هو الذي فتح هذا الباب ، وسبق غيره من الشعراء إلى الوقوف على الأطلال ، والبكاء في الديار ، فلا يبعد عندنا أن يكون هو الذي أكثر من هذا البكاء في قصائده ، وأطال فيه ، وصرف القول فيه على فنون كثيرة ، وأتى فيه بأكثر معانيه ، حتى صار بعض الرواة ومن اتبعهم من الأدباء والنقاد العرب القدامى ينسبون إليه اختراع هذا الفن وسبقه إليه .

والنتيجة أن امرأ القيس قد جوّد شعر الوقوف على الأطلال ، وأطال فيه ، وزاد في معانيه وصوره . ولكننا ، مع هذا ، لا نقبل رأي القائلين بأنه هو الذي ابتدعه ابتداعاً ، من غير مثال سابق عليه . والحق بعدُ أنه لا حاجة بنا إلى افتراض أسبقية شاعر معين في مثل هذه الفنون والمعاني الراسخة في نفسية المجتمع وأجياله المتتابعة خلال العصور ، والمستمدة من أصول حياتهم الاجتماعية في بيئتهم الخاصة ، كما بيّنّا آنفاً .

★ ★ ★

سار الشعراء الجاهليون منذ امرئ القيس على ابتداء قصائدهم بالوقوف على الأطلال ، والبكاء على الديار ، والاستطراد إلى وصفها . وجعلوا من ذلك (شبه قاعدة فنية) ، لا يخرجون عليها إلا في أحوال نادرة . ويبدو لنا أن (الوسيلة الفنية الكبرى) لافتتاح القصائد عند الشعراء الجاهليين هو التغزل بالمرأة المحبوبة ، وأن الوقوف على الديار والبكاء على أطلالها (وسيلة فنية صغرى) ، يقدمون بها بين يدي هذا الغزل نفسه في أغلب الأحيان .

وهذه أبيات من الشعر الجاهلي نسوقها مثالاً وإيضاحاً لما قلناه . وهي تعتبر أنموذجاً جيداً لابتداء القصائد في الشعر الجاهلي . قال عبيد بن الأبرص الأسدي في ابتداء قصيدة له (١) :

لمن الدارُ أقفرتْ بالجِنابِ ... غيرَ نُؤْيٍ ودِمْنةٍ كالكتابِ

غيّرتْها الصَّبا ، ونفحُ جَنوبٍ ... وشمالٍ تذرو دُقاقَ الترابِ

فتراوحنها ، وكلُّ مُلِثٍّ ... دائمِ الرعدِ ، مُرْجحِنِّ السحابِ (٢)

أوحشتْ بعد ضُمَّرٍ كالسعالي ... من بناتِ الوجيهِ أو حَلاّبِ (٣)

ومُراحٍ ومَسْرَحٍ وحُلولٍ ... ورعابيبَ كالدُّمى وقِبابِ (٤)

وكهولٍ ذوي ندىً وحلومٍ ... وشبابٍ أنجادَ غُلْبِ الرقابِ (٥)

---

(١) ديوانه ٢١ ـ ٢٣ .

(٢) تراوحنها : تعاقبن عليها . والملث : المطر الدائم . والمرجحن : الذي يهتز .

(٣) الضمر : الخيل القليلة اللحم . والوجيه والحلاب : فرسان كريمان مشهوران من خيل العرب .

(٤) المراح : مأوى الإبل في الليل . والمسرح : مرعاها في النهار . والحلول : الجماعة المقيمون . والرعابيب : النساء البيض الحسان .

(٥) الحلوم : العقول . وغلب الرقاب : غلاظها ، وهذا دليل القوة .

هيَّج الشوقَ لي معارفُ منها حين حلَّ المشيبُ دارَ الشبابِ
أوطنتْها عُفْرُ الظباء، وكانت قبلُ أوطانَ بُدَّنٍ أترابِ(١)
خُرَّدٍ، بينهن خَوْدٌ سبتْني بدلالٍ، وهيَّجتْ أطرابي(٢)
صَعْدَةٌ ما علا الحقيبةَ منها وكثيبٌ ما كان تحت الحِقابِ(٣)

★ ★ ★

إننا إنمـــا خُلِقْنا رؤوساً من يُسَوِّي الرؤوسَ بالأذنابِ
لا نقي بالأحساب مالاً، ولكن نجعل المالَ جُنَّةَ الأحسابِ

نرى الشاعر في هذه الأبيات قد وقف على الديار، ثم شرع في نعتها وقد خربت وتغيرت. ثم طار به خياله، حين رآها خالية موحشة، إلى تصور الحياة الجميلة الغنية التي كانت تضطرب في جنباتها في الأيام الماضية. ثم ذكر هواه القديم في هذه الديار، إذ سبته صبية حسناء ناعمة. وبدأ يصف محاسنها متغزلاً. وبعد ذلك كله أخذ في غرضه الأصلي الذي بنى قصيدته عليه، وهو الفخر هنا.

كان الغزل إذاً وسيلة إلى الغرض العام في القصيدة، وكان شعر الوقوف على الأطلال وسيلة إلى هذا الغزل. ومهما يكن من أمر فقد كان شعر الوقوف على الأطلال مستقلاً عن الغزل، ولم يكن معنى من معانيه كما يبدو للوهلة الأولى، وإن كان متصلاً به من حيث الجو العام الذي تسري فيه أنغام عاطفة الحب.

---

(١) أوطنتها: سكنتها. بدن: أي نساء بادنات صحيحات الأجسام.
(٢) الخرد: الخفرات، مفردها خريدة. والخود: الحسناء الشابة. وأطرابي: أشواقي.
(٣) صعدة: أي هي مستوية كالرمح في أعلاها. والحقيبة: العجيزة. والكثيب: تل الرمل، شبه به عجيزتها. والحقاب: نطاق تشده المرأة في وسطها.

هذا وقد جاء شعر الأطلال مستقلاً استقلالاً تاماً عن الغزل في قصائد كثيرة ، وقف أصحابها على الديار ، وبكوا أطلالها . ثم خلصوا منهـــا إلى أغراضهم العامة خلاصاً مباشراً ، دون أن يخرجوا من شعر الأطلال إلى الغزل ، كما هي العادة المألوفة في القاعدة الفنية العامة .

★ ★ ★

أنشد الشعراء الجاهليون بعد امرىء القيس شعراً كثيراً في الوقوف على الديار ، والبكاء على الأطلال . وسار الشعراء الإسلاميون على خطى الجاهليين في الإكثار من شعر الوقوف على الأطلال . واتبعهم في ذلك شعراء العرب في العصور التالية .

وسوف نعرض في الفصول الآتية من بحثنا هذا للشعر الذي قاله شعراء العرب في الوقوف على الأطلال في هذه العصور الأدبية . فنتتبعه من أقصى الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث الهجري . فنرى أولاً المعاني العامة التي أتى بها الشعراء في هذا الشعر . وهذا هو الفصل الأول من بحثنا . ثم نرى مسألة تطور هذا الشعر خلال العصور التي ذكرناها ، ونبين أسباب هذا التطور . وهذا هو الفصل الثاني من بحثنا .

وبعد هذين الفصلين ندرس الشعور الفني الذي يثيره في نفوسنا شعر الوقوف على الأطلال حين قراءتنا له . ونحلل هذا الشعور الفني إلى عناصره التي تشترك في تأليفه . وهذا هو الفصل الثالث من بحثنا . ثم نختم كل ذلك بخاتمة نبين فيها الأسباب في حياة شعر الوقوف على الأطلال واستمراره خلال هـذه العصور الأدبية .

وستكون خطتنا في دراسة كل هذه الأمور خطة الإيجاز ، والوقوف على الخطوط العامة في الموضوع ، دون الاهتمام بالتفاصيل الجزئية الدقيقة .

الفصل الاول

المعاني العامة في شعر الوقوف على الأطلال

تمهيـــد

المعاني التي أتى بها شعراء العرب في الجاهلية في شعر الوقوف على الأطلال ليست بكثيرة . ويمكننا في سهولة ويسر أن نستقصي هذه المعاني ، ثم نضع لها ثَبْتاً إحصائياً إن لم يكن تاماً كل التمام فهو يقرب من التمام . ويمكن لنا أن نستقري طرفاً من هـذه المعاني من الأبيات الأولى ، من معلقة امرىء القيس التي بدأها بالوقوف على الأطلال (١) .

وقد عرض الآمدي لهذا الأمر في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري في (فن الابتداء) ، أي فن ابتداء القصيدة . فأثبت في البدء المعاني التي يريد أن يوازن فيها بين الشاعرين في قوله :

« وأنا أبتدىء – بإذن الله – من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدِّمَن والأطلال ، والسلام عليها ، وتعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسقيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يَخْلُف قطينَها الذين كانوا حُلولاً بها من الوحش ، وفي تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها (٢) » .

---

(١) ديوان امرىء القيس ٨ – ٩ .
(٢) الموازنة ٤٠٥/١ .

ولكن الآمدي ، حين الموازنة الحقيقية في الكتاب ، ذكر هذه المعاني كما في التصنيف الآتي :

١ – الابتداء بذكر الوقوف على الديار (ص ٤٠٦ و ٥١٢) .
٢ – التسليم على الديار (ص ٤١٧) .
٣ – تعفية الدهور والأزمان للديار (ص ٤٢٠) .
٤ – إقواء الديار وتعفيّها (ص ٤٢١) .
٥ – تعفية الرياح للديار (ص ٤٢٣ و ٤٦٤) .
٦ – في البكاء على الديار (ص ٤٢٥ و ٥٣٤) .
٧ – في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب (ص ٤٢٨ و ٤٧٠) .
٨ – فيما يخلّف الظاعنين في الديار من الوحش وما يقارب معنـــاه (ص ٤٣٣ و ٥٠٥) .
٩ – فيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها (ص ٤٣٥) .
١٠ – في الدعاء للدار بالسقيا والخصب والنبات (ص ٤٣٦ و ٤٩٧) .
١١ – في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار (ص ٤٣٩ و ٥١٢) .
١٢ – أوصاف الديار ووصف أطلال الديار وآثارها (ص ٤٤٦ و ٤٥٥) .

فزاد كما نرى معنى هاماً ، لم يذكره أولاً ، وهو ما سماه « ما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها » .

وقد تتبعنا نحن المعاني التي أتى بها شعراء العرب في الوقوف على الأطلال من أقصى الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث ، واستقصيناها ، وصنفناها في الجدول الآتي ، بعد ضم المعاني المتقاربة بعضها إلى بعض في معنى واحد عام . وقد صار عندنا ما يقرب من اليقين أن معاني شعر الوقوف على الأطلال لا تخرج ، أو لا تكاد تخرج ، عما نذكره في هذا الجدول :

١ ـ ذكر الوقوف على الديار . ٢ ـ تعيين مكان الديار . ٣ ـ التسليم على الديار . ٤ ـ تعيين زمن الوقوف على الديار . ٥ ـ ذكر مدة فراق الديار . ٦ ـ سؤال الديار ، وتكليمها ، واستعجامها عن الجواب . ٧ ـ الدعاء للديار بالسقيا . ٨ ـ وصف الديار ، ووصف بقاياها . ٩ ـ تخريب الديار . ١٠ ـ الحيوان الذي يألف الديار بعد خلائها من أهلها . ١١ ـ حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار . ١٢ ـ استعانة الشاعر بأصحابه ، والمشاركة الوجدانية بينهم وبين الشاعر . ١٣ ـ ذكر صاحبة الديار والتغزل بها .

وقد أتى امرؤ القيس بالقسم الأعظم من هـذه المعاني ، التي ذكرناها في الجدول ، في شعره الذي قاله في الوقوف على الأطلال ، على تفاوت منه في الإكثار من ترداد بعضها ، والإقلال من ذكر بعضها . وقد تتبعنا المعاني التي أتى بها في شعره ، واستقصيناها في الجدول الآتي :

١ ـ ذكر الوقوف على الديار . ٢ ـ تعيين مكان الديار . ٣ ـ التسليم على الديار . ٤ ـ سؤال الديار ، واستعجامها عن الجواب . ٥ ـ وصف الديار ووصف بقاياها . ٦ ـ تخريب الديار . ٧ ـ الحيـــوان الذي يألف الديار . ٨ ـ حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار . ٩ ـ استعانة الشاعر بأصحابه ، والمشاركة الوجدانية بينهم . ١٠ ـ ذكر صاحبة الديار ، والتغزل بها .

* * *

وهنا بعض ملاحظات لا بد لنا من ذكرها :

أولى هذه اللاحظات أنه ليس من الضروري أن يبدأ الشاعر قصيدته بالمعنى الأول من هذه المعاني دائماً ، أي بالوقوف على الديار . فقد بدأ شعراء العرب قصائدهم بأكثر هذه المعاني التي ذكرناها في الجدول .

والملاحظة الثانية هي أنه ليس من الضروري أيضاً أن يتبع الشعراء في إيراد المعاني في قصائدهم هذا الترتيب الذي أوردناه في الجدول . إنهم يبدءون بأي معنى من هذه المعاني يختارونه ، ويسيرون في إيرادها على أي ترتيب يختارونه أيضاً .

والملاحظة الثالثة هي أنه ليس من الضروري أيضاً أن يأتي أحد الشعراء بهذه المعاني جميعاً ، في قصيدة واحدة . فقد يأتي ببعض هـــذه المعاني ، ويهمل بعضها ، في قصيدة واحدة ، دون أن يكون هنالك أية قاعدة فنية ، أو أي سبب آخر ، في إيراد هذا المعنى أو إهمال ذلك .

ولا يسعنا في بحثنا أن نعرض لكل هذه المعاني بالدرس ، لأن ذلك يطول . ولذا سنقتصر على البحث في بعض المعاني التي تعد أساسية في شعر الوقوف على الأطلال ، وكان الشعراء يهتمون بها في شعرهم اهتماماً أكبر من اهتمامهم بغيرها ، ويرددونها كثيراً . وهذه المعاني هي التي طرأ عليها التطور خلال العصور الأدبية . فلذلك سنقتصر عليها في البحث ، وهي :

١ — سؤال الديار وتكليمها واستعجامها عن الجواب .
٢ — وصف الديار ووصف بقاياها .
٣ — تخريب الديار .
٤ — الحيوان الذي يألف الديار بعد خلائها .
٥ — حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار .

١ — سؤال الديار وتكليمها

اعتاد شعراء العرب في شعر الوقوف على الأطلال أن ينادوا الديار بعد الوقوف عليها ، واعتادوا أن يسألوها عن أهليها الذين كانوا حلولاً فيها في الماضي ، ثم تحملوا عنها . واعتادوا أن يطلبوا إليها تكليمهم وتحديثهم عن

أخبارهم . وقد استطاعوا أن يجعلوا لهذه الديار أشخاصاً تسمع لهم ما يقولون . ولكنهم لم يصلوا إلى أن يجعلوها تجيبهم ، وتحدثهم حديث الأيام الماضية ، والذكريات الخالية . فقد كان جواب الديار على سؤالهم وكلامهم الصمت المطبق ، والسكون العميق ، لخلوها من الناس ، وعجزها عن الكلام .

قال امرؤ القيس :

يا دارَ ماويّةَ بالحائلِ فالسُّهْبِ فالخَبْتَيْنِ من عاقلِ
صَمَّ صَدَاها ، وعفا رسمُها واسْتَعْجَمَتْ عن منطق السائلِ

فالدار قد بادت حتى لا يسمع لها صدى . واستعجمت فلا تستطيع رداً على نداء الواقف بها .

والقاعدة العامة في شعر الوقوف على الأطلال هي : سؤال الديار عن أهليها من قبل الشعراء . ثم محاولة تكليمها والتحدث إليها . هذا من جهة . والسكوت عن الجواب من قبل الديار ، في كل الأحوال ، من جهة ثانية .

والصفات العامة التي توصف بها الديار في معرض سؤالها وتكليمها وسكوتها عن الجواب هي : الصمم والخرس والعجمة .

قال الأسودُ بن يَعْفُرَ النَّهْشَلِيُّ :

هل بالمنازل إن كلمتُها خَرَسُ أم ما بيانُ أثافٍ بينها قَبَسُ

نعم ، فالمنازل خرساء لا تكلم الواقف بها ، والأثافي صامتة لا تبين شيئاً . والرماد ساكت لا يرد جواباً .

ويقول عنترة العبسي :

أعْياكَ رسمُ الدار ، لم يتكلمِ ، حتى تكلم كالأصم الأعجمِ

أطال عنترة الوقوف في الدار ، وأطال في سؤالها وتكليمها حتى أعيا ، وحتى أعيته عن الجواب . ولكن سكوتها أوحى إليه بما يريد ، كأنها كلمته بالرمز والإيحاء .

وقد استطاع بعض الشعراء أن يصل إلى درجة إعطاء الديار نفحة الروح ، والقدرة على الكلام . ولكن هذه القدرة كانت ضعيفة خفيفة لا تكاد تبين شيئاً .

قال عوف بن عطية :

وقفتُ بهـــا أُصُلاً ما تُبين لسائلها القول إلا سِرارا

لقد ذُهِل الشاعر عن نفسه ، واستغرق في الذكريات ، حتى خيل إليه أن الديار تبين له القول ، ولكن في صوت خافت رفيق ، كأنها تسر إليه ما بقلبها من أحزان ، وتهمس في أذنه ما أبقت لهـا الأيام من ذكريات وآلام .

٢ ـــ وصف الديار ووصف بقاياها

يمكننا باستقراء شعر الأطلال أن نعرف بقايا الديار ، ونستقصيها ونصنفها في ضربين اثنين ، هما :

الرسوم ، وهي البقايا التي تكون على الأرض ، وتظهر لاصقة بها ، كبقايا الرماد والدمن وما تناثر من الفرش . والرسوم واحدها رَسْم ، وهو ما لصق بالأرض من آثار الدار .

الأطلال : وهي البقايا التي تظهر شاخصة ماثلة فوق الأرض ، كالأوتاد والأثافيّ وبقايا الخيام . والأطلال واحدها طَلَل ، وهو ما شخص وبرز فوق الأرض من آثار الديار .

وهذه البقايا من الرسوم والأطلال التي ذكرناها لم يخرج شعراء العرب جميعاً خلال العصور عن ذكرها في شعر الوقوف على الأطلال ، سواء كانوا من سكان البادية ، أو من أهل المدن الذين قطنـــوا الحواضر في الجاهلية والإسلام .

* * *

وقد اتبع الشعراء في وصفهم هذه البقايا طريقتين اثنتين :

الأولى هي (الطريقة المباشرة) في الوصف . ويعمد الشاعر في هذه الطريقة إلى ذكر الديار ، وتعداد بقاياها ، دون أن يلجأ إلى مخيلته ليستمد منها بعض صور فنية يشبه بها هذه البقايا .

والطريقة الثانية هي (الطريقة البيانية) في الوصف . ويعمد الشاعر في هذه الطريقة إلى (البيان) بمعناه البلاغي ، وهو الوصف والتصوير عن طريق التشبيه والاستعارة وما إلى ذلك .

ولن نعرض هنا للشعر الذي قيل في الأطلال على الطريقة المباشرة ، لأنه قليل في مادته ، ولا يغني شيئاً كثيراً في موضوعه .

ونقف عند الشعر الذي قيل على الطريقة البيانية ، وهو أغلب الشعر الذي قيل في الأطلال وأجوده ، لنرى التشبيهات والصور الفنية التي أتى بها الشعراء .

ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن الوصف في الشعر عامة يكون في أغلب الأحيان على الطريقة البيانية . والسر في ذلك هو أن غاية الشعر هي التزيين والتجميل أو التأثير في النفس ، كشأن سائر الفنون الجميلة . وتحقيق هذه الغاية أقرب ، والوصول إليها أيسر عن طريق التصوير البياني . فالشاعر ، في هذه الطريقة ، يستشف في شيء من الأشياء عناصر الجمال والزينة أو عوامل التأثير في النفس ، ثم يسبغها على الشيء الذي يصفه . فيزيد بذلك زينته وجماله ، أو يقوي عامل التأثير والإيحاء فيه .

وقد وصف هؤلاء الشعراء الديار بجملتها . كما أنهم وقفوا عند بقاياها ، فوصفوها جزءاً جزءاً . وسنعرض في الصفحات التالية للصور الشهيرة التي أتوا بها في وصف الديار عامة ، ونتبعها بالصور التي أتوا بها في وصف الأجزاء من بقايا الديار واحداً واحداً .

(يتبع) عزة حسن

المحتسب

في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

تأليف : أبي الفتح بن جني

- ٣ -

ص : ٩٨ س ٢ « ... ويلزم فيه زيادة النون في زرجون ... » .

في ت « ... ويلزم منه ... » وهو الصواب .

س ٤ - ٦ « أما « جَبْرَاييل وميكاييل » بياءين بعد الألف والمد فيقوى في نفسي أنها همزة مخففة مكسورة ، فخفيت وقربت من الياء ، فعبّر القراء عنها بالياء ، كما ترى في قوله عز وجل : « آلاء » عند تخفيف الهمز « آلاي » بالياء ... » .

ولا معنى لقوله : « كما ترى في قوله ... » في هذا الموضع . والصواب في ت : « كما قالوا في قوله ... » .

هذا ، وما أرى لفظ « آلاء » يصح في هذا الموضع أيضاً ، وصوابه فيما أرجح « اللاءِ = اللائي » فقد اختلف في قراءة هـذا الحرف في أربعة مواضع (سورة الأحزاب ، الآية ٤ ، وسورة المجادلة ، الآية : ٢ ، وسورة الطلاق ، الآية : ٤ وفيها موضعان) وهو الحرف الذي ربما عبر القراء عن مذهب من قرأه بحذف الياء وتسهيل الهمزة فيه بين بين = بالياء ، ومن

ذلك قول الداني في التيسير ص: ١٧٧ « ... وورش بياء مختلسة خلفاً من الهمزة ... » وقول أبي حيان في البحر المحيط ٢١١/٧ : « ... وورش بياء مختلسة الكسرة » . وقد أبان عن ذلك الإمام أبو شامة في إبراز المعاني ، ص: ٦٧ في تحقيق مذهب أبي عمرو في هذا الحرف وتركه الإدغام في قوله تعالى : (واللائي يئسن من المحيض) [سورة الأحزاب : ٤] وذلك قوله : « ... على أني أقول : سبب الإظهار عدم التقاء المثلين بسبب أن أبا عمرو ، رحمه الله ، كان يقرأ هذه الكلمة بتليين الهمزة بين بين ، وعبروا عنه بياء مختلسة الكسرة ... ». وانظر بسط الخلاف في قراءة هذا الحرف النشر ٣٩٨/١ ، والتيسير ، ص: ١٧٧ — ١٧٨ ، وإبراز المعاني ، ص ٤٣٤ — ٤٣٥ ، وشرح شعلة على الشاطبية ، ص: ٥٤٤ — ٥٤٥ ، والإتحاف ، ص: ٥٧ — ٥٨ ، ٣٥٢ — ٣٥٣ ، ٤١٢ ، ٤١٨ .

س ١٢ — ١٣ « وأيضاً فإنه إذا كان هذا النقل فإنما يكون في المتصل ، نحو : يستعدّ ويردّ ويفرّ ، فأما في المنفصل فإن ذلك ان يجيء في شيء منه إلا في حرف واحد شاذّ ... » .

في ت : « ... فإن ذلك لم يجيء ... » وهو محض الصواب ، إلا أن لفظ « يجيء » فيها يشبه أن يكون قد صُحّف إلى « يجز » .

س ١٥ « ... والأعلام فيما يكثر فيه ما لا يكون في غيره ... »

في ت « ... والأعلام ممّا ... » وهو الصواب .

س ١٨ — ١٩ « ... وأنت لا تقول في نحو : هذا قوم موسى : هـذا قوْمُّوسى ، لما ذكرناه من أن المنفصل في هذا النحو لم تنقله العرب كما نقلت المتصل » .

والصواب في « قومّوسى » أن يضبط بضم الواو لا بسكونها ، فهذا هو الوجه الذي لا يقال ، لأنه لا تنقل حركة الحرف الذي أسكن للادغام

في هذا النحو من المنفصل إلى الساكن قبله . ومن ثم منع المتقدمون إدغام المثلين والمتقاربين من المنفصل إذا كان ما قبل أولهما ساكناً صحيحاً .

س ٢٠ – ٢١ « ... وذلك لأن المدّ إنما كان فيه لبقاء نية الهمزة المخففة ولفظه فيه . هذا هو القول ، كقولهم بالمد ... » .

في ت : « ... لبقاء نية الهمز المخفف ... » وهو الوجه ، لتذكير الضمير العائد عليه في قوله : « ولفظه » . وفيها أيضاً : « لقولهم : بالمد » وهو الصواب أيضاً .

س ٢١ – ٢٢ « وإن كانت الألف والياء بعدها أتمّ صوتاً وأبعد ندى منها وبعدها غيرها من الحروف الصحاح ... » .

في ت : « ... وأبعد مدى ... » وهو الصواب .

ص ٩٩ س ٤ – ٦ « ... من قبل أن واو العطف لم تسكن في موضع علمناه ، وإنما يسكن بعدها مما يخلط معها فيكونان كالحرف الواحد ، نحو قول الله تعالى : « وهْو الله » وقوله سبحانه : « وهْو وليّهم » بسكون الهاء ... » .

في ت : « ... نحو قوله [تعالى] : « وهْوَ الله » وكذلك الفاء في قوله [سبحانه] : « فهْو وليهم » [سورة النحل : ٦٣] بسكون الهاء... » وهو أتمّ .

ص ١٠٠ س ٩ – ١١ : « إلا أنه جاء على حذف الزيادة كقوله :

عمرَكِ اللهَ ساعة حدثينـــا ودعينا من قول من يؤذينا

إنما هو : عمرتكِ الله تعميرا – دعاء لها – فحذفت زيادة التاء والياء » .

في ت : « ... فحذفت زيادتاه : التاء والياء » وهو محض الصواب .

س ١٢ – ١٣ : « وقد يمكن أن يكون وحدَه مصدر هو يحد وحداً فهو واحد » .

في ت : « ... مصدر وحد وهو يحد وحْدا ... » وهو أتم وأجدر بالصواب .

ص ١٠١ س ١ – ٢ « قيل : جاز ذلك لأنه أطلق عليها اللفظ الذي يعتاد حينئذ فيها ، ويطلقه الناس عليها ، فخوطب الإنسان على ذلك باللفظ الذي يعتاده أهل الوقت إذ ذاك ... » .

في ت : « ... فخوطب الإنسان بعد ذلك باللفظ الذي كان يعتاده ... » . وهو أشبه بالصواب .

س ٩ « وقراءة الزهري : « المرّ » بفتح الميم وتشديد الراء .

في ت : « ... وتشديد الراء بدل الهمزة » .

س ١٢ – ١٣ « قال أبو الفتح : أما قراءة الحسن وقتادة : « بين المَرِ » بفتح الميم وخفة الراء من غير همز فواضح الطريق ... » .

في ت : « ... بفتح الميم وكسر الراء ... » ويعززه قوله قبل أسطر في حكاية هذه القراءة : « ... بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز » . وبعيد أن يذكر تخفيف الراء دون حركتها . وربما كان لفظ « خفة » في المطبوع مصحفاً عن « خفض » .

ص ١٠٣ س ١٣ – ١٤ « ومن ذلك قراءة أبي رجاء ... وقرأ سعد بن أبي وقاص والحسن و ... وقراءة سعيد بن المسيب ... » .

في ت : « ... وقراءة سعد ... » وهو الصواب .

ص ١٠٧ س ٩ – ١٠ « ... فلما كان أمراً عارضاً ، وظلا في أكثر اللغات خالصاً ... » .

ولا معنى للخلوص هنا ، وصوابه كما في ت « ... قالصا » من « قلص الظل » إذا انقبض وانزوى وانضم .

ص ١٠٧ – ١٠٨ « ألا ترى إلى قوله :

وكحل العينين بالعواور

وكيف صحح الواو الثانية وإن كان قبلها الواو الأولى بينها ألف وقد جاوزت الطرف ... » .

والصواب كما في ت : « ... وبينها ألف » بزيادة الواو ، و « قد جاورت ... » بالراء المهملة .

ص ١٠٨ س ٣ - ٥ « ... وكما جعل حذف النون من قوله :

ارهن بنيك عنهم أرهن بني

أراد بنيّ ، فحذف الياء الثانية لتخفيف القافية ... » .

وما من مفعول ثان لـ « جعل » في هذه العبارة ، والصواب كما في ت : « وكما حذف النون من قوله ... » بإسقاط « جعل » إلا أن لفظ « النون » صُحِّف فيها إلى « التنوين » .

س ٧ — ٩ « ... وكما أنشدنا أبو علي للفرزدق من قوله :

تنظرت نصراً والسماكين أيْهما علي من الغيث استهلت مواطرهْ

أراد : أيّهما ، فاضطر إلى تخفيف الحروف فحذف الياء الثانية ... » .

في ت : « ... إلى تخفيف الحرف ... » بالإفراد ، وهو الصواب .

ص ١٠٩ س ٢ - ٥ « ... وذلك كقول الشاعر :

رجلان من ضبـــة أخبرانا إنا رأينـــا رجلا عريانا

فهو عندنا نحن على : قالا إنا رأينا ، وعلى قولهم لا إضمار قول هناك لكنه لما كان أخبرانا في معنى قالا صار كأنه قالا لنا ، فأما على إضمار قالا في الحقيقة فلا » .

في ت : « ... صار كأنه قال : قالا لنا ... » وهو أحرى بالصواب .

س ١٧ - ١٩ : « ... لكن من حذف فمنه السؤال ، وعلتـــه توالي الحركات مع الضمات ، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب » .

الحديث عن قراءة من قرأ : « ويعلمْهم » بإسكان الميم . وفي ت « ... ففيه السؤال » وهو أوجه ، وفيها أيضاً : « ... توالي الحركات مع الضمائر » وهو محض الصواب .

ص ١١٤ س ٥ ـ ٦ : « ... فأنت مقيم عليه ومحقوق به ، ولست دخيلاً فيه عن غير أول ... » .

الصواب « ... ومحفوف به » وهي في ت تشبه أن تكون كذلك ، إلا أن الفاء الأخيرة أعجمت فيها بنقطتين . وفي ت أيضاً : « ... من غير أول ... » وهو أشبه بالصواب .

س ٧ ـ ٨ « ولما أريد مثل هـــذا في الثناء على الله تعالى ولم يجز أن يكون تابعاً لسلف ولا موجوداً له فيه نظير ... » .

في ت : « نعم ولما أريد مثل هـذا ... » بزيادة « نعم » وهو أشبه بأسلوب أبي الفتح . وفيها أيضاً : « ... تابعاً فيه لسلف .. » وهو الصواب .

س ١١ — ١٢ : «... فكذلك قوله عز وجل : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » أي كانوا ممن يؤمن بالحق هذا الجنس على سمته وانتشار جهاته فقد اهتدوا » .

في ت : « ..... ـ أي كانوا ممن يؤمن بالحق ـ « فقد اهتدوا » = من هذا الجنس على سمته وانتشار جهاته » . وهو النظم البين للعبارة ، وأما تلك فلا يكاد يكون لها معنى مفهوم .

س ١٩ : « ... يقال : رؤف به ، ورأف به ، ورئف ... »

في ت : « ... ورئف به ... » وهو أحسن .

ص ١١٥ س ٣ : « ... وكأنه عليه السلام إنما رأى لقول الله تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجة ... » .

في ت : « ... إنما رأى هذا لقول الله تعالى ... » ولا يستقيم الكلام إلا بهذه الزيادة ، لئلا يخلو فعل « رأى » من مفعول .

س ١٨ ـ ١٩ « ... أما قراءة الجماعة : « فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما » تقرّباً بذلك ، أي فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما تقرباً بذلك إلى الله تعالى ... »

وقد خلت ت من « تقرباً بذاك » بعد الآية ، وهو الصواب . وأظن كاتب الأصل المغربي كتبها خطأ ثم وضع عليها علامـــة الإسقاط إلا أنه لم يُتَنَبَّه لذاك .

س ٢٠ : « ... ولو لم يكونا من شعائرهما لكان التطوف بهما بدعة لأنه إيجاب أمر لم يتقدم إيجابه ... »

في ت : « ... لأنه إيجاب رسم ... » وهو أوجه وأعلى .

ص ١١٦ س ١ - ٢ : « ... كما لو تطوّف بالبصرة أو بالكوفة أو بغيرهما من الأماكن على وجه القربة كما تطوّف بالحرم ... »

في ت : « ... كما يطَّوّفُ بالحرم ... » وهو الصواب .

س ٤ - ٥ « ... كالقصر بالسفر ، وترك الصوم ، ونحو ذلك من الرخص المسموح فيها » .

في ت : « ... كالقصر في السفر ..... المفسوح فيها » وهو أشبه بالصواب .

ص ١١٧ س ٣ - ٦ « ... وكأنه لما قال :

أسقى الإله عدوات الوادي وجوفـــه كل ملث غادي

كلٌّ أجش حالك السواد

فقد سقى الأجش ، فرفعه بفعل مضمر ، أي سقاها كل أجش ... » .

في ت : « ... وكما أنه لما قال .... ، أي فسقى الأجش = رفعه بفعل آخر مضمر ... » وهو الصواب الذي يقوم به المعنى ، وأما ما جاء في المطبوع فلا يكاد يحصل منه معنى مفهوم .

وقد ضبط في المطبوع لفظ « كل » من قوله « كل ملث غادي » بالرفع ، والصواب أن يضبط بالنصب كما في كتاب سيبويه ١٤٦/١ ، والخصائص ٤٢٥/٢ .

س ١٢ - ١٣ « ... ورثأت رُوحي بأبيات ... »

في ت : « ... ورثأت زَوجي ... » وهو الصواب ، وكذلك حكاها

أبو الفتح نفسه في الخصائص ٣/١٤٦ ، وهي كلمة مأثورة عن امرأة من العرب ، انظر اللسان (رثأ) .

السطر الأخير « ... فكذلك ليس البرَّ بأن تولوا بنصب البر كما في قراءة السبعة » .

في ت : « ... فكذلك ليس البرَّ بأن تولوا ، أي ليس البرَّ أن تولوا ، بنصب البر كما في قراءة السبعة » وهو أوفى وأتم .

ص ١١٨ س ٢ - ٣ « ... لو لم يكن شاذاً لما جوزنا قياساً عليه ما جوزناه ، ولكنَّا نوجب فيه البتة واجبا ... » .

في ت : « ... ولكنَّا نوجبه فيه ... » . وهو الصواب .

س ٢٢ « وقد يمكن أن يكون أيضاً يتطيَّقونه يتفعَّلون ... »

في ت : « ... يتفعَّلونه ... » وهو الصواب ؛ فإن أبا الفتح لزم في هذا البحث أن يلحق الضمير بميزان ما يزنه من الأفعال المعدَّاة إليه .

ص ١١٩ س ٣ - ٤ « وليس يقوى أن يكون يتطوَّقونه يتفوعلونه ولا يتفعولونه ، وإن كان اللفظ هنا كاللفظ بيتفعَّل ، لقلتها وكثرته » .

في ت : « ... وإن كان اللفظ بها ... » وهو محض الصواب .

س ٥ - ٦ « ... وكذلك يؤنس بكون يطيَّقونه يفعَّلونه قراءة من قرأ : يطوَّقونه » .

في ت : « ... يفعَّلونه لا يفيعَلونه قراءة ... » وهو أتم .

س ١٤ « ... فمحمول هذا أن في هذه الأسماء الأعلام التي أصلها الصفات معاني الأفعال » .

في ت : « ... فمحصول هذا ... » وهو الصواب .

س ١٧ : « ... فهي تحقق في العِلْم معنى الصفة مدحاً كانت الصفة أو ذماً » .

وصواب ضبط « العلم » بفتح العين واللام ، وهو ظاهر .

ص ١٢٠ س ٤ « ... لأنه إنما العرف فيه أن يسمى من الأسماء الحاملة لمعاني الأفعال مما كان فيه معنى المدح ... »

في ت : « ... ماكان فيه ... » ولعل الصواب « بما » .

ص ١٢٤ س ٥ - ٦ « ... لأنه جعل الصحه في الواو دليلاً على أنه أراد العواوير ، ولو لم يرد لذلك لوجب أن يهمز فيقول : العوائر » .

في ت : « .... ولو لم يرد ذلك ... » وهو الصواب .

س ١١ - ١٤ « ... وكما قال :

مال إلى أرطاة حقف فاضطجع

ثم أبدل الضاد لاماً فقال : الطجع ، وقد كان يجب إذا زالت الضاد أن ترجع تاء افتعل إلى اللفظ ... » .

في ت : « ... وكما قال :

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

أراد : فاضطجع ، ثم أبدل الضاد .... » وهو الصواب .

ص ١٢٦ س ٦ - ٧ : « وقال الآخر :

حدبا حدابير من الوخشنّ تركن راعيهن مثل الشنّ

وجاء في التعليق عليه في الحاشية ٣ : « ... والوخشن : يريد به الوخش ، وزاد فيه نوناً ثقيلة ، والوخشن : رذالة الناس وصغارهم وغيرهم ، يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد . وفي نسختي الأصل : الرخشن بالراء ، وهو تحريف » . اهـ . وكذلك جاء البيت ص ٢٩٠ أيضاً .

وفي ت : « ... من الدخشنّ » بالدال المهملة ، وهو الصواب ، وكذلك ورد في اللسان (دخشن) . وأظنه كذلك في الأصل المغربي إلا أن الدال اشتبهت بالراء . والدخشن - بتخفيف النون - الحدَبة ، وهو ضرب من النبات ، وقد شدد الراجز النون ضرورة .

ص ١٢٨ س ١٥ : « ... هذا لعمري هو أصل الحرف : رأى يرأى كرعى يرعى ... » .

في ت : « ... هو أصل هذا الحرف ... » وهو أتم .

ص ١٣٠ س ٤ – ٥ « ... لأنه لم يكن البدل عن استحكام العلة علةً فيراعى حال الوقف من حال الوصل .... » .

في ت : « ... عن استحكام علة فيراعى ... » وهو الصواب ، ويشهد بذلك قوله بعد أسطر : « ... ولعلهم أيضاً أن البدل من الواو لم يكن عن استحـكام علة فيعاودوا الأصل لزوالها ... » .

ص ١٣١ س ١٨ « ... اللهم أن يسمع شيء منه فيؤدى على ما فيه ... » والصواب : « اللهم إلا أن يسمع ... » وفي ت « ... إلا أن يسمع » بإسقاط « اللهم » وإثباتها أحسن وأشبه بأسلوب أبي الفتح .

ص ١٣٣ س ٧ – ٩ « ... وأن فَعْلى إذا كانت اسماً وكانت لامها ياءً فإنها تقلب إلى الواو ، نحو التقوى والبقوى والفتوى والرعوى والثنوى والعوّى ... » .

وقع في ت لفظ « الشَّرْوى » بدل « الثنوى » وكلا اللفظين مما يصح التمثيل به في هذا المقام . وقد يؤنس بأن ما في ت أشبه بأن يكون اللفظَ الذي مثل به أبو الفتح أنَّه عرض لهذه المسألة في المنصف ٢/١٥٧ وما بعدها ، وفي الخصائص ١/١٣٣ وما بعدها ، ومثل في كليهما بمعظم ما مثل به ها هنا ، وكان مما ساقه لفظ « الشروى » دون « الثنوى » . بيد أنه عرض لها أيضاً في سر الصناعة ١/٩٨ وما بعدها وكان فيما مثل به « الثنوى » دون الشروى » .

س ١٦ « ومثل الطاغية وكونها مصدراً على فاعلة ... »

في ت « ... في كونها ... » وهو أرجح .

ص ١٣٤ س ٥ ـ ٦ « ... ومثلها البالة من قولهم : ما باليت بهم بالة ، أصلها بالية ... » .

في ت : « ... في قولهم ... » وهو أشبه بالصواب .

ص ١٣٧ س ١٩ « ... إلا أن العرب قد تجري الوصل مجرى الوقف تارة ، وتارة الوقف مجرى الوصل ... »

في ت : « ... وتارة تجري الوقف مجرى الوصل ... وهو أشبه بالصواب .

ص ١٣٩ س ٧ « ومن ذلك قراءة الزهري .... وروي أيضاً ... »

في ت : « .... وروي عنه أيضاً ... » وبهذه الزيادة يتم الكلام . وانظر شواذ ابن خالويه ، ص : ١٦ .

س ١١ « ... أعمن الرجل : أتى َعمّان » .

والضبط الصحيح كما في ت : « أتى ُعمَان » .

ص ١٤٠ س ١٠ ـ ١١ « ... وذلك كقوله : أعطيته فأخذ ، ودعوته فأجاب ، ولا تقول هنا : أعطيته وأخذ ... » .

في ت : « وذلك كقولك .... » وهو ما يقتضيه قوله بعد : « ... ولا تقول هنا ... »

س ١٨ « ... أي لا تطع من فعل كذا ، يعدد أفعاله ... »

في ت : « ... من فعل كذا وفعل كذا يعدد أفعاله ... » وهو الصواب الذي يقتضيه سياق الكلام .

ص ١٤٣ س ١٤ — ١٥ « ... فيقول على هذا : قد تناظر القوم بينهم الحقوق ، كقولك : قد تسامحوا فيها .. »

في ت : « ... فتقول على هذا ... » بالخطاب ، وهو ما يقتضيه قوله بعد : « ... كقولك »

س ١٦ « ويقول عليه : لله متبايعان رأيتهما ، فقد تناظرا ، أي تسامحا ولم يتحاجا » .

في ت : « وتقول عليه ... » بالخطاب أيضاً وهو الوجه ، وفيها أيضاً : « ... فقد تناظرا ولم يتناظرا ... » وهو محض الصواب الذى لا يقوم معنى الكلام بغيره ، ويكون « تناظرا » من المناظرة بمعنى المسامحة . و « لم يتناظرا » من المناظرة بمعنى المحاجّة والمجادلة .

ص ١٤٤ س ١ « .... وذلك أنه ليس في الأسماء شيء على مَفْعُل بغير تاء ، لكنه بالهاء ، نحو المقدُرة و ... »

في ت « ... بغير هاء » ويرجحه قوله عقبه : « لكنه بالهاء » وقوله بعد أسطر « ... فطريقه عندنا أنه أراد مألكة ، وهي الرسالة ، غير أنه حذف الهاء وهو يريدها ... » .

س ٧ « ... وكما قال مالك بن جبار الطائي ... »

في ت « ... مالك بن .... » وهذا هو المعروف في أسمائهم ، ويظهر أنه كتب في الأصل المغربي بإسقاط الألف .

ص ١٤٥ س ٢٢ « ... هذا ينبغي أن يقال إذا عري الوضع من غرض معتمد ... »

في ت : « ... هذا إنما ينبغي ... » وهو أشبه بسياق الكلام .

ص ١٤٧ س ٩ « ويدل على أن الهمزة المحركة إذا خففت في نحو هذا .... »

في ت : « .... الهمزة المتحركة ... » وهو المألوف في عبارة أبي الفتح كما تقدم في نظير لها .

ص ١٤٨ س ١ ـ ٢ « فإن قلت : أسكن الهمزة تشبيهاً لها بالألف من حيث تساوتا في الجهر ، وفي الزيادة ، وفي البدل ، وفي الحرف ...... »
في ت : « .... وفي الحذف » وهو الوجه .

★ ★ ★

هذا جملة ما استدركته حتى ختام الكلام في « سورة البقرة » . وقد اجتمع لي من هذا القبيل فيما يلي ذلك قدر صالح ربما عرضته في مقالة تالية . وما أظنني ـ بعد ـ إلى غلوّ إذا ما رغبت إلى القائمين بالكتاب أن يعيدوا معارضته بالأصل ثانية ، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقه بأصول أخرى ، ويجعلوا ما يستدركونه في ملحق يرفقونه بالجزء الثاني منه ، ولعلهم فاعلون .

أحمد راتب النفاخ



شخصية ذي القرنين

في القصص الإسلامية والأساطير القديمة

لعلّ قصّة ذي القرنين وما حيك حوله في الآداب القديمة وفي الأدب العربي من أمتع ما يجده الباحث في القصص الإسلاميّة ، ومع هذا يجدر بي أن أقول قبل التقدم في الحديث إن الإمتاع فيها لا يتأتّى من أحداثها العجيبة الفائقة أو تكوينها القصصي المدهش ؛ فهي لا تختلف في هذا كثيراً عن بقية قصص الأنبياء والأمم السالفة التي نعرفها في الروايات الإسلاميّة . لكن جهة الإمتاع فيها ، إذا ما نظرنا اليها عن قرب ، تتأتى من عناصرها المكوّنة لها عبر عصور التأريخ المختلفة لأنّ أمما كثيرة تعاونت على تكوينها القصصي ، ففيها شيء من عناصر التأريخ الروماني ثم أضيفت إليها عناصر من الإسرائيليات ، وشيء من الأدب الفارسي والهندي ، وأخيراً إضافات كوّنها القصّاص المسلمون ، فتكونت من مجموع ذلك قصة عجيبة في تكوينها . هذا فضلاً عن قيمتها في التعبير عن النظرات التأريخيّة والجغرافيّة والأسطورية والأدبيّة عند المسلمين . فالكتب التأريخية تعنى بالإسكندر وبشخصيته وفتوحاته ، أمّا كتب القصص الإسلاميّة فلا تكتفي بالعناصر التأريخية المكوّنة لهذه الشخصية ، لأنها تقصد إلى الإمتاع وإلى الإثارة ، فلا تكتفي بنقل الوقائع التأريخية بل تستعين على وضع القصة بمصادر قد تمتّ إلى الأدب الشعبيّ المفعم بالخيال . وقد تستعين بالأساطير القديمة . وفي الأساطير القديمة انتقلت شخصيّة الإسكندر إلى عالم الآلهة وأشباه الآلهة ، وظلّت كلّ أمّة تحوك حولها من نسج خيالها شيئاً ، حتى إذا وصلت إلى المسلمين وجدناها وقد

اجتمعت فيها تلك العناصر المختلفة ، يأخذها الرواة المسلمون ليجعلوها ذات علاقة بالمعاني الإسلاميّة .

لقد ساعد ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم أكثر القصاص المسلمين على التطرق إلى حديثه والتفصيل في أخباره ، ولذلك لا يكاد فصل من الفصول التي كتبت عنه ـ في كتب التاريخ أو في كتب القصص والأخبار ـ يخلو من الاستشهاد أو التصدير بالآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر ذي القرنين ، وهذه الآيات هي :

« ويسألونك عن ذي القرنين . قلْ سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنّا مكنّا له في الأرض وآتيناه من كلّ شيء سبباً فأتبع سببا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما . قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تعذب وإمّا أن تتّخذ فيهم حسنا ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يردّ إلى ربّه فيعذبه عذاباً نُكرا ... » إلى قوله « وكان وعدُ ربي حقّاً »[1].

فابن هشام يقول بأن يهود المدينة هم الذين أثاروا حديث ذي القرنين إذ حمّلوا النضر بن الحارث ورجالاً من قريش أن يسألوا النبي ﷺ عن الرجل الطوّاف في الأرض ، فكان حديث القرآن عن ذي القرنين .[2] وإن كان الطبري يرجّح أن الذي سأل النبي ﷺ عن ذي القرنين كان من أهل الكتاب وليس من المشركين من قومه[3] .

---

(١) سورة الكهف : راجع تفسير الطبري المسمى جامع البيان (ط بولاق ١٣٢٨) ج ١٦ ص ٧ — ٢٣ ، الزمخشري : الكشاف (ط الاستقامة ١٩٤٦) ج ٢ ص ٧٤٣ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية (ط وستنفيلد) ج ١ ص ١٩٧ .

(٣) جامع البيان ، ج ١٦ ص ٧ .

ترى من هو ذو القرنين وما حديثه (١) ؟ .

تختلف المصادر الإسلاميّه في شخصيّة ذي القرنين ، فلم تجزم أنّ ذا القرنين هو الإسكندر . فالثعلبي في قصصه يقول « قال أكثر أهل السير هو الإسكندر » (٢) والمسعودى يقول : « وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى أنه ذو القرنين ومنهم من رأى أنه غيره » (٣) . والمقدسي يقول في حديثه عن الاسكندر : « وكثير من الناس يرون هذا ذا القرنين » (٤) أما المصادر المتأخرة فقد جاء في بعضها أنّ الاسكندر المافدوني هو المعروف بذي القرنين صراحةً (٥) . وان كان شيء من الخلط قد ظهر عند بعضها كقول صاعد الأندلسي الذي جعل الإسكندر المقدوني جدّاً للاسكندر ذي القرنين .. (٦)

أما الجاحظ فقد عبّر عن شكّه بصورة أوكد وأوضح إذ يقول عند حديثه عن الحيوان المعروف بذي القرن : « .. فمن خصال ذي القرن انّ منه وإليه ينسب ذو القرنين الملك المذكور في القرآن ويزعم بعضهم أنه هو الإسكندر » (٧) . وما يلبث الجاحظ أن يزيد في هذا التشكيك في رسالته التربيع والتدوير التي ترد فيها شكوكه بصورة أسئلة متوالية متحدّية فيقول :

(١) كتب العالم القدير مولانا أبو الكلام آزاد فصلاً قيما في شخصية ذي القرنين يرفض فيه أن يكون هو الإسكندر ، ويأتي بتأييدات تأريخية على ما يذهب إليه جديرة بالعناية : انظر : ثقافة الهند : ثلاثة أعداد (مارس ، يونيو ، سبتمبر) سنة ١٩٥٠ .

(٢) قصص الأنبياء (ط ١٣٠١) ص ٢٧٤ .

(٣) مروج الذهب (١٩٥٨) ج ١ ص ٢٨٨ .

(٤) المقدسي : البدء والتأريخ (ط ١٩٠٣) ، ج ٣ ص ١٥٥ .

(٥) القفطي : تأريخ الحكماء (ليبزك) ص ٣٦ .

(٦) طبقات الأمم : (ط لويس شيخو) ، ص ٣٠ وجاء النصّ عند القفطي أيضاً المصدر المذكور .

(٧) الحيوان : (ط هرون) : ج ٣ ص ٢٤٥ .

« وخبّرني عن هرمس أهو ادريس وعن ارميا أهو الخضر ، وعن يحيى بن زكريا أهو ايليا وعن ذي القرنين أهو الإسكندر . ومن أبوه ومن أمّه ومن قيرى وعبرى ... »(١) .

إن السبب في التساؤل هو أنّ بعض الروايات قد زعمت أنّ ذا القرنين كان من نتاج ما بين الإنس والجن كما كانت الملكة بلقيس ، وقد ذكر الجاحظ نفسه شيئاً من هذه الروايات في الحيوان أيضاً(٢) . كما قال البيروني عن ذي القرنين فيما بعد بأنه يُعتقد فيه اعتقادات عجيبة « بأنّ أمّه كانت من الجنّ كما يعتقد ذلك أيضاً في بلقيس ، فإنه يقال انّ أمّها كانت من الجنّ(٣) ... » .

إن هذه المزاعم التي ترددها المصادر الإسلامية في نسب ذي القرنين وفي شخصه وأحاديثه ، ليست هي في الواقع إلاّ تلك الأقاصيص الشعبيّة التي كانت تدور على ألسن الأمم المختلفة ، لكن رغم هذه الشكوك التي تتردد على ألسن الكتّاب المسلمين فإنّ حديث ذي القرنين لا يرد إلاّ متّصلاً بحديث الإسكندر وفتوحاته ، وهما في كثير من المصادر التي رأيتها شخصية واحدة ، سواء كانت هذه المصادر تأخذ بالعناصر التأريخية وحسب مكتفية بها ، أو تضيف إليها أحاديث القصّاص وخيال الروايات الشعبية . ففي كتاب ألف ليلة وليلة ليس هناك شكّ أبداً في أن ذا القرنين هو الإسكندر إذ تصدّر القصّة بالعبارة التالية (حكي أن اسكندر ذا القرنين)(٤) وهذه هي التسمية التي عرف بها الإسكندر عند العامّة .

---

(١) التربيع والتدوير (ط شارل بيلا) ، ص ٢٧ .
(٢) الحيوان : ج ٤ ص ٦٩
(٣) الآثار الباقية (ليبزك) ص ٤٠ .
(٤) الف ليلة وليلة (ط ١٩٢٧ ـ الآباء اليسوعيين) ، الكتاب الثالث ص ١٥٣

ترى ما هو السبب في التسمية بذي القرنين ما دام اسم الإسكندر مشهوراً شهرة تكفيه عن أي لقب آخر ؟ .

هنا يتجلّى الخيال الإسلامي بأجلى مظاهره والقابليّة العجيبة عند القصّاص المسلمين على الإضافة والتأويل والتبرير ، فتحاول الروايات القصصيّة أن تزوّدنا بشتى الأسباب لتسميته .

فهو ذو القرنين لأنّه ملك الروم وفارس ، أو لأنّ في مقدّم رأسه شبه القرنين من لحم . وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرن الشمس وكان تأويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب ؛ وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ، ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر . أو أن الملك الموكّل بجبل قاف هو الذي سماه بهذا الاسم (١) . وتنسب بعض هذه التأويلات إلى أئمة الشيعة خاصّة (٢) .

ولعل من أذكى التحقيقات التي قام بها أي كاتب إسلامي في هذا الصدد ، هو ذلك الفصل الرائع الذي يقدّمه لنا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني في موضوع ذي القرنين . ويبدو أنّ الرجل قد تهيأت له المصادر اللازمة لمعلوماته ، ولذلك فهو يرفض الروايات الشائعة ويرجّح شيئاً آخر ، يقول :

قال أكثر من بحث عن سالف الأمور وتصفح ما حدث منها في متقادم العصور إن التسمية بذي القرنين لا تعرف في غير هذه اللغة ولا يوجد منها علم إلاّ عند هذه الأمّة ، ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها ووجدنا بعض

---

(١) انظر مجموع الروايات في كلّ من الطبري : جامع البيان ، الثعلبي : قصص الأنبياء ، المسعودي : مروج الذهب ، وقد ذكرت صفحاتها سابقاً .

(٢) المسعودي : مروج ج ١ ص ٢٨٨ ، الثعالبي : ثمار القلوب (ط ١٩٠٨) ص ٢٢٤ .

الأمم يذكرها فبحثنا عن أصلها ومأخذها وسألناهم عن معناها وتأويلها أصبناها راجعة إليهم وأحلنا في الإسناد عليهم ، قالوا ولم نعثر على كثرة التفتيش والتكشيف وشدّة الطلب والتنقير من ملوك الأمم وأولياء الدول وقادة الجيوش وساسة الجنود ممن ارتفع فشهر أو خمل ـ عمّن لزمه هذا الاسم أو حصل له معناه أو استحقّه بلازم خلقةٍ أو مستجدّ صفة ـ فأمّا نحن فقد وجدنا في التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية أنّ حنا ميرس ـ وهو الثالث من ملوك بابل ـ خرج عليه اطركسركس فحاربه وظفر به فقتله ونزع قرني رأسه فجعلها اكليلاً يلبسه فسمّي ذا القرنين . فهذا كما تراه تسمية مأخوذة من الأمم السالفة منقولة عن تلك اللغة إلى هذه . على أنّ العرب قد سمّت بها من ملوكهم نفراً ، وخصّت بها هذا الملك السائح الذي ورد القرآن بذكره ، واجتمعت الإنس على تفخيم قدره ..[1] »

ومن الطريف أن هناك اتجاهاً في المصادر الإسلاميّة نلمحه لمحاً من خلال الروايات الكثيرة ، هو أنّ شخصيّة ذي القرنين عند المسلمين هي أقرب إلى الإسلام من شخصيّة الإسكندر ، ولذلك فهم حينما يتحدّثون عن ذي القرنين ـ بهذا الاسم ـ يطلقون لخيالهم العنان ، لكنهم قد لا يجرؤون على الكثير من التصرّف في شخصيّة الإسكندر ، فكأن شخصيّة ذي القرنين أقرب إلى المجال القصصي من شخصيّة الإسكندر ، وكأنّ شخصيّة الاسكندر تصبح ملكاً للقصاص المسلمين حين يطلقون عليه اسم ذي القرنين . فذو القرنين في القصّة الإسلاميّة يأمرهم أن يبنوا له مسجداً وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع ، وهو يدعو إلى التوحيد ... الخ[2]

---

(١) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٢٢٣ ، ينقل هذا عن الجرجاني .

(٢) الثعلبي : قصص الأنبياء : ص ٢٧٧ .

إن أوّل ما حيَّر أذهان الكتّاب المسلمين وقصّاصهم وقد رأوا ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم هو السؤال التالي :

هل كان ذو القرنين نبياً ؟ ولماذا ذكر بين الأمثلة المضروبة في القرآن ؟

هنا نجد طرائف من الإجابات عند القصاص المسلمين ، وعند المؤرخين .

فالثعلبي في قصصه يقول :

« اختلف العلماء في نبوّته فروي عن النبي (ﷺ) أنه قال لا أدري أكان ذو القرنين نبياً أم لا ، فلو صحّ الحديث لكان الخوض في مثل هذه المسألة تكلفاً . ثم اختلفوا بعد فيه ، فقال قوم لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً ، وملكاً عادلاً فاضلاً ، وقال آخرون بل كان نبياً غير مرسل ، والصحيح إن شاء الله أنه كان نبياً غير مرسل ، لما روى وهب وغيره من أهل الكتاب قالوا : كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزها ليس لها ولدٌ غيره ، وكان اسمه الإسكندر ، ويقال كان اسمه عيّاساً وكان عبداً صالحاً فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحىٰ الله تعالىٰ إليه ياذا القرنين إني قد بعثتك إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجّتي عليهم وهذا تأويل رؤياك ، وإني باعثك إلى أمم الأرض كلّهم . . . .[1] »

أما ابن إسحاق صاحب السيرة فيقول : « . . فحدّثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح . قال ابن هشام : واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية فنسبت اليه[2]» ونقلت رواية عن ابن عبّاس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك ، وقال الجرجاني تعليقاً عليها « وهذه رواية مهجورة لا يلتفت العقلاء إليها .[3] » .

(١) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .

(٢) السيرة النبوية : جـ ١ ص ١٩٧ .

(٣) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٢٢٦ .

ونقل ابن قتيبة عن وهب بن منبّه ان ذا القرنين رجل من الاسكندرية اسمه الاسكندروس ، ويخطىء ابن قتيبة إذ يجعله في الفترة بعـــد عيسى عليه السلام[1] على حين تجمع المصادر على أنه قبل المسيح .

وهكذا اختلطت الروايات التأريخية بروايات القصّاص ممّا جعل القاضي الجرجاني يعلق على هذه الروايات قائلاً :

« .. وقد روى المفسّرون والقصّاص في تأويل هذه الآيات أخباراً لم نجد في نقلها طائلاً ، إذ كانت النفس لا تثق بخبرهم ولا تسكن إلى صحّة نقلهم ، وكان اختلافهم يدلّ على اختلاطهم ... [2] » .

والقرآن الكريم لا يتطرق إلى مثل هذه التفاصيل التي تذكرها المصادر الإسلاميّة ، فجاءت هذه الإضافات من اجتهاد القصّاص والرواة المتأخرين الذين صاروا يستعينون بمصادر غير إسلاميّة . إلاّ أننا حين نلتفت إلى ما يقوله العلماء المسلمون المحققون نجد الشكّ عظيماً في هـذه القصص التي يتداولها القصّاص والمفسّرون ، وقد تنقلها كتب التاريخ الإسلامي نفسها مصدّقة أو شاكّة . فشخصية الإسكندر عند المحققين أو المطلعين على شيء من الأصول اليونانية تظهر بصورة هي إلى الواقع التأريخي أقرب منها إلى الخيال القصصي الذي تلاعبت به أيدي القصّاص . ولذلك نجد هنا إنكاراً شديداً لما يرد على ألسن القصاص من روايات ، وإعراضاً تاماً عن نقل شيء منها ، فأوّل ما يلفت نظرنا في حديث أبي حيّان التوحيدي مثلاً عن الإسكندر أنه لا يذكره في أية مناسبة باسم (ذي القرنين) ، ولا يلتفت إلى الروايات الشائعة حول شخصه ، فلا يشير إليه إلاّ إشارات تاريخية موثوقاً بهـا أو ـ في أقلّ تقدير ـ هي أقرب إلى الواقع التاريخي منها إلى الخيال القصصي .

(١) ابن قتيبة : المعارف (ط عكاشه) ص ٥٤ .
(٢) الثعالبي . ثمار القلوب ص ٢٢٥ .

ولذلك نجد التوحيدي يتجه إلى أبي سليمان السجستاني المنطقي - وهو رجلٌ يوناني الأصل ذو صلة بالفلسفة والعلوم العقليّة ، يأخذ التوحيدي عنه الشيء الكثير في المنطق والفلسفة - فيسأله التوحيدي في شيء من هذا الأمر فيأتيه الجواب جواب رجل مطلع على شرائع اليونانيين وأحكامهم فيقول :

« وليس ليونان نبيّ يعرف ولا رسول من قبل الله صادق . وإنما كانوا يفزعون إلى حكمائهم في وضع ناموس يجمع مصالح حياتهم ونظام عيشهم ومنافع أحوالهم في عاجلتهم ، وكانت ملوكهم تحب الحكمة وتؤثر أهلها وتقدّم من تحلّى بجزء من أجزائها ، وكان ذلك الناموس يُعمل به ويرجع إليه حتى إذا أبلاه الزمان وأخلقه الليل والنهار عادوا فوضعوا ناموساً آخر جديداً بزيادة شيء على ما تقدم ، أو نقصان على حسب الأحوال الغالبة على الناس ، والمغلوبة بين الناس . ولهذا لا يقال : إن الإسكندر في أيام ملكه حين سار من المغرب إلى المشرق كانت شريعته كذا وكذا وكان يذكر نبياً يقال له : فلان أو قال : أنا نبي . ولقد واقع دارا وغيره من الملوك على طريق الغلبة في طلب الملك وحيازة الديار وجباية الأموال والسبي والغارة ، ولو كان للنبوّة ذكر وللنبي حديث لكان ذلك مشهوراً مذكوراً ومؤرّخاً معروفاً ... »(١)

ويقوم التوحيدي بنقل أحاديث عن الإسكندر كلّها تدلّ على حكمة رجل سياسيّ يزن الأمور ، ولذلك يضع التوحيدي أقوال الإسكندر إلى جانب أقوال الحكماء والفلاسفة .

ولعلّ هذا الجانب من شخصيّة الإسكندر هو الذي حمل القصّاص المسلمين على وصفه بالنبوّة والاختلاف في أمره ؛ على أنّ بعضهم اكتفى بأن جعله في مرتبة سليمان بن داود في الحكمة والعلم والملك ، ولذلك ينسب

(١) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة (ط أحمد أمين ..) ج ٢ ص ٢٢ .

حديث إلى النبي ﷺ يقول فيه : « ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران . فأمّا المؤمنان فسليمان وذو القرنين . وأمّا الكافران فنمرود وبختنصر »[١] . كما ينسب إلى محمّد بن علي بن الحسين (رضي الله عنه) انه قال : الأنبياء والملوك أربعة يوسف ملك مصر وداود وسليمان ملكا ما بين الشام إلى اصطخر وذو القرنين ملك ما بين المغرب والمشرق »[٢] .

* * *

لقد أوشكت شخصيّة الإسكندر أن تصبح اسطورة من الأساطير العجيبة التي تعرض لها كلّ أمة من الأمم بالتحوير والتبديل بما يناسب أدبها وطبيعة تفكير أبنائها ، ولقد امتدّت أسطورة الاسكندر عبر البلاد التي قام الاسكندر المقدوني بفتحها من المحيط الهندي إلى شرقي البحر المتوسط . ولقد كانت العناصر الأولى المكوّنة لهذه الشخصية ذات أصول يونانية ، لكن ما لبثت هذه الأصول وهي تنتقل من جيل إلى جيل ومن أرض إلى أرض حتى اختلطت بعناصر ، بعضها من أصول بابليّة قديمة ، وبعضها الآخر من اضافات مسيحيّة ، وأخرى اسلاميّة . فالأصل اليوناني لسيرة الإسكندر لم يصل إلى المسلمين مباشرة ، بل عن طريق الروايات التي جاءت بنتيجة الاحتكاك بحضارات الأمم المختلفة . وقد وصل هـذا الأصل إلى اوربة وآدابها عن طريق نقولٍ ترجع إلى القرن الثاني الميلادي ظهرت لأوّل مرّة في مصر . إلاّ أنّ هذه المنقولات ليست إلاّ خليطاً من عناصر بعضها تاريخي أصيل ، والبعض الآخر وقع تحت تأثير الأساطير البابليّة عن سيرة گلگامش وغيره من الأبطال[٣] .

---

(١) الثعالبي : ثمار القلوب : ص ٢٢٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Ency . Britanica . art . Alexander . 14 th ed . (1929)

أما وصولها إلى المسلمين فقـــد كان بالدرجة الأولى عن طريق الأدب الفارسي الذي كان في أحيانٍ كثيرة واسطة مهمّة بين الأدب اليوناني والحضارة الإسلاميّة . فقد قامت الدولة الساسانية على أعقاب دولة الطوائف التي خلفها الاسكندر في بلاد الرافدين وغيرها ، فنقلت الأصول اليونانية إلى اللغـة الفارسية عند قيام الدولة الساسانية التي عملت أيضاً على إحياء التراث الفارسي ، وبذلك اختلطت الأصول اليونانية بالفارسية ، وحينما انتقلت إلى العرب المسلمين ـ شفاهاً أو كتابةً ـ كانت قد تطعمت بالعناصر الفارسيّة . ولذلك ليس بغريب مثلاً أن تنسب إلى ابن المقفع ـ وهو المثقف بالثقافة الفارسيّة ، إلى جانب اتقانه اللغة العربيّة ـ ترجمة بعض كتب المنطق الأرسطوطالي ، أو تنسب إلى سالم مولى هشام بن عبد الملك ترجمة رسائل أرسطو إلى الإسكندر (١) ، فلا بدّ أن هذه الأصول قد وجدت في اللغة الفارسية فاستعان بها هؤلاء الكتّاب على نقل التراث اليوناني ، وليس هناك تأييدات كافية بأنّ هؤلاء الكتّاب الديوانيين كانوا على شيء من العلم باليونانية . بل هناك ما يدلّ على أنّ كتباً في تاريخ الإسكندر أو قصته قد ترجمت من الفارسية إلى العربية (٢) .

وهكذا انتقلت قصّة الاسكندر إلى المسلمين ثمّ قامت كلّ أمّة بقسطها من التحريف والإضافة فظهرت قصّة الإسكندر عند كلّ أمّة بصورة تتناسب والقصص الدائر عندها . فالاسكندر في القصص المسيحيّة رسول أو هو أحدُ القديسين ، وأبوه عُدّ في بعض الأساطير المسيحيّة من الشهداء

---

(١) ابن النديم الفهرست (ط القاهرة) . ص ١٧٧ .

(٢) ذكر بروكلمان مخطوطة في قصة الاسكندر ترجمت من الفارسية إلى العربية في آيا صوفيا ٣٠٠٣ ـ ٣٠٠٤ : بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (ت النجّار) ج ٢ ص ١٠٤ .

المسيحيين ، بل كثيراً ما يستشهد على قصته بأقوال من الإنجيل (١) . أمّا في الأدب الفارسي فهو ابن الملك دارا (١) وحين نأتي إلى القصص الإسلامية يصبح الإسكندر شخصيَّة إسلاميَّة ، بل هو في الجزيرة العربيَّة سابق على الإسلام ، وتورد شيئاً من هذا كتب التاريخ الإسلامي نفسها ؛ فأبو حنيفة الدينوري في أخباره الطوال جعل الاسكندر يفتح الجزيرة العربيَّة ويوغل فيها حتى يبلغ مكة فيتدخل في إعادة تنظيم القبائل فيها ، ويحجّ البيت الحرام(٢) والمسعودي ـ في إحدى رواياته ـ يجعله عربيّ الأصل لأنّ « بعض التبابعة غزا مدينة روميَّة وأسكنها خلقاً من اليمن وأنّ ذا القرنين الذي هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها ... » (٣) .

وهكذا يصبح المؤرخ الإسلامي حاطب ليل ، يأخذ دون أن ينظر فيرى .

والطريف في القصص الإسلاميَّة التي وصلتنا عن الاسكندر ان الروايات ـ على اختلافها وتناقضها ـ تكاد تجمع لنا شيئاً من كلّ أصل من هذه الأصول سواء كانت يونانيَّة أو بابليَّة قديمة أو فارسيَّة أو اسلاميَّة أو سوى ذلك ، نلمحها رغم محاولة القصّاص المسلمين إسباغ الطابع الإسلامي عليها وعلى شخصيّاتها . وأهمّ هذه النواحي التي يتجلّى فيها هذا (التجميع) هي قصَّة أصل الإسكندر ومولده ، ذلك المولد العجيب الذي اختلفت فيه الروايات أيما اختلاف :

فالإسكندر عند بعض القصّاص المسلمين هو « أخو دارا بن دارا وذلك أنّ دارا الأكبر بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف كان تزوّج أمّ الإسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هيلانة ، وانها حملت

(١) Ency , Britanica .

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال (ط ١٩٥٩ ـ تراثنا ص ٣٣ ـ ٣٤) .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٨٨ .

إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال في زوال ذلك منها ، فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها (سندروس) فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كلّه ، فانتهت نفسه عنها لبقيّة نتنها وعافها فردّها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاماً فسمّته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها (سكندروس) فهذا أصل اسمه ..[1]» .

على أن المسعودي يقول بأنّ الإسكندر نفسه قد تزوج بابنة دارا بعد أن فتح بلاد فارس وقتل ملكها دارا ثم سار إلى أرض السند والهند[2] .

إن أثر النقل عن المصادر الفارسيّة حول أصل الإسكندر لا يحتاج إلى جهدٍ كبير لإظهاره ، إذ أنّ القصص الفارسيّة تحاول أن تجعل الإسكندر فارسياً ، ولقد ظهرت روايات كهذه حتى عند الطبري في تأريخه . والجدير بالذكر أن الطبري يوجّه اهتماماً كبيراً إلى تاريخ ملوك فارس ، ولا يحظى بهذا الاهتمام الكبير تاريخ الروم ، ويبدو أنه ينقل عن مصادر فارسيّة ، ولذلك يجيء حديث الإسكندر عنده ضمن (خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر بن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين)[3] ، وينقل أن الاسكندر هو أخو دارا الأصغر . هذا فضلاً عن أن المصادر الإسلاميّة ربما اختلطت فيها الشخصيّات الفارسيّة بشخصيّة الاسكندر وقصّته . فقد جاء في المصادر الإسلاميّة أنّ أحد الخطباء حين قام على

---

(١) الثعلبي : قصص الأنبياء ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ . وقد ذكر هذه القصة كثير من كتب التاريخ الاسلامي انظر مثلاً : الثعالبي : تاريخ غرر السير (ط ١٩٦٣ ـ باريس) ص ٤٠٠ ـ ٤٥٠ .

(٢) مروج الذهب : جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك (ط ١٩٣٩ ـ الاستقامة) جـ ١ ص ٤٠٨ .

سرير الاسكندر وهو ميّت قال : « الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس [١] » . هذا القول نفسه ينسب في مصادر عربيّة أخرى أيضاً الى الموبذ حين قام يرثي قباذ الملك . وينقل المبرّد قوله « كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس » [٢] . ولست أدري ان كان هذا الاختلاف كان في الأصل من المصادر الفارسيّة أو هو من عمل المصادر العربيّة التي نقلت هذه الأقوال . فقد نقل المسعودي عدداً ضخماً من الحكم والأقوال التي ألقيت عند قبر الإسكندر دون أن يشير إلى أصلها الذي نقلها عنه [٣] . أما الثعالبي فيتبرع بذكر أسماء الحكماء الذين رثوا الإسكندر على قبره بإلقاء مواعظهم وحكمهم السائرة ، فيعدّد من بينهم أسماء عجيبة في امتزاجها ، ـ بينهم أرسطوطاليس ، أفلاطون ، بطليموس . طوبيقا (كذا !) ديمقراطيس ، سقراط (!) . [٤] الخ .

ويظهر في الروايات الإسلامية عنصر آخر ربما استطعنا أن نرجعه إلى أصول بابليّة تأثرت بها قصّة الإسكندر قبل وصولها إلى المسلمين . فقد تردد أن الاسكندر كان من نتاج ما بين الملائكة والإنس وذلك أنّ أمّه كانت آدمية وكان أبوه من الملائكة ـ كما تقدم ذكره ـ . إنّ الاعتقاد بعلاقة الجنّ والإنس يرد في الأخبار المنسوبة إلى العرب قبل الإسلام ، كحديث السعلاة التي نزلت في بني تميم حتى ولدت منهم [٥] . ومن هذا الباب حديث الملكة بلقيس والقول في نسبها في الجن والإنس . وقد وردت في القصص

(١) الجاحظ : البيان والتبيين (ط هرون) ج ١ ص ٨١ .
(٢) المبرد : الكامل (ط ١٩٥٦) ج ٢ ص ١١ .
(٣) المسعودي : مروج ، ج ١ ص ٢٩١ .
(٤) الثعالبي : تاريخ غرر السير ، ص ٤٥٠ ـ ٥١ .
(٥) الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ١٨٧ .

الإسلامية أقاصيص يبدو أنها من أصل بابلي ، كقصّة هاروت وماروت اللذين كانا ملكين مطيعين أهبطا إلى الأرض ليجرّبا فيها الغواية والفتنة ولبثا في الأرض فترة حتى عرضت لهما الزهرة (وهي اناهيد بالفارسية) ففتنتهما ، فشربا الخمرة وقتلا ، وكانت لهما صلة بالإنسيّة ، فمسخت الزهرة كوكباً – وهي النجم المعروف . والمصادر القصصيّة الإسلاميّة تجعل القصّة ذات هدف وعظيّ ، وتنسب بعض رواياتها إلى المصدر الأوّل من الإسلام ، بل إلى النبي ﷺ نفسه (١) .

لقد رويت عن أصل الإسكندر ومولده روايات تسوغ الادعاء بأن الإسكندر ولد من نتاج الانس والجنّ . ولقد روت المصادر الاسلاميّة روايات أشبه أن تكون ذات أصلٍ لاتيني . والسبب في ظني هـذا هو التقارب العظيم بين ما روته المصادر الاسلاميّة – القصصيّة أو التاريخيّة – في هذا الشأن وما تورده مصادر سيرة الاسكندر اللاتينية التي انتقلت محرّفة ومزيدةً إلى الآداب الأوربية . وسأنقل فيما يلي ما كتبه البيروني (المتوفّى سنة ٤٤٠ هـ) – وهو ممّن اتصل بمصادر الثقافات القديمة وكتب في موضوعات شتى من العلوم والتاريخ والعقائد .. الخ .. يصف البيروني مولد الاسكندر قائلاً .

« إن نقطينابوس ملك مصر هرب من اردشير الأسود واختفى في مدينة ماقيدونيا يتنجم ويتكهن ، احتال على اولمفيدا امرأة بيلبس ملكها وهو غائب حتى كان يغشاها خداعاً ويري نفسه على صورة أمون الإله في شبه حيَّة ذات قرنين كقرني الكبش (٢) إلى أن حبلت بالاسكندر وكاد بيلبس عنـــد

---

(١) الثعلبي : قصص الأنبياء : ص ٣٨ – ٤١ .

(٢) أمون (Ammon) في الأصل إله ثيبا ، ثم أصبح يُعبد في أماكن كثيرة . وبعد استيلاء اليونان على واحة سيوا يظهر أمون في الأدب اليوناني وذلك لصلته بهذه الأرجاء . فكان أمون يصوّر في النقود اليونانية على هيأة رأس لزيوس مضافاً اليه قرون وعلٍ ذات فروع هي في الأصل قرون أمون . وقد زار الاسكندر معبده في سيوا ورحّب به الكهنة على أنه ابن الإله زيوس .

رجوعه أن ينتفي منه وينفيه فرأى في المنام انه نسل الإله أمون فقبله وقال : لا معاندة مع الآلهة »[١] .

وبعد النظر إلى ما تقدّم من حديث البيروني ، لننظر إلى ما تقوله المصادر الاوربيّة عن سيرة الاسكندر ، وقد وصلت هذه السيرة إلى الآداب الاوربيّة بروايات مختلفة عن مولده ، نشأته وفتوحاته . جاء في الكتاب الأوّل :

إنّ أبا الاسكندر الحقيقي هو نيكتانيبوس[٢] ، وهو أحد ملوك مصر الهاربين منها . وقد كان هذا الأب ساحراً عظيماً له قدرة عجيبة على تطبيق أعماله السحريّة على نماذج مصنوعة من الشمع لسفن وجيوش اعدائه ، فيسيطر سيطرة تامّة على حركاتها الحقيقية . على أن هذا الرجل يلجأ إلى مقدونيا وهناك يشتهر كمنجّم . وتتعرف عليه اوليمبياس بهذه الصفة لتستشيره إذ لم ترزق بولد . فيعدها هذا بأنّ (زيوس أمون) سيزورها في هيئة تنين . . ثم يقوم هو نفسه باتخاذ هذا المظهر . ويولد الاسكندر في الوقت الملائم ، وتثور شكوك (فيليب) لكنّ ظهور التنين من جديد يؤيد ألوهيّة أبوّته . وكان الطفل في أوّل أمره قميئاً مشوّهاً وإنه كان على حظ عظيم من الشجاعة والذكاء .. »[٣] .

ولا حاجة بنا إلى القول بأنّ التطابق بين القصتين يكاد يكون تاماً

---

(١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقوله (ط الهند ١٩٥٨) ص ٧٤ .

(٢) ومما يذكر عن الاسكندر المقدوني انه طلب الى جميع المدن اليونانية أن تعامله معاملة إله ، وكان ذلك سنة ٣٢٤ ق . م . ولعلّ هذا من العوامل التى ساعدت على القصص التي تنسج حول شخصه .

(٣) Ency . Brit . art . Alexander

ويستمرّ الكتاب الثاني والثالث في الحديث عن فتوحات الاسكندر وانتصاراته ، ثم موته أخيراً في بابل .

أمَّا الإضافات التي أضافها القصّاص المسلمون فكثيراً ما كانت ساذجة وبسيطة في ظاهرها ، تنصبّ بالدرجة الأولى على إظهار الاسكندر بمظهر المويد للإسلام ، أو تجعله من أصل عربيّ ـ كما ذكر سالفاً ..

* * *

ولعلّ من أطرف ما يختم به حديث الاسكندر ما رواه القاضي الجرجاني من تحقيق في أصله يستعين عليه بما ينقله عن مصادر تأريخيّة فارسيّة أو يونانيّة . وهو في الحقّ أقرب الكُتّاب إلى الواقع التأريخي . يقول القاضي الجرجاني :

(... وهذه جملة من سيره مأخوذة من تواريخ يونان وفارس ، وأمَّا روايات القصّاص وأهل المبتدأ ، فمرفوضه عند أهل التحصيل :

زعمت يونان أنه لما ولد الاسكندر عرض مولده على المنجمين فحكموا له بما آل إليه أمره . وترعرع الاسكندر فهجس في نفسه صدق ما حكموا له به . وهلك أبوه فيلفس وللاسكندر عشرون سنة ، فخلفه على ملكه فركب البحر يؤم المغرب فوطيء أرضه حتى انتهى إلى أقاصيها ثم رجع على طريق افريقية ومصر والشام متوجهاً إلى المشرق حتى قتل دارا واستولى على ممالكه وسار حتى أوغل في المشرق فقتل فورا ملك الهند وأقام ببلاده مدّة ، ثم سار حتى أتى تبت فدان له ملكها وأهدى له شيئاً كثيراً من الذهب والمسك ثم سار حتى أتى الصين فتلقاه ملكها بالطاعة وأهدى له هدايا عظيمة من الذهب والحرير والوبر وأنواع العطر وآلات الصين وعدل إلى نواحي يأجوج ومأجوج فبنى السدّ ودخل الظلمات من ناحية القطب الشمالي في أربعمائة رجل فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، وخرج إلى طريق خراسان ولما انتهى إلى نهر بلخ عقد عليه جسراً من ثلثمائة سفينة ، وبنى على غربيه

قصراً فاغتاله بعض أصحابه ، فسقاه سماً فمرض بقومس وتحامل حتى أتى شهرزور وثقل بها وهلك ببابل العتيقة وكان أشقر أبرش قصيراً أحنف وابتدأ اليونانيون تاريخ ملكه من أوّل سنة سبع وعشرين من سني عمره وهو وقت ابتداء جولاته فكانت مدته بذلك إحدى عشرة سنة وثلثمائة وستة وعشرين يوماً . ولم يكن يدعو إلى دين وإنما كان يأمر بالتناصف وترك التظالم »[1] .

★ ★ ★

فخلاصة ما تقدّم أن قصّة ذي القرنين يمكن أن تعدّ نموذجاً للقصص الإسلامي الذي يجمع بين العناصر التأريخية والعناصر الخيالية التي تعاونت على تكوينه . فالمؤرخ والقاصّ يستعين أحدهما بالآخر ؛ وفي كثير من الأحيان يصعب علينا أن نميّز بينهما : بين من يقصد إلى الحقيقة التاريخيّة لذاتها ومن يتخذ الحدث التاريخي وسيلة للخلق والإبداع في مجال أوسع ، دون الارتباط بالواقع .

فقصة ذي القرنين التي جاءت ملخصة جدّاً في القرآن الكريم شغلت اذهان المؤرخين والمفسّرين والقصّاص . ولعلّ السبب في اختلاف المسلمين في شخصه هو أنّ الاختلاف قد وقع قبل المسلمين في المصادر اليونانية والفارسية ، فنقلته المصادر الإسلامية نفسها ولم يخل تاريخ القصّة من تأثيرات بابليّة أو مصريّة قديمة ، فلم تلبث هذه التأثيرات أن ظهرت في القصّة الاسلاميّة أيضاً . فالقصص الإسلامي كان من أرحب المجالات التي اختلطت فيها عناصر الحضارات القديمة باتجاهاتها المختلفة ، تأريخيّة كانت أو أسطورية ، رغم أن الرواة المسلمين جهدوا في أن يسبغوا على الروايات الطابع الديني الذي يجعلها مقبولة لدى المجتمع الاسلامي .

---

(١) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٢٢٧ – ٢٨ .

وليس هناك ما يسوغ كون المسلمين أعرضوا عن القصص اليونانية ، إذ لو دققنا النظر لوجدنا القصّة الاسلاميّة لا تخلو من عناصر يونانيّة أو فارسيّة ونود لو قام باحث بالبحث عنها في ثنايا القصص الإسلامي .

★ ★ ★

المصادر والمراجع

١ — آزاد (مولانا أبو الكلام) : شخصيّة ذي القرنين المذكور في القرآن بحث نشر في مجلة (ثقافة الهند) : الأعداد : مارس ، يونيو ، مبتمبر ، سنة ١٩٥٠ .

٢ — ألف ليلة وليلة (ط . الآباء اليسوعيين ـ ١٩٢٧) .

٣ — بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار) .

٤ — البيروني : (١) الآثار الباقية (ط ليبزك) .

(٢) تحقيق ما للهند من مقولةٍ (ط الهند ١٩٥٨) .

٥ — التوحيدي (أبو حيان): الإمتاع والمؤانسة (ط. أحمد أمين وأحمد الزين).

٦ — الثعالبي : (١) تاريخ غرر السير (ط باريس ١٩٦٣) .

(٢) ثمار القلوب (١٩٠٨) .

٧ — الثعلبي : قصص الأنبياء المسمّى عرائس المجالس (ط ١٣٠١) .

٨ — الجاحظ : (١) البيان والتبيين (ط عبد السلام هرون) .

(٢) التربيع والتدوير (ط پيلا") .

(٣) الحيوان (ط عبد السلام هرون)

٩ — أبوحنيفة الدينوري : الأخبار الطوال (ط تراثنا ١٩٥٩) .

١٠ — الزمخشري : الكشاف (ط الاستقامة ـ ١٩٤٦) .

١١ — صاعد الأندلسي : طبقات الأمم (ط لويس شيخو) .

١٢ — الطبري : (١) تاريخ الأمم والملوك (ط الاستقامة ١٩٣٩) .
(٢) جامع البيان (ط بولاق ١٣٢٨) .
١٣ — ابن قتيبة : المعارف (ط عكاشة ١٩٦٠) .
١٤ — القفطي : تاريخ الحكماء (ط ليبزك) .
١٥ — المبرّد : الكامل (ط ١٩٥٦) .
١٦ — المسعودي : مروج الذهب (ط ١٩٥٨) .
١٧ — المقدسي (المطهّر بن طاهر) : البدء والتأريخ (ط هوار ، ١٩٠٣) .
١٨ — ابن النديم : الفهرست (ط الاستقامة ـ القاهرة) .
١٩ — ابن هشام : السيرة النبويّة (ط وستنفيلد) .
(٢٠) Encyclopædia Britanica , art. : Alexander : under the heading of : The Romance of Alexander .

(بغداد) الدكتورة وديعة طه النجم

نظرة تعليلية لبعض آراء المستشرقين

عن معاملة فقه الخراج لأهل الذمة

ظهرت في المدة الأخيرة طبعات جديدة ومتعددة لبعض أمهات كتب الخراج ، أشرف على نشرها وتحقيقها بعض المستشرقين الذين قاموا بنشر النص العربي بأكمله أو مختارات منه ، مع ترجمة له والتعليق عليها ، وذلك بآراء لا تتفق هي وروح النص ومضمونه . ومن بين ما أعادوا نشره كتاب الخراج لكل من يحيى بن آدم والإمام أبي يوسف .(١) وعلى الرغم من ظهور هذين الكتابين في عدة طبعات بالعالم العربي وبأوربة ، فالطبعة الجديدة ، كانت غير أمينة . والواضح أن هدف هؤلاء في تقديم نصوص فقه الخراج بصورة مشوهة ، كانت غايته تقديم أسس نظرية زائفة ، يمكن استخدامها للنيل من عدالة التشريع الخراجي .

---

(١) أهم الطبعات التي تناولت كتاب الخراج بالتقديم والتعليق هي :

Ben Shemesh . Taxation in Islam. 1958 — 1959 — 1963

وكتبه الأخرى عن الخراج والتي نشر بها كتب يحيى بن آدم ـ قدامة بن جعفر وأبي يوسف (كتاب الخراج لأبي يوسف)

Lokkegaard : Islamic Taxation Fagan

وقد نشره كذلك بالفرنسية

Dennett, D. C : Conversion and Poll - Tax in Early Islam. Harvard, 1960

Aghnides. N. P : Mouhammedan Theories of finance 1961

Laoust. H : le precis de Droit, Paris 1960.

وقد تناسى هؤلاء أن التشريع الخراجي وأحكامه ، ما هي إلا نظريات قياسية عامة تتسم بروح التسامح والعدل ، إذ لم يعمل فقه الخراج على التشيّع وإخفاء أخطاء الولاة والعمال في تطبيق أحكام الخراج ، بل إنه وجّه اللوم إلى تلك الزمرة من العمال الذين خرجوا على حدود تلك الأحكام . وقد تجاهل هؤلاء التعليق على بعض النصوص التي تناولت فساد بعض الولاة ، وما كان أحد ينكر عليهم ذلك العداء في آرائهم استنادا على تلك النصوص مثل ما نحا من قبل ڤان ڤولتن وغيره . ولكن هؤلاء المستشرقين طرقوا موضوعاً أخطر وأعمق من هذا ، فلقد حاولوا تفسير وترجمة تلك النصوص الواضحة بشكل يخدم أغراضهم ، بعد تزييف تلك النصوص .

ومن المؤكد أنّ التشريع الخراجي قد وضع الخطوط العريضة لحدود تطبيق أحكامه ، تاركاً وسائل تنفيذها طبقاً لمقتضى وظروف ممارستها . وقصد أساساً التخفيف على أهل الذمة ، عاملاً بأحكام القرآن الكريم والسنن النبوية الشريفة التي أوصت بالرأفة وحسن معاملة أهل الذمة . وليس بالمستغرب أن أحكام الخراج وهي أحكام نظرية ، لم تخرج إلى حيز التنفيذ في أكثر حالاتها ، بل أبقي على القوانين الخراجية السائدة قبل الفتح الاسلامي في كثير من المناطق ، وذلك بعد تكيفها والتخفيف من قيودها بحيث تتمشى وروح الاسلام الخلاقة العادلة . وقد أيّدت تلك النظرة العديد من الدراسات الحديثة التي تعتمد على وثائق خراجية ترجع إلى الفترة التي عاصرت من تلك الأحكام الخراجية.(١) وقد ظهر بحث في مجلة J. E. S. H. O بالمجلد

(١) H. J. Bell : the greek Papyri in the British Museum London, 1907—17.
Grohmann . A the Library. Arabic papyri in the Egyptian Cairo
عبد المنعم مختار : المقاطعات الشرقية للامبراطورية البيزنطية تحت الحكم العربي الى تعريب الدواوين (اطروحة بالهنغارية بودابست ١٩٦٣) .
الخراج والنظام الضرائبي في مصر الأموية : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلة ٤١ ج ٤ .

السادس ، تناول بصفة عامة بعض تلك الطبعات ، وناقش هذا الزيف وسوء فهم النصوص الخراجية ، إلا أن البحث لم يتناول الموضوع من وجهة النظر العربية .

وهنا لا بدّ من تقديم عرض موجز عن تطور أحكام الخراج ، إلى أن اكتملت بشكلها التشريعي ، في نهاية القرن الأول الهجري ، وذلك حتى يمكن تناول تلك الفترة التي ناقشها هؤلاء المستشرقون . فقد أخذ العرب عند وضع الأحكام الخراجية ، عن الكثير من الأحكام التي كان رسول الله ﷺ يعامل بها المناطق الداخلة تحت لواء الاسلام . وكانت تلك الأحكام منطلق التشريع في عهد الراشدين ، وفي العهد الأموي للدولة العربية .

وقد حاول بعض المستشرقين القيام بمقارنات تحليلية لتلك الأحكام ، ولكن الصواب جانبهم ، إذ لم يضعوا في اعتبارهم بساطة النظام الخراجي في عهده المبكر ، وأنه كان يفي باحتياجات المجتمع العربي الأول . فلقد دخل المعاهدون في حمى رسول الله ﷺ وصاروا من أهل العهد ، وفرضت عليهم جالية (١) قدرها دينار واحد . وخصص مدخول جزية الرأس لتدبير شئون المجتمع العربي . (٢)

وإذا نظرنا إلى خراج الأرض « Tributum Soli » ، فلقد كان بسيطاً وغير معقّد ، إذ لم يكن للمجتمع الاسلامي الأول إقطاعات وأراضٍ واسعة . فأهل خيبر كانوا يناصفون ، وأهل (مقنا) كانوا يرابعون ، أما غيرهم فكان يدفع القدر المسمى . وقد أنفق مردود هذا الخراج في شئون الحفاظ على

(١) ورد في المعاجم أن الجالية هم أهل الذمة أنفسهم . وليس ما يفرض عليهم كما يفهم من هذه العبارة . (المجلة)

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج ، طبعة القاهرة ص ٥٩ ، أبو الفرج : الاستخراج ، ص ١٧ يحيى بن آدم ، طبعة ليدن ، ص ٥١ ، بلاذري : فتوح البلدان ، صفحات ٧٠ ، ٧١ .

سلامة المجتمع الاسلامي.[١] وقد أقرّ الاسلام النظم الموروثة بالنسبة للغنيمة الحربية ، طبقاً لشروط وأحكام عامة تخدم المجتمع . واعتُبرت فدك فيئاً لله ولرسوله وكان يصرف من مردودها في شئون المسلمين طبقـــاً لأحكام القرآن .[٢]

وكما هو واضح ، فإن النظام الخراجي في عهده الأول كان بسيطاً وغير معقد ويفي باحتياجات المجتمع المتواضع . ولكن عندما خرج العرب من جزيرتهم لنشر كلمة الله والجهاد في سبيله ، وأفاء الله سبحانه وتعالى على المسلمين أرضين واسعة ، تغيّرت المقاييس والمعايير المستخدمة . فقد وسّع الله على المسلمين من فضل خيره ، وفتحت بلاد الفرس والروم ودخل أهلوها ضمن إطار المجتمع الاسلامي ، وصاروا جزءاً لا يتجزأ منه . ووجدت العاصمة العربية الأولى نفسها في حِلّ للاتجاه نحو الاجتهاد في سنّ الأحكام والأسس الخراجية ، غير أنها لم تتعد حدود الروح السمحة التي تتسم بها أحكام القرآن والسنة .

وقد حاول المستشرقون منذ عهدهم الأول بالاستشراق ، تفسير هـــذا التطور في خطوطه العامة ، بما يتفق مع ما يحملون من آراء مُسَمَّمة . وفي سبيل ذلك استخدموا التناقض الظاهري بين أحكام التشريع الخراجي ، وبين الوثائق المالية الخراجية ، للتوصل إلى الزعم بأن هناك تضارباً حاداً بين التشريع وواقع الحال ، وبأن أهل العهد عاشوا أحقاباً طويلة من الاضطهاد والاستغلال . ولو فحص هؤلاء المستشرقون تلك الوثائق الخراجية وأحكام الخراج النظرية لتبين لهم بأن هذا التناقض ظاهري ، لم يتعارض مع روح التشريع الاسلامي ، ولتبين لهم بأن ذلك لم يكن إلا استجابة لحكمة التشريع في التخفيف عن أهل الذمة ، وهذا ما أثبتته الوثائق الخراجية نفسها .

---

(١) بلاذري : صفحات ٣٦ ــ ٤٢ ــ ٧٠ ــ ٧٢ . أبو يوسف ــ نفس المصدر .

(٢) بلاذري : صفحات ٤٢ ــ ٤٤ وأبويوسف : ص ٥١ .

ولم يتعدَّ الطابع المميز للتشريع الخراجي مضمون اصطلاح « عفو ــ فضل طاقه » الذي أوضح مدى المفهوم الإنساني بعدالة التشريع هذا ، التي اتبع كقاعدة أساسية في شئون الجباية . وقد أساء هؤلاء الذين نشروا كتاب الخراج حديثاً ؛ إلى مضمون هذا الاصطلاح ، وفسَّروه بشكل يفقد التشريع روحه العادلة ، ويقضي به إلى الجشع المطلق . وقادهم إلى ذلك الفهم عدم إمكانهم متابعة الأحكام العامة والتي وضعت من الناحية النظرية فقط في مسائل خراج البلاد المفتوحة عن طريق الصلح أو عن طريق الحرب والقوة . وهذا ما أدّى بهم إلى التضارب في الرأي . ومما لا شك فيه ، أنَّ هذا الاصطلاح قد رسم الأسس والطرق المتبعة في فرض وجباية الخراج في سورية ومصر والعراق ، بل وفي معظم الأقاليم الاسلامية في الشرق . وقد وردت مفردات هذا الاصطلاح في ثنايا الروايات الخراجية ، عند تناولها مسائل فرض الخراج وملكية الأرض وحق الانتفاع بها ، سواء كان المنتفع عربياً مسلماً ومن الموالي أو من أهل الذمة . كما وأنها وردت في الكثير من الروايات التي تناولت المسائل المتعلقة بالجهاز المالي وعن المعاملات التي اتبعت خلال القرن الأول الهجري . وتبدو هذه المفردات الثلاث ؛ للباحث المتسرع ، في معناها العام ، لذلك غمُضت عليه . وقد استغلّ هؤلاء تلك المعاني العامة للتدليل على صحة زيف أرائهم المسممة . والواقع أن فقهاء الخراج استخدموا تلك المفردات في استشهاداتهم التشريعية بمعناها الخاص ، ولكي توضح المسألة المختلف عليها . وانتهز هؤلاء تلك الفرصة ، فأدمجوا استشهادات وتفسيرات الفقهاء لنص متن الأحكام الأساسية ، لكي يوجدوا تضارباً مزعوماً . والواقع فان اختلاف الفقهاء كان حول فهمهم لنص المتن وليس الاختلاف في المتن .

ومن المعلوم فان جزية الرأس قد مرّت بعدة مراحل تشريعية ، وتطورت أحكامها ومعايير جبايتها التي كانت تحمل طابعاً موحداً في العهد الاسلامي المبكر ... فلقد اضطر عمر الفاروق ، عندما وسّع الله على العرب ، إلى الاتجاه نحو الاجتهاد في اتخاذ وسنّ الأحكام ، وذلك لصالح الأمة الاسلامية . فلم يكن من المعقول أن يعامل أثرياء ودهاقين العراق مثل معاملة علوج سواد العراق ، وغيرهم من أهل العهد بالجزيرة العربية الذين كانوا لا يجدون قوت يومهم إلا بجهد وعناء . لذلك كان تغيير المقدار الموحد في جبايتها ، طبقاً لأحوال وظروف الأقاليم الاسلامية . ففي العراق احتفظ من الناحية النظرية بالنظام الساساني ، وكانت الجزية الواجبة : على الموسر ٤٨ درهما ، وعلى الوسط ٢٤ وعلى المحتاج الحراث العامل بيده ١٢ درهما (١) . وفي مصر حددت الجزية بمقدار موحد على كافة السكان ، وجبيت دينارين للرأس (٢) غير أن تطبيق الجباية من الناحية الواقعية لم يخضع لأحكام التشريع الخراجي ، إذ أدمجت تلك الضريبة ضمن خراج الأرض ، ولم تكن تجبى حسب تلك الأحكام، بل تنوعت مقاديرها حسب طاقة السكان ، فمنهم من كان يعفى منها ، وغالباً ما كان السكان لا يدفعونها مباشرة . وتؤيد الوثائق الخراجية رواية ابن عبد الحكم عن جباية جزية

---

(١) بلاذري : كانت الجزية بالشام في أول الأمر جريباً وديناراً . ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً . وجعلهم طبقات لغنى الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط ، ص ١٣١ وكذلك على أهل حلب وانطاكية ص ١٥٢ .
صفحات ١٣١ ـ ١٥٧ ـ ٢٦٨ ، أبو يوسف صفحات ٣٦ ـ ٣٨ ـ ١٢٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر صفحة ١٥٢ .

(٢) ابن عبد الحكم : صفحات ٧٠ ـ ٨٢ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ، ٨٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة . القاهرة ١٢٩٩ هـ صفحات ٧٠ ـ ٧٤ . أبي حبيش : كتاب الغزوات . مخطوط بليدن ص ٩٥ .

الرأس (١) . وفرضت الجزية في سورية طبقاً لمعايير متنوعة وطبقاً لحال البلاد وقت الفتح وبالتالي عن كيفية الفتح (٢) . غير أن ذلك كان في أيام الفتح الأولى ، والمؤكد أن تلك المعايير قد تغيرت بعد ذلك .

وهناك من الروايات الخراجية ما يوضح أمر التخفيف في جباية الجزية ومنها ما يؤكد على جبايتها على قسط واحد ، غير أن الوثائق الخراجية أثبتت صحة الروايات الأولى ، وقدمت أمثلة عديدة على أن الجزية كانت تؤدى على أقساط شهرية ، وذلك ما يخالف معظم الروايات .

وكان قرار عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسائل اعتبار أراضي الفتح ملكاً للأمة ، كان مخيّباً لآمال فئة من الارستقراطية العربية المتعطشة للثراء وامتلاك الأرض . وبذل هؤلاء جهداً كبيراً لاقناع عمر بن الخطاب باقرار أحكام الفيء في الأراضي المفتوحة . ولما كان عمر يهدف إلى صالح الأمة الاسلامية وخيرها والحفاظ على كيان ووحدة العرب ، لذلك وضع الأقاليم المفتوحة تحت تصرف الدولة ، وخصص إيراداتها لصالح المسلمين ولذريتهم من بعدهم ، وللانفاق على الشئون العامة . وكان أهم قرار اتخذه ، هو ضم الأراضي المفتوحة عنوة إلى تلك المفتوحة صلحاً ، ووحد الأحكام بها . وهذا ما هدد مصالح تلك الفئة المتعطشة للثراء وغيرهم من دهاقين الفرس وكبار الملاك الروم . فلقد ظنت الفئة الأولى أنها ستحصل على الأرض طبقاً لأحكام الفيء وغنيمة الحرب [أربعة أخماس الغنيمة] ، وكذلك تقسيم من عليها من فلاحيها . وقد تصرف عمر تصرفاً حكيماً ، فهو كان يخشى أن تتشتت الأمة العربية وتتمزق وحدتها في الوقت الذي يُحتاج فيه إليهم للجهاد

---

(١) أوراق البردى في المتحف البريطاني لبيللّ : برديات ١٤٢ ـ ١٤٢١ ، سجل الخراج رقم ١٨٤٧ ، ١٤١٠ .

(٢) انظر هامش رقم ٦ .

في سبيل الله . وقد أحسن العمل بحديث رسول الله ﷺ : « جعل رزق أمتي في سنابك خيلها وأزجة رماحها ، فان زرعوا كانوا من عامة الناس » . وبذلك صرفهم عن الانهماك في الأمور الحياتية وعن التنازع والتصارع في سبيل تملك الأرض . وخير دليل على صواب قرار عمر ، موقف الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما سُئل في قسمة الأرضين ، إذ قال : « لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم » . فلو قسم عمر الأرض وفلاحيها على أجناد الفتح لتفتتت الأرض وأصبح إنتاجها غير مثمر ، وهذا يضر باقتصاد الأمة وبأهل العهد أساساً .

وقد صوّر لنا الدكتور طه حسين في كتابه « الفتنة الكبرى » ذلك الجانب من المحاولات والمؤامرات التي نجحت فيما بعد في اقتطاع مساحات شاسعة من أراضي الدولة وعامة المسلمين ، خلال الفترة التي بدأت بعد وفاة الفاروق عمر .

لذلك أقرّ عمر العمل بالنظم الخراجية القديمة ، وبصفة خاصة النظام الروماني المسمى Ager Puplicus ، الذي أعطى أهل الذمة حق الانتفاع بأراضيهم نظير دفع عائد سنوي للدولة ، وهو جزء من إنتاج الأرض وإجارة نقدية . غير أن التشريع العمري يختلف مع القانون هذا في الأوجه التي تصرف فيها عائدات الأرض . وقد جاهر عمر في سبيل إقرار أحكامه ، واضطر للدخول في جدال فقهي مع هؤلاء الذين يبغون تقسيم الأرض . فانقسم بذلك معسكر صحابة رسول الله وأنصاره إلى فرقتين ، فرقة تؤيد عمر وفيها علي وعثمان وطلحة ، وفرقة تعارضه تمثل الأرستقراطية القرشية وزعمائها الأمويين وعلى رأسها عبد الرحمن بن عوف والزبير . أما بلال فانه وقف محايداً بين الطرفين داعياً إلى الأخذ بسنة الرسول الكريم في أراضي

اليهود وغيرهم من سكان الواحات الشمالية .[١] واضطر عمر إلى عقد اجتماع ضمّ خيرة أصحاب رسول الله للتوصل إلى قرار لا يخرج عن السنن المعمول بها . فخرج الاجتماع باقرار عمر في أحكامه . وكان هـــذا القرار من أهم القرارات الثورية وأشدها أثراً في تاريخ الاسلام حديثة وقديمة .

وبدأ عمر في سن وإقرار أحكام الخراج ، لذلك كلف عثمان بن حنيف بمسح سواد العراق ، فقدره عثمان بـ ٣٦ مليون جريب [٢] ، ومسح كذلك الإقطاعات الكبيرة المخصصة للأغراض الدينية ، وتلك التي كانت من أملاك الدولة الساسانية ، وكذلك الأراضي التي هجرها أصحابها أو التي لا صاحب لها ، هذا إلى جانب الأراضي المصادرة . وقد درّت تلك الأراضي بعائد يبلغ ٧ مليون درهم . وقد بلغت إيرادات الصوافي على عهد عمر أربعة آلاف ألف [٣] . وفرض الخراج نظرياً على أساس الجريب ، وطبقاً لنوعية محصول الأرض وحالة الري بها . ولكن تلك الأحكام كما يبدو وضعت في وقت متأخر[٤] وكان خراج سواد العراق في السنوات الأولى من المسح ٨٦ مليون درهم ، سرعان ما ارتفعت إلى مائة مليون بعد بضع سنين من الاستقرار واستزراع المهجور من الأرض [٥] ولم يكن هذا الارتفاع من جباية الخراج كما يحاول بعض المستشرقين ترويجه وهو أن ذلك كان بنتيجة الضغط واستنزاف إمكانيات أهل العهد ، بل يرجع ذلك إلى الاستقرار ورجوع الحياة إلى مجراها الطبيعي . ولم يتمكن عمر من القيام بمسح بقية الأقاليم الإسلامية ، لذلك أقرّ الخراج على أساس عمليات المسح التي تمت قبل الفتح .

---

(١) أبو يوسف: صفحات ١٤ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٦٨ ـ سورة الحشر آية ٧ ـ ٨ ـ ٩ .

(٢) بلاذري : صفحات ٢٢٦ ، ٢٧٨ . أبو يوسف : ص ٣٦ .

(٣) أبو يوسف : ص ٥٧ .

(٤) انظر كتاب الخراج .

(٥) أبو يوسف : ص ٣٦ ـ بلاذري ص ٢٧ .

أما سورية فقــــد عوملت طبقاً لحكم أساس وضع أيام الفتح الأولى ، أما الأراضي التي فتحت عنوة فانها عوملت بقدر طاقتها وبقدر ما تتحمله ، وأما تلك التي فتحت طبقاً لصلح تمّ بين أهلها وبين قادة الفتح ، فانها كانت تدفع المقدار المسمى في عهد الصلح ، رغم أن العرب كانوا يوَدّون أن يتم فرض الخراج طبقاً لقدر الطاقة ، لما يتسم ذلك بطابع العدل . وسرعان ما عوملت سورية عند استقرار الأوضاع طبقاً للأحكام السائدة بهـا قبل الفتح بعد تكيفها مع الروح التشريعية العادلة .

وقد ساد في مصر القانون الرومي . مع أن فقه الخراج قدم مجموعة الأحكام التي وضعت كأساس للجباية ، فإن الروايات الخراجية تضاربت في نوعية الأحكام المستخدمة وذلك لعدم وضوح حقيقة أمر الفتح وهل تم صلحاً أم عنوة . غير أن ذلك كله لم يتعارض مع حقيقة الأمر الواقع ، إذ استمر العمل بمقتضى القوانين الرومية ، وبقدر طاقة أهل البلاد .

هذه هي أحكام الخراج في مجملها على عهد الخلفاء الراشدين ، وهي تتفق مع الروح الفقهية مضموناً وشكلاً . ورغم الابقاء عليها خلال العصر الأموي ، إلا أنها لم تطبق بالشكل الذي فرضه التشريع الفقهي الخراجي ، بل تم الاجتهاد في سنّ الأحكام ، وبحيث استفادت فئة من الحكام والولاة من الثغرات التشريعية . وهذا ما دفع إلى تخريج أحكام جديدة تسد تلك الثغرات التي أتاحت الفرصة لبعض الولاة واتباع البلاط الأموي في اقتطاع أراضي شاسعة ، بطرق غير مشروعة تتعارض مع التشريع العمري ، مثل وضع اليد على الصوافي والأرض المهجورة أو على أرض الدولة نفسها .(١) وقد حصل هؤلاء على الأراضي بطرق أخرى منها الحصول عليها في مناسبات

(١) فان فلوتن : السيادة العربية ، القاهرة ١٩٣٤ ــ صفحات ٣٢ ، ٣٤ ــ طبري : جزء ٢ صفحات ١٦ ، ٥٥ ، وكتب الخراج والتاريخ .

خاصة كتعويض عن خدماتهم للدولة ، أو كهبة ، أو بطريق الشراء من المنتفع الأصلي . وقد حرمت الأحكام الحصول على الأرض الخراجيه بالشراء ، إذ أنها تتحول إلى أرض عشروية ، إن كان المشتري مسلماً . وهذا يعرض الدولة لفقد جزء كبير من دخلها بنتيجة الاختلاف في جباية الخراج والعشور .

وعندما خرج الأمر من يد الدولة ، سارعت بسن أحكام خراجية لا تخرج في جوهرها عن مضمون التشريع العمري ، وبمقتضاها لا يسقط الخراج عن الأرض التي انتقلت إلى حوزة مسلم بالشراء أو بإسلام المنتفع بها . ولما كان ذلك يتعارض مع مبدأ الزكاة ، لذلك وضعت تفسيرات جديدة خرّجت بمقتضاها أحكام الاجارة التي كانت تعود بنفس مردود الخراج تقريباً . وكل هذا يبين ضعف الحكومة المركزية بدمشق وعدم قدرتها على الوقوف تجاه تلك الفئة المنتفعة من كبار عمالها . وهذا ما أورث حكم بني أمية الفوضى والشقاق الذي انتهى بسقوط عهدهم .

أما الجزية فكانت أساساً مفروضة على غير المسلمين من أهل الذمة ، كرمز لحماية الدولة وكاعفاء ، غير أنها جبيت طبقاً لظروف خاصة وطارئة من المسلمين الجدد ، عندما بدأ الكثير من أهل الأقاليم الإسلامية الشرقية في اعتناق الإسلام ، للحصول على الاعفاء منها . فأخذت موجات اعتناق الإسلام في الازدياد ، وأحست السلطة المركزية بخطــــر تلك الموجة الزائفة الإيمان (١) وأخذ بيت المال يفقد أهم موارده ، إذ كان على الدولة أن تدفع لهؤلاء المسلمين الجدد مخصصاتهم (٢) وقد هدد هؤلاء بسبب النفع والمصالح المادية ، الجهاز الاداري الذي كان يعتمد في مصاريفه ، أساساً ،

---

(١) فان فلوتن : ص : ٣٧ . الحسيني : الادارة العربية ، القاهرة ، صفحة ٢٢٢ .

(٢) فان فلوتن : ص ٣٩ ـ بلاذري صفحات ٤٤٣ ـ ٤٤٥ .

على عائد الجزية في الاحتفاظ بكيانه بينما الخراج ومردوده قد خصص لاعاشة المسلمين ولمخصصات ديوان الجند ولم يؤثر إسلام هؤلاء على الخراج بقدر ما استفادوا منه .

وهددت تلك الموجات المجنونة غير الصادقة الايمان التي أثارها الشعوبيون وأصحاب المذاهب ، هددت سلامة الدولة ، إذ هجرت القرى ، ولم تفلح الأراضي . وتكدس هؤلاء في المراكز السكانية التي كانت بؤرة ترعرعت فيها تلك الاتجاهات الشعوبية والخارجة عن الدولة . لذلك أجبرتهم الدولة على العودة إلى أقاليمهم ، واتبع الحجاج بن يوسف تجاههم أقسى الاجراءات ، وأجبرهم على دفع الجزية من جديد ، وكذلك بقية الضرائب التي كانت تجبى منهم قبل إسلامهم الصوري [١] . وقد شمل ذلك جميع المسلمين الجدد ، إذ كان من الصعب التفريق بين صادق الإيمان وبين مدعيه . وقد سبب ذلك في أواخر عهد الدولة الأموية الفوضى في البلاد ، إذ التحق هؤلاء بالخارجين عليها [٢] وعموماً فقد عمل بهذه الاجراءات تجاه القبائل التركية والإيرانية في خراسان وفي مناطق ما وراء النهر ، حيث لم تسد تعاليم الاسلام السمحة بين السكان بسبب تعصبهم وميولهم الشعوبية وتمسك معظمهم بوثنيتهم السابقة . ورغم ذلك فان فقه الخراج أثار الكثير من اللوم على العمال ورغم تضارب آراء الفقهاء فإنّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شدّد على العمال الذين يجبون الجزية من هؤلاء ، ويقول في رسالة له بهذا الصدد : وتستأذنني في أخذ الجزية منهم ، وان الله جلّ ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الاسلام ولم يبعثه جابياً ... » . ورغم ذلك فان تلك الفئة من المستشرقين تحاول أن تستغل الخلاف الشكلي الواقع بين التشريع والممارسة لاتهام الإسلام والنيل منه .

* * *

(١) فان فلوتن : صفحات ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) موير : تاريخ الخلافة : ص ٣٢١ ـ ٣٢٧ ، وكتب التاريخ عن دور هؤلاء .

وهنا نرجع إلى تلك الروايات الفقهية التي حاول هؤلاء المستشرقون إساءة فهمها ، ومعظم هذه الروايات تدور حول اصطلاح « عفو ـ فضل ـ طاقة » كقياس اتبع في جباية الخراج . وحاول هؤلاء إخضاع هذه الاصطلاح للأحكام المتبعة في الأرضين المفتوحة عنوة وصلحاً . وأهم هذه الروايات هي :

١ — أورد يحيى بن آدم بإسناده ، بأن ابراهيم بن سعد سأل ابن عباس عن الأحكام المتبعة في الجباية ، فقال ابن عباس : انّا أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل (١) .

٢ — وعن يحيى بن آدم باسناده ، قال : أخبرني رجل من ثقيف قال : استعملني علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » على بُزُرْج سابور فقال : لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم ولا تبيعنّ لهم رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعتملون عليها ، ولا تقيمنّ رجلاً قائماً في طلب درهم قال : قلت : يا أمير المؤمنين إذاً أرجع إليك كما ذهبت من عندك ... قال : وإن رجعت كما ذهبت ، ويحك إنّا أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل (٢) .

وقد ذكر أبو يوسف نفس الرواية مع اختلاف في الإسناد وفي مكان حدوثها ، فالعامل عند يحيى بن آدم كان على بُزُرْج سابور أما عند أبي يوسف فهو على عُكبراء ورواية أبي يوسف أكثر تفاصيل (٣) .

وتتفق هاتان الروايتان مع رواية ابن عباس الأولى .

(١) يحيى بن آدم : ص ٥٤ ، وفي طبعة ابن شمش الرواية رقم ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
(٢) يحيى بن آدم : ص ٥٤ ، وفي طبعة ابن شمس الرواية ٢٣٤ .
(٣) أبو يوسف : ص ١٥ ـ ١٦ وفي طبعة فاغان ص ٢٤ .

٣ ـ وعن أبي يوسف بإسناده ... قال : حدثني الأعمش عن إبراهيم ابن المهاجر عن عمرو بن ميمون قال : بعث عمر رضي الله عنه حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة ، وبعث عثمان بن حنيف على ما دونه ، فأتياه فسألهما : كيف وضعتما على الأرض لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون ؟ . فقال حذيفة : لقد تركت فضلاً . وقال عثمان : لقد تركت الضعف ، ولو شئت لأخذته (١) .

وقد أورد أبو عبيد في كتاب الأموال نفس الرواية مع اختلاف في الإسناد وأصل الرواية ، فالخليفة هنا هو علي بن أبي طالب (٢) .

وقد قدم أبو يوسف رواية أخرى تتفق ومضمون الرواية السابقة . وقد تجاهلها هؤلاء المستشرقون ولم يعلقوا عليها .

والرواية بالإسناد السابق .. قال عمر لحذيفة وعثمان بن حنيف رضي الله عنهم : لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق . الخ ... وقد شرح أبو يوسف الحكمة من قول عمر رضي الله عنه لعماله .. وكيف أنه دقق في الاستفسار عن قواعد الجباية (٣) وشرح أقوال العاملين [فقال عثمان : حمّلت الأرض أمراً هي له مطيقة ، ولو شئت لأضعفت . وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فضل] وكيف أن عمر أقرّ تلك الجباية .

وقد حاول كل من ناشري كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، أي ابن شمش واسمه ينم عن هدفه ، وفاغان أن يقدما تفسيراً غير واضح للعفو . فالعفو هو المسامحة والإعفاء . أما معنى الفضل فكان غير واضح لديهما ، رغم تعميمها

---

(١) أبو يوسف : ص ٣٧ .
(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال : ص ٤٦٢ رواية رقم ١١٦ .
(٣) أبو يوسف : صفحات ٨٤ - ٨٥ .

في معنى الكلمتين والهدف من مساواة الفضل والعفو لديهما ، إنما هو لحمل القارئ على التصور بأن أهل الذمة واقعون تحت جور وجشع العرب . والواقع فإن مفهوم هذا الإصلاح يتغيّر من نص إلى آخر ، إذ له معنى خاص في كل رواية من الروايات المذكورة .

ورغم غموض التعريف عند استخدام عفو وفضل ، إلا أن المعنى الأساسي لمضمون كل منها يضطرنا لمناقشة استعمالها في الروايات الخراجية التي تناولها هؤلاء بالتعليق وتلك التي لم يلتفتوا إليها . ففي رواية أبي يوسف نجد بأن ذكر العفو اقترن بمفهوم الفضل . وعفو هنا تقابل قدر الطاقة والاحتمال ، وهذا ما يؤيده سرد الرواية الأخيرة لأبي يوسف فيما يخص معاملة أهل الذمة إذ قال عثمان بن حنيف : وضعت على الأرض أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فصل [1] .

وتتفق رواية أبي عبيد مع جوهر رواية أبي يوسف ، إلا أن (عفو) جاءت في معنى خاص في كلا الروايتين وتتقابل مع فضل وطاقة واحتمال . غير أن الاحتمال والطاقة لا يمكن أن تترادفا في مضمونها مع فضل أو مع معنى التساهل والتسامح . كما وان تفسير عفو ومساواتها بفضل لا يعني التساهل واللين والسماح . ففضل في هذه الرواية تبعد عن مفهوم عفو بالمعنى العام للكلمة . والواقع أن سبب ترادف عفو وفضل والتقابل اللفظي لهما إنما يرجع إلى محاولة أبي يوسف شرح ما غمض بسبب الإسناد ، وبسبب تكرار الرواية وتغيير سلسلة الإسناد ومناسبة الرواية . فالرواية الأولى لأبي يوسف تقرن (عفو) بمفهوم طاقة الأرض وهذا بخلاف مفهومها في الرواية التالية .

---

(١) أبو يوسف : ص ٣٧ ــ ١٣٤ ــ ١١٩ ــ ١٢٣ .

قال أبو يوسف : حدثنا سفيان عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : ليس في أموال أهل الذمة إلا العفو [١] وعفو هنا لا يمكن أن تفسّر بالتساهل فلقد ورد هذا النص عند السؤال : هل تؤخذ الزكاة من أهل الذمة ؟ وهناك رواية أخرى لأبي يوسف لا تتفق مع مفهوم العفو بالرواية السابقة ، قال أبو يوسف : كتب عدي بن أرطاة ـ عامل كان لعمر بن عبد العزيز ـ إليه : « أما بعد فإن أناساً قِبَلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم العذاب ... » فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جُنّة لك من عذاب الله ، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله . إذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً وإلا فاحلفه ... » [٢] . وعفو هنا تحمل معنى طيب الخاطر وعدم التردد فمن دفع الخراج وطبقاً لقدر الطاقة ، وليس بالمعنى السابق . وهذا المعنى ليس كما تمسك به هؤلاء المستشرقون من الرواية الأولى ، التي تربط بين عفو وفضل . وهناك رواية أخرى لابن عبيد يرتبط فيها معنى عفو بالإبراء والإعفاء من الصدقة والزكاة التي لا تجبى من أهل الذمة . وهذه الرواية تتفق مع رواية أبي يوسف السابقة [٣] . في كلتا الحالتين ، لا زكاة أو صدقة على أهل العهد ، إنما العشور فقط .. إذ ليس على أموال أهل الذمة إلا العفو [٤] .

أما الرواية التي يقترن فيها العفو بمعنى قدر الطاقة والاحتمال ، فهي روايتا أبي يوسف ويحيى بن آدم الثانيتان . وهذا المعنى لا يتفق ومعنى الإبراء بالنسبة للزكاة في أموال أهل الذمة . وهـذا مما يوضح اختلاف كل منهما

(١) أبو يوسف : ص ١٢٣ .
(٢) أبو يوسف : ص ١١٩ .
(٣) أبو عبيد : رواية رقم ٢٥٣ .
(٤) أبو يوسف : ص ١٢٣ .

بالنسبة للاستعمال اللفظي لعفو . وقد أوضح مقال مجلة Jesho بشكل عام ذلك . والواضح مما سبق هو أن (عفو) إنما هي اصطلاح فقهي فني ، له معان متعددة . فمثلاً معناه في ردّ علي بن أبي طالب على عامله على بُزُرْج سابور : [إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل] . وهو جباية الزائد عن الحاجة والفائض أي الفضل .

والمفردة الجديدة في الاصطلاح ، هي « الطاقة » التي تترادف في بعض معانيها مع إحدى المعاني الخاصة للعفو . وقد ورد اللفظ هذا في الفصل الذي تناول موضوع الجزية والخراج عند أبي يوسف وابن آدم .[١] وعلى العموم فان مفهوم الطاقة هنا واضح ولا يحتاج لإيضاح ، كما ورد في الروايات التالية :

أورد يحيى بن آدم باسناده ... عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : أوصى الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً ، أن يوفي لهم بعهودهم ، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[٢] .

وعنه كذلك باسناده ... عن رسول الله ﷺ انه قال ... ويضع عليهم الإمام الجزية بقدر ما يرى ولكن لا يكلفون فوق طاقتهم[٣] .

وهذه الرواية توضح بأن الجزية لم تكن ثابتة وإنما تتغير حسب مقتضى الحال .

وقد أورد أبو يوسف نفس الرواية بالإسناد نفسه[٤] .

وقد ورد في الرواية التي تناولت مناقشة عمر بن الخطاب لعامليه حذيفة وعثمان بن حنيف ، مضمون الطاقة بدون ذكر اللفظ ، ولكن اقترن ذلك

---

(١) أبو يوسف : صفحات ١٢٤ ، ١٢٥ وهي تتفق مع الرواية المذكورة بصفحة ٣٧ .
(٢) يحيى بن آدم : ص ٥٤ .
(٣) نفس المصدر ص ٥١ .
(٤) أبو يوسف ص ١٢٥ .

بمفهوم الفضل والضعف وقد فَسَّر ذلك أبو يوسف في روايته الثانية لنفس الحالة وأوضح ذلك المعنى (١).

وقد جاء في تلك الروايتين ذكر فضل كاصطلاح فقهي له مفهوم خاص ، وله أهمية كبرى في الفقه الخراجي . وقد حملت كلمة فضل مضمونين مختلفين في الروايات الخراجية . أولها ارتباط فضل بمفهوم عفو ، واستخدمت كتأكيد وإيضاح للفظ عفو غير الواضح (٢) . وقد جاء معنى فضل في استعمال جديد يعني الطاقة ، وفي الرواية الثانية التي كررها أبو يوسف ، وتحمل نفس المضمون والأحداث . وقد ربطت معنى عفو بفضل ، والفضل بالطاقة (٣) .

وحيث تكرر في الروايات السابقة لنفس الأحداث الواحدة ، اصطلاح ـ عفو ـ طاقة ـ عفو ـ فضل ، وضعف ـ فضل ، فان هذا يؤكد لاصطلاح : عفو ـ فضل ـ طاقة ، ذات الأساس التشريعي الإنساني الذي عومل بمقتضاه أهل الذمة ، بحيث لا يكبدون ما يرهقهم وما هو فوق طاقتهم ، وليس كما يريد هؤلاء المستشرقون إقناعنا به وبأن أهل الذمة لم يترك لهم ما يزيد عن حاجتهم الأساسية والملحة . وتفسير الاصطلاح هذا انما هو : أمرنا بأن نأخذ منهم عفو فضلهم والفضل هو قدر الطاقة والاحتمال . (٤) كما فسره لنا أبو يوسف ويحيى بن آدم .

ولقد حاول لوكفارد ناشر كتاب الخراج لأبي يوسف أن يفسر مفهوم « عفو ـ فضل ـ طاقة » تفسيراً لا يتفق وروح التشريع الخراجي ، إذ قال : إن جمع الخراج بمقتضى العفو لا يعني إلا القدرة القصوى . وهي تعني أن

(١) أبو يوسف ص ٤٨ .
(٢) أبو يوسف ص ١٦ ـ لوكيفارد ص ٨٠ .
(٣) أبو يوسف ص ٤٨ .
(٤) أبو يوسف ص ٧٩ .

العفو أو الفضل (الفائض) الذي يحصل عليه دافع الضرائب (أي أهل العهد) ، إنما قُدّر بمقدار مرتفع قدر الإمكان (١) . والعكس هو الصحيح ، فعبارة : عفو ـ فضل ـ طاقة ، تحمل في مضمونها أسساً جذرية لصالح دافع الضرائب ، وهي تحدد وتغلّ يد جامع الضرائب كما رأينا في النصوص المختلفة .

والواقع أن تلك الروايات التي ذكرت في هذا البحث تتفق مع المستندات البردية التي أيدت ما جاء بتلك الروايات من أحكام خراجية ، وبأنها قد طبقت بروح عادلة ، رغم أن تلك البرديات لا تتفق مع أصول الجباية بكتب الخراج ، ولكنها أثبتت بأن تلك الأصول إنما هي أمور نظرية فقط ، وأن التطبيق لم يأخذ بتلك الأصول نصاً ولكن أخذ عنها الروح المتسامحة فقط .

وأنقل هنا نص إحـــدى روايات كتب الخراج عن معاهدة الرها ، وما لازمها من تفسيرات خاطئة حاول هؤلاء المستشرقون استخدامها لتزييف تلك الحقيقة ، وقد أوردت كتب الخراج ، والفتوح هذا النص ، والجدير بالذكر أن تلك المعاهدة التي كانت مدار النقاش ، وبشأن الرها ، قد كانت هي الأساس الذي اتبعه العرب مع مدن الثغور والعواصم الشامية ، رعاية لمصالح أهل تلك المناطق ، والنص كما جاء بكتب الخراج كالتالي :

« ووجه [أبو عبيدة] عياض بن غنم الفهري إلى الجزيرة ، ومدينة ملك الروم يومئذ الرّها . فعمد لها عياض بن غنم ولم يتعرض بشيء مما مَرّ به من القرى والرساتيق ولم يلق كيداً ولا جنداً حتى نزل الرها . فأغلق أصحابها أبوابها ، وأقام عياض عليها لبثاً لم يسم لي . فلما رأى صاحبها الحصار ويئس من المدد فتح لها باباً في الجبل ليلاً فهرب وأكثر من كان معه من الجند وبقي في المدينة أهلها من الأنباط وهم كثير ، ومن لم يرد الهرب

(١) لوكيفارد : ص ٧٩ وأبو يوسف : ١٦ ... يحيى بن آدم : روايات رقم ٢٣٢ ـ ٢٣٥ ٢٣٦ .

من الروم وهم قليل . فأرسلوا إلى عياض بن غنم يسألونه الصلح على شيء سموه . فكتب عياض بذلك إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فلما أتاه الكتاب بعث به إلى معاذ بن جبل فاقرأه إياه ، فقال له معاذ : إنك إن أعطيتهم الصلح على شيء مسمى فعجزوا عنه لم يكن لك أن تقتلهم ولم تجد بداً من إبطال ما اشترطت عليهم من التسمية ، وإن أيسروا أدوه على غير الصغار الذي أمر الله به فيهم ، فاقبل منهم الصلح وأعطهم إياه على أن يؤدوا الطاقة ، فان أيسروا أو أعسروا لم يكن لك عليهم إلا ما يطيقون ، وتم لك شرطك ولم يبطل . فقبل ذلك أبو عبيدة وكتب إلى عياض بن غنم ، فلما أتى عياض ابن غنم الكتاب ، أعلمهم ما جاء فيه ، فاختلف عليه في هـذا الموضع ، فقال قائل : قبلوا الصلح على قدر الطاقة . وقال آخر : أنكروا ذلك وعلموا أن في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب إن أخذوا بالطاقة وأبوا إلا" شيئاً مسمى . فلما رأى عياض إباءهم وحصانة مدينتهم وآيس من فتحها عنوة صالحهم على ما سألوا . والله أعلم أي ذلك كان ، إلا أن الصلح قد وقع وفتحت عليه المدينة لا شك في ذلك (١) . »

والواقع أن نوعية الخراج المفروض على الأرضين المفتوحة عنوة أو صلحاً ، قد قادت إلى تضارب آراء المؤرخين العرب . فلقد كان فتح الصلح عادة على شيء مسمى يوضع عليها ، وطبقاً للأسس المتبعة . أما بصدد الرُّها ، فان إصرار العرب على قدر الطاقة في فرض الخراج ، إنما يرجع إلى أسباب إنسانية عادلة . وهذا ما جعل فاغان ودنّيت الذي أخذ عنه تفسيره للنص ، يميل إلى مبدأ قدر الطاقة كأساس متبع (٢) . فلقد علق دنّيت على النص : « وقد عرضوا فقط على أساس شروط يضعونها هم أنفسهم فقط » وهـــذا

(١) أبو يوسف ٤٠ . بلاذري ص ١٧٧ ، ١٧٨ . ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢) دنّيت : ص ٥٠ عن فاغان .

لا يتفق مع المبدأ الذي اتبعه العرب مع المدن المفتوحة صلحاً . وقد حاول لوكيفارد أن يجعل من قدر الطاقة أساساً لفتح المدينة عنوة ، وهذا ما لم تنص عليه الرواية الحالية . والواقع ان تضارب آراء المؤرخين العرب وكذلك آراء المستشرقين ، إنما يرجع إلى عدم تفهم وضع أهل الرها بالنسبة للفتح ، وكذلك عدم توصلهم لحكمة تمسك جيش الفتح بقدر الطاقة والواقع أن الدافع لذلك إنما يرجع إلى اعتبارين هامين أولهما وقوع المدينة في منطقة الثغور ، وثانيهما تحايل أهل الرها وسوء قصدهم ، ومحاولتهم التهرب من التزاماتهم تجاه العرب . ومن الأكيد فان أهل الرها كانوا حريصين على أموالهم ووجدوا : « ان في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب أن أخذوا بالطاقة » . فتحايلوا وعرضوا مبدأ الصلح على شيء سموه ، وهذا ما لا يتناسب مع إمكانياتهم التي تتيح لهم القيام بالأعباء التي يمكن القيام بها . بينما كان العرب ينتهجون خير الأحكام التي هي دائماً في صالح أهل العهد ، فلو قبل العرب هـذا القدر المسمى الذي هو الآن دون طاقتهم والأقل من إمكانياتهم ، فقد يجيء اليوم الذي يصبح هذا القدر المسمى فوق طاقتهم ، كأن يقل المدخول المالي لهم ويقل عدد أهل العهد ، وبذلك تصبح تلك القلة مرتبطة بذلك العهد الذي عقد من قبل . لذلك حاول العرب أن يعاملوهم بقدر الطاقة لأن ما عرضوه ليس في صالحهم مستقبلاً ، ولا يتفق مع تقلب أحوالهم ولكن دنيّت خلق نوعاً من الغموض عمل على النيل من عدالة العرض المقدم لأهل الرها . كما وأنه فسّر « والله أعلم أي ذلك كان » ، تفسيراً غامضاً ، وحاول أن يجعل الاختلاف بين أهل الرها في أمر قبول شروط الصلح . والواقع أن : « فاختلف علينا في هذا الموضع ، والله أعلم أي ذلك كان » إنما كان اختلاف الفقهاء والرواة العرب عن نوع الفتح وبالتالي نوع الأحكام المتبعة(١) .

---

(١) نفس المصدر ص ٢٤ .

بينما علّق فاغان على ترجمته لـ « على غير الصغار منهم » محاولاً أن يربط بين استخدام هذا النص بسورة التوبة آية ٢٩ ، وبأنه يفهم أن شروط أهل الرها هي استثناء الصغار من أداء الجزية . وهذا ما لم يجيء به النص ، ولم يسبق للعرب أن جبوا الجزية عن الصغار . بل كانت تلك كلمة معاذ كما وانه لا علاقة لها مع الآية الكريمة (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صـٰغِرُون) ، ومن الأمر المفروغ منه هو أن يدفع الصغار من أهل العهد الخراج على أملاكهم في الوقت الذي هم مُعْفَون فيه من الجزية إلى حين بلوغهم السن التي تستوجب عليه (١) . هــــذا وإن كان هناك طلب لاستثناء الصغار من الضرائب ، فلا بُدّ وأن يكون ذلك على أملاك هؤلاء . وهذا دهاء من أثرياء الأنباط .

وفي نفس الوقت فقد أورد دنّيت بعض التراجم للنصوص لا تتفق مع معناها الأصلي ، وهو بأن أهل الرها لم يقبلوا عرض الصلح على قدر الطاقة ، لأن هناك فئة أخرى من الأغنياء عارضت ذلك .. وهذا ما لم يقدمه النص .. بل يرجع مضمون تضارب النص إلى الفقهاء العرب ، في عصر يبعد عن وقت الفتح . وهذا ما جعلهم يترددون في الحـكم ، إذ قال قائل : قبلوا الصلح على قدر الطاقه ... وقال آخر : أنكروا ذلك ... كما وأنه تبع فاغان في شرحه « والله أعلم أي ذلك كان » والمقصود بهذه العبارة اختلاف الفقهاء في أمر الصلح على شيء مسمى أو على قدر الطاقة (٢) .

بينما يحاول لوكيفارد أن يجعل صلح قدر الطاقة في هذه الحالة كأنه من مستلزمات الفتح عنوة ، وهذا ما لم يحدث في فتح الرها (٣) . والواضح من

---

(١) سورة التوبة آية ٢٩ — وفاغان ص ٦٣ .
(٢) دنيت ص ٤٤ .
(٣) لوكيفارد ص ٨٠ .

الروايات التاريخية أن المتعاهدين لهم حق الخيار بين قدر الطاقة وبين على شيء مسمى . وهذا ما حدث في ثغور شمال سورية . أما لماذا فضّل أهل الرها أن يكون الصلح على شيء يسمونه ، وأن يتمسك العرب بقدر الطاقة ، فان ذلك يرجع إلى أن العرب يرجون صالح أهـل الرها بسبب موقفهم الثغري ، أما أهل الرها فقد كانوا يخشون أن ينسحب المسلمون وقت هجوم الروم . ولذلك فان الصلح على شيء مسمى إنما هو أنسب الحلول لهم ، فالرها كانت مركزاً تجارياً ، وهذا إنما كان تحايلاً منهم لعدم دفع التزامات قدر الطاقة . ويتهربون بذلك من دفع الخراج الذي كانوا يؤدونه للروم .

وقد اتبع العرب أثناء حركة الفتح وقبل موقعة اليرموك ، وقبل أن تخضع البلاد خضوعاً تاماً ، اتبعوا سياسة « على شيء مسمى » ، لأنهم لم يكونوا في ذلك الوقت في مركز يسمح لهم ببسط حمايتهم على البلاد والسير بها نحو الاستقرار . لأنهم كانوا خلال حرب أحكامها مؤقتة ومرهونة بانتهاء الفتح . لذلك كانت اتفاقاتهم الأولى بسيطة وتنبع من التزامهم بسنن الرسول الكريم تجاه معاملته لأهل خيبر وتبوك وغيرها من مدن شمال الجزيرة العربية التي صالحت على شيء مسمى ، وكانت المعاهدات الأولى للفتح معاهدات مؤقتة . وقد أوضحت لنا كتب الفتوح مثل هـــذه المعاهدات مع أهل العواصم والثغور ومع المدن التي افتتحت تحت ظروف خاصة . وقد وافق العرب أهل تلك المناطق على شروطهم هذه ، إذ كانوا يتوقعون عودة الروم . ومثل هذه المعاهدات المؤقتة يمكن أن تسمى بلغة عصرنا بالهدنة المشروطة . ونجد أن أبا عبيدة قد وافق على مثل هذه المعاهدات بعد الفتح الأول لدمشق ، وإنه أعاد لأهل حمص وغيرها هذا الشيء المسمى الذي حصل عليه نتيجة الصلح ، وذلك عندما اضطر للانسحاب نحو اليرموك في انتظار وصول الروم واستعداداً للمعركة الحاسمة . وكان هذا هو الأساس المتبع إلى أن قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجابية الأسس والأحكام الخراجية .

ويوضح هذا بأن السياسة الجديدة للخراج لم تكن بفرض السلب والغنيمة ، بل قُررت لتخدم الصالح العام . كما وإن العرب لم يكونوا يبغون في فتحهم الأسلاب والغنائم ، بل يهدفون استقراراً ونشر كلمة الله في تلك المناطق . لذلك كانت أحكامهم تخدم سياسة بقاء واستقرار .

وقد حاول هؤلاء المستشرقون وغيرهم ، إضفاء صفة الشرعية على آرائهم الزائفة ومحاولة تغطية وتبرير وسائل تهرب أهل الرها في أداء التزاماتهم ، مفسرين ذلك بأن العرب كانوا يودون إجبار هؤلاء على دفع ضرائب فادحة واستغلالهم ، بينما العكس هو الأصح .

والأكيد : فان عدم وضوح الروايات التي تناولت صلح الرها وعما إذا كان ذلك على شيء مسمى أو على قدر الطاقة ، جعل الأمر معلقاً غير واضح [١] لذلك لا نعجب لتعليق لوكيفارد الغريب ، إذ قال : وللحديث الدقيق فانه يبدو في الإمكان التصور بأن معاهدة صلح طبقاً لشروط في دفع الجزية والخراج ، ليست محددة الالتزامات والبنود ، بينما أحوال التملك قد تركت على شكلها السابق [٢] . ويتفق هذا التعليق مع أحكام الصلح حسب الطاقة ، وليس مع صلح مشروط في التزاماته . بينما نجد عقد صلح أهل الرها الذي عاهدوا عليه العرب هو : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عياض ابن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها أنني أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم إذا أدوا الحق الذي عليهم ، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالنا . شهد الله وملائكته والمسلمون [٣] » .

(١) فتوح البلدان : ج ١ ص ١٧٩ للبلاذري .

(٢) لوكيفارد : ص ٧٩ .

(٣) بلاذري ص ١٧٩ . ابن حجر : التهذيب ، مجلد ٧ صفحات ١٩٩ — ٢٠٤ .

وهذا العقد استخدمه لوكيفارد لشرح آرائه غير الواضحة ، محاولاً التدليل به على صحة تعليقه لنصوص كتاب الخراج ، وذلك حتى يمكنه أن يوفق بين رأيه هذا وبين آراء بعض الفقهاء الذين يرون بأن المبدأ المستخدم مع أهل العهد إنما يخضع لقدر الطاقة ، وليس على أسس دفع خراج ثابت ومعين . وهذه الأحكام إنما كانت ترجع إلى أيام الفتح المبكر فقط ، وهي في نظرهم لا تضر بأهل العهد ولا تجحف بهم[١] وهناك من الروايات الخراجية التي تتفق مع ذلك ، منها الرواية التي تناولت نصيحة عتبة بن أبي رباح لهشام ابن عبد الملك ، يوصيه فيها بمعاملة أهل الذمة بالعدل وبألا يحملهم فوق طاقتهم . فوعده الخليفة بأن الخراج سيفرض على حسب طاقتهم[٢] .

وقد عومل أهل مصر نفس معاملة أهل الذمة في سورية وفلسطين ، وأورد ابن عبد الحكم عهد عمرو بن العاص لأهل مصر ؛ وهذا العهد أكّد الأسس التي اتبعت في الجباية وبأنها كانت تتم طبقاً لمبدأ قدر الطاقة ، بينما كانت جالية الرأس من الناحية النظرية ، قد فرضت على أساس القدر المسمى[٣] ورغم أن كتب الخراج والفتوح قد وضعت أسس جباية الخراج فانها كذلك قدمت العديد من الروايات عن مبدأ قدر الطاقة ، والقدر المسمى ، بينما تؤكد الوثائق البردية الخراجية بأن الجباية كانت في جميع مراحلها على قدر الطاقة ، ليس هذا بالنسبة لخراج الأرض ، بل بالنسبة لجزية الرأس كذلك ، وقد أكدت كتب الخراج والفتوح تمسك أبي عبيدة بمبدأ قدر الطاقة في الخراج[٤] . وقد اتفقت تلك الوثائق مع روايات ابن عبد الحكم في جوهر الجباية وطريقتها ، اتفاقاً تاماً . وهذا الاتفاق يبين بأن الخراج

(١) محاضرات الأبرار ، ج ـ ١ صفحة ٢٦٥ .
(٢) أبو عبيد : صفحة ٤٠ .
(٣) أبو يوسف : صفحات ٣٧ ـ ٣٩ ـ ٨٥ ـ ٨٦ وروايتي يحيى بن آدم رقم ٢٤٠ ـ ٢٤١ .
(٤) اغاپندس ، ص ٤٠٧ . ابن عبد الحكم ، المصدر والموضع نفسه .

كان يجبى عموماً على قدر الطاقة بصرف النظر عما إذا كانت كتب الخراج والفتوح قد ذكرت روايات تختلف بالأساس عن هذا المبدأ . ونجد بأن معظم روايات أبي يوسف تتفق مع هذا الرأي(١) كما أكدت روايات يحيى ابن آدم نفس المبدأ وبصفة خاصة في الروايتين ٢٤٠ — ٢٤١ .

ونحب أن نردّ على هؤلاء المستشرقين بأن قدر الطاقة ليس هي بالحد الأقصى لامكانية استنزاف أهل الذمة وبالحصول على أعلى مردود خراجي منهم ، أي كما يقولون الفائض الذي يسمونه عفو ـ فضل والذي يقدر على دافع الخراج بأقصى حد ممكن ، بل هي هنا الطاقة ، وهي المقدار الذى يزيد عن حاجات أهل الخراج طبقاً لقدرتهم المالية وظروف إنتاجهم . ونحن لو اعتمدنا على الوثائق البردية وروايات ابن عبد الحكم فقط لتبين لنا زيف أحكام هؤلاء المستشرقين ، الذين حاولوا استغلال التضارب النظري لأحكام الفقه الخراجي ، متجاهلين واقع الحال وممارسة الجباية نفسها ، التي لم تخرج عن عدالة التشريع الخراجي نفسه .

وفي نفس الوقت الذي نجد فيه كتب الخراج تدعو إلى اتخاذ مبدأ قدر الطاقة في الجباية والرأفة والتسامح في معاملة أهل الذمة وعدم الإضرار بهم ، نجد أمثلة عديدة من الوثائق البردية تؤكد ذلك وتمنح أهل الذمة حق الشكوى والاعتراض على قرار الجبـــاية لدى الحاكم نفسه كما وان العديد من البرديات تنصح عمال الخراج باتباع العدل في الجباية وتهدد بانزال شديد العقاب بهم إن أخطأوا في تقديراتهم(٢) . وعلى هذا الأساس فان قدر

(١) نفس المصادر ونفس الموضع . ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٣ . أبو جعفر النحاس : الناسخ ص ١٥٠ .

(٢) كتب الخراج ... وخطابات قرّة بن شريك لعامل الكورة في مجموعة المتحف البريطاني .

الطاقة ليست بالأحكام الخراجية التي تغصب أهل الذمة أموالهم كما يقول هؤلاء المستشرقون .

ولم يبق إلا أن نناقش تطور معنى «عفو» كاصطلاح ضرائبي . ومن المؤكد أنه ليس هناك ارتباط بين رواية ابن عباس : «إنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، أي الفضل» وبين الآية الكريمة «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» فمضمون كلمة عفو هنا يختلف بشكل واضح عن المضمون الخراجي[1] . ومما لا شك فيه أن جماعات الفقهاء قد اجتهد كل منهم في تفسير مضمون الكلمة بما يتفق واجتهادهم . غير أن تلك الكلمة قد استخدمت بعد ذلك بمفهومها العام المعبر عن شهامة وتسامح في الخلق والمعاملة ، إلى جانب استعمالها الخاص في أدب الزهد والتصوف .

(بودابست) الدكتور عبد المنعم مختار



(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩ ، الطبري .. التفسير . مجلد ٩ صفحة ٩٧ .

التعريف والنقد

عبد الرحمن الأوزاعي

شيخ الإسلام وإمام أهل الشام(١)

كتاب ألفه الشيخ طه الولي وأخرجه إخراجاً حسناً ، في عبارة عربية أصيلة ، وترتيب وتبويب وفهارس تسهل معها المراجعة . والكتاب يقع في

---

(١) قد يكون من الإساءة إلى مكانة صاحب المكانة أن يحصر فضله في نطاق ضيّق فيقال : « في الأوزاعي انه « شيخ بيروت » أو « إمام لبنان » ـ على ما قاله بعضهم ـ على حين كان الأوزاعي إمام الشام كله ، داخله وساحله ، بل قد كانت له شهرة طبقت البلاد الإسلامية في يومها حتى بلغت الأندلس . وتحضرني في هذه المناسبة نكتة كانت بين الأمير شكيب أرسلان ، والأستاذ الكرد علي رحمهما الله . وهما من كانا في العلم والأدب والتاريخ . والأمير شكيب هو الذي طبع كتاب « محاسن المساعي ، في مناقب أبي عمرو الأوزاعي » وهو الكتاب الذي أخطأ كاتب هذه السطور إذ نسبه إلى الأمير شكيب . وكان أول من نبه على هذا السهو المحقق الثقة الشيخ محمد أحمد دهمان ثم نبه إلى هذا الخطأ الشيخ راغب الطباخ . ثم استدرك ذلك أخيراً المؤلف الشيخ طه الولي .

أما النكتة ، فهي : كان الأمير في زيارة الأستاذ .فحمل الأستاذ القهوة بيده يقدمها الأمير فقال له الأمير : « عفواً خلّ عنك هذا يا أستاذ . فقال الأستاذ : لي الفخر أن أقدم القهوة بيدي لأكبر كاتب درزي . فأجابه الأمير وأنا أفخر بان أتناول القهوة من يد أكبر كاتب كردي في العربية . فكانت غمزة ونكتة ضحك لها الأمير والأستاذ .

وينسحب على هذا تسمية شهداء العرب بـ « شهداء لبنان » و « شهداء سورية » على حين كان استشهادهم من أجل قضية أسمى من الإقليمية الضيقة . و « قدر الشهادة قدر الشهيد » .

مئتين وعشرين صفحة . اشتملت على كثير من شؤون الامام : موطنه ، ومنشأه ودراسته ، وتدريسه ، وبعض آرائه وحكمه وأقواله ، وما وقع له في حياته . وألحق ذلك برسوم تمثل ما يتعلق بالأوزاعي من مشاهد ، وجوامع ومساجد ، وتكيات وزوايا ، ومن كتابات ونقوش وحفريات ومن معاهد علمية ، ومؤسسات خيرية . ما كان منها من قبل ، وما انشيء منها من بعد ، باسمه وعلى اسمه في جواره بقرية حنتوس ـ التي أصبح يطلق عليها محلة الأوزاعي ـ وفي مدينة بيروت نفسها . وفي الكتاب من المعلومات التاريخية القيمة عن بيروت وبعض أحوالها ، وترجمة بعض رجالاتها ما لا يستغني عنه من يؤرخ للعرب وللاسلام ، وبخاصة للبنان .

والإمام الأوزاعي لم يكن في الشام ـ في عصره ـ أعلم منه ، قيل انه أجاب في سبعين ألف مسألة . ويرى الأستاذ المؤلف ان في الاجابة عن سبعين ألف مسألة ـ مسألة فيها نظر ـ وإذا كنا نشاركه في رأيه هذا بعض المشاركة ، فلا نشاركه في ما ذهب اليه من أنه (ليس كثير الاندفاع وراء القول : « ان الأوزاعي مذهباً فقهياً مستقلاً ») ، فالنقول التاريخية التي نقلها الأستاذ عن كبار المؤرخين وثقاتهم لا يدفعها ـ في رأينا ـ شك منقطع عن الدليل ، قائم على مجرد الرأي .

نعم ! ليس هذا النفي ـ في رأينا ـ نقولها ثانية ـ بكاف لانكار مذهب عمل به برهة من الزمن . ففي كتاب المقدسي : (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) « وللأوزاعي مجلس بجامع دمشق كان العمل فيه على مذهب أصحاب الحديث » . وفي كتاب : (مدارس دمشق للاربلي) . « وفي الجامع الأموي حلقتان وهما : حلقة الأوزاعي وحلقة المحراب » وفي تنبيه الطالب للنعيمي : (للحنفية والحنابلة حلقة الأوزاعي) ومعلوم أن كثيرين كانوا يجمعون بين مذهبين فيأخذون عنها ويعملون بها . وفي شذرات الذهب في حوادث

سنة ٣٤٧ « ففيها توفي القاضي أبو الحسن بن حزام وهو آخر من كانت له حلقة بجامع دمشق يدرس فيها مذهب الأوزاعي » .

كما كان له مسجد على باب توما بدمشق ملاصق للسور على يمين الخارج يسمى بـ « مسجد الإمام الأوزاعي التابعي المدفون ببيروت رحمه الله وعلى بابه سقاية » .

هذا إلى أن ما دار بينه وبين الشافعي من جدال وحوار يدل على أنه كان لهذا الإمام رأي واجتهاد ، يدخلانه في مصاف أصحاب المذاهب .

ولا يضيره ان اندرس مذهبه ، فقد اندرس كثير من المذاهب ، وانقرض العاملون بها . والمؤلف نفسه يقول نقلاً عن الأستاذ الكرد علي . « وهناك مذاهب جماعية ، لا تقل عن غيرها شأناً ، كمذهب الظاهري والأوزاعي والطبري ، ضعفت شهرتها إذ لم تجد لها من يعضدها من الملوك ، ولا من يهتم بها من الخاصة أو العامة ، كما وقع لمذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة : أوسع مذاهب أهل السنة انتشاراً » .

وسواء أصح له مذهب ، وهو القول المعوّل عليه الذي قال به الثقات ، أو لم يصح ، فالرجل كان أمة وحده ، علم راسخ ، وقول صريح ، ودفاع عن الحق ، واستمساك بالسنة .

ومن حكمه وهو ما استشهد به المؤلف في كتابه :

« اصبر نفسك على السنة . وقف حيث وقف القوم . وقل بما قالوا . وكفّ عمّا كفّوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح . فانه يسعك ما وسعه . ولا يستقيم الإيمان إلاّ بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل . »

وليس غريباً أن لا يروى للأوزاعي شيء من الشعر ـ وإن كثر قائلوه من الفقهاء ـ وقد عقد الأستاذ الفصول الطوال في هذا الموضوع ـ ولكن

الغريب أن لا يكون للأوزاعي حظ من الشعر حتى في ما قيل فيه . وصف الأمير شكيب ما قيل من شعر في الأوزاعي . فقال : « بأنه من الشعر النازل الذي لا يليق بمثل الإمام الأوزاعي ، وفيه لحن وغلط وهو في آخر طبقة من شعر الفقهاء ، فلذلك طويناه كله واكتفينا بالمطالع لا غير » .

على أن ما نشره المؤلف الولي بعد ذلك من شعر النابلسي والكستي والانسي في الأوزاعي لم يكن من الشعر في النمط العالي . حتى ولا هو من عيار شعر هؤلاء المتأخرين الذين كانوا في عصرهم ممن يُقرأ شعرهم . وقد وقع فيه من اللحن والخطأ المطبعي وغيره ، ما يدل على سوء حظ الأوزاعي من الشعر .

ونقل المؤلف ما قاله عبد الحميـــد ابن أبي العشرين الدمشقي المعروف بأبي سعيد البيروتي ـ وكان مختصاً بالأوزاعي يكتب ويروي عنه ـ قال : « وما مات الأوزاعي حتى جلس وحـده ، وسمع شتمه باذنه . يعني أنه اعتزل الناس وصبر على أذاهم » . ويعقب الشيخ الولي على هذا فيقول : « وخليق بمن انتهى بمثل هذه النهاية أن لا يجد من الشعراء في أيامه من يلتفت إليه » وهو تعليل وجيه ، غير أن الأستاذ المؤلف لم يذكر لنـا السبب الذي حمل الناس على اعتزاله وانصرافهم عنه .

وقد جاء في هذا الكتاب ذكر للسنطية أو السمطية « بالميم على رواية الكتاب » . والسنطية بالصاد والنون على رواية الأب لويس الشيخو .

ويقول المؤلف : « والسنطية كلمة مبهمة المصدر والمعنى . وقد حاول كثيرون من المعنيين بتاريخ بيروت أن يرجعوا فيها إلى أصل تاريخي أو لغوي وان كانوا حتى الآن ما يزالون يضربون فيها رجماً بالغيب » انتهى كلام المؤلف .

نقول : ونحن لا نرى أن الكلمة مبهمة المصدر ولا غريبة المعنى « فالسنطية » بالسين والنون كما هي واردة في بعض المصادر التاريخية وكما تلفظها الخاصة

والعامة في بيروت اليوم » منسوبة إلى السنط . وهو شجر معروف عند العرب ، هو الا كاسيا ، فان لم يكنه ، فهو أشبه شيء به . وصفه الإمام الأعظم أبو حنيفة فقال : « والسنط أجود حطب استوقد به الناس . يزعمون أنه أكثره نارا ، وأقله رماداً » .

واللفظ صحيح والمعنى واضح لا يحتاج إلى جعله لفظاً أجنبيا .

الرواية التي زعمها بعضهم ونفاها الشيخ الولي صراحة :

ومن الأخطاء التي كان حقيقاً بالمؤلف أن يشير إليها : قول ابن عراق : « إن مجدل المعوش قرب جزين بلبنان » أما انها بلبنان فنعم ، وأما انها قرب جزين فلا ، وكان على ابن عراق وقد أقام بمجدل المعوش ست سنوات أن يعرف ذلك ، ومجدل المعوش أو (المعوج) قرية من أعمال الجرد ، وكانت من قبل قرية إسلامية لجأ إليهـــا أحد بطاركة الموارنة . وهي اليوم قرية مارونية (١) .

ونخالف الأستاذ في ما ذهب إليه « من أن دفن الاوزاعي في قرية حنتوس كان من إيحاء بعض أهل النصارى في لبنان الذين عرفوا يده عليهم » فهذا بعيد عن واقع الحال ، لا يقول به من عرف تاريخ لبنان في تلك الأيام .

---

(١) في تاريخ الأزمنة للبطرك الدويهي ما يأتي : « وفي سنة ١٠١٨ هـ = ١٦٠٩ م اضطر البطرك يوحنا بن مخلوف الهدناني ، من كثرة المظالم التي كانت صايرة على الكرسي أن يتوجه إلى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الأمير فخر الدين . فقبله بكل كرامة . وصدف أن قبل ذلك الزمان وقعت الفتنة بين المسلمين : سكان قرية مجدل المعوش . وكثرت القتلى من الجانبين حتى اتفقوا على بيع القرية والخروج منها . فاشتراها منهم الأمير علي ابن الأمير فخر الدين باثني عشر ألف ودفعها (أي القرية) للنصاري . فنزل البطرك فيها وعمّر فيها كنيسة وداراً » ا . هـ .

ولقد أكثر المؤلف من ذكر الأمير شكيب أرسلان ، وأنصفه كل الإنصاف ، ووضعه في الموضع الذي تستحقه مكانته العلمية والأدبية والسياسية . إلا أنه شك في صحة سجل النسب الارسلاني الذي نشره الأمير في حاشية كتاب : « محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي » . واتهم الأمير : بأنه كان سخياً في حسن ظنه بصدق السجل . وهذا موضوع حري بالدراسة والتمحيص ، ذلك أن الأمير رجل معروف بالصدق وقد نشر سجله وهو واثق بصحته .

وبعد ، فالشكر للشيخ طه على وضعه هذا الكتاب مشاركة وتعزيزاً للذين عملوا ولا يزالون يعملون على نشر فضائل هـذا الإمام ، والتذكير بمنزلته الدينية والعلمية .

عارف النكدي

عشر سنوات في الدبلوماسية
في صميم الأحداث العربية والدولية
وضعه الدكتور نجيب الأرمنازي
السفير السوري السابق

من مميزات هذا الكتاب ـ الذي يقع في ثلاث مئة صفحة ، وهو الجزء الأول من هذه السنوات العشر ـ أنه يضع لك الأحداث العربية جملة ، ثم يتناول بالتفصيل والإسهاب قضية فلسطين : نكبة اليوم . يبسطها أمام عينيك ماثلة بوثائقها الرسمية الناطقة ، وبتصريحات رجالات السياسة المنافقة ، بحيث تقرأ تاريخها جلية واضحة ، بخفاياها وأسرارها . فاذا « بقحلة اليوم بعد

وحلة أمس ». حيل يهودية ، وأساليب مكيافالية ، تلفّها دعايات ماكرة ، وسياسة فاجرة ، تقوم على بذل المال ، وخدمة الاستعمار ، والنكث بكل عهد ، والتحلل من كل وعد . وحدة في صفوف هؤلاء القوم : اليهود ، تجعل كلتهم متفقة ، ومطاليبهم محققة ، يقابلها في صفوفنا نحن العرب : سياسة ساذجة ، تبلغ أحياناً حد البله ، والركون إلى وعود طالما تنكر لها ولكثير من أمثالها كبار أصحابها .

هذه أمور مؤلمة ، ولكنها حقائق مبكية ، تقرأها والألم يحز في نفسك ان بقي لك بعد هذه النكبات نفس ، والدمع يملأ عينك إن بقي لك بعد هذه الحادثات دمع .

يقول الدكتور الأرمنازي في الفصل الرابع بعنوان : المشكلة الفلسطينية[١] خلال حربين : « استقرت الدعوة الصهيونية في بريطانية في الحرب العالمية الأولى . وكانت تساندها عناصرها المنبثة في الولايات المتحدة وسائر الأرجاء الأوروبية ، برغم اشتباك بعضها ببعض في ساحات القتال . وقد عقدت آمالها حيناً من الزمن على ألمانية الامبراطورية . وفي بعض الأحيان على النمسة حتى روسية القيصرية ، ولكنها وجدت في آخر الأمر ، أن بريطانية العظمى هي مرتعها الخصيب ، فآوت إليه ، ونمت في ظله ، وقد استعان أصحابها بنواح كثيرة للتأثير على البريطانيين ، وفي مقدمتها رغبة التسلط والاستعمار ، التي تملأ جوانحهم . وذلك باقامة محمية بريطانية في فلسطين ، تكون أداة من أدواتهم السياسية ، فضلاً عن استثمار الأسباب العاطفية والدينية وغيرها .

---

(١) النسبة إلى « فلسطين » ــ « فلسطي » وهو ما لا يخفى على المؤلف ، غير أنه استعمل اللغة المشهورة .

وكان ويزمن : داهيتهم مبشراً بهذه الدعوة ، وقد وجد في منشستر وفي جريدتها الحرة « الغارديان » أكبر عون له على خططه . وزاد في ذلك خبرته الكيمائية التي وضعها في خدمة السلاح البريطاني أثناء الحرب . فكان العلم في جملة وسائله واتساع صلاته ، وارتفعت منزلته فكان يقابل الرؤساء والوزراء والحكام وملوك الأموال ـ يتحدث وهو روسي المنشأ ، انكليزي التبعة بلسان شعب لم يتكوّن ، فيُصغى إليه ، وتفتح له الأبواب المغلقة ، فيمثل أدواره ببراعة منقطعة النظير . فطوراً يلتمس مواضع الضعف الإنساني فيداهن ويتملق ، وطوراً يستعطف فيذرف دموعه ، ويبالغ في إظهار عنائه ليجتلب الرحمة ، وطوراً يواجه خصومه بشدة وعنف ويستأسد عليهم ، ولا سيا إذا آنس منهم ضعفاً ، فاذا بهذا المستكين ، المذِق اللسان ، يتهم ويؤنب ويدعو إلى القسوة التي لا بد منها . ولا تفوته الحكمة والتصدر ومقاومة التطرف . وهو يعرف كيف يستثمر الظروف ، ويخفي حماسته وحرصه وتهالكه ، حتى أدرك بجماعته ما أدرك ، وذلّل من العقبات ما ذلّل ، دعاه الذين كانوا يعلنون معارضتهم له ، ليكون أول رئيس ، قائلين : أين نجد مثله (١) ؟ .

---

(١) أخبرني الأمير بهجة الشهابي رحمه الله وقد أقام برهة بفلسطين عقيب الحرب العالمية الأولى ـ وأظنه قال ـ هذا إذا لم تخني الذاكرة في اسم الرجل ـ إن ويزمن عاش أول أمره في غرفة متواضعة ، وأنه كان يجري على نفسه خمسة جنيهات في الشهر . . .

فأين هذا منا نحن الذين كنا إذا جمعنا بعض المال ـ بعد جهد وعناء ـ صرفه من تسلمه على نفسه وملاذه . وليس بالبعيد اليوم الذي خودع فيه موفد سوري ، وآخر لبناني . خدعتهما امرأتان يهوديتان فقبلت كل منهما وثائق صاحبها وسلاحه .

وإنك إذا حملت قنديل «ديوجاس» تفتش عن العربي يفعل لقومه، ما فعله هذا الصهيوني لقومه، لم تجده».

وتمر في هذا الكتاب بالوثائق والتصريحات التي أشرنا إليها في مبدأ هذا الحديث وهو ما يجب على كل عربي - ولا سيما المشتغلين بالسياسة - أن يطلع عليها، ويتدبر ما فيها، فيعرف مكامن الضعف فينا، وسر القوة في عدونا، وكيف وصل هذا العدو إلى ما وصل إليه بالاخلاص لمبدأه، وبالبذل لقضيته، وبالتحايل والمكايدة. وقومه لا يعرفون لهم صديقاً إلا مصلحتهم. ونحن على ضعفنا، لا نزال على سياسة عربية عتيقة، تقوم على الإخلاص والوفاء، لقوم لا يعرفون الإخلاص ولا الوفاء، إذا ربطنا مقدراتنا بجماعة لا ننفك عنها، ولا نختلف معها، مهما آذتنا وأوذينا في سبيلها، ومهما تنكرت لنا وتاجرت بمصالحنا، وقد عُرف هذا عنا حتى عالن به بعض رجال السياسة في الغرب من غير غمغمة ولا مواربة. وهي سياسة مضحكة خرقاء، انصرم عهدها، وانقضى يومها. وهذه المبادئ على سموها ورفعتها إذا هي صلحت أمس، ونحن أقوياء، فلا تصلح اليوم ونحن ضعفاء. وقد يكون من البلاء، أن نمارس سياسة الإخلاص والوفاء مع الأعداء، وأن نتنكر لما ما بيننا فلا نتسامح ولا يخلص بعضنا للبعض الآخر، وبذلك يصبح ما نفعله ضعفاً وذلاً، لا اخلاصاً ووفاء.

ويقول الأستاذ الأرمنازي :

وكانت فظائع اليهود، بحيث قالت التيمس في عددها الصادر في ١٩٤٧/١٠/٢٦ ربما تجيز قوانين الحروب المنبثقة منذ القدم أن ينعم المنتصرون بخيرات المغلوبين على أمرهم، غير أن ليس من السهل ابدا التسامح بتصرفات بعض اليهود الذين ينتهكون الحرمات الإسلامية ويهزأون بها، ويدنسون

م (١٤)

المساجد ويحرقون الكتب المقدسة ، ويقلدون المؤذنين تفكهة للنساء اللواتي كنّ بصحبتهم .

ومع هذا أغضت السياسة الاستعمارية عن أفاعيلهم وفظائعهم . حتى جعل تريغفي لي نفسه آلة طيعة بيدهم ، وخادماً ذليلاً لهم . كان من أشد خصوم العرب ويفخر بمساندة إسرائيل ، ولا يكتم ما يشعر به من حماسة وغبطة من انضمام إسرائيل إلى الأمم المتحدة . حتى إنه كتب في مقدمة تقريره الرابع للجمعية العامة : « إن من حوادث التاريخ الباهرة ، التي لم تتحقق في نهاية ثلاثين عاماً ، بل في مدى ألفي سنة من تتابع آلام ومرارة ونضال » .

ويعقب الدكتور الأرمنازي فيقول :

« وعجيب أن رجلاً لعب مثل هذا الدور ، وتجاوز الحدود التي يلزمه بها منصبه مبالغاً في النكاية بالعرب ، تمنحه الحكومة السورية وسام أمية عندما مر بربوعها سنة ١٩٥١ مكافأة على إخلاصه وخدماته ! ... » .

أكرر القول : انها مذكرات من حقها أن تقرأ ، وأن يسبر غورها ، ومن لم يشأ أن يقرأها سياسة ، فليقرأها أدباً . فقد كتبها أديب ضليع ، ما أحسب أن في المذكرات السياسية كثيراً من أمثالها ، في حوكها وأسلوبها .

وقد وقع الأستاذ بعض هفوات قد تكون من سبق القلم إذ ليس من عادته أن يقع في مثلها والعصمة لله .

ع . د

كتاب :

دعائم الإسلام ، وذكر الحلال والحرام ، والقضاء في الأحكام ،
عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام
للقاضي الأجل أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون
التميمي المغربي قدس الله روحه
تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي ، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

يَعرِض لنا هذا الكتاب - كما قال فيه بعض واصفيه - نظريةَ الإمامة ، والعبادات الإسلامية من وجهة النظر الفاطمي ، فقد كان مؤلفه قاضي الدولة الفاطمية بمصر في وقت ظهورها . ويبحث الجزء الثاني من الكتاب في المعاملات على مقتضى المذهب الفاطمي . (قال) : والمسلم سنيّاً كان أم شيعياً - واجبه أن يقرأ هذا الكتاب ليعرف فكرة الإمامة عنـــد الفاطميين من مصادرها الأولى ، ويعرف واجب اتباع آداب الأئمة ، ويعرف وجوه الاتفاق - أو الاختلاف - بين المذهب الفاطمي ، وبين غيره من المذاهب الإسلامية .

يبلغ الجزءان الأول والثاني أكثر من ألف صفحة

وقد جاء في مقدمة الأستاذ المحقق أن كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان المتوفّى سنة ٣٦٣ ﻫ (٩٧٤ م) أقوم مصدر لدراسة القانون عند الفاطميين ، وهو مقسم إلى جزءين : الأول يبحث في العبادات وهي (ا) الإيمان من وجهة نظر الفاطميين (ب) الطهارة (ج) الصلاة ، ويشتمل أيضاً على الجنائز (د) الزكاة (ﻫ) الصوم (و) الحج (ز) الجهاد . وهذه هي دعائم الإسلام السبع عند الشيعة الفاطميين . وهذا الجزء في ثمانية كتب ، وحديثه عن

الصلاة والجنائز متناثرة في فصوله المختلفة . ويغلب على معالجته الموضوعات الصبغة الدينية والكلامية ، كما نجد بها مسائل تشريعية .

أما الجزء الثاني فهو يبحث في المعاملات ، ويشتمل على خمسة وعشرين كتاباً ، وقد عدها بأسمائها وأرقامها من كتاب البيوع إلى كتاب آداب القضاة .

والجزء الأول قيّم المباحث في علم الكلام ، كما يتضح ذلك من الكتاب الأول الذي يعدّ من أقدم النصوص في عقائد الفاطميين ، فهو يبدأ بتعريف الإيمان ، والفرق بين الإسلام والإيمان ، ثم يتحدث عن ضرورة الاعتقاد في الإمامة ، وواجب كل مؤمن أن يتبع الأئمة في معتقداتهم وأوامرهم ، ورأي الإسماعيلية في الولاية لا ينصب على حب الأئمة من أهل البيت فقط ، بل على الخضوع التام لأوامرهم .

وبجانب ما نراه في الكتاب الأول من الجزء الأول من الدعائم ، نرى في الكتاب الثاني الحديث عن وصية علي بن أبي طالب . وبكتاب الوصايا أهم الآراء المنسوبة إلى علي نفسه في توثيق عقيدة الولاية ، فكتاب الإيمان . وكتاب وصاية علي من أقدم المصادر الأساسية لبحث هذه العقيدة من عقائد الفاطميين .

والكتب الستة الأخرى التي يشتمل عليها هذا الجزء من الكتاب ، تتبع نهج الكتب الفقهية المعروفة ، مع إضافة الحديث عن الطهارة التي هي من خصائص فقه الشيعة .

ثم ذكر الأستاذ المحقق المصادر المطبوعة التي تستقى منها ترجمة المؤلف المطبوعة في بعض المجلات الكبرى الغربية ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ، وفي مقدمة كتاب المحقق « قانون الوصايا عند الإسماعيلية » طبع في اكسفورد سنة ١٩٣٣ م (من ص ١ إلى ص ٢٨) وذكر غيرها من المصادر وهي مسمّاة بأعلامها وأرقامها ، (قال) : وتوفي بالقاهرة في ٢٩ من جمادى الثانية سنة ٣٦٣ هـ (٢٧ مارس سنة ٩٧٤ م) وصلى عليه الإمام المعز لدين الله .

وجاء في هذه المقدمة ما نصّه : ويعرف في تاريخ أدب الدعوة الإسماعيلية المستعلية بسيدنا قاضي القضاة وداعي الدعاة النعمان بن محمد ، وقد يختصر المؤرخون فيقولون « القاضي النعمان » تمييزاً له عن صاحب المذهب الحنفي ، ويطلق عليه ابن خلكان ومؤلفو الشيعة الاثني عشرية « أبا حنيفة الشيعي » . خدم المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية التسع سنوات الأخيرة من حكمه ، ثم ولي قضاء طرابلس في عهد القائم بأمر الله الخليفة الثاني للفاطميين ، وفي عهد الخليفة الثالث المنصور بالله عين قاضياً المنصورية . ووصل إلى أعلى المراتب في عهد المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع ، إذ رفعه إلى مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعاة .

ثم وصف المحققُ هذا المؤلِّف بأنه وقف نفسه على الدراسات التشريعية والفلسفية ، وعلى تأليف هذه الكتب العديدة المتنوعة التي كتبها ، وقد وضع أسس القانون الفاطمي ، وينظر إليه بحق على أنه المشرع الأكبر للفاطميين ، ويقول رواة الفاطميين إنه لم يؤلف شيئاً دون الرجوع إلى أئمة عصره ، ويعتبر أقوم كتبه ـ « كتاب دعائم الإسلام » ـ أنه من عمل المعز نفسه ، وليس من عمل قاضيه الأكبر ، ولهذا كان هذا الكتاب هو القانون الرسمي منذ عهد المعز حتى نهاية الدولة الفاطمية كما يتضح ذلك من رسالة كتبها الحاكم بأمر الله إلى داعيه باليمن ، بل لا يزال هذا الكتاب هو الوحيد الذي يسيطر على حياة طائفة البهرة في الهند ، وعليه المعوّل في أحوالهم الشخصية . ثم ذكر مختصرات في الفقه أُخذت عن دعائم الإسلام ، وأن أبناء المؤلف اختصوا أيضاً بما كان يتمتع به أبوهم من نفوذ ، فقد تولى كل من ولديه علي والحسين مرتبة قاضي القضاة ، ووضعا كتباً في الشريعة وختم المحقق هذه الترجمة بقوله : وعلى الجملة فقد كان النعمان مؤسس أسرة محترمة من القضاة الممتازين ، كما كان مؤلفاً كثير الإنتاج ، ينسب إليه

أربعة وأربعون كتاباً ، منها ثمانية عشر يحتفظ بها إلى الآن ، وأربعة يرجح وجودها ، واثنان وعشرون فقدت ولم نعثر لها على أثر . اهـ .

(نشر النصّ)

تحت هذا العنوان ذكر المحقق أنه طبع هذا النص ونشره على ثمان نسخ خطية ، نسختان قيمتان جدّاً ، قال : وأقدم نسخ كتاب دعائم الإسلام التي عثرنا عليها ترجع إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ولا نجد خلافاً في مادة بين نسخه المختلفة ، وقد أُدرج في الكتاب كلمات لا يمكن أن تكون من عند المؤلف ، وقد عجب أن لا يجد من هذا الكتاب نسخة واحدة في مكتبات مصر ، إذ الموجود في دار الكتب المصرية هي صورة فوتوغرافية عن النسخة الخطية التي تحتفظ بها مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن قال : وهناك نسخة أخرى خطية بمكتبة صديقي الدكتور محمد كامل حسين الذي تخصص منذ سنوات عديدة في دراسة الأدب الفاطمي ، ونشر في ذلك عدة كتب وأبحاث . وبعد أن سمّى بعض البلدان الخالية منه ، والبعض الآخر النادر وجوده فيها ، قال : ومهما يكن من شيء فان وجود النسخ في الهند طبيعي جداً . فمن المرجح أن هنالك حوالي ثلاثمائة نسخة كاملة ، ثم وصف النسخ التي اعتمد عليها في طبع الكتاب ، وهي النسخ الثمان المتقدمة وختم المقدمة بشكر عدد من الأماثل الذين عاونوه باعداد هذا الكتاب للطبع .

من محاسن هذا الكتاب (واسمه الموجز : دعائم الإسلام للقاضي النعمان ابن محمد) ضبط الآيات الكريمة بالشكل ، والعناية بالأحاديث الشريفة ، وهو ينقلها عن أئمة البيت ، عليهم الرضوان ، ولكنه لا يذكر سندها إليهم ، ولا أسماء الكتب التي خرّجتها عنهم ، وأما روايته عن أهل السنة ـ المعبّر

عنهم بالعامة عندهم ـ ففيها خطأ وتحامل ، مثال ذلك : (ذكر الأذان والإقامة) فقد جاء في قوله : وروينا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : كان الأذان بحيّ على خير العمل على عهد رسول الله ﷺ وبه أمروا في أيام أبي بكر وصدرٍ من أيام عمر ، ثم أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة ، فقيل له في ذلك ، فقال إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه . (قال) : وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمد (ص) (والعامة) تروي مثل هذا ، وهم بأجمعهم إلى اليوم مصرّون على اتباع عمر في هذا ، وترك اتباع رسول الله ﷺ ، واحتجوا بقول عمر هذا ، وظاهر هذا القول يغني عن الاحتجاج على قائله ، وإنما أمر الله بالأخذ عن رسوله ﷺ إلى قوله : (أفكان عمر عند هؤلاء الرعاع أعلم بمصالح الدين والمسلمين أم الله ورسوله ؟ يقول أهل السنة : بل الله تعالى ورسوله أعلم وأحكم . ولكن حديث الأذان في الصحيحين والسُّنن ؛ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي محذورة : وإن كان صلاة الصبح قلت : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم . وفي حديث بلال أنه كان يؤذن للصبح فيقول : حيّ على خير العمل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل مكانها الصلاة خير من النوم ، وترك : حيّ على خير العمل ، قلت : الدعوة إلى خير العمل ، أعم وأشمل ، ولكنّ الصلاة خير من النوم ، نصّ في المطلوب .

محمد بهجة البيطار

تفسير أرجوزة أبي نواس

في تقريظ الفضل بن الربيع
وزير الرشيد والأمين
صنعة : أبي الفتح عثمان بن جني
تحقيق : الأستاذ محمد بهجة الأثري

كلما قلبت صفحات التراث العربي ، هالتني هذه التحقيقات التي وقف لها هؤلاء العلماء . وقعد إليها هذا النفر الذي عمرت به أرض سورية الخصيبة ، وازدهت به على سائر أرضين العرب ...

إذ الواقع أن سورية بما تمخضت عنه من أعلام العلماء ، قد كان لها في أقطار العروبة ، ما عجزت عنه سائرها ، وما تطلعت إليه حواضرها على تعاقب العصور ، وطيّ الأزمان ، حتى غدت بفضل علاّمتها الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ، خير مُنْجِبَةٍ للتراث ، وخير ولاّدة لهؤلاء الأبناء الذين يشرقون في الأرض ، ويغربون ، ابتغاء البحث ، وحسبة لله والوطن والعرب ...

ولقد كان بودّي أن يكون أبناء العروبة جميعاً ، كأبناء سورية : صبراً وجلداً وبحثاً ، إلا أن الواقع يسير ببعض الذين يريدون البحث في جانب الاستكانة ، ويسير بالبعض الأخر على اجترار الذكرى ، ومعاودة الحنين ، والترحم على الماضي البعيد .. وإن كان بودي أيضاً ، أن يجرب بعض هؤلاء الأبناء ، لعلّ في بعضهم الخير لتراث العرب ، وفي بعضهم الثاني ما يتطلعون إليه ، ولكن تقف أمامهم عقبات السفر ، والضرب في الأرض دون زاد أو راحلة ... !!

وليعذرني القارئ في هذه المقدمة التي استوقفتني أكثر من مرة ، وشدّتني إليها ليلاً ونهاراً ، حتى نازعتني نفسي ببطلانها أو محوها ، وعرض الكتاب خلواً منها ، ولكن أنّى لي ، وقد يحزّ نفسي ألاّ أكون مثل هؤلاء الذين يسافرون إلى هنا أو هناك ، لمقابلة نسخة بأخرى ، أو تحقيق كتاب بالمدينة ، أو مراجعة أثرٍ في دمشق ، أو العكوف في مكتبتها الفذة أياماً وأياما ،

قلت هذا لنفسي ، وما أمرّ الحديث إليها ، وأنا أطالع كلام الأستاذ الأثري : « اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخة واحدة من ثلاث نسخ عرفت منه حتى الآن في فهارس المكتبات العامة في العالم ، هي : نسخة « المدينة المنورة » : أما النسختان الأخريان ، فهما في « المتحف البريطاني » بلندن : ثان ٧٧٦٤ ، وثالث ٥٩ .

وقد ظفرت بالأولى ، وتعذر عليّ الظفر بالأخريين .. ظفرت بها في « مكتبة عارف حكمة » خلال إقامتي القصيرة في « المدينة المنورة » .

وقد حبب إليّ أن أرى الأمانة العلمية في اعتراف الأستاذ الأثري ، وجهده المبذول الذي هداه إلى البحث ، حتى هُدي إلى هذه النسخة فبادر إلى نسخها بخط يده .. ولو كان هناك سبيل إلى التيسير ما عانى المحقق شيئاً ، أو تعب هذا التعب الذي يقدره كل من عاناه ...

ويكفي للدلالة على هذا الجهد أن المطالع لهذه « الأرجوزة » يرى أن الأستاذ بهجة الأثري قد فسّر : « ما أهمل ابن جني تفسيره ، أو جمجم في كشف غامضه ، أو أوجز عبارته ، فأخلّ بمراده ، ورقّم الآيات ، وخرّج الأحاديث ، وتقَصّى الشواهد الشعرية شاهداً شاهداً ، وذكر مصادر رواياتها ، ونسب ما لم ينسبه ابن جني إلى قائله ، وأتم الأشطار ، وترجم لكل من ذكر فيه من أعلام ، ودلل على مراجعها ، وفسّر ما لا بدّ

من تفسيره من غريب هذه الشواهد وغيرها من الأمثال التي وردت في هذا الكتاب ، ونبّه على ما وقع لبعض المعلقين من المعاصرين على ديوان أبي نواس من تخليط في شرح هذه الأرجوزة ، دفعا للاغترار به ، وتوهم صحته ، ووضعاً للصواب في موضعه » .

والكتاب بعد هذا يشتمل على مقدمة المحقق ، والأرجوزة النواسية ، وترجمة وافية للفضل بن الربيع ، وأخرى للنواسي ، وثالثة لابن جني ، ثم شرح الأرجوزة ، ثم ثبت التصويبات ، والفهارس ، غير بعض المسائل المتفرقة ، والآيات ، والأحاديث ، والأمثال ، والقصائد ، والأيام ، والحروب ، والأشعار ، والأعلام ...

ويوم أن يُكْتَبَ لي ، أن أطالع هذا الكتاب ، كما أردت ، لا أدّخرُ وسعاً ، كما يقولون ، في الشدّ على يدي المحقق الفاضل ، والإشادة به ، وإن كنت الآن أجلُّ عمله في التراث ، وأرضى بصنعته في كتب التحقيق .

أبو طالب زيان

احتفالات الموالد النبوية

في الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجرية

كتاب في (٤٨) صفحة بقلم الدكتور محسن جمال الدين

أستاذ الأدب الأندلسي في كلية الآداب ـ جامعة بغداد

من مطبوعات مطبعة دار البصري ـ بغداد لعام ١٩٦٧

هذا كتيب صغير ، قليل عدد الصفحات ، كبير العنوان ، ولكنه ، رغم صغر حجمه ، يبحث في موضوع خاص يلفت النظر ، ويدل على أن واضعه قد تعب في سبيل جمع الأشعار التي قيلت في موضوع الموالد النبوية وحدها ،

فقد استقى المؤلف ، كما يتضح من مقدمة الكتاب هذه الأشعار من الأمداح النبوية التي نظمها الشعراء في النبي محمد ﷺ من مثل محمد بن جابر الهواري الأندلسي ولسان الدين بن الخطيب وابن دراج القسطلي ومحي الدين بن عربي وغيرهم ، كما اختار الشاعر بعض الأشعار التي قيلت في هذا الموضوع في المهجر من أمريكا الجنوبية ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء المهجريين : الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وأبو الفضل الوليد ، ولا بد هنا من التساؤل عن الدافع إلى جمع أشعار هذين القطرين ، الأندلس ، وأمريكا الجنوبية في كتاب واحد على تباعد العصرين واختلاف الزمنين والمكانين وكنا نرجح لو جعل لكل قطر منها دراسة خاصة .

على أن هـذا الكتيب على صغره يسد فراغاً في دراسة الشعر العربي من هذه الناحية ـ الاحتفالات النبوية ـ وهو أمر هام جداً خاصة وأن المؤلف قد وعد في أن يعمل على إيفاء هذا الموضوع حقه من التفصيل والتبسط والشرح استكمالاً للفائدة التي ترجى من مثل هذه البحوث .

أحمد الجندي

أشعار أبي الشيص الخزاعي

كتاب يقع في / ١٥١ / صفحة من القطع المتوسط
جمعه وحققه عبد الله الجبوري وهو من مطبوعات
مطبعة البيان ـ بغداد لعام ١٩٦٧

الأستاذ عبد الله الجبوري أمين مكتبة الأوقاف العامة في بغداد نشاط معروف في جمع أشعار الشعراء الذين لم تجمع دواوينهم في كتاب واحد ، والذين ظلت أشعارهم متنـــاثرة في الكتب القديمة ، ومن هؤلاء الشعراء

أبو الشيص الخزاعي الذي نال نصيباً كبيراً من الشهرة والسمعة الفنية وقد وضعه القدماء إلى جانب مسلم بن الوليد ودعبل وأبي نواس ، وهو وإن لم يكن في مستوى هؤلاء إلا أنه شاعر ، وشاعر كبير في بعض شعره .

والأستاذ الجبوري في تنقيبه عن هذا الشاعر وتقصيه أخباره ومنظوماته قد خدم الأدب العربي خدمة جلَّى ، ولكن الملاحظ أن السرعة قد أثرت في إخراج الكتاب مما أدى إلى وجود بعض الأخطاء المغتفرة ، والتي كان يمكن تجنبها بيسر وسهولة . فكلمة (منهوءة) التي وردت في الصفحة (٣١) هي مهنوءة من هنأ الإبل : طلاها بالهناء وهو القطران . وفي حاشية الصفحة (٤٣) تكرار للسطر السادس ، والأبيات التي وردت تحت رقم (٢٤) من الصفحة (٥٨) هي من البحر الطويل لا من البحر الكامل ، كما أن هنالك أخطاءً عروضية أخرى يراها القارئ في المطالع . ولم يذكر المحقق بحر الأبيات الواردة تحت رقم (٦٠) وهي من السريع وهناك ألفاظ لم تتيسر لنا قراءتها مثل كلمة (يغي) الواردة في البيت الثالث من الأبيات رقم (٤٣) وكلمة (اصبت) الواردة في البيت الأول من الأبيات رقم (٥٤) و (كعول) الواردة في البيت الرابع من هذه الأبيات أيضاً .

ونقطة هامة لا بد من ذكرها وهي أن مجموعة أشعار أبي الشيص هذه لم تذكر فيها أشعار أخرى للشاعر ، كالأبيات التي وردت في كتاب « قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور » المخطوط للرقيق النديم والذي نقوم بتحقيقه بتكليف من مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومنها الأبيات التي مطلعها :

وكميتٍ أرقْها وهج الشمس وصيفٌ يغلي بهـــا وشتاءُ

والأبيات الأخرى ومطلعها :

عاطني كأسَ سلوةٍ عـــن أذان المؤذّنِ

أما إضافة القصيدة الدعدية إلى أبي الشيص فليس له سند مقنع تاريخي لأن أكثر المؤرخين ينسبون القصيدة إلى دوقلة المنبجي ، أو إلى المكوك أو إلى شعراء آخرين والذين ينسبونها إلى أبي الشيص قلة قليلة ، والرأي الصحيح في نظرنا أن هذه القصيدة لا يعرف قائلها ونرجح أن تكون لأحد أولئك الرواة الذين كانوا ينظمون الشعر وينحلونه النـــاس عن سوء قصد أو حسن نية .

على أن هذه الأخطاء الهينة لا تمنع من القول بأن عمل الأستاذ الجبوري عمل كبير وجريء فليس من السهل أبداً أن يعمل الأديب على إيجاد ديوان من الشعر لم يوجد من قبل ، يجمعه من بطون الكتب وخبايا المخطوطات ويتحمل في ذلك جهداً لا يتحمله إلا من أخلص لفنه وللغته .

أ . ج .

قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر

الدكتورة عائشة عبد الرحمن

« بنت الشاطىء »

الجزءان الأول والثاني كتاب من القطع المتوسط من مطبوعات

معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة

لعام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧

هذا كتاب يحمل طابعاً فنياً استأثر من مؤلفته بجهد كبير وعمل مستمر طويل لأنه بني على دراسةٍ عميقةٍ ، واستخلاص نتيجة علمية فنية من هذه الدراسة ، ففي الكتاب فهم وتجديد وتأسيس ؛ إن كان لهـــذه الألفاظ الثلاثة القدرة على تقدير الجهد الأدبي النافع الذي رأيناه بين دفتي الكتاب .

والغاية من هذا المؤلف القيم ، كما جاء في المقدمة : (تحرير الدرس الأدبي من بعض قيم ومقاييس خاطئة) . والذي قصدت إليه المؤلفة من بحثها : (هو استخلاص جديد من القيم غابت عمن أرّخوا لأدبنا ونقدوه) .

والفكرة ، كما أشارت المقدمة إليها ، (جديدة بالنسبة إلى ما لا نزال نردده من أحكامهم وموازينهم ـ أي المؤرخين القدامى ـ وإن تكن في الواقع ، مستندة إلى ما يقدمه لنا تراثنا) .

وعدد صفحات الكتاب ٣١٩ صفحة تبدأ بالاهداء إلى الأستاذ العالم المرحوم أمين الخولي ثم بفهرس للجزءين الأول والثاني .

أما موضوعات الكتاب فتبدأ بعنوان : أدبنا والحياة في العصر الجاهلي ، وتنتهي في نهاية فهرس الجزء الثاني بعنوان : الأدب المعاصر وقضية الالتزام . فالبحث كما نرى مرتكز على جلاء الغموض عن بعض القيم الأدبية ، وإخضاع هذه القيم إلى البحث العلمي ، كل ذلك في محاولة جريئة واعية مفكرة .

أ . ج .

***

الشاعرة العربية المعاصرة

كتاب يقع في / ١٣٣ / صفحة من القطع المتوسط
وضعته الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)
من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة
لعام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣

هذا كتاب اختار موضوعه مجلس معهد الدراسات العربية العالية لدى جامعة الدول العربية ، والذي يبدو أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن حملت عليه حملاً ولقد قدمت المؤلفة كتابها للقراء مستهلة بالاعتذار الذي اعترفت فيه بالقصور ، وعبرت عن سبب قصورها بقولها « بعضه يرجع إلى قصر الوقت ، وبعضه يرجع إلى ما لا يزال يعوزنا من مادة البحث » .

وقد وقفت بحثها على الشاعرات في الأقطار الثلاثة « العراق والشام ومصر » دون الأقطار الأخرى واعتذرت عن ذلك بقولها « ووجه العذر في هذا الاقتصار ، أن ليس في المكتبة العربية أي ديوان مطبوع لغير شاعرات هذه الأقطار » أي الأقطار الثلاثة آنفة الذكر .

والذي نراه ، أن هذا العذر ، على وجاهته ، لا يقف عذراً بالمعنى الكامل ، عن طيّ ذكر الأقطار العربية الأخرى والاكتفاء بجزء من العالم الأدبي في دنيا العرب ، وكنا نرجح ، التريث في نشر الكتاب إلى أن يستكمل مادته ويستتم عناصره ، وإذا كانت المكتبة العربية خالية من الدواوين المطبوعة لغير شاعرات الأقطار الثلاثة ، فانه كان من الممكن الاتصال بالشاعرات ودراسة شعرهن في ما تستطيع المؤلفة الحصول عليه من هذا الشعر عن طريق المقابلة والمراسلة .

وما يقال في هذا السبب يقال في السبب الآخر ، وهو ضيق الوقت ، فقد كان بالإمكان أيضاً إرجاء إصدار الكتاب ريثما تتمكن المؤلفة من التغلب على هذا العائق الهام ، على أنّ الذي يطمئننا إلى مستقبل البحث عند المؤلفة الفاضلة أنها اعتبرت الكتاب « مرحلة تمهيدية لدراسة أدق تناولاً وأعمق تخصصاً » وهو ما نتمناه ونرجوه .

ويشتمل الكتاب ، على اختصاره ، على بحوث ذات أهمية كبيرة بدءاً بالبحث الأول عن : « الأديبة العربية في تراثنا وتاريخنا » . وانتهاءً بـ « شاعرة العصر وحركة التجديد » ولا شك في أن هذه الدراسة تشتمل على نواحي هامة في دراسة الشعر النسوي الذي لم يلق ، فيما سبق ، الاهتمام الكافي من دارسي الشعر العربي .

أ . ج .

أبو العلاء المعري

كتاب من القطع الصغير يقع في / ٢٥٣ / صفحة
تأليف الدكتورة « بنت الشاطئ » ويحمل الرقم ٣٨
في سلسلة كتب (أعلام العرب) طبع المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر لعام ١٩٦٥

تنبئنا الدكتورة « بنت الشاطئ » عن جدوى هذه الدراسة التي وضعتها عن أبي العلاء بقولها : إنها أطالت صحبة هذا الأديب الفيلسوف في تراثه وإنها تخصصت في تحقيقه ودراسته .

وتعبر الكاتبة بايجاز عن طريقة بحثها هذا فتقول « وقد حرصت أشد الحرص على أن أترك له - أي لأبي العلاء - مهمة الحديث عن نفسه منذ وعى إلى أن رحل عن الدنيا » وكأن هذا البحث شكلٌ من المذكرات لحياة رجل كبير ترك أكبر الأثر في الأدب العالمي .

يشتمل الكتاب على سبعة فصول هي ، وفقاً ما جاء في الفهرس : قبل المولد ، رحلة الحياة الأولى ، في مفترق الطريق ، ثم رحلة الحياة الثانية (معركة المجاهدة) ، ثم نهاية المطاف .

والكتاب كما يبدو قاصر على وصف حياة أبي العلاء فنحن لا نجد في صفحاته بحثاً يتعلق بشاعرية الرجل كما لم نعثر للمؤلفة على رأي خاص بهذا الشعر الذي اختلف فيه الأدباء والنقاد تقديراً وتصنيفاً ، فالكتاب : قصة حياة ذات أثر في عدد من وجوه المعرفة والفن . ولا بد لقارئ الكتاب من أن يتذكر في هذا المكان « ذكرى أبي العلاء » الكتاب الذي تناول شيخ المعرة ، للدكتور طه حسين ، ومن نافلة القول أن الدكتور طه حسين قد فتح الطريق الجديدة لدراسة هذا الشاعر الأديب .

على أن كتاب الدكتورة بنت الشاطئ يعطينا ، من غير شك ، صورة واضحة عن شخصية أبي العلاء الفذة . ويرسم لنا هذه الشخصية بخطوط جلية مشرقة . كل ذلك بأسلوب بارع أخاذ .

أ . ج

عقبة بن نافع الفهري

تأليف : محمود شيت خطّاب

عدد صفحاته ٨٠

طبع بمطبعة العاني ببغداد ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشي . ولد قبل الهجرة بسنة واحدة (٦٢١ م) وقيل غير ذلك . وقد نشأ عقبة في بيئة إسلامية خالصة ذات طابع عسكري بحت ، فحمل سلاحه مجاهداً في الفتح الإسلامي ، وبرز في ساحات القتال متحملاً قسطه الأوفى من الجهاد باندفاع وتجرد وإقدام .

شهد عقبة فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وبعثه عمرو على رأس جيش من العرب المسلمين إلى زَوِيْلَة فافتتحها صلحاً ، وصار ما بين برقة وزويلة سلماً للمسلمين ، وكان ذلك سنة إحدى وعشرين للهجرة . وفي هذه السنة بعثه عمرو إلى النوبة ، فلقي المسلمون من النوبة قتالاً شديداً . ثم سار عقبة مع عبد الله بن أبي سرح من برقة إلى طرابلس الغرب ، وشهد عقبة فتوحات ابن أبي سرح في افريقية وأبلى في جهاده مع ابن أبي سرح أعظم بلاء .

ثم غزا عقبة الروم في البحر بأهل مصر . ثم مضى عقبة لإنجاز فتح بلاد فزّان حتى أتى على آخرها ونشر الإسلام في ربوعها ، ثم أقدم عقبة على التغلغل في الصحراء بقوات قليلة خفيفة وحقق هدفه في الفتح الصحراوي بسهولة .

ثم سار عقبة بجيشه إلى المغرب ففتح كل حصونها وقلاعها ، واحتل تلمسان وطنجة وغيرها ، ثم استشهد سنة ثلاث وستين للهجرة في معركة تهوذة .

هذا موجز لسيرة ذلك البطل العظيم قد عرضها المصنف الفاضل عرضاً تاريخياً وعسكرياً ، فأبان فيه مزاياه الخلقية والعسكرية والإنسانية .

وقد عزا المؤلف كل خبر إلى مصدره فذكر الصادر مع أرقام الأجزاء والصفحات ، كما عرّف كثيراً من البلدان والقبائل التي وردت في نص الرسالة ، وعلق بعض التعليقات القيمة ، ونشر بعض الصورات الجغرافية ليهتدي الباحث إلى ضالته المنشودة بسهولة .

وذكر المؤلف في نهاية رسالته المراجع التي رجع إليها ، وختم بحثه بوضع فهارس للأعلام ، والأماكن ، والتعابير العسكرية ، والموضوعات ، فجزاه الله كل خير وقواه على متابعة ما ينشره من أبحاث قيمة .

عمر رضا كحالة

***

أعلام الجزائر

الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي

جمع : محمد الطاهر فضلاء

عدد صفحاته ٢٢٥

طبع بمطبعة البعث بقسنطينة ـ الجزائر (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م)

ولد محمد البشير الابراهيمي ، ونشأ بدائرة سطيف في قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد إبراهيم ، قرب بلدة رأس الوادي بالجزائر ، فتلقى فيها دروسه الأولى عن أبيه وعمه ، وبذلك نشأ نشأة عربية إسلامية وطنية ، وارتحل إلى الشرق سنة ١٩١١ م ، وأخذ عن عبد العزيز الوزير أحد أساتذة الجامعة الزيتونية ومحمود الشنقيطي اللغوي ، وحمدان الونيسي القسنطيني .

واتصل بالنهضة الحديثة بواسطة الجرائد والمجلات والنشرات مما كان له الأثر الأكبر في تكوين شخصيته ، واتخذ مدرسة عبد الرحمن الكواكبي

وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده مبدأ له في الإصلاح الديني والاجتماعي كما اتخذ مدرسة عرابي ومصطفى كامل مبدأً له في الوطنية .

وانتقل من المدينة إلى دمشق ، ومنها عاد سنة ١٩٢١ إلى الجزائر ، واتصل فور رجوعه بعبد الحميد بن باديس وباخوانه ، فعمل معهم . وفي سنة ١٩٣١ م تأسست جمعية العلماء فكان أحد أعضائها البارزين ، وأسند إليه العمل بعمالة وهران ، ولقي الابراهيمي من المستعمرين كل كيد وعنت ، فلم يزدد إلا صلابة وقوة وثباتاً . وخلف في رئاسة جمعية العلماء المسلمين ، رئيسها المرحوم عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٤٠ م .

وفي الحرب العالمية الثانية ، اعتقل ونفي إلى جنوب الجزائر ، إلى معتقل آفلو الرهيب ، وبقي فيه أكثر من ثلاث سنوات ، ثم أفرج عنه ، وزج ثانية في السجن العسكري عقب حوادث ٨ أيار ١٩٤٥ م ، وعذب فيه مما أورثه أمراضاً مزمنة عاني منها حتى آخر حياته .

وبعد خروجه من السجن استأنف عمله بكل جد ونشاط ، فعمل على فتح المدارس التي كانت مغلقة ، وأخذ يقوم بجولات في أنحاء القطر الجزائري ، يذكي فيه الروح الوطنية ، ويؤسس المدارس والنوادي والمساجد .

ثم اتخذ الابراهيمي سنة ١٩٥٢ م ، القاهرة مركزاً ، ولما اندلعت الثورة الجزائرية ، قام يدعو الشعوب والدول العربية إلى مؤازرتها ومدها بالمال والسلاح ، ثم انتدبته الثورة للقيام بمهات لدى الدول العربية والإسلامية فقام بها أحسن قيام .

وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد أن كان عضواً مراسلاً له قبل رحلته هذه ، كما انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي العراقي ببغداد .

ثم عاد بعد استقلال الجزائر ، وتوفي بها في ٣٠ أيار ١٩٦٥ م . وشيعه الشعب الجزائري بالإجلال والتكبير .

وأما الكتاب الذي نحن بصدد تعريفه ، فقد جمع ما تفرق من مجموع ما قيل في الفقيد وما كتب عنه ، وما ارتجل على أقلام وألسنة الأدباء والخطباء والشعراء ، مما يميط اللثام عن جهاد هذا الشيخ الجليل سواء أكان ذلك في الحقل العلمي أو الوطني . تغمده الله برحمته وغفرانه ، وأثابه أجزل ثواب على ما قدم من خدمات جلى للعرب والإسلام .

ع . ك .

الأمثال البغدادية المقارنة

تأليف : عبد الرحمن التكريتي

الجزء الأول (ا ـ ب) ـ عدد صفحاته ٣٥٧

طبع بمطبعة العاني ببغداد (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م)

إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء ومِثله كما تقول شَبَهه وشِبْهه لأن الأصل فيه التشبيه ، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلاً ، وهي تنبع من أفراد الشعب نفسه وتعبر عن عقلية العامة ، ولذلك تجد كثيراً منها غير مصقول ، وقد ينبع المثل من طبقة راقية فيكون راقياً مصقولاً .

وتتألف مجموعة هذه الأمثال التي وضعها المؤلف الفاضل في كتابه من مصدرين أساسين : الأول ما جمعه بنفسه كما سمعه من أفواه الناس ، لا سيما الشيوخ ، وكبار السن من الرجال والنساء . والمصدر الثاني المصادر التي تناولت ذكر شيء من الأمثال ، وقد عني المؤلف بجمعها عناية خاصة ، فأحرز منها مجموعة تكاد تكون كاملة ، وفيها المخطوط والمطبوع ، وقارن ما فيها بما لدى المؤلف .

ثم عرف المؤلف المثل ، وذكر نشوء الأمثال ، وأنواعها ، وتدوين الأمثال العامية ، وماكتب قديماً عنها ، وماكتب عن الأمثال البغدادية قديماً وحديثاً ، وما صدر حديثاً من كتب الأمثال العامية في سائر الأقطار العربية ، والمؤلفات الحديثة في الأمثال العامية التي لم تطبع .

وقد رتب هذا الجزء على حروف المعجم ، وذيل مادته بتعاليق كثيرة تكشف اللثام عن غامضها وتفسير مبهمها ، وذكر المصادر التي أخذ عنها ، كما جعل رموزاً أو مختصرات لكثير من الكلمات التي يرد ذكرها ، مما ساعد الباحثين والمطالعين واستحق شكرهم ، متمنين للمؤلف العميد كل نجاح وتقدير .

ع . ك .

أسرار الحرب العالمية الثانية

في سيرة فون رونشتد

تأليف : كونتربلو منتريت

ترجمة : محمود شيت خطاب

عدد صفحاته ٣٣٦

من منشورات دار الحياة ببيروت ١٩٦٦

ولد كريد فون رونشتد في ١٢ كانون الثاني ١٨٧٥ م في اسكيرس ليبن بألمانيا ، وانتسب في عام ١٨٩٠ م إلى الكلية العسكرية في ليختر فيلد ، ثم التحق بالكلية العسكرية في هانوفر ، وتخرج بها برتبة ملازم ثان ، واستمر في تسنم الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة مشير .

وكان رونشتد غير حزبي ، وكان متفرغاً للقضايا العسكريه ، وكان شخصية رصينة ، تقول الحق ، وتظهر وجهة نظرها بصراحة حتى لهتلر نفسه .

وكانت فيه مزايا إنسانية رفيعة ينــــدر وجودها في كثير من القادة العسكريين على اختلاف مللهم ونحلهم . وتوفي رونشتد في هانوفر سنة ١٩٤٨ م .

وأما موضوعات الكتاب فهي : عائلته وأيامه الأولى ، نهاية الجيش القديم ، في الجيش الجديد ، الحرب العالمية الثانية ، حرب الصاعقة في الغرب ، النصر في فرنسا ، الحرب في روسيا ، العود إلى الغرب ، المخاوف من الغزو ، الجهد المضاع ، عام الغزو ، كفاح الدروع ، السهم الأخير ، والمصير المحتوم .

وصدر هذا الكتاب باللغة الألمانية عام ١٩٥٢ م ، وسرعان ما ترجم إلى أكثر اللغات الحية ، نظراً لأهمية معلوماته وجدّتها من جهة ، ولشهرة مؤلفه من جهة أخرى .

وقد ترجمه اللواء الفاضل محمود شيت خطاب عن اللغة الانكليزية ، وقد عاونه في ذلك العميـــد منير فهمي الجراح والأستاذ عبد الرحمن الملاح ، مما ساعد على خروج هذه الترجمة قريبة من الكمال .

وبالختام نشكر اللواء الفاضل ومعاونيه على ما بذلوا من جهود بنقل هذا الكتاب القيم إلى اللغة العربية ، فأضافوا إلى المكتبة العربية مؤلفاً مفيداً عن الحرب العالمية الثانية ، متمنين لهم كل توفيق ونجاح .

ع . ك .

عدن وجنوب اليمن

في ملوك العرب

تأليف : هارولد ف . يعقوب

ترجمة : أحمد المضواحي

الجزء الأول : عدد صفحاته ٢٠١

طبع بمطبعة العلم بدمشق (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م)

كان مؤلف هذا الكتاب على اتصال وثيق بالبلاد العربية لعدة سنوات باعتباره المساعد السياسي الأول للمندوب السامي البريطاني في عدن ، ثم باعتباره المعتمد السياسي في محميات جنوب شبه جزيرة العرب (جمهورية

جنوب اليمن الشعبية) ثم كان المؤلف أثنـــاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨ م) مستشاراً رئيسياً للشئون السياسية في جنوب غرب شبه جزيرة العرب ، لكل من المندوبين الساميين في مصر على التوالي .

بدأ المؤلف بذكر قيام الدولة التركية بعد سقوط بغداد ، ومركز الحجاز ومكة والمدينة في كل العصور الإسلامية ، والمحاولات التركية لإخضاع اليمن ، ثم الاتصال البريطاني المبكر باليمن الذي بدأ في مطلع القرن السابع عشر للميلاد ، وانتهى بالاستيلاء على عدن في عام ١٨٣٩ م . وقد ذكر مجمل الأساليب السياسية البريطانية وتغلغل بريطانيا في المناطق التي بالداخل ، بعد أن أصبحت عدن قاعدة للانطلاق . وأشار إلى الهبات والمرتبات والرشاوى التي كانت تقدمها بريطانيا للشيوخ والسلاطين .

ويتألف الجزء الأول من الفصول الآتية : قيام الأتراك ، اتصالنا المبكر باليمن بلغ الدرجة القصوى بالاستيلاء على عدن عام ١٨٣٩ م ، حكم هينس مدة خمسة عشر عاماً ، سياسة بريطانيا مع العرب في الداخل ، الأتراك في اليمن ، الاستيلاء البريطاني على الضالع الواقعة إلى الشمال من عدن ، العداوات المستحكمة بين الأتراك وإمام صنعاء قبل عام ١٩١١ م ، معاهدة مايو الإمامية ـ التركية عام ١٩١١ م ، والحرب التركية الإيطالية عام ١٩١١ — ١٩١٢ ، وهبوط الأتراك وصعود العرب .

وقد تحرى المترجم نقل المعاني التي كانت تحملها عبارات الأصل ، بدون تصرف ، وقد آثر ذلك على جودة الأسلوب . كما علق بعض التعليقات المفيدة على نص المؤلف ، وألحق فهرساً موجزاً للموضوعات والصور ، فقدم بذلك خدمة جلى لتاريخ العرب والإسلام فجزاه الله كل خير .

ع . ك .

«الاشتقاق»

للدكتور فؤاد ضيا ترزي

عدد صفحاته ٣٩٠ ، من القطع المتوسط

طبع في مطبعة دار الكتب ببيروت عام ١٩٦٧ ونشر عام ١٩٦٨

حدد المؤلف في الباب الأول البيئة العربية وأثرها في الاشتقاق الذي هو وليد حاجة تقررها الظروف الزمانية والمكانية ، فلغة الضاد اختصت بأوزان لا مثيل لها ، ثم إن طبيعة الشمال التي ابتلعت لهجتها لغة سبأ وحمير الجنوبية ، إنما كانت لها هذه الأفضلية لأن صيغة القرآن الكريم قد التزمت تلك اللهجة ... ثم ذكر المؤلف أثر الفتح العربي للقسم الأوسط من جناح الدولة العربية ، والنهضة العلمية لمدينتي البصرة والكوفة ، ثم تعرض لهذه اللغة المولدة ، التي حملت الكثير من الأخطاء ، وللنظرية التي تقول بأن اللغة هي وحي من عند الله وللنظرية القائلة بأنها تواضع واصطلاح ، وتعرض إلى حركة تدوين اللغة والنحو في القرنين الأول والثاني ، وإلى ظهور المصطلحات البيانية مع نشوء العلوم وتطور الحياة اللذين استلزما وضع المصطلحات الطبية والفلسفية والفلكية والرياضية ، ثم تعرض الباب الأول إلى ظهور الاشتقاق الجديد من الألفاظ الأعجمية ...

وذكر المؤلف في الباب الثاني أصل الاشتقاق ، فاستعرض فيه النظرية البصرية التي رمز لها بما يلي : المصدر ← (الفعل + المشتقات) ، ثم النظرية الكوفية التي رمز لها بما يلي : الفعل ← (المصدر + المشتقات) ثم فضل المؤلف الثانية إلا أنه استدرك فاعترف بأن العرب لم تشتق من الفعل وحسب بل تعدت ذلك إلى الاسم والحرف أيضاً ، فقال : أصل الاشتقاق ليس واحداً ... وبعد ذلك ينتقل الدكتور ترزي إلى ذكر نظرية

الجذور التي أدخلها الخليل بن أحمد إلى العربية ، نقلاً عن أصلها الهندي ، ويذكر نظرتيها اللتين تقول أولاها بأن الجذر الثنائي أصل لمعظم الألفاظ ، وتقول ثانيتها بأن الجذر الثلاثي هو الأصل ، ثم يسترسل في تبيان أقوال اللغويين المحدثين كالشدياق وزيدان والكرملي ومرمرجي والعلايلي ، ويقارن بينها ببصيرة العالم الواثق من نفسه والثائر على التقاليد فيقول بأنه لا يجوز إخراج اللغة من حيز التلقائية إلى حيز الافتعال والتصنع ، إذ أن هـذا لا يستسيغه العقل والمنطق ، فالإنسان قد يجوز لنفسه ارتجال كلمة ثلاثية مثلاً ... إلا أنه يقرر في النهاية بأن النظرة الثلاثية هي السائدة اليوم ، وأن طبيعة الأشياء لا تنفي إمكان وضع ألفاظ رباعيـــة وخماسية في اللغة وضعاً أصيلاً ...

أما الباب الثالث من الكتاب فقد ضمّنه المؤلف طرق الاشتقاق وأحكامه ، فابتدأ ببحث الزيادة على اللفظ المجرد ، فتبنى فكرة حصرها بأحرف سألتمونيها ، ثم عدد أسباب هذه الزيادة بما يلي : لمعنى ، وللإسكان ، وللمد ، والعوض ، والتكثير ، والإلحاق ، ثم يستدرك فيقول بأن الزيادة قد تكون من أصل الوضع مثل انتقر .

وقد خصص المؤلف الفصل الثاني من هذا الباب ، لموضوع اشتقاق الأسماء من الأفعال ، ثم من الأسماء ، وخصص الفصل الثالث لاشتقاق الأفعال ، ثم أفرد الفصل الرابع للاشتقاق غير المطرد .

وبحث المؤلف في الباب الرابع القلب والإبدال والنحت وصلتها بالاشتقاق .

وبالختام نشكر الأستاذ المؤلف على ما بذل من جهد متمنين له كل تقدم ونجاح .

وجيه جبر

آراء وأنباء

تعيين أعضاء عاملين جدد

مرسوم رقم (٧٥٣)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

وعلى القرار رقم ٣١ تاريخ ١٩٦١

وعلى المرسوم رقم ١١٢ تاريخ ١٩٦٨/١/١٣ المتضمن تجديد انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون في مجمع اللغة العربية بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٥ التي تمّ فيها انتخاب الأستاذ وجيه السمان عضواً عاملاً .

يرســم ما يلي

١ — يعين الأستاذ وجيه السمان عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق

٢ — ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية .

دمشق في ١٣٨٨/١/٨ و ١٩٦٨/٤/٦

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء
الدكتور يوسف زعين

مرسوم رقم (٧٥٤)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم (٣١) لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي .

وعلى المرسوم رقم ١١٢ تاريخ ١٩٦٨/١/١٣ المتضمن تجديد انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون في مجمع اللغة العربية بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٥ التي تم فيها انتخاب الدكتور عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً .

يرسم ما يلي

١ — يعين الدكتور عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق

٢ — ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية .

دمشق في ١٣٨٨/١/٨ و ١٩٦٨/٤/٦

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء
الدكتور يوسف زعين

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الباء عنصراً في تعريفهـــا]

تبذل مجلة « **اللسان العربي** » التي يصدرها في المغرب العربي ، المكتب الدائم للتعريب ، التابع لجامعة الدول العربية ، جهوداً قيمة في خدمة العربية وإعلاءً لشأنها ، وفي تشجيع دعاتها على دعم موقف العلماء منها . ومن بحوث المجلة الطريفة ، ما ينشره الأديب البحاثة الأستاذ **عبد الحق فاضل** ، وهي أبحاث لغوية ممتعة ، تدل على حسّ لغوي مرهف ، وعاطفة عربية متأججة . وفي البحث الأخير الذي قرأناه في العدد الرابع من المجلة ، طلع علينا الأستاذ عبد الحق فاضل ، بنماذج مما أخذ يطلق عليه اسم « **التأثيل اللغوي** (١) » وهو ، يمضي من ورائها ، خطّ نهج قد يصل السالك فيه إلى القول بأن « **العربية أقدم اللغات أو أمها** » .

لقد وقفت طويلاً أمام تلك النماذج ، مأخوذاً بالومضات المشرقة التي بدت لي من خلالها ، وكلها تحمل من تستهويهم أبحاث نشوء اللغات وتكونها ، على الدراسة والتبحر في مجاهل التاريخ القـــديم **سعياً وراء المعرفة والحقيقة أو بعضها** .

---

(١) يرى الأستاذ الفاضل ، استعمال كلمة [التأثيل] مقابل كلمة Etymology الإنكليزية ، بمعنى ردّ الكلمات إلى أصولها المباشرة ، وهو يرتأي استعمال لفظة [الترسيس] أيضاً بمعنى إرجاع الكلمات العربية أو الأعجمية إلى [رسّها] أي إلى بدايتها الأولى ويقترح أن تقابل هذه اللفظة كلمة Radixtion في الإنكليزية ـ انظر مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس . الرباط آب ١٩٦٧ .

لقد أحببت أن أسجل ، تعقيباً على بحث الأستاذ الفاضل ، **ظاهرة** كنت وقعت عليها ، خلال دراساتي في المعجم العربي ، وأثارت في نفسي كثيراً من التساؤل ، دون أن أجد فيما عندي من معرفة ، ما يشفي غلة أو يقنع طالب حقيقة . واليوم ، وفي ضوء البحث المذكور ، تجدد في نفسي التساؤل عن علاقة حرف (**الباء**) أو كلمة (**أب**) بالماء . ولعل فيما سأنقله من المعجم العربي دعم من قريب أو من بعيد لرأي الأستاذ عبد الحق فاضل في إحدى نظراته التي يقول فيها :

[إذا وجدت كلمة (**آب**) في معجم عربي فلن يخطر لك أن معناها (**الماء**) ، لأنها بهذا المعنى من اختصاص المعجم الفارسي . أما في المعجم العربي فمعناها : (الاقنوم الأول ... و ...) ولكن أنا لن أتردد في إدراج كلمة (**آب**) بمعنى **الماء** في المعجم التأثيلي المأمول .

نلاحظ قبل كل شيء هذا الشبه بين كلمتي (**آب**) و (**ماء**) ، فهما كلمة واحدة في الأثل ، تكونت إحداهما من الأخرى بقلب وإبدال ، مثل : عنزة ومعزاة ... ولست أريد أن أقول أن (**الآب**) متطورة من (الماء) لأن العكس هو الصحيح في الواقع . أما الجـــذر الأثلي لكلتيهما فهو صوت (**الهواء**) !] .

ثم يتابع الأستاذ عبد الحق فاضل بحثه عن مصدر كلمة (**الهواء**) وكيف وجدها الإنسان العربي الأول من صوت هبوب الهواء ، وكيف انقلبت (**الواو**) في لفظة (الهواء) فأصبحت (الهباء) ، ثم كيف تطورت هذه الكلمة فصارت (**الهباب**) ، وهذه تطورت فصارت (**الأباب**) ، وأطلقوها على (**السراب**) ومن ثم على (الماء) . وأخيراً كيف صاغ العرب من

(**الأباب**) كلمة (**العباب**) لمعظم الماء ، ثم ينتهي إلى القول : [والذي نراه أنهم خففوا (**الاباب**) بعد ذلك فنطقوها (**آب**) وخصوها بالماء دون غيره ، فانقطعت صلتها بالهواء والسراب . ومن ثم نقلها المهاجرون منهم إلى إيران مع بقية مفردات لغتهم التي لا يزال الكثير من آثارها واضحاً في اللغة الفارسية ، مما اندثر بعضه في اللغة العربية الأم نفسها بعد ذلك ، ... ولكنها قبل اندثارها أنجبت للعرب كلمة (**ماء**) بعد أن أبدلت باؤها ميماً فصارت (آم) ثم قلبوها فصارت (**ماء**) ...] .

قد يكون هذا الكلام صحيحاً كله أو في بعضه ، غير أني لا أكاد أشك في أن حرف (**الباء**) جذر أصيل في العربية ويدل على (**الماء**) ، وقد أغنى العربية بمفردات كثيرة ، يدخل الماء عنصراً في مدلولها وجوداً أو عدماً وذلك على سبيل الحقيقة غالباً ، ومن قبيل المجاز أحياناً ، وها هو باب (**الباء**) في المعجم العربي يحتوي على مفردات كثيرة أهمها التالية :

أ ب ب الأَبَابُ : الماء والسَّراب .

والأُبَاب : معْظمَ السَّيل ، والمَوْج ، كالعُبَاب .

أ ث ب المِيْثَبُ : الجدول أو النهر الصغير ، وزعم نفر أنَّه في شعر كُثَيِّر : اسم لماء .

أ د ب أدبُ البحر ، كثرةُ مائه .

أ ر ب إرابُ مثلثة : ماء لبني رياح بن يَرْبوع ، والذي في المعجم أنَّه ماء من مياهِ البادية .

أ ز ب إزاب بالكسر : ماء لبني العَنْبر .

وأَزَبَ الماء ، مثل وَزَبَ : جرى ، قيل ومنه المِئْزاب ،

أي المرزاب ، وهو المَثْعَبُ الذي يَبُول الماء ، وفي التَّرْشيح : هو ما يسيل منه الماءُ من موْضعٍ عالٍ ، ومنه ميزاب الكعبة ، وهو مَصَبٌّ ماءِ المطر (أو هو فارسيٌّ معرَّب) قاله الجواليقيّ ، وجمعه المآزيب، والميازيب ، ويقال : المرزاب بتقديم الراء على الزاي.

وإبلٌ آزِبَةٌ : تعاف الماء وترفع رأسها .

أ ل ب ألَبَتْ السماءُ تأليبُ وهي ألُوب : دام مَطرُها .

والأَلْبُ : العطشُ ، يقال ألَب الرَّجلُ ألْباً إذا حام حول الماء ولم يقدر أن يصلَ إليه .

أ و ب الأَوْبُ : السحاب ، والأَوْبُ : ورودُ الماءِ ليلاً ، يقال أُبْتُ الماءَ وتأوَّبتُه ، إذا وردته ليلاً . والآيبَةُ : أن ترد الإبل الماءَ كلَّ ليلةٍ . وائتَيَبْتُ الماء ، من باب الافتعال مثل أُبتُه وتأوَّبتُه : وردْتُه ليلاً .

ومآبَةُ البئر ، مثل مَبَاءَتها : حيث يجتمع إليه الماء فيها .

أ ه ب أُهَبُ : موضع من بلاد بني أسد ، لا يكاد يوجد فيه ماءٌ .

أ ي ب الأَيَّابُ : السَّقَّاء .

ب ي ب البيبُ ، مجرى الماء إلى الحوض ، وحكى ابن جنّي فيه البيبَةَ ، والبيبَةُ ، المَثْعَبُ الذي ينصب منه الماء إذا فُرِّغَ من الدَّلْو في الحوْض . والبيب : كُوَّة الحُوض ، وهو مسيل الماء ، وهي : الصُّنْبُور والثَّعْلَبُ والأُسْلُوب .

والبَيَّابُ : السَّاقي الذي يطوف بالمـــاء ، كما يُسمّيه أهل البصرة في أسواقهم .

ت ر ب تُرَبَة : ماءٌ في غربي سَلْمَى ، ووادٍ من أودية اليمن .

وثَرْبان : أرض فيها مياهٌ كثيرة . ويَثْرَبُ : ماءٌ في بلاد بني سعد بالشُّودَة .

ث ع ب أثعبَ إناءه وقدحَه : ملأه فهو مُثْعَب ، يقال أثعب العَتاد وهَاته ، أي املإ القَدَح الكبير ، وبنو فلان يشربون الماء المُثْعَب أي المُعْتَصر من الثَّرَى .

ث أ ب الأُثأب : شجر ينبت في بطون الأودية بالبادية ، كأنه على شاطئ نهر وهو بعيد من الماء .

ث و ب ثَوِبٌ : رَكِيَّةٌ أي بِئْر لمُحارب .

ث ع ب ثَعَب الماءَ والدَّمَ ونحوَهما يَثْعُبه ثَعْباً : فَجَّرَه فانثَعَب ، كما يَنْثَعِبُ الدَّم من الأنف ، ومنه اشتقّ مَثْعَب المطر ، وانثعب المطر : سال .

وماء ثَعْبٌ وثَعَب وأُثْعُوب وأُثْعُبان : سائل ، وكذلك الدَّمُ . والثَّعْبُ : مسيل الوادي .

والمَثْعَبُ : واحد مثاعب الحياض ، ومنه مثاعب المدينة : أي مَسَايِلُ مائها .

وفي الأساس ، تقول : أقبلَتْ أعناقُ السَّيْل الرّاعب ، فأصْلِحُوا خراطيم المثاعب ، وسالت الثُّعْبَان ، كما سال الثُّعْبان ، وهو السَّيْل .

ويقال : يجري ثعابيب ، كسعابيب ، أي يجري منه ماءٌ صافٍ والثُّعْبان : ماءٌ ، وقيل هو : الثَّعْبُ .

والثَّعْلب : مَخْرَجُ الماء إلى الحوض ، أو هو مَخْرَجُ الماء من جَرِين التمر . أو هو ثقب الجرين الذي يسيل منه ماء المطر .

ث غ ب الثَّغْبُ : أكثر ما بَقِيَ من الماء في بطن الوادي ، وقيل هو بقيّةُ الماء العَذْب في الأرض ، وقيل هو أُخدودٌ تحتفِرُه المسايل من عَلٍ ، وقيل هو المطمئن من المواضع في أعلى الجبل يستنقعُ فيه ماءُ المطر .

ومن المجاز : تَثَغَّبَتْ لِثَتُهُ بالدّم : سالت .

والثَّغَبُ : ذَوْبُ الجَمَد ، والجمـــع ثُغْبان ، والثُّغْبان : مجاري الماء .

وقيل : الثَّغَبُ : الغَدِير .

ث ق ب ثَقَبَتْ الناقة : غَزُرَ لبَنُها ، فهي ثَقِيب وثاقب ، ونُوقٌ ثُقُبٌ وثُقَيْبٌ : ماء .

ث ل ب الثَّلبوت : اسم وادٍ فيه مياه كثيرة . وقيل : مياهٌ لربيعة بن قُرَيط بِظَهْر نَمَلَى .

ث و ب مَثابُ الحوْض وثُبَتُه : وسطُه الذي يَثُوب إليه الماءُ إذا استفرغ ، والثُّبَةُ ، ما اجتمع إليه الماء في الوادي أو الحوض .

ومثابُ البئر : وسطها ومثابَتُها ، مبلغ جُمُوم مائها ، ومثابُ البئر : مقام السَّاقي من عروشها على فم البئر .

وبئرٌ لها ثائبٌ ، أي ماءٌ يعود بعد النَّزْح . يقال ثاب البئر ، وثاب الماء ، إذا بلغ إلى حاله الأول بعد ما يُسْتَقَى .

والثائب من البحر ، ماؤُه الفائض بعد الجَزْر ، تقول العرب : الكلأُ بموضع كذا مثلُ ثائب البحر ، يعْنُون أنّه غَضٌّ طريٌّ ، كأنه ماء البحر إذا فاض بعد ما جَزَر .

ث ي ب بئر ثَيِّب : أي يثوب الماء فيها ، ويقال بئر ذات ثَيِّبٍ وغيث ، إذا استقى منها عاد مكانه ماء آخر .

ج ب ب الجُبُّ : البئرُ ، أو البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر ، أو هي لا تكون جُبّاً حتى تكون مما وجد لا مما حفره الناس ، وقيل : الجُبّ : البئر غير البعيدة . والجُبّ والجُبَّة والأجْباب وجُبيب وجُبْجُب والجُباجِبة : أسماء مياه عند العرب .

والتجْبيب : إرواء الجَبْوب .

والجَبُوب : الأرض عامة ، سميت جَبُوبا لأنها تُجَبُّ أي تُحفر ، أو تَجُبُّ من يدفن فيها أي تقطعه ، ومنه قيل : جَبَّانة للأرض التي يُدفن بها الموتى .

والجَبَاب والجُباب : القحط الشديد .

والجَبْجَبَة : أتان الضَّحْل وهي صخرة الماء .

وماء جبجاب وجُبَاجب : كثير .

ج د ب الجدْب المحل ونقيض الخِصب ، يقال عام جُدُوب وأرض جُدُوب ، وأجدبت السَّنة : صار فيها جَدْبٌ وقلّ ماؤها .

ج ذ ب يقال : جذب من الماء نفساً أو نفسين ، إذا كرع الماء .

ج ر ب الجَرْباء : الأرض المَحْلة المقحُوطة : لا ماء ولا شيء فيها .

والجِرْبة : الماء في البئر ، أو هي جِلْدَة توضع في الجدول ليتحدَّر عليها الماء .

والجِراب من البئر جوفها من أعلاها إلى أسفلها .

وجُراب ، ماء بمكة ، وجَرْجَبَ الإناء : أتى على ما فيه من ماء .

وجَرْدب الإناء : أفنى ما فيه ، والجيرداب : وسط البحر (معرّب)

وجَرْعَب الماء : شربه شُرباً جيداً .

ـ يتبع ـ عدنان الخطيب

مدى كلمة الصابئين

تعقيب على تعليق

قرأنا في عدد تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٦٧ من هذه المجلة الغراء ، تعليق الأستاذ محمد عزة دروزة على مدى كلمة « الصابئين » الواردة في نظرات الدكتور عدنان الخطيب في المعجم الوسيط ، في عدد رمضان ١٣٨٦ – يناير ١٩٦٧ من هذه المجلة ، فرأينا أن نعقب عليه بما يلي :

ان كلمة « الصابئين أو الصابئة » سريانية محرفة ، أصلها ܨܒܘܥܐ أو ܨܒܘܥܐ صابوعي أو صابوعا ، أما كلمة « الصبّة » فهي الأخرى سريانية ، أصلها ܨܘܒܥܐ صُوبعَا (١) .

وكلمة « الصابئين » تعني الصابغين . وكلمة « المانديين » تعني المعمدانيين ، وكلتاهما نسبتان إلى ماريوحنا الصابغ أو المعمدان ، وهو سيدنا يحيى بن زكريا كما يعرفه المسلمون . وأما كلمة « الصبّة » فتعني الصبغة أي العماد .

كانت السريانية لغتهم الأم ، ومازالت هي لغتهم الطقسية . ولهم خط خاص مستخرج من الخط السرياني (٢) . ذكر العلامة ابن العبري عن أبي الحسن

---

(١) لقد استحالت العين في هذه الكلمات همزة وفقاً للهجة السريانية العامية الدارجة في ما بين النهرين السفلى وفي شمالي العراق . فيقولون مثلاً أينَا (العين) بدلاً من عَينَا ، أرأا (الأرض) بدلاً من أرعَا ، وأبَّا (العُبّ) بدلاً من عبَّا ، وهذا ما جرى أيضاً للعين في لفظة « المعمداني » ܡܥܡܕܢܝܐ فصارت « المانديه » وهو اسم آخر للصابئين .

(٢) اللهجات الآرامية وآدابها ، بحث تاريخي للمستشرق الفرنسي الأب شابو (عن مجلة الحكمة ـ القدس ، السنة الرابعة ١٩٣٠ العدد السادس) .

ثابت بن قرّة بن مروان الصابئ الحراني نزيل بغداد في أيام الخليفة المعتضد والمتوفى سنة ٢٨٨ هـ (٩٠٠ م) ، أن له بالسريانية نحو ستة عشر كتابا ، منها كتاب في ما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة والنجاسة وما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح وفي أوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة [١] .

قال ياقوت الحموي « ان حران كانت منازل الصابئة »[٢] . بيد أن أبا الريحان البيروني في كتابه « الآثار الباقية » يقول : « وقد قيل أن هؤلاء الحرانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية » وقال : « انهم تسموا بالصابئة في الدولة العباسية في سنة ٢٨٨ هـ ليعدّوا في جملة من يؤخذ منهم ويرعى له الذمة » . وأكد أن الصابئة الحقيقيين أصلهم يهود « تخلفوا ببابل ... ومالوا إلى شرائع المجوس ، فصبوا إلى دين بختنصر فذهبوا مذهباً ممتزجاً من المجوسية واليهودية كالسامرة بالشام . وقد يوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصلة منتمين إلى أنوش بن شيت ومخالفين الحرانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلا في أشياء قليلة حتى أنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشمالي والحرانية إلى الجنوبي[٣] » .

---

(١) تاريخ الزمان أو المدني بالسريانية لابن العبري ص ١٦٨ ومختصر الدول بالعربية له ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٢) معجم البلدان مج ٣ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ .

(٣) أساقفة مدينة حران للبطريرك أفرام الأول برصوم في المجلة البطريركية ـ القدس السنة الأولى ١٩٣٣ العدد التاسع .

أما ديانة هؤلاء « الصابئين » فهي الوثنية . ولذلك فانّ لفظة الصابئ هي مرادفة للفظة الوثني والآرامي (١) . وعند ابن العبري ، « ان الفرس والكلدانيين واليونانيين والقبط والترك والهنود وأهل الصين ، كانوا جميعاً صابئة يعبدون الأصنام تمثلاً للجواهر العلوية والأشخاص الفلكية (٢) » . « وان قسطنطينوس ابن هيلاني قام بدين المسيح ورفض دين الصابئة » (٣) . وفي تحقيقه عن الصابئة الذين في عهده قال : « والذي تحققنا من مذهب الصابئة ، ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها وقبلتهم القطب الشمالي ، لزموا فضائل النفس الأربع » . وبعد أن ذكر المفروض عليهم من الصلوات والأصوام ، قال « انهم يدعون الكواكب ، وقرابينهم كثيرة لا يأكلون منها بل يحرقونها ، ولا يأكلون الباقلّى والثوم وبعضهم اللوبياء والقنّبيط والكرنب والعدس . وأقوالهم قريبة من أقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غاية من التقانة ، ويزعمون أن نفس الفاسق تعذّب تسعة آلاف دور ثم تصير إلى رحمة الله تعالى (٤) .

أما البيروني فقال عن الصابئة الحرانية « ومن آثارهم القبـــة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلاهم أيام كان اليونانيون والروم على دينهم ، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس ... مثل هيكل بعلبك

(١) القاموس السرياني - العربي « دليل الراغبين إلى لغة الآراميين » للمطران أوجين منّا ص ١١ و ٤٨٨ .

(٢) مختصر الدول ص ٤ و ٩٤ - ٩٦ .

(٣) فيه ص ١٠٨ .

(٤) فيه ص ٢٦٦ .

كان لصنم الشمس. وقال: « ان حران منسوبة إلى القمر ... وبقربها قرية تسمى سلمسين « بالسريانية » أي صنم القمر ، وقرية أخرى تسمى ترع عوز أي باب الزهرة [١] » .

وأما الصابئون اليوم ، الساكنون في نواحي واسط والبصرة في بابل السفلى ، فقد قال عنهم المستشرق الفرنسي الأب شابو ، انهم يدعون غالباً في اوربا بالصابئة أو بنصارى ماريوحنا ، وكلا الاسمين مجهول عنـدهم كل الجهل ، ويدعون أنفسهم نصارى أي مسيحيين ، غير أن ديانتهم في الحقيقة بدعة وثنية مشوبة بشيء من اليهودية والمسيحية [٢] » .

والذي علمناه نحن من بعضهم ، انهم يدعون أنفسهم نصارى ماريوحنا الصابغ أو المعمدان ، ويعمّدون نظيره في الأنهار .

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكيـــة وسائر المشرق

للسريان الأرثوذكس

---

(١) أساقفة مدينة حران للبطريرك أفرام الأول برصوم في المجلة البطريركية ـ القدس السنة الأولى ٩٣٣ العدد التاسع .

(٢) اللهجات الآرامية وآدابها ، بحث تاريخي للمستشرق الفرنسي الأب شابو (عن مجلة الحكمة ـ القدس ، السنة الرابعة ١٩٣٠ العدد السادس) .

تصحيح خبر

ذكر الأستاذ المؤرخ الأديب عبد الصاحب عمران الدجيلي في الجزء الثاني من كتابه (أعلام العرب في العلوم والفنون) : ـ ابن تيمية تقي الدين ـ ومصادره ، ومنها كتاب (حياة شيخ الإسلام ابن تيمية) لكاتب هذه السطور . وكنت بينت خطأ ابن بطوطة في (رحلته) بقوله : لحضرته يوم الجمعة ـ وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درج المنبر ، قال في أعلام العرب : وقد ردّ على ابن بطوطة الشيخ الأستاذ محمد بهجة البيطار في كتابه (حياة شيخ الإسلام ابن تيمية) ، أنظر بعض أجوبته أو ردّه على العلامة الحلّي في كتاب (حياة شيخ الإسلام ابن تيمية) للبيطار ، لتقف على الغرائب ! والغريب أن يقول البيطار في ختامها : ألا وإن جواب إمام السنة ابن تيمية الحرّاني الدمشقي لإمام الشيعة الإمامية ابن المطهر الحلي البغدادي هو كاف واف بالموضوع . وقال : وما أثرناه فهو الجواب الصحيح الذي نرجو أن تجتمع عليه كلمة الأمة إن شاء الله ، (ص ١٦٧) أي تجتمع كلمة الأمة على آراء وأقوال ابن تيمية !! فتأمل .

أقول : لو أمعن الأستاذ الكريم النظر فيما نقله عني أو نسبه إلي ، لرأى خلافه واضحاً كقولي عن ابن بطوطة انه لم ير ابن تيمية ولم يسمع منه ، إذ كان هو في السجن لمّا دخل هذا الرحالة دمشق ، وبقي في السجن إلى أن توفاه الله تعالى ، فأغفل مؤلف الأعلام هذا ، ولم يذكره .

وقلت في ختام الحوار بين ابن تيمية وابن الحلي في كتابي في الإمام ابن تيمية : وما أثرناه عن (المنتقى) فهو الجواب الصحيح الذي نرجو أن

تجتمع عليه كلمة الأمة إن شاء الله ، وبه المستعان ، وفسره الأستاذ عبد الصاحب بقوله : أي تجتمع كلمة الأمة على آراء وأقوال ابن تيمية !! فتأمل اهـ .

وإني لأعجب من هذا الذهول أو الإغفال لما أثرته في المناظرة بين الإمامين من نهج البلاغة وغيره من عقيدة الإمام علي عليه السلام ، في الخلافة ، وفي الحروب الأولى التي وقعت في الصدر الأول ، وفي تحذير الإمام علي من تكفير المحاربين ، وما نقلناه عنه هو قول أهل السنة ، وهو الذي يجب أن تجتمع عليـــه الكلمة ، وأما الطعن واللعن فهو مذهب القائلين بعصمته ، والمخالفين لطريقته ، وقد أغفل (الأعلام) هذا ، ولم يقل تجتمع كلمة الأمة على كلام الإمام علي ، وهو ظاهر ما صرح به ابن تيمية ودعونا إليه ، لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب مستقل في (شرح حديث النزول) طبع بمصر (سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م ص ٢٣٠) . وقد حقق فيه أن هذا النزول صفة ذات لا صفة فعل ، ونقل فيه روايات عن أئمة السنة ، كحماد بن زيد ، وإسحق بن راهويه ، بأنه تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء .

(قلت) : الكتاب كله يؤيد هذا المعنى ، ويبعد عن شيخ الإسلام ضلالة تشبيه الله بخلقه ، ويهدينا إلى النزول إلى سماء الدنيا بلا انتقال .

واكتفينا بالاقتصار عليه ، هدانا الله تعالى إلى الصواب ، بمنه وكرمه .

محمد بهجة البيطار

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز (يوليو) سنة ١٩٦٨م ربيع الآخر سنة ١٣٨٨ هـ

النسب الى كيمياء وأشباهها(١)

أهو بالواو أم بالهمزة أم بكليهما ؟

تلقيت من العلامة الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة مكتوباً برقم ١٦٠ وتاريخ ١٩٦٨/٣/٢٢ يقول فيه : « ... وقد تفضلتم في الدورة الخامسة عشرة للمجمع فقدمتم إليه بحثاً في النسب إلى كيمياء ونحوها من المركّبات الممدودة . وقد افتقدنا هذا البحث ، ونريد أن نحصل على نسخته ، فرجائي أن يكون في الإمكان إرسال النسخة أو إرشادنا إلى مكانها إن كانت قد نشرت من قبل » .

---

(١) أرسلت هذه الكلمة إلى المطبعة يوم وفاة الفقيد في ١٣ أيار سنة ١٩٦٨ وهي آخر ما خطه . « المجلة »

وقد وجدت أن البحث المذكور كان أرسل إلى مجمع القاهرة في ٢٠/١١/١٩٤٦ ولم أكن في ذلك الزمن رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ولا نائب رئيس ، وكنت قد أهملت نشر البحث ولكنني احتفظت بمسوّدته .

والذي أعتقده أنه يجب أن تكون قد ثارت أخيراً مناقشة بين أعضاء المجمع في القاهرة حول موضوع النسب بالواو والنسب بالهمزه . ومهما يكن من أمر فقد رأيت من المفيد نشر البحث المذكور في مجلتنا بدمشق لما فيه من فائدة . ويفيد القول بأنني كنت اتفقت أنا والمرحوم عز الدين التنوخي على مضمونه .

وكنت أنسب بإبقاء الهمزة ، في الطبعة الأولى من معجم الألفاظ الزراعية ، فأقول « كيميائي » كما يقولون في مصر . ولكنني صرت أقول « كيمياوي » في طبعته الثانية . وهاكم صورة من بحثي المذكور :

★ ★ ★

إلى حضرة صاحب السعادة سكرتير مجمع فؤاد الأول للغة العربية

القاهرة

قرأت في الجزء الخامس من مجلة المجمع بحثاً للفقيد الأب أنستاس في النسب إلى كيمياء خلاصته أنه لا يجوز اعتبار همزة كيمياء أصلية لأن هذه الكلمة معربة ، ولأنه لا وجود في غير العربية لكلمات تنتهي بألف وهمزة . ويرى الفقيد أنه يجب إذن اعتبار الهمزة زائدة في كيمياء ، وأنه لا بد من قلبها واواً في النسب إليها ، على غرار همزة زكرياء الممدودة ، فقد نقل عن كتاب سيبويه وعن الجوهري أنهما قالا زكرياوي ولم يقولا زكريائي . وهكذا الحال في النسب الى كيمياء .

ويستنتج القارئ من بحث الأب رحمه الله أنه لا يجوز غير كيماوي وكيمياوي في النسب إلى كيماء وكيمياء . ولكن الأب لم يبتّ ذلك بصراحة ،

في آخر بحثه ، بل قال فيه : « ... لم يبق شك في أن الكيمياوي والكيماوي من أصح الكلام وأقومه الخ » ، أي أنه أثبت صحة قلب الهمزة واواً ، ولكنه لم ينف صحة إبقائها على حالها ، على حين أنه كان في مناسبات شتى يخطّئ القائلين بإبقائها .

وجاء في مقدمة هذا البحث أن المجمع وافق عليه ؛ فلم أتبين في هذه الجملة المقتضبة هل وافق المجمع على صحة قلب الهمزة واواً فقط ، أم وافق أيضاً على صحة إبقائها على حالها ؟

فالمجمع كان ذهب إلى عدّ جميع أحرف كيمياء المعرّبة قديماً أصلية ، ولهذا كان يبقي الهمزة في النسب إليها . ولم يقلبها واواً في أجزاء مجلته الأربعة حتى إذا أقرّ بحث الأب أنستاس ، جعل يستعمل المقلوبة أيضاً ، على ما قرأت في الجزء الخامس ، دون التصريح بجواز الوجهين ، ودون تعليل ذلك .

والذي أراه أن كلا الوجهين صحيح أي القلب والإبقاء ، وهو ما أشرت إليه في مادة « Engrais » Chimique من معجم الألفاظ الزراعية . وذلك بأن كلمة كيمياء ورفيقاتها عُربت قديماً عن اليونانية على ما هو معروف . وقد قال بعض علماء أصول الكلم الفرنسية إنها من (Khymeia) اليونانية بمعنى « مزيج من العصارات » ، ورجح الثقات منهم اليوم كونها من (Khêmia) بمعنى « السِحْر الأسود » وهذه لفظة مؤلفة من (Kêm) أي الأسود بالمصرية القديمة ، ومنها (Kêmeia) اسم مصر عند قدماء المصريين ، على ما ذكره هيرودوتس . « عن معجم موثوق به في أصول الكلم الفرنسية » .

ومهما يكن من أمر فالبحث يتعلق بلفظ أعجمي عرّبه أجدادنا قديماً بهمزة وبلا همزة . ولا شك أن الهمزة مضافة ، لأنه لا وجود لها في الكلمة الأعجمية التي عُربت . ولكن هذا اللفظ المعرب ليس له أصل عربي يُرجع اليه في البحث عن الهمزة ، كأن يقال إنها أصلية ، أو زائدة محضة للتأنيث ، أو ملحقة بحرف أصلي . ولذلك أرى أن يد المجمع مطلقة في عدّ همزة هذه المعربات الممدودة ، على حسب ما يراه صحيحاً أو موافقاً لمصلحة اللغة .

وهذه الحرية لا غبار عليها ، على ما أعتقد ، ما لم يكن في كتب الصرف القديمة نص صريح قاطع يتعلق بالنسب إلى المعربات المذكورة .

وقد رجّحت أنا وبعض الرفاق في دمشق عدّ هذه الهمزة ملحقة كهمزة علياء وحرباء . ومن المعلوم أنه في هذه الحال يجوز قلب الهمزة واواً ، أو إبقاؤها على حالها ، ولكن القلب أولى .

ولا يخفى على مجمعكم الموقر أن معظم كتّاب الشام يقلبون الهمزة واواً في النسب إلى كيمياء وأشباهها ، ويحسبون أن بقاءها خطأ . أما كتّاب مصر فيرون عكس هذا الرأي . وفي هذا الوضع تشويش وضرر ، ولا سيما عندما يسأل التلميذ معلمه عن صحة النسب إلى هذه الكلم فيجيب كل معلم بما يراه .

والكلمات المذكورة كثيرة ، فمن المعرّبات القديمة كيماء ، وكيمياء ، ولُوباء ، ولوبياء ، وتوتياء ، وبورياء وهندباء ومصطفاء الخ .

ومن المعربات الحديثة فيزياء ، وفاصولياء ، وكستناء ، وسيماء ، وغيرها (والأخيرة قلما تُستعمل بالمد ، ولكن معظم الكتاب ينسبون إلى الممدودة بإبقاء الهمزة ، فيقولون سيمائي) .

وبعد إذا وجدتم هذا الاقتراح صالحاً للمذاكرة عرضتموه على المجمع ، ونشرتموه في مجلته ، وإلا طويتموه ، ورأيكم الموفق ، وأطال الله بقاءكم والسلام .

دمشق في ٢٥ من نيسان « أبريل » سنة ١٩٤٩

مصطفى الشهابي
من الأعضاء المراسلين

العنوان :
الأمير مصطفى الشهابي بدمشق

* * *

وبعد هذا هو البحث الذي طلبه الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد رأت لجنة المجلة والمطبوعات في مجمع دمشق أنه من المفيد نشره فيها . أما مجمع القاهرة فقد كتب إليَّ شاكراً وقائلاً إنه سيحيل الموضوع إلى لجنة الأصول لمدارسته وإعطاء رأيها في مضمونه وتقديم هذا الرأي إلى مجلس المجمع .

مصطفى الشهابي

بقايا الفصاح

كلّما مررت بطائفةٍ من بقايا الفصاح دوّنتها في دفتري ، لأن هذه البقايا تدلّنا على أشياء كثيرة من حياة لغتنا ، فقد نتمكّن مثلاً من أن نعرف أن اللفظ الفلاني الذي لا يزال شائعاً في أيّامنا على ألسن العامّة ، ونحن نحسبه عامياً ، قد شاع في القديم على ألسن البلغاء من الكتّاب والشعراء ، وإذا كنّا نحرص على رفع لغتنا العامّة إلى آفاق اللغة الفصيحة فقد يعيننا على هذا الحرص التفتيش عن بقايا الفصاح واستعمالها في كتاباتنا وأحاديثنا ، وعلى هذا الشكل فانّا نربط حاضر لغتنا بماضيها حتى لا تنفصم عرى هذا الحاضر والماضي ، وفضلاً عن ذلك كلّه فانّا نجد في الكشف عن طوائف من بقايا الفصاح مظاهر انتقال الألفاظ من معنى إلى معنى على تراخي السنين ، فقد يكون للفظٍ من الألفاظ معنى في القديم ، فإمّا أن يحافظ في الحديث في اللغة العامّة على معناه القديم وإمّا أن ينتقل إلى معنى آخر ، ثم قد نجد في بعض الأحيان أن الألفاظ قد تختلف معانيها على اختلاف الأذهان التي تستعملها ، وقد نجد أخيراً أن لفظاً من الألفاظ الفصيحة قد بطل استعماله في لغة الخاصة أو قلّ ، وقد ظلّ مستفيضاً في لغة العامّة ، وقد يكون في ضرب الأمثال توضيح لكل ما ذكرت .

من بقايا الفصاح : فلان مُنهْنِه . . . لعب به ولعب عليه . . . فتح عليه باباً . . مسكه على النداء . . . فلان يفوش ، وإني لأقتصر في هذا المقال على هذه الموادّ دون غيرها .

من الألفاظ التي انتقلت معانيها بعض الانتقال من وجه إلى وجه لفظ : نهنه ، فكثيراً ما نسمع قول العامَّة والخاصة : فلانٌ منهنه من شدَّة البكاء أو من شدَّة التعذيب أو من شدة الإعياء ، في معجمات اللغة : نهنهه عن الأمر فتنهنه كفَّه وزجره فكفَّ ، وقد وردت هذه المادة في طائفة من شعر المتقدمين أمثال حسّان بن ثابت وجرير والفرزدق وديك الجن .

فمن قول حسّان :

ونشربهـــا فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللقـــاء

فالنهنهة في هذا البيت معناها : الزجر والكف وهو المعنى المطابق لما جاء في معجم اللغة .

ومن قول جرير :

أبني حنيفـــة نهنهوا سفهاءكم إني أخاف عليـكم أن أغضبا

فلم يخرج جرير في استعمال هذه المادَّة عن أصل معناها .

وكذلك فعل الفرزدق في قوله :

لقد حبس القسريُّ في سجن واسطٍ فتىً شيظمياً ما ينهنهـه الزجر

إلاَّ أنَّ المبرِّد لما فسَّر : ينهنه في هذا البيت قال : أي ما يحرِّكه .

وأخيراً هذا بيت ديك الجن :

نهنهت الخمسون من شـــدَّتي وضيَّقت خطوي بعد اتساع

فان قوله : نهنهت من شدَّتي معناه : كفَّت من هذه الشدة ، فلم يبق لي من القوة وأنا ابن خمسين ما كان لي منها في نضارة الشباب .

فليس في هذه المادَّة التي وردت في شعر المتقدمين المعنى الذي تريده العامَّة في يومنا هذا ، ليس فيها شيء يدلّ على الإعياء أو التعذيب مثلاً ، فقد تحوَّل معناها على تعاقب السنين عن أصله اللغوي ، فانتقل من وجهٍ

إلى وجهٍ ، وهكذا نجد أن من معاني بعض الألفاظ ما لا يثبت على أصله ، وقد يكون البحث عن عوامل هذا التحوّل من طرائف الأمور .

أمَّا المادَّة التي اختلف معناها في ذهن رجلين استعملاها في القديم فهي مادَّة : لعب به ، ورد هذا الفعل في أخبار بلال بن رباح في تاريخ ابن عساكر ، إلاّ أن الخبر طويل لا سبيل إلى ذكره بحذافيره ، وقد تكون الفائدة في آخر الخبر . كان بلال مؤذن الرسول ﷺ يرعى على عبد الله بن جدعان بمكة غنمه قبل إسلامه ، ثم أسلم وكتم إسلامه ، فدخل يوماً مكة وقريش في ظهرها لا يعلم ، فأتى الأصنام فجعل يبصق عليها ، فطلبته قريش ، فهرب حتى دخل دار سيده عبد الله بن جدعان فاختفى فيها ، ثم دفعه ابن جدعان لأبي جهل وأمية بن خلف وقال : شأنكما به فهو لكما فاصنعا به ما أحببتما ، فخرجا به إلى البطحاء يبسطانه على رمضائها ويجعلان رحاها على كتفيه ويقولان : اكفر بمحمّد ، فيقول : لا ، ويوحّد الله ، فبينا هما كذلك إذ مرَّ بهما أبو بكر فقال : ما تريدان بهذا الأسود ، والله ما تبلغان به ثأراً ، فقال أميَّة بن خلف لأصحابه : ألا ألعبنَّكم بأبي بكر لعبة ما لعبها به أحد ، ثم تضاحك وقال : هو على دينك يا أبا بكر فاشتره منَّا ، فاشتراه أبو بكر . . . إلى آخر الخبر .

فالذي يعنينا من هذا الخبر قول ابن خلف : ألا ألعبنكم بأبي بكر لعبة . . . في اللغة فلان لُعْبة أي أحمق يسخر منه ، ورجل لعبة : يُلعب به ، ولكن هل أراد ابن خلف السخرية في هذا المقام ، معاذ الله أن يكون اللعب بأبي بكر من هذا القبيل ، فان أبا بكر رضي الله تعالى عنه أجلّ من أن يجترئ أحد على السخرية منه ، فاللعب في ذهن أمية بن خلف لم يكن معناه السخرية ، وبقية الخبر تثبت ذلك ، فإن ابن خلف أراد باللعب نوعاً من الحيلة والتشديد على أبي بكر في شراء بلال ، وقد حمله على هذا كله

طمعه الشديد ، وإثباتاً لهذا القول لا بدّ من ذكر بقية الخبر ، لما قال ابن خلف : هو على دينك يا أبا بكر فاشتره منّا ، قال أبو بكر : نعم ، فقال : أعطني عبدك نسطاساً ، ونسطاس عبد لأبي بكر ، حدّاد يؤدي خراجه نصف دينار ، فقال أبو بكر : إن فعلتُ تفعل ، فقال : نعم ، فقال : قد فعلت ، فتضاحك وقال : لا والله تعطيني معه امرأته ، فقال : إن فعلتُ تفعل ، قال : نعم ، قال : فذلك لك ، قال : فتضاحك وقال : لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته ، قال : إن فعلتُ تفعل ، قال : نعم ، قال : قد فعلت ، قال : فتضاحك وقال : لا والله حتى تزيدني معه مائتي دينار ، قال أبو بكر : أنت رجل لا تستحي من الكذب ، قال : لا واللات والعزّى لئن أعطيتني لأفعلن ، فقال هي لك ، فأخذه .

لا ريب في أن لعب به في الخبر المتقدم لا يشتمل على شيء من السخرية وإنما ينطوي هذا الفعل على حيلةٍ ممزوجة ببعض الدالّة ، وورود فعل تضاحك أربع مرات يؤيد ذلك ، فاللعب في ذهن ابن خلف خالٍ من السخرية ، أي من معناه اللغوي ، واختلاف معاني الألفاظ في أذهانٍ مختلفة قد يؤدي في أكثر الأوقات إلى شيء من سوء التفاهم ، فكل واحدٍ يفسّر اللفظ حين يقذف به على قدر نيته ، فيخرج به عن معناه الثابت ويجعل له في ذهنه معنى خاصاً وهذا أمر نشهده في أحاديثنا الخاصة وفي مجالسنا ، فيكثر في خلال هذه الأحاديث والمجالس سوء التفاهم فيضطر كل واحدٍ إلى الاعتذار مرّة ، وإلى حسن التأويل مرّة .

ولكن إذا لم يكن لفعل : لعب به في ذهن أميّة بن خلف معنى السخرية فإن له في ذهن ابن أبي عتيق هذا المعنى نفسه ، كان ابن أبي عتيق من نسّاك قريش وظرفائهم ، على نحو ما ورد في كامل المبرّد ، بل كان قد

بذّهم ظرفاً ، فمن طريف أخباره أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة :

فما نلت منها محرماً غير أننـا كلانا من الثوب المطرّف لابس

فقال : أبنا يلعب ابن أبي ربيعة ، فأي محرم ؟ فركب بغلته متوجهاً إلى مكة ... إلى آخر الخبر ، فلا شك في أن قول ابن أبي عتيق في هذا المقام : أبنا يلعب ابن أبي ربيعة يشتمل على معناه اللغوي وهو السخرية ، فليس فيه شيء من الحيلة أو الدالّة أو الكذب ممّا ورد في خبر بلال .

وقد وجدت في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة خبراً استعملت فيه لفظة : تلعَّبه بدلاً من لعب به وهذا هو الخبر :

جاء فتيان إلى أبي ضمضم بعد العشاء ، فقال لهم : ما جاء بكم يا خبثاء ! قالوا : جئناك نتحدّث ، قال : كذبتم ، ولكن قلتم : كبر الشيخ فنتلعَّبه عسى أن نأخذ عليه سقطة !

وقد فسّر الذين طبعوا الكتاب في باريز : نتلعَّبه بقولهم : نلهو به ، إلاّ أني لم أجد في معجم الفيروزابادي هذه المادّة : تلعَّبه بمعنى لعب به وإنما جاءت : تلعَّب لازمة بمعنى : لعب ، والأمر يحتاج إلى زيادة في التحقيق .

ولكن هل حافظت هذه المادة في لغة العامّة عصرنا هذا على معناها القديم ، من أمثال العامة في دمشق : جدي لعب بعقل تيس .. وهم يريدون بذلك أن الصغير ضحك على الكبير ، وقد تختلف وجوه هذا الضحك ، فإمّا أن الصغير قد ألقى الكبير في ورطة لا سبيل إلى النجاة منها وإمّا أنه جرّ هذا الكبير إلى أمر جعل الناس يسخرون منه ، أو ما شابه ذلك . وقد تعدّي العامة فعل لعب بحرف على فتقول : لعب عليه ، وأكثر ما تستعمل هذه المادّة في المواضع التي تشتد فيها الحاجة إلى ضرب من الحيلة كالانتخابات ونحوها ، فاذا قالوا : لعب عليه أرادوا أنه خدعه فدفعه إلى تصديقه ، وهو لا يشعر بهذه الخديعة ، أو أنه قد شعر بها بعد حين ، وقد يكون

بعض الفرق بين : لعب به ولعب عليه ، فالأولى تتضمن السخرية ، والثانية قد تتضمن الحيلة والخديعة ، على أن المادة واحدة ، ولكن حرف التعدية قد جعل في الظاهر بعض الفرق في المعنى ، وكيف كان الأمر فان قولنا : لعب به ولعب عليه لا يزال شائعاً على ألسن العامّة .

ومن التراكيب التي لا نزال نجد لها أثراً يومنا هذا قولهم : فتح على نفسه باباً ، فالعامة تريد بذلك أنه ألقى بنفسه في أمر فيه كثير من التعب ، فالحكومة مثلاً في فعلها كذا وكذا فتحت على نفسها باباً أي جرّت التعب إليها . نجد في كامل المبرّد أبياتاً للنميري يجيب بها جريراً ، في جملتها هذا البيت :

وإني إذ أسبّ بها كليباً فتحت عليهم للخسف بابا

وهكذا نرى أن بعض كلام جرير لا يزال يجري على ألسن العامة بعد الأحقاب الطويلة :

وكما بقيت لجرير آثار في لغة العامّة ، فكذلك بقيت للمتنبي آثار ، جاء في شعره في بعض قصائده :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

وقد شرح اليازجي قول المتنبي : ويمسكني ، على هذا الوجه : هو يمسكني عنده ليتمدّح بقصدي إيّاه .

كثيراً ما نسمع في لغة العامة والخاصة في دمشق قولهم : مسكه على الغداء أو على العشاء ، فقد يزور أحدنا صديقاً له في وقت الغداء أو في العشاء فيمسكه ليتغدّى أو يتعشّى معه ، فهم يعدّون هذه المادة بعلى ، وقد وردت في اللغة ثلاثية ورباعية : مسك به مثل أمسك ، فالشائع في اللغة العامة الثلاثي كما أن الشائع حرف التعدية على بدلاً من الباء ، ولا يبعد أن المتنبي أراد من قوله : ويمسكني ،.. يمسكني على الطعام على نحو قولنا

في دمشق ، ولست أرى فرقاً بين أن يمسكه كافور ليتمدح بقصده إيّاه وبين أن يمسكه على الطعام ، على أنني أرى تفسير المسك في هـذا المقام بالحبس على الطعام أبلغ في المعنى ، فكافور يأكل من زاد المتنبي ويمسكه على الطعام ، أي على زاده نفسه .

ومن طريف المشاهدات أن تموتَ لفظة في لغة الكتّـاب والشعراء أو يقلّ استعمالها وأن تعيش هذه اللفظة في لغة العامّة ، يقولون في دمشق : فلان يفوش كثيراً وهم يريدون بذلك أنه إذا حادَث بالغ في حديثه عن نفسه ، وجاوز الحدّ في التنويه بكرمه أو شجاعته وأمثال هـذه الأمور ، ماذا نجد في اللغة : فاش الرجل افتخر وتكبّر ورأى ما ليس عنده وهو فيّاش ، وفي بعض شعر المتنبي :

إذا ذكرتْ مواقفه لحـافٍ وشيكَ فما ينكّس لانتقاش

تزيل مخافةَ المصبور عنـه وتلهي ذا الفياش عن الفياش

فالفياش في هذا الشعر المفاخرة كالمفايشة ، فقد جاء هذا الفعل في شعر المتنبي من باب فاعل ، وسواء استعملت مادة فاش أم استعملت مادّة فاوش فان معنى هذا الفعل الفصيح لا يختلف عن المعنى العامي في أيّامنا ، فالمعنيان الفصيح والعامي يدلاّن على مجاوزة الحد في الادّعاء والمفاخرة وما شابه ذلك ، أمّا الطريف في هذا كله أن تذهب المفايشة من لغـة الكتّاب والشعراء في عصرنا هذا وأن تبقى : فاش في لغة العامّة ، وهي فصيحة ؛ ولكن مضارعها الفصيح : يفيش ، ، أمّا العامة فانها تقول : يفوش . وكيف كان الأمر فقد بقيت : فاش في لغة العامّة وماتت أو كادت تموت في اللغة الفصحى .

شفيق جبري

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١٥ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
7444	Intoxication, empoisonnement	انسمام ، تسمم ، إنذئاف	٧٤٤٤

وأرجح الاقتصار على انسمام وتسمم ، ولإنذئاف معنى خاص (١) .

7447	intoxication par le chanvre indien	انسمام بالقِنَّب الهندي	٧٤٤٧

وأقر مجمع اللغة العربية الانسمام بالحشيش ، وجاء في الشرح : وهو القمم الزهرية لأنثى نبات القِنَّب .

7448	intoxication par les gaz de combat	إنسمام بغازات الحَرْب	٧٤٤٨

وأفضل انسمام بغازات القتال تاركاً الحرب ترجمة لـ (guerre) .

---

(١) في اللسان : الذّأف سرعة الموت الألف همزة ساكنة وموت ذؤاف وَحيٌ كذعاف : بسرعة . والذأْف والذّأَف الاجهاز على الجريح وقد ذأفه وذأف عليه . والذئفان والذيفان السم الذي يذأف ذأفاً .

٧٤٤٩ إنسمام بالخس البري (الشُّبَيْن) 7449 intoxication par la laitue vireuse

والصحيح الانسمام بالخس السام كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ، ولم أعثر على لفظة الشُّبين في المعجم المذكور ولا في المعاجم اللغوية الأخرى (١) .

٧٤٥٠ إنسمام إجمالي 7450 intoxication collective

وأرجح انسمام جماعي لأنه يشتمل على إصابة جماعة من الناس .

٧٤٥٧ تفاعل أدمي 7457 intradermo - réaction

وأرجح ارتكاس أدمي كما أقرها مجمع اللغة .

٧٤٦٠ في الأعضاد 7460 Intra - mural , le

وأرجح داخل الجدار ، لأن المعروف أعضاد جمع عَضُد (٢) .

٧٤٦٢ في الجداري 7462 intra pariétal, ale

وأفضل في الجدار وداخل الجدار وفي الجداري وداخل الجداري . ففي الحالة الأولى تكون اللفظة مخصصة بجدار أي عضو من الأعضاء وفي الثانية يقصد النسبة إلى الناحية الجدارية من الدماغ أو الرأس (٣) .

٧٤٦٤ في الصفاق 7464 intra - péritonéal , ale

وأفضل داخل جوف البريطون أو في جوف البريطون (٤) .

---

(١) لقد جاء في شرح لفظة (laitue) Lactusa من المعجم المذكور : خس (جنس نبات من الفصيلة المركبة فيه أنواع زراعية مشهورة (انظر laitue) وفيه أنواع برية يستعمل بعضها في الطب ويؤكل ورق بعضها (l. cretica : خس بري يؤكل ورقه l virosa : خس سام) .

(٢) في المعجم الوسيط العضد ما بين المرفق إلى الكتف والجمع أعضاد .

(٣) انظر شرح لفظتي intramural , intraparietal في معجم بلاكستون (Blakiston's) .

(٤) الصفحة ٢٢٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

7466 intra - utérin . ine ٧٤٦٦ في الرحم

وأقر مجمع اللغة داخل الرحم .

7468 intravasculaire ٧٤٦٨ في الوعاء

وفي العِرْق أو داخله .

7472 Intriqué , ée ٧٤٧٢ مشبَّك

وأرجح متشابك ومعقَّد .

7478 Intuitif, ve ٧٤٧٨ بيِّن ، ما يدرك بالبصيرة

7479 Intuition ٧٤٧٩ بصيرة

والصحيح حَدْسي وبديهي في اللفظة الأولى والحَدْس [١] في اللفظة الثانية .

7480 Invagination , ombi - lication du mamelon ٧٤٨٠ إنغلال أو استسرار الحَلَمة

وأفضل انخفاض الحَلَمة أو غؤورها كما جاء في الترجمة الإنكليزية والألمانية للمعجم الأصلي [٢] .

7481 Invalide , v. impotent ٧٤٨١ مشوَّه ، عاجز ، أنظر مُقْعَد

وأرجح عاجز فقط ، فقد سبق للجنة أن استعملت لفظة تشويه ترجمة للفظة (déformation) (اللفظة ٣٨٦٠) وتصبح لفظة مشوَّه ترجمة لِـ (déformé) و (mutilé) (اللفظة ٧٩٢٨) .

---

(١) انظر الاصطلاحات الفلسفية للدكتور جميل صليبا الصفحة ٤٤ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

في المعجم الوسيط : الحَدْس في اصطلاح المناطقة سرعة انتقال الذهن من المقدمات إلى النتائج .

في اللسان : الحَدْس التوهم في معاني الكلام والأمور والحَدْس الظن والتخمين .

في المعجم الوسيط : قوة الإدراك واليقظة ، والعلم والخبرة .

في اللسان : والبصيره : عقيدة القلب ، البصيرة : الفطنة .

(٢) (Depressed nipple) في الانكليزية و (Hohlwarze) في الألمانية ،

٧٤٨٢ مُقْعَد، مشوَّه حرب، منسَّق
7482 invalide, mutilé de guerre, réformé de guerre avec invalidité

والأفضل عاجز، مشوَّه حرب، مسرَّح (١) من الجندية بعجز.

٧٤٨٣ عجز، إقعاد، زمانة
7483 Invalidité

والصحيح عجز فقط. وقد أقر مجمع اللغة هذه اللفظة ترجمة لـ(disability) في الانكليزية وجاء في الشرح: النقص في القدرة على العمل.

٧٤٨٤ قَلْب، عَكْس، انقلاب
7484 Inversion

وأقر مجمع اللغة إنقلاب فقط.

٧٤٨٥ انقلاب الصيغة الكريضية
7485 inversion de la formule leucocytaire

وأفضل إنقلاب صيغة الكريات البيض.

٧٤٩٠ داخل الزُّجاج (في الزُّجاج)
7490 in vitro

وأقر مجمع اللغة في الأنبوب.

٧٤٩١ داخلَ الحي (في الجسم الحي)
7491 in vivo (dans le corps vivant)

وأرجح في الحي (في بدن الحي).

٧٤٩٣ حَكْش، ترد
7493 Involution, regression

وأقر مجمع اللغة أوْب (أكياس أوبيـــة في الثدي involution cysts of brast) ودرجت على ترجمة اللفظة بالنُّكوص (٢) في إحدى مـــعاني

---

(١) في المعجم الوسيط: سرّح الشيء أرسله يقال سرّحَ الرسول أرسله في حاجة وسرّح فلاناً إلى موضع كذا وسرّح المرأة طلقها: وفي التـــنزيل العزيز: (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً) وسرّح العامل أخلاه من عمله (محدثة).

(٢) في اللسان: الأوب الرجوع.
في اللسان: النُّكوص الرجوع إلى وراء وهو القَهْقَرَى.

الكلمة الثلاثة (١) والمعنيان الآخران هما الالتفاف إلى الداخل أو الالتفاف الباطن ثم الانتكاس (٢) . وليس للفظتي حكش وترد (٣) مثل الدلالة المطلوبة ، وعليه أرى أن تكون ترجمة اللفظة حسب المعنى المقصود الالتواء أو الالتفاف الباطن ، النكوص (أو الأوب كما أقرها مجمع اللغة) ، والانتكاس أو الرّدّ (٤) .

٧٤٩٤ ترد شيخوخي 7494 involution sénile

وأرجح انتكاس الشيخوخة (٥) .

٧٤٩٥ حَكْش الرّحِم 7495 involution utérine

وأفضل نكوص الرّحم (٥) .

---

(١) تشير اللفظة كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) إلى معـان ثلاثة : « ١ » الالتفاف الباطن « ٢ » النكوص وهو عودة أحد الأعضاء إلى حجمه الأصلي بعد انتهاء عمله ، شأن الحال في الرحم الحامل وازدياد حجمها إبان الحمل ثم عودتها إلى حجمها السوي بعد الوضع بمدة قصيرة (٣) التبدلات التي تطرأ على جسم الإنسان من جراء تقدمه في السن وهرمه .

(٢) في اللسان : التنكّس في الأشياء معنى يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره . انتكس في أمره فقد خاب وخسر إلى أن قال . وقوله تعالى ومن نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ في الخلق معناه من أطلنا عمره نكّسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفاً وبدل الشباب هرماً .

(٣) في القاموس المحيط : الحَكْش الجمع والتقبض .

في اللسان : الرّدى الهلاك ، رَدِيَ بالكسر يردى ردىً هلك فهو رَدٍ . وردي في الهوّة ردىً وتردى تهوّر وأرداه الله ورداه فتردّى ، قلبه فانقلب وفي التنزيل العزيز : وما يغني عنه ماله إذا تردّى ، قيل إذا مات الخ .

(٤) ومنه قوله تعالى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر .

(٥) انظر الشرح المبين آنفاً .

٧٤٩٩ حَصَفٌ يودي 7499 Iodide

وأرجح طَفْحٌ (١) يودي أو اندفاع يودي ولفظة حَصَف (٢) لا تنطبق على ما يقصد من اللفظة من اندفاع جلدي يظهر إثر استعمال أحد مركبات اليود .

٧٥٠٩ شاردَة 7509 Ion

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بأيون . وجاء في التعريف : الأيون ذرة أو مجموعة ذرات لها شحنة موجبة أو سالبة .

٧٥١٠ تَشَرُّد ، مداواة بالشوارد 7510 ionisation , ionothé - - rapie , iontophorèse

وأقر مجمع اللغة التطبيب الأيوني ترجمة لـ (ionic medication) وجاء في التعريف : وهو تطبيب بتحليل الأدوية السائلة بالكهرباء وتوجيه الأيونات إلى القطب السالب أو الموجب وبذلك يمكن توزيع الدواء بواسطة التيار الكهربائي المستمر فتندفع الأدوية داخل الجسم .

كما أن المجمع أقر تعريب لفظة (ionophoresis) بالأيونوفورية ، وجاء في التعريف : وهي إدخال الأيونات في الأنسجة بتيار كهربائي .

وعليه فإني أرى أن تكون ترجمة الألفاظ : التأيين ، المعالجة الأيونيه والأيونوفورية .

٧٥١١ مِقياس الشَّوارد ، مِشراد 7511 Ionomètre

وأفضل مقياس الأيونات .

---

(١) في المعجم الوسيط : آفة جلدية ظاهرة ناشئة عن أمراض عامة كالحميات (ج طفوح) (مج) .

(٢) في اللسان : والحَصَف بَثْرٌ صغار يَقْيَحُ ولا يعظم وربما خرج في مراق البطن أيام الحر . وقد حَصِفَ جلده بالكسر يَحْصَفُ حَصَفاً .

٧٥١٢ شوارد غازية — 7512 Ions gazeux

وأرجح أيونات غازية .

٧٥١٦ قُزَحية — 7516 Iris

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالحَدَقة [١] أيضاً . ولم أطلع في المعاجم اللغوية التي لدي بما فيها المعجم الوسيط على استعمال لفظة القزحية ، وهي مأخوذة من اليونانية بمعنى قوس قُزَح . وأرى الاقتصار على الحدقة أفضل[٢] .

٧٥١٧ قُزَحية مُقَبَّبَة ، قُزحية كالطماطم — 7517 iris bombé , iris en tomate

ولعلَّ قزحية كالبَنَدوري (الألفاظ الزراعية) أفضل وهو الاسم الدارج في سورية .

٧٥٣٦ استثارة ، تنبيه اهتياج — 7536 Irritabilité, excitabilité , sensibilité , incitabilité

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بثورانية ، وأرجح ترجمة الألفاظ تباعاً كما يلي : تهيج أو تحرش أو استثارة ، إحساس ، إثارة أو تحريض أو حث .

٧٥٣٧ قابل الاستثارة ، قابل التنبه — 7537 Irritable , excitable

وأرجح قابل الهياج أو التهيج أو التحرش ، مستثار .

٧٥٣٨ مُثير — 7538 Irritant , te

وأفضل مهيِّج ومُحرِّش .

---

(١) جاءت لفظة القزحية في مصطلحات علم الرمد (الصفحة ٣٧٢ من المجلد الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع طبعة ديسمبر ١٩٥٧) وجاءت لفظة الحَدَقة في مصطلحات الطب والتشريح (الصفحة ٥٣٩٩ من المجموعة ذاتها) .

(٢) انظر الصفحة ٤٧٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٧٥٣٩ غير مثير ، غير مُنبه — 7539 irritant (non), non stimulant

وأفضل غير مخرش وغير حاث .

٧٥٤٠ مُثيرات ، مُخرشات (أدوية) — 7540 irritants (medi - - caments)

وأرجح مُخرشة (أدوية) .

٧٥٤٤ فَقْر دَمٍ مَوْضِعِي — 7544 Ischémie

وأقر مجمع اللغة : قلة الدموية الموضعية وجاء في التعريف : هي نقص في كمية الدم في موضع ما لانقباض أو تعويق في الأوعية الدموية .
وسبق للجنة أن استعملت لفظة فقر الدم ترجمة لِ(anémie) (اللفظة ٦٧٩) .

٧٥٤٦ مُتواقت ، بوقت واحدٍ عدة متساوية — 7546 Isochrone, isochronique de durée égale

وأقر مجمع اللغة متساوي الزمن ، وجاء في الشرح : صفة لظاهرتين أو أكثر يستغرق حدوثها زمناً واحداً أو لظاهرة يتكرر حدوثها على فترات متساوية .
وأفضل متواقت أو مُواقت .

٧٥٥٢ تماكُب — 7552 Isomérie

وأقر مجمع اللغة تساوي الأجزاء (في مصطلحات علم الطبيعة) والتشاكل (متشاكل ترجمة isomers في مصطلحات الكيمياء والصيدلة) وأرى تساوي الأجزاء أفضل ، لأنه ما يُعنى بهذه اللفظة تساوي اعداد الأجزاء المكونة بين مادتين أو أكثر مع اختلاف في وضع تلك الأجزاء . أما التشاكل فالأفضل تخصيص اللفظة ترجمة لِ (isomorphisme) ومتشاكل لِ(isomorphes) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٧٥٥٤) .

7553 isomérie de position ٧٥٥٣ تماكُب وضعي

وأرجح تساوي الأجزاء الوضعي .

7556 isthme du gosier ٧٥٥٦ برزخ البلعوم

وأقر مجمع اللغة برزخ الغُنْدُبتين [١] ترجمة لِ (isthmus of fauces) ، ولعلها أفضل .

J

7561 Jactation , Jactition ٧٥٦١ تَمَلْمُل

وأرجح ترجمة اللفظة بهذيان العَبَث . لأن ما يقصد بهذه اللفظة كما جاء في معجم لاروس(Larousse) : اضطراب عصبي يبدو بحركات لا نظامية دون غاية معينة ، والتملْمُل غير ذلك [٢] .

7566 Jambon ٧٥٦٦ فَخْزَرة (لحم خنزير مُملَّح)

وأرجح جمبون تعريباً أو فخذ خنزير مملَّحة .

7567 Jambon pulpé ٧٥٦٧ فَخْزَرة شَحِمة

وأرجح جَمْبون مقطّع أو مجزّأ كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي [٣] ، إذ يفهم من شَحِمة كثيرة الشحم أو مفعمة به .

---

(١) في المعجم الوسيط : الغُنْدُبة إحدى طيقتين من الغشاء المخاطي تضمان بينهما اللوزتين من أمام وخلف وهما غُنْدبتان .

(٢) في المعجم الوسيط : تَمَلْمَل تقلّب على فراشه متألماً من مرض أو غم أو نحوهما ويقال تململ الجالس أبدى قلقه بأن جثا على ركبتيه وجنح إلى أحد شقيه تارة وإلى الآخر تارة أخرى

في اللسان : عبِثَ به بالكسر عَبَثاً لعِب فهو عابث لاعب بما لا يعنيه وليس من باله .

(٣) (scraped ham) .

7575 Javellisation ٧٥٧٥ جَوْفَلة ، جَفْلَلة

وأفضل إضافة محلول جافيل (إلى الماء) .

7576 Javart cartilagineux (vét.) (بيطرة) عِيران غضروفي ٧٥٧٦

7577 Javart encorné (vét.) (بيطرة) عيران مُتَقَرِّن ٧٥٧٧

وما يعنى باللفظة كما جاء في معجم بلاكستون[١] (Blakiston's) : مرض يصيب الغضروفين الجانبيين من الحافر منشأه رض أو انتان وينجم عنه تكوّن مجرى ناسوري في الجزء الأدنى من رسغ الفرس .

وجاءت ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : شُقاق للفظة الأولى وشقاق غضروفي للثانية وجاء في شرح الأولى : نَخر في الأنساج الليفية والغضروفية للأجزاء السفلى من قوائم الفرس وقوائم البقرة أحياناً . ولعلّ لفظة شقاق أفضل ولم أجد في لفظة عيران[٢] الدلالة المطلوبة .

7581 Jet (en) ٧٥٨١ رَشْق ، جَذْر

وأفضل بتفجّر أو بشكل نافوري . إذ المقصود خروج أحد السوائل باندفاع ضغطي .

---

(١) في لفظتي (querter) و (quitter) القابلين للفظة الفرنسية .

(٢) في اللسان : العيران خشبة تجعل في وترة أنف البعير وهو ما بين المَنْخِرَين وهو الذي يكون للبخاتيّ والجمع أعرنة . وعرنه يعرُنه ويعرِنه عرناً وضع في أنفه العيران . كما جاء في اللسان أيضاً : العَرَن والعُرْنة داء يأخذ الدابة في أُخُر رجلها كالسحج في الجلد يذهب الشَعر ، وقيل هو تشقق يصيب الخيل في أيديها وأرجلها ، وقيل هو جسوء يحدث في رُسْغ رجل الفرس والدابة وموضع ثُنَّتها من أُخُر للشيء يصيبه فيه من الشُقاق أو المشقّة من أن يرمح جبلاً أو حجراً وقد عَرِنت تعرَن عَرَناً فهي عَرِنة وعَرون وهوُ عَرِن .

٧٥٨٢ رَشْق البَوْل — 7582 jet d'urine

وأرجح دفع البول كما استعمله ابن سينا في قانونه ولا أرى لفظة الرشق [١] تفي بالمعنى المطلوب .

٧٥٨٨ لَصْق ، إلصاق ، إلتصاق ، إلتحام — 7588 Jonction

وأرجح وَصْل ، مَوْصِل ، مَرْبط ، مُلتقى حسب موضع الاستعمال .

٧٥٨٩ إلتحام عَضَلي عَصَبي ، اشتباك عصبي — 7589 jonction myo-neurale synapse neuromusculaire

وأقر مجمع اللغة ترجمة (synapse) بِمَمَس وجاء في التعريف : نقطة تماس محور إحدى الخلايا العصبية بجسم خلية عصبية أو بإحدى زوائدها .

٧٥٩٠ خَدّ ، وَجنَة — 7590 Joue

وأرجح الاقتصار على خد ، والوجنة [٢] هي ترجمة لِ (protubérance de la joue) .

٧٥٩١ خُدود غائِرة — 7591 joues creuses

ولعلّ خدان غائران أفضل .

٧٥٩٢ كُلثوم — 7592 Joufflu , ue

وأرجح ريّان الخدين [٣] ، وريانة الخدين لأنها جاءت بصيغة الصفة وللفظة كلثوم [٤] دلالة أخرى .

---

(١) في اللسان : الرَّشْق الرَّمي وقد يشترِ بالسّهم والنَّبل يرْشقهم رشقاً رماهم . فالرِّشْق والرَّشْق صوت القلم إذا كتب به .

(٢) في اللسان : الوجْنَة ما ارتفع من الخدّين للشدق والمَحْجِر .

(٣) في المخصص : الريّان من الخدود هو الحسن الذي قد ارتوى .

(٤) في اللسان : الكُلْثوم الفيل وهو الزّندبيل ، والكُلْثوم الكثير لحم الخدين والوجه والكلثمة اجتماع لحم الوجه .

٧٥٩٥ تغلّب (على مرض) Juguler (une affection) 7595

وأفضل سيْطَر (على علة) .

٧٦٠١ توائم وحيدة المحيّة ، أعيان jumeaux univitel-lins, identiques 7901

وأقر مجمع اللغة للجزء الأول من اللفظة توأما بيضة (بصيغة المثنى لا الجمع) وجاء في الشرح : أي ينشأ من تلقيح بيضة واحدة . وأرى أن تكون ترجمة اللفظة الثانية كفآن (بصيغة المثنى أيضاً) أو مماثلان . لأن للفظة عين معاني أخرى عديدة [١] .

٧٦٠٢ توائم مضاعفة المحيّة jumeaux bivitellins 7602

وأقر مجمع اللغة توأما بيضتين وجاء في الشرح : أن ينشآن من تلقيح بيضتين .

٧٦٠٤ حجْري أو عكِير (بول) jumenteuse (urine) 7604

وأرجح الاقتصار على عكِير كما جاء في الترجمة الانكليزية [٢] المعجم الأصلي .

٧٦٠٧ تحت الحكم Justiciable 7607

وأفضل خاضع لِـ أو عرْضة لِـ .

٧٦٠٩ تجاور ، مر خارجي Juxtaposition 7609

وأرجح تجانب (وان كان لها معنى ضدي أيضاً) وتلاصق [٣] . اما عو خارجي فهو معنى غير طبي للفظة وردت في معجم لاروس ويقصد به

---

(١) في المعجم الوسيط : العين أهل البلد وأهل الدار والجاسوس ورئيس الجيش وطليعة الجيش وكبير القوم وشريفهم وذات الشيء ونفسه ج أعيان .

(٢) (trubleb urine) .

(٣) يعني باللفظة الدنو إلى جانب شيء آخر والتجاور أعم من ذلك .

ازدياد حجم أحد الأجسام الجامدة (غير الحية) بانضمام جزء مثيل إليه ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بـ : الكِبَر بالانضمام .

K

7610 Kala - azar , fièvre épidémique d'Assam , leichmaniose viscérale ٧٦١٠ داء أسود ، حمّى أسام الوبائية داء لايشماني حَشَوي

ودرجت على ترجمة اللفظة الأولى بالحمّى السوداء وأقول حمى أسام الوافدة والاشمانية الحشوية .

7625 Kératocèle ٧٦٢٥ تَفتّق القرنية

والصحيح فتْق القرنية لأن المقصود من هذه اللفظة كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) هو نتوء غشاء (Descemets) من خلال طبقة القرنية ، وتفتق القرنية غير ذلك [1] وليس المقصود هنا .

7634 Koumis , Kou - - miss . Kumis ٧٦٣٤ قمّيز ، قوميس (لبن الفرس المختمر)

وفي معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي قمّيز ، كوميس . وجاء في الشرح : معربة . وهي روسية من أصل مغولي . والأولى أي قمز ذكرها ابن بطوطة وضبطها . والثانية حديثة التعريب . شراب من لبن الخيل المختمر تستعمله القبائل البدوية في أواسط آسيا .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) في المعجم الوسيط : تفتّق وتشقّق .

في الترجمة

الذين يشتغلون بالترجمة كثيراً ما تستغرق كلَّ اهتمامهم الأصولُ التي هم بترجمتها موكَّلون ، فيتشرَّبون روحها وألفاظها ومعانيها وأخيلتها حتى تغدو عالماً حيّاً يعيشون فيه بكلّ وجدانهم وكيانهم . فإذا تهيأوا لترجمة النصّ ، كانت صورتُه الكاملة واضحةً في مخيّلاتهم تماماً ، ونقلوها إلى اللغة الأخرى بالألفاظ والعبارات التي يحسبون أنها تنقل تلك الصورة بكلّ وضوحها إلى مخيّلات القارئين في اللغة المنقول إليها . فإذا كانوا على قدرٍ من إحسان الترجمة بعيد ، حققوا هذا الأمر تحقيقاً باعثاً على تمام الرضا ، أما إذا قعدت بهم وسائلُ الترجمة ، أو تعثّروا في نقل الألفـــاظ والمصطلحات أو اختاروا عبارات اصطلاحية ليس لها في ذهن القارئ وضوح كاف ، فعندئذٍ تجيء الترجمة معيبةً ، وتقصر عن بلوغ ذهن القارئ بمثل الوضوح الذي ازدان به النصّ ، وبمثل الفهم الذي تحقّق للمترجم .

فالمشكلة هنا ليست مشكلة فهم ، ولكنها مشكلة تعبير . والمترجم المكين هو الذي لا يعيي في الفهم ولا في قدرة النقل ، وعنده من حصيلة المعرفة اللغوية ومن المران على الأساليب ما يهوّن عليه أمر النقل بأسلوب واضح أمين ، مع الاعتصام بالأمانة الصارمة في أداء المعاني الأصلية أداءً سليماً .

ومهما تكن سعة المعاجم المتاحة للمترجين ، ومهما يكن تبحّرها في رصد المعاني البعيدة والناشزة ، فإن المترجمين المدققين كثيراً ما يسترشدون بتلك المعاجم ، ثم يتبيّنون أنه يعوزهم الاعتماد على بديهتهم وقدرتهم على توليد الألفاظ لأداء معنى مستعصٍ على نهج القاموس ، أو عبارة تغدو كالقزم لو نُقل

معناها بألفاظ قاموسيّة محدّدة . وليس في هذا ما يُعاب على القاموس ، ما دامت اللغة في تطوّر مستمرّ ، وما دامت المعاني تتوالد بأنماط جديدة متسارعة الخطوات ، والترجمة العلمية عمادها الأوّل والأهمّ على مصطلحات مستقرّة المعاني محدّدة الآماد . وما هكذا الترجمة الأدبيّة التي تتداخل فيها الظلال ، وتتشابك المعاني ، وتشيع بين ألفاظها المحسّنات البلاغيّة واللغوية بألوانها المتباينة ، وتحتمل عباراتها تأويلات شتّى وترجيحات مختلفة .

وفي مثل هذه المواقف ، يعتمد المترجمُ بعد حسن الفهم والاستيعاب على ما ترتجله بديهته في نقل المعاني التي تتمثل أمام ناظريه وبصيرته ، فيسوقها منضّدةً بذوقه المصقول ، ويضعها في مواضعها المناسبة ، وبه اطمئنان كامل إلى أنه أدّى للفهم وللنقل وللترجمة كلّ حقوقها في غير فضفضةٍ أو تطفيف .

ويقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه النفيس « فن الترجمة في الأدب العربي » إن اختيار اللفظة الملائمة في الترجمة ليست عمليــة من السهولة كما يتصوّرها بعض مَنْ لم يعانوا النقل من لغة إلى لغة . وهي عملية بالغة الصعوبة بالنسبة إلى المترجم الذي ألقي عليه عبء وضع ألفاظ عربية مترجمة مطابقة للمعاني المرادة في الألفاظ الأجنبية ، وبالنسبة كذلك إلى المترجم الذي يتولى ترجمة نصٍّ معيَّن أمامه » .

ولتبيان طرفٍ من هذه الصعوبة ، اجتهدتُ في حصر طائفةٍ من الألفاظ التي هدَتْ إليها بديهةُ الارتجال في الترجمة وهي مدرجة في هذا الفصل على علاّتها ، عُرضة لعوامل البقاء والفناء ، وهي عوامل يسري ناموسُها على الكلام كما يسري على الحياة والناس .

★ ★ ★

فلبعض الفلاسفة نظريات تدور حول الـ Superman ، وهو الإنسان الذي تتوافر له أسمى مقوّمات الحياة البشريّة ، وتتكامل فيه الفضائل ،

بحيث لا يعتوره نقص ولا يأتيه عيب . وقد قنع بعض المترجمين بتعريب لفظة « السوبرمان » اعتقاداً منهم بأنها اكتسبت مع الوقت دلالةً اصطلاحية ثابتة في ميدان الفلسفة ، ممّا يغري بالاستمساك بها على وضعها الفرنجي بعد تأدية حروفها باللغة العربية . بل لقد تسلل هذا اللفظ الأعجميّ إلى عنوانات الكتب ككتاب « مقدمة السوبرمان » الذي أصدره سلامة موسى عام ١٩١٠ . بيد أن هناك من النقلة مَنْ ارتأى ترجمة هذه اللفظة إلى « الإنسان الأعلى » أو « ما فوق الإنسان » ، وهناك مَنْ اختار لها ترجمة « الإنسان الأرقى » . أما الشاعر محمود أبو الوفا ، فقد تصوّر هذا الإنسان المتفوّق تصوراً شعرياً في ملحمته الفلسفية الموسومة « النشيد » ، فقال يخاطبه :

إني أبغيك فصـــلاً خامساً جامعاً كلّ الفصول الأربع

وهو يقصد « بإنسان الفصل الخامس » ، الرجل الذي تهيأت له كلّ أسباب الكمال ، فصار غايةً ليس للبشرية غاية بعدها .

على أنني استطبت عبارة « الإنسان الأمثل » لتكون ترجمةً دقيقةً بلفظها ومعناها لعبارة Supèrman . فالرجل الأمثل هو الذي تتسامى نوازعه وتتعالى فضائله وتتحقق به أحلام الفلاسفة وأوهام الشعراء وأمنيات رجال الاجتماع .

★ ★ ★

ويقول الأخلاقيون ورجال الاجتماع وعلم النفس إن في الإنسان قوة فطرية داخلية تسمّى Moral or social restraint تتولى تهيئه عن اقتراف أفعالٍ مستهجنة أخلاقياً واجتماعياً . وذهب المترجمون كلّ مذهب في نقل هذه العبارة إلى اللغة العربية ، فقال بعضهم « الكابح الأخلاقي أو الاجتماعي » ، وقال غيرهم « الشكيمة الأخلاقية أو الاجتماعية » ، وقال سواهم « الضابط الأخلاقي » . وفي اعتقادي أن عبارة « الوازع الخلقي أو الاجتماعي » أوقع

في الأذن وأمتن في الصياغة وأعرق في الأرومة من العبارات التي تقدّمتها . وهي بدورها من وحي الخاطر والبديهة .

★ ★ ★

ويتحدث رجالُ الاقتصاد عن السفن التجارية التي تمخر عباب البحر رافعةً أعلام الدول التي تنتمي إليها ، ويقولون إن أصحاب هذه السفن يعمدون في حالات كثيرة إلى تسجيل سفنهم لا في الدول التي تنتسب إليها ، بل في دول أخرى تجزل لهم من الإعفاءات الضريبية ومن التسهيلات المالية ما يجعلهم يؤثرونها بالتعامل ، مثل بناما وليبيريا ، فترفع هذه السفن – وهي أمريكية أو نروجية أو بريطانية أو يونانية – أعلام الدول المسجّلة فيها بوصفها Flags of convenience . وواضح أن المعنى المقصود بهذه العبارة هو اختيار علم فيه مصلحة مؤكدة لرجال الملاحة وأصحاب السفن . و « علم المصلحة » هذا قد يكون أقلّ وزناً من غيره من الأعلام في المعيار السياسي ، ولكنّه أصلح وأجدى في المعيار التجاري والاقتصادي .

فالباخرة اليونانية التي ترفع علم بناما توصف بأنها ترفع « علم المصلحة » أي المصلحة التي يتوخّاها أهل التجارة من تسيير سفينتهم وإطلاقها في مجاري المياه شرقاً وغرباً .

★ ★ ★

والمشتغلون برصد الأحداث التاريخية يحرصون دائماً على إعداد ثبت تاريخيّ زمني مسلسل Chronology للوقائع التي يتناولونها في دراساتهم بالإسهاب والتحليل . ويراعى في هذا الثبت أن ترتب فيه الوقائع ترتيباً زمنياً وفقاً لأسبقية حدوثها ، وذلك لإمكان ربط الوقائع ربطاً متسلسلاً في سياقها التاريخيّ العام .

وقد استصوبتُ وضع عبارة « سلسال تاريخي » مقابلةً للفظة Chronology من حيث أنها تبرز أهمية التسلسل في الوقائع ، كما أن معناها يُستقرى من ظاهر لفظها بغير كبير جهد .

★ ★ ★

والباحثون الذين يستقون مادّتهم من مصادر شتيتة لا يفوتهم أن يشيروا إلى تلك المصادر على هامش الصفحة ليرجع إليها كل راغب في الاستزادة من البحث ، وكل طالب همّه الاستيثاق من حقيقة نصّ معين . وتسمى هذه اللاحظة الهامشية Footnote ، وقد يذهب بعض المجددين إلى اشتقاق مصدر منها هو Footnoting . فإذا عنّ للذهن أن يضع مقابلاً لهذه العبارة ، قيل : « تذييل » أو « تحشية » وإنْ يكن في الوسع أن تضاف إليها لفظة جديدة هي « تهميش » تؤدّي المعنى المقصود في هذا المقام .

أمّا الكاسعة « ize » الانكليزية ، فقد كثر إلحاقها بالألفاظ حتّى أصبحت في جملتها تؤلّف قاموساً برأسه لشيوع استعمالها . فيقال مثلاً Americanize و Neutratize و Democralize و Modernize و Arabize و Mechanize وهلمّ جرّا .

وقد جرى بعض الكتّاب على صوغ مقابل من لفظة واحدة لأداء هذه المعاني باللغة العربية ، فقالوا أمركة وتحييد ودمقرطة وتحديث وتعريب وميكنة ، وهلمّ جراً ، وأغلبها ألفاظ يقف القارئ أمامها للوهلة الأولى محيّراً في أمرها ، غير مستخرج معناها الصحيح إلاّ بعد أن يتواتر استعمالها في الفصل الواحد تواتراً يُفصح عن حقيقة مؤداها .

وفي اعتقادي أن الوضوح في المعنى ينبغي أن يكون أولى بالاهتمام من الصياغة اللفظية ، ولهذا نؤثر أن تترجم هذه الألفاظ بعبارة كاملة لا بلفظة واحدة ، فيقال « صبغ بالصبغة الأمريكية وطبع بطابع الحياد وُجبل بجبلة

دمقراطية وصُبّ في قالب حديث وصيغ صياغة عربية وتطور تطوراً آلياً ، وهلم جرّاً .

فالعبرة في الترجمة بالوضوح لا بالإعجام ، وبحسن التعبير لا بإدغامه . ورُبَّ جملةٍ متعددة الكلمات خير من لفظة مختصرة يُخِل اختصارها بالمعنى .

★ ★ ★

والواقع أن الترجمة عملٌ من أعمال التحدّي التي تستفزّ الذهن الخلاّق بغاياتها البعيدة . فالذي يتصدّى لترجمة جورج برناردشو مثلاً ، ينبغي أن يكون بدرايته وعلمه وفهمه وكفايته على مستوى يُقارن بمستوى المؤلّف الكبير ، فإذا اتّجه المترجم إلى نقل كتب التخصصات ، كالعلوم الرياضية والفلسفة والصناعات وما إليها ، كان لا بدّ له أن يكون واسع الاطّلاع على نواحي تلك التخصصات حتّى لا يؤوده الفهم ويعييه النقل .

فالقاريء الذي يتناول كتاباً مترجماً ، إنّما مُراده أن يجد فيه بُغيته الكاملة فلا يحتاج بعد مطالعته إلى مراجعة أصله الفرنجيّ استكمالاً للفهم أو استيضاحاً لأمورٍ لفّها الغموضُ بوشاحه . أمّا إذا كان القاريء يضع الكتاب المترجم بيد ليتناول بالأخرى أصله الأجنبيّ لأن الترجمة لم تفِ بمطالبه ، وأمّا إذا كان القاريء يقرأ الترجمة ثم ينتهي إلى الحكم بأنها في نصّها العربي محتاجة إلى ترجمةٍ أخرى تقيم لها اعوجاجها ، فمعنى ذلك أن الجهد الذي بُذل في الترجمة قد جاء قاصراً وأن على المترجم أن يستوفي عُدّدَه قبل الاضطلاع بجهد جديد في هذا الباب .

والترجمة غيرُ التأليف ، ومسؤولية المترجم لا تشابه مسؤولية المؤلف ، فالمترجم مقيّدٌ بحرفيةٍ في اللفظ وقوالب في المعاني لا يستطيع الإفلات منها إلا إذا خانَ أمانة الترجمة ، وأنام ضميره الأدبيّ . أمّا المؤلّف ، فهو حرّ

في ما يكتب ، يعبّر عنه حسبما يشاء له ذوقه ويسجّل خواطره وآراءه على النحو الذي تتراءى له فائدته . فهو يجول في ميدان ارتفعت منه كلّ الحواجز ، وليس عليه من حرج في أن يقول ما يشتهي بالأسلوب الذي يشتهي ، فإن شاءَ أن يراجع نفسه ، أضافَ وحذف ونقّح بغير قيد .

وعُدَّة المترجم هي التبحّر في اللغات ، والقدرة على إجادة الفهم والتعبير ، والبديهة الحاضرة التي تسعف باللفظ المناسب في الموضع المناسب ، والذوق الأدبي القادر على الصقل ، والأمانة التي تعصم من التزييف والحذف إلاّ لضرورة قاهرة .

(القاهرة) وديع فلسطين

الاصطلاحات الفلسفية

- ٣١ -

حرف الضاد

الضحك

في الفرنسية	Rire
في الانكليزية	Laugh
في اللاتينية	Ridere

الضحك انبساط في بعض عضلات الوجه مصحوب بزفير منقطع وصوت مسموع ، بسبب تعجّب أو سرور شديد يحصل للضاحك . وهو اسم جنس تحته نوعان : التبسّم والقهقهة . فالقهقهة ضحك تبدو معه النواجذ ، والتبسّم ضحك بلا صوت .

والضُّحَكة من يضحك على الناس ، ويرادفه الساخر والهازىء ، والضُّحْكة من يضحك الناس عليه ، ويرادفه السُّخْرة . والمضحك كل مايثير الضحك والأضحوكة كل مايضحك منه .

قال (هنري برغسون) في كتاب الضحك : « الضحك دواء الغرور » وإذا كان الغرور داء اجتماعياً فان للضحك الذي هو دواؤه وظيفة اجتماعية أيضاً (Henri Bergson , Le rire , p. 133) .

الضد

في الفرنسية	Contraire
في الانكليزية	Contrary
في اللاتينية	Contrarus

الضد هو المخالف والمنافي . ويطلق على موجود في الخارج مساوٍ في قوته لموجود آخر ممانع له ، أو على موجود مشارك لموجود آخر في الموضوع معاقب له ، بحيث إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقم الآخر به . لذلك قيل ان الضدين صفتان وجوديتان تتعاقبان في موضوع واحد .

والفرق بين الضدين والنقيضين (Contradictoires) أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم والحق والباطل ، على حين أن الضدين لا يجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض ، والتهور والجبن .

وإذا اشترك شيئان في صفة نوعية واحدة متفاوتة الدرجات ، وكان نصيب أحدهما من هذه الصفة كبيراً ، ونصيب الآخر صغيراً ، كان هذان الشيئان متضادين كالسريع والبطيء ، والبعيد والقريب ، وكذلك إذا كان الشيئان متحركين إلي جهتـــين مختلفتين فان حركة كل منهما تكون ضد حركة الآخر .

وإذا كان الضدان مختلفين في كيفياتهما الظاهرة كما في البياض والسواد ، أمكن إدراك اختلافهما بالحدس الحسي ، وإذا كانا مختلفين في صفاتهما العميقة كالتهور والجبن لم يتم إدراك اختلافهما إلا بالتصور العقلي .

وكما يكون التضاد بين الأشياء الموجودة في الأعيان فكذلك يكون بين الأشياء المتصورة في الأذهان ، وقد قيل ان الضدين داخلان في جنس واحد ، وان الطرفين في الجنس والنوع يلتقيان .

ويطلق اسم القضيتين المتضادتين على الكليتين المشتركتين في الموضوع والمحمول ، والمختلفتين في السلب والإيجاب ، كقولنا كل إنسان كاتب . وليس ولا واحد من الناس بكاتب ، فهاتان القضيتان لا تصدقان معاً ، ولكن قد تكذبان ، ويطلق لفظ المتغيرين المتضادين على المتغيرين اللذين تكون نقطة الابتداء في كل منهما نقطة الانتهاء في الآخر .

والتضاد (Contraste) صفة حالتين فكريتين موجودتين معاً أو متعاقبتين تتميزان بتقابلهما ، مثال ذلك صفة التضاد في الألوان المتكاملة .

ويطلق اصطلاح التداعي بالتضاد (Association par contraste) على أحد قوانين التداعي التي أشار إليها (أرسطو) وهي ثلاثة : قانون التداعي بالتضاد ، وقانون التداعي بالاقتران ، وقانون التداعي بالتشابه . (راجع الألفاظ التالية : التقابل . التضاد . القضية) .

الضرب

في الفرنسية Multiplication , mode

في الانكليزية Multiplication , mood

في اللاتينية Multiplicatio , modus

الضرب في اللغة المثل والشكل والصنف والنوع ، تقول ضروب الأزياء أشكالها وضروب الأمتعة أصنافها ، وضروب الانتاج أنواعه .

والضرب الرياضي تضعيف أحد العددين بالعدد الآخر .

والضرب المنطقي (Multiplication logique) أحد الأعمال الفكرية المطبقة في الحدود والقضايا والنسب المنطقية .

فحاصل الضرب المنطقي لحدين مثل (س) و (ع) هو مجموع الأفراد المنسوبين إلى النوعين : (س) و (ع) . ويعبر عن هـــذا الضرب بالجملة (س × ع) أو بالجملة (س ⌒ ع) . مثال ذلك .

المعين ⌒ المستطيل = المربع

وحاصل الضرب المنطقي لقضيتين هو القضية المساوية لهما ، مثل قولنا (حـ) عدد تام و (حـ) عدد لا ينقسم على أي عدد أولي أصغر منـــه وأكبر من الواحد ، فهذان القولان مساويان لقولنا : (حـ) عدد أولي .

وحاصل الضرب المنطقي لنسبتين مثل (س ن١ ع) و (س ن٢ ع) هو القضية المصرح فيها بأن هاتين النسبتين صادقتان معاً على الحدين (س) و (ع) كما في المعادلة التالية :

س ن١ ع . س ن٢ ع = س (ن١ . ن٢) ع

والضرب (Mode) هو اختلاف القضايا في كل شكل من أشكال القياس بالكم والكيف مثل قولنا في الضرب الأول من الشكل الأول : كل جسم مؤلف وكل مؤلف حادث ، فكل جسم حادث . فهو قياس كامل مؤلف من كليتين موجبتين تنتجان كلية موجبة .

والمنتج من ضروب القياس ١٩ ضرباً ، منها أربعة ضروب من الشكل الأول ، وأربعة ضروب من الشكل الثاني ، وستة ضروب من الشكل الثالث ، وخمسة ضروب من الشكل الرابع .

(راجع كتابنا في المنطق ، الطبعة الثانية ص ٤٤ ، راجع أيضاً الألفاظ التالية : الحد ، القضية ، الجهة ، الشكل ، القياس) .

الضرورة

في الفرنسية Nécessité
في الانكليزية Necessity
في اللاتينية Necessitas

الضرورة في اللغة ، الحاجة والمشقة والشدة التي لا تدفع ، وفي اصطلاحنا اسم لما يتميز به الشيء من وجوب أو امتناع . والضرورة الإيجابية هي الوجود ، والضرورة السلبية هي العدم .

والضرورة إما مطلقة (Absolue ou catégorique) وإما شرطية (Hypothétique ou conditionnelle) .

فاذا كانت مطلقة كانت غير معتبرة بشرط كالضرورة المتافيزيقية ، أو الضرورة الرياضية المحضة ، فهي تتضمن بذاتها امتناع تصور النقيض أو امتناع وجوده . ويمكن تحديدها قبلياً بمجرد التحليل أو الاستنتاج العقلي .

وإذا كانت شرطية لم تدل على امتناع تصور النقيض ، ولا على امتناع وجوده بذاته ، بل دلت على اتصاف الشيء بها في ظروف وشروط معينة . مثال ذلك ان (آ) لا يكون مساوياً لِ (ح) إلا إذا كان كل منهما مساوياً لشيء ثالث مثل (ب) . فإذا فرضنا أن (١ = ب) و (ب = ح) لزم عن ذلك أن (١ = ح) ، فضرورة هذه النتيجة تابعة إذن لصدق المقدمتين السابقتين . ومثال ذلك أيضاً : إذا قلنا إن الرجل ينفجر في درجة معينة من الضغط دل هذا القول على أن الانفجار تابع لشرط معين . ومثال ذلك أخيراً إذا قلنا إن العمل ضروري للنجاح في الحياة ، دل هذا القول على توقف أحد هذين الأمرين على الآخر . فالمثال الأول يدل على الضرورة المنطقية ، والثاني على الضرورة الطبيعية ، والثالث على الضرورة المعنوية ، وهي كلها ضرورات شرطية أو نسبية .

والضرورة المنوية لا توجب أن يكون نقيض الشيء ممتنعاً في العقل والواقع بل توجب أن يكون هـذا النقيض قليل الاحتمال . مثال ذلك : ربْحُ شخصٍ ابتاع ٩٩٩ بطاقة من يانصيب يبلغ عـدد بطاقاته الألف ، ونجاحُ بعض الطلاب أو رسوبهم في الامتحان ، ووفاة شخص واحد من عشرة آلاف شخص في السنة ، وحصول المرء في المجتمع على كسب متناسب مع قدراته العقلية ، فهي كلها ضرورات معنوية .

وقد جمل (ليبنيز) هذه الضرورة المنوية مضادة للضرورة المطلقة ، والضرورة الإلهية ، والضرورة الرياضية ، وقوامها عنده أن الوجود العاقل لا يستطيع أن يختار أحد الممكنات إلا إذا وجده أحسن وأسمى وأوفق من غيره .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما في علاقة الوسائل بالغايات من ضرورة كالضرورة الموجودة بين تقسيم العمل وتقدم العلم الحديث .

ومن قبيل ذلك أخيراً ارتباط أفعال الإنسان ورغباته بالمبادئ والعلل الطبيعية ، فاذا كان هذا الارتباط مطلقاً كانت الأفعال جميعها طباعاً لازمة عن العلل الخارجية بالضرووة كما في مذهب الجبرية ، وإذا كان جائزاً ونسبياً كانت بعض الأفعال الإنسانية ناشئة عن حرية الاختيار كما في مذهب القدرية وغيرهم .

(راجع الألفاظ التالية : الجبرية ، القدرية ، الحتمية) .

الضروري

في الفرنسية	Nécessaire
في الانكليزية	Necessary
في اللاتينية	Necessarius

الضروري في اللغة كل ما تمس الحاجة إليه في الحياة ، وكل ما ليس منه بدٌ وهو خلاف الكمالي .

والضروري عند (ابن سينا) جنس تحته نوعان : الواجب والممتنع . فالواجب ضروري في الوجود ، والممتنع ضروري في العدم (النجاة : ص٢٩).

والضروري في اصطلاحنا هو الأمر الدائم الوجود ، أو الأمر الذي لا يمكن تصور عدمه . وهو مرادف للواجب ، وضده الجائز (Contingent) ، وبينه وبين الممكن (Possible) تضايف .

وكل ارتباط بين المعلول والعلة خاضع لمبدأ الحتمية فهو ارتباط ضروري . وإذا كان ارتباط بين الواسطة والغاية علاقة تمنع تحصيل هذه الغاية بغير تلك الواسطة ، كانت هذه العلاقة ضرورية .

وكل قضية يتضمن نقيضها تناقضاً فهي قضية ضرورية . وكذلك كل قضية نعلم بعلم قبلي a priori ان نقيضها باطل فهي قضية ضرورية . وكل أمر لا يمكنك أن تتصور نقيضه فهو من الحقائق الأبدية أو المبادئ والأوليات الضرورية : وهو يفرض نفسه على العقل بقوة يصعب معها وضعه موضع الشك . وكل موجود تتضمن ماهيته وجوده ، ولا يحتاج في وجوده إلى علة أو شرط فهو موجود ضروري ، أو واجب الوجود بذاته ، كالإله عند ابن سينا أو جوهر اسبينوزا .

ويطلق لفظ الضروري أيضاً على نتيجة القياس اللازمة عن مقدماته ، والقضية الضرورية المطلقة هي التي يحكم فيها بضرورة ثبوت المحمول للموضوع ، أو بضرورة سلبه عنه ، ما دام ذات الموضوع موجوداً . أما التي حكم فيها بضرورة الثبوت فهي ضرورية موجبة ، كقولنا كل انسان حيوان بالضرورة ، فإن الحكم فيها بضرورة ثبوت الحيوان للإنسان في جميع أوقات وجوده . وأمّا التي حكم فيها بضرورة السلب فهي ضرورية سالبة كقولنا لا شيء من الإنسان بحجر بالضرورة ، فالحكم فيها بضرورة سلب الحجر عن الإنسان في جميع أوقات وجوده . (راجع تعريفات الجرجاني) .

الضعيف

في الفرنسية Faible

في الانكليزية Weak

الضعيف ضدّ القوي . والضعيف من الكلام ما انحط عن درجة الفصيح . والضعيف في مصطلح الحديث ما كان أدنى مرتبة من الحسن ، والضعيف من الأدلة ما كان غير منتج .

والأضعف هو الأخسّ فالجزئي أخس من الكلي ، والسالب أخس من الموجب ، والنتيجة في القياس تتبع أخسّ المقدمتين .

ويطلق (دوبرولي – De Brogli) وغيره من العلماء المحدثين اصطلاح السببية الضعيفة (Causalité faible) على السببية التي يقال فيها ان العلة وان كانت شرطاً ضرورياً في حصول المعلول ، إلا أنه يمكن على العموم أن ينشأ عنها بعد حدوثها عدة معلولات مختلفة الاحتمال . وهي ضدّ السببية القوية (Causalité forte) التي تجعل ارتباط المعلول بالعلة ارتباطاً ضرورياً .

وكل ماكان أدنى مرتبة من غيره فهو ضعيف .

الضلال

في الفرنسية Erreur

في الانكليزية Error

في اللاتينية Error

الضلال هو العدول عن الطريق عمداً أو سهواً ، كثيراً أو قليلاً . ويجيء بمعنى الغي ، والفساد ، والخطأ ، والخسار ، والزلل ، والبطلان ، والجهالة ، والنسيان .

والفرق بين الضلال والخطأ ان الخطأ هو ما ليس للإنسان فيه قصد ، على حين ان الضلال هو سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب عمداً أو سهواً . فالضلال أعم اذن من الخطأ . وهو ضربان : ضلال في النظر ، وضلال في العمل . فكل من أخطأ في الإدراك الحسي أو العقلي فهو ضال ، وكذلك كل من أخطأ في الأعمال الشرعية والواجبات الخلقية .

وقد يطلق لفظ الضلال على سبيل الفعل أو على سبيل الانفعال ، فاذا أطلق على سبيل الفعل دلّ على الحكم الفاسد أو العمل الباطل ، وإذا أطلق على سبيل الانفعال دلّ على الحالة النفسية التي يكون عليها الفاعل عند عدوله عن الطريق المستقيم .

وقد قيل أيضاً إنّ للضلال وجهين (أحدهما) أن يضل عنك الشيء كما في ضلال الحواس ، (والآخر) أن نحكم به أو عليه حكماً فاسداً ، كما في ضلال النظر والعمل .

أما الإضلال فهو أن تدفع غيرك إلى العدول عن الحق . وهو ضربان أحدهما أن يكون شبيهاً بالضلال ، والآخر أن يكون سبباً له . وهذا الإضلال لا ينسب إلى الله ، لأن الله سبحانه لا يضل عباده [1] .

والضلالة (Errement) فعلة من الضلال ، وهي ضد الهدى .

---

(١) إن سبب ضلالهم هو ـ ما كانوا عليه من الخروج عن السنن الكونية التي جعلها الله عبرة لمن اعتبر ، وعن البراهين الدينية التي أيد الله بها الرسل ، وهي الحجج الدالة على صدق رسالتهم ، وأما نسبة الإضلال ، إلى الكبير المتعال ، فهي نسبة إلى عموم مشيئته وإرادته ، لا إلى رضاه ومحبته ، قال سبحانه « لا يرضى لعباده الكفر » وقال : « إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيما » . (البيطار)

الضِمْني

في الفرنسية Implicite

في الانكليزية Implicit

الضمني هو المنسوب إلى الضمن ، وهو باطن الشيء وداخله ، وضده الصريح (Explicite) ، تقول : يفهم من ضمن كلامه كذا ، أي من دلائله ومراميه وكل معنى يتضمنه النص دون التصريح به فهو معنى ضمني .

والرأي الضمني هو الرأي الذي لا يستطيع صاحبه أن يصرح به لسبب داخلي أو خارجي .

والاعتقاد الضمني هو الاعتقاد الغامض ، ويطلق على الاعتقاد الناشيء عن التقليد أو المصحوب بالحذر ، أو المجرد من الروية والفكر .

ويطلق الضمني أيضاً على لوازم الشيء التي لا تدخل في تعريفه مثل مساواة زوايا المثلث لقائمتين فهي خاصة ملازمة للمثلث ، ولكن وجودها له ليس بيناً ، لأنك قد تفهم ذات المثلث من دون أن تعلم أن زواياه مساوية لقائمتين .

الضمير

في الفرنسية Conscience morale

في الانكليزية Conscience

في اللاتينية Conscientia

الضمير استعداد نفسي لإدراك الحسن والقبيح مصحوب بالقدرة على إصدار أحكام عفوية ومباشرة على قيمة بعض الأفعال الإنسانية .

ويطلق أيضاً على الملكة التي تحدد موقف المرء إزاء سلوكه الخاص ، أو تتنبأ بما يترتب على هذا السلوك من نتائج أدبية واجتماعية .

وإذا أطلق الضمير على الملكة التي تحدد موقف المرء إزاء أفعال المستقبل سمي بالصوت الداخلي . قال (جان جاك روسو) : « الضمير صوت النفس والهوى صوت الجسد . » (كتاب اميل ، قسم ٤ ، ص ٣٤٨ من طبعة غارنية) وقال أيضاً : « أيها الضمير ... أيتها الغريزة الإلهية ، أيها الصوت السماوي الخالد ... أيها الحاكم المعصوم الذي يفرق بين الخير والشر ، أنت الذي تجعل الإنسان شبيهاً بالله ، فتخلق ما في طبيعته من سمو ، وما في أفعاله من خيرية . لولاك لما وجدت في نفسي ما يرفعني عن مستوى الحيوان إلا تميزي المؤلم بالانتقال من ضلال إلى ضلال بمعونة ذهن لا قاعدة له ، وعقل لا مبدأ له » (كتاب أميل ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ من الطبعة نفسها) .

وإذا أطلق الضمير على تحديد موقف المرء إزاء الأفعال الماضية دل على الشعور باللذة أو الألم ، أما اللذة فقوامها راحة الضمير ، وهي تنشأ عن شعور المرء بأنه أتى عملاً صالحاً وفقاً للقواعد والمبادئ التي أقرها وسلم بخيريتها . وأما الألم فقوامه الندم والخجل والتبكيت ، وهو ينشأ عن شعور المرء بأنه خالف ما يجب عليه فعله .

والضمير قد يكون واضحاً أو غامضاً أو متشككاً أو ضالاً . وفي وسع المربي أن يؤثر في الطفل حتى يقلب ضميره الغامض إلى ضمير واضح ، وشعوره المصحوب بالشك والضلال إلى شعور مصحوب بالثقة والاطمئنان .

ويطلق اصطلاح (الضمير المطمئن) على شعور المرء بأنه لا يستحق اللوم على فعله ، ويطلق اصطلاح (الضمير القلق) على شعور المرء بالشك في شرعية فعله ، وعلى ما يساور هذا الشك من خوف أو تبكيت أو تقريع أو محاسبة للنفس . وهذا الاصطلاح الأخير قريب من اصطلاح شقاء الضمير (Malheur de la conscience) أو الضمير المؤلم (Conscience doulourense) عند الفيلسوف (هيجل) .

حرف الطاء

الطائفة

في الفرنسية	Communauté
في الانكليزية	Community
في اللاتينية	Communitas

الطائفة جماعة من الناس يجمعهم مذهب واحد أو رأي واحد أو مصلحة واحدة ، كالطائفة الكاثوليكية أو الإنجيلية . وتطلق الطائفة أيضاً على الفرقة تقول فرقة المعتزلة أو فرقة الباطنية . أو تطلق على الجزء والقطعة يقال طائفة من الشيء أي قطعة منه وأقلها اثنان .

والطائفي هو المنسوب إلى الطائفة تقول الوقف الطائفي والتعليم الطائفي . والطائفية هي التعصب لطائفة معينة .

(راجع الألفاظ التالية : الجماعة ، الفرقة ، الشركة) .

الطاعة

في الفرنسية	Obéissance
في الانكليزية	Obedience
في اللاتينية	Obedientia

الطاعة هي الانقياد والموافقة ، وقيل لا تكون إلاّ عن أمر ، والتاء فيها ليست المرّة ، بل الدلالة على الكثرة ، أو لنقل الصفة إلى الاسمية .

والطاعة ضربان : طاعة العبد ، وهي مصحوبة بالتذلل والانقياد لصاحب السلطة المطلقة ، وطاعة الحـــر ، وهي لا تكون إلا عن رضى واختيار وطمأنينة .

الطاقة

في الفرنسية Énergie

في الانكليزية Energy

وأصل هذين اللفظين في اليونانية (Energeia)

الطاقة هي القدرة ، وتطلق على ما يستطيع الإنسان فعله بمشقة . وفي قوله تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ، إشارة إلى ما يصعب علينا فعله ، لا إلى ما لا قدرة لنا به .

وللطاقة في الفلسفة الحديثة معنيان : أحدهما نفسي ، والآخر مادي .

١ — المعنى النفسي . — الطاقة هي القدرة على بذل الجهد ، أو استطاعة فعل الشيء وإرادته بقوة .

٢ — المعنى المادي . — الطاقة هي القدرة على إنتاج عمل ميكانيكي يتعلق بجسم واحد أو بمجموعة من الأجسام . ولها في علم (الميكانيك) صورتان : إحداها الطاقة المركبة (Énergie cinétique) والثانية الطاقة الممكنة (Énergie potentielle) ويسمى مجموع هاتين الطاقتين بالطاقة الكلية (Énergie totale) . أما في علم الفيزياء فإن للطاقة عدة صور كالطاقة الحرارية ، والكهربائية ، والضوئية ، والمغناطيسية الخ . ويعرف كل نوع من أنواع هذه الطاقات بمعادلته لغيره أي بامكان تحويل كمية معينة من كل نوع إلى كمية معينة من النوع الآخر .

— ومبدأ حفظ الطاقة (Principe de la conservation de l'énergie) هو المبدأ القائل : إن المجموعة التي لا تتبدل إلا بحركات أجزائها وبتأثير هذه الأجزاء بعضها في بعض تحتفظ بكمية ثابتة من الطاقة .

— ومذهب الطاقة (Énergétisme) قسمان : أحدهما مذهب الطاقة المطلق (Énergétisme absolu) وهو القول : إن الطاقة هي الحقيقة الجوهرية التي تتألف منها النفوس والأجسام ، والآخر مذهب الطاقة المحدود ، وهو القول : إن الطاقة هي الحقيقة الجوهرية التي تتألف منها المادة .

— والطاقة النوعية (Énergie spécifique) اسم يطلقه علماء النفس المحدثون على نظرية (موللر) وهي القول إن اختلاف الإحساسات لا ينشأ عن اختلاف صفات الأشياء الخارجية بل ينشأ عن اختلاف طبيعة الأعصاب . ويمكن تلخيص هذه النظرية في الفقرتين التاليتين :

١ — إذا تغير المؤثر ولم تتغير الحاسة لم يتغير الإحساس . مثال ذلك : ان التيار الكهربائي وأمواج الضوء والصدمة الميكانيكية إذا أثرت في العين لم تحدث إلا إحساساً بصرياً .

٢ — إذا تغيرت الحاسة ولم يتغير المؤثر ، تغير الإحساس ، مثال ذلك : ان التيار الكهربائي : إذا أثر في العين أحدث إحساساً بصرياً ، وإذا أثر في العصب السمعي أحدث إحساساً سمعياً ، الخ . .

— وعلم الطاقة (Énergétique) مرادف لمذهب الطاقة .

الطب النفسي

في الفرنسية Psychiatrie

في الانكليزية Psychiatry

الطب النفسي أو طب الأمراض العقلية فرع من علم الطب ، يبحث في تشخيص الأمراض العقلية ومعالجتها . وله في معالجة هذه الأمراض طريقتان : الأولى هي العلاج بالوسائل المادية (كالعقاقير والصدمات الكهربائية وغيرها) والثانية هي العلاج بالوسائل النفسية (Psychothérapie) (أي باتخاذ أفكار المريض ، وصوره الذهنية ، وانفعالاته ، ونزعاته ، ورغباته ، وغير ذلك

من الأحوال وسيلة للتأثير فيه) . من أمثلة العلاج بالوسائل النفسية الإيحاء (Suggestion) والتحليل النفسي (Psychanalyse) (راجع هذين اللفظين) .

والطبيب النفسي أو طبيب الأمراض العقلية (Psychiatre) هو الطبيب المتخصص في تشخيص الأمراض العقلية ومعالجتها .

ويطلق اسم علم الأمراض العقلية (Pathologie mentale) على العلم الذي يبحث في الاضطرابات العقلية وفيما يصحبها من التبدلات العضوية .

راجع كتاب جورج دوماس (G. Dumas, Traité de Pychologie II 811) .

الطبع

في الفرنسية Naturel

في الإنكليزية Nature

الطبع هو الجبلة التي خلق عليها الإنسان، أي مجموع ما يتصف به من استعدادات خلقية ونفسية، ويرادفه الخلق والطبيعة والسجية .

ويطلق الطبع في علم الحياة على مجموع ما يتميز به الكائن الحي من صفات ذاتية . وقيل الطبع هو كل هيئة يبلغ بها النوع كماله، فعلية كانت أو انفعالية، وهو أعم من الطبيعة، لأن الشيء قد يكون عن الطبيعة ولا يكون طبعاً، مثل الاصبع الزائدة في اليد فهي ظاهرة طبيعية ولكنها ليست طبعاً بحسب الطبيعة الكاملة . وقيل أيضاً الطبع مبدأ الحركة مطلقاً سواء كان مصحوباً بارادة وعلم أو غير مصحوب بها . وهو بهذا المعنى مرادف للطبيعة . وقيل أيضاً الطبع هو الصورة النوعية أو النفس .

والطبع ضد التطبع لأنه فطري، والتطبع كسبي . والطبعي هو المنسوب إلى الطبع ويرادفه الطبيعي .

الطبقات (نظام)

في الفرنسية Régime des castes

كلمة (Caste) مأخوذة من اللفظ البرتغالي (Casta) وأصله في اللاتينية (Castus) . والطبقة في اللغة العربية هي القوم المتشابهون في سن أو عهد ، وهي الحال ، والمنزلة ، والمرتبة ، والدرجة .

ونظام الطبقات في الهند نظام وراثي مغلق ، وله ملاك مدني أو سياسي خاص . وكل جماعة من الناس تغلق الباب على نفسها فهي جماعة طبقية .

والفرق بين طبقات البراهمة في الهند والطبقات الاجتماعية الأخرى (Classes sociales) : (١) إن انغلاق طبقات البراهمة على نفسها أشد من انغلاق هذه الطبقات الاجتماعية . (٢) وأن لطبقات البراهمة كياناً شرعياً ودينياً على حين أن الطبقات الاجتماعية في سائر بلدان العالم ليست كذلك ، لأن الفرد قد يرقى من طبقة إلى أخرى ، ولأن القوانين المدنية والسياسية والعقائد الدينية عامة لا تفرق بين الأفراد .

ويطلق لفظ الطبقة الكادحة في أيامنا هذه على الأفراد العاملين الذين يكسبون رزقهم بعرق جبينهم .

وجملة القول أن تصنيف الطبقات الاجتماعية مختلف باختلاف الحضارات ، فقد بني هذا التصنيف على المال أو العرق أو الدين أو النسب أو العلم ، وقد يكون الانتقال من طبقة إلى أخرى ممكناً أو محظوراً . ومع أن مبدأ المساواة الديموقراطية يوجب أن يكون المجتمع غير طبقي ، فان معظم المجتمعات الحديثة لا تزال حتى اليوم مشتملة على طبقات اجتماعية ناشئة عن الفوارق الاقتصادية أو العرقية أو الدينية .

الطبيعة

في الفرنسية Nature

في الانكليزية Nature

في اللاتينية Natura

الطبيعة هي القوة السارية في الأجسام التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي ، وهذا المعنى هو الأصل الذي ترجع إليها جميع المعاني الفلسفية التي يدل عليها هذا اللفظ .

١ — فمن هذه المعاني قول ابن سينا : « الطبيعة مبدأ أول لكل تغير ذاتي وثبات ذاتي » (رسالة الحدود) . مثال ذلك أن الحجر لا يهوي إلى أسفل لكونه جسماً بل لمعنى آخر زائد على الجسمية . وهذا المعنى مبدأ هذا النوع من الحركة . وهو الذي يطلق عليه اسم الطبيعة . يقال طبيعة الحجر الهوي ، وطبيعة النار الارتفاع .

٢ — ومن هذه المعاني قولهم إن طبيعة الشيء ماهيته ، وهي مجموع ما يتميز به الشيء من خواص نوعية كطبيعة الحياة ، وطبيعة النفس ، وطبيعة الفرد ، وطبيعة المجتمع . والطبيعة النوعية (Nature spécifique) مجموع الصفات التي يتميز بها النوع . والطبائع البسيطة (Natures simples) هي الصفات التي تتألف منها الأجسام وهي عند (بيكون) و (ديكارت) عناصر أولية لا تتجزأ .

٣ — ومن هذه المعاني قولهم : إن الطبيعة هي ما يتميز به الإنسان من صفات فطرية . وهي ضد الصفات المكتسبة . يقال طبيعة الإنسان العاقلة أي وظائفه العقلية الفطرية . ويقال أيضاً طبيعة الإنسان الحسية ، أي دوافعه الغريزية . وفي قول (ديكارت) : إن في كل ما علمتني إياه الطبيعة شيئاً من

الحقيقة » إشارة إلى الوظائف العقلية لا إلى الوظائف الحسية ، فالطبيعة عنده هي العقل وهو نور طبيعي (Lumière naturalle) يميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد .

٤ — ويطلق لفظ الطبيعة عند الوجوديين على ما يتميز به الإنسان من صفات مستقلة عن حرية إرادته . فاذا كان الإنسان حرًّا ، وكانت حريته ذاته لزم عن ذلك أن يكون غير مفتقر إلى طبيعة . وفي ذلك كما لا يخفى إغراب في القول ، لأن قوام حرية الإنسان أن يكون له قدرة على اختيار الطبيعة الموافقة له .

٥ — ويطلق لفظ الطبيعة على النظام أو القوانين المحيطة بجميع ظواهر العالم المادي وهي عند (آرسطو) ضد المصادفة والاتفاق . وإذا كانت الطبيعة كما يقولون لا تفعل الشيء عبثاً أمكننا أن نتكلم عليها كما لو كانت متصفة بالعقل والعلم ، كقولنا ، إن الطبيعة تلحظ جميع الحيوانات بعين عنايتها ، وتحرص كل الحرص على حفظ التوازن بين جميع ظواهر الأمور ، أو قولنا إن الطبيعة تعلم أنه من الخير لها أن تضيف الفحم والآزوت إلى الهيدروجين والأوكسجين . فكأن الطبيعة بهذا المعنى شخص عاقل يفعل بذاته . على أننا إذا أطلقنا لفظ الطبيعة على كل ما هو موجود في العالم وجب علينا لتوضيح هذا المعنى أن نفرق بين القول بخلق العالم والقول بقدمه ، فاذا قلنا بالخلق لزم عن ذلك أن يكون المخلوق تابعاً لإرادة الخالق ، وإذا قلنا بالقدم أمكن أن يكون القديم تاماً بنفسه . وفي هذه الحالة الثانية تكون الطبيعة مجموع ما يحدث في العالم بإرادة وعلم أو مجموع ما تكون عليه الموجودات من أحوال تضبطها السَّبَبية الطبيعية .

٦ — وإذا أطلقنا لفظ الطبيعة على العالم المرئي فقط ، دل على مجموع الأشياء التي نراها في السماء والأرض ، نقول طبيعة الكواكب ، وطبيعة الأرض ، وطبيعة الحيوان والنبات الخ .

٧ — وقد يطلق لفظ الطبيعة على الأشياء التي يكون حدوثها في مستقر العادة وهي بهذا المعنى ضد الأمور الخارقة أو الأمور الغيبية .

٨ — والطبيعة عند الأطباء القدماء هي المزاج والحرارة الغريزية وهيئات الأعضاء والحركات ، والنفس النباتية .

٩ — ومن معاني الطبيعة في الفلسفة الحديثة إطلاقها على مبدأ كل حكم قاعدي ، بحيث تصبح قوانين الطبيعة بحسب هذا المعنى قواعد مثالية كاملة ، أو صوراً عقلية تستنبط منها مبادئ الأخلاق والتشريع ، كالحق الطبيعي (Droit naturel) فهو المبدأ الذي تستمد منـه القوانين معقوليتها . قال (دولباخ) : « أيتها الطبيعة ، إن لك على جميع الموجودات سلطاناً ، فلتكن بناتك المعبودات أعني الفضيلة والعقل والحقيقة آلهتنا الوحيدة دائمـــاً » (D'olbach, Systeme de la nature II. 446) ، وقال (روسو) : من الأمور المضادة للطبيعة أن يأتمر الشيخ بأوامر الطفل ، وأن يكون الحكيم خاضعاً للجاهل . ومعنى ذلك أن الطبيعة عند هذين الفيلسوفين هي المبدأ الموجه للأخلاق .

١٠ — وإذا كان من عادة العلماء أن يعرفوا الأشياء بأضدادها أمكننا أن نورد هنا بعض أضداد الطبيعة . فالطبيعة ضد الحضارة لأن الإنسان الطبيعي الذي يكون على الفطرة ضد الإنسان المتحضر المتصف بالعلم . والطبيعة ضد الفن والصناعة ، لأن جمال الطبيعة الذي لم تمتد إليه يد الإنسان ضد الجمال الفني الذي يعبر عن تصورات الفنان وأحلامه . والطبيعة ضد الوحي ، لأن الطبيعة الواقعية التي يخلق عليها الإنسان ضد الطبيعة المثالية التي يريد الوحي الإلهي أن يوصله إليها ، الأولى فطرية والثانية مكتسبة . والطبيعة أخيراً ضد النعمة الإلهية ، لأن مجموع ما يميز به الإنسان من صفات ذاتية مضاد لما تفيضه عليه النعمة الإلهية من قدسية يحاذي بها شطر الحق .

والطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة . — Nature naturante et nature naturée) اصطلاح انتشر في الفلسفة الأوربية بعد ترجمة كتب (ابن رشد) إلى اللغة اللاتينية . فالطبيعة الطابعة هي الله من جهة ما هو خالق كل شيء ، ومبدأ كل فعل ، والطبيعة المطبوعة هي مجموع الكائنات والنواميس التي خلقها الله .

ومذهب الطبيعة الواحدة (Monophysisme) هو القول إن للسيد المسيح طبيعة واحدة .

وفلسفة الطبيعة (Philosophie de la nature) ، أحد أقسام الفلسفة عند بعض فلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر ، ولا سيما عند (شيلنغ) و (هيجل) . وفلسفة الطبيعة أيضاً هي القول بضرورة جمع الطبائع العامة والقوانين الكبرى الضابطة للطبيعة في نظام فلسفي كلي .

وعلم الطباع (Caractérologie) ، فرع من علم النفس تحدد فيه الطباع الفردية ، وله قسمان : أحدهما علم الطباع العام وهو لا يبحث في الصفات والسجايا واحدة بعد واحدة بحثاً تحليلياً ، بل يبحث فيها من جهة ما هي كل ، بحثاً تركيبياً يحدد العلاقات المشتركة بينها . والثاني علم الطباع الخاص وهو يبحث في الصفات التي يتميز بها كل فرد ، وذلك على سبيل الوصف والتصنيف ، فاذا اشتمل على تصنيف الفروق العضوية سمي بعلم الصور والأشكال (Typologie) وموضوعه البحث في الصور والأشكال الإنسانية من جهة تشابهها الجسماني وعلاقتها بالجوانب النفسية .

الطبيعي

في الفرنسية Naturel (adj)

في الانكليزية Natural

الطبيعي هو المنسوب إلى الطبيعة ، وضده المكتسب والإرادي ، والصناعي ، والمفتعل ، والوضعي ، والخارق والمعجز ، والغيبي ، والحضاري والشرعي . فاذا كان ضد المكتسب دل على الفطري والوراثي كالحاجات الطبيعية ، والمزاج ، والحرارة الغريزية ، وهيئات الأعضاء .

وإذا كان ضد الإرادي دل على الأفعال الصادرة عن جبلة الإنسان العضوية كالهضم ودوران الدم ودقات القلب ، فهي حركات طبيعية مستقلة عن الإرادة ، وإذا كان ضد الصناعي دل على الأشياء التي لم تمتد إليها يد الإنسان ، كالبحيرات الطبيعية ، والغابات الطبيعية .

وإذا كان ضد المفتعل دل على ما كان عفوياً من الأفعال كالبكاء الطبيعي فهو ضد البكاء المفتعل .

وإذا كان ضد الوضعي دل على ما كان بديهياً من القيم الأخلاقية المكتوبة على صفحات القلب كالحق الطبيعي ، فهو ضد الحق الوضعي المدون في الشرائع .

وإذا كان ضد الخارق والمعجز دلّ على ما هو موافق لطبائع الأشياء المادية والحيوية والنفسية كالمطر وغرق الحجر في الماء ، والغضب والتذكر والتفكير الخ فهي ظواهر طبيعية مضادة للمعجزات والخوارق وعجائب المخلوقات ، تقول : الوقائع الطبيعية ، والعقل الطبيعي ، والديانة الطبيعية ، ونعني بذلك كله أشياء وجودية مضادة للأمور الغيبية ، ونقول أيضاً ان أمور الطبيعة مضادة لأمور ما بعد الطبيعة ، وإن كل ما يتميز به الإنسان من صفات ذاتية وطبيعية مضاد لما يمكن أن يكون عليه من صفات مثالية .

ويطلق لفظ الطبيعي أيضاً على ما كان مضاداً للشرعي كالولد الطبيعي فهو ضد الولد الشرعي .

الطبيعي (المذهب)

في الفرنسية Naturalisme

في الانكليزية Naturalism

المذهب الطبيعي هو القول إن الطبيعة تشمل الوجود كله ، وأن لا وجود إلاّ للطبيعة ، أي للحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض على النحو الذي نشاهده في عالم الحس والتجربة .

والمذهب الطبيعي في فلسفة الأخلاق هو القول أن الحياة الأخلاقية ليست سوى امتداد للحياة العضوية ، وأن المثل الأعلى للأخلاق ليس سوى تعبير عن الحاجات والغرائز التي تتميز بها إرادة الحياة . قال فويه « المثالية الصحيحة لا تختلف عن الطبيعة الصحيحة ، لأن الطبيعة نفسها هي التي تصل إلى التفكير في المثل الأعلى وإلى تحقيقه بالتفكير فيه » . (A- Fouillée l'idée Moderne du droit, I. V. ch v. p. 340) ، ومعنى هذا القول أن المثل الأعلى ليس صورة مفارقة للطبيعة ، وإنما هو صورة حقيقية ذات جذور طبيعية .

والمذهب الطبيعي في فلسفة الجمال هو القول أن قوام الفن محاكاة الطبيعة ، وهذا المذهب الطبيعي مرادف هنا للمذهب الواقعي (Réalisme) وهو ضد المذهب المثالي القائل بوجوب تغيير مظاهر الطبيعة والإعراض عن جوانبها الخسيسة . وقد يبالغ الفنان الطبيعي في واقعيته فيفصل جوانب الطبيعة القبيحة عن جوانبها الجميلة أو يتبع في التعبير عن هذه الجوانب طريقة العلوم الطبيعية .

والفرق بين الواقعية والمثالية أن الأولى تصور الطبيعة كما هي ، على حين أن الثانية تصورها كما يجب أن تكون . وسواء أكانت الطبيعة أخلاقية أم فنية ، فإن أمراً واحداً لا ريب فيه وهو أن ميلها إلى التقيد بالواقع مبني على اعتقادها أن الحقيقة الواقعية تامة التكوين ، وان الفرق بين فنان وآخر يرجع إلى ما يتميز به كل منهما من القدرة على التعبير ، فاذا كان تعبيره مطابقاً للحقيقة كان عمله الفني كاملاً ، وإذا كان غير مطابق لها كان عمله الفني ناقصاً . وبين هذا النقص والكمال درجات متفاوتة .

الطبيعية

في الفرنسية	Naturisme
في الانكليزية	Naturism

الطبيعية عبادة الطبيعة . والطبيعية أيضاً هي القول أن الدين قد نشأ عن تشخص قوى الطبيعة للإنسان . ومعنى هذا التشخص أن في الطبيعة أشياء تؤثر في مخيلة الإنسان الابتدائي كالشمس والكواكب والنار والليل والعاصفة ، فتتراءى له هذه الأشياء على صوره أشخاص عقلاء جديرين بالعبادة .

وتسمى هذه النظرية بنظرية الدين التاريخية . والطبيعية أخيراً هي القول بضرورة الرجوع إلى الطبيعة لأسباب فلسفية أو صحية . ومعنى الرجوع إلى الطبيعة ترك ما أكسبتنا إياه الحضارة من أنماط الحياة المعقدة ، والتخلق بأخلاق الشعوب الابتدائية البسيطة كالحياة في الهواء الطلق ، وتناول الأطعمة الطبيعية ، والعري وما شابه ذلك .

الطريقــة

في الفرنسية	Méthode
في الانكليزية	Method
في اللاتينية	Methodus

١ — الطريقة هي ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب . ولها عند المحدثين صورتان : الأولى أن تكون الطريقة غير محددة تحديداً إرادياً مسبقاً ، والثانية أن تكون مبنية على منهاج واضح محدد من قبل ، يبين القواعد التي يجب اتباعها ، ومواطن الزلل التي يجب اجتنابها للوصول إلى المطلوب . والمثال من الطريقة الأولى أن يرتب المرء أفكاره وأحكامه ، واستدلالاته ترتيباً طبيعياً متناسباً مع طبيعة كل موضوع ، وتختلف أساليب الناس في ترتيب أفكارهم باختلاف عاداتهم ، حتى إن الذين لم يتعلموا قواعد المنطق قد يرتبون أفكارهم ترتيباً طبيعياً أحسن من ترتيب الذين تعلموا قواعده . والمثال من الطريقة الثانية ما أشار إليه (ديكارت) في قوله : لقد اهتديت منذ سني حداثتي « إلى مطالعات وحكم ألفت منها طريقة يبدو لي أنني أستطيع أن أتخذها وسيلة لزيادة معرفتي بالتدريج ، وللارتقاء بها شيئاً فشيئاً إلى أعلى درجة يسمح بلوغها عقلي الضعيف ، ومدى حياتي القصير » (مقالة الطريقة ص ٩ من ترجمتنا) .

٢ — ويطلق لفظ الطريقه على ممارسه بعض الأساليب التقنية أو التجريبية في بعض العلوم والفنون كطريقة التجريب المستعملة في حل جملة رياضية عدد حدودها أكبر من عدد معادلاتها (Méthode des moindres carrés) أو طريقة استعمال المرايا المتحركة لقياس الزوايا ، أو طريقة تعليم اللغة الأجنبية بالوسائل السمعية والبصرية ، أو طريقة تعليم الرقص أو العزف على إحدى الآلات الموسيقية .

٣ — والطريقة العلمية مجموع الأساليب الموصلة إلى الحقيقة ، وهي تختلف باختلاف موضوع العلم ، فإذا كان الموضوع مجرّداً كما في الرياضيات كانت الطريقة استنتاجية عقلية ، وإذا كان محسوساً أو مشخصاً كما في العلوم الطبيعية كانت الطريقة تجريبية واستقرائية .

٤ — والطريقة التجريبية مجموع الأساليب الموصلة إلى استخراج القوانين العامة من الظواهر الطبيعية الجزئية . ولها عدة صور :

آ — طريقة الاتفاق أو طريقـــة التلازم في الوقوع (Méthode de concordance) وقاعدتها القول : إذا كان هناك ظاهرة تشترك حالتان أو أكثر من حالاتها في أمر واحد كان هذا الأمر المشترك علة حدوث تلك الظاهرة .

ب — طريقة الاختلاف أو طريقة التلازم في التخلف (Méthode de différence) وهي القول أن غياب العلة يوجب غياب المعلول . فإذا كان هناك حالتان تقع الظاهرة في إحداها ولا تقع في الأخرى ، وكانت كل واحدة منها متفقة مع الأخرى في كل شيء إلا في أمر واحد ، وكان هذا الأمر موجوداً في الحالة التي وقعت فيها الظاهرة وغير موجود في الأخرى ، أمكننا أن نستنتج أن هذا الأمر علة حدوث تلك الظاهرة .

ج — طريقة الجمع بين طريقتي الاتفاق والاختلاف أو طريقة التلازم في الوقوع والتخلف (Méthode de concordance et de différence réunies) وقاعدتها أن تقول : إذا بحثنا أولاً في جملة من الحالات التي تقع فيها ظاهرة معينة فوجدنا أنها تختلف في كل شيء عدا شرطاً واحداً مشتركاً ، وبحثنا ثانياً في جملة من الحالات التي لا تقع فيها تلك الظاهرة فوجدنا أنها لا تتفق في شيء عدا غياب ذلك الشرط ، أمكننا أن نقول أن الشرط الموجود في الجملة الأولى ، الغائب في الجملة الثانية هو علة تلك الظاهرة .

د — طريقة البواقي (Méthode des résidus) وقاعدتها أن تقول إذا حدث بعد العلتين معلولان مختلفان وكانت إحدى هاتين العلتين علة أحد هذين المعلولين ، كانت العلة الثانية علة المعلول الثاني .

ه — طريقة التغير التلازم أو طريقة التلازم في التغير (Méthode des variations concomitantes) وقاعدتها أن تقول إذا وجد بين ظاهرتين تلازم وكان كل تغير في الأولى مصحوباً بتغير موازٍ له في الثانية كانت الأولى علّة والثانية معلولاً .

٥ — والطريقة هي السيرة والمذهب . وقيل أيضـــاً « هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات » (تعريفات الجرجاني) .

الطفـــل

في الفرنسية Enfant

في الانكليزية Child

الطفل في اللغة الصغير من كل شيء . يقال هو يسعى في أطفال الحوائج أي في صغارها . وهو في الأصل للمذكر ، وقد يستوي فيه الذكر والمؤنث والجمع . ويطلق الطفل في علم التربية على الولد أو البنت حتى سن البلوغ ، أو على المولود ما دام ناعماً رخصاً . وقد يطلق أيضاً على الشخص ما دام مستمر النمو الجسمي والعقلي .

وللأطفال صفات مختلفة فمنهم المتقدم والمتخلف ، والنبيه والخامل ، والذكي والبليد ، والسويّ والشاذ ، والاجتماعي واللا اجتماعي الخ ...

وعلم الطفل (Pédologie) يبحث في الطفل من جهة ما هو كائن نام ذو ردود فعل تضبطها قوانين علم الحياة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع .

والفرق بين علم الطفل وعلم التربية (Pédogogie) أن الأول علم نظري والثاني علم عملي ، يطبق القوانين والطرق التي توصل الطفل إلى الكمال الخاص به .

وعلم نفس الطفل (Psychologie de l'enfant) فرع من علم النفس ، يبحث في سلوك االطفل وتطور أحواله النفسية حتى بلوغه سن الرشد .

وعلم نفس المراهق (Psychologie de l'adolescent) يبحث في سلوك المراهقين وميولهم ونموهم الجسمي والعقلي وأخلاقهم وأسباب جنوحهم وتخلفهم وكيفية مؤالفتهم لشروط الحياة الاجتماعية الخ .

والطفولة (Enfance) حالة الطفل ، والطفولية (Infantilisme) احتفاظ الراشد بصفات الطفل النفسية والعضوية ، وهي تنشأ عن توقف النمو العضوي والنفسي لأسباب تتعلق باضطراب الغدد الصم كالغدة الدرقية وغيرها .

الطمأنينة

في الفرنسية	Quiétude
في الانكليزية	Quietude
في اللاتينية	Quietudo

الطمأنينة السكون والثبوت والاستقرار والثقة ، وضدها القلق والاضطراب .

والنفس المطمئنة هي النفس الراضية المرضية الخالصة من الهم والغم .

ومذهب الطمأنينة أو الاطمئنان (Quietisme) مذهب مولينوس (Molinos) وغويون (M me Guyon) الذي أخذ به (فنلون) أيضاً في كتابه : حكم القديسين (Maximes des saints) . وهو القول إن الحب المحض يوصل إلى الاتحاد بالله في يسر ويولد في النفس سلاماً مطلقاً يغنيها عن العبادات . وكل مذهب يجعل الكمال الروحي نتيجة للتأمل الخالص

المستقل عن الفعل فهو مذهب اطمئناني ، وكل أمر يشعر النفس بالثقة والرضا والراحة والاستقرار فهو أمر مُطمْئن (Quiétif).

الطوطم

في الفرنسية Totem

في الانكليزية Totem

يطلق اسم الطوطم عند الأقوام الأمريكية والأوسترالية القديمة على الحيوان أو النبات الذي يعتقدون أنهم منحدرون منه . وإذا كانت القبيلة مؤلفة من عدة بطون كان لكل بطن منها طوطم خاص به . فالطوطم إذن عنوان البطن وربه وحاميه ، ويغلب على الطوطم أن يكون نوعاً من أنواع الحيوان إلا أنه يمكن أن يكون ضرباً من نوع أو فرداً من ضرب . ولكل شخص من أفراد القبائل في أوستراليا وأمريكا علاقة شخصية بشيء معين شبيهة بعلاقة البطن بطوطمه ، وهو يعد هذا الشيء طوطماً شخصياً له يقيـــه عوادي الحدثان . وقد تجد لنساء القبيلة عند بعض الأقوام طوطماً مختلفاً عن طوطم الرجال مهما تكن البطون التي ينتسبون إليها . وهو ما يسمى بالطوطم الجنسي (Totem sexuel) وهذا كله يوجب على الأفراد أن يحيطوا طموطهم بهالة من التقديس ، فإذا كان حيواناً امتنعوا عن إهراق دمه ، وإذا كان نباتاً تباركوا به ، ويحظر على الفرد أن يتزوج بفتاة تحمل طوطمه لأن أبناء الطوطم الواحد أشبه شيء بالأشقاء والشقائق .

والطوطمية (Totémisme) هي النظام الاجتماعي المبني على عقيدة الطوطم . وتطلق الطوطمية أيضاً على نظرية (دوركهايم) و (فرويد) القائلة أن الطوطمية هي الصورة الأولى للحياة الدينية ، والحياة الأخلاقية والاجتماعية لما تشتمل عليه من تحريم بعض الأشياء وإباحة بعضها الآخر .

حرف الظاء

الظاهر

في الفرنسية Apparence
في الانكليزية Appearance
في اللاتينية Apparentia

ظاهر الشيء ما بدا منه ، وظاهر الشيء أيضاً ما انكشف واتضح معناه للسامع من غير تأمل وتفكير وضده الباطن ويرادفه الواضح (Clair) . يقال ظاهر النقش على الحجر ، وظاهر النصّ أي ما تدل عليه ألفاظه من معان بديهية واضحة ، بخلاف باطن النص وهو ما تشتمل عليه ألفاظه من معان خفية عميقة . ومن قبيل ذلك قول بعض الفرق أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، فأما الباطن فهو المعاني الروحية التي لا تتجلّى إلا لأهل البرهان ، وأما الظاهر فهو الأمثال الحسية المضروبة لتلك المعاني . وهم يعدون التأويل أصلاً يجب الاعتماد عليه في معرفة الباطن . والمقصود بالتأويل عندهم إخراج معنى اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير إخلال بعادة لسان العرب من التجوز في تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء . (ابن رشد ، فصل المقال) .

والظاهر والباطن صفتان لله تعالى لا تقالان إلاّ مزدوجتين كالأول والآخر فالظاهر دلائله والباطن ذاته لاحتجابها عن نظر العقول .

وإذا أطلق الظاهر على الكيفيات المحسوسة دل على ما يبدو من الشيء مقابل ما هو عليـــه في ذاته ، كالحركة الظاهرة ، والأسباب الظاهرة ، وإذا أطلق على البديهي دلّ على ما لا يحتاج إلى دليل ، يقال رأي ظاهر التناقض .

ومن أسباب الاضطراب في العلاقات الإنسانية أن ظاهر المرء لا يدل على باطنه دائماً ، وإن الناس كثيراً ما ينخدعون بالظواهر .

الظاهرة

في الفرنسية Phénomène

في الانكليزية Phenomenon

في اللاتينية Phaenomenon

الظاهرة من الشيء أعلاه . وتطلق في الفلسفة على عـــدة معان :

١ — الظاهرة هي الحادث الخارجي المؤثر في الحواس كالظواهر الفيزيائية والكيميائية والحيوية والفلكية .

٢ — والظاهرة هي الحادث النفسي المدرك بالشعور كالظواهر الانفعالية والعقليّة والإرادية .

٣ — وتطلق الظاهرة أيضاً على كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية ، أو على المعطيات التجريبية المباشرة من جهة ما هي مستقلة عن المدرك .

٤ — وللظاهرة عند (كانت) معنى خاص ، وهو إطلاقهـا على كل ما يمكن أن يكون موضوع تجربة ممكنة ، أي على كل ما يحدث في الزمان والمكان ، وتتجلّى فيه العلاقات المحددة بالمقولات العقلية . والظاهرة عنده ضد المادة المحضة من جهة ، وضد الشيء بذاته من جهة أخرى .

٥ — والظاهرة هي الأمر ينجم بين الناس . يقال بدت ظاهرة الاهتمام بالصناعة (المعجم الوسيط) .

٦ — والظاهرة الثانوية (Epiphénomène) هي الظاهرة العرضية التي تصحب ظاهرة جوهرية من دون أن تضيف إليها شيئاً ، ومن دون أن تبدل تسلسل العلل والمعلولات ، كظاهرة الشعور التي تكلم عليها (هكسلي) و (مودسلي) فهي ظاهرة عرضية ملحقة بالظواهر العضوية ، لأن الشعور عندهما ليس سوى نتيجة للظواهر الدماغية وهو لا يؤثر فيها ولا في غيرها من الظواهر الخاضعة للسببية الميكانيكية .

الظاهرية

في الفرنسية Phénoménisme

Phénoménalisme

في الانكليزية Phenomenalism

الظاهرية في الأصل هم المنسوبون إلى القول بالظاهر ، أما في الفلسفة الحديثة فهم الفلاسفة القائلون : لا علم إلا بالظواهر .

فاذا قالوا : لا وجود إلاّ للظواهر وإن الشيء بذاته (Chose en soi) ليس سوى لفظ أطلق عليهم اسم الظاهرية (Phénoménisme) كرينوفيه وهيوم . وإذا قالوا إن للظواهر وجوداً مستقلاً عن ذات المدرك ، وإن العقل يستطيع إدراك الظواهر ، وإن كان لا يستطيع إدراك الشيء بذاته ، أطلق عليهم اسم الظواهرية (Phénoménalisme) (كانت وأوغوست كونت) .

وكل أمر منسوب إلى الظواهر فهو ظاهـــري (Phénoménal) أو ظواهري (Phénoménique) .

الظواهر (علم)

في الفرنسية Phénoménologie

في الانكليزية Phenomenology

علم الظواهر هو العلم الذي يقتصر فيه على وصف ظواهر الأشياء كما هي عليه في الزمان والمكان . وهو مختلف عن العلم الذي يبحث في أسباب الظواهر وقوانينها الثابتة . وعن الدراسات التي تبحث عما تعبر عنه الظواهر من حقائق متعالية ، وعن الدراسات الانتقادية التي تبحث في قيمة الظواهر .

١ — فإذا أطلق علم الظواهر على دراسة الظواهر النفسية أو الأحوال الشعورية دل على وصف المعطيات النفسية كما تبدو لنا بالفعل . ويختلف

هذا العلم عن علم النفس القديم بحرصه على التقيد بالواقع ، وبعده عن كل تصور سابق أو غرض فلسفي . ولدراسة أحوال الشعور في علم الظواهر النفسية مرحلتان : الأولى ملاحظة المعطيات النفسية ، ووصفها وصفاً دقيقاً مستقلاً عن كل علم سابق أو تصور سابق . (راجع المقال الذي كتبه دوفالهنس (A. De Walhens) في مجلة ديوجين Diogène ـ كانون الثاني ١٩٥٤ بعنوان معنى علم الظواهر (Signification de la Phénoménologie) والثانية تحديد (البُنى) والأشكال العامة للظواهر النفسية كالإدراك والصورة والرغبة والتخيل الخ ...

٢ — ويطلق علم الظواهر العام في الفلسفة الحديثة على دراسة ظواهر الأشياء . والغرض منه تحديد بنى الظواهر ومعرفة شروطها العامة . ولهذا العلم مرحلتان : الأولى دراسة الظاهرة كما هي بالفعل دراسة وصفية وتحليلية ، والثانية تفسير تكون الظاهرة وبيان ماهيتها (راجع كتاب الوجود والعدم) (L'etre et le néant) لسارتر (Sartre) .

٣ — وعلم الظواهر المتعالي (Phénoménologie transcendentale) عند الفيلسوف هوسرل (Husserl) هو العلم الذي يصل فيه العقل بالتحليل إلى محاذاة شطر الشعور المحض المستقل عن المعطيات التجريبية ، أو إلى محاذاة شطر (الانا) المتعالي في سبيل تحديد بناه الجوهرية ، وتبيين الخصائص الذاتية لكل ما يمكننا معرفته .

٤ — ويطلق علم ظواهر الفكر (Phénoménologie de l'ésprit) عند هيجل على تحليل المراحل التي يمر بها الشعور في انتقاله من المعرفة الحسية إلى معرفة الذات ، أي العقل حتى يبلغ العلم المطلق .

٥ — وعلم الظواهر الوجودي (Phénoménologie existentielle) هو العلم المشتمل على وصف ما يحيط بالفكر من شروط واقعية تحدد موقفه .

الظرف

في الفرنسية	Occasion . Circonstance
في الانكليزية	Occasion . . . .
في اللاتينية	Occasio . . . .

الظرف في اللغة الوعاء ، وكل ما يستقر غيره فيه . ومنه ظرف الزمان وظرف المكان عند النحاة . والظرف الحال . والظرفية هي حلول الشيء في غيره حقيقةً نحو الماء في الكوز ، ومجازاً نحو النجاة في الصدق .

والظرف في اصطلاحنا هو الفرصة المناسبة لحدوث الشيء . والفرق بينه وبين الشرط (Condition) أن الشرط قسم من العلة ، وهو ضروري لحدوث الشيء وإن كان خارجاً عن ماهيته . أما الظرف فهو غير ضروري لحدوث الشيء ، وإن كان من شأنه أن ييسّر حدوثه . ويمكنك أن تستبدل ظرفاً بظرف ، من غير أن يؤدي ذلك إلى منع حدوث الشيء . ومعنى ذلك أن تأثير العلة في المعلول قد يتم في ظرف كذا أو ظرف كذا ، وإن الظرف الواحد يمكن أن يكون فرصة مناسبة لتأثير هذه العلة أو تلك .

والظرفي (Occasionnel) هو المنسوب إلى الظرف ، وقد يطلق على ما يحدث اتفاقاً .

والعلل الظرفيـــة (Causes occasionnelles) هي الفرص المناسبة لحدوث الشيء ، وهي مختلفة عن العلل الفاعلة ، والشروط الدقيقة التي يتوقف عليها وجود الشيء .

والعلل الظرفية التي يتكلم عليها بعض الفلاسفة لا تختلف عن الشروط ، لأن ظروف الشيء عندهم شروطه .

مثال ذلك قول الغزالي إن مشاهدة التعاقب بين ظاهرتين لا يسمح لنا

بأن نقول إن الظاهرة الأولى علة الظاهرة الثانية ، فاذا حصل الاحتراق عند ملاقاة النار ، دل ذلك على الحصول عنده لا على الحصول به .

ومثال ذلك أيضاً أن (مالبرانش) يقول : إذا شاهدنا ارتباطاً بين تغيرات هذا العالم ، فإن هذه التغيرات لا تدل على سببية طبيعية مستقلة عن إرادة الله ، ومعنى ذلك أن الأجسام لا تتحرك بذاتها ، فإذا تلاقت أو تصادمت فإن تلاقيها ليس سوى علة ظرفية لتوزع حركاتها .

ومعنى ذلك كله أن القول بالعلل الظرفية يفضي إلى إنكار ضرورة السببية الطبيعية . إن جميع المخلوقات عند (مالبرانش) متصلة بالله مباشرة ، فهو الذي يبدع الأشياء إبداعاً دائماً ويحركها تحريكاً دائماً فيحرك يدي في الوقت الذي أريد تحريكها فيه ، ويخلق في نفسي بعض العواطف والانفعالات عندما يطرأ على جملتي العصبية بعض التغيرات . فكل سببية طبيعية عنده وعند الغزالي سببية ظرفية ، أما السببية الحقيقية فهي السببية الإلهية .

وقصارى القول إن المذهب الظرفي (Occasionalisme) يؤكد أن الفاعل هو الله وحده ، وأنه لا علة سواه ، وأن أحوال الموجودات ليست سوى ظروف مناسبة لإظهار الفعل الإلهي .

الظن

في الفرنسية Opinion , présomption , prévention

في الانكليزية Opinion , presumption

ظن الشيء ظناً اعتقده بغير يقين ، والظن في اصطلاح الفلاسفة هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ويستعمل في اليقين والشك .

قال ابن سينا : « الظن الحق هو رأي في شيء انه كذا ، ويمكن أن لا يكون كذا . والعلم اعتقاد بأن الشيء كذا ، وأنه لا يمكن أن لا يكون

كذا وبواسطة توجبه والشيء كذلك» (النجاة ، ص : ١٣٧) . أما العقل فهو « اعتقاد بأن الشيء كذا ، وأنه لا يمكن أن لا يكون كذا طبعاً بلا واسطة ، كاعتقاد المبادئ الأولى للبراهين » (النجاة ، ص : ١٣٧) وهذا التفريق بين الظن والعلم والعقل مقتبس من الفلسفة اليونانية (راجع كتاب مينون وكتاب الجمهورية لأفلاطون) والمظنونات ، « آراء يقع التصديق بها لا على الثبات ، بل يخطر إمكان نقيضها بالبال ، ولكن الذهن يكون إليها أميل ، فإن لم يخطر إمكان نقيضها بالبال ، وكان إذا عرض على الذهن لم يقبله الذهن ولم يمكنه ، فليس بمظنون صرف بل هو معتقد » (النجاة . ص ٩٩) .

وما كان من الآراء ناشئاً عن تأثير العواطف والميول دون دليل حتّي سمي ظناً سابقاً (Prévention) .

والظنون كل ما يوثق به ، يقـــال رجل ظنون أي متهم في عقله ، أو متهم في خبره ، ودَين ظنون غير موثوق بقضائه والظنين (Prévenu) المتهم .

جميل صليبا

اللغة اللبنانية!.....[1]

كنا باللغة العامية ، فإذا بنا اليوم نصير إلى اللغة اللبنانية ! ومن يدري فقد نهبط غداً أو بعد غد إلى اللغة القروية ، فيكون لكل قرية لغتها المستقلة ـ وهذا بالقياس إلى ظاهر حجتهم ـ أدل على الاستقلال ، وأحفظ له ، وأبعد عن كل صلة بالعرب والعروبة .

---

(١) الذي قال باللغة اللبنانية ، أرادها لغة فخر الدين المعني ، ونحن نرحب بهذه الدعوة على شروط ثلاثة :

١ ـ أن يثبت أن فخر الدين : العربي الصريح ـ ابن ربيعة ـ كانت هذه اللغة العامية اللبنانية الدارجة اليوم ، لغته .

٢ ـ أن توحد أولاً هذه اللهجات اللبنانية نفسها ، التي تختلف لفظاً واستعمالاً ، ومخارج حروف وتقديماً في الحروف وتأخيراً فيها ، بين منطقة ومنطقة ، وبين جماعة وجماعة ، وبين مدينة ومدينة ، بل في القُرْيَة الواحدة باختلاف القبائل العربية التي ينتمي إليها كل بطن من بطون هذه القبائل .

٣ ـ أن يُجمع اللبنانيون ، وأن تتفق كثرتهم على هذه اللغة اللبنانيـــة ، لكي يواجهوا العالم بلغة لبنانية موحدة ، لا اختلاف بين استعمالاتها ، ولا بين جملها ، مفردة ومركبة وبين ألفاظها ، وإلا ظل الأمر كما هو مهزلة من المهازل

وعشْ رجباً ترَ عجبـــاً

أما القول بأن الرئيس المصري إنما يقرّب خطبه من أفهام الجماهير العامة ، أنه يلقي بعضها باللغة العامية ، فهذا غير صحيح ، فهذه الخطب على ما فيها من مبادىء صالحة ، وآراء صائبة يضعف من قيمتها البيانية ، أنها تُلقى بلغة عاميـــة ، إذا فهمها غير المصري سامعاً ، فلا يفهمها غيره قارئاً .

ولقد كان سعد زغلول ، وكان يُعَدُّ من خطباء العالم ، يلقي خطبه بلغة عربية فصيحة ، كان يفهمها الشعب المصري في عصر كان العلم فيه محدوداً نطاقـــه ، مقصوراً على طبقة خاصة من المصريين .

=

وموضوع اللغة العامية ، موضوع تافه ، هو أقرب إلى الهزل منه إلى الجد ، عاناه من عاناه ، من جماعات الاستعمار وصنائعهم منذ عشرات السنوات ، وظل واقفاً في حيث بدأ . وهو موضوع ما كان يستحق أن يُعنى به ، أو أن يُبحث فيه ، لولا ما وراءه من خبايا يكمن فيها الاستعمار ، فإذا آنس في القوم غفلة ، ورأى اختلاف العرب في جملة أمورهم ، عاد يطل برأسه لعله يجد فُرجة يتسرب منها إلى اللغة ، بعدما كان من الفرجات التي وجدها أو أوجدها له الاستعمار فتغلغل منها إلى السياسة .

والقول باللغة العامية قول ظاهره الغيرة على العربية ، وباطنه من قبله القضاء عليها ، وتمزيق وحدتها وبعثرة أقطارها .

وقد كتب كثيرون يسفهون هذا الرأي ، ويبيّنون خطله وخطأه ، وأنه يستحيل تنفيذه ، وأن اللغة العامية لغة عاجزة قاصرة ، إذا صلحت للمحادثات البيتية ، والمعاملات السوقية ، فهي لا تصلح للعلم ، ولا للمواقف الخطابية التي تتطلب البلاغة ، وصحة الأداء والبيان ، حتى في الجماهير العامية والمجتمعات الشعبية . . . وقد كنت في جملة من تعرض لهذا الموضوع وألقى دلوه في الدلاء . وكان من أقوال المدافعين عن العربية الفصحى ما قطع كل حجة ، فأسكت كل صوت .

= وعلى ذكر اللغة اللبنانية تعود بنا الذاكرة إلى اللغة السورية .

كان في رئاسة بلدية دمشق عهد الانتداب ، رجل كثير الموالاة لرجاله ، شديد الاندفاع في مسايرتهم . وقضى عليه منصبه في يوم من الأيام أن يقرأ خطبة في حضور المفوض الفرنسي تكلم فيها عن اللغة السورية ، ذهاباً منه إلى أن الحديث عن العرب وعن اللغة العربية من شأنه أن يغضب الفرنسيين . فكانت أعزوءة أضحكت الناس كثيراً ، وشغلت الصحافة طويلاً .

واليوم يقوم في لبنان من لا يقف عند الكلام عن اللغة اللبنانية كما فعل زميله السوري ، ــ بل يدعو الى لغة لبنانية مستقلة بنفسها ، قائمة بذاتها ، منفصلة عن اللغة العربية ...

والآن وقد تم على العرب ما تم ، ووقعوا في ما وقعوا فيه ، عاد هذا الصوت المنكر يرتفع ، ورجعت بعض النفوس المريضة إلى أقلامها المأجورة الوضيعة ، ووجدت لها في بعض الصحف مجالاً للقول ، فلا نرى بدًّا من العودة إلى هذا الموضوع ، والإشارة إلى بعض ما سبق فقلناه ، معززاً بما سبق لغيرنا فقاله .

كان الدكتور « فولارس » الألماني (١) أول من طرق هذا الباب في ما نعلم ، وجاء بعده ـ في ما أظن ـ رجل انكليزي هو (والف ويلهيور) . وكان مستشاراً (قاضياً) في محكمة الاستئناف الأهلية . فألّف كتاباً بالانكليزية . دعا فيه إلى ما دعا إليه صاحبه (فولارس) من العدول عن العربية الفصحى ، إلى العربية العامية المصرية ، محاولاً إقناع المصريين أن هذا خير لهم . وكانت دعوة هذا القاضي ترجيعاً لدعوة (ولهلم ستنا) أمين دار الكتب المصرية (الخديوية قبلاً) . وألّف كتاباً في صرفها ! ... وكتاباً في أمثالها ، وقصصاً عامية ونشر ذلك باللغتين : الألمانية والإفرنسية بالحروف الافرنجية ، ليرغّب أوربة في تنفيذ مشروعه : تعليمهم اللغة العامية ، وجعلها لغة العلم والتعليم . ونُشرت كرّاسة وزعت على الجرائد ، حثّاً على هذه اللغة ، وترغيباً فيها ، وكان من بعض الأغنياء الأجانب أن أرصد مبلغاً كبيراً من المال يدفع لمن يستجيب لهذه الدعاية .

وكأن (ويلهيور) وهو القاضي ـ أخذته نزعة القضاء ـ وثقةٌ منه

(١) ألّف هذا الرجل كتاباً بالألمانية ، دعا فيه إلى اللغة العامية المصرية . وجمع فيه ـ على زعمه ـ ، قواعد هذه اللغة . أما ما هي هذه القواعد ومن أين جاء بها ؟ فهذا ما لا نعلمه ....

بنفسه ، وبصواب رأيه ـ فدعا إلى اجتماع يحضره رجال العلم لمناقشة مشروعه (١) .

وكتب المستشرق الدكتور مرتين هرتمن (Martin Hartmin) أستاذ اللغات الشرقية في برلين مقالة ضافية : «ذكر فيها الفائدة التي تعود على علوم اللغة العربية من جميع ألفاظها العامية . جاء فيها بفذلكة في تاريخ اللغة العامية من صدر الإسلام إلى الآن . وحثّ العلماء على درس لغة العامة ، وجمع شتاتها المتفرقة في مصر والشام والمغرب والعراق والحجاز وغيرها . وأورد مثالاً للكيفية التي يريد جمع تلك الألفاظ عليها .

---

(١) انبرى لهذا القاضي عبد العزيز جاويش قائلاً :

« لقد أخطأ المستر (ويلمور) في قوله « إن لغة القطر المصري لغة مستقلة عن العربية الصحيحة ، بعيدة عنها كل البعد . فاللغة المصرية ليست إلاّ لغة عربية ، دخلها بعض التحريف والدخيل ، وإن أكثر ما يُظن أنه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية ، وإنه إذا لم يوافق لهجة قريش الفصحى ، فانه ربما يوافق لغة بعض القبائل الأخرى » .

وأورد له أمثلة على ذلك .

ثم ذكر للقاضي شيئاً كثيراً من عيوب اللغة الانكليزية بين ما يُنطق وما يُكتب ، وكالحروف « الزائدة » في كثير من الكلمات حتى أن متعلم هذه اللغة يضطر إلى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها في الرسم ، حتى يصح أن يقال : « أن لا قياس في هذه اللغة » .

وسأل الشيخُ المؤلفَ :

لِمَ لا تصلحون هذه العيوب ؟

فأجاب ، لأن ذلك إخلال بتاريخ لغتنا ، ومانع من الانتفاع بالكتب الكثيرة التي أودعت علوم سلفنا ومجدهم .

قال له الشيخ : « إن هذا المانع هو نفسه الذي يمنعنا من استبدال خط لغتنا بخط آخر . كما يمنعنا من التدلي من الصالح منها إلى الفاسد الذي لا يرجى إصلاحه .

فاقتنع القاضي وكان عادلاً ، وقبل هذه الأدلة والبراهين .

ونشر جدولاً ذكر فيه ألفاظاً من لغات : بيروت والقاهرة وتونس وتفسيرها باللغة الفصحى . »

فإذا بها ألفاظ كثرتها عربية الأصل ، حرفتها العامة تحريفاً منه الظاهر ، ومنه ما فيه بعض الخفاء ، لبعد العهد في التحريف ، واختلاف الأقطار في التصحيف . وقلة ضئيلة ، أُخذت من لغات أجنبية ، اختلفت مصادرها باختلاف ما كان بين قطر عربي وقطر آخر من سيطرة أجنبي أو صلة به . هذا إلى أن بعض ما نسبه المستشرق هارتمن إلى قطر وزعمه مختصاً به ، قد يكون معروفاً في قطر آخر ، ولكنه غير مستعمل فيه ، أو غالب عليه لفظ آخر ، وكله مما لا يستحق هذه الدراسة ولا هذه العناية ، اللتين يذلهما هذا الرجل ، ولا يشغل باله به ، إلاّ عربي حريص على رد العامي إلى الفصيح ، لا إحياء العامية ونشرها في البيئات العلمية والاعتماد عليها في كتابة أو تأليف .

وجملة القول : إن العمل على إحياء اللغة العامية بعثه الغرض أو المرض . غرض استعماري يرافقه انسياق أعمى عن حسن نية عند بعضهم ، أو سوء طوية عند بعضهم الآخر ، أو مرض في النفس عن عجز وقصور في الدرس .

ولسنا نعرف في العرب الصرحاء ، ولا في كتّابهم البلغاء الأبيناء ، من قال باللغة العامية ، ونادى بوجوب نشرها ، وإحلالها محل اللغة الفصحى ، إلاّ أن يكون (زهاوي زاده ، جميل صدقي أفندي) فلقد كتب في مجلة المقتطف سنة ١٨٩٦ مقالاً جاء فيه :

« فاللغة العامية ، لغة يتكلم بها الناس ، سواء رضي البعض أو لم يرض . وأكثر الناس يدرسون العربية لأجل معرفة كتب الدين ، وغيرها من الكتب القديمة الجليلة . فإذا هُذبت اللغة العامية وشاعت . ترى هل ينتفي الباعث المذكور ، كلاّ بل هو باقٍ . فلا مانع حينئذٍ من درس اللغة القديمة لمن

يطلب ذلك كما يدرسها الآن ، فإن قيل الاتفاق على وحدة العامية صعب دونه خرط القتاد . قلت : إنا نجاري في ذلك الطبيعة فكل اللغات الموجودة كانت في وقتها فروعاً ثم اتحدت » .

وهذا رأي من أغرب الآراء بادية مقاتله من جميع نواحيه ، وأغرب ما فيه أن يصدر عن الزهاوي وهو من هو في مجالات الأدب من نثر وشعر .

إلاّ أن يكون قال ذلك مسايرة للمقتطف ، وكان رأيها ما كان ، كما جارى الترك يومئذ في : (زهاوي زاده) .

وبعد ، فقوله :

١ — بتهذيب العامية معناه القضاء عليها . فإن العامية إذا هي تهذبت عادت إلى أصلها الصحيح الفصيح .

٢ — وأن تكون مدارسة العربية الفصيحة لأجل معرفة كتب الدين وغيرها من الكتب القديمة ، فليس هو بالسبب الذي يُستهان به . فكل أمة حريصة على تاريخها وعلى أمجادها . وقضية اللغة من هذا لها الصدارة والأولوية .

٣ — وكان الزهاوي رحمه الله يريد برأيه بقاء لغتين وهذه هي الثنائية اللغوية التي يُشتكى منها .

٤ — وقد يكون أغرب ما في هذا الرأي الغريب ، أن نجعل اللغة فروعاً ثم نعود فنوحدها . وبأي لغة من هذه اللغات العامية تتم لها وحدة ؟ وهل توحدت اللغات الغربية التي انشقت عن اللاتينية ، فنرجو لهذه العربية توحيداً بعد تمزيقها .

فالتجزئة تدعو إلى تباعد هذه اللهجات بعضها عن البعض الآخر ، فتصبح كل لهجة لغة مستقلة ، ثم تتباعد عن الأم : اللغة الأصلية ، كما وقع للاتينية مع الافرنسية والإيطالية وسائر ما اشتق منها .

ومشكلة العربية في مذهب القائلين بصعوبتها ، تقوم في رأيهم على هذه الثنائية التي نعانيها ، والتي سلمت منها على زعم بعضهم سائر اللغات ، وهذا خطأ قد يكون كثير منا وقع فيه (١) . غير أن الشيء الذي نشكو منه ،

---

(١) يقول الأستاذ جبر ضومط ــ رحمه الله ــ :

الانكليزية مثلاً ، ترى فيها لغتين : مكتوبة وهي الفصحى ، وعامية وهي الدارجة . والفصاحة في المكتوبة بالغة أعلى درجاتها في لندن . والدارجة بالغة أحط درجاتها أيضاً في بعض أقسام تلك المدينة ، حيث الفقر والجهل على أشدهما .

ومثل الانكليزية الفرنسية ، ومثل لندن باريس . فان اللغة المكتوبة فيها وصلت في كتابات بعضهم إلى ما وصلت إليه تماثيل اليونان الجميلة أو تماثيل ميشال انجلو ، أو إلى ما أشار إليه المتنبي :

والقائل القول لم يترك ولم يُقل

بل في برلين : مدينة العلم والعلماء ، ومدينة الأدب والأدباء ، تهبط اللغة الدائرة على الألسنة في أفواه الأقوام من الغوغاء والحثارة إلى ما لا يستطيع أن يتصور مثله بين أقوام العامية عندنا ــ أبكى الباكين على الفصاحة العربية واندثارها من على الألسنة .

* * *

ثم يقول :

تعرفت منذ عدة سنين بمستشرق أسوجي جاء إلى بيروت ولبنان يدرس اللغة العربية الدارجة . وكان الرجل والحق يقال : يُفهِم ما يقول ، ويفهَم ما يُقال . فقلت له مرة في عرض الحديث :

ــ أعندكم يا أستاذ لغتان : فصحى ودارجة ؟

قال : عندنا .

قلت : مئة بالمئة عندكم يقرأون ، وعندكم لغة دارجة ! إذن ينبغي أن تكون قريبة جداً من اللغة الفصحى لغة (الكتابة) .

قال : بل هي بعيدة عنها .

قلت : وأي الدارجتين من لغتنا ولغتكم أقرب إلى أختها الفصحى ؟

قال : دارجتكم .

وكنت أنتظر جوابه هذا الخالي من العصبية ، لما كنت أتوسم فيه من سعة العلم والفضل والإنصاف . (مجلة السيدات والرجال المجلد ٦ الصفحة ٤٤٩) . =

وقد عالجناه مراراً ، هو هذا الضعف الخلقي الذي تمكن منا ، فجعلنا نخجل أن نستعمل اللفظ العربي الصحيح ، والأسلوب العربي الفصيح ، وإن صح لفظه ، وعذب معناه ، ونخجل في المقابلة أن نجهل الكلمة الأجنبية مهما كان فيها من ركاكة وغرابة .

والحكومات العربية في الأقطار العربية ، ألقت الحبل في هذا على الغارب ، فتركت دوائرها ومدارسها ومصالحها ، وسائر مؤسساتها ، وشأنهم يتدبرون أمرهم كما يريدون ، لا مأخوذاً على يدهم في إصلاح ، ولا في تعبير . حتى إذا زاد خطأ رئيس من الرؤساء وفحش كان منتهى أمره أن يقول : لست سيبويه ، نقول : وإنه إن لم يكن سيبويهاً ، فليس مفروضاً فيه أن يكون شيئاً آخر غير سيبويه ...

وهذا شيء لا يقوله أحد من نظرائه ، إذا تكلموا لغة أجنبية فأخطأوا ، بل يتجنبون اللحن والخطأ مجتهدين كل الجهـــد في تصحيح ألفاظهم وتصويب عباراتهم .

وليست الحكومات غير العربية على هذا ، ولا سيما في مطلع نهضاتها وإرساء قواعدها . يقول العلاّمة الحصري في هذا المعنى :

= ويقول الأستاذ ساطع الحصري :

« إن القول بأنه لا يوجد في فرنسة فرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام ، لا يخلو من المغالاة . فان ذلك إذا كان صحيحاً بالنسبة إلى معظم المدن والقصبات الكبيرة ، فانه بعيد عن الصحة بالنسبه إلى كثير من القرى في بعض الايالات .

فانه من الثابت بأن هناك ملايين من الفرنسيين لا يزالون في طور « ثنائية اللغة » فانهم يتكلمون في بيوتهم ، ولا سيما مع العجائز والجدات ، بلهجات عامية ولغات خاصة ، وإن كانوا يتقنون الفرنسية الفصحى ويتكلمون بها خلال اتصالاتهم الخارجية . فاللهجات العامية في فرنسة لم تندثر تماماً وإن كانت قد تضاءلت كثيراً .

(مجلة المجمع)

« إن زوال اللهجات ، يتطلب عملاً متواصلاً ، يستمر عدة أجيال .
ولذلك دعا مجلس الثورة (الافرنسية) جميع الناس إلى الاهتمام بهذا الأمر (أمر اللغة) وذلك ببيان أصدره في السنة الثانية للثورة ، جاء فيه :

« فليدفع كل منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسة . لأن تلك اللهجات إنما هي من بقايا عهود الإقطاع والاستعباد » .

على أن هذا ، لا يمنع من يحرص على لغته ، ويعمل على سلامتها أن يهبط إلى درك العامية ، لا يمنعه هذا من أن يدعو إلى استعمال ما احتفظت به العامة من صحيح فصيح قد يجهله اليوم حتى بعض الخاصة ، ومما أحدثته هذه العامة من ألفاظ موفقة لأغراض محدثة ، جرت في اختيارها على منهج العرب الأصيل . هذا ، إلى ألفاظ اختارت لها العامة لغة صحيحة على أفضل مما تجري عليه الخاصة اليوم وما جرت عليه آباؤها قبل اليوم ، وهو حديث يتلو مقدمته هذه .

عارف النكدي

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الأول)

ـ ٢ ـ

٦٧ — وجاء في الصفحة « ٣٤٠ » ترجمة من اسمه في المطبوع « شداد ابن إبراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطـاهر » وتقدم في هذا الجزء أيضاً ـ ص ٢٥٩ ـ ما صورته « وكان أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الملقب بالطاهر كثير الملازمة للوزير المهلبي » . فكيف يترجم ابن شاكر مؤلف الفوات من اسمه « شداد » بالشين المعجمة بعد سحيم بن وثيل عبد بني الحسحاس وقبل « سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي » وقبل سحيم « السائب أبو العباس المكي » وبعد سعد الله الدجاجي « سعد الله بن مروان الفارقي الموقع » ، فليس المؤلف واهماً في وضع هذا المترجم بين ذوي الأسماء التي أولها السين ، ولكن الشيخ أصرّ على إعجام الشين وزاد على ذلك قوله في فهرست الأسماء ـ ص٦٢٤ـ : « هكذا وقع هذا الإسم بين الأسمـاء المبدوءة بحرف السين المهملة ، وهو مخطىء للصواب في هذا الإصرار فان الشاعر اسمه « سَدّاد » بالسين المهملة ، وقد سُمي بسداد قال الذهبي في المشتبه : « شداد واضح ، وبمهملة مخففاً سداد بن سعيد الشيعي ، شيخ بن الصلت وبالكسر سيداد بن رشد الجعفي[1] » وأورده الصفدي في الأسماء التي أوائلها السين قال : « سداد بن إبراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر[2] ... » والظاهر لنا أن خطأ ياقوت الحموي

---

(١) المشتبه « ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ » .

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ في الورقة ١١٦ » .

هو الذي جرّأ الشيخ على ارتكاب الخطأ فان ياقوتاً أورده في الشين المعجمة (١) فأخطأ وفتح باب الخطأ لغيره ولو اتبع الشيخ ما اتبعه في ترجمة أبي الفضل بن الأخوة « ص ٥٥٧ » لكان في نجوة عن الخطأ .

٦٨ — ووردت في الصفحة ٣٤١ ترجمة من اسمه في المطبوع « سعد الله بن نصر الله بن سعيد الدجاجي » وهو صاحب الأبيات التي تغنيها مغنية العصر السيدة أم كلثوم ومطلعها :

لي لذة في ذلتي وخضوعي وأحب بين يديك سفك دموعي

فعلق الشيخ في الحاشية أن « له ترجمة في شذرات الذهب ٤ : ٢١٢ » ولكنه ورد في الشذرات « سعد الله بن نصر » لا « ابن نصر الله » فلم يشر إلى ذلك ، ويؤيد أنه « نصر » غير مضاف إلى لفظ الجلالة نصّ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢ : ٣٠٢ قال « سعد الله بن نصر بن سعيد » ، وذكره قبله ابن الجوزي قال في وفيات سنة ٥٦٤ : « سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي أبو الحسن (٢) ... » وكذلك قال شمس الدين الجزري في طبقات القراء(٣) ولا حاجة بي إلى الاستشهاد بأكثر من ذلك كالمخطوطات .

٦٩ — وجاء في الصفحة ٣٥٣ « فلما بلغ ذلك المهدي عبد الله صاحب إفريقية » والصحيح « عبيد الله » ولعله من غلط الطبع .

٧٠ — وجاء في الصفحة ٣٦٢ « فبكت الخواتين وشقت الثياب بين يدي بُغا وقالوا : البرواناه هو الذي قتل رجالنا » . وقد ضمّ الشيخ باء بُغا ، كأنه صحيح معروف عنده ، وهذا خطأ والصواب « أبغا » وفي تلفظ آخر « أباقا » وهو « أبغا بن هولاكو بن تولي بن جنكزخان » وكان ملك الشرق أيامئذ .

---

(١) معجم الأدباء « ٤ : ٢٦١ طبعة مرغوليوث » .
(٢) المنتظم « ١٠ : ٢٢٨ » .
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء « ١ : ٣٠٣ » .

٧١ — وجاء في الصفحة ٣٦٦ قول عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني :

كأن القطوف الدانيات مواهب ففي كل غصن ماس في الدوح خاتَمُ

وضبط الشيخ لفظ « خاتم » ضبط الصائغ الماهر وما أدري ما دخل الخاتم في ذلك فالمواهب تحتاج إلى حاتم لا إلى خاتم .

٧٢ — ووردت في الصفحة ٣٨١ ترجمة « شرف بن أسد المصري » فعلق الشيخ على اسمه « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من مصادر الرجال » . فليت شعري ما الذي عنده من مصادر التراجم ومن يتصدَّ (١) لنشر هذا الكتاب وأمثاله ينبغ له أن لا يقتصر على ما بين يديه بل يختلف إلى دور الكتب وخزائن الكتب الكبرى ، ومن المعلوم عند أرباب التاريخ أن شاكر الكتبي اقتبس أكثر تراجم الفوات من الوافي بالوفيات للصفدي ، ولذلك نجد ترجمته فيه قال : « شرف بن أسد المصري (٢) ... » وذكر الترجمة .

٧٣ — وجاءت في الصفحة ٣٨٤ ترجمة « شعيب بن محمد بن محمد بن ميمون المزي (كذا) المعري الأصل » فعلق الشيخ جملته المشهورة « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من مصادر الرجال » . قلت : ترجمه الصفديّ ، قال : « شعيب بن محمد بن محمد بن ميمون المري المغربي الأصل (٣) ... » وذكر الترجمة .

٧٤ — وجاءت في الصفحة « ٣٩٠ » ترجمة صاعد بن هبة الله بن توما النصراني » وفيها « وقتل سنة ستمائة ، حضر عليه جماعة من الأجناد الذين كانت أرزاقهم تحت يده ... » وقال الشيخ المحقق الفاضل : له ترجمة

(١) مجزوم بمن الشرطية وعلامة جزمه حذف الألف .

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٥ الورقة ١٥٥ » .

(٣) المرجع المذكور والنسخة المقدم ذكرها « الورقة ١٦٥ » .

في أخبار الحكماء . . » « وله ترجمة في « عيون الأنباء ... » قلت : ما فائدة الإحالة وقد بقيت في الترجمة إحالة وهي كونه « قتل سنة ستمائة » مع أن القفطي يقول : « وكان قتله وموته في ليلة الخميس ثامن عشر جمادى الأولى سنة عشرين وستمائة » فالفرق بين التاريخين عشرون سنة ، وكذلك قال ابن أبي أصيبعة في كتابه المذكور .

٧٥ — ووردت في الصفحة ٤١٢ ترجمة « طاشتكين مجير[1] الدين أبي سعيد المستنجدي » فعلق الشيخ عليه « في النجوم الزاهرة المقتضوي نقلاً عن رواية من عقد الجمان والذيل على الروضتين » . والحقيقة هي أن هذه النسبة لم ترد في النجوم الزاهرة بل وردت في حاشية المشرفين على طبعه ، فكان ينبغي التنبيه على ذلك والذي ورد في النجوم على حسب قول المشرفين هو « الصغدي » نسبة إلى الأمة المعروفة بهذا الاسم من الأمم الشرقية .

٧٦ ـ وجاء في آخر ترجمة « طغرل شاه محمد بن الحسين بن هاشم الكاشغري الواعظ » قوله أي قول المؤلف : « وأورد له محب الدين ابن النجار في تاريخه :

صدَّ بعد اللقا وأبدى القطيعه ... من غدا قلبُ كل صب مطيعه

وذكر القصيدة وجاء في آخرها » قال العماد : ورد طلحة هذا إلى البصرة في زمن الحريري صاحب المقامات وكتب إليه رسالته الشينية[2] (كذا) نظماً ونثراً وكانت وفاته بعد العشرين والخمسمائة ـ رحمه الله ـ .

ولم يسائل الشيخ نفسه كيف بدأت الترجمة بطغرل شاه وكيف انتهت بطلحة ؟ إذن هذه بقية ترجمة رجل اسمه طلحة ، ألحقت بترجمة طغرل شاه وهو كما في معجم الأدباء ٤ : ٢٧٧ « طلحة بن محمد ـ وقيل أحمد ـ بن طلحة

(١) من أجار يجيرُ .

(٢) الصحيح « الشينية » كما وردت في خريدة القصر للعماد الأصفهاني .

أبو محمد النعماني ، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب والشعر ورد بغداد وخراسان وكاتبه الحريري صاحب المقامات وكان كثير الحفظ جيد الشعر سريع البديهة مات سنة ٥٢٠ » وأورد له أبياتاً .

وقال القفطي : طلحة بن محمد بن النعماني أبو محمد ، من النعمانية بلدة بين بغداد وواسط ، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب ، حسن الشعر ، رقيق الطبع ، كثير المحفوظ [1] ... » ولم يذكر سنة وفاته . وترجم له العماد الأصفهاني في الخريدة وذكر جملة من شعره ، ولم يذكر هذه القصيدة العينية .

٧٧ — وجاء في الصفحة « ٤٢٠ » ترجمة ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة شرف الدين وجاء فيها : « ولما توفي الوزير اتصل بالخليفة أنه عزم على الخروج من بغداد مختفياً فقبض عليه وحبسه [2] ولم يزل إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة فخرج من الحبس ميتاً ودفن عند أبيه ... » . وأورد شعراً له ، ولم يكلف المحقق الشيخ نفسه تحقيق التاريخ « ٦٥٢ » مع أنه من خطأ النسخ أو من خطأ المؤلف عند النقل والصحيح « سنة ٥٦٢ » . قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٦٢ : « وفي يوم الأربعاء ثامن عشر صفر أخرج ابن الوزير الكبير المسمى شرف الدين من محبسه ميتاً فدفن عند أبيه بباب البصرة [3] » .

٧٨ — وورد في الصفحة ٤٣٢ في ترجمة الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن أحمد خبر الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه بالعراق هو : « وخلصه طغرلباك [4] من بين يديه إلى أن وصل إلى عتبة باب التوبة فقبلها شكراً

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة « ٢ : ٩٣ » .
(٢) الصحيح أن عضد الدين محمد ابن رئيس الرؤساء الذي تولى الوزارة وأبناءه حبسوه حسداً له وخوفاً منه مع أن الدولة العباسية نهضت على كتفي أبيه وكتفيه وكتفي أخيه عز الدين محمد .
(٣) المنتظم « ١٠ : ٢٢٠ » .
(٤) الصحيح « خلصه القائم بأمر الله » أي خلّصه من طغرلبك الفاتح ، ولا يصح غير ذلك .

لله تعالى وصارت سنة بعده » . وليس في أبواب دار الخلافة العباسية باب يسمى « باب التوبة » ، والصواب « باب النُّوبي » نسبة إلى حاجب نُوبي من بلاد النوبة كان في أيام المعتضد العباسي ، قال ياقوت في الكلام على « الحريم » من معجم البلدان وذكر أبوابه : « حريم دار الخلافة ببغداد ويكون بمقدار ثلث بغداد ... ثم باب النُّوبي وعنده العتبة التي تقبلها الرسل والملوك إذا قدمُوا بغداد » . وقال في المشترك وضعاً والمفترق صقعاً – ص ١٢٩ – : « ثم باب النُّوبي وفيه العتبة التي تقبلها الرسل والملوك وغيرهم إذا قدمُوا بغداد وهي قطعة من عمود رخام أبيض مطروحة أمام هذا الباب طولا » .

٧٩ — وجاء في الصفحة ٤٥٧ قول محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر المصري الكاتب :

لا واخـــذ الله بندك فـكم وشى بي عندك
وقـــال عني بأني شبهت بالغصن قدّك

فقال الشيخ – حفظه الله تعالى – معلقاً : « البند بفتح فسكون لفظ فارسي وأصله العقد واستعمل في العلم الكبير ، وقالوا فلان كثير البنود . يريدون أنه كثير الحيل » . فما الذي يستفيده المستفيد بالنسبة إلى البند الذي ورد في الشعر ؟ لا شيء . فالوجه أن يقال « من معاني البند ضرب الأحزمة أو الحزم » ألا ترى ما ورد في الصفحة « ٣٧٧ » من هذا الجزء قول الشيخ شافع بن علي العسقلاني « في مليح وسطه مشدود ببند أحمر ... ؟ وذكر الشعر .

٨٠ — وجاء في الصفحة « ٤٦٢ » من ترجمة المقدم ذكره قوله أي قول المؤلف : وقال في منزلة القطيعة :

هذي القطيعــــة ألتي لا تشتهى نقلاً وعقلا
حُشيت ببرد يابــــس فلأجل ذاك الحشو تُقلى

وفي كل هذا التصحيف يحتاج إلى مُراجعة المراجع لهذه الترجمة ، وأقبحه تصحيف « القطيفة » إلى القطيمة والقطيفة ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق ويحشى بما لذ وطاب ، ولذلك قال « فلأجل ذاك الحشو تقلى » والقطيمة لا تقلى ولا تحشى كما هو معلوم .

٨١ — وجاء في الصفحة « ٤٩١ » قول ابن سنان الخفاجي :

أما الوشاة فقد أصابُوا عنكم   سوقاً يَنفُق كل قول كاذب

وقد ضبط « ينفُق » بفتح الياء وضمّ الفاء وكسر وزن الشطر من الكامل ، والصواب « يُنَفّق » على وزن يُؤيّد فيصح المعنى والوزن . والمراد تنفيق السوق لكل قول كاذب .

٨٢ — وورد في الصفحة ٤٩٤ في ترجمة ابن أبي الدنيا « وهو أحد الثقاة المصنفين للأخبار والسِّير » . والصواب « ثقات » بكسر الثاء المثلثة والتاء المبسوطة والجمع هذا مثل جمع « هِبه على هبات ، وشية على شيات ، ولِدة على لِدات » .

٨٣ — وجاء في الصفحة ٤٩٨ قول المؤلف لنفسه أو نقلاً : « ومن الاتفاقات العجيبة أن أول الخلفاء من آل أبي سفيان اسمه معاوية وآخرهم اسمه معاوية ... » فعلّق الشيخ على هذا القول مصححاً له ـ حفظه الله ـ : « آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الملقب بالحمار » . ولم يفهم النكتة من قول المؤرخ « آل أبي سفيان » فآخرهم « معاوية الثاني ابن يزيد بن معاوية الأول » . فالمؤرخ لم يقل « آل بني أمية » . وفرع مروان غير فرع آل سفيان فتأمل ذلك تعجب .

٨٤ — وجاء في حاشية الصفحة ٥١٩ « نقلاً عن كتاب معجز الآداب في معجم الألقاب » وفي التسمية تصحيف فهو لكمال الدين ابن الفوطي المؤرخ البغدادي ، وهو مترجم في هذا الجزء « ص ٥٦٧ » وفيها « مجمع الآداب في

معجم الأسماء على معجم الألقاب » وهو الصواب ، وهذا الكتاب هو الذي طبعت تلخيص الجزء الرابع منه وزارة الثقافة .

٨٥ — وجاء في الصفحة « ٥٤٣ » في ترجمة تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري الدمشقي الفقيه الشافعي « ولم يكن له إلا تدريس البازدارية مع ماله من المصالح » . ولم يعلق على « المدرسة البازدارية » شيئاً لأنه لا يعلم عنها شيئاً كما أن التاريخ لا يعلم لها وجوداً فهي تصحيف « البادرائية » نسبةً إلى منشئها وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد البادرائي ثم البغدادي ، والنسبة الأولى إلى بادرايا من قرى العراق الشرقية وتعرف اليوم باسم (بدرة) فهو الذي أنشأ المدرسة البادرائية ، قال المقريزي : « وله بدمشق مدرسة تعرف بالبادرائية كانت تعرف بدار أسامة ، عمل بها درساً وشرط على المقيم بها أن يكون غير متزوج وأن لا يكون بغيرها من المدارس . . . ووقف بها خزانة كتب نافعة وأول من درس بها الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن التاج الفزاري » . وقال قبل ذلك : « وولي قضاء بغداد كرهاً فأقام بعد ولايته سبعة عشر يوماً ومات ببغداد في ذي الحجة سنة خمس وستين[1] وستمائة وكان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً »[2] .

٨٦ — ووردت في الصفحة « ٥٣٢ » ترجمة رشيد الدين بن عبد الرحمن ابن بدر بن الحسن النابلسي الشاعر فعلق الشيخ محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه بقوله : « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال » . قلت : ترجم له الزكي المنذري في وفيات سنة ٦١٩ قال : « وفي المحرم أيضاً توفي الشيخ الأديب عبد الرحمن بن محمد ابن بدر النابلسي الشاعر المنعوت بالرشيد ودفن بباب الصغير ، حدث بكثير

---

(١) كذا والصواب « خمس وخمسين وستمائة » .

(٢) المقفى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٤٤ و ٥٧ » .

من شعره ، ودخل مصر ومدح بها »(١) . وترجم له الصفدي في تاريخه للرجال وهو الوافي بالوفيات(٢) .

وترجم له الذهبي في تاريخه الكبير في وفيات سنة ٦١٩ قال : « عبد الرحمن ابن بدر بن الحسن بن مفرج رشيد الدين النابلسي الشاعر الملقب بعذلويه . سمع مقامات الحريري من منوجهر بن تركان شاه عن المصنف وحدث بها عنه وكان شاعراً محسناً مليح القول ، قيل إنه أقلع عما كان عليه قبل موته وصلحت حاله ومات في خامس محرم بدمشق وقد مدح أمير المؤمنين الناصر لدين الله بالقصيدة الطنانة التي مطلعها :

حرم الخلافة والمحل الأعظمُ فانظر لنفسك أيّ دُر تنظم ؟

ومدح السلطان صلاح الدين وولده الملك الظاهر غازيا ومدح الملك المعظم وهو عم الحافظ شرف الدين يوسف بن الحسن النّابلسي ، روى عنه الشهاب القوصي عدة قصائد »(٣) . فهذه ثلاثة مراجع لترجمـــــة الرشيد النابلسي قدمها للشيخ الفاضل .

٨٧ — وورد في الصفحة ٥٣٤ قول رشيد الدين النابلسي المذكور :

أفدي الأولى فارقتهم مُهجتي لا تطمع الأساة في افتراقها

ولا معنى للافتراق مقبولاً هنا والصواب « إفراقها » ، يقال : « أفرق المريض إفراقاً من مرضه : أفاق من مرضه » .

٨٨ — وجاءت في الصفحة ٥٣٧ ترجمة بدر الدين عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن المسجف الكناني العسقلاني الشاعر فعلّق عليها الشيخ جملته السائرة « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال » .

---

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروفي ج ٦ ص ١١٤ الترجمة ١٨٦٣ » .

(٢) نسخة باريس ٢٠٦٦ و ١٤١ » .

(٣) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ و ٢٥٣ » .

قلت : ترجم له الزكي المنذري في وفيات سنة ٦٣٥ قال : « وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي الشيخ الأديب أبو محمد عبد الله (كذا) ابن أبي القاسم ابن غنائم بن يوسف الكناني العسقلاني الشاعر المنعوت بالبدر المعروف بالمسجّف [١] ، ودفن من الغد عند والده بأرض المزة [٢] ... » .

وترجم له الصلاح الصفدي في تاريخه للرجال قال : « عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف الأديب بدر الدين الكناني العسقلاني ابن المسجف الشاعر ، ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن عند والده بالمزّة وكان أديباً ظريفاً خليعاً ، توفي فجأة وخلّف خمسمائة ألف درهم فأخذها [الملك] الجواد صاحب دمشق وله أخت عمياء فقيرة فمنعها حقها من ميراثها ، وكان بدر الدين يتجر وله رسوم على الملوك وأكثر شعره في الهجو [٣] ... » وذكر شيئاً من شعره ومناسباته وأخباره مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ . وقد وهم من سماه « عبد الله » لأن اسمه الحقيقي « عبد الرحمن » وقد أيده بقوله :

ومن عجب أني سميّ ابن ملجم وأرجو علياً شافعاً في مقاصدي

أراد علاء الدين علي بن الرام المصري الأمير الأديب [٤] ، كما جاء في تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب .

٨٩ – وجاء في الصفحة « ٥٤٠ » من ترجمة ابن المسجف « وقال يخاطب الملك الأعظم » والصواب « الملك المعظم » وهو عيسى بن الملك العادل ابن أيوب الأيوبي المشهور ، ألا ترى أنه قال له :

---

(١) قال « والمسجّف بضم الميم وفتح السين وتشديد الجيم وكسرها وبعدها فاء » .

(٢) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ ص ٢٣ » . ونسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروفي « ج ٨ ص ١٥٩٦ الترجمة ٢٨٤٢ » .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ١٥٨ » .

(٤) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي « ج ٤ القسم ١ ص ١٠٥٠ الترجمة ١٥٦٣ » .

ومن هو كالمسيح اسماً وفعلاً ونصب للحياة وحزم مجل (كذا)

ثم إن الشيخ علّق في الحاشية أن المراد الملك المعظم عيسى ، ولكنه ترك النصّ المحرّف على حاله واختلاله .

٩٠ — وجاء في الصفحة ٥٤١ قوله في الغرز خليل والي دمشق :

ما خليـــل بخليل لا ولا أصحابه أهل صلاح بل فساد

والشطر الثاني مكسور الوزن فلم ينتبه له الشيخ الفاضـــل والصحيح «صحبُه أهل صلاح بل فساد» .

٩١ — ووردت في الصفحة ٥٥٧ ترجمة «عبد الرحمن[1]» (كذا) ابن أحمد ابن الأخوة العطار الأديب المحدث الشاعر» . فعلق الشيخ على اسمه في الحاشية : «له ترجمة في دائرة معارف البستاني وما أظنها إلا صادرة عن هذا الكتاب نفسه وما أظن اسمه إلا عبد الرحيم[2] لوقوعه بين جماعة ظهر أن اسم كل منهم عبد الرحيم» . وهذا القول يعني أنه لم يعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب وهو الذي نعيذه من استمهاله ومقاله فيما يستقبل من عمره — أطاله الله تعالى — فعبد الرحيم ابن الأخوة وردت ترجمته في عدة كتب غير فوات الوفيات الذي اعتاد مؤلفه أن يقتبس تراجمه من الوافي بالوفيات غالباً ، كما قلناه من قبل ، فممّن ترجم ابن الأخوة هذا ، العماد الأصفهاني قال : «جمال الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم ابن الاخوة البغدادي الشيباني» . وذلك بعد قوله في الثناء الحسن عليه : «الأجل الإمام الأوحد أفضل الإسلام» وقال : «أوحد الدهر وأفضل

---

(١) الصحيح أنّ اسمه «عبد الرحيم» كما جاء في عدة مراجع قديمة لم يعرف منها الشيخ مرجعاً واحداً .

(٢) هذا هو الاستدلال الذي أشرنا إليه في ترجمة «سداد بن إبراهيم» في النقدة السابعة والستين وقلنا إن الشيخ الفاضل لم يأخذ به في ترجمة سداد المذكور .

العصر ، خصَّه الله بالعلم الـكامل ، والأدب الشامل » [١] . وأطال في مدحه وأورد له شعراً جزلاً في أغراض مختلفة .

وترجم له الصلاح الصفدي وقال : « سمع أبا الفوارس طراداً الزينبي وأبا الخطاب نصر بن البطر والحسين النعالي وغيرهم وسافر إلى خراسان في طلب الحديث وسمع بنيسابور وبالري وبطبرستان وبأصبهان وقرأ بنفسه ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت الحد وكان يكتب خطاً مليحاً وكان سريع القراءة والـكتابة [٢] . . . » وذكر شيئاً من شعره وأن وفاته كانت بشيراز سنة ٥٤٨ .

وترجم له ابن حجر في لسان الميزان « ٣١٤ » وجاء في الترجمة « ابن الأفوه » بدلاً من « ابن الأخوة » وطبعة لسان الميزان الهندية ملأى من أنواع التصحيف ، وجاء فيها « قال أبو سعد ابن السمعاني : ما رأيت منه إلا الخير . . . وقال أبو مسعود : سمعته يقول : كتبت بخطي ألفي مجلد . وقال ابن السمعاني أيضاً : كان صحيح القراءة والنقل » . وتصحَّف اسمه إلى « عبد الرحمن » على ابن خلـكان استطراداً قال : « ومن غريب الاتفاق ما حكاه السمعاني عن أبي الفتح عبد الرحمن بن أبي الغنائم محمد بن أحمد بن علي بن عبد الغفار بن الحسين ابن محمد بن محمد [ابن] الوزير أبي الصقر اسماعيل بن بلبل الشيباني المعروف بابن الأخوة البيّع الأديب الـكاتب [٣] . . . » .

٩٢ — وجاء في ترجمته في الفوات ـ ص ٥٥٧ ـ « سمع عن أبي الفوارس طراد الزينبي » والصواب « من . . . الزينبيّ » وهو زينبي عباسيّ وزينب المنسوب هو إليها عباسية أيضاً مشهورة السيرة ، ترجم لها الخطيب البغدادي قال : زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ،

---

(١) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ٣٧ ، ٣٨ » .
(٢) الوافي بالوفيات « نسخه دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ١٨٧ » .
(٣) وفيات الأعيان « ١ : ٣٩٧ من طبعة إيران وهي أصح الطبعات حتى الآن » .

كانت من أفاضل (١) النساء وحدثت عن أبيها ، روى عنها عاصم بن علي الواسطي » ثم روى عن أحمد بن الخليل قال : « رأيت زينب بنت سليمان . . . أيام المأمون وقد دخلت دار أمير المؤمنين فرفع عطاء لها الستر (٢) . . . » إلى آخر الخبر .

٩٣ — وجاء في الصفحة « ٥٦٥ » في ترجمة مهذب الدين عبد الرحيم ابن علي بن الدخوار الطبيب الكبير : « ومن شعره ما كتب به إلى الحكيم رشيد الدين أبي خليفة في مرضة مرضها شعراً . . . » هكذا ورد « أبي خليفة » والذي حفظناه كسائر ما قدّمنا من المصحّفات في هذا النقد « أبي حُلَيْقة » تصغير الحلقة ، قال ابن أبي اصيبعة : « رشيد الدين أبو حليقة هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبي الخير بن أبي سليمان داود ابن أبي المنى ابن أبي فانة يعرف بأبي حليقة ، كان أوحد زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية ، متفنناً في العلوم والآداب » ثم قال : « وأما سبب الحلقة التي وضعت في أذن الرشيد واشتهر بها اسمه فإن والده لم يعش له ولد ذكر غيره فوصف ووالدته حامل به أن يهيّئ حلقة فضة قد تصدق بفضتها وفي الساعة التي يخرج فيها إلى العالم يكون صائغ مجهزاً يثقب أذنه ويضع الحلقة فيــها ، ففعل ذلك وأعطاه الله الحياة ، فعاهدته والدته أن لا يقلعها فبقيت (٣) » . وذكر السبب في شيوع هذا الاسم في ذكره وتسميته وخطابه .

٩٤ — وجاء في الصفحة ٥٧٣ في ترجمة عبد الصمد بن عبد الوهاب أمين الدين ابن عساكر الدمشقي : « سمع من جدّه ومن الشيخ الموفق ومن

(١) كذا ورد والفصيح « من فضليات النساء » .
(٢) تاريخ بغداد « ١٤ : ٤٣٤ » .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء « ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٩ » .

ابن ألين » . هكذا بالهمزة القاطعة والياء كأنه اسم تفضيل من لان يلين وهو خطأ والصواب أنّ الاسم « بن» بالباء والنون المشددة ودخلت عليه الألف واللام ، قال الذهبي في كتابه المشتبه ــ ص ٥٣ ــ : « البنّ أبو القاسم ابن البنّ الأسدي الدمشقي أكثر عنه حفيده أبو محمد وروى لنا جماعة عن أبي محمد » ثم أكّد هذا الضبط في الصفحة ٥٣٦ .

٩٥ ــ وجاء في الصفحة ٥٨٢ في ترجمة صفي الدين الحلي الشاعر المشهور « وأنشده الصاحب شمس الدين بن السديّ أبيات سليم الهوى النيلي المصغرة » . والصواب « السُّنيدي » لا السدي ، يؤيد ذلك بيت ورد في القصيدة هو :

صُريفُ الدهرِ يَعْجز عن عُبيد سُنَيْدُ ظُهَيْرِهِ نجلُ السُّنَيدي

٩٦ ــ وجاء في الصفحة ٥٩٥ في ترجمة عبد العزيز بن عبد السلام : « فولي بدر الدين السخاوي قضاء القاهرة وولي ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر » . فمن بدر الدين السخاوي هذا ؟ لم يسأل عنه الشيخ محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه ، والصحيح أنه بدر الدين السنجاري نسبة إلى سنجار ، البلد المعروف المشهور ، ذكره الذهبي في وفيات سنة ٦٦٣ قال : « وبدر الدين السنجاري الشافعي قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن الحسن الزُّراري (١) ، صدر معظم وجواد ممدّح ، ولي قضاء بعلبك وغيرها قبل الثلاثين ، ثم عاد إلى سنجار فنفق على الصالح نجم الدين ، فلما ملك الديار المصرية وفد عليه فولاه مصر والوجه القبلي ، ثم ولي قضاء القضاة بعد شرف الدين ابن عين الدولة وباشر الوزارة ، وكان له من الخيل والمماليك ما ليس لوزير مثله ، ولم يزل في ارتقاء إلى أوائل الدولة الظاهرية ، فعُزل ولزم بيته ، توفي في رجب وقيل : كان يرتشي ويظلم (٢) » .

---

(١) في الشذرات ٥ : ٣١٣ « بالضمّ ومهملتين نسبة إلى زُرارة : جدّ » .

(٢) العبر في خبر من غبر « ٥ : ٢٧٤ » . ونقل الترجمة منه مؤلف الشذرات وفيه زيادة الضبط التي نقلتها .

٩٧ — ووردت في الصفحة ٥٩٦ ترجمة رفيع الدين عبـــد العزيز بن عبد الواحد الجيلي الشافعي القاضي وفيها «قال أبو المظفر بن الجوزي : حدثني جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة دُهرياً مستهزئاً بأمور الشرع [1]» . وقد ضبط الشيخ محقق الكتاب وضابطه «دهرياً» بضم الدال وهو خطأ ، والصواب فتحها ، جاء في مختار الصحاح «والدُّهري بالضمّ : المُسنّ ، وبالفتح : المُلحد ، قال ثعلب : كلاهما منسوب إلى الدهر وهم ربما غيّروا النسب كما قالوا سُهلي للمنسوب إلى الأرض السهلة » . قلت : هذا يعني أنهم لما جعلوا «الدهري» بفتح الدال للملحد القائل بعدم الدهر احتاجوا إلى نسبة أخرى لِمن صاحب الدهر طويلاً فضمّوا الدال للتمييز ، أمّا ضمّهم السين في السُّهلي للمنسوب إلى السهل فإنه لتمييزه عن السَّهلي بالفتح للمنسوب إلى إنسان اسمه «سهل» لأن النسبة إلى الإنسان سبقت النسبة إلى غيره ، وكذلك السُّرِّية للمرأة والنُّصفية لضرب من النسيج والقُبطيّة لضرب آخر منه ، كل ذلك من أجل التمييز .

٩٨ — وورد في الصفحة ٥٩٩ قول شرف الدين الحموي :

يُشهر اللحظ يماني ويهز القدّ خطي

وقد ضمّ الشيخ الفاضل الياء من «يُشهر» تنبيهاً منه على كونه رباعياً ماضيه «أشهر» وليس ضبطه بصحيح فهو ثلاثي ، جاء في مختار الصحاح «وشهر سيفه من باب قطع أي سلّه» .

٩٩ — وجاء في الصفحة ٦٠٨ قول ابن أبي الاصبع :

انتخب للقريض لفظاً رقيقاً كنسيم الرياض في الأسحار

فتصحف على الشيخ القريض إلى «القريب» فاستحال المعنى .

---

(١) راجع مختصر الجزء الثامن من مرآة الزمان «ص ٧٤٩ ، ٧٥٠» .

١٠٠ — وجاءت في الصفحة (٦١٠) ترجمة زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصري وجاء فيها «قرأ القرآن على الأرباجي». وعلّق الشيخ على الأرباجي قوله «في الطبقات: الأرياحي، وما استفاد القارئ المستفيد شيئاً فأيّها هو الصواب؟ كلاهما خطأ والصواب «الأرتاحي» نسبةً إلى «أرتاح» في بلاد الشام، ولما كان الأرتاحي شيخ المنذري وكان المنذري مؤرخاً وجب على الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد أن يبحث عن سيرته آثر ذي أثير في تاريخ المنذري ليجد ترجمته في وفيات سنة ٦١٢ منه قال المنذريّ: «وفي الخامس والعشرين من صفر توفي الشيخ الأجل الصالح أبو الثناء حامد ابن الشيخ الصالح أبي العباس احمد بن حمد بن حامد بن مفرج ابن غياث الأنصاري (الأرتاحي) الأصل المصري المولد والدار المقرئ بمصر ودفن من الغد بسفح المقطم بتربتهم المعروفة بهم. قرأ القرآن الكريم بالقراءات ... وسمع بمصر ... وسمع بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ ... وتصدر للإقراء بالجامع العتيق بمصر وبمدرسة السديد الطبيب المطلة على النيل المبارك مدة طويلة ... وحدث وأقرأ وانتفع به جماعة ... قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع وسمعت منه [1] ...». فهذا واضح بحمد الله تعالى وتوفيقه.

وترجمه شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦١٢ قال: «حامد بن أحمد ابن حامد بن مفرج أبو الثناء الأنصاري الأرتاحي ثم المصري المقري [2] ....». ولا أرى حاجة إلى إيراد الترجمة بكمالها.

١٠١ — ووردت في الصفحة ٦١٢ ترجمة أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، فعلق عليها قوله: «له ترجمة موجزة جداً في النجوم

(١) التكملة لوفيات النقلة «نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ١ ص ٧٩».
ونسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروفي «٥ : ٨٧٢ الترجمة ١٣٨٦».

(٢) تاريخ الإسلام «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ و ١٩٢».

الزاهرة ٥ : ١٠٨ وفي شذرات الذهب ٣ : ٣٤٠ ، وفي طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٣ : ٢٤٢ » . وكان جديراً أن يبحث عن ترجمته في نزهة الألباء في طبقات الأدباء «ص ٢٣٧» طبعة علي يوسف ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة «٢ : ١٨٨ طبعة دار الكتب المصرية» ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة «ص ٣١٠ طبعة مطبعة السعادة» فهذه هي الكتب المختصة بهذه الترجمة وأمثالها .

هذا منتهى ما استوقف النظر واستدعى الفكر من الأوهام الواردة في طبع الجزء الأول من كتاب فوات الوفيات الذي «حققه وضبطه وعلق حواشيه الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد عفا الله تعالى عنه» كما قال هو وعفا عنا ، بلطفه وكرمه ، وقد نبهت على الصحيح وأصلحت ما أمكنني إصلاحه وذكرت المراجع التي اعترف الشيخ المحترم بتعذرها عليه دون التي تستدرك عليه ولم يشر إلى تعذرها فانها تعد بالعشرات . وإني متتبعٌ هذه التعقيبات تعقيباتي على طبع الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى ، وقد عجلت بهذه لأني أكاد أكون حرضاً وأخشى أن تذهب معي الفوائد التي تهم القارئ المستفيد لا المختصين بالتاريخ ومن الله تعالى العون والتسديد .

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد

صفحات من تاريخ الاستشراق
ـ ٤ ـ (١)

المستشرقون وسيرة الرسول

إن حياة الرسول محمد (ﷺ) وشخصيته وتعاليمه كانت دوماً تحتل المقام الأول بين الموضوعات التي يعالجها المستشرقون . وما زال علماء الاستشراق حتى عند البحث في تاريخ العرب الحديث يرجعون إلى شخصية الرسول وتعاليمه التي أحدثت ثورة من أعظم الثورات في العالم والتي مازالت آثارها ملموسة في حياة العرب والمسلمين .

لقد ظل الأوروبيون في القرون الوسطى ، وحتى القرن السابع عشر ، يتناقلون أسخف الأساطير عن الإسلام ، ويوجهون إلى مؤسسه أبشع المسبات والشتائم . ومنذ أن بدأ الاستشراق بالمعنى العلمي نرى الباحثين الغربيين يتظاهرون بأنهم قد تحرروا من التعصب الديني ، ويدعون أنهم يريدون معرفة سيرة محمد كما يرويها المسلمون أنفسهم . ولا شك في أن بعض الكتاب الغربيين قد أخذوا منذ القرن الثامن عشر يتحاشون التهجم على شخص الرسول ويحاولون التزام العدل والإنصاف في الحكم عليه . ولكن لا بد من الاعتراف أيضاً بأن أكثر المستشرقين ظلوا دوماً يقصدون تشويه الحقيقة وطمسها .

وسيتبين لنا ذلك من استعراض أهم دراسات المستشرقين عن حياة الرسول منذ القرن السادس عشر حتى الوقت الحاضر .

---

(١) تراجع الأقسام الثلاثة الأولى من البحث في أجزاء المجلد الأربعين من المجلة .

غيليوم بوستل :

ولنبدأ بالمستشرق الفرنسي (غيليوم بوستل Guillaume Postel) (١٥١٠ — ١٥٨١) الذي كان يدرّس العربية والعبرية واليونانية في جامعة (باريس) . وهو أول مستشرق ألف كتاباً في قواعد اللغة العربية .

كان (بوستل) يعد من أعلم رجال عصره : يدعي معرفة لغات شرقية عديدة ويقول إنه يستطيع أن يجوب كل البلاد حتى الصين دون حاجة إلى ترجمان . وقد سنحت له الفرصة ليتصل بالمسلمين مباشرة وأن يعيش بينهم إذ كان أحدَ أعضاء الوفد الذي أرسله الملك (فرانسوا الأول) في سنة ١٥٣٤ لمفاوضة السلطان (سليمان القانوني)، وطلب مساعدته ضد الامبراطور (شارلكن) . فإن (فرانسوا الأول) ، ملك فرنسا ، الذي تأثر بمبادئ ما يسمى « بالحركة الإنسانية » في عصره ، قد أدرك قيمة العلاقات الثقافية مع الشرق وفائدتها في دعم مصالح بلاده الاقتصادية والسياسية ، ولذلك أوفد بعض العلماء إلى (استانبول) وإلى ســـورية وفلسطين لدراسة أحوال السكان ولشراء المخطوطات الشرقية .

وقد اقتنى (بوستل) مجموعة غنية من المخطوطات الشرقية . وهذه المجموعة هي التي اشتراها فيما بعد الأمير الألماني (فريدريك الثالث) ووضعها في مكتبة (هايدلبرغ) ، فأصبحت الأساس الذي قامت عليه الدراسات الشرقية في ألمانيا .

ومن مؤلفات (بوستل) كتـــابه « عن جمهورية الأتراك »
(De la Republique des Turcs) (Poitiers 1552)

في القسم الأول من هذا الكتاب يصف المؤلف حياة الرسول (ﷺ) بالاستناد إلى القرآن والحديث وحسب ما جاء في كتب المسلمين ، وذلك ، كما يقول ، لاعتقــاده بأن أحسن وسيلة للتغلب على المسلمين هي محاربتهم

بأسلحتهم هم أنفسهم . وفي الحقيقة لم تكن غاية (بوستل) الدراسة العلمية المجردة وإنما مكافحة الإسلام . لذلك نراه ينتقل في القسم الثاني من الكتاب إلى عرض حياة محمد (ﷺ) من وجهة النظر المسيحية . ثم يلخص في القسم الثالث تعاليم الإسلام ويشير إلى الأمور المقتبسة عن اليهودية والمسيحية ، ويتكلم أخيراً على الفرق الإسلامية ، وعلى طقوس دفن الموتى عند المسلمين .

كان (بوستل) يعلن أنه يستطيع البرهان على صحة العقائد المسيحية بالاستناد إلى العقل والفلسفة . ويبدو أنه كانت لديه تصورات ومشروعات خيالية تهدف إلى التوفيق بين اليهود والمسيحيين والمسلمين ، وتوحيد جميع الأديان في ديانة واحدة هي المسيحية . على أن آراءه هذه قد أثارت سخط رجال الكنيسة الذين اتهموه بالخروج على الدين فسجن في أحد الأديرة وظل هنالك حتى مات .

ميشيل بوديه :

وفي أوائل القرن السابع عشر قام مؤرخ إفرنسي بارز هو (ميشيل بوديه Michel Baudier) فقال إنه لا يريد أن يقدم إلى القراء كتاباً من كتب الجدل الديني التي اعتاد رجال الكنيسة نشرها ، بل تاريخاً شاملاً لحياة محمد (ﷺ) وفي الواقع فإن كتابه قد تضمن معلومات كثيرة عن الرسول وعن الإسلام ، وكان له تأثير كبير في البلاد الأوربية حتى تعددت طبعاته . إلا أن (بوديه) كان بعيداً كل البعد عن الحياد العلمي . فهو من الكاثوليك المتعصبين ، وقد استقى معلوماته من المصادر الكنائسية ، فنقلها دون أي نقد لأن غايته إنما كانت الطعن في « نبي الأتراك المزيف » ، كما كان الأوربيون يسمون الرسول عليه السلام . ولا ننس أن الأتراك العثمانيين كانوا في ذلك

المهد مازالوا يهددون قلب أوربة ، ويثيرون الخوف في نفوس الأوربيين .
ولذلك جعل عنوان كتابه : « تاريخ ديانة الأتراك » (Histoire de la Religion des Tures) (Paris 1925) . مثلما تكلم قبله (بوستل) على « جمهورية » أو « حكومة الأتراك » .

إن الشيء الجديد في كتاب (بوديه) هو ذكره بالتفصيل لقسم من الوقائع التاريخية عن حياة الرسول ، وإن كان قد اختـار ما يعتقد أن فيه مجالاً للطعن ، ثم أضاف الى ذلك كثيراً من الأساطير السخيفة والمزاعم الوقحة . وعند البحث في تعاليم الإسلام يستشهد (بوديه) بكثير من الآيات القرآنية التي ترجمها إلى الفرنسية ، ولكنه وجّه اهتمامه إلى الآيات التي فيها ذكر المسيحية فادعى مخالفتها لما ورد في الكتاب المقدس .

أدوارد بوكوك :

تشير كل الدلائل إلى أن الأوربيين أخذوا في القرن السـابع عشر يشعرون بضرورة الرجوع إلى المصادر العربية نفسها ليستطيعوا دراسة حياة محمد بصورة علمية — موضوعية ، وليعرفوا تعاليم الإسلام معرفة صحيحة . وكان ينتظر من المستشرقين الذين احتلوا منابر التدريس في الجامعات الكبرى إذ ذاك أن يقوموا بهذه المهمة . ولكن من الغريب أن يكون أول كتاب ينشر لهذه الغاية هو (تاريخ مختصر الدول) . فإن مؤلف هذا الكتاب (أبا الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي) « نسبة إلى (ملاطية) في الأناضول ، هو من رجـال الكنيسة وعلماء اليعاقبة . وكان أبوه يهودياً ، ثم اعتنق المسيحية ، ولذلك لقب (بابن العبري) (Bar Hebraeus) واشتهر بهذا الاسم بين العرب ، بينما عرف عند الأوربيين باسم (أبي الفرج) . وقد عاش في القرن السابع الهجري (٦٢٤ — ٦٨٥) أي في عهد غارات الصليبيين

والمغول ، واتصل بزعيم المغول (هولاكو) الذي عينه رئيساً لأساقفة السريان اليعاقبة في الولايات الشرقية ، فقام بنشر المذهب اليعقوبي ، وأسس كثيراً من الكنائس ، كما يذكر هو في كتاب آخر له عنوانه (تاريخ الكنائس السريانية) . وعلى كل فهو من الكتاب المتأخرين الذين اقتصروا على النقل والتلخيص عن القدماء ! وليس لكتابه ، الذي ألفه بالعربية والسريانية ، قيمة تاريخية كبيرة عدا ما تضمنه من أخبار مدسوسة مثل فرية حرق مكتبة الإسكندرية بأمر من عمر بن الخطاب .

لم يكن عبثاً أن يقدم المستشرق الانكليزي المشهور (أدوارد بوكوك Edwar Pocock) [١٦٠٤ — ١٦٩١] على اختيار هذا الكتاب ، فقام بنشر النص العربي مع ترجمته إلى اللاتينية ، وأضاف إليه كثيراً من التعليقات والهوامش والملاحظات (في سنة ١٦٦٣) . ثم تكرر طبع الكتاب في أوربة ، وترجم في القرن الثامن عشر إلى اللغة الألمانية .

كان (بوكوك) قد درس اللاهوت في جامعة (أوكسفورد) ، وتعلم العربية ثم عيّن قسيساً للجالية الإنكليزية في حلب ، حيث أقام مدة خمس سنوات ، واتصل بعلماء المدينة ، وتوسع في دراسة اللغة العربية . وفي سنة ١٦٣٦ استدعي إلى جامعة (أوكسفورد) استاذاً للغة العربية . وقام برحلة ثانية إلى الشرق لجمع المخطوطات . وفي طريق عودته اجتمع في (استانبول) سنة ١٦٤٠ برجل الدولة الهولندي (غروتيوس Grotius) الذي كان يعيش منفياً هناك ، وبحث معه في مشروع ترجمة رسالة (غروتيوس) عن « حقيقة الديانة المسيحية » إلى اللغة العربية ونشرها في الشرق .

لقد كان (بوكوك) ، مثل غيره من المستشرقين في عصره ، يهدف إلى التبشير بالمسيحية والدفاع عنها . ولم يكن الأوربيون عامة يهتمون في تلك الأيام بالدراسات الشرقية والاطلاع على عادات الشرقيين وأخلاقهم مما

يساعد على فهم أعمق للبيئة التي حدثت فيها القصص المذكورة في الكتب المقدسة ، وبالتالي مما يفيد في تفسير هذه الكتب . ولما احتدم الجدال والنزاع بين الكاثوليكية والبروتستانتية في القرنين السادس عشر والسابع عشر أسرع الطرفان المتخاصمان إلى استخدام الدراسات الإسلامية وسيلة للطعن بعضهم في الآخر .

هوتنغر :

يتجلى لنا هذا القصد خاصةً في كتاب المستشرق السويسري المعروف (يوهان هاينريخ هوتنغر Johann Heinrich Hottinger [١٦٢٠ — ١٦٦٧] عن « تاريخ الشرق » الذي نشره في زوريخ سنة (١٦٥١) والذي يتكلم فيه على حيـاة محمد وعلى تعاليم الإسلام . وكان (هوتنغر) قد درس اللغات الشرقية في (غوتنغن) بألمانية و (ليدن) بهولندة ثم تولى تدريس تاريخ الكنيسة واللغات الشرقية في (زوريخ) . وقد حاول في كتابه « تاريخ الشرق » أن يقدم وصفاً دقيقاً لبلاد الشرق وحياة سكانها من كل النواحي ، وتوسع نسبياً في رواية تاريخ العرب ، ولا سيما حيـاة الرسول (ﷺ) وسيرة الصحابة . ويلاحظ أنه استفاد من مؤلفات المستشرقين قبله وزاد عليهم . وقد خصص الفصل السادس كلّه من كتابه للبرهان على أن الحجج التي يأتي بهـا الكردينال (بلّرمين Bellarmin) اليسوعي في كتاب الصلوات للدفاع عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية هي مقتبسة عن المذاهب الإسلامية . وكان (هوتنغر) إنما يرد بذلك التهمة ذاتها التي حاول الكاثوليك إلصاقها بالعقيدة البروتستانتية .

ولا يغفل (هوتنغر) عن تذكير القراء بأن كتابه يهدف قبل كل شيء إلى « معارضة الإسلام ومقاومة سيطرة الأتراك » ، لأن هذه الصبغة الدينية —

كان من شأنها أن تزيد في رواج الكتاب . وفي الواقع فاننا نراه ، كلما اضطر إلى ذكر شيء من فضائل الرسول وأصحابه ، يسرع فيتبع ذلك بسيل من الشتائم خوفاً من أن يتعرض إلى النقد واللوم . ولابد من الإشارة إلى أن كتاب (هوتنغر) ظل يعتبر لدى الأوربيين من أهم المراجع عن تاريخ العرب لمدة طويلة من الزمن .

نشر القرآن وترجمته :

بعد الغارة الصليبية الأولى رأى رجال الكنيسة أن استيلاء الأوربيين على البلاد المقدسة لم يأت بالنصر الحاسم ، ولم يؤد إلى اعتناق المسلمين للمسيحية ، بل على العكس من ذلك قد نتج عنه أن تركت حضارة المسلمين وعاداتهم وطريقة معيشتهم تأثيراً ملموساً في الصليبيين . عند ذلك قامت بعض الأصوات تدعو الى ضرورة استخدام الوسائل الفكرية في محاربة الإسلام .

وكان في مقدمة هؤلاء (بطرس المحترم Petrus Venerabilis [١٠٩٢ - ١١٥٦] الذي أوفد في عام ١١٤١ إلى إسبانية لتفقد رهبان جماعته والتوسط بالصلح بين (الفونس السابع) ملك (قشتالة) و (الفونس الأول) ملك (آراغون) وبذلك سنحت له الفرصة للاطلاع على المناقشات بين المسلمين والمسيحيين في إسبانية وعلى سياسة الموحدين الدينية فتيقن « أنه لا سبيل إلى مكافحة العقيدة المحمدية إلا بالحجج العقلية وقوة المنطق ومظاهر الحب » حسب قوله . ورأى أن الشرط الأول لاتباع هذه الطريقة هو معرفة آراء الخصم جيداً . لذلك قرر العمل على ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية .

وقد اجتمع في إسبانية برجلين من رجال الدين المسيحيي هما : (روبرتوس كيتينزيس Robertus Ketenesis) الانكليزي و (هرمانوس دالماتا Hermanus Dalmata) النمساوي ، اللذان كانا يعرفان اللغة العربية ويدرسان

علم الفلك واستطاع استمالتها لتحقيق مشروعه بعد أن وعدهما بمكافأة كبيرة . فتولى (كيتينزيس) ترجمة القرآن بينما قام (دالماتا) بنقل ثلاث رسائل جدلية من العربية إلى اللاتينية . والرسالة الأولى تتضمن أجوبة الرسول على أسئلة عالم يهودي اعتنق الإسلام ؛ والثانية ، التي تنتهي سلسلة الرواة فيها إلى (كعب الأحبار) ، عبارة عن عرض أساطيري لنسب الرسول وولادته وطفولته ؛ والثالثة تشتمل على خلاصة للتاريخ الإسلامي حتى مقتل الحسين .

ولم تنشر هذه الترجمة للقرآن والرسائل الثلاث إلا بعد (٤٠٠) سنة إذ قام (تيودور بيبلياندر Theodor Bibliander) ، أحد علماء اللاهوت السويسريين بطبعها في مدينة (بال) عام ١٥٤٣ ، ثم أعيد الطبع في سنة ١٥٥٠ . وهذه الترجمة يشوبها كثير من الأخطاء ، وهي لا تتقيد بالأصل في تركيب الجمل وترتيبها ، ولا تراعي خصائص أسلوب القرآن وتقتصر في الغالب على محاولة التعبير بصورة مجردة عن المعاني الواردة في مختلف مقاطع السور .

ويبدو أن الكنيسة لم تكن ترغب في نشر نص القرآن أو ترجمته دون الرد عليه . لذلك نرى أن أول طبعة لنص القرآن الكامل التي نشرها (باغانيني Paganini) في البندقية سنة (١٥٣٠) قد أحرقت جميع نسخها في الحال بأمر من البابا (بولس الثالث) . وقد أصدر البابا (اسكندر السابع) أمراً يمنع فيه طبع نص القرآن أو ترجمته مدة توليه البابوية (١٦٥٥ — ١٦٦٧) ولم يجسر القسيس الألماني (ابراهام هينكلمان Abraham Hinckelmann) في (هامبورغ) على نشر طبعة كاملة للقرآن إلا في سنة (١٦٩٤) . وقد قدم لها بكلمة يدافع فيها عن نفسه قائلاً : «من الضروري أن نعرف القرآن معرفة دقيقة إذا أردنا مكافحته وتمهيد السبيل لانتشار المسيحية في الشرق ...»

عدا أن اللغة العربية قريبة من اللغة العبرية ، فهي ضرورية لفهم الكتاب المقدس ... »

عندئذ رأي البابا (اينوسنس الحادي عشر) أنه من الأفضل أن يتولى أحد رجاله نشر نص القرآن مع ترجمته والرد عليه في وقت واحد ، فعهد بذلك إلى الراهب (ماراتشي) .

«المرعشي» :

كان هذا الراهب يرجع بأصله إلى سورية واسمه هو (المرعشي) . ولكنه عاش في إيطاليا بمقر البابوية وعرف باسمه الطلياني المحرف قليلاً عن العربية (لودوفيقو ماراتشي Ludovico Marracci) . وقد نشر في روما سنة ١٦٩١ كتابه « في الرد على القرآن » ثم أتبعه بالنص العربي مع الترجمة اللاتينية والتعليقات . وهو يقول إنه قضى (٤٠) عاماً في دراسة القرآن وكتب التفسير العربية ليستطيع محاربة الإسلام بأسلحته نفسها . ولا شك في أن المرعشي كان يعرف اللغة العربية معرفة جيدة ولذلك ظل المستشرقون يعتمدون عليه في العصور التالية . وقد قدم لكتابه « في الرد على القرآن » بترجمة حياة الرسول مستنداً إلى المصادر العربية . وهاكم ما يقوله في الاحتجاج لعمله ، وهو ما يكرره جميع المستشرقين :

« لو أردت وصف حياة (محمد) حسب رواية كتابنا لتعرضت إلى سخرية المسلمين . فإن هناك اختلافاً كبيراً بين ما نتناقله نحن عن (محمد) وبين ما يرويه المؤرخون المسلمون ، حتى أن القارئ لا يكاد يصدق أن الكلام في الحالتين يدور حول الشخص ذاته . لذلك سوف أتبع المؤرخين المسلمين ، ليس لأنني أعتقد بصدق كل ما يقولونه ، بل لأننا إذا أردنا مكافحة أعداء الدين لا بد لنا من أن نحاربهم بأسلحتهم . أضف إلي ذلك أن الكثيرين من كتابنا

يذكرون أموراً عن (محمد) لا يمكن أن تثير لدى المسلمين إلا السخرية ، ولا تزيدهم إلا تمسكاً بعقائدهم الباطلة . »

بعد هذه المقدمة هل يعقل أن يصدر المؤلف حكماً عادلاً ، منصفاً على الرسول (ﷺ) ؟

ريلاند :

منذ أواخر القرن السابع عشر ظهر اتجاه جديد في الدراسات عن الإسلام يتمثل لنا بصورة خاصة لدى المستشرق الهولندي (هادريان ريلاند Hadrian Reland) [١٦٧٦ — ١٧١٨] ، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (اوترخت) . وكتابه (في الديانة المحمدية De religione Mohammedica) الذي نشر سنة ١٧٠٥ وأعيد طبعه بعد سبع سنوات ، يعتبره المستشرقون الدراسة العلمية الأولى للدين الإسلامي وللسيرة النبوية .

إن الكتاب عبارة عن خلاصة للعقائد الإسلامية ، باللغتين العربية واللاتينية ، حاول فيه المؤلف أن يصحح الآراء الشائعة لدى الأوربيين ، والغريبة جداً ، عن الإسلام .

وقد أثار الكتاب ضجة كبيرة ، واهتماماً زائداً ، واتُّهم المؤلف بأنه يقصد الدعاية للاسلام . ولا حاجة إلى القول بأنه كان ، على العكس ، يريد الدفاع عن المسيحية . وعلى الرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية وضعت الكتاب في قائمة المؤلفات المحرمة فقد تُرجم إلى اللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية والهولندية والإسبانية . وظل المستشرقون مدة طويلة يعتمدون عليه في أبحاثهم عن الإسلام .

وتتجلى لنا وجهة نظر (ريلاند) في مقدمة كتابه التي يتساءل فيها : « هل يعقل أن يعتنق الملايين من البشر الديانة الإسلامية لو كانت منافية للعقل وسخيفة كما يدعي المؤلفون المسيحيون ؟ » ثم يضيف قوله : « لندع

المسلمين أنفسهم يصفون لنا ديانتهم . ألا نرى أن التعاليم اليهودية والمسيحية قد شوهت من قبل الوثنيين ، والتعاليم البروتستانتية من قبل الكاثوليك ؟ إنه لا يمكن معرفة حقيقة أي ديانة بالاستناد إلى أقوال خصومها . إننا جميعاً بشر ، أي كائنات معرضة إلى الخطأ ، كثيراً ما نستسلم إلى أهوائنا في المسائل الدينية خاصة . ثم كيف يجوز أن نحاول مجادلة المسلمين دون أن نعرف عقائدهم معرفة جيدة ؟ وها هي الفرص المناقشة المستنيرة تزداد يوماً بعد يوم بسبب نمو العلاقات واتساعها بين الأوربيين والمسيحيين في تركية وإفريقية وفارس والهند الهولندية . . ، حيث نشاهد مع الأسف الكثيرين من المسيحيين يلطخون اسم المسيحي بالعار . . . » وهو يخشى أن توجه إليه التهم بسبب هذه الدراسة . ولكنه لم يقبل أن يرجع عن هدفه . « فالحقيقة يجب البحث عنها مهما كانت المصاعب . لذلك أريد في كتابي هذا وصف الديانة المحمدية ، ليس كما تبدو لنا من خلال ضباب الجهل وخبث البشر ، بل كما تدرس حقاً في مدارس المسلمين ومعابدهم . . . » ويختم (ريلاند) مقدمته قائلاً :

« إذا أراد الناس ، رغم كل ما قلته ، أن يتمسكوا بالخرافات السخيفة فذلك شأنهم . إن تجارب الحياة تبرهن لنا كل يوم على أن الناس ينقادون بسهولة إلى الأحكام السابقة ، المتوارثة وأنهم يفضلون الخداع والغش على معرفة الحقيقة . . . » .

الدكتور كامل عياد

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٥ —

١٣٩) المادي

في الأصل . — عنق الإنسان [انظر الرقم ٢٠] .

* * *

١٤٠) عنق الإنسان

في الأصل . — عنق الإنسان ، مذكر ومؤنث [انظر الرقم ٢٠] .

* * *

١٤١) القَصَرَة

ف Base du cou

ن Base of neck

في الأصل . — أصل العنق المركب الكاهل .

في (ق) . — بعد معانٍ عديدة ؛ وزِمكَّى الطائر وأصل العنق ج أقصار . والقَصَر محركةً ، أصول النخل وأعناق الناس ، ويُبْس في العنق . [رؤوس عظام القصرة هي الوقائص] .

قلت : القَصَرَة أ) لأصل العنق أليست هي (الفقرة السابعة من العنق في الإنسان ؟) .

ب) لمعنى زِمكّى الطائر هي باللغتين :

ف Croupion (m.) ; uropyge ; uropygium

ز Uropygium ; bird's rump

★ ★ ★

١٤٢) الصَّليفان

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ناحيتا العنق .

في (ق) . — الصليف كأمير عُرْض العنق وهما صليفان أو هما رأس الفقرة التي تلي الرأس من شقّيها .

★ ★ ★

١٤٣) اللّيت

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ما خلف مذبذب القرط .

في (ق) . — الليت بالكسر صفحة العنق .

★ ★ ★

١٤٤) السالفتان

ف Encolure

ز . . . . .

في الأصل . — صفحتا مقدم العنق يميناً وشمالاً .

في (ق) . — السالفة ناحية مقدم العنق من القرط إلى قلب الترقوة . ومن الفرس هاديته أي ما تقدم من عنقه .

قلت : هي في الفَرَس (Encolure بالفرنسية) و (Neck and shoulder of a horse بالانكليزية) . وتطلق بالفرنسية مجازاً على عنق الإنسان أيضاً (*) . فهل لنا أن نضع الكلمة الفرنسية مقابلاً للعربية ؟

★ ★ ★

(*) Homme d'une robuste encolure (: cou)

١٤٥) الدَّايات

ف Vertèbres cervicales

ز Cervical vertebra

في الأصل . — فقار العنق . واحدها داية .

في (ق) . — دَأْيٌ ، ودُئِي ، ودِئِي : فقر الكاهل والظهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه في ملتقاه وملتقى الجنب ، والدايات أضلاع الكتف ثلاثةٌ من كل جانب أو هي خرزات العنق ، أو خرزات الفقار .

قلت : إذا أُريد بالداية تخصيصاً للفقرة الثانية في العنق ، فيقابلها بالفرنسية والانكليزية Axis وهو الفائق [انظر الرقم ٢٠] .

* * *

١٤٦) الملباوان

ف ، ز . . . .

في الأصل . — عصبتان صفراوان تأخذان من أصل الفقار إلى الكاهل بينهما أخدود .

في (ق) . — العَلَب محركةً ، داء يأخذ في الملباءين ، وعلباء البعير : عصبُ عنقه .

* * *

١٤٧) الأَخْدَع

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — عرق من عرض العنق . ج أَخادع .

في (ق) . — عرق في المَحْجِمين وهو شعبة من الوريد . ج أَخادع .

قلت : جاء في كتاب المُثَنَّى لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي [تحقيق عز الدين التنوخي ـ مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٦٠

المجلد ٣٥ ص ٤٤٨] ما أذكره فيما يلي للفائدة :

العرقان اللذان يكتنفان الأنف هما	:	الناظران	Veine nasale
فاذا صارا إلى الحلــــق فهما	:	الوَريدان والوَدَجان	Jugulaire
« استظهرا القفا «	:	الأَخْدَعان	Occipitale
« استبطنا اللسان «	:	الصُّرَدان	Linguale
« انحدرا في العضدين «	:	الأَكْفَّان	Humérale
« « في الذراعين «	:	الأكحلان (؟)	Céphalique
« « في المتنين «	:	الأَبْهَران (*)	Dorsal
« « إلى الفخذين «	:	النَّسَيان	Fémorale
« « إلى الساقين «	:	الصافنان	Saphène

★ ★ ★

١٤٨) الوِداجان

ف Veine jugulaire

ز Jugular vein

في الأصل ٠ — الوادجان العرقان اللذان يقطعهما الذابح [قلت : الصحيح الوداجان] كما وضعتها مصححةً في (الرقم ١٤٨) .

في (ق) ٠ — الوَدَج محركةً عرق في العنق كالوِداج بالكسر ، والوَدَجان الأَخَوان .

قلت : وُضعت الكلمة الفرنسية لما يقابل وِداج (المفرد) وصفاً للوريد (= وريد وِداجي) .

★ ★ ★

١٤٩) الحبل = العاتق

ف ، ز . . . . .

(*) الأبهر : الظهر وعرق فيه كما في (ق) .

في الأصل . — (حبل العاتق) : العصبة الممتدة من العنق إلى المنكب .

في (ق) . — الحبل ، العاتق والطريق التي بين العنق ، وعصبة بين العنق والمنكب ، وعرق في الذراع وفي الظهر .

ملاحظتي . — العاتق هو المنكب . والحبل : العاتق ... الخ ما ذكر في (ق) من المعاني . فقوله في الأصل (حبل العاتق) خطأ عن النسخ والصحيح (الحبلُ : العاتق : أو هو العصبة الممتدة ... الخ الشرح) كما جعلتُها مصححةً (في الرقم ١٤٩) . ثم إن كثرة المعاني مما يحيّر من يحاول التخصيص لما يقابل كلمةً أفرنجية بعينها .

★ ★ ★

١٥٠) العنق

(انظر الرقم ٢٠)

★ ★ ★

١٥١) الأجْيد

ف Doué d'un long cou

ز . . . . .

في الأصل . — الطويل العنق .

قلت : الجَيَد (Long cou) ومثله العنط (بالنون) محركةً وهو طول العنق وحسنه ومنه الاعنط . وكذا العَيَط (بالياء) محركةً وهو أعيط وهي عيطاء . ويرادف الأجيد : الأعنق وهو الطويل العنق .

★ ★ ★

١٥٢) الأوْقص

ف Qui a le cou très court

ز . . . . .

في الأصل . — القصير العنق .

في (ق) . — الوَقْص قِصَر العنق . وقص كفرح فهـــو أوقص وأوقصه الله صيّره أوقص .

قلت : الوقص محركةً يوافق (Cou très court) .

★ ★ ★

١٥٣) المَنْكِب (= الكتِف)

ف Épaule (m.)

ز Shoulder

في الأصل . — المنكب رأس الكتف والعضد والعاتق موضع الرداء .

في (ق) . — المنكب مجتَمَع رأس الكتف والعضـــدِ [(العاتق) للمنكب ، و (العضد) ما بين المرفق إلى الكتف] .

ملاحظتي . — قوله في الأصل (والعاتق موضع الرداء) يوهم أنه يشرح (العاتق) عضواً مستقلاً مع أنه هو (المنكب) . فلا يتبين المعنى من العبارة كلها إلا إذا جُملت : (المنكبُ رأس الكتفِ والعضدِ وهو العاتق موضع الرداء) باضافة (وهو) فتستقيم العبارة ويصح الشرح . ويجوز أن يقال : [المنكبُ رأسُ الكتفِ والعضدِ ، والعاتقُ موضعُ الرداءِ ، (بوضع فارزة بين العضد والعاتق ووضع ضمة على العاتق) فيكون (العاتقُ) تفسيراً آخر للمنكب و (موضعُ الرداء) بدلاً] وهو صحيح لكنه تخريج متكلَّف ، هذا ويأتي بعد ذلك (العضـــد وشرحه) كما يلي في (الرقم ١٥٤) . ولم ينتبه إليها المحقق .

في (ل) . — هو مفصل النَّقا (= عظم العضد) بزُنَّار الكتف . وعلى التوسع ، جميع القسم العلوي من الطرف العلوي أو الأمامي .

★ ★ ★

١٥٤) العَضُد

ف Bras (m.)

ز Arm

في الأصل . — العضد ما بين الكتف إلى الذراع .

في (ق) . — العضد ما بين المرفق إلى الكتف .

في (ل) . — القسم الأول من العضو العلوي للإنسان ، بين الكتف والمرفق ، وعلى التوسع ، العضو العلوي بكامله .

ما أضفته :

١ً — ُعضاد (ألم الضفيرة العضدية العصبي)

ف Brachialgie ; névralgie du plexus brachial

ز Brachialgia

٢ً — عضدي

ف Brachial

ز Brachial ; arm - brachial ; armbrachialis

★ ★ ★

١٥٥) العَضَلة

ف ، ز Muscle (m.)

في الأصل . — لحمة العضد .

في (ق) . — كل عصبة معها لحم غليظ .

في (ل) . — عضو مؤلف من ألياف قابلة للاستثارة والتقبض ، تحقّق في الحيوانات الحركة . في الإنسان يميَّز : عضلة مخطّطة سريعة التقبض[١] ، وعضلة ملساء بطيئة التقبض[٢] .

١) Muscle strié [striped ; striate (d) ; streaky]

٢) Muscle lisse [smooth]

أهم ما أضفته (*) :

١ — عضلة باسطة

ف Muscle extenseur
ز Extensor muscle

٢ — عضلة خافضة

ف Muscle abaisseur
ز Depressor muscle

٣ — عضلة ذات رأسين

ف ، ز Muscle biceps

٤ — عضلة رافعة

ف Muscle élévateur
ز Elevator muscle

٥ — عضلة شوكية

ف Muscle épineux
ز Muscle spinalis

٦ — عضلة قابضة

ف Muscle flaichisseur
ز Flexor muscle

٧ — عضلة مبعِّدة

ف Muscle abducteur
ز Abductor muscle

٨ — عضلة مدوَّرة

ف Muscle rond
ز Muscle teres

(*) للاستزادة يُرجع إلى معجم (المصطلحات الطبية الكثير اللغات ، كلمة Muscle) .

٩ — عضلة مربّعة

ف Muscle carré
ز Muscle quadratus

١٠ — عضلة مقرّبة

ف Muscle adducteur
ز Adductor muscle

١١ — عضلة مقفقّة (= منْعِظة) الشعَر

ف Muscle horripilateur. érecteur ; piloassecteur
ز Erector muscle ; rouser muscle ; arrector pilorum

١٢ — عضلة مضادّة

ف Muscle antagoniste
ز Antagonistic muscle

وعلى وجه عام :

آ — عُضال

ف Myalgie
ز Myalgia

يرادفها : وجع عضلي ، ألم عضلي

ف Myodynie
ز Myodynia

ب — عضلي

ف Musculaire
ز Muscular

ج — فقد القوّية العضلية

ف Myatonie
ز Myatonia

د — واهن العضلات

ف Myasthénique

ز Myasthenic

هـ — وَهْن عضلي

ف Myasthénie

ز Myasthenia

و — بدين (= لَحْمي ، لَحِيم)

ف Musculeux ; charnu ; robust

ز Brawny

★ ★ ★

١٥٦) الضَّبْعان

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — مما يلي الجنبين .

في (ق) . — الضَّبْع العضد كلها أو وسطها بلحمها ، أو الإبط ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه . ج أَضباع .

قلت : أليس هو ، العضلة ذات الرأسين العضدية ؟

Muscle biceps brachial [m. biceps brachii]

★ ★ ★

١٥٧) القبيح

ف Tête de l'humérus

ز Head of the humerus

في الأصل . — رأس العضد الذي يلتقي مع رأس الذراع .

في (ق) . — طرف عظم العضد مما يلي المرفق أو ملتقى الساق والفخذ كالقَباح كسحاب .

★ ★ ★

١٥٨) الإبرة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — رأس الذراع الذي يلي العضد .

في (ق) . — . . . وعظم وترة العرقوب وظرف الذراع من اليد أو عظم مستو من طرف الزند من الذراع إلى طرف الإصبع ، وما انحدّ من عرقوب الفرس . . . . الخ .

★ ★ ★

١٥٩) الساعد = الذراع

ف Avant - bras (m.)

ز Fore - arm

في الأصل . — الساعد ، الذرع ، واحد .

في (ق) . — ساعداك ، ذراعاك ، ومن الطائر جناحاه .

في (ل) . — قسم من العضو العلوي بين المرفق والمِعْصَم (= رُسْغ اليد) .

★ ★ ★

١٦٠) الزَّنْدان

ف Cubitus (m.)

ز Ulna

في الأصل . — العظمان اللذان اجتمعا فصارا ذراعاً .

في (ق) . — الزَّنْد موصل طرف الذراع في الكف ، وهما زَنْدان ؛ والعود الذي تُقدح به النار .

في (ل) . — أضخم عظم من عظمي الزند ، في رأسه العلوي بروز يسمى الناتئ المرفقي [١] (هو القسم البارز من المِرْفق) .

١) Olécrâne [olecranon]

قلت : العظم الآخر الذي إذا اجتمع مع الأضخم ليصيرا ذراعاً ، هذا العظم هو (الكُعْبُرة Radius) .

ما أضفت :

١ً — زند أَرْوَح

ف ، ز Cubitus - varus

٢ً — زند أفْحَج

ف ، ز Cubitus - valgus

٣ً — زَنْدي

ف Cubital ; ulnaire

ز Cubital ; ulnar

٤ً — كُعْبري

ف ، ز Radial

* * *

١٦١) الكُوع

ف Coude (du bras)

ز Elbow

في الأصل . — رأس الذي يلي أصل الخنصر [يعني رأس العظم الذي ...] .

في (ق) . — طرف الزند الذي يلي الإبهام كالكاع . أو هما طرفا الزندين في الذراع مما يلي الرسغ . أو الكوع طرف الزند الذي يلي الإبهام ؛ والكاع طرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الكرسوع (قلت : انظر الرقم التالي ١٦٢) ؛ أو الكوع أخفاهما وأشدهما دَرَمةً والدَّرَم ألاَّ يظهر للعظم حجم) ؛ والأكْوَع العظيم الكاع ومن أقبل رسغاه على مَنْكِبيه وقد كَوِع كفرح .

في المتن . — الكوع والكاع : طرف الزند الذي يلي الإبهام : أو من أصل الإبهام إلى الزند (أو الكوع : الذي يلي الإبهام . والكاع : الذي يلي الخنصر وهو الكرسوع) أو الكوع أخفاها . . الخ ما جاء في (ق) .

ملاحظتي . — شرح الأصل يناقض تعريف (ق) و (المتن) . لاحظ هذا التناقض كذلك في الرقم التالي (١٦٢ - الكرسوع) .

★ ★ ★

١٦٢) الكُرْسوع

ف ، ز . . . .

في الأصل . — رأس الزند الذي يلي الإبهام (بل هو القلب « ! ») .

في (ق) . — طرف الزند الذي يلي الخنصر الناتئ عند الرسغ ، أو هو طرف الوظيف مما يلي الرسغ من وظيف الشاء ونحوها من غير الآدميين .

في المتن . — طرف الزند مما يلي الخنصر ، وهو الناتئ عند الرسغ . ومن القدم : مفصلها من الساق ، أو عُظَيْم في طرف الوظيف مما يلي الرسغ من وظيف الشاة ونحوها من غير الإنسان .

ملاحظتي . — هي كما في الرقم (١٦١ — الكوع) . والخطأ ناجم عن النسخ والنقل ولا ريب . فالناسخ كتب شرح الأولى للثانية ذهولاً .

ما أضفته :

١) كراديس (= رؤوس العظام)

ف Têtes des os

ز Heads of bones

٢) رأس مفصلي لعظم

ف Tête articulaires (d'un os)

ز Articular head

٣) رُؤَيْس مَفْصِل

ف Tête (petite) d'une articulation
ز Small articular eminence ; small head

٤) مَفْصِل ، مَوْصِل

ف Articulation ; jointure
ز Articulation ; joint

٥) (فَخَخ) ، مفصل ارتفاقي

ف Articulation polichinelle ; amphiarthrose
ز Loose - joint ; flail - joint

٦) مفصل بَكَري ، رزَّة زاوِيَّة

ف Articulation trochléenne ; ginglyme angulaire
ز Hing - joint ; ginglymus

٧ — مفصل ثابت ، دَرْزٌ (= إلتحام)

ف Synarthrose ; suture
ز Synarthrosis ; suture

أنواعــه :

آ — اِنسجامي :

ف Harmonique
ز False , harmonic suture

ب — حَرْشَفي

ف Écailleuse
ز Squamous suture

ج — مُحزَّز

ف Dentée
ز **Dented , dental suture**

٨) مفصل حُقّي

ف Enarthrose
ز Enarthrosis

٩) مفصل حَيْدي أو لُقْمي

ف Articulation condylienne ; condylarthrose
ز Condyloid joint ; condylarthrosis

١٠) مفصل سَلِس

ف Diarthrose
ز Diarthrosis

١١) مفصل مدوّري ، رزّة جانبية

ف Articulation trochoïde ; ginglyme latérale
ز Trochoid , rotary , pivot - joint

١٢) مفصل مسطّح

ف Arthrodie
ز Arthrodical , gliding joint ; arthrodia

١٣) مفصل مُشاشي ، غضروف الاتصال

ف Jointure épiphysaire ; cartilage de conjugaison
ز Epiphyseal cartilage

١٤) مفصل مُوهِم

ف Pseudarthrose
ز Pseudarthrosis

١٥) مفصل وتدي أو مسماري

ف Gomphose
ز Gomphosis

★ ★ ★

١٦٣) الأَسَلَة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — مستدَقّ الذراع .

في (ق) . — من اللسان طرفه ، ومن النصل والذراع مستدقه ، ومن النصل رأسها [انظر الرقم ٩٤ أيضاً] .

ملاحظتي . — أرى التخصيص باضافة الذراع (أسلة الذراع) تمييزاً من (أسلة اللسان) .

★ ★ ★

١٦٤) المِعْصَم (= رُسْغ اليد)

ف Poignet ; carpe

ز Wrist

في الأصل . — موضع السوار .

في (ق) . — موضع السوار من اليد .

في (ل) . — هو المفصل الذي يصل اليد بالساعد .

قلت : والسِّنْط كذلك هو المفصل بين الكف والساعد وهو الرسغ .

أضفت :

آ — رُسْغي

ف Carpien

ز Carpal

ب — رُسْغ القَدَم

ف Tarse

ز Tarsus

ج) رُسغي (ما يتعلق برسغ القدم)

ف Tarsien

ز Tarsal

د) هبوط الرسغ

ف Tarsoptose

ز Tarsoptosis

يرادفه : ١ً) ألم رسغ القدم في اليفعان

ف Tarsalgie des adolescents

ز Tarsalgia

٢ً) قدم مَسْحاء فَحْجاء مؤلمة

ف Pied plat valgus douloureux

ز Tarsalgia

★ ★ ★

١٦٥) النَّواشر

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — عصب باطن الذراع والكف (*) .

في (ق) . — عصب من داخل وخارج أو عروق وعصب باطن الذراع أو العصب في ظاهرها . واحدتها ناشرة .

ملاحظتي . — في الأصل (النواشر عصب باطن الذراع ،) وجُعلت كلمة (والكف) متصلةً مع (المرفق) (والكف والمرفق .. الخ ما جاء في الرقم ١٦٦) من العبارة المضطربة . فصححتها بنقل (الكف) إلى شرح هذا (الرقم ١٦٥) وحذفتها من الرقم التالي .

★ ★ ★

١٦٦) المِرْفق

ف Coude (du bras) (m.)

ز Elbow

في الأصل . — مجتمع رأس العضد والذراع (« من باطن ») .

في (ق) . — المرفق كمنبر ومجلس ، موصل الذراع في العضد .

(*) أضفت هذه الكلمة نقلاً من الرقم (١٦٦ التالي) تصحيحاً لشرح الأصل هنا وتقويماً للعبارة المضطربة في الرقم (١٦٦) كما سترى .

في (ل) · — مفصل في الجزء الوسط من العضو العلوي يصل العضد بالساعد.

ملاحظتي . — في الأصل المطبوع (والكف والمرفق مجتمع رأس العضد والذراع باطن) . وهذا خطأ في النقل كانت منه هذه العبارة المضطربة . والصحيح هو أن تنقل (والكف) إلى نهاية شرح الأصل (في الرقم ١٦٥) كما فعلتُ . فيبقى (المرفق) وحده (للرقم ١٦٦) على أن تحذف كلمة (باطن) من العبارة الآنفة في شرحه ، أو يقال (من باطن) فتستقيم العبارة [المرفق مجتمع رأس العضد والذراع « من باطن »] كما وضعتها مصححة . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

١٦٧) الرُّسْغ = رسغ اليد (المِعْصَم)

(انظر الرقم ١٦٤ — المعصم) .

في الأصل · — طرف الذراع المحدد .

وفي (ق) · — الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرِجْل ؛ أو مفصل ما بين الساعد والكف والساقِ والقدمِ . ومثل ذلك من كل دابة .

★ ★ ★

١٦٨) الكَفّ

ف Paume (f.)

ز Palm (of the hand)

في الأصل · — لم يُذكر لها تعريف .

في (ق) · — اليد أو إلى الكوع . ج أكُفّ وكُفُوف .

في (ل) · — هو جوف اليد .

قلت : الكف في الحيوانات أو الخُفّ أو الرِجْل هو Patte بالفرنسية ، و Paw بالانكليزيه .

ما أضفته :

أولاً ـــ اليد

ف Main (f.)

ز Hand

في الأصل . ـــ ليس لها ذكر .

في (ق) . ـــ اليد : الكفّ أو من أطراف الأصابع إلى الكتف . أصلها يَدْيٌ ج أيْدٍ ويُدِيّ جج أياد . وهما يدان ويَدَيان .
ورجُلٌ مَيْدِي مقطوع اليد ، واليُداء كدعاء ، وجع اليد.

في متن اللغة . ـــ اليد وتُشدّ الدال ، الكفّ أو من أطراف الأصابع إلى الكتف أو إلى المنكب « انثى » أصلها يدْيٌ . مثناها يدان ويديان . ج الأيدي . جج الأيدون . وجمع اليد أيضاً يُدِيّ جج الأيادي .

في (ل) . ـــ اليد جزء من جسم الإنسان ممتد من المعصم (*) [= رسغ اليد (١) إلى أطراف الأصابع (٢)] .

قلت : وهو ما يشتمل : عظم رسغ اليد (٣) والسِّنْع (أي مشط اليد (٤) ، والسلامى (٥) ، والسلامى الثانية (٦) ، والسلامى الصغار (٧) ، [= والسلامى الظُفرية (٨)] .

وإليك ما يقابل الأسماء باللغتين :

١) Poignet [Wrist]
٢) Extrémités des doigts [extremity or tip of the fingers]
٣) Os du carpe [Phalanx]
٤) Metacarpe [metacarpus]
٥) Phalange (Phalanx)
٦) Phalangine [second phalanx]
٧) Phalangette (= phalange unguéale) [distal, terminal,phalanx, phalangette]

وعلى وجه خاص :

١ — يدٌ خُطّافيَّة

ف Main en trident

ز Trident hand

٢ — يد الخَنْدَق

ف Main de tranchée

ز Trench hand

٣ — يد فَدْعاء

ف Main bote

ز Clubhand

٤ — يد القِرْد

ف Main de singe

ز Ape - hand ; monkey - hand

٥ — يد مِخْلَبية

ف Main en griffe (= griffe cubitale)

ز Claw - hand

٦ — يد كالمِلْقَط

ف Main en pince de homard

ز Cleft hand; lobster hand

٧ — يد المولِّد

ف Main d'accoucheur

ز Accoucheur's, obstetrician's hand

٨ — يد نَحيلة (ذات علاقة بقصور البيض)

ف Main hypogénitale

ز Circulatory disturbances the hand in girls , depending of ovarian insufficiency

٩ — يد هابطة

ف Main tombante
ز Wrid drop ; dropping wrist ; drop hand

١٠ — يد وارمة (ضخامة اليد)

ف Main succulente ; chiromégalie
ز Edema of the hand ; chiromegalia ; sueculent hand

١١ — يد الواعظ

ف Main de prédicateur; de bénisseur
ز Preacher's hand; benediction hand ; apostolic hand

١٢ — يد وَهْمية

ف Main fantôme
ز Phantom hand

وعلى وجه عام :

آ — يد الهاون (مُدُق)

ف Pilon
ز Pestle

ب — يدوي

ف Manuel
ز Manual

ج — عادةُ استعمال اليد اليسرى

ف Main gauche (habitude de se servir de la)
ز Lefthandedness

د — أضْبَط (الذي يعمل بيديه جميعاً)

ف Qui se sert également des deux mains
ز . . . . .

هـ — أعْسر (الذي يعمل بيده اليسرى)

ف Gaucher

ز Lefthanded

و — مُطرّف (اليدِ والبنان)

ف ، ز Manicure ; manucure

ثانياً — الظُّفْر (المِخْلَب)

ف Ongle (m.)

ز Nail

في الأصل . — ليس له ذكر .

في (ق) . — الظُّفر بالضم وبضمتين ، وبالكسر شاذ : يكون للانسان وغيره كالأُظفور ج أظفار وأظافير . والأظفر الطويل الأظفار العريضها .

في (ل) . — الظفر ، جزء قرني يستر سطح رؤوس الأصابع .

ما أضفته :

١ — أُطْرة الظفر العلوية أو الفوقانية

ف Replis sus - unguéal

ز Superior nail wall

٢ — جذر (الظُّفر)

ف Racine

ز Nail - root

٣ — حافَة ، حَدّ

ف Limbe

ز Limbus

٤ — سابقة الظفر ، مقدّمة

ف ، ز Eponychium

٥ — طبقات مولّدة

ف Assises génératrices
ز Germ layer

٦ — عِراق ، حَوِيّة

ف Bourrelet
ز Nailwall

٧ — عِراقان جانبيان

ف Replis latéraux
ز Lateral nail walls

٨ — فراش

ف Lit
ز Bed

٩ — ما حَوْل الظفر

ف ، ز Perionychium

١٠ — مَزالج جانبية لمنبت الظفر

ف Rainures latérales du lit de l'ongle
ز Nail groove or furrow

١١ — ميزْلج تحت الظفر

ف Rainure sous - inguéale
ز Inferior nail - folds

١٢ — مَنْبِت

ف Matrice
ز Matrix

١٣ — هُلَيْل

ف Lunule
ز Lunula

وعلى وجه عام :

آ) ظفر ناشب أو شاطب

ف Ongle incarné
ز Ingrowing nail

ب) ظُفْري

ف Unguéal
ز Ungual

ج) أظفَر (طويل الظُّفر)

ف Qui a les ongles très longs
ز . . . . .

د) تقليم الأظفار

ف Couper les ongle
ز Paring ; cutting off the nails

ه) ُقلامة (ُقصاصة الظفر (*))

ف Rognure d'ongle
ز Parings ; clipping of nails

و) وَبْش ، مَتْش

ف Taches blanches aux ongle
ز . . . . .

★ ★ ★

١٦٩) الأشاجع

ف ، ز . . . .

في الأصل . — هي مفرز الأصابع .

في (ق) . — أصول الأصابع التي تتصل بقصب ظاهر الكف . الواحد أشجع كأحمد وكإصبَع .

★ ★ ★

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

(*) انظر أيضاً الرقم (١٨٢) الفسيط ، الزنقير .

مجتمع الهمذاني

من خِلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

- ٢ -

٢ — الفصل الثاني

أدب الهمذاني وموضوعات مقاماته :

تنحصر آثار الهمذاني الأدبية في مقاماته ورسائله وديوان شعره . أما المقامات فقد رأينا أنه أملاها في نيسابور ، ورأينا ما قيل في سبب وضعها وسبقه إليها .

وجدير بنا أن نعرف أن المقامات المطبوعة (١) ناقصة ؛ فبعضها لم يطبع لما فيه من فحش وبذاءة ، وبعضها طبع ناقصاً كما هو الأمر في المقامتين الشيرازية والدينارية .

قال شارح المقامات الأستاذ الشيخ محمد عبده : « وها هنا ما ينبغي التنبيه عليه وهو أن في هذا المؤلَّف من مقامات البديع رحمه الله افتناناً في أنواع من الكلام كثيرة ، ربما كان منها ما يستحي الأديب من قراءته ، ويخجل مثلي من شرح عبارته ، ولا يجمل بالسذّج أن يستشعروا معناه ، أو تنساق أذهانهم إلى مغزاه ، وأعوذ بالله أن أرمي صاحب المقامات بلائمة تنقص من

---

(١) نعني طبعة الأستاذ الشيخ محمد عبده ، وهي التي اعتمدنا عليها في هذا البحث .

قدره ، أو أعيبه بما يحطّ من أمره ، ولكن لكل زمان مقال ، ولكل خيال مجال . وهذا عذرنا في ترك المقامة الشامية ، وإغفال بعض جمل من المقامة الرصافية وكلمات من مقامات أخرى .. [1] »

معنى المقامة : قد تدل كلمة « المقامة » على مكان وقوع الحادثة التي يرويها بديع الزمان كالمقامة البغدادية والاصفهانية والبصرية والقزوينية ... وقد تدلّ على موضوع الحادثة كالمقامة الأسَدية والدينارية والحِرزية . وهي ، سواء دلت على هذا أم ذاك ، عبارة عن قصة قصيرة . على ألاّ يذهب بنا الظن إلى أنها حوت شروط القصة الفنيّة ، وإن كان بعضها قد بلغ في هذا المجال مبلغاً جيداً كالمقامة المضيرية التي يقول الأستاذ مارون عبود بصددها : « وتمرّ بمقامات البديع فتعجب بالمقامة المضيرية إذ تراها قصة عصرية قد تنوء عن مضارعتها اليوم قصة في تحليل الشخصيات ودرس النفسيات [2] . » وأكثر ما تقوم عليه القصة عند الهمذاني أسلوب الحديث السرديّ يرويه لك عيسى بن هشام ، ولعل هذا ما دعا الدكتور شوقي ضيف إلى القول إن كلمة « المقامة » عند الهمذاني قريبة المعنى من كلمة « حديث » [3] وغالباً ما تدور هذه الأحاديث حول الكُدية ، وقد رأينا ذلك سبباً دعا إلى الربط بين عمل البديع وعمل الجاحظ [4] وأعمال المكدين فيها قائمة على المكر والخديعة .

وللمقامات أسلوبها الخاص ، تتحكم فيها الصنعة ويقيّدها فن البديع ولا سيا السجع والجناس ، ويكثر فيها الاقتباس والتضمين للأمثال والأشعار وأنصاف الأشعار ، وتستخدم فيها الصور البيانية ، وغالباً ما يختمها الهمذاني بأبيات من الشعر تلخّص المغزى منها ، وهو على الغالب مغزى غير خلقي ما دام إيجازاً لقانون السلب والمكر والخديعة ...

---

(١) مقدمة المقامات ص : ٧ .
(٢) بديع الزمان الهمذاني ص : ٣٦ .
(٣) المقامة ص : ٨ .
(٤) انظر ما سبق في ص : ١٥ .

وأهم من ذلك كله أن الهمذاني أنطق عيسى بن هشام، راويته، وأبا الفتح الاسكندري، بطله الخيالي، بكثير من أوصاف الحياة التي عاشها كل منهما، وجعلها يرسمان صورة قريبة من الواقع للمجتمع الذي ضمّهما وضمّ الهمذاني معهما، ولعل أوضح جوانب الصورة التي سنرى في المقامات جانب البؤس والفقر الذي وصفه أبطال المقامات، وجانب الأخلاق الفاسدة التي ابتدع أصحابها أروع ضروب المكر والدهاء في سبيل الوصول إلى القوت أو المال . . .

زد إلى ذلك ما أضفاه أبو الفضل الهمذاني على المقامات من مرح نفسه وخفّة روحه، حتى جاءت متعة مسليّة أغرت الناشئين بحفظها بما فيها من مفردات وعبارات وصور، وشغلت الكثيرين بما فيها من ظرف وفكاهة عما تطويه في ثناياها وتحمله معها من تصوير للحياة .

رسائله : رسائل بديع الزمان هي الكتب التي بعث بها إلى أهله وإخوانه وأصدقائه، وحدثهم فيها عن شوقه أو حياته، أو قصّ لهم فيها بعض ما جرى له من أمور (١) . وهي رسائل فيها المديح وفيها الشكر وفيها الاستعطاف وفيها السّباب وفيها الهجاء المرّ . والهمذاني فيها مبالغ في كل ما يقول؛ إن مدح فمديحه لا تسعه الأرض والسماء . وإن هجا سقى كأس الحنظل وأطعم القذر بالخردل .

وأما أسلوب الرسائل ففوق أسلوب المقامات صنعةً وتزويقاً، وزخرفة وتنميقاً . وللهمذاني فيها تلاعب بالألفاظ عجيب، حتى ان الخوارزمي سماها « شعبذة لفظية »، وما عرفنا كاتباً ينقاد له الجناس انقياده للبديع في هاتيك الرسائل، ولعل أروع من الجناس في الرسائل، بل أروع من الصنعة اللفظية فيها، ما يشغلك به البديع من المعاني حتى تندمج معه فتضحك للهوه، وتسخر لهزئه، وتضجّ لتذمّره وشكواه .

(١) كشف المعاني ص : ١٥١ .

ديوانه : ديوان الهمذاني [1] صغير الحجم ، ولكنه يحتوي على كثير من أغراض الشعر ؛ ففيه المديح وفيه الهجاء وفيه الرثاء وفيه الاعتذار وفيه الفخر ... وقد يتطرف الهمذاني في بعض قصائده فيخلط العربي بالفارسي ، وذلك أثر من آثار الثقافة الفارسية ، عرفناه عند غيره أيضاً من الكتّاب والشعراء من أبناء ذلك العصر .

على أن الجدير بالذكر أن الهمذاني لم يبلغ في الشعر ما بلغه في النثر من إجادة ونجاح .

خصائص أدبه : يقول الأستاذ مارون عبود : « لو أنصف الذين قسموا ميراث الأساليب القديمة لما حرموا البديع هذه الإمامة ، بل كان هو رأس هذه الطبقة لا ابن العميد . قال القدماء : بدئت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد . وأين ابن العميد من نابغتنا هذا ؟ » [2] والحق أن للهمذاني في الذين جاؤوا بعده أثراً لا ينتهي ؛ فلقد انسحب الكتّاب على ذيل أسلوبه حتى مطالع عصرنا الحديث ، ومع ذلك لم يبلغ أحد منهم في تصوير الشخوص ، وبعد الخيال ، وخفة الروح ، وإتقان الفن ، ما بلغه البديع .

لقد كان الهمذاني كاتباً صنّاعاً حذق « صنعة » اللغة ، وحفظ مفرداتها ، وأتقن رصفها ، فكان كصانع الفسيفساء الفنّ يأتي بقطعه الملوّنة البرّاقة فيعرضها عليك فتسرك ، ثم يغيّر تركيبها ويعيد عرضها فتسرّك أيضاً ، ثم يغيّر ويغيّر ويتلاعب بها كما يشاء له فنّه وذوقه فإذا هو ماهر في عرضه حاذق في تركيبه . وإلاّ فكيف نفسّر تحدّيه للخوارزمي حين ذكر له أنه يستطيع أن يكتب كتاباً يُقرأ منه جوابه ، أو كتاباً يُقرأ من آخره إلى أوله ، أو كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتاباً فإن عكست

---

(١) طبع في مصر سنة ١٩٠٣ باسم « ديوان البديع » .
(٢) بديع الزمان ص : ٤٢ .

سطوره مخالفة كان جواباً[١] . . . ؟ أليس هو في هذا كالرسّام يقدّم لك الصورة فتتعرّف فيها على شكل ثم يقلبها لك فإذا هي في وضعها الجديد صورة جديدة لشكل جديد . . .

لقد كانت رسائل الهمذاني ومقاماته كنزاً لغوياً بما حوت من مفردات اللغة غريبها ومترادفها ، ومعرضاً بلاغياً بما حوت من صور وتشبيهات واستعارات . كما كان فيها الكثير من الحكم والأمثال والأشعار .

يقول الدكتور شوقي ضيف « إن الهمذاني كان بحق أحد أساتذة مذهب التصنيع ، ومقدمة من مقدّمات التصنّع بل إنه كان من أهم من رشّحوا لمذهب التصنّع وظهوره[٢] » إن قبلنا هذا التصنّع والتصنيع .

ويقول الأستاذ مارون عبود إن الهمذاني « لم ينفرد في مقاماته أكثر من تفرده في رسائله التي بلغ فيها ما لم يبلغه أكابر الشعراء الهجائين العرب . فهو يجن ويمزح ، ويتهكم ويكشف العورات ليكون له في كل عرس قرص ، ويرينا أنه ذلك القادر على القول في كل غرض ومطلب ، إنه في مجونه وهجائه مرّ موجع ، وهو فيهما أقرب إلى بشار منه إلى أبي نواس الخفيف الظل . ولكن نفس البديع نفس فنان أصيل يعرف كيف يبتدئ وكيف ينتهي وله كلمات مسكتة ونهايات طريفة . »[٣]

موضوعات مقاماته : وأما الموضوعات التي تتناولها مقامات الهمذاني فكثيرة مختلفة ، ويمكن أن نعدّد منها — دون حصر — : الحديث عن مجالس القوم سواءاً كان المجلس للأدب أم السمر أم للطعام والشراب أم للهو والطرب . . . والحديث عن هيآت الناس وأزيائهم وعاداتهم . . . والحديث

(١) كشف المعاني والبيان ص : ٧٤ .
(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص : ١١٥ .
(٣) بديع الزمان ص : ٤٤ ـ ٤٥ .

عن قصورهم ودورهم ومساجدهم ثم عن أسواقهم وما فيها من مخازن وحوانيت وحمّامات ... وحرصاً على وضوح هذه الموضوعات سأذكر عنوان المقامة وإلى جانبه الموضوع الذي تتناوله . وقد اعتمدت في ترتيب المقامات وأرقام صفحاتها طبعة المقامات المشروحة للأستاذ الشيخ محمد عبده :

تعليق : إن تصفح الموضوعات السابقة مما تناولته المقامات يكفي لبيان هذه الصلة الشديدة بين المقامات من ناحية والمجتمع وحياة الناس من ناحية ثانية . وإذا كان أكثر هذه المقامات قائماً على الكدية أو ما يتصل بها من أساليب المكر والاحتيال ، فإن هذا جانب من جوانب الحياة الفقيرة البائسة التي تحياها طبقة معيّنة من الناس ، ثم إنها صور مختلفة للأساليب المتنوعة التي يبتدعها المكدون في المساجد والأسواق والبيوت ...

ولقد كانت لحديث الهمذاني عن أولئك المكدّين والمحتالين والماجنين قيمة خاصة ، إذ لو كانت مقاماته كلها في الوعظ مثلاً ، أو في الحديث عما في دور الملوك والأمراء ، لما استطعنا أن نرى من خلالها صورة لحياة العامة من الناس .

ولعل هذا التتبّع لأعمال فئات معينة من الناس هو الذي يشدّنا إلى معرفة حياتهم الاجتماعية التي نبحث عن صورتها .

والحق أن الهمذاني يقدم لنا صورة توشك أن تكون متكاملة ؛ إذ يحدثنا عن مجالس أهل العلم والأدب وما يدور فيها من مساجلات ومناظرات ، ومجالس الشراب والطرب وما يدور فيها من أقداح وآلات . ويحدثنا عن الوعّاظ والمساجد والأسواق والدور والحمّامات والحوانيت والمطاعم والحانات . وهو يرسم لنا من خلال ذلك كله كثيراً من صور الذين يتحدث عنهم بأزيائهم وهيئاتهم حتى نوشك أن نراهم بثيابهم ، ونستمع إليهم بألفاظهم ، ونرى مرآة نفوسهم وشخصياتهم في أعمالهم وتصرفاتهم .

وهذا بعض ما في الأدب من روعة ؛ إنه يعيدنا إلى الماضي حتى كأننا نعيش فيه أو يأتي به إلينا حتى كأنه هو يومنا الحاضر وليس قطعة من ماضينا الغابر . وربما قال قائل : وهذا ما يفعله التاريخ . والحق أن الفرق بين تاريخ الماضي وبين الأدب الذي يحدثك عن الماضي هو الفرق بين من يسرد لك أسماء في حوادث . وبين من يريك صور الأشخاص وما يحيط بهم من تلك الحوادث ، إنه الفرق بين الكلام والتصوير .

٣ ــ الفصل الثالث

مُجتمع الهمذانيّ من خلال مقاماته

لا بد ، قبل البدء بدراسة المجتمع الذي نريد ، من إلقاء نظرة على الحياة السياسية التي كان المجتمع خاضعاً لها ومتأثراً بها ؛ فإن معرفة الوضع السياسي تساعد على توضيح بعض الظواهر الاجتماعية كما تساعد على تفسيرها .

والفترة التي تهمنا في هذا البحث هي النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة ، ذلك القرن الذي كان العصر الذهبي للعقلية العربية والذي كان ، إلى جانب ذلك ، عصراً عجيباً بما كان فيه من اضطراب في الحياة وعدم استقرار في الحكم . وإذا عجبنا لبعض جوانب الصورة الاجتماعية التي تقدمها لنا المقامات ، فإن الاطلاع على بعض جوانب الحياة السياسية لذلك المجتمع كفيل بإزالة العجب وتوضيح ما يُظلم أو يلتبس من جنبات تلك الصورة .

حديث التاريخ : على أن بديع الزمان عاش بين سنتي ٣٥٨ و ٣٩٨ هـ فالعصر الذي نتكلم عليه إذاً هو النصف الثاني من القرن الرابع . والصورة التي يرسمها لنا التاريخ عن تلك الفترة من الزمن صورة ممتلئة بالفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار .

الخلفاء والنفوذ الفارسي : وقد تداول الحكم في تلك الفترة أربعة من الخلفاء هم المستكفي (٣٣٤ هـ) والمطيع (٣٣٤ ــ ٣٦٤) والطائع (٣٦٣ ــ ٣٨١) والقادر (٣٨١ ــ ٤٢٢) . وفيها بدأ النفوذ الفارسي يستعلي ويزداد حتى أصبح الفرس هم الحكام الحقيقيين الفعليين . . وأما الخليفة فله من الحكم اسمه ، ومن الخلافة رسمها . وبسط أولاد بويه : علي والحسن وأحمد ، نفوذهم ، وتقلّدوا زمام الأمور ، واتخذوا الخلفاء عندهم صنائع يعطونهم

المرتبات كسائر الموظفين ، وتحدثت كتب التاريخ بأنه لم يبق للخلفاء في الواقع إلا المظاهر كالسكّة والخطبة (١) .

حالة البلاد : وغرقت البلاد في بحران من الفوضى عجيب ، وما عرفت بغداد عاصمة الخلافة أسوأ من تلك الفترة ، ولا أكثر فساداً أو انحلالا . وحسبك أن تاريخ تلك الفترة تاريخ تمتلئ منه النفس أسىً بما يطالعها في صفحاته من ظلم وعسف وقتل ، وفرقة واختلاف وضياع لهيبة الدولة !

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٣٤ هـ (٢) أنه في خلافة المطيع شغب الجند على معز الدولة وأزعجوه فضمن لهم أرزاقهم واضطر إلى ضبط الناس وأخذ الأموال من غير وجوهها ، وأقطع قواده وأصحابه القرى جميعها ... وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف والغلاء والنهب (٣) . وذكر في حوادث سنة ٣٦١ هـ أنه وقعت في بغداد فتنة وفساد عظيم . وفي حوادث سنة ٣٧٧ هـ أنه اشتدّ الغلاء في العراق فضجّ العامة وشغب الجند (٤) . وفي حوادث سنة ٣٩٣ أنه اشتدت الفتنة في بغداد وكثر العيّارون والمفسدون « واشتد الغلاء في بغداد فأكل الناس الميتة والسنانير والكلاب ، وأكل الناس ضروب الشوك وكانوا يسلقون حبّه ويأكلونه فلحق الناس أمراض وأورام في أحشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس من دفن الموتى ، فكانت الكلاب تأكل لحومهم . وانحدر كثير من أهالي بغداد إلى البصرة فمات أكثرهم في الطريق وبيعت الدور والعقارات بالخبز (٥) » .

(١) انظر كامل ابن الأثير ، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمن ٢ : ٩٤ .
(٢) انظر ـ إن شئت ـ ما كان يحدث قبل ذلك بقليل ، في عهد الخليفة المقتدر (المقتول سنة ٣٢٠) من حوادث التمرد وعجائب العصيان بزعامة خادمه مؤنس !
(٣) الكامل لابن الأثير ٨ : ١٧٩ .
(٤) المرجع السابق ٩ : ٧١ .
(٥) ابن الأثير ٨ : ٢٣ و ٢٦ و ٣٠ و ١٦٧ والمنتظم ٦ : ٣٣١ و ٣٣٤ .

قاطع طريق يؤسس دولة : وكيف نتصوّر حال دولة استطاع أحـــد قطاع الطرق فيها أن يقيم دولة بالقوة ويجبر حاكم بغداد على الاعتراف به وبسلطانه ؟ وذلك هو ما فعله عمران بن شاهين حين اقتطع أرض « البطيحة » وأقام فيها دولة حكمها بنفسه من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٦٩ ثم تتالى أعقابه على حكمها حتى سنة ٤٠٨ ؛ لقد كان عمران بن شاهين جابياً من جباة الضرائب في عهد معز الدولة ، جبى ما جبى من مال ، ثم فرّ به إلى ما بين واسط والبصرة ، وأقام هناك يقطع الطريق ويُؤوي إليه اللصوص والصيادين حتى شكل منهم جيشاً استطاع أن يجابه قوة السلطان وأن يتصدّى لجيش الدولة وأن يجبر معز الدولة على الاعتراف بسلطـانه على الأرض التي غلب عليها (١) . ويبدو أنه كان لقطّاع الطرق شأن يذكر حتى كانت أخبـارهم وأساليبهم موضوعاً لكثير من المقامات .

بين أهل السنّة والشيعة : ومما يتصل ببحثنا ذلك الحديث الخطير الذي تتحدث به كتب التاريخ عن الخلافات التي كانت مستمرة بين المسلمين من سنيّين وشيعة . نعم ، لقد كانت هناك خلافات أخرى كتلك التي كانت بين عناصر الأمة المختلفة من عرب وديلم وأتراك جمعتهم دولة بني العبـاس تحت لواء الإسلام ، ولكن الخلاف الأخطر والأهم هو ذلك الخلاف المذهبيّ الذي يستند عند أصحابه إلى أساس من الفكر والعاطفة ، ويضاف إلى ذلك ما كان يقوم به بعض المتطرفين من أحد الجانبين المتخاصمين وما يسبّبه من ردة فعل قوية عند الجانب الآخر ؛ ولعل ما قام به معز الدولة البويهي مثل واضح لتلك التصرفات المتطرفة التي أججت نار الفتنة ؛ فلقد أمر معز الدولة أن يكتب شتم الصحابة على المنابر وفي المساجد ، فكان عمله هذا توسيعاً لشقّة الخلاف . قال ابن الأثير : « ومما يدل على بعد الشقة بين السنة والشيعة ما كتب على مساجد بغداد بأمر معز الدولة من لعن وشتم (٢)...»

(١) انظر أخبار عمران بن شاهين في الكامل لابن الأثير ٨ : ١٩٠ و ٢٠٢ .
(٢) انظر الكامل حوادث سنة ٣٥٣ والمنتظم ١ : ٨٨ .

وقد ظل هذا الخلاف يستشري ويمتد خطره حتى غدت بغداد في بعض أزمانها مسرحاً لصراع عنيف قاسٍ دار بين أتباع المذهبين ، كذلك الصراع الذي حدث في عهد الطائع حين كانت السلطة بيد بختيار بن معز الدولة وكرهت العامة — وأكثرها من أهل السنة — آل بويه لإفراطهم في التشيع مما كان سبباً لفتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والشيعة سفكت فيها الدماء وأحرقت الكرخ التي كانت محلة الشيعة » .

شمول الفوضى : وجدير بنا أن نتنبه إلى أن هذه الفتن والاضطرابات لم تكن مقتصرة على منطقة دون أخرى أو منحصرة في بغداد دون غيرها ، وإنما كانت ـ كعادتها في كل حين ـ سريعة العدوى ، وسرعان ما تطاير شرر الفتنة إلى كل بلد حتى كانت بلاد فارس كبلاد العراق ، وكانت خراسان كبغداد ؛ ولقد عمّت الفتن خراسان يوم دخلها على السامانيين شهاب الدين ابن سليمان التركي ، وظلت الفوضى مستمرة فيها حتى قامت الدولة السبكتكية سنة ٣٨٩ على يد ملكها محمود الذي هزم السامانيين وأقام حكماً دام له حتى سنة ٤٢١ هـ .

أثر تعدّد العناصر واختلاف المذاهب : هذان الأمران اللذان حدثنا عنهما التاريخ وهما : صراع العناصر المتعددة في الدولة ، وتناحر الفرق المذهبية ، هما اللذان فتّا في عضد الدولة العباسيّة .

لقد أخطأ بنو العباس ، في مجال الصراع العنصري ، حين اعتمدوا على غير العرب كل ذلك الاعتماد . ولئن أُخذ على بني امية إفراطهم في الاعتماد على العنصر العربي ، لقد أُخذ على العباسيين عكس ذلك تماماً . والحق أن الدولة الإسلامية أيام بني العباس كانت دولة وحّد الدين فيها عناصر متباينة وشعوباً مختلفة ، ولكن من ذا الذي يزعم أن كل تلك العناصر والشعوب كانت متفقة المصالح موحّدة الأغراض ؟ ومن ذا الذي يزعم حسن الطويّة

وسلامة النيّة عند أولئك « المواطنين » جميعاً ؟ ألم يكن بينهم طامح إلى سلطة يغتصبها ؟ أو مجد يرفع قومه إليه ؟.

لقد كان التنافس مستعر الأوار فيما بين المختلفين جنساً أو مذهباً ، وكانت من وراء التنافس فتن ودسائس ، وكان كل ذلك معولاً ارتفع من داخل الدولة الإسلامية العباسية ، لهدم تلك الدولة حتى جعلها نهباً موزعاً بين الأتراك والبويهيين والسلاجقة .

وأما في ميدان الصراع المذهبي فقد افتضح أمر العباسيين وانكشف خداعهم للناس ، وظهر تغريرهم بآل البيت وسلبهم حقهم الذي يعتقدونه في الخلافة ، وذلك أنه لم ينقشع ضباب الثورات ولم تهدأ نار الفتن ويستتب الحكم لبني العباس حتى وضح الأمر وظهرت الحقيقة : لقد خدع العباسيون آل البيت ! واتخذوا من حقهم في الخلافة التي تقمّصها معاوية قميص عثمان ، يقومون من أجل آل البيت في الظاهر فيكسبون منهم العون ومن أنصارهم التأييد ، وما يقومون إلا من أجل أنفسهم لو كانوا يُفصحون .

كل ذلك كان مما أثار الناس ، وحرّك شعورهم بالشفقة على آل البيت ، وفسح مجال التدخل للحاقدين من غير آل البيت ومن غير العرب ، وجعل الألسن تتداول موضوع هذا الحق السليب بين المؤيدين والمناهضين .

ثم تمر السنون فإذا الاتجاهات تتوضح وتتبلّر أو تكاد ، وإذا هناك مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة ، ويبدأ الكلام بأسلوبه الجدلي ينفث عقده بين هؤلاء وأولئك ، فإذا الاتجاهات تتفرع ، وإذا المذاهب تتنوع فيكون من وراء ذلك مناظرات ومحاورات ، ويكون من وراء هذه وتلك أخبث الآثار في نفوس الناس ، هذه الآثار التي تظهر حيناً وتختفي ـ ولكنها لا تزول ـ في حين آخر .

ولقد كانت بعض حوادث التاريخ تدل على أن تلك الآثار مستكنة في نفوس أصحابها تنتظر الفرصة المواتية للظهور ، وليست دعوة أبي العباس

السفاح لأحفاد عليّ في أحد مواسم الحج وإكرامه لهم أمام الناس إلا مداواة منه للجرح الذي نكأه ، وشعر أن أمره انكشف وأنه ما زال دامياً في قلوب أصحابه . بل كثيراً ما كانت تلك الآثار تلبس لباس القوة وتظهر في شكل ثورة أو تمرّد . وكم ثار رجال من آل البيت في وجوه الخلفاء العباسيين كثورة محمد النفس الزكية وغيره ممن كانت لهم في كل عهد ثورة أو انتفاضة ، ثم لم يلبثوا أن نظّموا أمرهم وأرسوا قواعد دعوتهم حتى كانت لهم في منتصف القرن الهجري الثالث دعاة منظمون منتشرون في كل بقعة من بقاع الدولة وأطرافها .

بين السياسة والمجتمع :

هذه إشارة إلى بعض ما له صلة بموضوعنا من المشاكل السياسية والمذهبية لذلك العصر . وهي فيما نرى كافية لإعطاء فكرة عن السياسة وفوضاها . على أن الذي يعنينا في هذا البحث إنما هو أثر هذه الحياة السياسية - وليس هو الحياة السياسية نفسها - في المجتمع الذي يعيش في ظلها .

لا شك أن هناك صلة قوية بين الوضعين السياسي والاجتماعي في المجتمع الواحد ، وأن الحياة السياسية لا بد أن تترك آثاراً من آثارها في المجتمع ، كما أن الحياة الاجتماعية ، ومستواها ، وتركيب الطبقات الاجتماعية ، والعناصر المكوّنة للمجتمع ، كل ذلك يؤثر في الحياة السياسية التي يحياها المجتمع .

والمجتمع الذي نتحدث عنه ليس بدعاً بين المجتمعات ، وطبيعي أن يتأثر بحياة الفوضى التي مرّت عليه وعاش فيها ، وكيف لا يتأثر المجتمع بحكّام يضطرون تحت ضغط الجند وشغب الجيش أن يجمعوا الأموال من غير وجوهها ؟ وكيف لا يتأثر المجتمع بقاطع طريق يقاتل الدولة حتى يصبح حاكماً ذا سلطان تعترف به الدولة ؟ وكيف لا يتأثر المجتمع بحكم غير مستقرّ وعناصر مختلفة

ومذاهب غير مؤتلفة ؟ بل كيف لا يتأثر المجتمع بكل هذه العوامل مجتمعة ، وقد كانت كلها في ذلك المجتمع في تلك الفترة من الزمن ؟

قيمة الأخبار الأدبية : حين يتحدث التاريخ عن مجتمع من المجتمعات يلفت نظرنا في حديثه أمرٌ ذو شأن في بحثنا هذا ، وهو أنه إذا كان المجتمع عادة يتألف من طبقات متعددة تتدرج من الملوك والحكام ثم من يليهم إلى عامة الناس وسوقتهم ، فإن حديث التاريخ ينصرف أكثره إلى الطبقة العليا في المجتمع ، وربما لا يخصّ الأكثرية الساحقة من الناس إلا بجزء يسير مما يخصّ به الطبقة الحاكمة ؛ إنه يتحدث عن الخلفاء أو الملوك والوزراء بمزيد من البيان والتفصيل ، ويتناول أصغر أمورهم وصغائر ما يتصل بهم من مسكن ومطعم ومشرب وملبس ، على حين يغفل أمر الطبقة العامة فلا يلتفت إلى ذكرها إلاّ إذا لفتته هي بثورة قامت بها أو عمل نبهه إلى شأنها .

ولن يكون شأننا في هذا البحث الأدبي شأن كتّاب التاريخ ، بل نحن على العكس منهم لا يعنينا أن نتحدث في أخبار المجتمع عن الخلفاء والأمراء والحكّام ممن تطوّع المؤرخون لسرد أخبارهم ، ولكن الذي يعنينا ونقصد إليه هو وصف الطبقة العامة من الناس والسواد الأعظم من الشعب ؛ سنسأل عن هؤلاء الناس كيف كانوا يعيشون ؟ وكيف كانت هيئاتهم وملابسهم ؟ وكيف كانت مجالسهم ومآكلهم ؟ وماذا كانوا يأكلون ويشربون ؟ وكيف كانت دورهم وأثاثاتهم ؟ وكيف كانت أسواقهم وحوانيتهم ؟ وما هي عاداتهم ؟ بل كيف كانوا يتماجنون ويتمازحون ويتشاتمون ؟

إن التاريخ لن يتولى الإجابة عن كثير من هذه الأسئلة ، وإن كانت في ثنايا أخباره إشارات إلى ذلك .. ولكن الذي يقرّب إلينا الكثير مما نريد إنما هو الأدب .. وإننا لواجدون في الأدب ، شعره ونثره . وحكاياته

وأخباره ، ولواجدون في « المقامات » .. كثيراً من الأخبار التي نريد . بل إننا سننظر في كتب التاريخ ثم سننظر في « المقامات » وسنرى بين سطورها كثيراً مما انطوت دونه صفحات التاريخ .

لقد تناول الهمذاني حياة القوم ووصفهم في دورهم ومساجدهم وأسواقهم وحوانيتهم ، ووقفنا على مجالس أنسهم ومكائدهم ، وصور لنا الكثير من أخلاقهم . وعرّفنا على كثير من فئاتهم . لقد كان الهمذاني بارعاً في جعل المقامات مسرحاً أقامه على بطولة أبي الفتح الاسكندري ، وهو يجعل أبا الفتح في كل مقامة من مقاماته نموذجاً لفئة من الناس يلبسه لباسها ، وينطقه بلسانها ، ويُجري تصرفاته بوحي من أخلاقها ، حتى كان لأبي الفتح في كل مقامة دور ، وهو في كل دور من أدواره إنما يمثل رجلاً من رجال عصره ومجتمعه .

١ — الزهد والوعظ ـ اللهو والمجون ـ عقليّة العامّة وما يدلّ عليها من معتقد ولغة وهيأة :

كنا نرغب أن نبدأ هذا البحث بالكلام على (حياة العامة) ولكننا رأينا أننا لن نعرف حياتهم إلا عن طريق الإلمام بما تمكن معرفته من صفاتهم وعقليّتهم وعاداتهم وخصائصهم وأساليب حياتهم في الدور والأسواق والمساجد وغيرها .

وسنحاول في سبيل الوصول إلى ذلك أن نتتبع أخبارهم المتصلة بذلك في كتب التاريخ أولاً ، ثم في مقامات الهمذاني ثانياً ، لنرى فضل الأديب في الكشف عن كثير من خبايا الحياة التي أغفلها التاريخ فأضاعها ، أو خجل من ذكرها فكادت تضيع .

كان المجتمع الإسلامي ، ولسنا نسمّيه بغير ذلك لأنه لم يكن عربياً خالصاً ، وإنما كانت فيه أجناس وشعوب تلاقت تحت راية الإسلام ، نقول

كان هذا المجتمع في عصر الهمذاني مجتمعاً فيه الكثير من المتناقضات ، إلا أنه التناقض المنسجم مع طبيعة الحياة ، وطريف أن يكون في التناقض انسجام . نعني أنه كان تناقضاً طبيعياً ؛ كوجود الزهد والورع جنباً إلى جنب مع الخلاعة والمجون . إذ أليس من التناقض الطبيعي مثلاً أن يؤدي الإفراط في الأمر إلى عكسه ؟ ألم يقولوا : إن تجاوز الأمر لحدّه يقلبه إلى ضدّه ؟ وهذا ما وقع حين أدّى الإفراط في الخلاعة والمجون عند طائفة من الناس إلى التمسّك بالدين والزهد في متع الحياة عند طائفة أخرى منهم .

الزهد في التاريخ : لم يغفل المؤرخون الذين تحدثوا عن ذلك المجتمع الكلام على ما كان فيه من ورع وتقى ، وما انتشر فيه من زهد وتصوّف ، كما تناولت ذلك كتب التراجم فذكرت الكثير من أخبار الزهّاد والمتصوّفين ، ويذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك فيزعم أن التصوف نفسه كان مجالاً للتنافس كغيره من علوم النحو والكلام .. ، يقول آدم متز : « وكانت بغداد والبصرة مختلفتين في أمر التصوّف ، كما كانتا مختلفتين في مسائل اللغة وعلم الكلام ؛ فكانت بغداد أكبر مدرسة للمتصوفين على حين كانت البصرة أكبر مركز للزهّاد ، وبقيت كذلك حتى أيام المقدسي [(١)] . » والمقدسي ، كما نعلم ، من رجال النصف الثاني من القرن الرابع . وحسبنا للدلالة على مدى انتشار الزهد والتصوّف في تلك الفترة أن نذكر أنه عاش فيها عدد من أعلام الزهاد والمتصوفين كصاحب الرسالة القشيرية ، وقد كتبها سنة ٤٣٧ ، وأبي العباس محمد البشتي الزاهد المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . بل أصبحت للمتصوفين والزهّاد كتب خاصة تتناول تراجمهم وطبقاتهم ككتاب « طبقات الصوفية » للسلمي المتوفى سنة ٤١٢ وكتاب « طبقات النسّاك » لأبي سعيد الأعرابي المتوفى سنة ٣٤١ .

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦ .

النزعة إلى الزهد في المقامات : ليس حديث التاريخ عن انتشار الوعاظ في الأسواق وتحلق الناس حولهم بأوضح من حديث أبي الفضل إذ قال في المقامة الوعظية (١) « حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بالبصرة أميس حتى أداني السير إلى فرضة قد كثر فيها قوم على قائم يعظهم وهو يقول : أيها الناس ، إنكم لم تتركوا سُدى وإن مع اليوم غدا ، وإنكم واردو هوّة ، فأعدّوا لها ما استطعتم من قوة . وإن بعد المعاش معادا ، فأعدّوا له زادا ، ألا لا عذر فقد بيّنت لكم المحجة ، وأخذت عليكم الحجة من السماء بالخبر ومن الأرض بالعبر . ألا وإن الذي بدأ الخلق عليما يحيي العظام رميما . » وهو لا يكتفي بمجرد الوعظ ، وإنما يعنى ببيان موضوعه وأنه وعظ يلائم تكالب الناس على الدنيا إذ هو في الحث على الزهد وترك مباهج الحياة فيقول : « ألا وإن الدنيا دار جهاز وقنطرة جواز ، من عبَرها سلم ومن عمرها ندم . ألا وقد نصبت لكم الفخ ونثرت لكم الحب فمن يرتع يقع ومن يلقط يسقط . ألا وإن الفقر حلية نبيكم فاكتسوها والغنى حلة الطغيان فلا تلبسوها . »(١) ويقول : « يا قوم الحذر الحذر ، والبدار البدار ، من الدنيا ومكايدها وما نصبت لكم من مصايدها وتجلت لكم من زينتها واستشرفت لكم من بهجتها :

وفي دون ما عاينت من فَجَعَاتها إلى رفضها داعٍ وبالزهد آمرُ
فجِدّ ولا تغفُل فعيشك بائد وأنت إلى دار المنيّـــة صائر
ولا تطلب الدنيا فإن طِلابهـا وإن نلت منها رغبة لك ضائر

ويبين أن من موضوعات وعظهم الحث على الإيمان وكأنه يصوّر لنا بذلك ما أخذ يتغلغل في ذلك المجتمع من شك وإلحاد ، فهو يدعو إلى عدم الالتفات

(١) المقامة الوعظية : ١٣٦ .
(٢) « « : ١٣٧ .
(٣) « « : ١٤٠ .

إلى المشككين وإلى آرائهم ومذاهبهم فيقول على لسان أحد الوعاظ : « كذبت ظنون الملحدين ، الذين جحدوا الدين ، وجعلوا القرآن عضين [١] » وإذا كان بين الناس من ينكر البعث فهو يردّ عليه إذ « ان بعد الحدث جدثا ، وإنكم لم تخلقوا عبثا . فحذار حرَّ النار وبَدار عقبى الدار . » [٢] « ألا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموت ولا يرجو الفَوت .

ألا لا ، ولكنّا تغرُّ نفوسَنا ... وتشغلها اللّذات عمّا تحاذر

وكيف يلذّ العيش من هو موقن ... بموقف عدْل حيث تُبلى السرائر

كأنّا نرى أنْ لا نشورَ وأننا ... سُدًى ما لنا بعد الفناء مصاير [٣] . »

اتخاذ الوعظ وسيلة للخداع : ولسنا نغالي إذا قلنا إن بديع الزمان أعطانا صورة أوضح مما أعطانا التاريخ عن نَفاق سوق الوعظ حين ذكر لنا مدى انتشار الوعاظ وإقبال العامة عليهم حتى لفت ذلك الإقبال أنظار الدجالين فتطفّلوا على الوعظ ، واتخذوه حرفة للكسب ، ومطية لنيل المآرب ؛ إنهم كانوا يتخذون من حث الناس على الزهد فخّاً يسلبون من ورائه ما يكرّهون الناس به من متع وأموال . وهذا واحد من هؤلاء الماكرين يروي لنا بديع الزمان قصته فيقول إنه فقير محتاج فكّر في أمر معاشه فلم يجد خيراً من سبيل الوعظ فكان وعظه مطية للكدية وهو يقول : « ونفرت عن الدنيا نفور طبع الكريم عن وجوه اللئام . ونبوت عن المخزيات نبوّ السمع الشريف عن شنيع الكلام . والآن لمّا أسفر صبح المشيب وعلتني أبهة الكبر عمدت لإصلاح أمر المعاد بإعداد الزاد ، فلم أرَ طريقاً أهدى إلى الرشاد مما أنا سالكه » [٤] .

(١ و ٢) المقامة الوعظية : ١٣٧ .

(٣) المقامة الوعظية : ١٤١ .

(٤) المقامة السجستانية : ٢٦ .

وهو يعتقد أنه بوعظه هذا يؤدي أمانة في عنقه ! فيقول « ودُفعت إلى مكاره نذرت ألاّ أدّخر عن المسلمين منافعها . ولا بدّ لي أن أخلع ربقة هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم ، وأعرض دوائي هذا في أسواقكم ، فليشترِ مني من لا يتعزّز من موقف العبيد ولا يأنف من كلمة التوحيد (١) .

وذاك مخادع آخر يتظاهر بالورع والزهد ويبطن الخداع والمكر ويتخذ الوعظ والزهد وتكريه الغنى إلى الأغنياء وسيلة إلى الإيقاع بالسّذّج ، إنه كما يقول عيسى بن هشام : « شاب قصير من بين الرجال ، محفوف السبال (٢) ، لا ينبس بحرف ، ولا يخوض معنا في وصف . حتى انتهى بالكلام إلى مدح الغنى وأهله وذكر المال وفضله . وأنه زينة الرجال وغاية الكمال ، فكأنما هبّ من رقدة ، أو حضر بعد غيبة ، وفتح ديوانه وأطلق لسانه فقال : صه . لقد عجزتم عن شيء عدمتموه ، وقصّرتم عن طلبه فهجنتموه ، وخُدعتم عن الباقي بالفاني ، وشغلتم عن النائي بالداني . هل الدنيا إلا مناخ راكب ونعلة ذاهب ؟ وهل المال إلا عارية مُرتجعة ووديعة منتزعة ؟ ينُقل من قوم إلى آخرين ، وتخزنه الأوائل للآخرين ؟ وهل ترون المال إلا عند البخلاء دون الكرماء ؟ والجهال دون العلماء ؟ إياكم والانخداع فليس الفخر إلا في إحدى الجهتين ، ولا التقدم إلا بإحدى القسمتين : إما نسب شريف أو علم منيف ، وأكرم بشيء يُحمل على الرؤوس حامله ، ولا ييأس منه آمله . والله لولا صيانة النفس والعرض لكنت أغنى أهل الأرض ... (٣) » ثم يستطرد زاعماً أنه يعرف موضع مطلبين عظيمين وكنزين ثمينين ، فيقبل عليه الناس ويعطونه المال الوافر أملاً في إرشادهم

---

(١) المقامة السجستانية : ٢٧ .

(٢) السبال : ج سبلة ما يحف بالفم من شعر الشارب .

(٣) المطلبية : ٢٥١ .

إلى مكان دينك المطلبين فيأخذ المال ويعدهم بأن يدلهم في اليـــوم الثاني ثم يذهب ولا يعود !

أليست هذه الطرف الهمذانية كافية لإطلاعنا على مدى انتشار الوعظ حتى نزل إلى ميدان الكسب وتنافس فيه المخادعون ووقـــع في شباكهم سذج القوم ؟

وقد كثر الوعظ في المقامات ، وكثر اتخاذه وسيلة للكدية أو الخداع ، حتى أصبحنا نعجب إذا رأينا في مقامة من المقامات وعظاً صادقاً ليس للمقامة غرض آخر سواه ، على غير ما تعوّدنا في جميع المقامات ؛ وذلك هو الوعظ الذي نسمعه في المقامة الأهوازية ، حيث نفاجأ بجواب الواعظ الذي سألوه في آخر وعظه : ما حاجتك ؟ فقال : « أطول من أن تُحدّ ، وأكثر من أن تُعد . قلنا : سانح الوقت . قال : ردّ فائت العمر ، ودفع نازل الأمر . قلنا : ليس ذلك إلينا ، ولكن ماشئت من متاع الدنيا وزخرفها . قال : لا حاجة لي فيها ، وإنما حاجتي بعد هذا أن تخِدوا[1] أكثر من أن تعوا[2] . » إنها فلتة من أبي الفتح الاسكندري الواعظ . ولكنها على كل حال ليست غريبة عن المجتمع الذي يصوّره أدب الهمذاني .

(يتبع) الدكتور مازن المبارك

❋❋

(١) الوخد : ضرب من السير السريع .

(٢) المقامة الأهوازية : ٦٣ .

ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة

- ٥ -

(حرف الصاد)

٣٦٠ — ص ١١٢ « الصابي الحراني ، ابراهيم بن هلال ٩٢٥ — ٩٩٤ ، أديب ... له ديوان ، ألف « التاجي في أخبار بني بويه » ... طبع له ببيروت رسائله إلى الشريف الرضي ... » .

ومن الملاحظات على هذا أ — لا بد من القول أنه : أبو إسحق ... لأن الكنية هنا جزء مهم من تعريفه . ب — الصابي : الصابئ . قال ابن خلكان : الصابئ بهمزة آخره . ج — له ديوان : لم يصل إلينا . د — بيروت : الكويت (رسائل الصابي والشريف الرضي ، التراث العربي ١٩٦١) .

٣٦١ — ص ١١١٢ « صابئة ... أبي إسحق الصابي وزير الطائع والمطيع ... »

بطلت وزارة الخليفة في بغداد منذ دخل البويهيون في عهد المستكفي (ينظر مسكويه ٦ : ١٥٧) ، ولم يكن أبو إسحاق وزيراً وإنما كان كاتب الإنشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار . وعرض عليه عز الدولة بختيار الوزارة إن أسلم فامتنع (ينظر ياقوت ٢ : ٢١) .

٣٦٢ — ص ١١١٢ « الصاحب بن عباد ، اسماعيل ... أولع في رسائله بالسجع والجناس والعبارات القصيرة ، وهي خصائص مدرسة ابن العميد ... » .

أ — لا داعي إلى استعمال كلمة « مدرسة » ، ويفهم القارئ أن الصاحب وابن العميد على درجة واحدة من الولع بالسجع ... وليس الواقع كذلك .

قال الزيات : « سار على نهج ابن العميد وأربى عليه في الحلية اللفظية ولا سيما في السجع والجناس » . ب ـ نشرت للصاحب ـ ولا سيما في العراق ـ عدة رسائل .

٢٦٣ – ص ١١١٢ « صاحب الزنج ، علي بن محمد ... ظهر أيام المهدي العباسي ... » المهدي : المهتدي .

٢٦٤ – ص ١١١٦ « صحافة ... وفي العراق ... أصدر يوسف غنيمة وداود حليوا « صدى بابل ... وصدرت ... العراق ... لرزق داود غنام ...

وفي الحجاز ... صدرت مجلة الإصلاح « بمكة المكرمة ١٩٢٨ لمحررها محمد حامد الفقي » . وتعاقب صدور الصحف في أنحاء المملكة ... ومن الصحف الحالية « الرائد» ... و « الندوة » لصالح جمال ... و « الخليج العربي » ... و « قريش » ... و « عكاظ » لعبد الغفور عطار ... والجزيرة لعبد الله ابن خميس وتصدر بالرياض منذ ١٩٦٠ ... » .

ومن الملاحظات أ ـ حليوا : صليوا . ب ـ رزق : رزوق . ج ـ الإصلاح ، صحيفة أصدرتها شعبة الطبع والنشر التابعة لمديرية المعارف إذ ذاك ... د ـ الرائد ، والخليج العربي وقريش ليست من الصحف الحالية . هـ ـ الندوة الحالية ليست ندوة صالح جمال ، وعكاظ الحالية ليست عكاظ عطار لأن الصحف الحالية ملك لمؤسسات وليست لأشخاص وذلك بمقتضى نظام المؤسسات الأهلية للصحافة الذي أصدرته المملكة العربية السعودية في ١٣٨٣/٨/٢٤ للهجرة . و ـ أما « جزيرة » عبد الله بن خميس فهي مجلة أدبية صدر العدد الأول منها بالرياض في ذي القعدة من عام ١٣٧٩ واستمرت ثلاث سنوات ، وتوقفت في الرابعة . وهي غير « الجزيرة » الحالية التي تصدر بالرياض عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ، وكان عبد الله بن خميس مديراً عاماً للمؤسسة في أول أمرها ... وفي الجرائد الحالية التي

تصدر عن مؤسسات وكان اسمها ملكاً لأشخاص : المدينة ، البلاد . ومن الجرائد التي صدرت بعد نظام المؤسسات : اليمامة ، الرياض ، اليوم .

٢٦٥ — ص ١١٢٤ « الصفار ، يعقوب بن الليث ... عمل في شبابه بصناعة النحاس بخراسان ... » .

... بصناعة النحاس : بصناعة الصفر (النحاس) . قال ابن خلكان **٥ : ٤٧٣** « وإنما قيل ليعقوب الصفار لأنه كان يعمل الصُّفر ـ وهو النحاس ـ بضم الصاد المهملة » .

٢٦٦ — ص ١١٢٤ « الصفاريون ... اسسها يعقوب ... بفارس وأفغانستان اسـقط الدولة الطاهرية في خراسان ، وجعل مقر ملكه تارة بمرو وأخرى بنيسابور ... » .

أ — الصفاريون : الصفارون . ب — مقر ملكه ... سجستـان (وقاعدتها زرنج) ...

٢٦٧ — ص ١١٢٥ « الصفويون : أسرة إيرانية حاكمة (أواخر ١٥ — ١٧٣٧) ... مؤسسها اسماعيل الصفوي (ت ١٥٢٤) ... وخلفـه ابنه طحمسب ... » .

أ — طحمسب : طهماسب .

٢٦٨ — ص ١١٢٥ « صفي الدين الحلي ... وله ديوان مطبوع ، وألف العاطل الحالي والمرخص الغالي ... وصفرة الشعراء ... » .

أ — العاطل الحالي ... مطبوع أيضاً . ب — صفرة الشعراء : صفوة الشعراء ...

٢٦٩ — ص ١١٢٨ « صلاح الدين الأيوبي مقاتل وبطل مسلم ... » .

كلمة « مقاتل » نابية وهي مما يمكن أن يصفه بها الغربيون ، أما في موسوعة عربية ... فيمكن الاستغناء عنها أو استعمال شجاع أو فارس بدلها .

٢٧٠ — ص ١١٣٧ « الصولي ، ابراهيم بن العباس .... ألف كتاب « الدولة » و « العطر والطبيخ » وخلف مجموعة رسائل وديوان شعر ... يعد أشهر كتاب عصره » .

أ — يحسن أن تذكر الكنية : أبواسحاق . ب — ألف ... : لم تصل إلينا . جـ — خلف ... لم تصل إلينا . و — أشهر : من أشهر ...

(حرف الضاد)

٢٧١ — ص ١١٤٢ « ضرغام ... وزير العاضد آخر خلفاء الفواطم بمصر ... » .

الفواطم : الفاطميين (الفواطم : جمع لفاطمة) .

(حرف الطاء)

٢٧٢ — ص ١١٤٦ « طارق بن زياد ... قبيلة نفزة ... التقى الجيشان عند بحيرة تعرف باسم لاجندا ... » .

أ — نفزة : نفزة . ب — لاجندا : لاجاندا .

٢٧٣ — ص ١١٥٢ « الطباطبائي ، علي بن رضا ١٨٠٩ — ١٨٨١ عرف بلقب بحر العلوم ، من أعلام الشيعة له « شرح على الكتاب النافع .... » .

أ — بحر العلوم اللقب الذي عرف به جده ومن ثم صار لقباً للأسرة . وجده هو السيد محمد مهدي . ب — قبل السيد علي هذا وبعده عشرات من أعلام الشيعة لم تشر إليهم الموسوعة من قريب أو بعيد ، مع أنهم أهم منه كثيراً . فلم وقع اختيارها عليه ؟ جـ — شرح على الكتاب النافع : اسمه ، البرهان القاطع — ط .

٢٧٤ — ص ١١٥٣ « الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ٨٣٩ — ٩٢٣ ... لم يعمر طويلاً ، وكتابه « تاريخ الرسل والملوك » من الكتب الجامعة ، وإن

لم يصلنا إلا مختصراً . . . وكتابه « جامع البيان في تفسير القرآن ... » .

أ — لم يعمر طويلاً : لا موجب إليها ، فليس الشرط بالإنسان أن يعمر طويلاً ، وإن ما عاشه الطبري — بحساب الموسوعة نفسها — ليس قليلاً (٨٤ عاماً) . ب — لم يقل أحد ان تاريخ الطبري لم يصل إلينا إلا مختصراً — وهو مطبوع . ج — جامع البيان — ط . هـ — ذكر الخطيب البغدادي ٢ : ١٦٣ أنه « قال لأصحابه أتنشطون لتفسير القرآن . قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفني الأعمار قبل تمامه ؟ فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة . ثم قال : هل تنشطون لتاريخ العالم ... ؟ قالوا : كم قدره ، فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك ... » .

وأشك في أن تكون الموسوعة أرادت إلى هذا إذ قالت عن التاريخ « ولم يصلنا إلا مختصراً » لأن هذا لا يعني هذا ، ولأنها لو قصدت إليه لقالت مثله عند ذكرها التفسير ...

٢٧٥ — ص ١١٥٦ « طربوش ... وهي كلة فارسية الأصل تسللت إلى العربية في القرن ١٦ ، والطربوش مصنوع من الصوف الأحمر ... » .

أ — قد يكون الأولى في الكلمة أن تكون تركية وأنها تسللت عن طريق العثمانيين . لم أجدها في القاموس الفارسي . . . ب — الطربوش مصنوع من الصوف الأحمر : لا يوجد صوف أحمر (احمرار الطربوش) ، وإنما هو مصبوغ . كما انه لا يشترط في كل طرابيش الدنيا أن تكون حمرا إذا كان الطربوش المصري أحمر ...

٢٧٦ — ص ١١٥٧ « طرفة بن العبد ... شاعر جاهلي ، ولد بصحراء البحرين واليمامة ، وقتل غيلة بالبحرين ... وله شعر قليل مطبوع يدل على استهتاره ونزعته إلى التفكير المتشائم الهارب إلى اللذة والخمر ، وله معلقة طويلة » .

أ — لا توجد صحراء اسمها « صحراء البحرين واليمامة » . وقد يكون

الأنسب أن يقال ولد بالبحرين ، ولا بد من شرح البحرين ، لتغير مدلولها على مر الزمن ، لأنها اليوم تطلق على ما كان يسمى جزيرة « أوال » ، أما في القديم فالبحرين ـ كما ذكر ياقوت : « اسم جامع لبلاد على ساحل الهند بين البصرة وعمان ... » ويسمَّى الأحساء أو هجرا أو الخط ...

ب ــ له شعر ... : له ديوان مطبوع . جـ ــ استهتاره : يحسن أن يذكر بعدها جار ومجرور : استهتاره بالخمر ـ مثلاً . إذا كان لا بد من استعمالها ، لأنها تعني في حقيقتها : الولوع بالشيء والإفراط فيه . والمستهتَرون هم الذين استهتروا بذكر الله أي أولعوا به ... ينظر اللسان (هتر) ، وهي من فوائد أستاذنا الدكتور مصطفى جواد . د ــ له معلقة طويلة : لا موجب لكلمة طويلة ، وكل المعلقات « مطوّلات » .

٢٧٧ ــ ص ١١٦٠ « الطغرائي ، الحسين بن علي ... أديب ولد بأصبهان . وكتب للسلطان ملكشاه وابنيه محمد ومسعود في أربل والموصل ، وتولى الوزارة ... » .

أ ــ مسعود هو ابن محمد . ب ــ كتب الطغرائي لملكشاه وتولى الطغراء لمحمد ولمحمود بن محمد . جـ ــ تولى لمسعود الوزارة في الموصل .

٢٧٨ ــ ص ١١٦٠ « طغرل بك ، ركن الدين محمد بن مخائيل ١٠٣٨ ـ ١٠٦٣ من سلاطين السلاجقة (الفرع الإيراني) أخضع ملوك جرجان وطبرستان ، غزا خوارزم وما إليها في فارس ، دخل آسيا الصغرى ، فتح بغداد وخطب باسمه » .

أ ــ مخائيل : ميكائيل . ب ــ الفرع الإيراني : السلاجقة العظام . جـ ــ خط فتوح السلاجقة بقيادة طغرلبك معروف وليس فيه أو منه ملوك جرجان وطبرستان وخوارزم ... وآسيا الصغرى ... د ــ فارس اقليم من أقاليم بلاد العجم وليست جرجان وطبرستان وخوارزم فيه وإنما هي أقاليم

تقع في شمال شماله ـ يبدو أن الموسوعة خلطت بين أكثر من سلطان وبين أكثر من مكان وزمان .

٢٧٩ — ص ١١٦١ « الطقطقي ، محمـــد بن ... زعيم علوي في الحلة والنجف وكربلاء ، من أهم مؤلفاته « الآداب السلطانية » المعروف بالفخري ، تناول فيه علم السياسة وخلاصة تاريخ الدول الإسلامية » .

أ ـ الطقطقي : ابن الطقطقي لأنه محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي . ب ـ لا بد من ضبطه بالشكل : ابن الطِّقْطِقَى . ج ـ لا معنى أو داع إلى : « زعيم علوي في الحلة ... » . إن حياته ترتبط بالموصل ، وفيها ألَّف كتابه لصاحبها فخـــر الدين عيسى بن إبراهيم (أو إبراهيم بن عيسى) . د ـ الاسم الكامل للكتاب : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية . هـ ـ علم السياسة كلمة ضخمة . قال صاحبه في المقدمة : « هذا كتاب تكلمت فيه على أحوال الدول وأمور الملك ... » .

٢٨٠ — ص ١١٦٤ « طه حسين ... تولى منصب مدير جامعـــة الاسكندرية ... « ... ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية ... » .

أ تولى ... . لم يكن طه حسين مديراً لجامعة الاسكندرية وإنما كان منتدباً لإدارتها يوم كان مستشاراً فنياً لوزارة المعارف وقد شغل المنصبين معاً . وكان مقره في القاهرة . ب ـ قول الموسوعة « ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية » غير دقيق لأنه يجعل حياة ابن خلدون جزءاً مهماً جداً من الكتاب وهذا غير صحيح ، ولم يتضمنه العنوان الفرنسي للكتاب بترجمته الحرفية : دراسة تحليلية ونقدية لفلسفة ابن خلدون الاجتماعية » أو عنوان الكتاب عنـــدما ترجمه عبد الله عنان إلى العربية : « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » .

٢٨١ — ص ١١٦٤ « طه الراوي ... له مؤلفات منها ... « تاريخ تفسير القرآن » و « تاريخ علوم الأدب ... » .

أ ــ لا أعلم أن للراوي كتاباً بعنوان « تاريخ تفسير ... » وقد ذكر ولده حارث طه الراوي في كتاب عنه مؤلفاته المخطوطة فجاء فيها : « تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، وتضمن هذا الكتاب محاضرات ألقاها الراوي على طلبة جامعة آل البيت ببغداد » . ب ــ العنوان الصحيح لـ « تاريخ علوم الأدب » : تاريخ علوم اللغة العربية ــ ط . (بغداد ، ١٩٤٩) .

٢٨٢ ــ ص ١١٦٤ « طه الهاشمي ... جندي وسياسي عراقي ... » .

كلمة جندي لا دلالة لها عند العرب عند إطلاقها على رجل وصل إلى مرتبة عميد في الجيش وشغل رئاسة الأركان ووزارة الدفاع ...

٢٨٣ ــ ص ١١٦٥ « الطهطاوي ، رفاعة رافع ... اتصل بالمستشرقين ميلنستر دوسامي وكوزين دوبرسفال ... » .

أ ــ سيلفستر : سلفستر Silvestre . ب ــ كوزين ... : كَوْسان Cassin de Perceval .

(حرف الظاء)

٢٨٤ ــ ص ١١٧١ « الظفير : إمارة بالمملكة العربية السعودية تقع في جبال السراة ... أهم جبالها شمروخ ... قاعدتها بلجرشي ، ومن بلادها الظفير وكانت العاصمة من قبل ... » .

أ ــ الظفير : امارة ... : بــــلاد غامد وزهران : امارة ... ب ــ شمروخ : شمرخ .(وهو في بلاد زهران) . جـ ــ قاعدتها ... : كان مركز الإمارة في « الظفير » ثم انتقل إلى بلجُرشي (حوالي عام ١٣٧٥ هـ) ، ثم انتقل إلى الباحة (عام ١٣٨٣) .

الدكتور ـ علي جواد الطاهر

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

- ٢ -

وصف جملة آثار الديار

الصورة الأولى الشهيرة التي تستوقفنا ، وتلفت نظرنا في وصف الديار بجملة آثارها ، ولا سيما الدِّمن والبقايا المنتثرة على الأرض ، هي تشبيه الديار بالكتاب ، أي الصحيفة المكتوبة . قال المرقش الأكبر في ذلك (١) :

هل بالديار أنْ تجيبَ صممْ لو كان رسمٌ ناطقاً كلَّمْ
الدارُ قفرٌ ، والرسومُ كما رقَّش في ظهر الأديم قلمْ (٢)
ديارُ أسماءَ التي تبَلَتْ قلبي ، فعيني ماؤها يَسْجُمْ (٣)

أقام المرقش في هذه الصورة التشبيه بين فناء الدار وما أبقى فيها القوم الراحلون من دِمَن ورسوم ذات ألوان تخالف لون الرمال الممتدة حول الديار ، وبين الصحيفة المكتوبة بما فيها من سطور مكتوبة بالسواد ، يختلف لونها عن لون الصحيفة الأصلي .

---

(١) المفضليات ٢٣٧ .
(٢) رقش : أي كتب وحسّن الكتابة . والأديم : الجلد ، وكانوا يكتبون عليه .
(٣) تبلت قلبي : أي أصابت قلبي . ويسجم : أي يقطر بالدمع .

وينضاف إلى ذلك عنصر القِدَم والبلى في بقايا الديار التي تمحوها الرياح والمطر مع الزمن ، وفي الصحيفة المكتوبة التي تبلى وتمَّحي سطورها على مر الزمن أيضاً ، فتحول ألوانها ، وتتمزق أطرافها . وهذا هو عنصر التأثير الفني في هذه الصورة .

وقد اكتشف شعراء العرب بخيالهم الشعري هذه العناصر المشتركة ، وكشفوا ما بينها من علاقة . فرسموا لذلك صوراً كثيرة على هذه الطريقة في شعر الوقوف على الأطلال . على أن الأعلم الشنتمري قال في شرح شعر لامرىء القيس : « وإنما يشبهون الرسوم بالكتاب ، لأنها تدل على مواضع الديار وتبينها ، كما يدل الكتاب على المعنى المراد ، ويعبر عنه ، مع دقته وحَقَرة حروفه [1] » . وهذا نظر عقلي ، فيه تكلف ظاهر ، وبعد عن الواقع . وقد شبه الشعراء الرسوم بأشياء أخرى غير الكتاب .

ولم تكن رؤية الصحيفة المكتوبة شائعة بين العرب في الجاهلية . ولم يكن الشعراء يرونها كثيراً في بيئة البادية . ولكنهم كانوا يرونها في أيدي الرهبان من النصارى والأحبار من اليهود . ولذلك تردد ذكر الرهبان والأحبار في هذه الصور . كما تردد ذكر المهارق [2] الفارسية ، أي الصحائف المكتوبة . والظاهر أن شعراء العرب كانوا يرون الصحائف الفارسية المكتوبة ، ولا سيما في مناطق شرقي جزيرة العرب ، وشمالها الشرقي في مشارف العراق ، حيث كان التأثير الفارسي سائداً بين قبائل العرب .

وخلاصة القول أن الكتابة لم تكن شائعة بين العرب في الجاهلية ، ومعرفتها كانت نادرة جداً بين قبائل العرب الضاربة في بوادي نجد ووسط

(١) ديوان امرىء القيس ٨٩ .

(٢) المهارق : ج مُهْرَق ، وهي الصحيفة المكتوبة ، فارسية معربة ، أصلها مُهرَه (المعرب ٣٠٣ ـ ٣٠٤) .

جزيرة العرب البعيدة عن العمران ، وهي جنة الشعر العربي في الجاهلية . ولكن الشعراء كانوا يرون الصحائف المكتوبة في أيدي رهبان النصارى وأحبار اليهود ورجال الفرس . فاستمدوا صورة الصحيفة المكتوبة منهم بطريق الاتصال بهم .

وقد ذكروا هؤلاء جميعاً في شعرهم الذي صوروا فيه آثار الديار بالصحيفة المكتوبة . والأمثلة على ذلك كثيرة موفورة . قال امرؤ القيس يذكر رهبان النصارى (١) :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفانِ ورسم عفَتْ آياتُه منذ أزمان(٢)
أتتْ حِججٌ بعدي عليها ، فأصبحتْ كخط زَبُورٍ في مصاحف رهبانِ (٣)

وقال الشماخ يذكر الحَبْرَ اليهودي (٤) :

أتعرف رسماً دارساً قد تغيَّرا بذَرْوَةَ أقوى بعد ليلى وأقفرا (٥)
كما خطَّ عبرانيَّةً بيمينه بتيماءَ حَبْرٌ ، ثم عرَّض أسطرا

وقال الحارث بن حِلِّزةَ يذكر المهارق الفارسية (٦) :

لمن الديارُ عَفَوْنَ بالحُبْسِ آياتُها كمهارق الفرسِ

* * *

(١) ديوانه ٨٩ .
(٢) عرفان : أي عرفان الديار . وآياته : علاماته وآثاره .
(٣) حجج : أي سنون ، مفردها حِجّة . والمصحف : هو الكتاب في أصل اللغة . والزبور : الكتاب المزبور ، أي المكتوب ،
(٤) ديوانه ٢٦ .
(٥) ذروة : اسم موضع . وأقوى : أي خلا .
(٦) المفضليات ١٣٢ .

والصورة التي تلي صورة الصحيفة المكتوبة في وصف الديار هي تشبيه آثار الديار بالثوب ، ولا سيما الثوب البالي منها . قال عَبِيد بن الأبرص في ذلك[١] :

يا دارَ هندٍ عفاهـا كلُّ هطّالِ ... بالجوِّ مثل سحيق اليُمْنَة البالي[٢]
جَرَتْ عليها رياحُ الصيف فاطّردتْ ... والريحُ فيهـا تعفّيها بأذيالِ[٣]

نرى في هذه الصورة الأرض الواسعة الممتدة ، وعليها آثار الديار التي تخالف بألوانها الداكنة لون الأرض الأصلي ، وهو أغبر . وفي الطرف الآخر نرى الثوب اليمني البالي ، وعليه النقوش والزخارف بألوانها الحائلة التي تخالف لون الثوب الأصلي . ونلحظ أن هناك عنصراً مشتركاً بين آثار الديار القديمة وبين الثوب البالي هو صفة البِلَى والقِدَم . وبناء هذه الصورة يشبه بناء الصورة الأولى ، كما أن عناصر التصوير فيها متشابهة .

ويستمد الشاعر عناصر صورته من بيئته التي يعيش فيها . فقد كان كثير من العرب ، ولا سيما الرؤساء والأشراف منهم يلبسون الثياب اليمنية . فهي من المرئيات التي يراها البدوي حوله كل يوم في بيئة البادية .

وقد أكثر شعراء الجاهلية من ذكر الثياب اليمنية في مجال التصوير في شعر الوقوف على الأطلال ، وتشبيه الديار بالثوب . والسبب في ذلك هو شهرة اليَمَن بصنع الثياب الملونة المنقوشة في الجاهلية ، واعتياد العرب لبس هذه الثياب الواردة من اليمن . والبرود اليمنية مشهورة عند العرب

(١) ديوانه ١٠١ .
(٢) الهطال : السحاب الذ يهطل بالمطر . والجو : المكان الواسع الخالي . والسحيق : البالي المسحوق . واليمنة : الثوب اليمني .
(٣) اطردت : أي صار فيها خطوط متتابعة متعرجة من هبوب الرياح .

في القديم ، وقد تردد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء في شتى أغراض الشعر . ولقد كانت اليمن موطن حضارة زاهرة في القديم . ومعظم الأشياء والأدوات المصنوعة التي كان العرب يستعملونها في الجاهلية مصدرها اليمن ، مثل السيوف والثياب وغيرها .

هذا ونجد أمثلة كثيرة لتشبيه الديار بالثياب اليمنية في شعر شعراء الجاهلية .

* * *

والصورة الثالثة التي رسمها شعراء الجاهلية في مجال وصف آثار الديار هي تشبيه الديار بجفن السيف المزين المنقوش . قال طرفة بن العبد البكري في ذلك[1] :

أتعرفُ رسـمَ الدار قفراً منازلُهْ كجفن اليماني زخرف الوَشْيَ ماثِلُهْ[2]

ديارٌ لسلمى إذ تصيدكَ بالمنى وإذ حَبْلُ سلمى منك دانٍ تُواصِلُهْ[3]

يشبّه طرفة في هذه الصورة بقايا الديار بغمد السيف اليماني المزخرف الموشى . والعلاقة بين عناصر الصورة هي الألوان والأشكال ، واختلافها أو تشابهها . فهناك لون الأرض في البادية ، وعليها بقايا الديار وآثارها بألوانها وأشكالها من جهة ، ولون جفن السيف ، وعليه النقوش والزخارف بألوانها وأشكالها ، من جهة أخرى . والغاية هي تصوير آثار الديار بألوانها وأشكالها ، ويتم ذلك للشاعر بتشبيهها بألوان النقوش والزخارف وأشكالهـا في جفن السيف اليماني .

---

(١) ديوانه ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٢) اليماني : السيف اليماني . وجفن السيف : غمده . وماثله : أي صانعه .

(٣) حبل سلمى : وصالها ومودتها .

والعلاقة بين الديار وجفن السيف في هذه الصورة كالعلاقة بين الديار وبين الثوب البالي والصحيفة المكتوبة في الصورتين السابقتين . وذلك أن الموضع الذي تقع فيه الديار له لون خاص ، هو لون الصورة العام ، ويكون أغبر أصفر مائلاً إلى البياض ، أي اللون الغالب في البادية . أما الديار فلها لون خاص ، يختلف عن اللون العام للموضع الذي تكون فيه ، وتضرب في الغالب إلى الدكنة والسواد . وكذلك الأمر في جفن السيف والثوب البالي والصحيفة المكتوبة . فهذه الأشياء لها لون في الأصل ، هو اللون العام فيها . وفوق هذا اللون العام تأتي الزخارف والنقوش في جفن السيف أو الثوب البالي ، وتكون جميعها بألوان مختلفة عن اللون العام الأصلي . وتأتي كذلك سطور الكتابة في الصحيفة المكتوبة ، وتكون بالمداد الأسود في الغالب ، وتغاير لون الصحيفة العام ، وهو الأبيض أو الأصفر وما إليهما .

ونرى أن العلاقة بين عناصر التصوير واحدة في الصور جميعاً . فلون الموضع العام الذي تقع فيه الديار يقابل اللون الأصلي في الصحيفة أو الثوب أو جفن السيف . ولون آثار الديار يقابل لون السطور في الصحيفة ، وألوان النقوش والزخارف في الثوب وجفن السيف .

وقد استمد الشعراء التشبيه في هذه الصورة من بيئتهم الخاصة التي يعيشون فيها ، إذ كان السيف من أدوات العرب الضرورية في الجاهلية ، لأنه سلاحهم الأول الذي كانوا يستعملونه في حروبهم ، وكانوا يحملونه في أسفارهم . والسيوف اليمانية هي مدار التصوير في هذه الصورة ، كما كانت الثياب اليمانية مدار التصوير في الصورة السابقة . فقد ردد الشعراء ذكرها كثيراً في معارض هذه الصور . وذلك لاشتهار اليمن بطبع السيوف الجيدة

المزخرفة مثل اشتهارها بصنع الثياب الجميلة الملونة . وهذا أيضاً دليل آخر على غنى اليمن القديمة ، وازدهار الحضارة فيها .

* * *

وهناك أخيراً صورة رابعة شائعة في شعر الوقوف على الأطلال ، رسمها الشعراء في مجال وصف آثار الديار ، وهي تشبيه آثار الديار بالوشوم في الكف أو في معصم اليد ، والوشم نقوش تنقش بطريقة خاصة [١] في ظاهر الكف ومعصم اليد وأنحاء معينة من الوجه وغيره للزينة والتجميل ولذلك شاع اتخاذ الوشم بين النساء بصورة خاصة . قال زهير بن أبي سلمى في ذلك [٢] :

لمن طللٌ برامةَ لا يَرِيمُ   عفا ، وخلا له عهدٌ قديمُ [٣]
يلوحُ كأنه كفَّا فتاةٍ   تُرَجِّمُ في معاصمها الوشومُ [٤]

يقيم زهير التشبيه في هذه الصورة بين بقايا الدار على الأرض بألوانها الحائلة التي تختلف عن لون الأرض ، وبين آثار الوشم في المعاصم بألوانها الكامدة التي تخالف لون المعاصم .

---

(١) وذلك أن المرأة تغرز ظهر كفها ومعصمها بإبرة أو بمسلة حتى تؤثر فيه . ثم تحشوه بالكحل أو النيل أو النؤور ، وهو دخان الشحم ، فيزرق أثره أو يخضرّ .

(٢) ديوانه ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٣) لا يريم : لا يزول . وخلا له : مضى له .

(٤) ترجم أي تُرَدَّد مرة بعد مرة ، ويعاد عليها حتى تثبت .

والعلاقة بين عناصر التصوير في هذه الصورة هي علاقة الألوان واختلافها ، وعلاقة الأشكال وتشابهها ، كما هي الحال في الصور السابقة سواء . يقابل زهير في مخيلته الشعرية بين لون المكان الأصلي الذي تقع فيه الديار وبين لون المعصم الذي فيه الوشم . ثم يقابل بين ألوان آثار الديار وأشكالها وبين ألوان الوشوم وأشكالها في المعصم .

والوشم عادة اجتماعية كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ، هي مازالت منتشرة بينهم في البوادي والأرياف إلى اليوم . ولذلك يمكننا أن نقول إن الوشم كان من الأشياء التي يراها الشاعر كل يوم في بيئته الخاصة . فاستمد التشبيه في هذه الصورة من هذه الرؤية الدائمة .

(يتبع)

عزة حسن

التعريف والنقد

الغابة المنسية

ديوان للشاعر المصري أحمد مخيمر

من منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

عدد الصفحات (٣٨٠) صفحة من القطع الصغير طبع عام ١٩٦٥

الأستاذ أحمد مخيمر شاعر عربي الأصل ، بل هو من أصل دمشقي ، وإن ولد في مصر ، وشعره يوحي إليك بالطبع السليم والسليقة الصادقة ، وإن كنت تلمح فيه بعض الإبهام حيناً ، وبعض الضعف التركيبي في أحيان أخـــرى ، رغم أنه من طلاب دار العلوم التي خرّجت أفضل شعراء الشباب في مصر .

قدّم الشاعر لديوانه مقدمة ضافية وصف فيها بصراحة ووضوح بداية حياته ، ورأيه في الشعر الذي تراوح بين الرجعية والواقعية ، كما بحث حرية الفنان وإيمانه بهذه الحرية التي أدت بالشاعر إلى ـ تحطيم البحور المعروفة ـ عافاه الله وأبقاه ، كما فعل في ديوان « بوذا » ، ولست أدري كيف استطاع هذا الشاعر الموهوب الذي عاش بين مضارب البدو في بلدته وبين الأزهر ودار العلوم في القاهرة ، وكلاهما حصن من حصون اللغة العربية ، أقول لست أدري كيف استطاع أن يعمل على تحطيم بحور الشعر العربي .

أما شعر الشاعر فقوي عربي ، لولا شيء من التفكك ، في بعض أبياته ، وهذه من طبيعة الشاعر الذي ينصب عليه الشعر انصباباً ، ويأتيه وحياً وإلهاماً ، فلا يكون لديه وقت للتجويد والتصنيع ، ولكن أحمد مخيمر

شاعر مطبوع ، يشهد بذلك ديوانه هذا ودواوينه الأخرى ، والمجلات ودور الإذاعة ، وهاتيك الأغاني الوطنيّة التي تحمل طابع أحمد مخيمر ، في السهولة والانطباع والجمال الفني .

وأرجو أن تقرأ هذه الأبيات الثلاثة التي أثبتها في مقدمة ديوانه « الغابة المنسية » وهي :

قلبي بقلب الوجود متصل يأخذ منه الحقيقة الأولى
يا لزماني ، فكيف يفهمني قلت سؤالاً ، أو كنت مسؤولا
برغم ما تقرأون من كلمي فإنني ما أزال مجهولا

لتعرف أي شاعر هذا الشاعر الذي احتل مقاماً مرموقاً بين شعراء مصر المعاصرين.

أحمد الجندي

ديوان الكعبي

من منشورات المكتبة الحيدرية في النجف عام ١٩٦٥ (الطبعة الثانية)

عدد صفحاته (٥٠) صفحة من القطع المتوسط

هذا ديوان شاعر يدعى الحاج هاشم بن حردان الكعبي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري والربع الأول من القرن الثالث عشر في العراق ، وقد جمع هذا الديوان المراثي التي قالها الشاعر في سيدنا الحسين (عليه السلام) شهيد كربلاء ، حتى لقد عُدَّ هذا الشاعر مختصاً بالتفجع على الإمام الشهيد وذكر مناقبه وفضائله ، وقد قدم للديوان وعلّق عليه وصححه السيد محمد حسن آل الطالقاني .

ويبدأ الديوان بمقدمة طويلة للأستاذ الطالقاني بدأت بـ : التمهيد والاستشراق والمستشرقين ثم انتهت بالحديث عن ديوانيه : المخطوط والمطبوع وبعض الملاحظات والخاتمة : وهذه المقدمة الطويلة تقع في قرابة (٩٠) صفحة .

أما شعر الديوان فمن الشعر المحافظ على الأسلوب العربي والقافية المعروفة عند العرب ، وهو يعتبر شعراً تقليدياً ، فلا ترى فيه أثراً للتجديد ، والشاعر يحاكي الشعراء العرب في ذكر العيس والأطلال واجتماع الشمل والتعريس والنزوح بحيث تجـــد نفسك أمام ديوان قديم في طريقته وإن كان جديداً في تاريخه .

أما رثاؤه للحسين (عليه السلام) فلم يخرج عن رثاء رجل أحس بالفجيعة فبكى بكاءً صادقاً وذكر أهل البيت ممن شهدوا الوقيعة .

وهذا اللون الشعري كثير في دواوين شعراء النجف وكربلاء والحلة ، وهو يكاد يكون لوناً خاصاً بأدباء هذه المنطقة الذين أخلصوا الود والفجيعة إزاء مقتل الحسين كما جعلوا ذكرى هذه الواقعة جزءاً من حياتهم .

أ . ج .

ديوان السيد موسى الطالقاني

تحقيق محمد حسن آل الطالقاني وطباعة النجف عام ١٩٥٧ م

عدد صفحاته / ١٧٤ / صفحة

هذا ديوان لشاعر نجفي عاش ما بين عامي ١٢٣٠ — ١٢٩٨ للهجرة ، تضمنت الصفحات الأولى تقريظاً بخط العـالم الجليل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله ، وفهرساً بأبواب الديوان ، ثم بصورة للشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الكتابين الكبيرين (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و (طبقات أعلام الشيعة) وقد أهدي الديوان إليه . كما أثبت صورة أخرى لناشر الديوان . وبعد ذلك حديث عن أسرة الشاعر ، ثم مقدمة بقلم الناشر ، تحدث فيها عن حياته وأسرته وتأثره بالشعراء السابقين وخاصة الشريف الرضي .

أما الشريف الرضي فكل شاعر في النجف وما جاورها من المناطق العراقية متأثر به ، كما هو متأثر بمهيار وبنهج البلاغة للامام علي رضي الله عنه .

أما التقريظات الكثيرة والأماديح المتعددة في مقدمة الديوان فلا تعطينا فكرة صحيحة عن الشاعر وكنا نتمنى لو أن الناشر استغنى عنها لقلة جدواها ، ولأن الناظر في الديوان لا يجوز ، أو لا يمكن أن يعتمد عليها في تكوين رأي خاص بالشاعر .

والديوان يشتمل على الأبواب الشعرية الآتية : المدائح ، المراثي ، الوجدانيات ، التهاني ، الموشحات الحماسيات ، التخميس والتشطير ، المراسلات ، الإخوانيات ، المتفرقات . كما تضمن عدداً من الفهارس المختلفة .

وأما شعر الديوان ؛ فقوي ، بالغ القوة ، وهو كما رأيت من أبوابه ، يسير على الطريقة التقليدية المعروفة ، ولكن الشاعر يتمتع بملكة لفظية حبته إياها حافظة قوية وثقافة عربية أصيلة ، واسمع لهذه الأبيات يخاطب فيها أحد أصحابه ، وهي تذكرك بكثير من شعر البحتري وأبي تمـــام والشريف الرضي ، قال :

ملكت قيادي بالجميل الذي تسدي ... إليَّ يدا جدواك يا كوكب المجد

وأرغمت حسّادي فأضحت روامقاً ... نواظرهم شزراً إليَّ من الحقد

وما أنا ممن يُخْلِقُ البين ودَّهُ ... ولا أنا ممن حال يوماً عن العهد

إنه الشعر القوي الذي يعتمد على الديباجة الرصينة والحبكة المتينـة ، ولكنه ، كالكثير من الشعر العراقي ، يزهد دائماً بالصور البراقة اللماحة والخيال البعيد الرائع .

شوقي وأمارة الشعر

تأليف عبد الرحيم محمد علي ، عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة
طبع الكتاب في مطبعة « الغري الحديثة » في النجف عام ١٩٦٨ م
ويقع في (٦٤) صفحة

هذا كتاب تعرّض لموضوع قامت حوله مناقشات كثيرة كانت أقرب إلى التشاحن والتنابذ ، وهو موضوع أمارة الشعر التي لم يفد منها شوقي الشاعر إلا كثرة الخصوم وتأريث العداوات التي أملاها الحسد وأوجدها التنافس البغيض .

فشوقي كان أكبر شاعر في عصره ، سواء أكان أميراً أو لم يكن ، وشوقي كان إذا نطق بزّ القائلين ، وإذا نظم ترك الناظمين خلفه ما يطيقون له لحاقاً ، والذي أراه أن شوقي لم يكن راضياً عن هذا اللقب إلا لأنه ذكرى من ملك صدقه الودّ ومنحه من كرمه وحبه ما لم يستطع جحوده ونكرانه ، كما قال صاحبه المتنبي قبله :

لكن وجدت قبيحاً أن يجاد لنا وأننا بقضاء الحق بُخّالُ

وقد أهدى المؤلف الكتاب إلى روح الشاعر الكبير الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، وحسناً ما فعل ، ثم يلي الإهداء المقدمة القصيرة التي كتبها المؤلف والتي وردت فيها العبارة التالية التي لفتت نظرنا وهي : « وبالرغم من أن شوقي كان متصلاً بالقصور ، ومتفانياً في طلب رضى ساكنيها . فهو علم من أعلام عصره » وقد وجدنا أن جزء العبارة الأول لا يتعلق بجزء العبارة الثاني ، وما العلاقة بين اتصال الشاعر بالقصر وبين شعره ما دام الشعر جيلاً والكلام موفقاً .

لقد كنا نريد للمؤلف أن لا يسير على غرار النقاد الذين ينظرون لشعر الشعراء من خلال صفات خاصة بهم لا ارتباط بينها وبين شعرهم ، وإن أحسن النقد هو النقد الوضعي الذي يدرس الشعور مجرداً ، كما يدرس المؤرخ أحداث الزمن من خلال الواقع الصحيح .

ولم يكن شوقي كما قال العقاد ـ رحمه الله وغفر له ـ (علماً في جيله) فحسب ، بل إنه لَعَلَمٌ في تاريخ الأدب العربي كله ماضيه وحاضره ، فالعبارة ـ العقاديه ـ تبدو وكأنها انتزعت من كتاب « الديوان » القديم لا من رأيٍ جديدٍ مبنيٍ على الدرس وأصول النقد .

ثم تتعاقب فصول الكتاب : النظرة التاريخية ، شوقي مبدأ المشكلة ، جماعة تحدثوا عن الأمارة ، الخاتمة ، ثم الفهارس .

ونحمد الله أخيراً على أن هذا الجيل الأدبي قد نسي البحث في الأمارة الشعرية ، فالشعر هو الذي يؤمر نفسه .

على أن الكتاب يعتبر بحثاً جريئاً وفهماً خاصاً للشعر قد نوافقه على بعضه ونخالفه في بعضه الآخر ، وخاصة في آرائه التي نراها تحاملاً صريحاً على الشاعر ولعل المؤلف قد تأثر بمدرسة العقاد وغيرها من المدارس المتطرفة ، ولكن هذا الكتاب ، على كل حال ، يتضمن علماً ، ويتضمن دراسة واعية .

أ . ج .

ديوان الشيخ أحمد تقي الدين

جمعه ونشره المحامي حليم تقي الدين

الطبعة الأولى في (٣١٠) صفحات من القطع المتوسط

طبع عام ١٩٦٢ في (دار الأحد) ـ بيروت ـ لبنان

لخصت الصفحة الأولى من الديوان محتواه الفني فهو : يحتوي مجموعةً من شعر الشاعر وما قيل في مأتمه وفي حفلة ذكراه ، في مدرسة الحكمة ، وما نشرته الصحف عنه .

وتضمنت الصفحة الثانية صورة الشاعر وبيتين من شعره يوحيان بشعور من التشاؤم ، وأثبت تحت الصورة عمر الشاعر الذي امتد بين عامي (١٨٨٨ — ١٩٣٥ ميلادية) .

كتب مقدمة الديوان الأستاذ فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية وهو شخصية أدبية معروفة ، وكتب التصدير نديم ناصر الدين ، وهو صديق الشاعر أو قريبه ، وكتب الإهداء ناشر الديوان المحامي حليم أحمد تقي الدين ولد الشاعر .

وشعر الديوان حافل بالمناسبات فأكثرها نظم أو ألقي في الحفلات المدرسية أو الاجتماعات البلدية ، أو بتكليف من لجنة خيرية أو جمعية للبر والتقوى ، وقد أشار ناشر الديوان إلى كل هذه المناسبات في صدور القصائد .

ولا يُفهمَنَّ من ملاحظتي هذه أنني أنكر على الشاعر شعر المناسبات ، بل إني لأرى أن الشعر لا يكون بغير مناسبة ، أما شخصيَّة يحس بها الشاعر بين جوانحه أو يراها فيما يحيط به من عالم مملوء بالمناسبات التي توحي بالكثير من الشعر الرائع الجميل كتلك المناسبات التي نظم فيها شوقي قصائده الوطنيات

في دمشق والبلاد العربية الأخرى ، فالمناسبة تهيء الجو الشاعر ، ولكن على الشاعر أن يحسن الاستفادة من هذا الجو . أما المناسبات التي لا شعر فيها فلسنا في معرض الإشارة إليها لأنها خارجة عن موضوعنا ، ولأنها أساءت في كثير من الأحيان إلى كثير من الشعراء .

على أن شعر الشاعر فيه رصانة وفيه وضوح وإن لم يكن يوحي إليك بثقافة عميقة لأن الصور فيه قليلة والخيال قصير المدى لا يحلق بك ولا يطير ، وكل ما تلقاه في هذا الشعر أنك تجد نغماً عذباً وألفاظاً جميلة وموسيقى تريحك وترضيك كما في قصيدته (النقاط الثلاث) ومطلعها الجميل :

هل لمثلي قريحة سمحاء ويراع يطيعه ما يشاء
فأريك الجمال روحاً وجسماً في حديث يسيل منه الرواء

أ٠ج٠

آرا الجميل

ملحمة شعرية تاريخية نظمها لويس رزق

تقع في (٢٥٨) صفحة من القطع المتوسط طبعت عام ١٩٦٦ م

هذه ملحمة شعرية تاريخية ، وهي قصة شعرية كما أراد تسميتها مقدمها الأستاذ سعيد عقل ، شعر هذه القصة من الشعر المحافظ على الأسلوب العربي الأصيل ، وقد التزم ناظمها فيها البحر الخفيف ، والتزم القافية الواحدة في مقطوعات تتراوح بين عشرة وخمسة عشر بيتاً ، وهي طريقة تريح الشاعر من عناء تكلف القافية الموحدة .

أما أشخاص القصة فغرباء عن أدب العرب كما يبدو من العنوان ، فهم ملك أرمني وابنه وملك آشوري وزوجته ، والأسماء غير عربية أيضاً من مثل : آرام ، آرا ، شامرام ، ارداز .. الخ .

أما الموضوع فعادي يشبه الموضوعات التي تناولتها القصص التمثيلية في أدب الغرب ، فهو يتلخص في أن ملكة تنتزع من زوجها الملك وتحب أميراً آخر فتجد في النهاية أن هذا الأمير قد أحب واحدة أخرى غيرها . وقدّم للقصة الأستاذ سعيد عقل الشاعر اللبناني المعروف فكتب ما كتب بالطريقة التي عرفت عنه من تجديد يعتمد على غموض العبارة ، وتطور يحاول تغيير الجملة العربية بإيثاره الصعوبة البيانية على السهولة الأخاذة .

الشعر في القصة جميل والمعاني موفقة ، إلا أن الأسماء الأعجمية التي تكاثرت فيه قد أساءت إلى نغمته وموسيقاه العربية ، وهناك اصطلاحات لجأ إليها الشاعر قد لا تتلاءم مع الأذن العربية التي لا تعرف غير الوضوح بياناً عربياً غير ذي عوج ، من مثل قوله : رفوف العذارى ، وغنج السعود ، ولكن الشاعر يوفق إلى حد بعيد حين يتضح له المعنى في مثل قوله :

آه ما أعذب الحياة ، فما الخلـــــد سوى الحب ، نقتفيه حيارى

إنه يصور عذوبة الحياة ، وخلود الحب ، وحيرة المحبين أحسن وصف وأعذبه .

كنت أرجو للشاعر أن يكون موضوعه عربياً صرفاً ، لا عن تعصب وضيق صدر ، بل لأني أوثر العرب على غيرهم في كل مزية حسنة .

أ . ج .

❊❊❊

خمس رسائل ليوسف يعقوب مسكوني

١ — الألحان والتراتيل الآرامية والعربية في كنائس البلاد العربية الشرقية ، فقد ذكر فيها أقسام الألحان السريانية ، والموسيقى الكنائسية ، والألحان الموسيقية في الطقس الكلداني ، وطبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٥م وعدد صفحاتها ١٠ .

٢ — مخطوط كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل لمحمد بن أحمد بن اسحاق المعروف بالوشاء وهو عالم بالأدب ، من أهل بغداد ، كان يحترف التعليم ، وتوفي سنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٤ م ، والمخطوطة كلها من خط يد واحدة وتنسيق واحد ، وخطها واضح جداً ، وعناوين الفصول والمواضيع مكتوبة بالخط الأحمر ، والكتابة بالحبر الأسود الثابت الجيد . وقد تم نسخ هذا المخطوط في ١٦ شوال سنة ١٢١١ هـ بخط محمود بن عثمان الشهير بخطيب النعمانية (ببغداد) . وطول المخطوط ٢٤ سنتيمتراً ، وعرضه ١٥ سنتيمتراً ، وعدد سطور كل صفحة ٢٥ سطراً بالخط الواضح الجيد ، وقد طبعت بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

٣ — نصارى كسكر وواسط قبيل الإسلام ، ذكر المؤلف فيها مار ابراهام الكشكري الأول الجاثليق سنة ٩٨ — ١٢٠ م ، ويعد أول مؤمن مسيحي من ديار كشكر الكائنة في جنوب العراق ، والقريبة آثارها ، وآثار مدينة واسط التي شيدت على أنقاضها ، من مدينة الحي الكائنة على نهر الحي المتفرع من نهر دجلة ، وطبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٤ م ، وعدد صفحاتها ١٥ .

٤ — فتح العرب للصين ومعركة طلس أو الطلائع لغزو بلاد الصين للمستشرق الانكليزي دي . ايم . دنلوب الأستاذ بجامعة كولومبيا . ترجمه عن

الانكليزية الأستاذ مسكوني . فذكر المؤلف فيها معلومات قيمة وقد رجع إلى مصادر جديدة ساعدته على تجويد بحثه واتقانه ، وقد طبعت بمطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٨ ، وعدد صفحاتها ١٤ .

٥ — رسالة يعقوب بن اسحق الكندي في حوادث الجو ، قام بنشرها وتعريفها مع موجز لحياة الكندي الأستاذ مسكوني ، وهي ضمن مجموعة من مخطوطات خزانة فاتح بجامع السليمانية باستانبول برقم ٥٤١١ ، وطبعت بمطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٥ ، وعدد صفحاتها ١٦ .

وبالختام نشكر الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني على ما بذل من جهد في تأليف وتحقيق ونشر هذه الرسائل التي تعد من المباحث الأصيلة لتراثنا العلمي والأدبي ، متمنين له النجاح والتوفيق .

عمر رضا كحالة

النار في حياتنا وتراثنا

تأليف : عبد القادر عياش

عدد صفحاته ٩٦ ، من منشورات صوت الفرات ـ دير الزور ١٩٦٨

هذه رسالة تحوي ٥٣ فصلاً ، جميعها وثيقة الصلة بأجزاء موضوعاتها . ويتمم بعضها بعضاً ، وما من تقليد أو معتقد قديم حول النار عند شعب إلا وقد ترك أثراً صغيراً أو كبيراً في الحياة الحاضرة لذلك الشعب .

وقد قصد المؤلف من عرض هذه الفصول ، إثارة موضوعات وضع النار في منطقة وادي الفرات ، وتسجيل ما يتصل بالنار من فنون الإبداع الشعبي دون الإحاطة بها .

فذكر المؤلف اكتشاف النار واستعمالها ، وأماكن النار وآنيتها ، ونشوء وسائل الاستضاءة ، والنار في الأساطير ، والنار في الفلسفة الاغريقية ، والنار في اللغة العربية ، ومعالجة النار وأحوالها ، وأصوات النار ، وآثار النار في الإنسان والأشياء ، وألفاظ النار والاستنارة في تسمية المعاني والأشياء ، والنار في الحرب ، ونيران العرب ، والنيران المجازية ، والنار عنوان الكرم عند العربي الجاهلي ، ونار القرى في القصص العربي ، والنار في الشعر العربي القديم ، والنار في أمثال الشعوب ، والنار في تقاليد الشعوب ، والنار في ألعاب الشعوب ، والنار في معتقدات الشعوب ، والتحريق ، وإحراق جثث الموتى ، وإحراق الأشخاص أحياء ، وإحراق الكتب ، والانتحار بالنار ، والأرض المحترقة ، والنار في قصص القرآن ، ونار الآخرة في مؤلفات عربية وأوربية ، والحريق وإطفاؤه ، والنار في التشريع ، والنار في الفكاهة ، والنار في الفنون التشكيلية وغيرها ، والنار في تعابير الكتّاب ، والنار في الشعر العربي الحديث ، والنار وما إليها في وادي الفرات ، واستحداث النار واقتباسها ، والوقود المستعمل في الفرات ، وأسماء النار وأفعالها ، والنار في أمثال أهل الفرات ، والنار في قصص أهل الفرات ، والتداوي بالنار ، والاحتكام إلى النــــار ، والنار في ألعاب صبيان دير الزور ، والانتحار بالبترول في دير الزور .

وبالختام نشكر الأستاذ المؤلف على ما لاقى من عناء ونصب في جمع هذه المعلومات القيمة وتنسيقها ، متمنين له كل نجاح وتقدير .

ع . ك .

Les hibliothèques arabes publiques et
semi - publiques en Mésopotamie
en Syrie et en Egypte au
Moyon age
par : Youssef Eche
447 p.
Damas 1967

المكتبات العربية العامة ونصف العامة
في العراق وسورية ومصر في القرون الوسطى

تأليف : يوسف العش

عدد صفحاته ٤٤٧

من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٦٧ م

مؤلف هذا الكتاب الدكتور يوسف العش ، أول من تخصص في تنسيق الكتب والوثائق في القطر العربي السوري ، فقد درس في معهد الوثائق والشروط بباريز ، وعاد إلى دمشق فعين محافظاً لدار الكتب الظاهرية ، فمكث فيها ما يقرب من عشر سنوات ، نسق فيها كتبها المطبوعة والمخطوطة ، ووضع فهرساً في مجلد للمخطوطات التاريخية التي تحويها الدار المذكورة .

ثم انتدب لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، فعهد إليه بمديرية معهد المخطوطات العربية ، فرحل إلى بعض البلاد العربية والإسلامية ، وصور عدداً كبيراً من المخطوطات القيمة التي تبحث في كثير من المعارف البشرية ، فكانت خير مصدر للباحثين والمؤلفين .

وعاد إلى دمشق فعين مديراً للاذاعة العربية السورية ، فأميناً لجامعة دمشق ، فأستاذاً بكلية الشريعة للتاريخ واللغة الفرنسية ، فعميداً لها ، وتوفي بدمشق في ١١ نيسان ١٩٦٧ م .

وقد خلف بعض المؤلفات المخطوطة والمطبوعة — منها هذا الكتاب القيم الذي نقدمه للقراء . وقد قدمه الأستاذ المرحوم لجامعة السوربون بباريز ونال به درجة دكتوراة الدولة ، ويضم هذا السفر بين دفتيه الأبحاث الآتية :

الحضارة العربية والكتاب ، تنسيق المكتبات العربية العامة ، عصر بيت الحكمة ، عصر بيت دار العلم ، مكتبات بغداد وغيرها بالعراق ، مكتبات دمشق ، مكتبات حلب ، وغيرها من مكتبات المدن السورية ، ومكتبات القاهرة العامة وغيرها من مكتبات مصر .

ثم ذكر مجموعات هذه المكتبات وما فيها من الكتب ، والطريقة التي اتبعت في تنسيقها وفهرستها ، فإدارة هذه المكتبات وميزانياتها وأعمالها .

وختم أبحاثه بخلاصة عامه ، ثم اتبعها بفهرس عام للأعلام ، ودور الكتب ، والأمكنة والبلدان ، وأسماء الكتب التي وردت في الكتاب ، ففهرساً للموضوعات ، فثبتاً بالمصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، وقد بلغ عددها **٣٥٣** مصدراً في العربية والفرنسية والإنكليزية .

وقد أحسن المعهد الفرنسي بدمشق صنعاً بنشر هذا الكتاب الذي يعد من المصادر الأصيلة لمباحث حضارة العرب والإسلام ، كما نشكر الأساتذة اندره ريمون ، وبرجه ، وفهد عكام ، على ما بذلوا من جهد في تصحيح الكتاب ووضع فهارسه ، راجين للمعهد المذكور كل تقدم ونجاح .

ع . ك .

فقيد العربية
الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي

نعى مجمع اللغة العربية بدمشق عصر يوم الإثنين في ١٥ صفر ١٣٨٨ ﻫ الموافق لـ ١٣ أيار (مايو) ١٩٦٨ م، رئيسه العلامة الأمير مصطفى الشهابي، كما نعاه مجمع القاهرة، فكان لنعيه الصدى الأليم في أرجاء الوطن العربي، إذ كان الفقيد الكبير علماً من أعلام العربية، تقدم صفوف حماة الفصحى المنافحين عنها، المرابطين على ثغورها المتصلة بالحضارة المعاصرة والعلم الحديث.

بدأ الفقيد حياته على فترة من الزمن دالت فيها دولة العرب، فتسربت الرطانة إلى لغة الناس، واستعجمت خلالها لغة الدواوين والعمال، حتى إذا ما تطلع الغيارى على الفصحى إلى من يحمل عبء الحفاظ على لغة القرآن، تقدم الفقيد وزملاء له عاقبين الطلائع من الرجال، فحملوا الأمانة ووفوا أمّ اللغات حقها عليهم، فكان وكانوا أعلام النهضة العربية الحديثة.

لقد ظل فقيدنا العظيم أكثر من نصف قرن يدافع عن سلامة العربية، ويعمل على إثرائها لتساير ركب الحضارة وتقوم بمتطلباتها، ولتفي بحاجات العلوم المستحدثة، حتى قضى، وهو وراء مكتبه، بعد أن دفع إلى المطبعة آخر مقال له لينشر في هذا العدد من مجلة مجمع دمشق، وبعد بضعة أيام فقط من آخر جلسة عقدها مجلس هذا المجمع، ولقد ظل الفقيد ما يقرب من تسع سنوات رئيساً له، فكان ثالث رؤسائه الأعلام المغفور لهم كرد علي ومردم بك.

★ ★ ★

نسب الفقيد ونشأته ودراسته

ينتسب الفقيد إلى أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين الذين دخلوا بلاد الشام عند الفتح الإسلامي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، والذين حكموا جبل حوران في سنة ٥٦٨ هـ أيام الملك العادل نور الدين محمود زنكي، ثم حكموا وادي التيم فلبنان حتى سنة ١٨٧٠ م على ما هو معروف في تاريخ الشام وتاريخ جبل لبنان والأسرة الشهابية.

ولد الفقيد في غرة شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٣ للميلاد (١٣١١ هـ)، في بلدة حاصبيا مقر بني شهاب في وادي التيم في سفح جبل حرمون (الشيخ) اللبنانية، وكانت من أعمال دمشق، وفي حاصبيا أولاً ثم في بعلبك، حيث انتقل أبوه الموظف في مالية ولاية سورية إليها، تلقى الفقيد علومه الأولية، ثم انتقل إلى دمشق سنة ١٩٠٥م حيث دخل المدرسة البطريركية الكاثوليكية ومكث فيها سنتين، يتلقى دروساً في العربية والفرنسية ومبادىء العلوم العصرية.

وفي سنة ١٩٠٧ م سافر الفقيد مع شقيقه الأكبر الشهيد الأمير عارف الشهابي (١) إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية، وفيها دخل مدرسة إعدادية

---

(١) ترجم الزركلي صاحب «الأعلام» الشهيد الشهابي كما يلي:

[عارف بن محمد سعيد بن جهجاه بن حسين، من أمراء الأسرة الشهابية كاتب من الخطباء الشعراء، من شهداء العرب صبراً في ديوان عاليه التركي.

ولد في حاصبيا (من أعمال دمشق) - ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م - وتعلم في دمشق والآستانة، وشارك في إنشاء «المنتدى الأدبي» في الثانية، وحمل شهادتي الحقوق والملكية، وعاد إلى سورية، فمارس بعض الأعمال الكتابية والادارية سنتين، واستقال فاحترف المحاماة، ودرّس التاريخ في إحدى المدارس الأهلية، متطوعاً لبث المبادئ القومية في تلاميذها. ونشر مقالات كثيرة في =

فرنسية مكث فيها سنتين كان خلالها يدرس على شقيقه الطالب في المدرسة الملكية العالية ، اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب والإسلام ، حتى إذا ما أنهى الشقيق دراسته عاد مع أخيه إلى دمشق .

ودخل الفقيد في دمشق المدرسة السلطانية الثانوية (مكتب عنبر) ولبث فيها سنة ، فلما كانت سنة ١٩١٠ م ، اختارته جمعية أهلية ، ألفها أهل الفكر في دمشق ، واحداً من بعثة قررت إيفادها إلى فرنسة لمتابعة التحصيل العالي فيها ، فسافر وحصل بعد سنة دراسية واحدة على شهادة الدروس الابتدائية العليا من مدرسة مدينة Chalon - sur - Saône ، ثم دخل مدرسة غرينون Grignon الزراعية العليا وتابع دروسه فيها حتى حصل سنة ١٩١٤ م على شهادة (مهندس زراعي) .
وعاد الفقيد صيف السنة المذكورة إلى الآستانة حيث نجح في فحص شهادة التعادل العثمانية ، وكانت نيران الحرب العالمية الأولى قد اندلعت ، فاضطر الفقيد إلى دخول المدرسة الحربية في العاصمة العثمانية مرشحاً لرتبة ضابط احتياط في المشاة ، ثم انتقل إلى مدرسة البرق والهاتف الحربية وتخرّج بعد ستة أشهر برتبة وكيل ضابط ، فعُين قائد فصيل في سرية البرق في مدينة القدس ، ثم نقل إلى دمشق ترجماناً في رهط الإشارة اللاسلكية ، وفيها حصل على رتبة ملازم ، وفي سنة ١٩١٦ م عين الفقيد قائداً لسريتين زراعيتين في

= جريدة « المفيد » البيروتية ، وكان توقيعه عليها « عبد الله بن قيس » ثم تولى تحريرها ، وأصبح شريكاً فيها ، وانتقل إلى بيروت ، ولما نشبت الحرب العامة (١٩١٤ م) عاد إلى دمشق ونقلت الجريدة إليها ، فلم يلبث أن أحسّ بشر الحكومة ، وكان من أعضاء جمعية « العربية الفتاة » السرية ، ففرّ إلى البادية ، فقبض عليه ، وحوكم في « عاليه » ونفذ به حكم الإعدام شنقاً في بيروت (١٣٣٤ هـ / ١٩١٦م) .
كان يجيد التركية والفرنسية ، وترجم عن الأولى رواية « فتح الأندلس ــ ط » للشاعر عبد الحق حامد . وله كتاب في « تاريخ الإسلام ــ خ » ثلاثة أجزاء ، وقصائد وخطب جديرة بالجمع والطبع] انظر الأعلام ج ٤ ص ٩ .

مرج ابن عامر ثم في بيسان ومجدل طبرية ، وفي سنة ١٩١٨ م عين مديراً لزراعة الجيش في دمشق ، وما لبث أن أصبح بعد قيام الحكومة العربية في سورية ، إثر انسحاب الجيش العثماني منها ، مديراً للزراعة في الحكومة المذكورة ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٩١٨ م ، ومن هذا التاريخ بدأت حياة الفقيد في المناصب الحكومية التي تولاها بعدئذٍ .

هذا ولم يكتف الفقيد بما تعلمه في المدارس وما تلقاه عن أخيه الشهيد ، بل ثابر على الدرس والبحث العلمي ، فأتقن العربية حق الإتقان ، كما أتقن الفرنسية والتركية وألم بالإنكليزية ، وأخذ يكتب ويحاضر ويؤلف حتى غدا العالم الذي يشار إليه بالبنان .

المناصب التي تقلدها الفقيد

تقلب الفقيد في مناصب الدولة المالية في سورية ومنح أعلى الأوسمة فيها ، وتسلم منصب الوزارة أربع مرات ، فكان على التتابع منذ عام ١٩١٨ م حتى ربيع عام ١٩٥٤ م يوم أحيل إلى المعاش ، في المناصب التالية :

مدير الزراعة والخراج (١٩١٨ — ١٩٢٣) .

مدير أملاك الدولة (١٩٢٣ — ١٩٣٤) .

مدير الاقتصاد الوطني (١٩٣٥) .

وزير المعارف (١٩٣٦) وكان أحد أعضاء الوفد السوري المفاوض لوضع معاهدة بين سورية وفرنسة .

محافظ حلب (١٩٣٧ — ١٩٣٩) .

وزير المالية ، ثم وزير دولة للمالية والاقتصاد الوطني (١٩٤٣) .

محافظ اللاذقية (١٩٤٣ — ١٩٤٥) .

الأمين العام لرآسة مجلس الوزراء (١٩٤٥) .

محافظ حلب (١٩٤٦ — ١٩٤٧) .

محافظ اللاذقية (١٩٤٨ — ١٩٤٩) .

وزير العدل (١٩٤٩) .

وزير سورية المفوض في مصر (١٩٥١ - ١٩٥٤) وكان أول سفير لسورية في مصر بعد أن رفع التمثيل السياسي بين الدولتين إلى درجة سفارة ، وقد منحته الحكومة المصرية الوشاح الأكبر مع الرصيعة من وسام النيل .

وكان له في المناصب الحكومية التي تولاها مآثر عمرانية كثيرة ، منها العمل على توزيع أملاك الدولة وهي مئات من القرى على الفلاحين تشجيعاً الملكيات الصغيرة ، وذلك عندما كان مديراً لأملاك الدولة ، ومنها تشييد « دار الكتب الوطنية في حلب » و « دار الكتب الوطنية في اللاذقيـــة » عندما كان فيها محافظاً .

الفقيد العالم المجمعي

أخذ الفقيد يكتب وينشر في أهم الجرائد والمجلات العربية مقالات وبحوثاً يعدها العارفون من خالص الأدب الرفيع ، ولكن ما لبث أن طغت على كتاباته الناحية العلمية واللغوية فأصبح في عداد العلماء وكبار المفكرين .

وفي سنة ١٩٢٦ م انتخب الفقيد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وانتخب سنة ١٩٤٨ م عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في مصر ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ م عضواً عاملاً فيه ، وفي سنة ١٩٦١ م انتخبه المجمع العلمي العراقي عضواً مراسلاً . وانتخب غير مرة عضواً في مجلس المعارف الأعلى في سورية ، وعين عضواً في مجلس إدارة المتاحف والآثار ، كما عين عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعـلوم الاجتماعية في القاهرة وفي دمشق ، ومثّل جامعة الدول الدول العربية ثلاث مرات في حلقة الدراسات الإجتماعية ، وفي سنة ١٩٥٣ م انتخبه مجلس جامعة الدول العربية رئيساً للجنة المواصلات الدائمة في الجامعة .

وفي ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٦ م انتخب نائبـــاً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وبتاريخ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٩ م أجمع أعضاء المجمع المذكور على انتخابه رئيساً له لمدة أربع سنوات خلفاً للرئيس الراحل خليل مردم بك ، وقد جددوا انتخابه لمدة أربع سنوات أخرى سنة ١٩٦٣ م ، كما جددوا انتخابه مرة ثالثة سنة ١٩٦٧ م .

وبتاريخ ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ م منحته الجمهورية العربيـة السورية جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٥ ، فكان أول من يمنح هـــذه الجائزة منهـا .

وفي اجتماع عقدته اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية في لندن بتاريخ ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤ م ، قررت اللجنة انتخابه عضواً مشاركاً ، وأتاه رجاء بالقبول فقبل .

منزلة الفقيد العلمية واللغوية

أجمع أرباب الزراعة في بلاد الشام على أن الفقيد الأمير مصطفى الشهابي يعد أكبر عالم زراعي في العصر الحديث ، أما من حيث المصطلحات الزراعية ، فقد قال الدكتور أمين المعلوف صاحب معجم الحيوان (١) : « لا يختلف اثنان في أن الأمير هو علامة العربية الأوحد في المصطلحات الزراعية وأنه فيها نسيج وحده » ، ذلك أنه قضى سنين عديدة من حياته يدرس نباتات الشام الزراعية وحشراته وحيواناته الأهلية وجويّاته واقتصادياته ومياهه ، فاستطاع أن يطبق العلوم الزراعية الحديثة في بلاد الشام ، سواء في أعماله الحكومية أم في مؤلفاته الزراعية ، وكان لزاماً عليه ، في نقل علوم .

(١) انظر مجلة المقتطف المصرية عدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٥ .

الزراعة الحديثة إلى العربية ، أن يتحرى أصلح الألفاظ في المعاجم العربية وفي كتب النباتات والحيوان والزراعة القديمة ، وقد قام بهذا العمل المضني خير قيام ، وحقق به عدداً كبيراً من المصطلحات العربية وجعلها أمام الكلم الفرنسية .

أما النباتات الزراعية التي كانت العرب تجهلها فقد وضع الفقيد لها أسماء عربيّة أو معربة بطريقته الخاصة ، وهي الرجوع إلى أصول الأسماء العلمية الدالة على هذه النباتات ، ثم ترجمة تلك الأسماء بمعانيها الأصلية أو تعريبها إذا كانت تدل على أعلام ، وهكذا تمكن الفقيد من إضافة مئات الألفاظ إلى اللغة العربية .

وقد نشر الفقيد كثيراً من المصطلحات التي وضعها في هذه المجلة وفي مجلة المقتطف المصرية ، ثم أودع معظمها كتاباً أطلق عليه اسم « معجم الألفاظ الزراعية » وقد طبع بدمشق سنة ١٩٤٣ م أولى طبعاته ، وداوم الفقيد على وضع المصطلحات أو تحقيقها فهيأ لمعجمه المذكور نحواً من ألف مادة جديدة أثبتها في طبعته الثانية التي ظهرت في القاهرة سنة ١٩٥٧ م بعد أن ساعدت الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية في نشرها .

وشارك فقيدنا الكبير مجمع اللغة العربية في مصر بتحقيق عدد كبير من المصطلحات العلمية ، وأصبح معروفاً في جميع الأقطار العربية بأنه أحد العلماء الذين أغنوا العربية بالمصطلحات العلمية ، وأنه من أوسعهم إطلاعاً على طرائق وضع المصطلحات العربية ، وقد دل على ذلك كتابه المسمى « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » وهو كتاب يضم عشر محاضرات ألقاها الفقيد في أوائل سنة ١٩٥٥ م على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ؛ ويعد هذا الكتاب فريداً في بابه من حيث رسم طرق وضع المصطلحات وبيان تطور اللغة العربية لاستيعاب

العلوم القديمة والحديثة ، وقد طبعه المعهد المذكور في القاهرة فجاء في ١٣٥ صفحة ، وأعاد المجمع العلمي العربي بدمشق طبعه سنة ١٩٦٥ م ،فجاءت طبعته الثانية المزيدة في ٢٠٩ صفحة ، وقد اعترف كثير من أعضاء المجامع العلمية واللغوية وأساتذة الجامعات وكبار الأدباء بأن هذا الكتاب الفريد ، هو أنصع دليل يرشد العلماء العرب إلى أصلح السبل التي يجب أن تتبع في وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية .

وشل مما قيل في مؤلفات الفقيد

أ — كان فقيدنا الكبير أهدى نسخة من معجم الألفاظ الزراعية إلى شاعر القطرين خليل مطران ، وكان الخليل يومئذ أميناً للنقابة الزراعية في مصر فشكره برسالة مؤرخة في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ م جاء فيها :

يا أميراً أهدى إلى لغة الضاد كنوزاً من علمه وبيانه
ذلك المعجم الزراعي قد كان رجاء حققته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلا مجمع بالكثير من أعوانه
دمت ذخراً له مآثره في نفع هذا الحمى وفي رفع شانه

ب — وأثنى الفقيد مرة على محاضرة ألقاها الأمير شكيب أرسلان في ردهة مجمع دمشق، فكتب أمير البيان رسالة شكر بتاريخ ٢٧ من رمضان سنة ١٣٥١ هـ جاء فيها :

« ... وما أريد الآن أن أتواضع لأزداد تمدحاً ، ولا أريد أن أقابل ثناء بثناء ، ولكن أقول مقالة معترف بالحقائق رائز للوقائع أين المُثنَى عليه من المُثني في تحقيقاته العلمية ، وتدقيقاته التاريخية ، وملاحظاته الأدبية ، وتقريراته الزراعية ، وبحاره الزاخرة ، إنه لأمير العلماء حقاً وعالم الأمراء

فعلاً . وإني مع شيخوختي هذه لراضٍ أن أنضوي تحت لوائه ، كما انضوي شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة ..) .

ج — وكتب الدكتور منصور فهمي الأمين العام السابق لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، رسالة إلى فقيدنا بتاريخ ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٩ م جاء فيها :

« .. وإني لا أشك أن إخواننا في المجمع سيجدون أكبر الفوائد في بحوثكم القيمة وتوجيهاتكم الطيبة ، والله نسأل أن يمد في نشاطكم المبارك لخدمة العلم .

وأما اقتراحكم الخاص بالنسب إلى كلمة كيمياء فقد استعرضت لجنة الأصول ما كتبتموه في شأنها ، وما جاء في بحث الأستاذ الكرملي وما نصت عليه المعجمات القديمة ، ورأت أنه يجوز في النسب إليها إثبات الهمزة وقلبها واواً . وترى أن القلب أولى .. [1] »

د — وكتب العلامة الدكتور أحمد زكي عند صدور الطبعة الثانية من معجم الفقيد الزراعي ، مقالاً بعنوان « مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، عالم من دمشق جدير بالتنويه [2] » ما يلي :

« وعالم قح ، هو أحد علمائهم ، وهو في علم الحياة خاصة أحسبه أوسع علمائهم علماً باللغة ، وهو على كل حال عالم فرد فذ في ذاته ، غير مقارن بغيره ولا منسوب ، فهذا العالم الأحيائي جمع وحده ، وصنع وحده ، شيئاً

(١) ضاع بحث الفقيد عن النسب إلى كيمياء في ديوان مجمع اللغة العربية في القاهرة على ما يظهر ، فكتب الديوان إليه يرجوه نسخة من بحثه ، وكان أن عثر عليه فبعث به إلى مجمع مصر ، ورأت مجلتنا نشره تعميماً لفائدته فطلبت من الفقيد نسخة منه فأرسله إليها وكان آخر ما نشره ، وتم النشر في هذا العدد بعد شهرين من وفاته رحمه الله .

(٢) انظر جريدة الشعب الصادرة في القاهرة بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٥٨ م .

كثيراً من مصطلحات علم الحياة ، جمعها في معجم ، وصفه بأنه معجم صغير ، فبلغ نحواً من ثمانمائة صفحة من القطع غير الصغير . فهذا هو أخونا الأمير مصطفى الشهابي عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ونائب رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق . . »

هـ — وكتب الأديب الكبير الراحل الأستاذ عباس محمود العقاد بحثاً طويلاً إثر صدور « معجم المصطلحات الحراجية » الذي طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٢ م ، بعنوان « كتاب الشهر[1] ومما جاء فيه :

« ... وليس هذا المعجم ، في الواقع ، بالجديد بالنسبة إلى العالم الباحث مؤلفه القدير ، سواء في الكثير من مفرداته ، أو في الطريقة العلمية التي يتوخاها عند نقل المصطلحات أو تعريبها أو وضعها بما هو معروف عنه من سعة المعرفة بعلمه ، وفرط الغيرة على لغته ، وحسن التصرف في أدائه لعبارته ، وقد اطلعنا على هذه الطريقة في معجمه السابق للألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ، ووقفنا على شيء من تفصيلاتها التي يعرضها للمناقشة في جلسات المجمع اللغوي ، وهو علم من أعلامه النابهين الذين يحضرون له أكبر العون في علم النبات خاصة ، وفي غيره من العلوم على الاجمال » .

ومضى المرحوم الأستاذ العقاد في بحثه إلى أن قال : « وليس لنا أن نحكم على المعجم من ناحيته العلمية النباتية ، وإن كنا نعرف رجاحة المؤلف الكبير في علمه من متابعة المناقشات التي تجري بينه وبين فطاحل علماء النبات خبراء هذا العلم في لجان مجلس المجمع أو في جلسات مؤتمراته العامة ، ولكننا من الناحية اللغوية — نلمس دلائل الكفاية التي يتطلبها تأليف أمثال

(١) انظر مجلة « قافلة الزيت » التي تصدر في الظهران ع ٣ المجلد ١١ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ وتموز (يوليو) — آب (أغسطس) ١٩٦٣ م .

هذه المعجمات ، وتزداد الحاجة إليها كما ذكرنا في مستهل هذا المقال عاماً بعد عام . . . وهي كفاية تمت للمؤلف الكبير بالاطلاع والمثابرة على المراجعة في أبواب من الثقافة لا تتصل جميعاً بثقافة فنه . ولا شك أنه اطلاع يسمده الحب والرغبة إلى جانب الفهم والدراية ، تلك الرغبة التي استمدها من قدوة أخيه (عارف الشهابي) شهيد القضية العربية ، الذي قال في إهدائه معجم الألفاظ الزراعية أنه : « علمني أن أحب لغتنا الضادية ، وأن أبذل جهدي في خدمتهـــا » .

الفقيد والقومية العربية

كان فقيدنا من أفراد الرعيل الأول الذين عملوا على استقلال الأقطار العربية ، وقد عمل على ذلك في بعض الجمعيات العربية السرية والعلنية التي قامت منذ أوائل هذا القرن في كل من دمشق والآستانة ، وقـد آخذ المبادئ الوطنية والاندفاع في بذل المستطاع من أجل استقلال بلاد العرب عن أخيه الشهيد الأمير عارف الشهابي ، الذي بذل نفسه في سبيلها ، لهذا نشأ فقيدنا من أشد أقرانه تعصباً لقوميته ، على أن طبيعته ونفسيته جعلته في الأحداث الانقلابية والثورات السياسية يتبع سبل الحكمة دائماً ، وتبعاً لطبيعته هذه ، أصبح أيام انتداب فرنسة على سورية ولبنان ، صلة للتفاهم بين إخوانه الوطنيين وبين الحكام الفرنسيين ، وكان ينصح هؤلاء الحكام بالإقلاع عن سياسة العنف وبالتخلي لأبناء البلدين عن المصالح التي يسيطرون عليها ، وبأن يجعلوا التفاهم قائماً على أساس الاستقلال ، حتى أنه لم يتأخر عن نصحهم بأن مصالح فرنسة نفسها لا يمكن تأمينها إلا باتباع هذه السياسة .

على أن الفقيد كان صريحاً في إعلان عدائه للاستعمار وكرهه للمستعمرين ، وهو يرى أن معظم الحروب الحديثة من جناياتهم ، وقد ألف « كتـــاب الاستعمار » لدحض نظرياتهم وبيان أضرار الاستعمار في المجتمع البشري .

وللفقيد رأي خاص في « من هو العربي » ، فكان يقول : « إن العربي هو من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً » مما دعا لقيام جدل بينه وبين رواد آخرين للقومية العربية .

وآراء الفقيد في القومية العربية وتاريخها وقوامها ومراميها ، مبثوثة في محاضراته في معهد البحوث والدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية ، وقد طبعها المعهد نفسه سنة ١٩٥٩ م .

وكان الفقيد من أكبر قدماء الدعاة إلى تأسيس جامعة للدول العربية ، على أن يُسار بتلك الدول نحو الاتحاد فالوحدة تدريجياً ، وكان يجهر برأيه هذا ، كما دونه في مقال نشرته له جريدة « الأهرام » المصرية ، قبل أن تؤسس « جامعة الدول العربية » بنحو من خمس عشرة سنة .

وكان من آراء الفقيد ضرورة حصر العرب جهودهم في نطاق بلادهم خدمة للإنسانية كلها ، ولا يجوز في رأيه تفكيك عرى القومية العربية بالدعوة إلى مبادئ أو مذاهب مستوردة ، حتى أن الدعوة إلى ما يسمى بـ « الإنسانية الشاملة » كان يراها لا تتفق ومصلحة الأمة العربية في أوضاعها المعاصرة ، لأن النظر إلى العالم نظرة إنسانية يليق بأبناء الشعوب المستقلة القوية ، لا بأبناء الشعوب التي قصاراها الدفاع عن كيانها واستقلالها ، لا سيما وأن الجمهرة من الغربيين الأقوياء يربون أبناءهم ويسيرون في معاملة بعضهم لبعض ، وفي معاملتهم للشعوب الضعيفة ، على مبادئ القومية المتطرفة ، وعلى قواعد الأثرة والاستعمار .

هذا وكان فقيدنا الكبير من المؤمنين بالعلاقة الوثيقة بين القومية العربية والدين الإسلامي ، وبأن هذه القومية مدينة للإسلام كثيراً ، ولا سيما في الخوالي من العصور ، ولكنه مع هذا الإيمان كان يرى أن النهضة العربية الحديثة يجب

أن تؤسس على مبادئ قومية يحمل أعباءها المسلمون والمسيحيون من العرب والمستعربين على السواء .

والقومية العربية في رأي الفقيد ، كما أورده ملخصاً في خاتمة كتابه عن « القومية العربية » : [ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولا مذهباً محدوداً قوامه الأثرة والتعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بنّاءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها ، كما تدعو إلى محبة الإنسانية ، وإلى خير البشرية ، وإلى حق كل شعب على الأرض بتقرير مصيره] .

صفات الفقيد وخُلُقه

كان فقيدنا طويل القامة ممتلىء الجسم ، أشقر الشعر ، أشهل العينين كبيرهما ، قصير الرأس عريض الجبهة ، دقيق العظم ، قوي العضل ، مستقيم الأنف ، حاد النظر .

وكان رحمه الله قوي الإرادة ، عالي الهمة ، دقيق الحس ، واسع الصدر ، طيب القلب ، رقيق الشعور ، صريح الكلام ، نافذ البصر ، وقد ورث صفات الحاكم والرئيس عن أجداده ، فكان معدوداً من أصلح الحكام عندما تولى محافظة حلب ومحافظة اللاذقية ، وعندما كان وزيراً في دمشق .

وقد عرف الفقيد بالإباء والشمم ، واشتهر بالترفع عن الدنايا وسفاسف الأمور ، وكان جاهلوه يظنون فيه كبرياء ، أما الذين يخالطونه فكانوا سرعان ما يحكمون بأنه وديع متواضع تواضع العلماء ، ولكنه مع وداعته شديد الشكيمة لا تأخذه هوادة فيمن يزيغون عن الحق ، أو يجانبون الاستقامة .

كما اشتهر فقيدنا الكريم بطهارة النفس والجيب ، وبازدراء المال والترفع عن جمعه ، فعد لهذه الصفات من أشرف رجال الدولة وأنزههم ، ولقد قضى أكثر من ثلاثين سنة في أعلى مناصب الدولة يعيش براتبه وبقليل مما ورثه عن آله ، عيشة متوسطي الحال ، واكتهل وليس له من الملك إلا الدار التي كان يسكنها في جبل قاسيون ، جبل دمشق ، المدينة التي أحبها وأحبته وأوصى أن يدفن في ترابها .

ونزاهة الفقيد المجردة ، مضافة إلى علمه الواسع وإرادته القوية ، جعلته مرفوع الرأس ، مهيب الجانب ، محترم الرأي ، في جميع البيئات والمجتمعات ، ومكنته من إقامة قسطاس العدل ومن تطبيق أحكام القانون على الغني والفقير وعلى الوجيه والوضيع على السواء ، كما مكنته أيضاً من القيام بأعمال عمرانية وخيرية كثيرة ، ما عرفها أحد إلا وذكره بكل خير وأثنى عليه الثناء العريض .

★ ★ ★

دمشق تبكي الفقيد ودمشق وراء نعشه

استيقظت دمشق صباح نعي إليها الفقيد الكبير ، باكية أخلاقه السامية وعلمه الغزير وغيرته على العربية ، وأخذ كبار القوم من العلماء والمفكرين ورجال الدولة يتوافدون منذ الصباح الباكر على دار الفقيد يقدمون العزاء لأسرته وزملائه أعضاء مجمع دمشق .

وما حان وقت الظهر ، إلا ومشت دمشق بمفكريها وعلمائها وراء نعش الفقيد بموكب مهيب تشيعه إلى مثواه الأخير في جبل قاسيون .

وعند القبر الذي أوصى بأن يضم رفاته ، وقفتُ أمام الجمع الحاشد أرثيه باكياً ، وجادت السماء على ثراه ، وهو يوارى فيه ، بوابل غزير ، كان بشرى للمحزونين بغفران للفقيد وجنات ونَهَر ، مع الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وكان مما قلته في رثائه رحمه الله :

[نقف الساعة خاشعين لنواري الثرى ، علماً من أعلام الوطن العربي . نقف لنُوْدع التراب بطلاً من أبطال الذود عن الورد الذي يجمع أمة ربيعة وقحطان . نقف لنغمد سيفاً من بقيـــة سيوف ما كلّت في الدفاع عن لغة القرآن .

لقد ولد فقيدنا الكبير مصطفى الشهابي في فجر النهضة العربية الحديثة ، وشارك في حمل لواء من أكبر ألويتها ، ثم كان من كبار مؤرخي هـذه النهضة المطلعين على أسرارها ووسائلها .

وشارك الفقيد العظيم ، في الكفاح من أجل استقلال الأمة العربية . وعمل جاهداً مع العاملين على إقامة بناء متين لدولتنا الفتية ، وكان في طليعة رجال الإدارة فيها مذ قامت في هـذا القطر العربي ، الذي حمل مشعل النهضة العربية ، دولة .

وجاهد الفقيد في سبيل إعلاء كلمة العربية ، وقضى وهو ما زال في ساحة الجهاد التي هيأته الأقدار لتولي القيادة فيها ، يذود عن حمى الفصحى ، ويدعم بما أُوتي من علم وعزيمة ، العاملين في خدمتها . لقد سقط الفقيد شهيداً في ميدانه ، بعد أن ختم بحثاً من أبحاثه اللغوية القيمة ، لينشر في العدد القادم من مجلة مجمع دمشق الخالد بأمثاله من أعلام العربية ، خلود دمشق ، قلب العروبة النابض ، رغم العِدى وصروف الزمن .

لقد كان فقيد العرب الكبير ، عالماً غزير المعرفة والاطلاع فيما اختص به من علوم اللغة والنبات ، واسع الثقافة ، مطبوعاً على الأدب ، يتحلى بأسمى ما يتحلى به العلماء من أخلاق ، فكان إذا تكلم فهو العالم الثقة ، وإذا رأى الحق رضخ له ، رضوخ من يؤمن به ولا يعتقـــد بسواه .

لقد كان كرسيّ الفقيد في الوزارات والإدارات التي تولاها ، مهيباً يحف به الكثير من الجلال والوقار ، ويفرض على من يقف أمامه الاحترام والتقدير . كما كان كرسيّه في مجمع دمشق متميزاً بطابع الجهد المضني في خدمة اللغة ، والدأب المتواصل في الدفاع عن حماها . بينما كان كرسيّه في مجمع القاهرة مرموق المكانة تتطلع إليه الأنظار كلما حزب أمر من أمور المصطلحات العلمية ، أو اختلف القوم في قاعـدة من القواعد التي ترضاها أصول اللغة .

لقد كان فقيدنا الكبير هذا كلّه ، وله مع هذا كلّه ، صدر ينطوي على قلب يزخر بالحب والعطف على الآخرين . كان فقيدنا إنساناً في مشاعره وتواضعه ، وكان رجلاً في حزمه وإدارته . وكان أميراً في أخلاقه واستقامته . فضلاً عن أمارته بالنسب .

إني وإن كنت أبكي الفقيد استاذاً جليلاً أدين له بجوانب من المعرفة أفخر بها ، كما أبكيه صديقاً كبيراً أدين له بالوفاء والتقدير ، فأنا أبكيه أيضاً وباسم مجمع اللغة العربية ، زميلاً فذاً كانت له فيه الصدارة والرياسة . وإني لأتقبل باسم المجمع الأسيف ، من هذا الجمع الكريم ، جميل عزائه ، شاكراً له نبيل مشاعره ، مستمطراً شآبيب الرحمة ، وها قد هطلت بإذن الله ، على جدث ضم رفات الفقيد الكبير ، سائلاً الله أن يضوّع بالمسك جوانبه ، وأن يعطر بالشذى الفوّاح أجواءه .

وإنا لله وإنا إليه راجعون] .

★ ★ ★

الفقيد يوارى الثرى في دمشق

وقبيل عصر يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ صفر سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٦٨ م ، ووُوري الفقيد الشهابيّ ترابه الموعود في بقعة من جبل قاسيون تطل على دمشق ، والواقف عليها يرى ما كان قلب فقيدنا الكبير يخفق كلما رآه ، مسجلاً خفقاته في « الشذرات » قائلاً : [والتفتُّ إلى دمشق ، فاذا بها غرقى في خضم أخضر كأنها ياقوتة في نثير من الزمرد ، والجامع الأموي يبرز عظيماً جباراً بمآذنه الشاهقة وقبته العالية] .

وفي تلك البقعة من الأرض أقيم قبر للأمير الراحل كتب عليه ، بوصية منه ، بيت من الشعر من نظمه يقول فيه :

أمّ اللغات قضيتُ العمر أخدمها فهي الشفيعة في غفران زلاتي

اللّهم رحمتك نرجو ، وبك نستعين .

عمر رضا الخطيب



انتخاب رئيس لمجمع اللغة العربية

بدمشق

دعا الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق ، أعضاء المجمع العاملين إلى عقد جلسة خاصة لانتخاب رئيس المجمع إثر شغور منصب الرياسة بوفاة المرحوم الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي .

وعقد مجلس المجمع جلسته مساء يوم الخميس في ٤ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ٣٠ أيار (مايو) سنة ١٩٦٨ م برآسة الأستاذ الدكتور أسعد الحكيم وحضور الأكثرية القانونية من الأعضاء . وبعد أن وقف الحاضرون دقيقتين حداداً على الفقيد الكبير قارئين سورة الفاتحة ؛ ألقيت بعض الكلمات في مآثر الرئيس الراحل ، ثم وزعت على الأعضاء أوراق الانتخاب ، وتبين بعد فرزها أن الأستاذ الدكتور حسني سبح قد فاز بثقة إخوانه أعضاء المجمع ، فأعلن رئيس الجلسة رياسته المجمع راجياً للمجمع في عهده الازدهار والنشاط في تحقيق أغراضه .

وبعد أيام صدر المرسوم الجمهوري التالي :

مرسوم رقم (١٤٠٦)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم ٣١ لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٢

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ١٩٦٨/٥/٣٠ والتي تم فيها انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية خلفاً للرئيس الراحل .

يرسم ما يلي :

١ — يعين الدكتور حسني سبح عضو مجمع اللغة العربية العامل رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات .

٢ — يتقاضى الدكتور حسني سبح تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة ويصرف من الباب الأول — البند الأول (الرواتب) — من موازنة مجمع اللغة العربية .

٣ — ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٣٨٨/٣/٣٠ و ١٩٦٨/٦/٢٦

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

الدكتور يوسف زعين
رئيس مجلس الوزراء

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

فقيد العربية

الأستاذ أحمد حسن الزيات

نعى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، كما نعى مجمع دمشق ، الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات عضو المجمعين وصاحب « **مجلة الرسالة** » توفاه الله صباح يوم الأربعاء الواقع في ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ م .

★ ★ ★

ولد فقيد العربية الكبير **أحمد حسن الزيات** سنة ١٣٠٢ هـ — ١٨٨٥ م في بلدة كفر دميرة القديم بطلخا من أعمال محافظة الدقهلية في مصر ، وتلقى مبادئ تعليمه الأولي في طلخا ، ثم رحل إلى القاهرة والتحق بالجامع الأزهر يتلقى فيه علوم العربية والدين ، وكان يتابع دروساً خاصة في اللغة الفرنسية مكنته بعد سنوات من الالتحاق بمدرسة الحقوق الفرنسية في القاهرة .

وبدأ الفقيد يشتغل بتدريس الأدب العربي وعلوم العربية في بعض المدارس الأهلية ، ولم تمض بضع سنوات عليه وهو في التدريس إلا وأخرج للناس كتابه القيم عن « **تاريخ الأدب العربي** » . وهذا الكتاب يعتبر في القمة من كتب تاريخ الأدب ، إذ كان للفقيد فيه فضل السبق في **المنهج الواضح لدراسة الأدب العربي** ، وفي حسن اختياره النماذج العالية من هذا الأدب في مختلف عصوره ، وفي تصويره أصحاب تلك النماذج تصويراً حياً فيه جدة وفيه عمق ، وكل ذلك بأسلوب متين مشرق وبعبارة بليغة مكينة .

واشتهر الفقيد بكتابه المذكور شهرة عمت أرجاء الوطن العربي ، وزاد شهرة وتألق اسمه بعد أن ترجم إلى العربية عن الفرنسية قصتين هما : « آلام فرتر » للشاعر الألماني غوته و « رفائيل » للشاعر الفرنسي لامرتين ، وهما في القمة من الأدب العالمي الرفيع ، ولم تقصر ترجمتها العربية بها عن مكانتها في لغتيها الأصليتين .

ولم تلبث الحكومة العراقية أن دعت فقيدنا لتولي تدريس الأدب العربي في دار المعلمين العليا في بغداد ، فبقي بضع سنوات صنع خلالها نواة مدرسة دانت له بالحب والتقدير طوال حياته رحمه الله .

الفقيد علم من اعلام العربية

كان فقيدنا الكبير طرازاً فريداً في أسلوبه الإنشائي وبيانه الرائع ، إذ كان على عمق الفكرة عنده ، يضن بهذه الفكرة على الناس ، إلا إذا انتقى لها الألفاظ الملائمة وصاغها بالعبارة البليغة التي يحاكي بها العربية في أوج عصورها الزاهية ، حتى أنه أخرج للناس كتاباً خاصاً أطلق عليه اسم « دفاع عن البلاغة » عالج فيه مذهبه البلاغي ورأيه في أصالة الأسلوب وجمال العبارة ، وكان مما قاله في هذا الكتاب تبياناً لمذهبه في الإنشاء : [. . وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى **إبداع وخلق** ، لأن الكلمة ميتة مادامت في المعجم ، فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها في التركيب ، ووضعها في موضعها الطبيعي من الجملة ، دبّت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب ، تحركت الآلة ، وإلا ظلت جامدة ، **وللكلمات أرواح كما قال موپاسان**] ..

الفقيد صاحب مدرسة «الرسالة»

ولعل أهم ما اشتهر فقيدنا الكبير به ، مجلته « **الرسالة** » إذ أنه ما عاد من بغداد إلى القاهرة ، إلا وكانت فكرة إصدار **مجلة اسبوعية للأدب الرفيع** والعلوم والفنون قد اختمرت في ذهنه ، وكان أن شع نور « الرسالة » في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٣٣ م على فترة من المجلات الأدبية الجدية في العالم العربي ، خبا فيها نور اللغـــة السليمة والبيان المشرق ، فملأت فراغاً عظيما وسدت حاجة كان الناس يتطلعون إليها ، وليس أبلغ في وصف تلك الفترة من قول **الفقيد نفسه** (١) : [.. كان العالم العربي على أثر خروجه من جهالة الترك إلى ضلالة الاستعمار ، يشكو شتات الوحدة وضعف القومية وذلّ التبعية ، فهو يريد أن يتعرف بعضه إلى بعضه ، وينضم قاصيه إلى دانيه ، ويرتبط حاضره بماضيه ، عن طريق اللغة الواحدة والكيان المتميز والوطن المستقل والأدب الموروث والتاريخ المشترك والأمل الحافز ؛ مجتمعاً كل أولئك في مجلة تترفع عن الإقليمية ؛ وتعتز بالعروبة والعربية ، وتساير ركب الثقافة والمدنية ، وتضطلع بعبء السفارة الفكرية ، بين المصري والمغربي والجزائري والتونسي والسوداني والفلسطيني والسوري والسعودي واللبناني والعراقي . فكانت تلك المجلة ، المرجوة التي قربت البعد ووشجت القرابة وجمعت الشمل وسهلت الوحدة وحققت الأمل هي **الرسالة** ...] .

وتابعت مجلة الرسالة تأدية « **الرسالة** » التي أرادها الفقيد لها ، بعد أن وضع لها منهاجاً واضحاً يقوم ـ كما يقول الزيات نفسه ـ على : [قاعدة ثابتة من مزج الدين بالدنيا وربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب باللغة الفصحى والأسلوب الصحيح والفكر المتزن ..] .

---

(١) انظر مجلة « قافلة الزيت » عدد آب (أغسطس) ١٩٦٣ م .

واشترك في تحرير «**الرسالة**»، أعلام الفكر وأصحاب القلم في مختلف البلاد العربية يوم صدورها، كما فتحت صدرها لكل أديب موهوب، حتى أصبحت «**مدرسة**» تخرج منها أكثر الذين أصبحوا اليوم من الأعلام المرموقين في أرجاء الوطن العربي، وقد تميزوا جميعهم - على حد تعبير فقيدنا رحمه الله - على: [نظرائهم من سائر الأدباء بالتعبير العربي الخالص والتفكير الإسلامي الصادق والإتجاه التقدمي المستقيم، فتكونت منهم مدرسة في الأدب، كان لها الأثر البالغ في إنعاش اللغة وإنهاض الأسلوب، في المقالة والقصيدة والقصة والبحث والنقد والترجمة ..].

واشتهرت مدرسة «**الرسالة**» في العالم العربي، على سعة أرجائه، شهرة لا يدانيها شهرة، فكانت ملتقى الفكر الحديث والعبارة المشرقة، وكان أتباعها، كأعضاء الأسرة الواحدة تجمعهم أواصر المحبة وتؤلف بينهم النزعة المشتركة، يفخر بهم الزيات وبالمدرسة التي جمعتهم معتزاً بأنهـا: [.. لم تنحرف أبداً **بلغة القرآن وأدب العرب**، وهما وليدا الشمس المشرقة والجو الصافي، إلى تلك المذاهب الشاذة التي أبهمتها العقد النفسية والجو الغائم .. وجملة القول في مدرسة «الرسالة» أنها أنشأت جيلاً من الأدباء تزعّم النهضة الفكرية بحق، وألفت موسوعة في عشرين مجلداً من آداب العرب وعلوم الشرق، وقادت ثورة النفوس المؤمنة بالإصلاح على الفساد والاستبداد والحزبية والإقليمية والتخلف، حتى قرت في الأذهان **معاني الحرية والديمقراطية والعدالة والقومية** وأصبحت من مآرب الأفراد ومطالب الشعوب، تجيش في صدورهم أملاً، وتظهر في جهادهم عملاً، وتضطرب في نفوسهم حاجة].

وظلت مجلة الرسالة تحمل **مشعل الفكر في العالم العربي** عشرين سنة متواصلة، أي من مطلع سنة ١٩٣٣م، حتى اضطرتها ظروف قاهرة الى

الاحتجاب في شباط (فبراير) من سنة ١٩٥٣م ، وظل فقيدنا الكبير يسمع أماني الزعماء والأدباء والقراء تتجه إلى عودة الرسالة ويسألونه أن يستجيب إلى هذه الأماني ، وهو يعتذر قائلاً لهم : [يشق عليَّ ألا أجيبكم إلى ما تسألون ، لأن تقدم سني وتأخر صحتي يجعلان هذه الاستجابة وراء قدرتي وفوت يدي . .] .

وأخذت جهود محبي الأدب الرفيع وبعض القائمين على سياسة مصر تتضافر من أجل إعادة الرسالة إلى الصدور ، وبعد فترة دامت عشر سنوات من احتجاب الرسالة ، قامت خلالها في العالم العربي أحداث وأحداث غيرت كثيراً من معالمه وبنيته ومفاهيمه ، عادت الرسالة إلى الصدور بتاريخ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٦٣م ، وقد وصف فقيدنا هذه العودة قائلاً : [عادت الرسالة اليوم لترى اللغة وقد طغت عليها عامية الأسلوب ، والأدب وقد بغت عليه ضلالة الفكر ، فالتعبير السليم يعتل ، والمذهب المستقيم ينحرف ، والعمود الشعري ينهار ، والبيان العربي يغيم ، والبدع الكتابية التي ابتدعها الغرور أو الشذوذ تحاول أن تضرب على القصة والمسرحية والقصيدة نطاقاً من الضباب والخطل يجعلها ضرباً من الألغاز والمعاياة والشعوذة ، تكد الذهن وتبهم القصد وتعني القارئ . . .] .

ولكن لم تلبث « الرسالة » بعد جهاد مرير في سبيل الاستمرار على تأدية رسالتها ، الرسالة التي حملت أعباءها في الخضم الذي وصفه الفقيد ، أن اضطرتها أمواج عاتية وعواصف متلاحقة ، جعلت القائمين عليها أعجز من أن يثبتوا على الخطة التي يرتضونها وترضي محبي العربية ، إلى الاحتجاب نهائياً بعد فترة غير طويلة من عودتها . واكتفى فقيدنا من صناعة الكلمة بالإشراف على تحرير « مجلة الأزهر » حتى وافاه الأجل المحتوم .

الفقيد في المجمع

كان المجمع العلمي العربي بدمشق **أول من قدر في الفقيد أدبه الرفيع** وأسلوبه الكتابي الفريد ، فقد رشحه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي سنة ١٩٣٦ م **عضواً** مراسلاً له في القاهرة . وفي الجلسة التي عقدها المجمع بتاريخ الثاني من حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٧ م قدم الأستاذ الرئيس العضو الجديد إلى زملائه وكان مما قاله : « الأستاذ أحمد حسن الزيات مؤلف تاريخ الأدب العربي ، ومترجم آلام فرتر لكيتي ورافائيل للامارتين ، وهو كما عرفتموه مبدع في تصنيفه ونقله أوتي البلاغة والفصاحة حتى ليخيل لمن يقرأ كلامه ، أنه يقرأ كلام **بلغاء القرن الرابع أو الخامس** » .

وأرسل فقيدنا الزيات إلى الأستاذ الرئيس كرد علي رسالة شكر مؤرخة في الثامن من كانون الثاني (يناير) ١٩٢٧ ومما قاله فيها : « .. أنا يا سيدي سعيد بمعرفتك مزهو بها حريص عليها . فإن مكانك السامي في الأمم العربية وفضلك العظيم على الجمهرة الأدبية ، وقبضك على أزمة البلاغة وتمكنك من زعامة البيان ، تجعل عنايتك بمثلي من النعم التي تسترق الأعناق ، ولا ينهض بها الشكر ، أسأل الله أن يعينني على تحقيق ظنك بي فأؤازرك في جهادك ، وأخدم **هذه اللغة الشريفة** الأسيفة تحت رعايتك وإرشادك .. » .

وزود الفقيد مجلتنا هذه ، ببعض بحوثه الممتعة في تاريخ الأدب العربي ، كما أشار إلى مجمع دمشق في الطبعة الرابعة من كتابه « تاريخ الأدب العربي » قائلاً : [مما يسجل في صحائف الدهر ويذكر بالإعجاب والفخر ، أن إخواننا السوريين **كانوا أسبق الأمم العربية إلى إنشاء المجامع العلمية** ، على ضيق مواردهم وغلّ سواعدهم ، كما كانوا أسبقها إلى الترجمة والصحافة والتمثيل] ،

وفي سنة ١٩٤٩ م اختير فقيدنا الزيات **عضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة** ، فكان من أعضائه البارزين ، وقد اشترك في تحقيق الأهداف التي أنشئ المجمع من أجلها ، فكان عضواً في لجنة تيسير الكتابة وعضواً في لجنة ألفاظ الحضارة وعضواً في لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم ، كما كان عضواً في لجنة الأدب ولجنة اللهجات ولجنة الأصول ولجنة المعجم الكبير ، وكان أحد أربعة أعضاء تولوا إخراج « **المعجم الوسيط** » ، كما كان رئيس لجنة إعادة النظر في هذا المعجم ، وقد قاربت على إنهاء مهمتها .

وكان الفقيد أيضاً عضواً في المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، وفي سنة ١٩٦٢ ، قدرته الجمهورية العربية المتحدة فمنحته **جائزة الدولة التقديرية** .

* * *

إن العربية فقدت بموت الراحل الكريم علماً من أبرز أعلامها في القرن الرابع عشر للهجرة والعشرين للميلاد ، كما خسر مجمعا دمشق والقاهرة عضواً في مقدمة أعضائها العاملين على تحقيق أهدافها في النهوض باللغة العربية وخدمة علومها المختلفة .

لقد شيعت القاهرة ظهر يوم الخميس الواقع في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٣ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ م الراحل الكريم ، باحتفال مهيب اشترك فيه رجال الفكر والأدب ، ثم حمل جثمانه إلى مسقط رأسه في كفر دميرة القديم حيث ووري التراب . رحم الله فقيدنا الكبير رحمة واسعة وأجزل ثوابه وأنزله منازل الأبرار في جنات النعيم .

عدنان الخطيب

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفهـــا]

— ٢ —

ج ش ب جَشِيبُ المَرْعَى : يابسه ، والجُشْبُ : قُشُور الرُّمَّانْ . الجَشَّابُ : النَّدى الذي لا يزالُ يقعُ على البَقْل . وكلامٌ جَشِيبٌ : جافٍ خَشِنٌ .

ج ع ب الجَعْبَةُ : كِنانةُ النُّشَّاب ، وقد تطلق على أكبر أواني الشُّرْب . والجُعْدُبَةُ : نُفَّاخاتُ الماءِ التي تكون من ماء المطر .

ج ل ب جَلَبَ الدَّمُ وأجْلَبَ : يَبِسَ .

والجُلْبَةُ : القِطْعَةُ من الغَيْم ، يُقال : مافي السَّماءِ جُلْبَةٌ ، أي غَيْمٌ يُطْبِقُها . و الجُلْبَةُ أيضاً : الرُّوبةُ تُصَبُّ على الحليب ليَتَرَوَّب .

والجُلْبُ ، بالضم ويكسر : السَّحابُ لا ماءَ فيه ، وقيل : سَحابٌ رقيقٌ لا ماءَ فيه ، والجمع أجلابٌ .

والجُلاَّبُ : ماءُ الورْد ، وهو فارسيٌّ مُعرَّب . والجُلاَّبُ اسمُ نَهرِ مدينةِ حَرَّانَ .

وأجْلَبَ قَتَبَه : غشَّاهُ بالجِلْدِ الرَّطْب فَطيراً ثم تركه عليه حتى يَبِس .

والتَّجَلُّبُ : التماسُ المرعَى ما كان رَطْباً ؛ وفي الأمثال : جَلَبَتْ جَلْبَةً ثم أمْسكتْ ، قالوا : ويُرْوى بالمهملة ، أي السَّحابَةُ تُرعِدُ ثم لا تُمْطِر ، يُضرب للجبان يتوعَّدُ ثمَّ يسكتُ .

واجْلَعَبَّ كَثُر ، والمُجْلَعِبُّ من السُّيُول : الكبير وقيل : الكثيرُ القَمْش ، وهو سيلٌ مُزْلَعِبٌ أي مُجْلَعِبٌّ .

والجِلْهَابُ : الوادِي .

ج ن ب الجَنَبُ : اشتداد العَطَش ، أو التلوي من شِدَّة العطش . يقال : جَنِبَ البعيرُ : أصابه وَجَعٌ في الجَنْب من شِدَّة العَطَش . وجَنَّبَ القوم فهم مُجَنِّبُون إذا انقطعت ألبانُهم أو قَلَّتْ ، وقيل إذا لم يكن في إبلهم لَبَنٌ ، وجَنَّبَ الرجلُ ، إذا لم يكن في إبله ولا غنمه دَرٌّ ، وهو عامُ تَجْنيبٍ .

ج و ب الجَوْبُ : الدَّلْوُ العظيمة .

والجَوْبَةُ : شِبْهُ رَهْوَةٍ تكون بين ظَهْرانَيْ دُورِ القوم يسيل فيها ماء المطر .

واجْتابَ البئر : احتفرها . وأرضٌ مُجَوَّبَةٌ : أصاب المطرُ بعضَها ولم يُصبْ بعضاً .

وجوَّاب : لقبُ مالك بنِ كعبٍ ، قال ابن السكّيتِ سُمّي جوَّاباً ، لأنّه كان لا يحفر بئراً ولا صخرةً إلا أماهها .

ح أ ب الحَوْأبُ : الواسعُ من الأوْديةِ والمَنْهَلُ ، والحَوْأب والحوْأبة أوسعُ ما يكون العِلابِ والدِّلاءِ .

ح ب ب حَبَاب الماء وحَبَبُه وحِبَبُه : مُعظَمُه . وقيل : حَبَابُ الماءِ : موْجُه الذي يتبعُ بعضُه بعضاً ، أو هو نُفّاخاتُه وفَقَاقيعُه التي تطفُو كأنّها القوارير .

والحُبُّ : الخابيَةُ أو الجرَّةُ صغيرةً كانت أو كبيرةً ، وقال ابن دُريد : هو الذي يُجعلُ فيه الماءُ ، وهو فارسيٌّ مُعرَّب .
وحُبابُ جمع حُبَابةٍ : اسم لدويبةٍ سوداءَ مائيةٍ .
والحَبَابُ الطَّلُّ الذي يصبحُ على الشَّجَرِ .
والتَّحَبُّبُ : أول الرِّيِّ ، وتَحَبَّبَ الحمارُ وغيرُه : امتلأ من الماءِ ، والحبحبةُ : جَرْيُ الماءِ قليلاً . وحَبَّبْتُ القِرْبَةَ إذا ملأتُها .

ح ث ب حَثْرَبَ الماءُ : كَدُرَ ، وحَثْرَبت البئرُ : كَدُرَ ماؤهـا واختلط بالحمأة ، والحُثْرُبُ : الماءُ الخاثِرُ ؛ والحِثْلِبُ : عكر الدُّهن أو السَّمْن .

ح د ب الحَدَبُ من المـاء : تَراكُبُهُ أو تَراكُمُه في جَرْيِه ، وقيل مَوْجُه ؛ وقال الأزهريُّ : حَدَبُ الماءِ ما ارتفع من أمواجِه .
وقال ابن الأعرابيِّ ويقال حَدَبُ الغَدير : تحرُّكُ الماءِ وأمواجُه .
وحَدَابِ : السَّنَةُ المُجدِبَةُ أو الشَّديدةُ القحْط .
والحُدَيْبِيَةُ : بئرٌ قُرْبَ مَكَّةَ . والحُدَيْبـاءُ : تصغير الحدباءِ : ماءٌ لجَذِيمة .

ح ز ب الحِزْبُ : الوِرْدُ أو النَّوْبَةُ في ورود الماءِ .

ح س ب حَسَّبَهُ : أطعمَهُ وسَقـاهُ حتى شبعَ ورَوِي كأحْسَبَه . والحُسْبَانَةُ : السَّحَابَةُ ، والأحاسِبُ : جمع أحْسَب : مَسَايِلُ أوْدِيَةٍ تَنْصَبُّ من السَّرَاةِ في أرض تِهَامة .

ح ص ب الحَصْباءُ : ما تناثر من دُقاق الثَّلج والبَرَد ، والحاصِب : ريحٌ شديدة تحمل الحَصْباءَ ، أو هو السَّحاب يرمي بالثلج والبَرَد رمْياً .
والحَصِيبُ : اللَّبن لا يَخْرجُ زُبْدُه من بَرْدِه .

ح ض ب الحِضْبُ : سَفحُ الجبل وجانبُه . وكلُّ مملوءٍ مُحَضْرَبٌ .

ح ط ب الحَطَبُ : معروفٌ ، والحِطَابُ هو أن يُقْطَع الكرمُ حتى ينتهيَ إلى حَدٍّ ما جَرَى فيه الماءُ . واحتطبَ المطرُ : قلع أصولَ الشَّجَر .

ح ظ ب حَظَبَ من الماء : تَمَلَّأ . وحَظْرَبَ السِّقاءَ مَلأَه فتحظْرَبَ .

ح ق ب حَقِب : تعسَّر عليه البَوْلُ . وحَقِبَ المطرُ : احتبَسَ .

ح ل ب الحَلْبُ : استخراج ما في الضَّرع من اللَّبن . والحَلَبُ والحَليب : اللَّبنُ المحلوب .

وتحلَّبَ سال ، ويومٌ حلاَّب : فيه ندًى . ودمٌ حَليبٌ : طَرِيٌّ .

وحوالبُ البئر : منابعُ مائها .

وحَلَبَان : ماءٌ لبني قُشَيْرٍ .

ح ن ب مُحَنَّبٌ : بئرٌ بالمدينة .

والحُنْجُبُ : اليابسُ من كلِّ شيءٍ .

ح و ب الحَوْأَبُ : لبَنٌ كَثُرَ ماؤُه .

خ ب ب خَبَّ البحرُ : هاج ، والخِبُّ : هَيَجانُ البحر كالخِبَاب . والخِبَّةُ : الطريقةُ من السَّحاب . والخُبَّةُ : مُستنقعُ الماء ، وبطنُ الوادي .

خ د ب الخَدْبُ : الحَلْبُ الكثير .

خ ر ب الخِرَاب : النَّفِيُّ من المطر .

وخُرْبَةُ : ماءٌ في ديار بني سعد . وخَرِبٌ : ماءَةٌ بنجد . وأخْرابٌ من أكرم مياه نجد .

استخربَ السِّقاء : تَثَقَّبَ .

الخُرْخوب : النَّاقةُ الكثيرةُ اللَّبن .

خ ش ب خَشِبَ : يَبِس . والخَشِبُ كالخَشِيب : اليابس . وجَبْهَةٌ خَشْباء : اليابِسة والكريهة . وأرضٌ خَشَاب : يابسةٌ تسيلُ من أدنى مَطَرٍ .

خ ص ب الخِصْبُ : نقيضُ الجَدْب . وأخْصَبَتْ الأشجار إذا جرَى الماء فيها .

خ ض ب خَضَبَ الشجرُ كاخضوْضَب : اخْضَرَّ . وخَضَبَتْ العِضَاهُ وأخضَبَت : جرَى الماء في عيدانها واخضَرَّتْ .

ماء خُضَارِبٌ : يموج بعضُه في بعض ، ولا يكون ذلك إلاَّ في غديرٍ أو وادٍ . والخَضْرَبة : اضطرابُ الماء .

خ ط ب أَخْطَبَةُ : من مياه بكر بن كِلاب .

خ ل ب الخُلْب : الطِّين . والخُلَّبُ : السَّحابُ الذي لا مَطَر فيه .

خ ن ب الخِنْبَةُ : النَّاقة الغزيرة اللَّبن .

خ و ب الحَوْبَةُ : الأرضُ لم تمطر أو التي لا ماءَ فيها .

د ب ب دَبَّ : سرَى . ومَدَبُّ السَّيْل : مجراه . وطَعْنَةٌ دَبُوبٌ : يَدِبُّ الدَّمُ منها سيلاناً .

الدَّبْدَبة : أَخْثَر ما يكون من اللَّبن .

دَبابٌ : ماء بأجَاء .

د ر ب الدَّرْبُ : المضيقُ في الجبال ، وكل مَوْضع يُجعل التَّمرُ فيه ليَيْبَس .

د ع ب ماء دَاعِبٌ : يَسْتَنُّ في سَيْله .

د ل ب الدُّلْبُ : شجرٌ معروفٌ يحب الماء .

الدُّولاب : شكلٌ كالنَّاعورة يُستقى به الماء ، وهو معرَّب .

ذ ب ب ذَبَّ الغَديرُ : جَفَّ من شدة الحَرّ . وذَبَّ : يَبِس وذَبل من شِدَّة العَطَش أو لغيره .

وظِمْءٌ مُذَبِّبٌ : طويلٌ يُسارُ فيه إلى الماء من بُعْدٍ فَيُعَجَّلُ بالسَّيْر .

الذَّبابَةُ : البَقيَّة من مياه الأنهار .

ذ ر ب ذَرِبَ الأنفُ : قَطَر وسال . وذَرِب الجرح : سال صديده وفسد .

ذ ع ب انْذَعَب الماء كانْثَعب إذا سال واتَّصَل جريانه . قال الأصمعيّ : رأيتُهم مُذْعابّين كأنَّهم عُرْفُ ضِبْعانٍ ، بمعنى أن يتلُو بعضُهم بعضاً ؛ قال الأزهريُّ : وهذا عندي مأخوذٌ من انذعبَ الماء وانثعبَ ، قُلِبَتْ الثاء ذالاً .

ذ ن ب الذَّنوب : الدَّلْو المَلأى أو التي فيها ماء . قال الأزهريّ : ولا يقال لها وهي فارغةٌ .

الذِّنابُ : مَسيلُ ما بَيْنَ كلِّ تَلْعَتَين . وذِنابُ الوادي : المَوْضِعُ الذي ينتهي إليه مَسِيْلُه .

والمِذْنَبُ : الجَدْوَلُ يسيلُ عن الرَّوضَةِ بمائها إلى غَيْرِها .

ومُذَيْنِبٌ : اسم وادٍ بالمدينة يسيل بالمطر .

والذَّنَبانُ : ماء بالعِيص .

الذُّنابَى : شِبْهُ المُخاط يسيلُ من أنوف الإبل .

ذ و ب ذابَ ضدُّ جمد . وذابَ : سالَ .

ذ ه ب المَذْهَبُ : المُتَوَضَّأ . وقولهم : به مُذْهَبٌ يَعْنُون الوَسوَسَةَ في الماء وكثرة استعماله في الوُضُوء . قال الأزهريّ : وأهل

بغداد يقولون للمُوَسوِسِ من النّـاس المُذْهِبُ ، وعوامُّهُم يقولون ، المُذْهَبُ .

الذّهْبَةُ : المطرةُ الضَّعيفَةُ أو الجَوْدُ ، واحدة الذّهَاب ، وهي الأمطارُ اللَّيِّنةُ .

ذ ي ب الأَذْيَبُ : الماءُ الكثيرُ .

ر ب ب رَبَّ السَّحابُ المَطرَ : جمَعَهُ . وأَرَبَّتْ السَّحابةُ : دام مطرُها ، والرِّبَّةُ : نباتٌ تبقَى خضرَتُهُ شتاءً وصيفاً . والمَرَبُّ : الأرضُ الكثيرةُ الرِّبَّةُ .

والرَّبَابُ : السَّحَابُ يركب بعضُه بعضاً .

والرَّبَبُ . الماءُ الكثير المجتمِعُ .

والرُّبُّ : سُلافَةُ خُثَارَةِ كل ثَمْرَةٍ بعد اعتِصارِها .

والرَّبَّابِيَّةُ : ماءٌ باليمامَة .

ر ح ب الرَّحْبَةُ من الوادي : مَسِيل مائه من جانبيه فيه ، جمعه رِحَابٌ ، وهي مواضعُ متواطِئَةٌ يستنقعُ الماءُ فيها ، وهي أسرع الأرض نباتاً ، تكون عند منتهى الوادي وفي وسطه ، وقد تكون في المكان المُشرف يستنقِع فيها الماء وما حولها مُشرفٌ عليها ولا تكون الرِّحاب في الرَّمل ، وتكون في بطون الأرض وفي ظواهرها .

والرُّحْبَةُ : اسم لماءات عديدة ومواضع فيها مياه .

ر د ب الإرْدَبُّ : القناةُ يجري فيها الماءُ على وجه الأرض .

ر ز ب المِرْزابُ لغة في الميزابِ .

ر س ب رَسَبَ في الماء : ذهب سُفْلاً .

ر ش ب الرُّشْبَةُ : النّارَجيل الفارغ الذي يغترف به الماء .

ر ض ب الرُّضاب : الرّيق ، وما تقَطَّع من النّدى على الشَّجر .

الرّاضب من المطر : السَّحُّ . ورَضَبَ المطر : هَطَل .

ر ط ب رَطَبَ الثّوْب وأرطَبَهُ ورَطَّبَهُ : بَلَّهُ بالماء .

الرَّطْبُ : ضد اليابس . والرُّطْبُ ماكان غضّاً من الكلإ .

والرُّطوبَةُ فضلٌ يقوم لذات الماء .

(يتبع) عدنان الخطيب

❋❋❋

ضبط الكتب المدرسية بالشكل (١)

درست وزارة التربية موضوع الكتب المدرسية بالشكل ورأت أن تحدده بشروط مناسبة تتدرج ونمو الوعي اللغوي لدى التلميذ وتتفق مع مراحل اكتسابه اللغة ووقوفه على أسرارها .

وقد رأينا أن التقيد بهذه الشروط من شأنه توحيد صور ضبط الكلمات في الكتاب المدرسي ومساعدة الناشئة على اكتساب اللغة بلفظها السليم وتجنيبهم مواطن الزلل والتحريف حتى يغدو الصواب طبعاً في ألسنتهم فان تخرجوا في المرحلة الثانوية أمسوا قادرين على قراءة النصوص غير المشكولة قراءة سليمة .

لذا نرجو تعميم هذه التوجيهات على السادة المفتشين والمدرسين والمعلمين في مديريتكم لاعتمادها في التدريس والتأليف بكل دقة .

وزير التربية

سليمان الخش

(١) آثرنا نشر التوجيهات التي وضعتها وزارة التربية بشأن (ضبط الكتب المدرسية بالشكل) في مجلة المجمع بالنظر إلى أهميتها الكبرى وفائدتها الجلّى ، شاكرين للوزارة المشار إليها اهتمامها بموضوع من أكثر الموضوعات فائدة للطلاب ، ومن أجلّها خدمة للغة العربية . (لجنة المجلة)

١ — الشكل

أ — أهداف الشكل :

١ — مساعدة التلميذ على القراءة الصحيحة .

٢ — تثبيت صيغ الكلمات الصحيحة وتراكيبها السليمة في أذهان المتعلمين .

٣ — تدريب التلميذ على قراءة النصوص غير المشكولة قراءة صحيحة .

ولتحقيق هذه الأهداف تقسم الدراستان الابتدائية والثانوية إلى أربع مراحل وتراعى في كل مرحلة قواعد للشكل وفق الخطة التالية :

١ — المرحلة الأولى :

وتشمل الحلقتين الأولى والثانية من الدراسة الابتدائية (الصفوف الأربعة الأولى) ويراعى في هذه المرحلة القواعد التالية :

١ — تشكل جميع الكلمات شكلاً تاماً .

٢ — يُهمل شكل الحرف الممدود مثل : باب ـ بوق ـ وفيل .

٣ — يهمل شكل الحرف الذي يوقف عليه في أواخر الجمـــل مثل : طارَ العصفور .

٤ — يهمل الشكل بالسكون ، إلا في مثل بَيْع ومَيْل ويَوْم، حين تُستعمل الياء والواو كحرفين صامتين ويثبت في فعل الأمر والفعل المجزوم بالسكون .

٥ — يراعى الشكل الاعرابي مراعاة تامة .

٢ — المرحلة الثانية :

وتشمل الحلقة الثالثة من المدرسة الابتدائية (الصفين الخامس والسادس) وتراعى فيها قواعد الشكل في المرحلة الأولى ويضاف إليها :

١ — يهمل شكل الكلمات المألوفة ، والمتكررة ، والأعلام المشهورة ، وبعض الأدوات المعروفة وذلك إذا أمن اللبس .

٣ — المرحلة الثالثة :

وتشمل الصفوف الاعدادية الثلاثة . وتراعى فيها القواعد الآتية بالإضافة إلى القواعد الآنفة الذكر :

١ — يُهمل الشكل بالفتحة إلا إذا أوقع ذلك في لَبْس . مثـــل : أجَل ـ قَلم ـ يوْم ـ ليْل ـ مدرسة ـ مشى .

٢ — يُهمل بالتدريج جانب من الشكل الاعرابي تبعاً لتقدم التلميذ في دروس النحو . مثال : يهمل شكل الفاعل والمجرور بحرف الجر والمفعول به والمبتدأ والخبر ...

٤ — المرحلة الرابعة :

وتشمُل الصفوف الثلاثة الثانوية . وتُراعى في هذه المرحلة القاعدتان التاليتان فقط :

١ — شَكل ما يُشكِل في بنية الكلمة .

٢ — يبقى من الشكل الاعرابي شَكل الكلمات التي يُحتمل وقوع الخطأ فيها.

أحكام خاصة :

١ — الهمزة تثبت دائماً إذا كانت همزة قطع . وتُكتب فوق الألف مضمومةً ومفتوحةً ، وتحت الألف مكسورة .

٢ — الشدّة تَثبت دائماً .

٣ — المدّة تَثبت دائماً .

أين تطبَّق هـذه القواعد ؟

— تطبَّق هذه القواعد في المرحلة الابتدائية على جميع الكتب المدرسية في جميع المواد .

— وما يتصل منها بالمرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية يطبق على كتب اللغة العربية فقط .

— تطبّق على كتب المواد الأخرى في المرحلتين الاعدادية والثانوية قاعدة « شَكل ما يُشْكِل » في بنية الكلمة وفي الإعراب .

— يعتمد المعلمون والمدرسون هذه المبادىء في ضبط النصوص وكتابة الموضوعات والحواشي .

وفيما يلي نماذج مشكولة من مختلف الحلقات الدراسية مختارة من كتب اللغة العربية وغيرها لتُحتذى في الشكل .

* * *

نماذج مضبوطة من مختلف المراحل التدريسية

١ — المرحلة الأولى :

— ١ —

مَوْكِبُ الرَّبيع

هٰذا أنتَ — أيُّها الرَّبيعُ ! — أقبلتَ فأقبلَت معَكَ الحَياةُ بِجَميعِ أَصْنافِها وَأَلوانِها ، فَالنَّباتُ يَنمو ، وَالأَشجارُ تورِقُ وَتُزهِرُ ، وَالهِرَّةُ تَموءُ ، وَالحَمامُ يَهدِلُ ، وَالبَقَرُ يَخورُ ؛ فَكُلُّ شيءٍ يُشعِرُ بِالحَياةِ ، وَيُنسي الهُمومَ .

لَقَد مَلَأْتَ الجَوَّ عِطراً بِأَزهارِكَ الطَّيِّبَةِ ، فَأَنعَشتَ النُّفوسَ وَبَعَثتَ الأَمَلَ ، لَيتَ الزَّمانَ كُلَّهُ رَبيع ؟!

« حديقتي في اللغة العربية »
للصف الثالث الابتدائي

٢ — المرحلة الثانية :

— ٢ —

صُوَرٌ مِنَ الماضي العَرَبيّ

.... أَمّا الأَزهارُ فَكانَ أَحَبَّها لِلعَرَبِ الوَردُ ، وَقَدِ استَخرَجَ العَرَبُ مِنهُ ماءَ الوَردِ والعُطورَ ، وَأُلِّفَت في صِناعَتِهِ كُتُبٌ كَثيرة . وفي مَيدانِ الطِّبِّ قامَ الأَطِبّاءُ العَرَبُ بِالدِّراساتِ الطِّبِّيَّةِ ، وكَشَفوا الأَمراضَ ، ووَصَفوا الأَدوِيَةَ ، واختَرَعوا الأَدواتِ الطِّبِّيَّةِ ، وأَنشَؤُوا حَوانيتَ لِبَيعِ الأَدوِيَةِ ، وأَلَّفوا كُتُباً في العَقاقير .

« التربية الوطنية والاجتماعية »
الخامس الابتدائي

٣ — المرحلة الثالثة :

— ٣ —

قَسَم

بِأقدام أطفالِنا العارِيَة
يميناً ، وبالخُبز والعافِيَة
إذا لم نُعفِّر جبينَ الطُّغاة
على هذهِ الأرجُلِ الحافِيَة
وإن لم نُذوِّب رصاصَ الغُواة
حُروفاً هي الأنجُمُ الهادِيَة

« بدر شاكر السياب »
القراءة الجديدة : الأول الاعدادي

— ٤ —

تطبيقات المتوسط الحسابي

١ — الخلط والمزج

كثيراً ما يلجأ الإنسان في حياته اليَومية إلى إضافة مادة لأُخرى ، أو إضافةِ أنواع متعددة لمادةٍ واحدة ، للحصول على مادة جديدة

تحوي مُميِّزاتٍ وخصائصَ معيّنة ، فيُضاف الشّاي الذهبيّ إلى الشايّ السّيلانيّ ، مثلاً ، لتحسين لَون النّوع الثّاني، ويُضاف البنّ العدنيّ إلى البُنّ البرازيليّ للغرض نفسِه ، وتُضاف كميةٌ كبرى من الماء إلى روح الخلّ الصّافي لِيُصبح صالحاً للاستعمال .

٤ ــ المرحلة الرابعة :

- ٥ -

تاجر البُنْدقِيّة

بورشْيا : الحقّ أقولُ لكِ ــ يا نِريسا ــ أنّ جسديَ الضّئيلَ قد أضناه هذا العالَم الكبير .

نِريسا : لعلّ هذا يكون صحيحاً ــ ياسيّدتي الحسناء ! ــ لو تعادل شقاؤكِ معَ حُسن طالِعِك ، بيدَ أنني تبيّنتُ أنّ هنالِك مرضى آذتهمُ التّخمة ، وآخرون أضناهم الجوعُ والحرمان .

ولا شكّ أنّ في الاعتدال سعادةً أيّما سعادة . وأما

الاغراق في الترَف فسرعانَ ما يجلِب المشيب ، بينما
يطول العُمر مع القليل الكافي .

الصف الأول الثانوي

-٦-

مشكلات الأسرة العربية

إن إنشاء الأسرة يتطلب من الراغِبَين في الزّواج معرفة بعضهما بعضاً معرفةَ موضوعية دقيقة ؛ ومن الضّروريّ أن يعرف كلّ منهما عادات الآخر وطباعَه وميوله وقدراتِه وأنماط تفكيره .

ومن الضّروري أن يستوثق كلّ منهما من عواطف الآخر تجاهَه إذ أن عاطفة الحبّ من الأسس المتينة التي يُقام عليها بناء الأسرة ، إلا أنها ليست بالأساس الوحيد .

علم الاجتماع – الأول الثانوي

- ٧ -

الواقعيّة الجديدة في الأدب العربيّ

الواقعيّة الجديدة هي التعبير الأدبيّ عن نضال الشعب العربيّ من أجل بناء مجتمع عربيّ اشتراكيّ حرّ موحّد ؛ وهذا الاتّجاه الأدبيّ جديدٌ في أدبنا ، مهّدت له طبيعة الحياة العربية ، وطبيعة الحركات الإنسانية والتاريخية ، وقد بدأ قويّاً عارماً ، وكانت الغَلَبة فيه للشّعر ، ولكنه أخذ يخمُدُ من حين إلى حين آخرَ بفعل الأحوال السياسيّة والاجتماعيّة . ولم يسلم من ثَغَراتٍ وأخطاء ؛ وبعضُ ما أنتجه زائف أملته المناسبات ، وافتقر إلى الصدق والوعي العميق .

التراجم والنقد — الثالث الثانوي

****

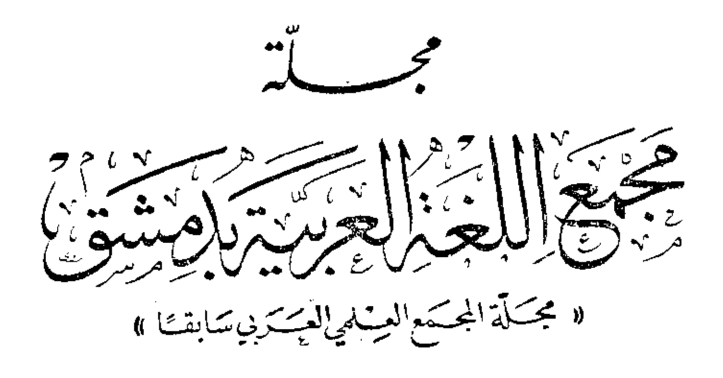
تصويبات

لأخطاء وقعت في الجزء الأول والثاني

من المجلد الثالث والأربعين

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٠٨	١٠	نفصيلات	تفصيلات
٢٦٩	١٦	والفراء	والقراء
٢٨٠	١١	وأمل	ولعل
٢٩٥	١٢	التاريخ	النارنج
٣٣٦	١٣	ببق	يبق
٣٤٠	٦	٦٨٦٨	١٨٦٨
٤٠٤	١	المستشرفين	المستشرقين
٤١٦	١١	فصل	فضل
٤١٦	١٥	يفضل	بفضل
٤١٦	١٨	يسبب	بسبب
٤٦٠	١٠	العرببة	العربية
٤٦١	١١	المزلف	المؤلف
٤٦٢	١٠	المعليم	التعليم

الجزء الرابع ١٠٥٠٣ المجلد الثالث والاربعون



تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٦٨ م رجب سنة ١٣٨٨ هـ

لغة الغناء

قد يكون هذا العنوان : لغة الغناء مباينا لموضوع المقال ، فلست أريد بلغة الغناء ما يُستعمل في هذا الباب من الألفاظ فاني غريب عن هذا الفن ، وإنما الذي أريده بلغة الغناء مايستعمله الأدباء في وصف محاسن الأصوات والألحان وتأثيرها في النفوس ، وقد رأيت أن كتاب الأغاني إنما هو أوسع مرجع إلى هذا الوصف .

اهتمّ أبو الفرج الأصبهاني في مقدمة كتاب الأغاني الاهتمام كلّه بالإشارة إلى الأغاني ، فلم يبال بشيء مبالاته بذكرها ، ويكاد ذكر الأغاني يستغرق المقدمة كلّها ، فقد أوتي من ذوق الغناء والمعرفة بأصوله وبالأصوات والألحان الشيء الكثير ، فإنّ له في هذا الميدان الباع الطويل ، وهذا أمر يؤيّده تأليفه في الغناء ، من ذلك رسالته إلى بعض إخوانه في علل النغم ، وقد جاء ذكرها في كتاب الأغاني ، فضلاً عن دخوله في المناظرات والمجادلات

والمراسلات والمشافهات التي كانت تجري بين أئمة المغنّين ، وآراؤه في هذا المعنى مبثوثة في أضعاف كتاب الأغاني .

فكما كان أبو الفرج إماماً في الأدب فكذلك كان إماماً في الغناء ، ولقد نشأ في بيت يذوق أهله الغناء ، فقد طلب أبوه هذا الفن وواظب عليه ، وسمع مرّة لحناً لجميلة في منزل يونس بن محمد الكاتب فانصرف وهو كئيب ، حزين ، مغموم ، وكما كان لأبيه ذوق في الغناء فكذلك كان لعمته مثل هذا الذوق .

وقبل الشروع في موضوعنا وهو الإتيان بنماذج من وصف الغناء وتأثيره في النفوس ، لابأس بذكر ماجاء في أخبار جميلة على لسان شيخ ذي سنٍّ وعلمٍ وفقهٍ وتجربة من وصف الغناء نفسه ، فالغناء في رأي ذلك الشيخ من أكبر اللذّات ، وأسرّ للنفوس من جميع الشهوات ، يحيي القلب ويزيد في العقل ، ويسرّ النفس ويفسح في الرأي ، ويتيسّر به العسير ، وتفتح به الجيوش ، ويُذلّل به الجبّارون ، حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه ، ويبري المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ، ويزيد أهل الثروة غنى ، وأهل الفقر قناعة ورضا باستماعه ، فيعزفون عن طلب الأموال ، من تمسّك به كان عالماً ، ومن فارقه كان جاهلاً ، لأنه لامنزلة أرفع ولا شيء أحسن منه ، فكيف يستصوب تركه ؟ ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ ...

فاذا كان للغناء هذه المنزلة في النفوس فلا عجب إذا خاض أبو الفرج في أمور كثيرة تتعلّق بهذا الفن ، فقد جاءت في كتاب الأغاني إشارة إلى ضروب الغناء ، منها الضرب المطرب المحرّك ، ومنها الضرب ذو الشجا والرّقّة ، ومنها الضرب ذو الحكمة وإتقان الصنعة .

لقد تتبّع أبو الفرج أخبار الغناء فذكر أصله ونشأته ، وذكر الذين تعلّموا ألحان الفرس وغناءهم ، والذين تعلّموا ألحان الروم وغناءهم ، وألمع إلى البلاد التي ضعف فيها الغناء ، مثل الشام ، فلم يغفل عن أمور كثيرة تتصل بالغناء ، ولا سيّما بالخلفاء الذين حذقوا الغناء ونقدوه ، فميّزوا بين متانته وبين انخنائه ولينه ، أو الخلفاء الذين كانوا يؤثرون الطرب على كل شيء .

والخلاصة لم يغفل أبو الفرج عن شيء يتصل بالغناء ، مثل انتشاره والاستماع إليه ، وتعليمه في قصور الخلفاء ، واللجوء إليه في الأعراس وغير ذلك ممّا قد يفوتني ذكره .

نريد أن نعرف بعد هذه المقدمة الوجيزة كيف كان وصف الغناء في بعض كتاب الأغاني ، كيف كان التعبير عن تأثير الأصوات والألحان في النفوس ، على أنه لا سبيل إلى استيعاب هذا الوصف في مقال مثل هذا المقال ، وإنما نجتزىء بالإتيان بأنماط منه حتى نحيط بعض الإحاطة به .

لقد استفاضت في كتاب الأغاني أساليب مختلفة في وصف الغناء وتأثيره في النفوس ، مرّة كانوا يعمدون في وصف الغناء نفسه للتشبيه ، فقد كان الواثق يقول : غناء علوية مثل نقر الطست ، يبقى ساعة في السمع بعد سكوته ، ومن هذا النحو وصف الوليد بن يزيد ، فقد غنّى ابن عائشة يوماً فطرح الوليد في مثل الطناجير من حرارة غنائه ، فالطست والطناجير كانت أدوات يُلجأ إليها في التشبيه في وصف الغناء .

وقد يكون الطير في بعض الأحيان مادّة لهذا التشبيه ، ففي موضع من الأغاني نجد أن أشعب كان يغنّي وكأنّ صوته صوت بلبل .

ومرّة كانوا يستغنون عن التشبيه في وصف الغناء ، فيصفون فنّ الغناء نفسه من حيث أصوله ، فقد غنّى اسحق لحناً صنعه في شعر ابن ياسين ، فجاء في وصف هذا الغناء ما يلي : فقد غنّى إسحق استهلالاً

وبسيطاً وصاح وسجح ورجّع النغمة واستوفى ذلك كلّه في أربع كلمات .

وهذا هو شعر ابن ياسين :

الطـــلول الدوارس فارقتهـا الأوانـــس
أوحشت بعـــد أهلها فهي قفـــر بسابس

وقد تكرّر هـــذا الوصف في مقام آخر من كتاب الأغاني على لسان الواثق الذي قال : أوّل بيت في هذا الصوت أربع كلمات ، الطلول كلمة والدوارس كلمة ، وفارقتها كلمة والأوانس كلمة ، فانظر هل ترك اسحق شيئاً من الصنعة يتصرف فيه المغنّي لم يدخله في هذه الكلمات الأربع ؛ بدأ بها نشيداً وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صياحاً واسجاحاً وترجيحاً للنغم واختلاساً فيها ، وعمل هذا كله في أربع كلمات فهل سمعت أحداً تقدم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟

ومن هذا النوع وصف غناء إبراهيم بن المهدي ، فقد غنّى إبراهيم يوماً فوفّى الصوت نغمه وشذوره ، وكانت كتفاه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك ، وكان إذا غنّى :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفّكم أو تسترون هلالها

فبلغ إلى قوله : جبريل بلّغهـــا النبيّ فقالها ، هزّ حلقه فيه ورجّعه ترجيعاً تتزلزل منه الأرض ، لقد كان إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلّهم غناء في رأي محمد بن موسى المنجّم ، وذلك أنه كان يراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغنّي ، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن ، الصغار والكبار ، أحد إلاّ ترك ما في يده وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغياً إليه ، لاهياً عمّا كان فيه ما دام يغنّي ، حتى إذا أمسك وتغنّى غيره رجعوا

إلى التشاغل بما كانوا فيه ، ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون ... ونظن أن هذا الإصغاء إلى إبراهيم بن المهدي إنما هو أبلغ إفصاح عن تأثير غنائه .

وإذا فرغنا من وصف الغناء فلا بأس بوصف تأثيره في نفوس السامعين ، كيف كان وصف هذا التأثير .

لقد بلغ من تأثير الغناء في النفوس أنهم إذا وصفوا هذا التأثير حملوا النبات والجماد على مشاركتهم في الطرب ، فقد نجد خبراً يتعلق بتشديد والي مكة نافع بن علقمة الكناني في الغنـــاء والمغنّين والنبيذ ، وفي خلال هذا الخبر نرى أنّ ابن سريج قد غنّى في ظلال شجرة بشعر العرجي مرتجلاً ، فخيّل إلى الذي يسمعه أن الشجرة تنطق معه .

وغنّى ابن عائشة يوماً فخيّل إلى الذي سمعه أن الأودية تنطق معه حسناً .

ومثل هذا الأسلوب من الوصف قد نراه في مقام آخر من كتاب الأغاني ، نراه في نسب إبراهيم الموصلي وأخباره ولا حاجة بنا إلى ذكر الخبر بأجمعه على طرافته ، فقد خلا إبراهيم الموصلي في يوم من الأيّام بجواريه وإخوانه ، وإذا هو بشيخ ذي هيبة وجمال ، عليه خفّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قلنسوة لاطية ، وبيده عكّازة مقمّعة بفضة ، وروائح المسك تفوح منه ، حتى ملأ البيت والدار .. إني أجاوز ما جاء في هذا الخبر من غيظ إبراهيم بسبب دخول هذا الشيخ وأقف على غناء الشيخ الذي أخذ العود من إبراهيم وجسّه حتى خاله إبراهيم ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعه من صوته ، ثم تغنّى الشيخ فقال إبراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه ويغنّي معه من حسن غنائه ، حتى خلت والله أني وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي .

وتبيّن بعد ذلك لإبراهيم أن هذا الشيخ إنما هو إبليس نفسه ، فقد كان جليسه ونديمه ذلك اليوم .

الخبر غاية في الطرافة ، ويستحسن الرجوع إليه لطرافته ، ولكن المهمّ فيه إنما هو الوصف ، فقد جاء هذا الوصف على لسان إمام من أئمة الغناء ، عرف أسرار الغناء ووقف على البراعة فيه ، فكان الوصف مشتملاً على أبلغ ما يكون من الإفصاح عن التأثير ، وأيْ وصف أبلغ من أن تكون عظام إبراهيم وثيابه تجاوب الشيخ في غنائه .

وقد يخلو وصف تأثير الغناء في بعض الأحيان من التشبيه ولغة الشعر ، فيستعملون ألفاظاً مجرّدة تكاد تنطق بنفسها ، من ذلك ما وجدته في دفتري في وصف غناء لا أذكر صاحبه فإن الذي سمع هذا الغناء طرب ونعر ونخر .

ويجدر بنا بعد هذا كله أن نشير إلى وصف حركات السامعين الذين كان يهزّهم حسن الغناء والصوت ، فقد كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعه فغنّاه يوماً حكم الوادي بشعر النابغة الجعدي فوثب عن فراشه طرباً .

وسمع عمر الوادي يوماً إنساناً يغنّي غناء لم يسمع قط أحسن منه ، فكاد يسقط عن راحلته طرباً .

وغنّت جميلة يوماً فسمع للبيت زلزلة وللدار همهمة ، ثم غنّت فاستخفّ غناؤها القوم أجمعين ، وصفّقوا بأيديهم ، وفحصوا بأرجلهم ، وحرّكوا رؤوسهم ، وقالوا لها : نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه ، وأنشدت قصيدة في عمر بن الخطّاب وعملت فيها لحناً لا يسمعه أحد إلاّ بكى ، حتّى قال الذي سمعه : والله ما سمعته قط إلاّ أبكاني لأني أجد حين أسمعه شيئاً يضغط قلبي ويحرقه فلا أملك عيني .

وقريب من هذا الوصف ما جاء في أخبار عبد الله بن جعفر ، فقد أمر جارية له أن تغنّي ، فغنّت ، فجعل شيخ من الحضور يصفّق ويرقص ويحرّك رأسه ويدور ، حتّى وقع مغشياً عليه .

ومنهم من كان يسمع حسن الصوت فيطرب طرباً يهمّ معه أن ينطح برأسه الحائط .

ولم يقتصروا على وصف تأثير الغناء في الناس ، فقد وصفوا تأثيره في الوحش . غنّى إبراهيم بن المهدي يوماً على أشدّ طبقةٍ يتناهى إليها في العود ، وقد وصف صوته من كان يسمعه فقال : كان إذا ابتدأ يغنّي أصغت الوحش إليه ومدّت أعناقها ، ولم تزل تدنو من الحضور حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدكّان الذي كانوا عليه ، فاذا سكت نفرت وبعدت من القوم حتّى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنهم .

★ ★ ★

في هذا القدر من الاستشهاد مقنع ، فانّ كتاب الأغاني لا تكاد ورقة من أوراقه تخلو من وصف محاسن الأصوات والألحان وتأثيرها في النفوس ، والذي تبيّن لنا من الاستشهاد بما استشهدنا به أن لغة الغناء ، أي لغة وصف الغناء وتأثيره كانت تعبّر عن هذا الوصف تعبيراً واقعاً ، فان حركات السامعين التي تقدمت الإشارة إليها ، نكاد نشهد أمثالها يومنا هـــذا ، فالتصفيق باليد والفحص بالرجل وهزّ الرأس ، كل هذا من حركات الاستحسان ، وقد يبالغون في بعض الأحيان فيُنطقون الأودية والجبال والبيوت والحيطان والأبواب في هذا الاستحسان ، أو يفصحون عن النطح

بالرأس أو السقوط عن الراحلة من الطرب ، أو عن زلزلة البيت وهمهمة الدار من حسن الغناء ، أمّا وصف الغناء نفسه فلا شك في أن ألفاظ النغم والترجيع والصياح والأسجاح والترجيح للأنغام والاختلاس فيها ، كل هذا داخل في لغة الغناء ، فالبلاغه كل البلاغة في الوصف أن يلجأ الواصفون إلى الألفاظ التي يستلزمها هذا الوصف ، ولوصف كل أمر من الأمور لغة خاصة ، فالألفاظ التي تستعمل في وصف الغناء تختلف عن الألفاظ التي تستعمل مثلاً في وصف الطبيعة .

شفيق جبري

الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٢ -

العائق

في الفرنسيـة Obstacle

في الانكليزية Obstacle

في اللاتينيـة Obstaculum

عاقه عن الشيء منعه منه وشغله عنه . وعوائق الدهر شواغله وأحداثه . والعائق في اصطلاحنـا ما يعوق الفكر أو الإرادة من شواغل داخلية أو خارجية . وعوائق النمو هي الأسباب التي تمنع الكائن الحي من بلوغ الكمال الخاص بنوعه . من هذه العوائق ماهو طبيعي كالنقص الجسمي أو المرضي ، ومنهـا ما هو اقتصادي كالفقر ، ومنها ما هو اجتماعي كالاعتقادات الفاسدة والتقاليد البالية ، ومنها ماهو سياسي كالاستبداد والظلم ، ومنها ماهو نفسي كالخوف والقلق والشذوذ . وكثيراً ما تكون التربية الفاسدة عائقاً عن النمو الاجتماعي والاقتصادي ، أو تكون المفاهيم العقليـة القديمة عائقاً عن التقدم العلمي والحضاري . ومع ذلك فإن شعور المرء بالعوائق قد يدفعه في كثير من الأحيان إلى التغلب عليها ، هذا إذا كان شعوره مصحوباً بالعزم والإقدام والثقة والإيمان . وكلما كان طموحه إلى الكمال أشد كان ميله إلى مجـاوزة شروط الواقع أقوى .

ويطلق اصطلاح الطفل المعوق (Enfant Handicapé) على الطفل المتخلف عن مسايرة أقرانه لنقص جسمي أو عقلي أو سلوكي موروث أو مكتسب .

العادة

في الفرنسية	Habitude
في الانكليزية	Habit
في اللاتينية	Habitus, habitudo

١ — العادة كيفية راسخة في النفس ، أو هيئة مكتسبة ، تمكن صاحبها من إنجاز بعض الأفعال أو تحمل بعض المؤثرات في سهولة . فإذا كانت سريعة الزوال سميت حالة ، وإذا كانت متعسّرة الزوال سميت ملكة يقال : لايكون الفاسق شريراً بقوة الشر بل بعادة الشر ، ويقال أيضاً : الفضيلة عادة ، وهي التوسط بين الإفراط والتفريط .

٢ — والعلماء المحدثون يعرفون العادة بقولهم : إنها استعداد مكتسب يحصل للنفس بتكرار الفعل ، أو استمرار التغير . فالعادة الفاعلة كعادة الكتابة تتكون بتكرار الفعل ، والعادة المنفعلة كتعود الجسم تحمل بعض المؤثرات ، تتكون باستمرار التغير . ومع أن لكل فعل أو تغير أثراً في النفس فإن هذا الأثر لايصبح كيفية راسخة إلاّ بالتكرار والتمرين .

٣ — ويطلق الفلاسفة الكشطلطيون (Gestalt) اسم العادة على كل صورة للفعل تصبح بحكم تفردها واستقرار الأحوال اللابسة لها شائقة وثابتة إلاّ أن المألوف عند جمهرة العلماء إطلاق اسم العادة على الظواهر التالية .

آ — العادة هي التكيف العام حيوياً كان أو مادياً . وتحقيق ذلك أن الموجود إذا تأثر بالفعل مرة واحدة أحدث هـذا الفعل فيه تغيراً يجعل تأثره بتكرار ذلك الفعل أو استمراره أقلّ من تأثره بالأول . مثال ذلك أن تسخين اليد يحول دون إحساسها بحرارة الماء ، وإن إدمان شُرْب الأدوية يخفف من تأثيرها في الجسم .

ب — العادة ظاهرة حيوية خاصة ، غير مصحوبة بالوعي تتميز بتكرار بعض الحركات الناشئة عن الأسباب الخارجية تكراراً عفوياً . كحركات النبات الناشئة عن تأثير النور في النهار أو الظلمة في الليل ، أو كبعض الحركات الآلية التي لايحتاج المرء في القيام بها إلى إعمال الروية والفكر .

ج — العادة كيفية نفسانية ، تحصل بتكرار فعل مصحوب بالشعور يولد في المرء بالدربة والممارسة قدرة على إنجاز ما كان في بداية الأمر عاجزاً عن فعله . وقد يؤدّي اكتساب المرء لهذه العادات النفسية إلى استغنائه عن الشعور والإرادة في إنجاز ما يفعله كعادة المشي أو الكتابة أو ركوب الدراجة ، فهي مصحوبة بتضاؤل الإحساس بالحركات الجزئية الداخلة في تركيبها ، أو يؤدي في بعض الأحيان إلى عكس ذلك كعادة إتقان العمل ، أو عادة امتلاك النفس ، أو عادة التفكير قبل الكلام ، فهي عادات مصحوبة بالشعور والانتباه والإرادة .

ء — والعادات في نظر مين دوبيران (Maine de Biran) فاعلة (Actives) ومنفعلة (Passives) . فالعادات المنفعلة ، كتعود الكائن الحي تحمل بعض المؤثرات ، تتميز بتضاؤل الإحساس وضعف الشعور ، والعادات الفاعلة كعادة المشي والكتابة والمروءة والشجاعة والعفة ، تتميز بوضوح الإدراك وسهولة الفعل ودقته . إلاّ أن القول بانقسام العادات إلى فاعلة ومنفعلة لايخلو من الالتباس ، لأن العادات المسماة بالفاعلة لاتخلو من الإنفعال ولأن العادات المسماة بالمنفعلة لاتخلو من الفعل . لذلك رأى الفيلسوف اغجر (Egger) أن يستبدل بهذا التقسيم تقسيماً آخر ، وهو القول : إن العادات سلبية وإيجابية . فالسلبية هي العادات المصحوبة بتضاؤل الشعور والإرادة ، والإيجابية هي العادات المصحوبة بزيادة الشعور والانتباه والجهد .

٥ — والعادات في نظر (اغجر) أيضاً قسمان : العادات الخاصة ، والعادات العامة . أما الخاصة فهي التي يقتصر فيها على تكرار الفعل على نمط واحد ، كتعود المرء عزف لحن معين على إحدى الآلات الموسيقية ، وأما العامة فهي العادات المشتملة على أفعال مختلفة من جنس واحد كتعود الموسيقار عزف كل لحن جديد على جميع الآلات الموسيقية ، بسبب ملكة حصلت له .

(راجع لفظ : كشطلت « Gestalt ») .

العادل والعدل

في الفرنسية	Juste
في الانكليزية	Just , Right
في اللاتينيـة	Justus

العادل أو العدل هو المرضي الحكم أو الشهادة ، وهو مشتق من عدل تقول : عدل في أمره عدلاً ، استقام . وعدل في حكمه ، حكم بالعدل ، وعدّل الشيء قومه . وعدل فلاناً بفلان سوّى بينهما .

فإذا كان العادل أو العدل نعتاً للشيء دلّ على المثل والنظير والمساوي ، أو على المطابق للحق الوضعي أو الحق الطبيعي ، كالجزاء فانّ وصفه بالعدل يدل على مطابقته للحق ، تقول : جزاء عادل ، وثمن عادل ، وميزان عادل .

وإذا كان العادل أو العدل نعتاً للعاقل دلّ على اتصافه بالإنصاف ، أي على إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه . تقول : شاهد عدل أي صادق ، وحاكم عادل أي منصف .

فالعادل بالجملة هو الذي « من شأنه أن يساوي بين الأشياء غير المتساوية » (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١١٥) ، ويحكم على نفسه

بما يحكم به على غيره ، ويجعل حكمه مجرّداً من العواطف ، خالياً من الغرض والعبث والأنانية . فكل من كان صادق الحكم ، مريداً الخير منزهاً عن فعل القبيح ، وعن الإخلال بالواجب كان عادلاً ، وكذلك كل من كان متمسكاً بالشريعة ، معترفاً بحقوق الناس وحرياتهم . فالعادل إذن هو المنصف الذي يعامل غيره بما يعامل به نفسه . ويجعل إرادته مطابقة للقانون الأخلاقي .

والعادل عند علماء اللاّهوت صفةٌ للإنسان الخاضع لأوامر الله ونواهيه وهو ضد الظالم والفاسق والجائر . أو هو صفة لله تعالى لامتناع الجور عنه . ولأنه سبحانه لا يأمر عباده إلاّ تخييراً ، ولا يكلفهم إلاّ يسيراً . ومعنى ذلك أن القول بالعدل الإلهي يوجب القول بالحرية الإنسانية ، لأنه لا يعقل أن تكون المعاصي بتقدير الله (١) . ولو كانت كذلك لما كان الله عادلاً .

العاطفة

في الفرنسية	Sentiment
في الانكليزية	Sentiment

عطف عليه أشفق ، وعطفت الناقة على ولدها حنّت عليه ودرّ لبنها ، والعاطفة الميل ، والشفقة ، والرأفة وجمعها عواطف .

وللعاطفة عند المحدثين عدة معان :

١ – فمنهم من يطلقها على الانفعالات الناشئة عن أسباب معنوية لا عن أسباب عضوية .

٢ – ومنهم من يطلقها على اللذات والآلام وغريزة حفظ البقـــاء ، والمشاركة الوجدانية ، والحب ، والكبرياء ، والتواضع ، والغريزة الجنسية ، والنزاع الخلقية والاجتماعية والدينية والجمالية والعقلية .

(١) أي لا بمحبته ولا برضاه .

٣ — ومنهم من يطلقها على الميول الغيرية دون الميول الأنانية والنفعية . فالعطوف من الرجال هو الذي يحمي الضعفاء ، والعطوف من النساء هي المحبة لزوجها .

٤ — والعاطفة في اصطلاحنا استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معينة ، والقيام بسلوك خاص حيال فكرة معينة . ففيها إذن انفعال وتصور وفعل ، كالعواطف الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية فهي لا تخلو من تصور واضح أو غامض مصحوب بفعل محدد أو غير محدد .

٥ — ومذهب العاطفة (Morale du Sentiment) في الأخلاق مذهب (روسو) و (آدم سميث) و (جاكوبي) ، وقوامه الشعور بالغيرية أي بحب الآخرين ، وطريقته المعرفة الحدسية .

٦ — وكما ينزع المرء بعاطفته إلى الشعور بالانفعال ، فكذلك ينزع بها إلى الكشف عن الحقيقة ، ولكن الحقائق التي نكشف عنها بعواطفنا لا تصبح حجةً عند غيرنا إلاّ إذا حصل لهم من الكشف ما حصل لنا .

٧ — والعاطفي (Sentimental) هو المنسوب إلى العاطفة ، ولا سيما عاطفة الحب . تقول التربيه العاطفية (Education Sentimentale) والسياسة العاطفية (Politique du Sentiment) وهي ضد السياسة الواقعية (Politique réaliste) .

والعاطفي من الرجال هو الذي يتغذى بالعواطف أو يتبع عواطفه في علاقاته الإنسانية ، أو يفضل إظهار عواطفه على سترها . والمقصود بالعواطف هنا العواطف العذبة ، والذكريات الطيبة ، والأحلام الجميلة .

العالم

في الفرنسية	Univers , monde
في الانكليزية	Universe , World
في اللاتينية	Universum , mundus

١ — العالم بالمعنى العام مجموع ما هو موجود في الزمان والمكان ، وهو واحد ، قال (ليبنيز) : « إذا كنت أطلق لفظ العالم .. على مجموع الأشياء الموجودة فمرد ذلك إلى رغبتي في اجتناب القول إنه يمكن أن يوجد في الأزمنة والأمكنة المختلفة عدة عوالم ، لأن هذه العوالم لو وجدت لوجب عدّها كلها عالماً واحداً » (Leibniz , Théodicée , 1. 8) . وفي كتاب النجاة لابن سينا (ص ٢٢٢) فصل عنوانه : « إن العالم واحد وإنه لا يمكن التعدد » .

والعالم بالمعنى العام أيضاً كل ما سوى الله من الموجودات قديمة كانت أو حادثة . وقد يطلق على المخلوقات كلها ، أي على كل ما وجوده ليس من ذاته من حيث هو كل . وينقسم إلى قسمين أحدهما روحاني وهو عالم الأرواح والعقول ، والآخر جسماني وهو مجموع الموجودات المادية .

٢ — والعالم بالمعنى الخاص هو مجموع الأجسام الطبيعية البسيطة كلها (ابن سينا رسالة الحدود) أو مجموع الأجسام السماوية ، أو العالم المرئي ، أو الأرض من جهة ما هي مركز ما تحت القمر ، أو مجموع الحقائق الواقعية الموجودة في المكان والزمان ، وهذه الحقائق الواقعية إما خارجية وإما داخلية ، فالخارجية هي الأعيان المدركة بالحس ، والداخلية هي الأحوال النفسية المدركة بالشعور .

ويطلق العالم بالمعنى الخاص أيضاً على جملة موجودات من جنس واحد، كقول ابن سينا : « يقال عالم لكل جملة موجودات متجانسة كقولهم عالم الطبيعة وعالم النفس وعالم العقل » (رسالة الحدود) . وقد عم استعمال هذا الاصطلاح في أيامنا هذه حتى أطلق على كل جملة من الأشياء المتجانسة، كقولنا عالم القيم وعالم السياسة ، وعالم الأدب، وعالم الألفاظ .. الخ .

والعالم بالمعنى الخاص لا يمنع التعدد . قال الغزالي : « والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى » ، كما قال : « وما يعلم جنود ربك إلاّ هو » ، وإنما خبره من العوالم بواسطة الإدراك ، وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات ، ونعني بالعوالم أجناس الموجودات » (المنقذ من الضلال ، فصل في حقيقة النبوة ، ص ١١٠ من طبعتنا السابعة ، بيروت ١٩٦٧) فعالم الحس مجموع الأشياء المدركة بالحواس ، وعالم الإدراك مجموع الصور النفسية المطابقة للظواهر الحسية ، وعالم المعقولات مجموع الحقائق العقلية المفارقة الخ . .

٣ – والقدماء يفرقون بين العالم السفلي أي عالم الكون والفساد ، والعالم العلوي أي عالم الأفلاك وما فيه من الأجرام السماوية .

وعالم الأمر عندهم ضد عالم الخلق . (الأول) عالم الملكوت والغيب ، ويطلق عند المتصوفة على عالم وجد بلا مدة ولا مادة كالعقول والنفوس ، والثاني عالم الملك والشهادة ، ويطلق على عالم وجد بمادة كالأفلاك والعناصر والمواليد الثلاثة .

وهم يفرقون أيضاً بين العالم الكبير (Macrocosme) والعالم الصغير (Microcosme) فيطلقون الأول على ما فوق السماوات أو على السموات والأرض وما بينها ، ويطلقون الثاني على ماتحت السموات أو على الأرض أو الإنسان ، ومنهم من يقول العالم الكبير هو القلب ، والعالم الصغير هو

النفس ، والذين يسمون الإنسان عالماً صغيراً يقولون إن صورة هيكله مماثلة لصورة العالم الكبير ، وإن فيه قوى متضادة الأفعال ، متباينة الأعمال ، كالقوى التي يتألف منها العالم الكبير . (رسائل إخوان الصفا ، الرسالة الثانية عشرة ، الرسالة الجامعة ، جزء ١ ص ٥٦٥) ، وعالم القدس عندهم عالم المعاني الإلهية المقدمة على الأحكام الخلقية والنقائض الكونية .

٤ — والعالم (في العهد الجديد) مجموع الأشياء والأفعال المضادة للحياة الروحية ، مثال ذلك قوله : « ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً وأراه مجموع ممالك العالم ومجدها » (متّى ، الأصحاح الرابع ، ٨) وقوله : « لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » (متّى ، الأصحاح السادس عشر ٢٦) وقوله : « لايقدر العالم أن يبغضكم ، ولكنه يبغضني أنا ، لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة » (يوحنا ، الأصحاح السابع ، ٧) .

٥ — والعالمي هو المنسوب إلى العالم ، تقول المواطن العالمي . والعالمية هم القائلون بتقديم حب الإنسانية على حب الوطن ، كالرواقيين فهم يسمون أنفسهم مواطنين عالميين (Citoyens du monde) .

٦ — راجع الألفاظ التالية : الكون (Cosmos) ، والكوني (Cosmologique) ، وعلم العالم (Cosmologie) وعلم نشأة العالم (Cosmogonie) .

العالي والأعلى

في الفرنسية Supérieur

في الانكليزية Superior , higher

في اللاتينية Superior

إذا كانت الأشياء مختلفة المراتب أطلق لفظ العالي على الشيء الذي تكون مرتبته متقدمة على مرتبة الآخر . مثال ذلك مراتب المعاني ، ومراتب

العلوم وغيرها . فإنه إذا كان أحدها متقدماً على الآخر مباشرة كان الأول عالياً ، والثاني سافلاً ، كالجنس بالنسبة إلى النوع ، وكعلم الرياضيات بالنسبة إلى علم الفلك ، تقول الحيوانات العالية ، والأفعال العقلية العالية ، والقيم العالية ، والوظائف الاجتماعية العالية .

وإذا كانت مرتبة أحد الحدود متقدمة على مراتب جميع الحدود الأخرى سمي ذلك الحد بالحد الأعلى أو بجنس الأجناس ، مثل الوجود المطلق بالنسبة إلى سائر الموجودات .

والعلو قد يكون في المكان أو في المرتبة ، وهو عند المحدثين قسمان : علو مطلق ، وعلو نسبي ، ويقابله النزول .

والعلو والسفل مفهومان متضايفان .

العـام

في الفرنسية Général

في الانكليزية General

في اللاتينيـة Generalis

العامّ الشامل ، وهو خلاف الخاصّ . يقال مطر عـام أي شامل ، ويقال أيضاً المصلحة العامة ، والرأي العام . وكل ما يتناول أفراداً متفقة الحدود على سبيل الشمول فهو عامّ .

وللعام باعتبار شموله حالتان :

فإذا كان شموله محـدّداً دلّ على أكثرية الأفراد الداخلين في الحكم كقولنا : الإضراب عام ، والتعبئة عامة ، فان إطلاق الحكم في هذين القولين لا يمنع الاستثناء .

وإذا كان شموله غير محدد دل على مجموع أفراد الجنس لاشتراكهم جميعاً في طبيعة واحدة بلا استثناء ، ويرادفه الكلي (Universel) وهو خلاف الخاص (Spécial) والفردي (Individuel) والجزئي (Particulier) . تقول : إن الاستقراء هو انتقال من الجزئي إلى الكلي ، لأنه حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، إما كلها وهو الاستقراء التام ، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور .

وتختلف درجة شمول المعاني أي درجة عمومها (Généralité) باختلاف مرتبتها في التسلسل ، فاذا كانت أعلى كانت أعم ، وإذا كانت أدنى كانت أخص . كقولنا : إن وظيفة التغذي في الكائنات الحية أعم من وظيفة الحركة ، وإن معنى المثلث أعم من معنى متساوي الساقين .

والفلاسفة القدماء يطلقون لفظ العام على الخاصة المشتركة بين جميع الأجزاء ، كقول ابن سينا : إن الأمور العامة لجميع الطبيعيات هي المادة والصورة والحركة .

والعرض العام عندهم كل كلي مفرد عرضي أي غير ذاتي يشترك في معناه أنواع كثيرون . والقضايا الكلية هي القضايا التي يكون الحكم فيها إيجاباً أو سلباً على كل واحد من الموضوع ، كقولنا كل إنسان فانٍ . ومعنى ذلك أن الكلي يشمل جميع أفراد النوع بلا استثناء ، على حين أن العام قد يشمل جميع الأفراد أو لا يشمل إلاّ معظمهم ، كالقواعد العامة في المسائل الإنسانية فهي لا تمنع الاستثناء .

والعامي هو المنسوب إلى العام كقول ابن سينا : « فلا كلي عامي في الوجود » (النجاة ص ٣٦٠) .

والعامي أيضاً هو المنسوب إلى العامة كقولنا : المفهوم بحسب التعارف العامي ، أو قولنا المعرفة العامية (Connaissance vulgaire) وهي خلاف المعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية .

والعامية لغة العامة من الناس وهي خلاف الفصحى .

(راجع الألفاظ التالية: العموم (Généralité) والتعميم (Généralisation) والكلي (Universel) .

العامل

في الفرنسية	Facteur
في الانكليزية	Factor
في اللاتينية	Factor

العامل عند النحاة ما يقتضي أثراً إعرابياً في الكلم ، وهو قسمان : لفظي وهو ما يتلفظ حقيقة أو حكماً ، ومعنوي وهو ما لا يكون له أثر في اللفظ أصلاً لا حقيقة ولا حكماً .

والعامل عند الفلاسفة ما يؤثر في الشيء ويرادفه السبب والشرط والباعث ، يقال : كثرة الإنتاج من عوامل الرخاء .

والعامل في علم الحساب هو العدد الصحيح الذي يقسم عدداً صحيحاً آخر بلا باق .

والعامل عند المؤرخين ما يؤثر في تعاقب الأحداث التاريخية .

والعامل في علم النفس هو العنصر المؤثر في الحالات العقلية التي تؤدي مجتمعة أو مفترقة إلى نتيجة معينة .

والعامل في علم الإحصاء هو الخاصة أو المتغير الذي يُؤْخَذ بعين الاعتبار في بحث من الأبحاث ، أو هو السبب الخاص بمتغير واحـــد ، أو السبب المشترك بين عدد من التغيرات يتخذ أساساً لتقرير العلاقة بينها .

وتحليل العوامل (Analyse des facteurs) أو(Analyse factorielle) هو الطريقة المتبعة في تحليل العلاقات الموجودة بين عدد من المقادير المختلفة ،

أو هو الطريقة المتبعة في تحليل الروائز (Tests) لردّ مختلف العوامل إلى عدد من العوامل الأولية البسيطة ، أو للكشف عن طبيعة العمليات التي تتطلبها الاستجابة لبنود الروائز .

والعامل العام (Facteur général) في نظرية سبيرمان (Spearman) هو العنصر المشترك بين جميع قابليات الشخص تمييزاً له من العوامل الخاصة المختلفة باختلاف القابليات .

العبادة

في الفرنسية	Adoration
في الانكليزية	Adoration
في اللاتينية	Adoratio

العبادة هي خضوع الإنسان لربه على سبيل التعظيم ، أو هي فعل المكلَّف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه (تعريفات الجرجاني) . والعبادات هي الشعائر الدينية .

ويطلق لفظ العبادة مجازاً على الخضوع للآلهة الكاذبة ، كعبادة الكواكب ، وعبادة الأرواح ، أو يطلق على الأشياء التي ترمز إلى الآلهة كعبادة الأصنام (Idolâtrie) ، أو على الميل الشديد إلى أحد الأشخاص والتذلل له كعبادة المعشوق .

والفرق بين عبادة الأصنام وعبادة الأشياء المادية (Fétichisme) أن الأولى تقوم على اتخاذ الصنم وسيلة للتقرب إلى الله ، على حين أن الثانية تقوم على عبادة الأشياء المادية لذاتها . ومعنى ذلك أن الصنم ليس إلهاً ، وإنما هو صورة ترمز إلى الإلهٰ .

ومن ظواهر عبادة الأشياء المادية في علم الأمراض العقلية حالة الانحراف الجنسي التي تجعل العاشق يستبدل بعشق الشخص المشوق عشق بعض أعضائه أو بعض ملابسه .

وعبادة المجتمع (Sociolâtrie) اصطلاح وَضَعه (اوغوست كومت) للتعبير عن ميل الأفراد إلى تقديس الروابط الاجتماعية .

(راجع الورع « Piété » والتقوى « Dévotion ») .

العبـد

في الفرنسية	Esclave
في الانكليزية	Slave
في اللاتينية	Servus , slavus

العبد في الأصل هو الإنسان حراً كان أو رقيقاً لأنه مربوب لله . ويطلق أيضاً على إنسان يملكه غيره ويسمى بالرقيق . ويجمع على عباد وعبيد . (فالعباد) لا يضاف إلا إلى الله ، أما (العبيد) فيضاف إلى الله وإلى غيره ، وهو أعم من العباد .

ويطلق لفظ العبد مجازاً على الرجل الذي يتقيد بقواعد السلوك تقيداً شديداً . تقول هذا الرجل عبد الواجب أو عبد الوفاء بالعهد . ويطلق أيضاً على الرجل الذي ينقاد لإحدى قواه الطبيعية أو المكتسبة انقياداً تاماً . تقول هذا الرجل عبد الغريزة أو عبد المادة .

والعبودية (Esclavage) صفة العبد ، وهي ضد الحرية .

وقد قيل إن عبودية النبيّ لله تعالى أشرف من رسالته ، لأنه بالعبودية ينتقل من الخلق إلى الحق ، وبالرسالة ينتقل من الحق إلى الخلق . وقيل أيضاً : العبودية هي الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود (تعريفات الجرجاني) .

العتبة

في الفرنسية	**Seuil**
في الانكليزية	Threshold
في اللاتينية	Solium , limen , liminis

العتبة في اللغة خشبة الباب التي يوطأ عليها لدخول الدار . وتطلق مجازاً على بداية كل شيء ، تقول عتبة الحياة ، وعتبة الامتحان .

والعتبة في علم النفس هي الحد الأدنى الذي يجب أن يكون عليه المؤثر حتى يكون مصحوباً بالاستجابة ، لأن المؤثر لا يحدث إحساساً إلا إذا بلغ درجة معينة من الشدة .

والعتبة قسمان : عتبــــة مطلقة (Seuil absolu) وعتبـــــة فاصلة (Seuil différentiel) . أما العتبة المطلقة فهي الحد النهائي لكمية المؤثر التي يزول الإدراك الحسي دونها أو بعدها ، أو هي أصغر كمية المؤثر تستطيع أن تولد إحساساً . وأما العتبة الفاصلة فهي أصغر كمية تضاف على المؤثر لتوليد إحساس مختلف عن الإحساس السابق .

وليست العتبة في كلا الحالين ثابتة ، وإنما هي مترجحة حول حـــد متوسط خاص بكل نوع من الإحساس ، فتتغير بتغير الأفراد ، وتتبدل بتبدل الحالة النفسية التي يمر بها كل فرد .

وقد انتشر لفظ العتبة في علم النفس الحديث حتى عم جميع مسائله تقول : عتبة المؤثر ، وعتبة الإحساس ، وعتبة الشعور ، وعتبة الانتباه .. الخ .

العَتَهْ

في الفرنسية Idiotie

في الانكليزية Idiocy

العته في اللغة نقص في العقل من غير جنون . والمعتوه (Idiot) اسم مفعول منه ، وهو الشخص المختلط العقل الذي يشبه بعض كلامه كلام العقلاء ، وبعضه كلام المجانين .

والعته في علم النفس مختلف عن البلاهة .

فالمعتوه شخص ضعيف القوى العقلية منذ ولادته . وهو يتميز على العموم ببطء حركاته ، وبلادته ، وغلاظة إحساسه ، وعدم انتباهه ، وشدة خجله وعجزه عن التخيل والمبادرة ، وميله إلى القعود ، كأن به داءً يقعده عن العمل . وهو وإن كان قليل التأثر بالإيحاء إلاّ أنه مطيع الأوامر والنواهي متقيد بالنظام ، قادر على الشعور بالحب ، والاعتراف بالجميل ، يسهل عليك أخذه باللطف أكثر مما يسهل عليك أخذه بالخوف .

أما الأبله (Imbécile) فيتميز بالفوضى في تخيله ، وبالسرعة في تداعي أفكاره تداعياً غير متماسك . وهو وإن كان يقظ الانتباه ، إلا أنه قليل الاستمرار عليه ، ومع أنه عاجز عن إتمام كل عمل أو إتقانه فإنه شديد الاغترار بنفسه ، يلحف في المطالبة بحقوقه ، ويسوف في القيام بواجبه ، شديد التحمس للأشياء الباطلة أو المضرة ، كثير الاندفاع ، قليل النظام ، شارد الفكر ، يفخر بقلة إحسانه ومعروفه وخشونة أفعاله ، شديد الميل إلى تلقي الإيحاء ببعض الأشياء دون بعض ، قليل التأثر بحسن المعاملة ، كثير التأثر بالتهديد والتملّق .

ومما يتميز به المعتوه عن الأبله أن الأول يتصف ببعض العاهات الجسمانية كالعمى والصمم والحول والتأتأة والفالج النصفي والتشنج على حين أن الثاني قلما اتصف بشيء من ذلك . إلا أن الاثنين يشتركان في صغر حجم دماغيهما .

ويمكن القول في ذلك قولاً عاماً وهو أن المعتوه يتميز بنقص نموه أو توقفه على حين أن الأبله وإن كان متصفاً بالنمو إلا أن نموه غير سوي ، وغير متجه إلى الخير .

والعته الأخلاقي (Idiotisme moral) مختلف عن الجنون الأخلاقي (Folie morale) ، فالأول يتميز بضمور الدوافع الغيرية والاجتماعية والجمالية على حين أن الثاني يتميز ببعض الدوافع الشاذة كجنون السرقة (Kleptomanie) وجنون إدمان الشراب (Dipsomanie) .

(راجع لفظ : الجنون) .

العُجب

في الفرنسية Orgueil

في الانكليزية Pride

العجب هو أن يتصور المرء استحقاق رتبة لايكون مستحقاً لها ، أو هو كما قال مسكويه : « ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة غير مستحقة لها » (تهذيب الأخلاق ص ٩٦ ، طبعة قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٦٦) ويرادفه الزهو والكبرياء ، والصلف ، والتمدح ، والافتخار ، والتيه والغرور . ولهذه الألفاظ معان متقاربة : فالصلف تكبر مع ثقل الروح ، والتمدح افتخار المرء بما ليس عنده ، والافتخار هو « المباهاة بالأشياء الخارجة عنا » (مسكويه : تهذيب الأخلاق ص ١٩٦) والتيه قريب من العجب . « والفرق

بينها أن المعجب بنفسه يكذب نفسه فيما يظن بهـا ، والتياه يتيه على غيره ولا يكذب نفسه » (مسكويه ، المصدر نفسه ، ص ١٩٨) . وأما الغرور (Vanité) فهو قريب من التيه ، والفـرق بينه وبين العجب أن المعجب بنفسه يفرح بما يظنه بنفسه من الفضائل ، ولا يبالي بآراء الآخرين فيه على حين أن المغرور يتصف بحب الظهور وبالميل إلى إشهار ماعنده من الفضائل حتى يكون إعجاب الناس به مسبيـــلاً إلى فرحه بنفسه . ولا تبال بقول (اوغوست كومت) إن العجب مصحوب بحب السيطرة ، والغرور بحب المديح ، لأن المعجب بنفسه قد يعيش في عزلة تامة عن الناس مكتفياً بشعوره الذاتي بتفوقه على غيره ، أما المغرور بنفسه فإنه وإن كان يحب المديح إلاّ أنه لايكتفي بحسن ثنائك عليه ، بل يريد أن تبالغ في ذلك ، وان تكرر ما تقوله فيه أمام الناس ، حتى يعترفوا جميعاً بفضله . ومعنى ذلك كلّه أن الغرور هو الطمع بالباطل ، على حين أن العجب هو الزهو والكبرياء . (راجع كتاب السياسة الوضعية لاوغوست كومت A. Comte, politique positive I. 698) .

العجز عن الكتابة

في الفرنسية Agraphie

في الانكليزية Agraphia

يطلق هـذا الاصطلاح على فقدان المرء قدرته على الكتابة وإن كان غير مصاب بالشلل . وقد سماه شاركو (Charcot) حبسة اليد (Aphasie de la main) . وإذا لحق هذا العجز قدرة الموسيقار على التعبير عن عواطفه بالإشارات الموسيقية سمي بالحبسة الموسيقية .

(راجع لفظ الحبسة « Aphasie ») .

العجز عن الفعل

في الفرنسية	Apraxie
في الانكليزية	Apraxia

يطلق هذا الاصطلاح على عجز المرء عن تنفيذ بعض الحركات القصدية بارادته وإن كان غير مصاب بالشلل أو الخلل العصبي ، كعجزه عن مخط أنفه ، أو عن استعمال أدوات الطعام ، أو عن رسم إشارة الصليب . ولهذا العجز عن الفعل صور مختلفة منها العجز عن تنفيذ الحركات ، والعجز عن التصور والتنفيذ ، والعجز عن النطق أي الحبسة (Aphasie) ، والعجز عن الكتابة (Agraphie) .

العدالة

في الفرنسية	Justice
في الانكليزية	Justice
في اللاتينية	Justicia

العدالة في اللغة الاستقامة ، وفي الشريعة الاستقامة على طريق الحق والبعد عما هو محظور ، ورجحان العقل على الهوى . وفي اصطلاح الفقهاء اجتناب الكبائر ، وعدم الإصرار على الصغائر ، واستعمال الصدق واجتناب الكذب ، وملازمة التقوى ، والبعد عن الأفعال الخسيسة . وهي مرادفة للعدل باعتباره مصدراً ، وهو الاعتدال والاستقامة وملازمة الحق .

والعدالة عند الفلاسفة ، هي المبدأ المثالي ، أو الطبيعي ، أو الوضعي الذي يحدّد معنى الحق ، ويوجب احترامه وتطبيقه .

فاذا كانت نعتاً للأشياء المطابقة للحق دلت على المساواة والاستقامة ، وإذا كانت نعتاً للفاعل دلت على إحدى الفضائل الأصلية . وهي الحكمة

والشجاعة والعفة والعدالة . » وليست العدالة جزءاً من الفضيلة ، وإنما هي الفضيلة كلّها » . (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١١٧) .

وللعدالة باعتبارها فضيلة جانبان : أحدهما فردي ، والآخر اجتماعي . فاذا نظرت إليها من جانبها الفردي دلت على هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال المطابقة للحق . وجوهرها الاعتدال والتوازن والامتناع عن القبيح ، والبعد عن الإخلال بالواجب . وإذا نظرت إليها من جانبها الاجتماعي دلت على تقديس حقوق الآخرين وعلى إعطاء كل ذي حق حقه .

وقد بين الفلاسفة أن أساس العدالة المساواة ، وان مبدأها التوسط بين الإفراط والتفريط .

والعدالة عندهم عدالتان : عدالة المعاوضة (Justice commutative) وعدالة التوزيع أو القسمة (Justice distributive) ، الأولى تتعلق بتبادل المنافع بين الأفراد على أساس المساواة كما في عقود البيع والشراء وسائر المعاملات ، والثانية تتعلق بقسمة الأموال والكرامات على الأفراد بحسب ما يستحقه كل واحد منهم ، بحيث يمكن القول إن نسبة هذا الإنسان إلى هذا المال كنسبة كل من كان في مثل مرتبته إلى قسطه . ومعنى ذلك أن عدالة المعاوضة تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض على حين ان عدالة التوزيع تنظم علاقات الأفراد بالدولة ، وفي كلا هذين النوعين من التنظيم نسبة ، إلا أن نسبة عدالة المعاوضة عددية ، ونسبة عدالة التوزيع هندسية .

والفرق بين العدالة والمحبة ان العدالة توجب على المرء التقيد بالحق أي أخذ ماله وإعطاء ما لغيره ، على حين أن المحبة توجب عليه أن يريد لغيره أكثر مما يريده لنفسه . والإنسان لا يحتاج إلى العدالة إلا إذا فاته شرف المحبة : « ولو كان الناس جميعاً متحابين لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف » (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١٣٣) .

لذلك قيل إن واجبات العدالة أضيق من واجبات المحبة ، لأن الأولى توجب على المرء الامتناع عن الشر واجتناب الاعتداء على حقوق الآخرين ، على حين ان الثانية توجب عليه الجود بنفسه في سبيل غيره . وإذا اعتبرنا المحبة مبدأً خلقياً عاماً ملازماً للذات الإنسانية ، والعدالة قاعدة عملية موضوعية ضرورية لضبط علاقات الناس ، لم يكن بين هاتين الفضيلتين تعارض ، لأن مبدأ المحبة يصبح في هذه الحالة أساس الأفعال العادلة ، ولأن قاعدة العدالة يمكن أن تمتد إلى جميع الواجبات حتى تشمل تحديد علاقات المحبة وتحديد صورها القابلة للتنفيذ . ولا معنى لقول بعضهم إن فضيلة العدالة سلبية وفضيلة المحبة إيجابية ، لأن من شرط كل فضيلة أن تكون موجبة ، وقديماً قيل : إن الكف عن الفعل فعل . ونحن نعتقد أن العدالة المثالية والمحبة المعقولة لا تؤلفان في حقيقة الأمر إلاّ شيئاً واحداً .

والعدالة الاجتماعية (Justice sociale) هي احترام حقوق المجتمع والتقيد بالصالح العام ، أو هي احترام الحقوق الطبيعية والوضعية التي يعترف بها المجتمع لجميع أفراده ، كتنظيم الأجدر والتأمينات الاجتماعية ، والخدمات الصحية . . الخ . التي يحق للأفراد أن يحصلوا عليها في سبيل إدامة حياتهم وحفظ بقائهم . (راجع الألفاظ التالية : الفضيلة ، المحبة ، الرحمة) .

العدد

في الفرنسية Nombre

في الانكليزية Number

في اللاتينية Numerus

١ — العدد هو الكمية المؤتلفة من الوحدات ، أو الكمية المؤلفة من نسبة الكثرة إلى الواحد . ويسمى بالكمّ المنفصل ، لأن كل واحد من

أجزائه منفصل عن الآخر دون اشتراك بينها ، بخلاف الكمّ المتصل وهو ما كان بين أجزائه حد مشترك .

وعلم العدد هو العلم الرياضي المحض ، وينقسم إلى علم الكم المنفصل كعلم الحساب وعلم الجبر . وعلم الكم المتصل كعلم الهندسة وحساب اللانهايات .

٢ — وللعدد عند بعض الفلاسفة قيمة مطلقة من جهة دلالته على طبائع الأشياء . فالفيثاغوريون يزعمون أن الأعداد المجردة مطابقة لصور الموجودات . و (مالبرانش) يقول : إن صور الأعداد قائمة بالذات الإلهية ، وهو يسميها بالأعداد العادة (Nombres nombrants) .

٣ — أما الرياضيون فانهم يفرقون بين العدد المجرد ، والعدد العيني ، والعدد الصحيح ، والكسر ، والعدد المربع ، والعدد المنطق ، والعدد الأصمّ ، والعدد الأولي ، والعدد المركب ، والعدد التام ، والعدد الخيالي .

آ — فالعدد المجرد (Nombre abstrait) هو المعنى الدال بذاته على الكثرة دون النظر إلى ما يعده ، بخلاف العدد العيني (Nombre concret) الذي يضاف إلى مايعدّه كقولنا : ثلاثة كتب وعشرة دنانير .

ب — والعدد الصحيح (Nombre entier) هو الذي يتألف من إضافة الواحد إلى نفسه . وتسمى الأعداد الصحيحة بالأعداد الطبيعية (Nombres naturels) وهي تتألف من الحدود التالية :

١ ، ١ + ١ ، ١ + ١ + ١ .. الخ . (أي ١ ، ٢ ، ٣ ... الخ)

وتنقسم هذه الأعداد إلى أصلية (Cardinal) وترتيبية (Ordinal) أما الأصلية فهي التي تستعمل في عد المجموع دون النظر إلى ترتيب أجزائه وأما الترتيبية فهي التي تشير إلى مرتبة كل جزء من المجموع كمرتبة الآحاد ومرتبة العشرات ، ومرتبة المئات ... الخ .

ج — أما الكسر (Nombre fractionnaire) فيتألف من عددين صحيحين أحدهما صورة والآخر مخرج ، وهو أعم من العدد الصحيح لأن هذا الأخير ليس سوى كسر مخرجه واحد ، ويسمى الكسر الذي مخرجه عشرة أو إحدى قوى العشرة بالكسر العشري .

د — وأما العدد المربع (Nombre carré) فهو المضروب في نفسه بخلاف العدد المسطح المضروب في غيره . ومضروب المربع في جذره يسمّى مكعباً ، ومضروب المسطح في أحد جزئيه يسمى مجسّماً .

هـ — وإذا كان للعدد الصحيح جذر سمي بالمنطق (Rationnel) وإذا لم يكن له جذر سمّي بالأصمّ (Irrationnel) . وكل عدد ليس بينه وبين الواحد اشتراك في القياس فهو عدد أصم .

و — وأما العدد الأولي (Nombre premier) فهو العدد الذي لا ينقسم إلا على نفسه وعلى الواحد .

ز — وأما العدد المركب (Nombre complexe) فهو المؤلف من عدة أعداد لا تدخل في التمداد العشري كقولنا ثلاث ساعات وعشرين دقيقة وخمس عشرة ثانية (١٥ً ، ٢٠° ، ٣) أو هو المؤلف من جزئين أحدهما حقيقي والآخر خيالي .

ح — وأما العدد التام (Nombre parfait) فهو العدد المساوي لمجموع أجزائه المفردة ، مثال ذلك : (٦ = ١ + ٢ + ٣) و (٢٨ = ١ + ٢ + ٤ + ٧ + ١٤) . فاذا نقص مجموع أجزائه عنه سمي ناقصاً كالأربعة فان مجموع أجزائها المفردة ثلاثة ، وإذا زاد مجموع أجزائه المفردة عليه سمي زائداً كالإثنى عشر فان مجموع أجزائه ١٦ .

ط — وأما العدد الخيالي (Imaginaire) فهو القيمة التي تعطى لـ(هـ)

في الجملة (ب + جـ هـ) عندما يكون هـ٢ = — ١ . وهـذا يجعل للجملة هـ = $\sqrt{-1}$ معنى خاصاً يسوقنا إلى قضايا جديدة ومعادلات جديدة ، تصبح الأعداد الحقيقية معها حالات خاصة من الأعداد الخيالية . وذلك لأن الجملة (ب + جـ هـ) تكون مساوية لـ (ب) عندما يكون (جـ) مساوياً لصفر .

٤ — والعـدد إما سـالب (Négatif) مثل (— ق) أو موجب (positif) مثل (+ ق) ، ويسمّى مجموع الأعـداد السالبة والموجبة بالأعداد الجبرية (Nombres algébriques) .

٥ — والعددان المتحابان (Nombres amiables) هما العددان اللذان يكون كل منهما مساوياً لمجموع أجزاء الآخر مثل (٢٢٠) و (٢٨٠) .

٦ — ونظرية الأعـداد (Théorie des Nombres) فرع من العلم الرياضي ، وهي تبحث في اختلاف الخواص العددية باختلاف الأعداد ، خلافاً للخواص المشتركة المسماة بالخواص الجبرية .

٧ — وقانون الأعداد الكبرى (Loi des grands nombres) الذي أشار إليه الرياضي پواسون (Poisson) هو القول ان تكرار أكبر عدد من الحالات المتشابهة الطبائع الخاضعة لأسباب متغيرة يكشف لنا عن وجود علاقات ثابتة بينها ، بحيث يمكن القول إن هذه الحالات المتكررة كلما كانت أكثر كان الفرق النسبي بين أفرادها أقل ، والتنبؤ بنتائجها أدق . وقانون العدد الأكبر أساس حساب الاحتمالات (Calcul des probabilités) .

العدم

في الفرنسية	Néant
في الانكليزية	Non being
في اللاتينية	Non ens

١ — العدم ضد الوجود ، وهو مطلق أو إضافي . فالعدم المطلق هو

الذي لا يضاف إلى شيء . والعدم الإضافي أو المقيد هو المضاف إلى شيء ، كقولنا : عدم الأمن ، وعدم الاستقرار ، وعدم التأثر .. الخ .

قال ابن سينا : « البالغ في النقص غايته فهو المنتهي إلى مطلق العدم فبالحري أن يطلق عليه معنى العدم المطلق » (الإشارات ١ ، ص : ٦٩—٧٠) ، وقال أيضاً : « وأما العدم فليس هو بذات موجودة على الإطلاق ولا معدومة على الإطلاق ، بل هو ارتفاع الذات الوجودية بالقوة » (النجاة ص : ١٦٤) . والأولى أن يسمى العدم المضاف إلى الشيء بفقد الشيء أو غياب الشيء ، أو نقص الشيء .

٢— والعدم إما أن يكون سابقاً وهو المتقدم على وجود الممكن ، وإما أن يكون لاحقاً وهو الذي يكون بعد وجوده . قال ابن سينا : « واعلم أن الفاعل الذي يفيد الشيء وجوداً بعد عدمه يكون لمفعوله أمران : عدم قد سبق ، ووجود في الحال » (النجاة ، ص : ٣٤٧) .

٣ — ولكن العدم المحض لا يوصف بكونه قديماً ولا حادثاً ولا شاهداً ولا غائباً (كليات أبي البقاء) .

٤ — قال (هنري برغسون) في كتاب التطور المبدع (Evolution créatrice, 307) : ان معنى العدم المطلق معنى متهافت وهو يهدم نفسه بنفسه ، لأنه إذا كان حذف الشيء يوجب الاستعاضة عنه بغيره ، وكان لا يمكن تصور غياب الشيء إلاّ إذا أمكن تصور حضور شيء آخر في مكانه ، وكان معنى الحذف في النهاية هو الإبدال ، فانّ فكرة حذف كل شيء ليست سوى فكرة متناقضة كفكرة الدائرة المربعة . إن تصور عدم الشيء أغنى من تصور وجوده ، لأنه يتضمن فكرة الوجود ، وفكرة ارتفاع الوجود معاً .

٥ — ومعنى العدم عند (هيجل) مساو لمعنى الوجود ، أما عند الفلاسفة الوجوديين فان العلاقة بين هذين المعنيين مختلفة . مثال ذلك قول (ياسبر) :

إن العدم عنوان الوجود ، وقول (هيدجر) : إن العدم يتجلى على هيئة شهود تارة ، وعلى هيئة غياب أخرى . وقول (سارتر) إن العدم متأخر عن الوجود وهو يتبعه دائماً .

٦ — وقد بين (كانت) أن العدم عدة معان .

أ — فهو يطلق على كل مفهوم أجوف ليس له موضوع حقيقي كمفهوم الشيء بذاته .

ب — وهو يطلق على غياب إحدى الكيفيات المحددة كالظل والبرودة وغيرها .

ج — وهو يدل على كل صورة حدسية ليس لها جوهر كالمكان والزمان .

د — وهو يطلق أخيراً على كل مفهوم متناقض كالمضلع المؤلف من ضلعين .

٧ — وبين (سارتر) أخيراً في كتاب الوجود والعدم (L'être et le néant,58) أن لمفهوم العدم صفة مصطنعة لأنه لا معنى له إلاّ من جهة ما هو نفي شيء أو فقدان شيء ، ولأنه لا يمكن إقراره إلاّ بالفكر . ومعنى ذلك أنه لا وجود للعدم بذاته . إنما الوجود للكائن الذي يتصور عدم الأشياء لا للأشياء المعدومة فكأن العدم لا يجيء إلى العالم إلا بواسطة الإنسان .

٨ — والعدمي هو المنسوب إلى العدم . وكل شيء مصيره إلى الزوال كالسماء المظلة والأرض ، والمال ، والجاه ، والملك فهو عدمي .

العدمية

في الفرنسية Nihilisme

في الانكليزية Nihilism

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني (Nihil) ومعناه لا شيء .

العدمية ثلاثة أقسام : فلسفية وأخلاقية وسياسية .

١ — أما العدمية الفلسفية (Nihilisme philosophique) فهي مطلقة أو انتقادية الأولى تتميز بانكار وجود كل شيء والثانية تتميز بانكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة . وهي في كلا الحالين مرادفة للريبية (Scepticisme) .

٢ — وأما العدمية الأخلاقية (Nihilisme moral) فهي مذهب نظري أو حالة فكرية . فاذا كانت مذهباً نظرياً دلت على إنكار وجود القيم الأخلاقية وإبطال مراتبها ، وإذا كانت حالة فكرية دلت على عجز العقل عن تصور هذه القيم .

٣ — وأما العدمية السياسية (Nihilisme politique) فهي اصطلاح سياسي استعمله للمرة الأولى (تورجنيف) في روايته المسماة : « الآباء والأبناء » سنة ١٨٦٢ ويطلق على المذهب السياسي والاجتماعي الذي اعتنقه عدد كبير من الثوريين الروس قبل سقوط الحكومة القيصرية سنة ١٩١٧ ، وقوام هذا المذهب انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية ، والامتناع عن الاعتراف بشرعية القيود القانونية المفروضة على الأفراد . إلا أن أنصار هذا المذهب أخذوا بعد عام ١٨٧٥ يحبذون الإرهاب والاغتيال السياسي ، ويعملون على هدم الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة ، دون التفكير في الأنظمة التي يجب أن تحل محلها .

والعدمية السياسية مرادفة للفوضوية (Anarchisme) .

راجع لفظ الفوضى .

العدوى

في الفرنسية Contagion

في الانكليزية Contagion

العدوى في الأصل انتقال الداء من المريض إلى الصحيح وهي إما جسمية ، وإما عقلية .

ويطلق اصطلاح العدوى العقلية (Contagion mentale) على انتقال الأحوال النفسية من شخص إلى آخر من غير أن يكون أحدهما مريداً لهذا الانتقال . ويمكن تفسير هذا الاشتراك في الأحوال النفسية بإرجاعه إلى ظاهرة التقليد العامة .

ويطلق اصطلاح العدوى العقلية أيضاً على انتقال الداء النفسي من المريض إلى الصحيح ، والفرق بين المعنيين أن الأول عام يشمل انتقال الأحوال النفسية جميعاً من شخص إلى آخر مَرَضية كانت أو غير مرضية ، على حين أن الثاني خاص بانتقال الاعتلال النفسي من المريض إلى الصحيح .

العدوان

في الفرنسية	Agression
في الانكليزية	Agression

العدوان ، الظلم وتجاوز الحد ، وهو صفة من يعدو على غيره . وغريزة العدوان أو العدوانية (Agréssivité) نمط من السلوك يتميز بروح الاعتداء والإقدام على المخاطر بدلاً من اجتنابها .

ويطلق لفظ العدوانية أيضاً على ميل الإنسان إلى الأعمال العنيفة أو إلى الدفاع عن النفس أو على انتهازه كل فرصة لإثبات ذاته أو على تعصبه للمبادئ والعقائد التي يؤمن بها تعصباً شديداً .

والعدوانية أخيراً هي الطموح ، وحب السيطرة ، وميل المرء إلى تسخير كل شيء لأهدافه الخاصة .

لقد زعم (فرويد) أن هذه العدوانية غريزة تخريب وتهديم ، إلا أن معظم علماء التحليل النفسي المعاصرين يجعلون العدوانية مظهراً من مظاهر إثبات الذات .

العرض

في الفرنسية	Accident
في الانكليزية	Accident
في اللاتينية	Accidens

١ — عرض الشيء ظهر وبدا ولم يدم . والعرب يطلقون لفظ العرض على عدة معان . فهو يدل عندهم :

آ — على الأمر الذي يعرض للمرء من حيث لم يحْتَسِبْه .

ب — أو على ما يثبت ولا يدوم .

ج — أو على ما يتصل بغيره ويقوم به .

د — أو على ما يكثر ويقل من متاع الدنيا .

فكأن المتكلمين والفلاسفة استنبطوا معنى العرض من أحد هذه المعاني ، فدلوا به على ما لا يقوم بذاته وهو الحال في الموضوع .

٢ — قال ابن سينا : « يقال عرض لكل موجود في موضوع » (رسالة الحدود) . وقال أيضاً : كل ذات لم يكن في موضوع فهو جوهر ، وكل ذات قوامها في موضوع فهي عرض (النجاة ص ٣٢٥) ، وقال الغزالي : « العرض اسم مشترك :

آ — فيقال عرض لكل موجود في محل .

ب — ويقال عرض لكل موجود في موضوع .

ج — ويقال عرض المعنى الكلي المفرد المحمول على كثيرين حملاً غير مقوم .

د — ويقال عرض لكل معنى موجود للشيء خارج عن طبعه .

هـ — ويقال عرض لكل معنى يحمل على الشيء لأجل وجوده في آخر يفارقه .

و — ويقال عرض لكل معنى وجوده في الأول لا يفارقه .

(راجع معيار العلم ، طبعة مصر ١٣٢٩ ، ص : ١٧١) .

وقال الخوارزمي : « العرض هو ما يتميز به الشيء عن الشيء لا في ذاته كالبياض والسواد والحرارة والبرودة وغير ذلك » . (مفاتيح العلوم ، طبعة مصر ١٣٤٢ ص ٨٦) .

٣ - وفي وسعنا أن نرجع هذه المعاني كلها إلى المعنيين التاليين :

آ — العرض ضد الجوهر ، لأن الجوهر هو ما يقوم بذاته ولا يفتقر إلى غيره ليقوم به ، على حين أن العرض هو الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به . فالجسم جوهر يقوم بذاته ، أما اللون فهو عرض لأنه لا قيام له إلا بالجسم . وكل ما يعرض في الجوهر من لون وطعم وذوق ولمس وغيره فهو عرض لاستحالة بقائه بذاته .

ب — العرض ضد الماهية ، وهو ما لا يدخل في تقويم ماهية الشيء ، كالقيام والقعود للإنسان فهما لا يدخلان في تقويم ماهيته .

٤ — على أن الفلاسفة يقسمون العرض إلى لازم ومفارق . فالعرض اللازم هو ما يمتنع انفكاكه عن الشيء ، كمساواة زوايا المثلث لقائمتين ، فهي بمعنى ما عرض لعدم دخولها في تقويم ماهية المثلث ، ولكنها مع ذلك لا تفارقه . أما العرض المفارق فهو ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء كالنوم للانسان . وهو إما سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل ، وإما بطيء الزوال كالشباب والكهولة .

٥ — والعرضي (Accidentel) هو المنسوب إلى العرض ، وهو ضد الجوهري ، (Substantiel) والذاتي (Essentiel) والضروري (Nécessaire) قال ابن سينا : « وأما العرضي فربما كان خاصاً بطبيعة المحمول عليه لا يعرض

لغيره ، كالضحاك والكاتب للإنسان ، ويسمى خاصة ، وربما كان عارضاً له ولغيره كالأبيض للإنسان وغيره ويسمى عرضاً عامّاً » (الشفاء ، المنطق) .

٦ — فالعرض العام (Accident commun) هو كل كلي مفرد عرضي أي غير ذاتي يشترك في معناه أنواع كثيرون كالبياض للثلج واللبن .

٧ — وأقسام العرض عند الحكماء المشّائين تسعة وهي : الكم (Quantité) والكيف (Qualité) والاين (Lien) والوضع (Position) والملك (Possession) والإضافة (Relation) ومتى (Temps) والفعل (Action) والانفعال (Passion) وتسمّى هذه الأعراض مقولات .

٨ — ويطلق العرض في علم الطب على ما يحسّه المريض من الظواهر الدالة على المرض وجمعه أعراض .

٩ — فائدة : من الفلاسفة من ينكر وجود الأعراض ويزعم أن العالم كله جواهر كابن كيسان ، ومنهم من يثبت وجود العرض ويزعم أنه لا يقوم بنفسه ، إلاّ العلاّف ، فإنه جوّز وجود إرادة عرضية تحدث لا في محل . ومنهم من يجوز قيام العرض بالعرض ومنهم من لا يجوزه ، ومنهم من يقول إن العرض لا يبقى زمانين ، ومنهم من يجوز بقاءه .

١٠ — راجع الألفاظ التالية : الجوهر ، الماهية ، الذات ، المقولات .

جميل صليبا

أدب الفقهاء

- ١٥ -

كلمة ختامية

الآن وقد أثبتنا بما لامزيد عليه من البيان والتبيين، والأمثلة والشواهد أن أدب الفقهاء أدب حيّ معبّر، لايقصر عن أدب غيرهم ممن ليسوا بفقهاء وان التهمة التي توجّه إليه بالضعف والتخلف حتى جعلته مثلاً مضروباً لكل أدب بارد سخيف، هي تهمة باطلة فيها كثير من التجني والظلم لهذا الأدب والمنتجين له، نريد أن نقول في كلمة ختامية لهذا البحث، أننا لاننفي أن بعض الفقهاء ليس لهم من الأدب حظ ولا نصيب، وأنهم حين يتعاطون النظم يتكلّفون ما ليس من سجيتهم، فيأتي نظمهم فجّاً ركيكاً .. ولكن يجب أن لاننسى أن في أدب غيرهم من الفسولة والرداءة مايغطي على أدب الفقهاء الذين يُقرَّون بأنهم متطفلون على موائد الأدباء، بخلاف من يقول أنا به زعيم. وكلُّنا نعلم أن شواهد علماء البلاغة التي يوردونها مثالاً للتنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف والتعقيد وغير ذلك من عيوب اللفظ والمعنى، هي من كلام كبار الشعراء المعترف لهم بالسبق في مضمار صناعة النظم، وليست من كلام الفقهاء، وكذلك شواهد عِلْمَي العروض والقافية على مايعتري النظم من اختلال وعدم انسجام بما يدخله من زحافات قبيحة وعلل مُستكرهة، هي من كلام أعلام الشعر وفصحاء العرب جاهليين وإسلاميين، فالفقهاء ونعني بهم العلماء على العموم، إذا لم ينظموا

على الطبع والسجية ، يقعون في مثل ماوقع فيه أئمة الصناعة وأمراء الكلام ، وهم بحكم علمهم بما يُتَرخّص فيه من مخالفة للقواعد ومجاوزة للقيود يكثر منهم التساهل ولا سيما عندما يعتمدون التقطيع ويتحاكمون إلى أجزاء التفعيلة فيجيء نظمهم قَلِقاً مضطرباً ، ولكنهم لايرون بذلك بأساً ، لأنه جار على المسطرة كما يقولون . وقد لاحظتُ غير ما مرة على بعض النظّامين ما في كلامهم من الكسر والسقوط ، فكانوا يلجأون إلى التقطيع ويحتجون بأنهم على سَوية العروض .

وهذا فيما يكون من الشكل غيرَ مُخِل بالمحتوى ، أما ما اشتمل على الخَلّتين واعتورته العلةُ من الناحيتين ، فهو مما لا كلام عليه ، وصاحبُه حريٌ بأن لا يعد في الفقهاء ولا في الأدباء ، ومع ذلك ففي كلام فحول الشعراء مايذهب بعضُه بكل مافي كلام هؤلاء من مآخذ ومعايب . ولو ذهبنا نضرب الأمثال ونتخيَّر « النماذج » مما انتُقِد على متقدمي الشعراء فأحرى متأخريهم لضاق بنا المجال عن استيعاب ذلك . ويكفينا أن نعطي مثالاً واحداً ، وهو هذان البيتان من قول بشار بن بُرد زعيم الشعراء المولدين :

إنما عَظْم سُلَيْمى قصَب ... قصَبُ السكّر لا عظمُ الجمل

وإذا أدنيتَ منها بصَلا ... غلب المسكُ على ريح البصل

فأي شعر لفقيه انحطّ إلى هذا الدرك من السخف والغثاثة حتى تُضرب الأمثال بشعر الفقهاء ويُنْسى هذا « النموذج » من شعر الأدباء ؟ فاذا قيل إن هذا وشبهه قليل في كلام الشعراء المطبوعين ، قلنا إنه كذلك قليل في كلام الفقهاء أو طبقة قليلة منهم على الأصح ، مع العلم بأن الشعر عندهم إنما هو هواية ، وليس حرفة ، وهذا القليل من المحترفين المختصين لايقال له قليل ، فكان الأولى أن « يُنَوَّه » به كما « يُنوَّه » بقليل القِلّة من الفقهاء الذي جاء على مثاله أو قريباً منه ان تسامحنا في المقارنة .

وبَسْطُ القضية بمزيد من الوضوح أن أدب الفقهاء الحقيقي هو ما عرضناه وتعرّضنا له بالنقد والتحليل في الأبواب المتقدمة والتراجم السابقة ، وما لم يكن على غراره فهو من عمل ضعاف الفقهاء ، وشيء قليل بالنسبة إلى الكثير الطيب الذي أوردنا منه ما أوردنا ، فإطلاقُ الكلام إلى حدّ إرسال المثل بضعف أدب الفقهاء لا يُوافق الحقيقة ، وفيه تحامل كبير على هذه الطبقة من رجال الفكر وحملة القلم ، ويُنتَج عنه صرفُ النظر عن كثير من الروائع التي تفيد أدبنا غنىً وثروة كما بيَّناه فيما سلف ، ولو كان هناك حق وإنصاف لما حُمِل الإحسانُ الكثير في إنتاج هذه الطبقة الشِّعْري على الإساءة القليلة التي وقعت منهم فيه ، مثلما عليه الحال مع الأدباء والشعراء الكبار على الأقل ، وهم الذين كان الواجب أن لا تُغتفر زلَّتُهم ، لأنهم بمحل القدوة في هذا الشأن .

وجانب آخر من القضية هو أن بعض الفقهاء كثيراً ما يتساهلون في أنظامهم العلمية لقصدهم إلى عموم الفائدة وتقريب المعنى إلى الطلاب ، وهذا ليس من الحق أن تُؤخَذ به جميع أفراد هذه الطبقة ويَعمَّها حُكمُه ، خصوصاً وأن الكثير منهم كان على خلاف ذلك ؛ ينظم الفوائد العلمية ويُحصّل قواعد الفنون في شعر بليغ مُحكَم على نحو ما مثّلناه في باب النظم التعليمي حتى قيل في منظومات بعضهم في الكيمياء القديمة إنها إن لم تفدك العلم أفادتك الأدب .

وقد نبه على هذه الظاهرة العلامة الأديب أبو العباس أحمد المقري صاحب نفح الطيب ، في كتابه فتْح المتعال في مدح النعال ، لمّا أورد أبياتاً من ألفية الحافظ زين الدين العراقي في السيرة النبوية ، تتعلق بوصف النعل الشريفة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ولاحَظ ما فيها من دَرَك عليه صناعةً ، وبعد أن التمس المخرج لذلك ، قال معتذراً عنه : « على أن نظمه رحمه الله نظم فقيه . والمقصود الإفادة ، وهي حاصلة على كل حال ،

وقد سلك هذه الطريقة جماعة من العلماء الصلحاء أعني عدم تحسين النظم إذ قصدهم الجميل إيصال المعاني إلى السامع ولم يشتغلوا بحوك الكلام على طريقة الأدباء كابن الوردي وأنظاره ، فجزى الله الجميع عن الدين خيراً . ولقد كان شيخنا مفتي مدينة فاس العلامة سيدي الشيخ محمد القصار القيسي الفاسي الغرناطي الأصل ، كثير الإصلاح لأبيات العراقي (ألفية في علوم الحديث) وكنتُ لا أحبُّ ذلك منه ، مع أن مقصده رحمه الله حسن والتسليم أسلم والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا كلام المقري . ونحن نسجل الفكرة الأساسية فيه ، وهي أن مايقع في نظم بعض العلماء من مآخذ ، منشأه هو التساهل الذي يحملهم عليه قصد النفع والتفهيم بأقرب الطرق وأسهل العبارات ، وليس ذلك من عجز ولا قصور والدليل على ذلك أن قائلَ هذا الكلام والملاحِظَ على النظم المعنيّ بالأمر ، أي ألفيةِ العراقي ، هو نفسُه من أكبر الفقهاء وألمع الأدباء ، وهو الذي ألّف لنا أعظم موسوعة عن الأندلس ، وأدبها وعلمائها وشعرائها أعني كتاب نفح الطيب ، وشعرُه ونثرُه من الطبقة الممتازة ، وله نظم تعليمي مشهور في غاية الجودة ، ومنه أرجوزته المعروفة في علم الكلام المسماة بإضاءة الدُّجُنَّة في عقيدة أهل السنَّة . ولا نطيل في التعريف به فالمقري قد طبقت شهرته المغرب والمشرق عالماً وأديباً ومؤرخاً للأدب العربي معتمَداً عند جميع الباحثين . ومع هذه المكانة الأدبية التي له فهو يتسامح مع الحافظ العراقي ويرى عدم التعلق بما في نظمه من لينٍ ، لأن قصد النفع سوّغ له ذلك ، وإن كان هو لايرتكبه ، وهذا ما يجعلُنا نتحفَّظ بازاء قوله في العراقي « على أن نظمه رحمه الله نظم فقيه » إذ هو يتناقض مع الفكرة الأساسية التي سجلناها عليه ، وأول ما ينتقضُ بنظمه هو ؛ الذي لا تتنزّل عليه تلك الكلمة ولا يقبل هو أن تقال فيه مع أنه من جملة الفقهاء .

ودليل آخر يُؤْخَذ من كلام المقري، وهو عناية شيخه الإمام القصار بإصلاح الأبيات الضعيفة في ألفية الاصطلاح للعراقي. فهذا فقيه كبير وعالم شهير لا تخفَى عليه علل النظـم التي دخلت بعض أبيات الألفية الشهيرة ويُحاولُ إصلاحَها، وما ذلك إلا لتمكنه من صناعة الشعر واختلاف نظره عن نظر العراقي في مسألة التساهل في قواعد النظم، وإن كان نظماً تعليمياً فليس الفقهاء بإطلاق ممن يُقرُّون هذا النظر ويأخذون به، فالحكم عليهم بعين الجمْع هو من الخطأ الذي قصدنا إلى تلافيه في هذا البحث.

وإذا كان المقري معروفاً لدى عامة المشتغلين بالبحوث العلمية والأدبية فإن القصار هو شيخه وشيخ العلماء المغاربة في عصره، بل إن مُتَرجِميه يُحلُّونه بشيخ الأعصار والأمصار، وقد تجاوزت شهرته في زمنه حدود بلاده، فيُحكى أن الشيخ عبد الواحد ابن عاشر لما حج ومر في طريقه بمصر سأله الشيخ عبد الله الدنوشري من علمـاء مصر، عن شيوخه فسمَّى له منهم الإمام القصار فقال الدنوشري في مدحه:

قد حاك شقَّاتِ العلوم أيمةٌ ... وكَسوْا بها بالفضل من هو عار
رقَّت حواشيها، ورقَّ طرازُها ... لكنهـا تحتاج للقصـار

وهذا شعر جيد يشتمل على تورية مليحة، وهو مما يقوله فقيـه في فقيه، ويُحسِّن موقعَ هذه التورية، العِلْمُ بأن أسانيد المغاربة في العلوم كلها تدور على القصار، فهو من المجـددين لشباب العلم والمطرزين لحلته الناصعة البياض.

وعلى مقامه العلمي هـذا كان له باع في الأدب وشعر حسن جميل، ومنه الأبيات التي يقولها في الحض على زيارة الوالدين بعد موتهما، وهي الأبيات التي ادعاها كثير من الشعراء ونصها:

زُرْ والديْك وقف على قبرْيهما ... فكأنني بك قد نقلتَ اليهما

لو كنت حيث هما وكانا بالبقا	زاراك حبواً لا على قدميهما
أنسيت عهدهما عشية أسكنا	دار البلى وسكنت في داريهما
ما كان ذنبهما إليك وإنما	منحاك محض الود من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علة	جزعا لما تشكو وشق عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا	دمعيهما أسفاً على خديهما
وتمنيا لو صادفا لك راحة	بجميع ما يحويه ملك يديهما
فلتلحقنهما غداً أو بعده	حتماً كما لحقا هما أبويهما
ولتندمن على فعالك مثلما	ندما هما أيضاً على فعليهما
بشراك ان قدمت فعلاً صالحاً	وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما	تسطيعه وبعثت ذاك اليهما
فاحفظ بني وصيتي واعمل بها	فعسى تنال الفوز من بريهما

ولا أحتاج أن أنبه على ما في هذه الأبيات من عاطفة شريفة وشعور نبيل زيادة على متانة حوكها وحسن صياغتها. ومن قوله محذراً من بعض المهام ذات المسؤولية الثقيلة وإن كانت في ظاهرها مما يرغب فيه:

يسع أبى منها أولو	الأحلام والهمم السنية
إلا بحال ضرورة	تدعو لها مع حسن نية
وهي الشهادة والوسا	طة والحكومة في القضية
وكذا الإمامة والوديـ	ـعة والتعرض للوصية
ثم الاجابة للطعا	م وللولائم والهدية
فسد الزمان وأهله	إلا القليل من البرية

وهو شعر تظهر عليه مسحة العلم مما يتضمنه من الورع وعلو الهمة والتحري في الحكم ووزن الكلام، فإن الاستثناء في البيت الثاني والشطر الأخير إنما هو من تثبت العلماء.

ومن نظمه التعليمي هذا البيت السائر :

الإسْتِوَا والوجهُ والعينُ ويدْ صفاتُ أو فَوّضْ أو اوّلْ ماوَردْ

يجمع في بيت مفرد أمثلةَ المتشابه ومذاهبَ المسلمين بازائه من السلَف والخلَف وقولِ الأشعري إنه صفة. وهذا أمر يدل على مقدرة تامة وملكة راسخة ، ومَن كان بهذه المثابة ويصحح الخطأ في نظم العراقي لا يُقال في شعره أنه نظم فقيه . .

فهؤلاء ثلاثة فقهاء ، اثنان منهم كما رأينا فوقَ النقد ، وواحد محمول على التساهل لقصد شريف ، فكيف يُحكم بالثلث على الثلثين حتى مع التسليم بَحجْجُوجيَّة هذا الثلث ، وما رأيناه في باب النظم التعليمي يدفعُ ذلك .

هذا ومن اللطائف التي يحسُن إيرادُها هنا أن الصلاح الصَّفَدي أنشد في شرحه للامية العجم ، وهو يمثل للشِّعر الذي أتى على أسلوب الفقهاء هذه الأبيات لأبي نواس :

فاخَرَتْ كلَّ شرابٍ فسمَتْ رتبةً ليس يُضاهيها شراب
لا نُماريك على تحريمهـــا انْ نقُلْ ماحُرّمتْ طال الخطاب
حُرّمت، ماحرّمتْ، بل حرمتْ جاء في التنزيل نهيٌ واجتناب
قال هل أنتم ؟ فقلنا نحن لا ! وسكتْنا كلُّنا واسْتَدَّ باب

ثم عقب عليها بقوله : « كان يقال : أبو نواس فقيه غلب عليــه الشعر ، والشافعي شاعر غلب عليه الفقه . . والشافعي والخليل بن أحمد وأبو بكر ابن دُريد معدودون من العلماء الشعراء » .

ولا أدري مدى صحة هذه المقالة بالنسبة إلى فقه أبي نواس بالخصوص ، ولكني أفهمُ منها الإعجاب ببراعة أبي نواس في استخدامه لجَدل الفقهاء في أبياته الرائعة ، وأعجبُ بحسن رأي الصفدي ، وهو الأديب الضليع في عدم مجافاة الفقه للأدب ، وأن الفقهاء والعلماء يكونون شعراء بلغاء ، ولا يُخِلّ

فقههم وعلمهم بقيمة أدبهم . . ويحملني هذا أيضاً على إيراد تعليقه على أبيات للعلامة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد مما مثّل به في هذا الصدد وهي :

كم ليلةٍ فيك وصلْنا السُّرى لا نعرف الغمْضَ ولا نستريحْ
واختلف الأصحابُ ماذا الذي يُزيل من شكواهم أو يُريحْ
فقيل لي تَعريسُهم ساعةً وقلتُ بل ذكرُك وهو الصحيحْ

وهذا نص التعليق : « قلت انظر إلى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه ، وكونه استعمل طريق الفقهاء في البحث في ذكر اختلاف الأصحاب ، وانه قيل كذا وقيل كذا ، وقلت كذا وهو الصحيح ، وكأنه إمامُ الحرَميْن ، وقد ألقى درساً في مسألة فيها خلاف بين الأصحاب ، وقد رجّح ما رآه هو عنده من الدليل ، وما رأيتُ أحسن من هذا بينا هو يصف أحوالهم في السرى ومَشاقّهم في التعب وتشاورهم فيما بينهم ، وما اشار به كل منهم في إزالة ما حصل لهم من العَناء ، إذا به قد برز من بينهم برأي أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكأنه في حلقة الدرس وقد شرع في مسألة خلافية . ويحرُم هذا النظم على غير الشيخ تقي الدين .

فلم تكُ تصلُحُ إلاّ له ولم يكُ يصلح إلاّ لها

وما أحقه لو أنشد قول الأرجاني :

أنا أشعرُ الفقهاء غيرَ مُدافعٍ في العصر ، لا بل أفقه الشعراء ...».

وبعدَ هذا وذاك يُجمِلُ الصفدي الكلام في الموضوع فيقول : « وكل من عاني النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به إلى ذلك الفن ، وغلبت عليه قواعده واستعملها في مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه ، وظهر على ما يَرومُه اصطلاحُ ذلك الفن وأحكامُه ، ألا ترى إلى أبي الفتح البستي ومقاطيعه المشهورة في الأدب والحكم ، كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين » .

وهذا هو الرأي والإنصاف في المسألة . لا ما نقل ابن خلدون عن الشاعر أبي العباس الجراوي الذي بَنَيْنا عليه هذا البحث ، وفتح الباب

لاطمن على أدب الفقهاء ، حتى أصبحت كلمة نظم فقيه تُقال لكل شعر نازل ، وتُنْوِسِيَ كلٌّ ما للفقهاء من أدب رفيع وإنتاج شعري عال ، أوردنا بعضه في الفصول المتقدمة ، وما بقي منه أكثر وأطيب . وقد سُررنا بما لقينا في كلام الأديب الصفدي من موافقة لرأينا وتأييد له ، ولذلك ختمنا به كلمتنا هذه والله الموفق .

عبد الله كنون

تصويبات لأخطاء

وقعت في المقالين اللذين يحملان رقمي ١٣ و ١٤ من هذا البحث

في الجزء الأول من المجلد الثالث والأربعين :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٩	٤	الرعاة	الدعاة
	١٧	آية	آلة
	٢٢	ومع	مع
٤٣	٧	صاحبها	صاحبها
	١١	ان بيتي	إلا أن بيتي
	١٦	عدو	عدوه
٤٦	٦	انصفا	اتّصفا
٥٠	٢٢	ويقدر	ويقدره

في الجزء الثاني من المجلد الثالث والأربعين :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٦٦	٤	بقهر	يقهر
	١٩	سمال	سماه
٢٧٠	١٢	وللشعر	للشعر (بحذف الواو ، وذلك هو الخرم الذي أشير له في المقال)

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)

حققه وضبطه وعلّق حواشيه الشيخ الفاضل محمد محي الدين عبد الحميد ، وطبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥١ . وقد كنت نشرت ملاحظاتي على طبعة الجزء الأول ووعدت بإتباعها ملاحظاتي على هذا الجزء ومن الله تعالى التسديد للقول السديد والتيسير لكل أمر عسير فأقول :

١ — ورد في الصفحة الرابعة من هذا الجزء في ترجمة الشيخ الزاهد الكبير عبد القادر الجيلي أو الجيلاني ماهـذا نصه : « وسمع من أبي بكر المظفر أحمد بن سوس ومن غيره » . والذي علمناه وحفظناه أنه « ابن سوسن » بالنون ، قال أبو الفرج ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٠٣ : « أحمد ابن المظفر بن الحسن بن عبد الله بن سوسن أبو بكر التمّـار ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، روى عنه جماعة وحدثنا عنه أشياخنا ، قال شجاع ابن فارس الذهلي : كان ضعيفاً جداً ... وتوفي في صفر هذه السنة ودفن بباب حرب »[1] .

ولضعفه تناوله لسان الميزان فقد جاء فيه : قال ابن السمعاني : كان يلحق اسمه في الأجزاء »[2] . وله ترجمة في الشذرات « ٤ : ٧ » وغير أولئك من كتب رجال الحديث .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم « ٩ : ١٦٤ » .

(٢) لسان الميزان « ١ : ٣١١ » .

٢ — ووردت في الصفحة ١٥ ترجمة : أبي القاسم عبد اللطيف بن محمد ابن عبد اللطيف بن ثابت الخجندي الملقب بصدر الدين » ولم يعرف الشيخ الفاضل لترجمته مصدراً آخر ، مع أن عز الدين ابن الأثير ترجم له في وفيات سنة (٥٨٠) من كامله في التاريخ وذكره فيه غير مرة ، وأن جمال الدين ابن الدبيثي ترجمه في تاريخه [(١)] ، وله ترجمة في تاريخ الصفدي للأشخاص[(٢)] وفي طبقات السبكي الكبرى « ٤ : ٢٦١ » من الطبقة الأولى . وهذا مثال لمن يستطيع العثور على مراجع أخرى لتراجمهم ؛ وسكت عن ذلك ولم يصرّح به ، والمثل كثيرة فلن نذكرها إلا إذا صرّح بعدم الاستطاعة ، خشية الإطالة والإملال .

٣ — وجاءت في الصفحة ١٦ ترجمة العلامة موفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادي وجاء فيها «سمع هو وأبوه من ابن أبي البطي » قلت : هو « ابن البَطّي » . قال شمس الدين الذهبي في البطي من المشتبه - ص ٤٩ - : « قرية بط على طريق دقوقا فأبو الفتح محمد بن عبد الباقي نسيب إنسان من القرية فعُرف به » أي ابن البطّي ، وقال أبو الفرج ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٦٤ : « محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان المعروف بابن البطي . ولد سنة سبع وسبعين [وأربعمائة] وسمع مالك بن علي البانياسي ، وحمد بن أحمد الحداد وابن البطر[(٣)] والتميمي وغيرهم وكان سماعه صحيحاً . سمعنا منه الكثير . كان يحب أهل الخير ويشتهي أن يُقرأ عليه

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٦٠ » .
(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣ .
(٣) في المنتظم الذي هو مرجع هذا النقل ١٠ : ٢٢٩ « وابن النظر » وهو تصحيف ابن البطر المحدث المشهور عند العارفين .

الحديث . وتوفي يوم الخميس سابع عشري[١] جمادى الأولى من هذه السنة ودفن بمقبرة باب أبرز »[٢] . وله ترجمة في كتاب الشذرات « ٤ : ٢١٣ » وغيره . والمراد إثبات أنه ابن البطيّ لاغير .

٤ — وجاء في ترجمة أبي الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز القرشي العبدري المعروف بابن النطروني الاسكندري الأديب الشاعر الصوفي المشهور عند المختصين بالتاريخ والأدب : « ثم أنفذ رسولاً من الديوان إلى يحيى بن عافية الميورقي » . قلت : « ابن غانية » بالغين المعجمة ، قال عبد الواحد بن علي المراكشي : « وفي هذه السنة — أعني سنة ٥٨٠ خرج الميرقيون بنو ابن غانية من جزيرة ميرقة قاصدين مدينة بجاية فملكوها وأخرجوا من بها من الموحدين وذلك لست خلون من شعبان من السنة المذكورة ... وتلخيص خبر هؤلاء القوم — أعني بني ابن غانية — أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وجّه إلى الأندلس برجلين أحدهما يحيى والآخر محمد ابنا علي من قبيلة مسوفة يعرفان بابني غانية وهي أمهما[٣] ... » .

وذكر ابن الأثير في الكامل « بني غانية » مرّات فذكر في حوادث سنة ٥٥٢ انقراض دولة الملثمين وقال : « ولم يبق لهم إلا جزيرة ميورقة مع حمو بن غانية » ثم قال في حوادث سنة ٥٩١ : « في هذه في شعبان خرج علي بن إسحاق المعروف بابن غانية وهو من أعيان الملثّمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة إلى بجاية فملكها ... » . ثم قال في حوادث سنة ٥٨١ : « قد ذكرنا سنة ثمانين ملك علي بن اسحاق

(١) السابع والعشرين من جمادى الأولى وهو من اصطلاح المؤرخين العراقيين المتأخرين ولكن ناشر المنتظم أبقى على النون .

(٢) المنتظم « ١٠ : ٢٢٩ » .

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب « ص ١٧٦ » طبعة مطبعة السعادة .

الملثّم بجاية » . ثم ترجم في وفيات سنة ٦٠٣ للشيخ عبد المنعم النطروني هذا وقال فيما قال : « وكان قد مضى إلى المايورقي في رسالة إلى إفريقية » .

وقال تاج الدين ابن الساعي المؤرخ البغدادي في ترجمة عبد المنعم هذا : « وفي سنة ست وتسعين ورد إلى الديوان العزيز رسول من يحيى ابن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة القاهرة العباسية ـ أدامها الله تعالى ـ ببلاد المغرب[1]... » . وقال ابن الدبيثي قبله في ترجمـــة عبد المنعم المقدم ذكره : « وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ورد إلى الديوان العزيز ـ أجلّه الله ـ رسول من يحيى بن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة القاهرة العباسية ـ ثبتها الله ـ بالمغرب[2]... » . وقال الذهبي في ترجمة أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي ملك المغرب والأندلس : « وفي أول ملكه وذلك في سنة ثمانين (وخمسمائة) خرج عليه صاحب ميورقة الملك المعروف بابن غانية وهو علي بن إسحاق ابن محمد بن علي ابن غانية[3]... » .

فالمؤرخون المشهورون مجمعون مُصفقون على أنه « ابن غانية » ، وآخر من أذكر منهم محب الدين محمد بن النجار مؤرخ بغداد ، قال في ترجمة الشيخ النطروني المذكور آنفاً : « ثم نفذ رسولاً من الديوان إلى يحيى ابن غانية الميورقي المقيم ببلاد المغرب الداعي إلى الدولة العباسية ...[4] » . فهذا واضح .

٥ ـ وجاء في الصفحة ٣٨ في ترجمة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المحدث الكبير والمؤلف الشهير « وطال عمره وتفرد بأشياء وحمل

---

(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٢١١ » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ و ١٨٦ » .

(٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب المذكورة ١٥٨٢ و ٨٤ » .

(٤) التاريخ المجدّد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، و ٢٦ من النسخة المصورة منها ببغداد » .

على الظمائن عشرين مجلداً من تصانيفه في الحديث واللغة » . ولم يسائل الشيخ الفاضل محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشية نفسَه ما معنى (حمل على الظعائن عشرين مجلداً من تصانيفه) ؟ وهل كانت لشرف الدين هذه الكتب العشرون ؟ والصحيح في هذا التصحيف هو : « وحمل عن الصغاني ... » وهو الحسن الصغاني اللغوي المحدث المشهور وكان من أكابر شيوخ الشَرَف الدمياطي المذكور ، وقال الشيخ الفقيه الأديب المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن جماعة الكناني في ترجمته : « وقال الحافظ الدمياطيّ إنه أجاز له وإنه كان صالحاً صدوقاً صموتاً عن فضول الكلام إماماً في اللغة والفقه والحديث ...[1] » فالتصحيف غريب جداً .

٦ — وجاء في الصفحة ٤٧ قول شهاب الدين محمود الحلبي المنشيء الشاعر المشهور :

لتبك المعالي والنُّهى الشرف الأعلى وتبكي الورى الاحسان والحلم والفضلا

هكذا ورد الفعل الثاني مع أنه معطوف على الفعل الأول المجـزوم فالصواب « وتبك الورى ... » أو « ويبكِ » .

٧ — وورد في الصفحة ٥٤ قول أبي الفضل عبيد الله الميكالي :

شفاء نفسي منك تخميشة[2] نغرس في خـدّيك أظفارا

ولم نسمع أن المغرم يُخمّش خدي حبيبته على المبالغة ليكثر فيها الخموش والخدوش ، والصواب « تجميشة » بالجيم قال الزمخشري في أساس البلاغة : « ظلّ يجمشها جمشاً ويجمّشها تجميشاً وهو أن يقرصها ويغازلها من الجمش وهو الحلب بأطراف الأصابع ورجل جمّاش : غزِل وامرأة جمّاشة » .

---

(١) تذكرة الأدباء والشعراء « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٤٦ و ٥٦ » .

(٢) ليست التخميشة من غلط الطبع الآلي بل هي من غلط الطبع اللغوي فقد وردت في بيت آخر في الصفحة ٣٦١ وهو :

وإن خمشت أنهارها نسمة الصّبا تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق

٨ — وورد في الصفحة ٧٥ في ترجمة « علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني الخراساني » صاحب الديوان « ثم فوض أمر العراق إلى سعد الملك العجمي (؟) ومجد الدين بن الأثير » . واكتفى الشيخ الفاضل بوضع علامة الاستفهام بعد سعد الملك العجمي ، مع أنه « مجد الملك » وقد ورد في الصفحة نفسها قبل أسطر ، ولكن محقق الكتاب وقف عند الشك مع أن الرجل كان من المشهورين المترجم لهم في عدّة تواريخ ، قال كمال الدين ابن الفوطيّ الحنبلي المؤرخ : « مجد الملك أبو المكارم هبة الله ابن صفي الملك محمد بن هبة الله اليزدي مشرف الممالك ، كان قد قدم بغداد في أيام صدر الدين (١) القضوي القزويني ، فلما قتل صدر الدين أقام ببلاد العجم ، وفي سنة ثمانين وستمائة تكلم في الصاحب علاء الدين ورفع عليه أموالاً كثيرة قد احتجنها من العراق وساعده على ذلك جماعة وفوّض إليه السلطان أباقا بن هولاكو إشراف الممالك بأسرها وناقش الصاحب في الحساب واستولى على خزائنه وجرت له أقاصيص ذكرتها في التاريخ ، وخرج أباقا من بغداد إلى همذان وتوجه [مجد الملك] في خدمته فمات السلطان بهمذان في العشرين من ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة وولي السلطان تكوتار المعروف بالسلطان محمد سنة إحدى وثمانين [وستمائة] وانعكس حال مجد الملك وظفر به الصاحب علاء الدين وأخوه الصاحب شمس الدين وحوسب وقتله شرف الدين هارون يوم الأحد سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين [وستمائة] بيوشهر وأنفذ رأسه إلى بغداد فعلّق على باب النوبيّ بعد أن طافوا به وأخذوا بسببه الدراهم والثياب من العمال والنواب (٢) » .

وقال مؤلف كتاب الحوادث في حوادث سنة ٦٧٩ : « وفيها اتصال مجد الملك اليزدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القزويني ببغداد بعد

(١) قلت : اقّبه هو نفسه في كتابه المذكور « عماد الدين » يراجع الجزء الرابع « القسم الأول ص ٨٠١ » .

(٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ٥ الترجمة ٥٦٤ من باب الميم ، طبعة الهند » .

فتحها بمودية السلطان أباقا وتحدث في الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين فرتّبه مشرفاً في جميع الممالك ، فعيّن بها نواباً وكانت علامته مشرف الممالك ، وكان ما نذكره [1] » . ثم قال في حوادث سنة (٦٨٠) ما هذا نصه : « وقبض السلطان [أباقا بن هولاكو] على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه ، وسلّم إلى الصاحب مجد الملك فاستوفي منه أموالاً كثيرة وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة ودُوشخ [2] وألقي تحت دار المسنّاة [3] التي بأعلى بغداد على شاطىء دجلة مكتوفاً عليه قميص واحد وكان البرد شديداً جدًّا وضُرب خواصه وخدمه وأتباعه واستوفيت الأموال منهم » . ثم نقل تغير الأحوال وقتل مجد الملك وقال : « وسلم مجد الملك إلى الصاحب علاء الدين فقتله قتلة شنيعة ، تولى ذلك شرف الدين هارون ابن أخيه ، وحملت أطرافه إلى البلاد وسُلخ رأسه وحُمل إلى بغداد وشوى الخربندية لحمه وأكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه » . إلى أن قال : « وطيف برأس مجد الملك في بغداد وشوارعها ثم دخلوا دار مجد الملك ونهبوا ما كان بها » [4] . فهذا موجز سيرة مجد الملك العجمي اليزدي وهذه صورة مصغرة من وحشية حكام عصره .

٩ - ووردت في الصفحة ٧٦ ترجمة « عطاف بن محمد بن علي أبي سعيد البالسي (كذا) المعروف بالمؤيد الشاعر » وجاء فيها « ولد ببالس قرية قرب الحديثة . . . » . فعلّق محقق الكتاب على اسمه وعلى بالس ما هذه صورته :

---

(١) الكتاب المسمى الحوادث الجامعة وهماً « ص ٤١٢ » .

(٢) أي عذب بآلة تعرف بالفارسية بالدوشاخة أي ذات الشعبتين وهي من الآلات الحاصرة العاصرة حتى الموت .

(٣) سمّتها مديرية الآثار القديمة العامة ببغداد « القصر العباسي » وهي من أبنية الناصر لدين الله العباسي .

(٤) كتاب الحوادث « ص ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢١ » .

« لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال » . « بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة » . قلت : إن الحديثة ليست من مدن الشام حتى تكون بلدته أو قريته قريبة منها ، والصحيح أن الاسم تصحف على الشيخ وأنه « آلس » أو آلوسة أو ألوس قال ياقوت في معجم البلدان : « آلوسة بضمّ اللام وسكون الواو والسين المهملة : بلد على الفرات قرب عانة وقيل فيه ألوس إلا أن أبا علي حكم بتعريبه وجاء به بالهمزة بعدها ألف وقال : هي فاعولة ... وقد ذكرناه في ألوس غير ممدود » . ثم قال في ألوس من المعجم المذكور : « اسم رجل سميت به بلدة على الفرات . قال أبو سعد : ألوس بلدة بساحل بحر الشام قرب طرسوس وهو سهو منه والصحيح أنها على الفرات قرب عانات والحديثة وقد ذكرت قصّتها في عانات ، وإليها ينسب المؤيد الألوسي الشاعر القائل ... » . وذكر له شعراً وترجمة وهو الذي قال فيه محقق الكتاب : « لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب التاريخ » .

وقال ابن الأثير في اللباب مختصر الأنساب بعد إيراده قول السمعاني : « قلت : هكذا ذكر السمعاني أن ألوس عند طرسوس وظن أن ألوس من نواحي طرسوس وإنما اشتبه عليه حيث رأى محمد بن حصن ألوسي طرسوسي (كذا) فظن أن ألوس من نواحي طرسوس (١) ، والذي أعرفه أن ألوس ناحية عند حديثة الفرات ، مشهورة منها المؤيد الألوسي الشاعر المشهور ... » . قال مصطفى جواد : وما تزال آلوس بلدة عامرة ومنها العلامة أبو الثناء محمود الآلوسي الفقيه اللغوي القاضي المفسّر المشهور وجميع الألوسيين المعروفين اليوم بهذه النسبة .

(١) قلت : لا بل الصحيح في سبب وهمه أنها التبست عليه بآليس بكسر اللام كما في معجم البلدان وهو اسم نهر بين البحر وبين طرسوس فظنه مدينة منسوباً إليها .

وترجم للمؤيد الآلوسي ياقوت الحموي قال : « المؤيد بن عطاف بن محمد ابن علي بن محمد أبو سعيد الآلوسي الشاعر الأديب . ولد بآلوس سنة ٤٩٤ ونشأ بدجيل واتصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمد السلجوقي (١) ، فملا ذكره وتقدم وأثرى ودخل بغداد في أيام المسترشد فصار جاويشاً ولما صارت الخلافة إلى المقتفي تكلم فيه وفي أصحابه بما لا يليق فقبض عليه وسجن ولبث في السجن عشر سنين وأخرج منه في خلافة المستنجد ومن شعره » وذكر له شعراً ثم قال : « توفي أبو سعيد بالموصل يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٥٧ عن ثلاث وستين سنة (٢) » .

وترجم له ابن خلكان في الوفيات نقلاً من تاريخ بغداد لابن النجار والخريدة لعماد الدين الكاتب الاصفهاني ، قال ابن خلكان : « أبو سعيد المؤيد ابن محمد بن علي بن محمد الآلوسي الشاعر المشهور ، كان من أعيان شعراء عصره ، كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة من رؤساء العراق ، وله ديوان شعر ، وكان منقطعاً إلى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة . وذكره محب الدين ابن النجار في تاريخ بغداد فقال : هو عطاف ابن محمد بن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد ... وذكره العماد الكاتب في الخريدة (٣) ... » وفصل ترجمته وذكر من شعره .

قلت : قال ابن النجار : « عطاف بن محمد بن علي بن أحمد الآلسي أبو سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد . ولد بآلس : قرية بقرب الحديثة ونشأ

(١) هكذا ورد في مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء المطبوع باسم الجزء السابع « ص ١٩٩ » والصواب « بخدمة الملك مسعود بن محمد بن ملكشاه » .

(٢) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ طبعة مرغوليوث » .

(٣) وفيات الأعيان « ج ٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ طبعة إيران وهي أصح الطبعات إلى الآن » .

بدجيل وترحل ودخل بغداد وصار بها جاووشاً في أيام الإمام المسترشد بالله وقد هجاه ابن الفضل الشاعر[٣] ... » . وذكر باقي سيرته وشعراً من أشعاره .

وترجم جمال الدين ابن الدبيثي لابنه « محمد بن المؤيد الألوسي » وقال : « كان والده المؤيد شاعراً مذكوراً يأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله[٤] . . . » يعني أنه ترجمه باسم المؤيد ، ولمّا نعثر على الجزء الذي فيه ترجمته من تاريخ ابن الدبيثي ، وقد حذف الذهبي ترجمته في اختصاره لهذا التاريخ الذي سماه « المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي » . وذكره الدميري في حياة الحيوان في كلامــه على « العندليب » وقال : « وكانت وفاته سنــة سبع وخمسين وخمسمائة[٥] » . وترجم له ابن العماد في وفيات سنة ٥٥٨ قال : « وفيها المؤيد [بن] محمد الألوسي (بفتح الهمزة وضم اللام ومهملة) نسبة إلى ألوس ناحية عند حديثة الفرات[٦] . . . » .

فهذه ستة مراجع تاريخية لترجمة المؤيد الألوسي الشاعر .

١٠ — وورد في الصفحة ٨٠ « علوي بن عبد الله بن عبيد الشاعر الحلبي المعروف بالباز الأشهب ، كان أديباً متفنناً مليح الإيراد في الشعر . . . » . ولم يكن علوي هذا حلبياً بل كان حِليّاً ولو كان حلبياً لتوفّرت مراجع ترجمته على الباحث ، قال محب الدين محمد ابن النجار : « علوي بن عبد الله ابن عبيد الشاعر المعروف بالباز الأشهب ، من أهل الحلّة السيفيّة ، كان شاعراً محسناً من أرباب المعاني ، متفنناً في علم الأدب ، مليح الإيراد للشعر[١]

(١) التاريخ المجدّد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، « ١٣٨ ، ١٣٩ » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ١٤٦ » .

(٣) حياة الحيوان « ص ٣٧٧ » طبعة إيران .

(٤) شذرات الذهب ٤ : ١٨٥ » .

(٥) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية ، الورقة ١٤٤ » .

وذكر وفاته وقصيدة من شعره . فهو إذن حليّ لا حلبي لأنه منسوب إلى حلة سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي الأسدي التي أنشأها في أواخر القرن الخامس للهجرة على الفرات قرب بابل ، ولا تزال عامرة واسعة الأرجاء من كبريات مدن العراق ومركز لواء في نظام الادارة العراقية .

١١ — وجاء من شعره أي شعر الباز الأشهب في الصفحة نفسها :

وهل عذبات الرّند نبّهها الصّبا لذكر الصّبا قدماً فتذكر نُوّما

فما معنى « فتذكر نُوّماً » ، وكيف تذكر النُوّم هذه العذبات ؟ هذا تصحيف والصواب « فقد كُنّ نُوّما » ففيه تعليل للاستفهام ، أخذه من قول ابن المعلم الشاعر الواسطي الرقيق :

تنبهي يا عـــذبات الرّندِ كم ذا الكرى هبّ نسيمُ نجدِ ؟!

١٢ — وجاءت في الصفحة ٨٣ ترجمة « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق ابن عبد المجيد بن وفاء المعروف بابن الثُردة الواسطي البغدادي المنشأ الواعظ » فقال الشيخ محقق الكتاب : « لم أعثر له فيما بين يدي من كتب الرجال على ترجمة » . قلت : إن الرجل المترجم له كان من أعيان المائة الثامنة للهجرة « فقد ترجم له ابن حجـر في الدرر قال : « علي بن إبراهيم بن علي بن يعقوب بن عبد المجيـد بن وفاء علاء الدين الواسطي البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن الفردة (١) . . . » وذكر ترجمته نقلاً من تاريخ الصلاح الصفدي ، وقال الأستاذ فريتس كرنكو المستشرق الألماني أحد المشرفين على تصحيح الكتاب وضبطه والتعليق عليه : « سماه ابن شاكر الكتبي علي بن إبراهيم ابن علي بن معتوق المعروف بابن الثردة بالثاء المثلثة وكان يعرفه وسأله عن مولده ولعل هذا أصح مما نقل ابن حجر » . قلت : ومن الظلم الأدبي نسبة الوارد في الدرر إلى المؤلف ابن حجر وقد قال بعض القدماء : إذا نسخ

(١) الدرر الكامنة « ٣ : ٨ » .

الكتاب مرتين ولم يقابل بين النسختين فقد تحوّل إلى الفارسية » . أو ما في معناه ، فابن حجر قد صرّح بالنقل من كتاب الصفدي والصفدي قد صرّح بأنه بالثاء المثلثة ، قال : « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد ابن وفاء علاء الدين أبو الحسن الواسطي الأصل البغـــدادي المنشأ الواعظ المعروف بابن الثردة (بالثاء المثلثة والراء والدال المهملة) قدم دمشق مرات[1] . . » وبسط ترجمته وذكر تغير عقله .

وقال ابن قاضي شهبة في وفيات سنة (٧٥٠) مترجماً له : « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء الواعظ علاء الدين أبو الحسن الواسطي البغدادي ابن الثردة . ولد في شعبان سنة سبع وتسعين [وستمائة] . سمع ببغداد من ابن الدواليبي والتقي الواسطي وبدمشق من جماعة وتعانى الوعظ والأدب . ذكره الذهبي في معجمه وقال ابن رافع : وكتب الطباق ونظم الشعر الجيد ووعظه بجامع دمشق ، كتبتُ عنه توفي في ربيع الآخر في المارستان الصغير وقال غيره[2] ... » .

وقال علي بن محمد الحلبي المعروف بابن خطيب الناصرية : « علي بن إبراهيم ابن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء البجلي أبو الحسن البغدادي الواعظ الملقب زين الدين[3] المعروف بابن الثردة ، قدم دمشق ولعله اجتاز بحلب أو عملها[4] ... » . وجاء في المشتبه للذهبي – ص ٣٢ – « وبمثلثة الواعظ علي بن ثُردة الواسطي سمع مني ووعظ بدمشق » . فهذه خمسة مراجع تاريخية للرجل الذي لم يعثر له الشيخ على ترجمة .

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٥٩ الورقة ١٢ » .
(٢) ذيل تاريخ الإسلام « نسخة الدار المذكورة ١٥٩٨ الورقة ١١٥ » .
(٣) تقدم أن لقبه علاء الدين .
(٤) الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب « نسخة الدار المذكورة ٢١٣٩ الورقة ١٩ » .

١٣ — وورد في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين الحريري الفقير «ص ٨٨» ذكرُ الأمير قرواش بن المقلّد بن المسيب العقيلي». وله في هذا الجزء ترجمة «ص ٢٦٤» إلا أن الشيخ محقق الكتاب علّق على اسمه حاشية هذا نصّها «توفي قرواش هذا سنة ٣٩١ وكان صاحب الموصل». وهذا خطأ مبين ارتكبه الشيخ من غير باعث بعثه عليه، فقد جاء في ترجمته في الصفحة «٢٦٥» من هذا الجزء: «وقبض عليه بركة ابن أخيه وحبسه وتلقب زعيم الدولة فلم تطل دولته، فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدر (كذا) ابن مقلّد ابن أخيه، فأول ما ملك أخرج عمّه قرواشاً وذبحه صبراً وقيل بل مات في سجنه سنة أربع وأربعين وأربعمائة».

١٤ — وجاء في ترجمــــة عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي قول الشاعر «ص ١٣٢»:

وما بيت له في كل عضو عيون ليس تنكرها العقول
إذا بسطوه تلقــاه قصيراً وإن قبضوه تبصره طويل»

قال عفيف الدين: «فقلت: هذه شبكة صياد طيور. فأخذ يُباهت. فقلت: قد تركت ولا يلزمني أكثر من هذا، فأخذ في المباهتة. فقلت: هذا في جركاه. فاعترف أنه هو». ولم يكلف الشيخ نفسه السؤال عن معنى الجركاه، ما هو؟ فلو كان «چار طاق» لكان في الفارسيّة قريباً من الشيء الملغز به، ولكنه تصحيف «خركاه» بالخاء المعجمة وهو نوع من القباب السيّارة المصنوعة من الخشب المبطن باللبد عند الفرس والترك والتركمان، قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٦٩ «وتوفي في هذه السنة محمود بن زنكي فتجدّد بعد موته اختلاف بحلب بين السنة والشيعة فقتل من الطائفتين خلق ونُهب ظاهر البلد، فذهب خمسة آلاف خركاه وبيت من التركمان[1]».

(١) المنتظم «١٠: ٢٤٧».

وأحسب الكلمة فارسية مركبة من كلمتين « خر » وهو الحمار ، و « كاه » وهو المقام . وقد ذكرها دوزي في مستدرك المعجمات العربية إلا أنه لم يذكر معناها اللغوي . وفي كتب التاريخ والأدب مئات شواهد عليها .

١٥ — وجاء في الصفحة ١٣٤ في ترجمة بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي المنشىء المؤلف المشهور « له شعر وترسل وكان رئيساً . كتب لمتولي إربل من صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء » . فعلق الشيخ على « صلايا » ما هذا نصه « كذا في ب ث ولعله موصلايا » . ولم أدر سبب هذا الترجي في التعليق غير الموفق ؟ وإلى أي شيء استند وعلى أيّ اعتمد ؟ فابن شاكر الكتبي يترسم خطى صلاح الدين الصفدي ، وفي الوافي بالوفيات « كان رئيساً ، كتب لمتولي إربل ابن صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء [1] » . فهو إذن « ابن صلايا » لا « موصلايا » فذاك رجل آخر ، وليس عصر البهاء الاربلي عصر ابن موصلايا ، ولا كان ابن موصلايا متولياً لاربل المعروفة اليوم بالعراق بإربيل وهي أقدم مدينة قديمة مسكونة حتى اليوم ومركز لواء من ألوية العراق ، وخلاصة القول إن الشيخ محقق الكتاب لم يعرف أن « ابن صلايا » متولي إربل الشهيد من كبار السادة العلويين ، قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٣٥ على عهد الخليفة المستنصر بالله العباسي : وتُقدم إلى تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي بالتوجه إلى إربل وتجديد سورها وعمارة ما خرب من دورها ، ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها ، وعُيّن على الأمير أيدمر الأشقر الناصري زعيماً بها » وقال في حوادث سنة ٦٣٨ في الصفحتين ١٤١ ، ١٤٢ : « وفيها عزل الأمير مكلبة من إربل عن إمارتها لضعف رأيه وسوء تصرُّفاته ورتب عوضه آقسنقر

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق أي مجمع اللغة العربية الحالي ، النسخة المصورة ج ٢١ و ١٣٣ » .

الناصري ، وكان الصدر بها تاج الدين محمد بن نصر ابن الصلايا العلوي المدائني » . ثم ذكر في الصفحة ٢٦٠ من حوادث سنة (٦٥٠) غارات المغول على الجزيرة وبلاد الأكراد وقال : « وكتب ابن الصلايا والي إربل إلى بغداد بذلك فخاف أهلها خوفاً شديداً » . ثم قال في حوادث سنة ٦٥٦ : « وتوفي تاج الدين أبو المعالي محمد بن الصلايا العلوي ناظر إربل ، قُتل بجبل سياه كوه ، كان قد قصد حضرة السلطان [هولاكو] بعد وقعة بغداد ليقرّر حاله فأمر بقتله ، وكان كريماً جواداً فاضلاً ، يبالغ في عقوبة من يفسد أو يشرب الخمر[1] » .

وقال ابن واصل الحموي في حوادث سنة ٦٥٦ : « ورحل التتر عن بغداد إلى بلاد أذربيجان ثم رحل إليهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والشريف ابن صلايا وزير صاحب إربل فأكرم بدر الدين ، ورُدّ إلى ولايته وأما الشريف ابن صلايا فقُتل ، فقد ذُكر — والله أعلم — أن بدر الدين لؤلؤاً هو كان السبب في قتله وأنه قال لهولاكو : هذا شريف علوي وربما تطاول أن يكون خليفة ويتابعه خلق عظيم فتقدم[2] بقتله[3] » . وهذا القيل يشبه الأباطيل فان لؤلؤاً كان متشيّعاً يحب علياً وذريته ، وكان تاج الدين من كبار العلويين كما ذكرت آنفاً ، وقال رشيد الدين الهمذاني : « في الوقت الذي عزم هولاكو خان على فتح بغداد عهد إلى أرقيونويان بفتح قلعة إربل وتلك قلعة حصينة شيدت على مرتفع وليس لها نظير في الربع المسكون وعندما شرع في محاصرتها بادر شجعان القلعة بالحرب ، وقد قدم الصاحب

(١) الحوادث المسمى غلطاً بالحوادث الجامعة « ص ١١٠ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ٢٦١ ، ٣٣٧ » .

(٢) أي أمرَ .

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧٠٢ و ٣٨٦ » .

تاج الدين ابن صلاية الأربلي (كذا) فروض الطاعة وقام بخدمات جليلة ولكن أرقيونويان قال له : إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة . فذهب تاج الدين إلى باب القلعة فلم تسمح له حشود الأكراد بالدخول وعاد مضطراً بعد كثير من الضغط والإلحاح ثم قدم إلى أرقيو ، فأرسله بدوره إلى حضرة هولاكو خان وعند محاكمته ثبت جُرْمُه واستُشهد[١] . . . » يعني أن هولاكو السفّاح أمر بقتله صبراً فمضى وقضى شهيداً حميداً ، والفرق بين الخبرين هو أنها في أحدهما ذهب إلى هولاكو مختاراً وفي الآخر مُجبَراً .

وقال قطب الدين اليونيني في حوادث سنة ٦٥٤ : « استهلت هذه السنة والمستولي على إربل وأعمالها وما أضيف اليها الصاحب تاج الدين محمد بن صلايا العلوي من جهة الخليفة » وقال في حوادث سنة ٦٥٦ وعزم التتر على احتلال العراق : « فكان الشريف تاج الدين ابن صلايا نائب الخليفة باربل فسيتر إلى الخليفة من يحذّره من التتر وهو غافل لايجدي فيه التحذير[٢] » . ثم قال مثل ما نقلناه من مفرج الكروب من تحريض بدر الدين لؤلؤ على قتله فأمر هولاكو بقتله . ولتاج الدين ابن الصلايا أخبار أخرى تركناها لأننا أطلنا التعقيب لنعلم الشيخ الفاضل أنه لم يكن ابن موصلايا ولكننا لا نغفل أن نشير إلى ترجمة موجزة بارعة له في الشذرات « ٥ : ٢٨٤ »

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد

(١) جامع التواريخ « قسم هولاكو ج ٢ ص ٢٩٨ ترجمة مصر إلى العربية » .

(٢) ذيل مرآة الزمان « ج ١ ص ٣ ، ٨٧ ، ٩١ طبعة حيدر آباد » .

اليرموك يوم خالد
في تاريخ العروبة

استقبل أهل الشام وفلسطين طلائع جيوش التحرير العربية أحر استقبال ، فهم كانوا ينظرون إلى إخوانهم القادمين إليهم من البادية العربية ، كالمنقذ والمخلص الأوحد من ظلم وجور واضطهاد الروم الغرباء عنهم ، فلقد كانوا خير من يحس بقوة روابط الدم والنسب والقرابة التي تربطهم باخوانهم القادمين بجيوش التحرير العربية ، فمعظم أهل الشام من سلالات وبطون وأفخاذ عربية عريقة في عروبتها ، أو من سلالات ترتبط مع العرب بروابط القرابة البعيدة وباللغة والثقافة ... أما الروم ، فلا تربطهم بأهل البلاد إلا رابطة دينية واهية ، انتصبت سيفاً مصلتاً على رقاب أهل البلاد .. لذلك سارعت الطوائف المسيحية المختلفة باتخاذ مواقف التأييد ومناصرة القوات العربية ، وعمدوا إلى تسهيل حركة الفتح والتحرير ، إلا فئة قليلة ارتبطت مع الروم[1].

وسرعان ما وصلت طلائع الجيوش العربية ، عقب يوم اجنادين وفحل ، إلى تخوم الدولة الرومية نفسها ، بعد أن حررت وهي في طريقها معظم المدن السورية الشمالية ، وطهرتها من فلول الجيوش الرومية المنهزمة . وأحست الدولة الرومية بالخطر المحدق بها والذي يهدف إلى إزاحتها من جوهرة مستعمراتهم بالشرق ، فأخذوا في تسيير الجيوش للقضاء على السلطة العربية الناهضة ، وجيّشوا للعرب من الجيوش المرتزقة ما لا طاقة لهم بها ... وذات

---

(١) مخطوطة كتاب الغزوات ، لابن حبيش ، بمكتبة ليدن ـ صفحة ٦٩ .

صباح ترامت الأنباء بأن جحافل الروم في طريقها إلى شمال سورية . ووجدت القيادة العربية نفسها ولا طاقة لها لتواجه الروم لا سيما وأن القوات العربية كانت موزعة في أنحاء البلاد ، وناقش أمراء الأجناد الشامية خطة اللقاء مع الروم ، وأخيراً استقر الرأي على الانسحاب إلى ضفاف اليرموك « ليكيدوا به عدوهم من المشركين ، وليخرجوا لهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم ..»[١]

وأكدت مجريات أحداث تلك الفترة بأن خطة الحرب عند العرب قد تطورت تطوراً طبيعياً ، بنتيجة الخبرات المكتسبة خلال اللقاءات المتعددة مع الروم ، فوضع أمراء الأجناد العربية تلك الخطة السليمة للقتال باليرموك ، وكان في محل اهتمامهم عدة اعتبارات ، منها ما خبروه عن أحوال البلاد الداخلية ، ومدى مراكز قوى الروم وأسلوبهم في الميدان ، لذلك كانت الخطة العربية لليرموك متجاوبة مع جميع متطلبات فن التحريك الميداني والتعبئة الحربية .

ومما لا شك فيه أن" العرب لم ينسحبوا عن جبن منهم أو خطأ في تقدير قوة الجيش الرومي ، بل تم كل ذلك طبقاً لمتطلبات فن التحريك الميداني ، فلم يكن العرب مجبرين على التلاحم مع الروم على ضفاف اليرموك ، ولا على التخلي عن الأرضين التي حرروها بل هم أنفسهم الذين اختاروا أرض المعركة ، وقد دعاهم إلى ذلك تفهمهم لأهمية فتح جبهة للقتال مع العدو وتبعد عن موارد امداداته ، هذا إلى استدراجهم إلى مناطق أصبح أهلوها أنصاراً للعرب ، وهذا ما سيخلق الاضطراب في خطوطهم الخلفية ، وله الأثر النفسي العميق على العدو .

(١) ابن حبيش : ص ٦٢ .

وعندما استكمل القادة العرب كافة الاستعلامات والاستخبارات عن وضع الجيوش الرومية التي تعسكر متأهبة في الثغور الرومية ، بدأت القيادة العربية في تنفيذ الخطة المتفق عليها ، أي الانسحاب إلى ضفاف اليرموك والتخلي عن المدن الشمالية . ولم يخرج العرب من هذه المناطق خروج الفار المذعر ، بل خرجوا خروج العائد عن قريب ، لذلك أدّوا جميع التزاماتهم تجاه المعاهدين وأهل البلاد ، فردّوا جميع ما تمت جبايته من جزية وخراج ، إذ لم يكن في مقدرة العرب الاستمرار في بسط حمايتهم على أهل البلاد[1].

وتقدّم المصادر العربية التي كشف عنها أخيراً ـ مخطوطة' كتاب الغزوات لابن حبيش ـ صورةً واضحة للتطورات التي طرأت على الخطة الحربية باليرموك ... فلقد ناقش أمراء الأجناد جميع الاحتمالات المتعلقة باللقاء مع الروم ، ومنها الاعتصام بالمدن الشمالية المحصنة مثل حمص ودمشق في انتظار وصول المدد وبقية الأجناد .. غير أن الرأي استقر على اختيار منطقة اليرموك لأنها أنسب موقع استراتيجي للمعركة المنتظرة ، فهي مركز هام للمواصلات وملتقى معظم الطرق الرومانية بالشام ، ومنها يمكن وصول مدد أمير المؤمنين بسلامة ، هذا إلى ضمان وصول جيوش بقية الأجناد العربية من أنحاء البلاد .

وتبرز الخطة العربية مدى ما بلغته عبقرية القائد العربي في اختيار اليوم المناسب للقاء الجدّي الفعال مع العدو ، فبعد أن هدأت ضجة القتال لمدة تقارب الشهر ، كانت تتخللها بعض المناوشات التي تهدف إلى ربط الروم بأرض المعركة ، وحتى تصل كذلك الخلافات بين قواد الجيوش الرومية

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، صفحة ١٤٣ ـ وأبو يوسف : كتاب الخراج . . وبقية كتب التاريخ .

إلى الحد الذي يهدد وحدة صفوف العدو ، أثار العرب القتال في يوم الضباب وكان أنسب الأيام التي شنوا خلالها القتال ، إذ هبت الرياح الجنوبية الحارة المحملة بالرمال والأتربة ، وخلقت بذلك ظروفاً ميدانية وجسمانية لا تتناسب واستعداد جند الروم .

ما قبل اليرموك

بلغ العرب عقب هزيمتهم للروم في أجنادين وفحل ، أقصى سورية الشمالية ، فبدأت الدولة الرومية تحس بأن حركة الفتح العربية لم يكن هدفها هو السلب والإغارة ، بل تهدف إلى حركة تحرير وفتح واستقرار ، لذا سرعان ما أحست بالخطر المحدق بها ، وبخطر سقوط سورية إلى الأبد . فانتهزت الامبراطورية الرومية فرصة انشغال العرب بالتوغل في الأقاليم السورية والفلسطينية وتوزع قواتهم في أنحاء البلاد ، فأخذت تحيش وتعبيء قواتها ضد العرب لازاحتهم من سورية وحتى تتخلص من خطر توغلهم في أرض الروم نفسها ، فحث هرقل الروم على القتال وقال : « يا معشر الروم ان العرب قد ظهروا على سورية ثم لم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم ، وهم لا يرضون بالبلاد والمدائن .. حتى يتخذوا الأمراء وأبناء الملوك عبيداً(١) » .

وواضح من المصادر الرومية بأن الروم كانوا يرمون بانسحابهم من سورية عقب المعارك التي تلت أجنادين ، إلى التأكد من جدّية العزم العربي ، وفي نفس الوقت يهتبلون الفرصة لاستنزاف القوى العربية وذلك بدفعها إلى مسيرة طويلة تتشتت فيها قواتهم في أنحاء البلاد ، وخلال تلك الفترة يتمكن الروم من إعادة تجديد جيوشهم وبدء الحملة على العرب لدفعهم إلى خارج سورية ،

(١) ابن حبيش : ص ٦٥ ، الواقدي : فتوح الشام ص ٦٨ .

واقتناص الأجناد العربية ، الواحد بعد الآخر والقضاء عليهم جميعهم .. غير أنه لم يكن في حسبانهم موقف أهل البلاد من تلك الأحداث الجارية . فلقد وجد أهل الشام أن مصالحهم ومصيرهم يرتبط مع اخوانهم الذين خرجوا من الجزيرة لتحريرهم من ظلم الاستعمار الأجنبي .

وتبين المصادر العربية والسريانية والرومية مدى حب أهل البلاد للعرب ، إلى حد أن تعهد أهل حمص للوقوف مع العرب ضد الروم ، كما حثوا العرب على البقاء لمناهضة جيوش الروم : « فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم ... ولندفعن جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب أو نقهر »[1] وقد شعر أهل البلاد بالحسرة والألم لانسحاب العرب ، وانتظروا عودتهم منصورين لكي يتمتعوا بالحريات التي لم يحصلوا عليها من قبل . وهنالك كثير من المصادر النصرانية تؤيد العرب وشعور أهل البلاد نحوهم – فلقد ذكر أحد الأساقفة النسطوريين عن أحداث سنة ١٥ هـ : بأن العرب (الطائيين) أصبحوا سادتنا ، وهم لم يكبتوا حرياتنا الدينية ، بل على العكس من ذلك ، عملوا على حماية معتقداتنا ، واحترام رجال ديننا وقديسينا ، كما وأنهم كانوا يقدمون الهدايا والمنح لأديارنا وكنائسنا »[2] بينما يصور لنا البطريق السرياني أوتيخوس موقف أهل حمص من الروم ، عندما عاتبهم على وقوفهم مع العرب فقال أهل حمص لهرقل : أنت ماروني (ملكاني) وعدو لمعتقداتنا ...[3] .

---

(١) البلاذري : ص ١٤٣ .

(٢) السمعاني : المكتبة الشرقية ، جزء ٣ ص ٢١٠ .

(٣) أوتيخوس سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع . بيروت ١٩٠٥ ، ج ٢ ص ٥ .

ولقد لعب جهاز الاستخبارات الحربية والأرصاد دوراً هاماً في نجاح الخطة العربية وجميع التحركات الميدانية بالشام . فأولته القيادة العربية عنايتها واهتمامها (١) فلقد أوضحت نتائج الاستخبارات بأن الجيوش العربية لن تستطيع الوقوف ضد الزحف الرومي لأنها مشتتة في أنحاء البلاد ـ لذلك سارع أبو عبيدة بطلب الإمدادات من أمير المؤمنين ، وأنفذ الرسل إلى بقية الأجناد مفضياً إليهم بنتائج التحريات ، طالباً إليهم موافاته بما توصل إليهم من أنباء عن تحركات الجيوش الرومية في مناطقهم ، وأخيراً طلب منهم التوجه اليه للاستعداد لمواجهة العدو . ولم ينس أبو عبيدة النصيحة الغالية التي زودها به الصديق أبو بكر ، وهي أن لايترك ظهره مكشوفاً للعدو ، وبأن يجتمع العرب عند الإحساس بالخطر في مكان واحد لمواجهة العدو ، ويكون قائد العمليات الحربية هو الأمير الذي تقع أرض المعركة في منطقة نفوذه .

وسرعان ما تواترت الرّسل عائدة إلى أبي بكر ومعها بشائر المدد ، فتحركت الجيوش العربية نحو ضفاف اليرموك طبقاً للخطة التي اجتمع عليها رأي أمراء الأجناد .

تضارب آراء المؤرخين في أحداث اليرموك

إلى يومنا هذا لم يستقر الرأي حول موضوعين هامين في موضوع يوم اليرموك ، أي متى وأين وقعت المعركة بين العرب والروم ؟

ومن المفروغ منه بعد أن أكدت المصادر التي كشف عنها حديثاً ، وهي مراجع عربية ورومية وأرمنية ، حقيقة أن اجنادين كانت أول معركة كبرى بالشام وانها تسبق اليرموك ، أن نحاول التدليل على ذلك الآن ، فهناك من

(١) ابن حبيش : صفحات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ـ واقدي : ص ٩٨ .

الروايات لشهود عيان مثل شهادة أبي أمامة الباهلي ، ما تعزز صحة رأي المغفور له العلامة العراقي طه الهاشمي بأسبقية أجنادين[١] . وهذه الروايات تؤكد صحة ما ذهب اليه كل من دي غويه وموللر ونولدكه في أن اليرموك تلت موقعة اجنادين . وهذه الروايات قدمها ابن عساكر وابن حبيش .

والواقع هو أن المصادر العربية والروايات المعاصرة للأحداث لم تقدم نصوصاً صريحة واضحة يمكن استخلاص النتائج منها بسهولة . وقد حاول كل من دي غويه وموللر إزالة هذا اللبس والغموض وكان دي غويه هو المؤرخ المنطقي الوحيد الذي توصل إلى نتائج مرضية مستعيناً بنتائج ما سبقه من مؤرخين ومما يؤسف له أنه بالرغم من صواب منهج بحثه ، قد شكك في أهمية كتاب فتوح الشام للواقدي وجارى غيره من المؤرخين ، ولم يكتف بذلك بل انه هاجم هانبرج على ثقته بالواقدي ، ويتجاهل دي غويه كتاب فتوح الشام ، رغم غناه بالروايات الأصيلة ، وقد أثبتت التجربة بأن كتاب فتوح الشام يمكن الاعتماد عليه كمصدر للروايات الدقيقة ، هذا إذا قمنا بعملية استئصال وبتر الاضافات القصصية التي أضيفت إلى الروايات في عصور متأخرة . وقد أوضحت روايات ابن حبيش نقلاً عن الواقدي ، بأن كتاب فتوح الشام ليس منسوباً إلى الواقدي ، وبأنها روايات أصيلة وبقلم الواقدي نفسه . وسوف توضح مخطوطة كتاب الغزوات لابن حبيش — عندما ترى النور منشورة — الكثير مما غمض على المؤرخين ، وسوف تعيد في نفس الوقت الثقة بكتاب فتوح الشام .

متى وقعت المعركة

أدى تضارب الآراء في تحديد تاريخ اليرموك إلى إثارة مناقشات لا تنتهي بين المؤرخين ، وقادهم ذلك إلى عدم الأخذ والثقة بروايات سيف بن عمر .

(١) طه الهاشمي : معركة اجنادين ، مجلة المجمع العلمي العراقي .

ومما لاشك فيه ، فإن تلك الروايات قد خلفت لنا معظم المشاكل التي لم تحل إلى اليوم في تاريخ فتوح الشام . ومن عقيم الرأي أن نتجاهل تلك الروايات ، ومن الواجب التوفيق بينها وبين بقية الروايات بعد القيام بتحليلها تحليلاً منطقياً ، وقد توصل إلى هذا الرأي الأستاذ جواد علي في دراسته القيمة عن مصادر تاريخ الطبري ، ووضع بذلك الأحكام الراسخة التي يمكن اتباعها عند تناول تاريخ الطبري بالبحث (١) .

ومن البديهي أن نتناول بالبحث الأمر حيث تركه هؤلاء المؤرخون على أن نضيف إليه الجديد من البراهين والروايات التي تؤيد صحة مذهبهم هذا . وقد أجمعت الروايات العربية على أن يوم اليرموك كان في عام ١٥ هـ ، ومنها ما ذكر بأن المعركة كانت في شهر رجب سنة ١٥ هجرية ، وتجمع هذه الروايات على :

١ — روايات مخطوطة ابن حبيش : عن أشياخ سيف بن عمر : « فلزموا (الروم) خندقهم عامة شهرهم ، فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة » (٢) .

عن الواقدي عن ابن مكحول « .. كانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ » (٣) .

٢ — البلاذري : « وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ » (٤) .

٣ — الطبري عن يزيد بن أسيد الغساني : « فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة » (٥) .

---

(١) جواد علي : مصادر تاريخ الطبري — مجلة المجمع العلمي العراقي — في عدة مجلدات .
(٢) ابن حبيش : ص ٨٥ ب .
(٣) فتوح الشام ص ١٣٦ ، وكذا بابن حبيش .
(٤) البلاذري : ص ١٤٢ .
(٥) طبري : ج ٣ — ص ٣٢ .

وعن المدائني « وكانت هذه الوقعة في رجب »[١].

وعن الواقدي عن ابن اسحاق « ان وقعة اليرموك في سنة ١٥ هـ »[٢] وقد ذكر ابن اسحاق بأن هرقل جلا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من انطاكية إلى القسطنطينية ، ولم يكن بعد اليرموك موقعة[٣].

وعن ابن اسحاق : « فالتحموا باليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[٤].

٤ — ابن كثير نقلاً عن الحافظ عن أبي معشر « وكانت في رجب سنة ١٥ هـ »[٥].

وعن ابن الكلبي : « كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ »[٦].

٥ — ابن خلدون : « وكانت موقعة اليرموك في رجب بعد اجنادين »[٧].

٦ — الذهبي : « وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[٨].

٧ — ابن عساكر أورد معظم الروايات المعروفة باسنادها المعروف .

أما المصادر الرومية والأرمنية فهي تتفق إلى حد كبير مع المصادر العربية ، ويكمل كل منها الآخر . ويذكر المؤرخ الرومي ثيوفانس بأن أول قتال تمهيدي مع العرب كان يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو ٦٣٦ — وهذا التاريخ يوافق ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ . وقد ذكرت الروايات العربية الكثير عن هذا اللقاء الذي تم بالقرب من الجابية ـ قبل المعارك الأخيرة بشهر ـ

(١) طبري : ج ٣ ـ ص ٤٦ .

(٢) طبري : ج ٣ ـ ص ٥٩ .

(٣) طبري : ج ٣ ـ ص ٥٩ .

(٤) طبري : ج ٤ ـ ص ١٣٦ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جزء ٧ ص ٤ .

(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ج ١ ، ص ٥٢٨ .

(٧) ابن خلدون : تاريخ ، جزء ٢ ص ٨٥ .

(٨) الحافظ الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ـ الكويت ١٩٦٠ ـ جزء أول ص ١٨ .

أي عندما كانت الجيوش العربية سائرة في طريقها إلى اليرموك . وتستطرد الرواية الرومية فتقول « بأن الصقلار مع باهان قد التقيا مع العرب بعد مغادرة حمص .. وكان الالقاء في الجـابية (الجابثة) في اليوم الثالث من الأسبوع — أي ٢٣ يوليو ٦٣٦ م »[١] .

وبالتوفيق بين تلك الروايات وبين آراء كل من فييل ونولدكة ودي غوية ، يتم التوصل إلى تاريخ المعركة الفاصلة باليرموك أي ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦ م الموافق ١٢ صفر سنة ١٥ هـ ، أي بعد شهر واحد من أول لقاء تم بالجابية .

الطريق الى اليرموك

بدأت الأجناد الشامية عملية انسحابها خلال الشهور الأولى من عام ١٥ هـ ، تاركة المدن الشمالية في طريقهـا إلى دمشق ، ثم ما لبثت أن غادرت دمشق عندما وافتها الأنباء باستعادة الروم لمدينة حمص ، بعد أن أدت الجباية التي جمعتها من أهل دمشق [٢] . وبناء على اقتراح من يزيد بن أبي سفيان ، عسكرت القوات العربية بالجابية في انتظار قدوم عمرو بن العاص من فلسطين وشرحبيل بن حسنة من الأردن [٣] . وعنـد اقتراب طلائع الروم خلت القيادة العربية عن الجابية واتجهت جنوباً إلى ضفاف اليرموك سالكة الطريق الروماني الذي يوصل نوى باذرعات . وعسكرت القوات العربية في شرقي اليرموك جاعلة اذرعات خلف ظهورها ، واقباضهم ونسائهم على التلال الشرقية ،

---

(١) ثيوفانس : تاريخ : طبعه De : Boor ص ٣٣٨ الكتاب الأول فصل ٢ .
(٢) ابن حبيش : ص ٥٥ ، ٦٦ .
(٣) الواقدي : ص ٩٨ .

حيث انتظروا نزول الروم على اليرموك وكذلك بقية الأجناد وكذا مدد أمير المؤمنين (١) .

وفي نفس الوقت ، اقتربت إمدادات أمير المؤمنين من نهر اليرموك ، فلقد خرج من المدينة لواء بقيادة سعيد بن عامر ، حيث التقى هو وفرسانه السبعة آلاف بحامية مدينة عمان بالقرب من حوران ، فشدد عليها القتال ، وقتل نقيتاس حاكم عمان وأباد رجاله البالغ عـــددهم ٥٠٠٠ رجلاً عن بكرة أبيهم (٢) .

ويسبب تحرك القوات العربية في اتجاه الجنوب الشرقي — أي على طريق نوى اذرعات — ظن الروم بأن العرب ينوون « بانسحابهم الانصراف عن أرض الشام ، لذلك أخرجوا خيلاً عظيماً لتأتيهم من ورائهم لتكشفهم » ، وأرسل باهان طلائعه لتدهم ساقة العرب عند جلائها عن الجابية فخرج اليهم خالد بن الوليد على الساقة ، وأفناها عن بكرة أبيهـا — وكان ذلك في جمادى الأخرى (٣) .

وعملت الروايات العربية [عن هذه الحادثة] على إكمال وإيضاح رواية ثيوفانس الغامضة عن التقاء العرب والروم بالجابية . أما رواية الواقدي وابن حبيش عن تحركات الجيش العربي ، فانهـا فسّرت أسباب المناورة الرومية والغرض من تتبع ساقة العرب (٤) .

---

(١) الواقدي : ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) الواقدي ص ١١٠ ـ ابن حبيش ص ٨٥ .

(٣) ابن حبيش ص ٧٠ ، ٧٢ .

(٤) الواقدي ص ١١٠ « وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى يتولوا اليرموك ويكون مدد أمير المؤمنين قريباً منكم » . وفي صفحة ٩٩ ـ ابنـــه إلى ما يلي الرمادة (الرقاد) فيكون بين عسكرنا وعساكر الروم » ... وكذلك « وأمر خالد بن الوليد أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم » .

ومما لاشك فيه ، فلقد اتضح للقيادة العربية ضعف الجابية من الناحية الاستراتيجية ، لوقوعها على ملتقى طرق الإمدادات الرومية الآتية من دمشق وقيسارية وبقية مدن فلسطين ، وهذا مايهدد سلامة خطوط الإمدادات العربية ، ويجعل ساقة وطلائع القوات العربية في موقف خطير . لذلك لم يكن مثيراً للدهشة أن يسلك العرب طريق نوى — اذرعات ، وإلاّ كانت العرب في موقف خطير يهدد بحصارهم وإبادتهم .

وسيطر العرب وهم على التلال الشرقية على جميع الطرق المؤدية إلى اليرموك ، بينما شكلت تلك التلال خطـّاً دفاعياً يحمي مؤخرتهم . وأخذت طلائع الروم في المعسكرة غربي نهر الرقاد كما ارتآه لهم العرب ، أي النزول في موضع ضعيف من الناحية الاستراتيجيــة . وقد عسكرت ساقة الروم في منطقة دير الجبل قرب نهر الرماد بمنطقة جولان ، منتظرين توافد بقية القوات الرومية (١) .

ومن الواضح فإنّ دي غوية سار وراء سراب خادع عندما حاول تفسير الرماده — وهي تحريف للرقاد — والبحث عنهـا بالقرب من فيق ، حيث يوجد واد قاحل ذكره سيتزن . ومما لاشك فيه ، أن عدم تنقيط الحروف في الكتابة العربية المبكرة ، جعل دي غوية يضلّ الطريق وراء براهين واهية ، لذلك تجاهل حقائق طبيعية مثل وجود نهر الرقاد ، الذي يتفق من الناحية الاستراتيجية مع الروايات التي جاءت عن ميدان المعركه ، وهذا كله يتفق وطبيعة فن التجييش والتعبئة ، وطبيعة المنطقة طوبغرافياً (٢) .

(١) واقدي صفحات ٩٩ — ١٠٠ - ١١٠ — ١١٨ .

(٢) دي غوية — فتوح الشام : ص ٦١٨ ، ٦١٩ .

سعيد بن البطريق — جزء ٢ ص ٢٧٣ ، ابن حبيش ص ٦٩ .

وحاول دي غوية استغلال أحداث الواقوصة — وهي إحدى أيام اليرموك الأخيرة — لكي يدلّل على صحة استنتاجه وهي بأن المعركة كانت قرب فيق أي بوادي الرمادة حيث وُقِصَت رؤوس الروم. بينما كانت الواقوصة حدثاً ويوماً من أيام اليرموك مثل يوم الضباب والرزاز والتعوير، وبدأ هذا اليوم بشرقي نهر الرقاد، وانتهى بتعقب الفالة في منطقة جولان.

ورغم تبين عدم صحة أحكام دي غوية، لصراحة النصوص التاريخية، فما زال إلى اليوم من يحاول أن يجعل الرمادة والواقوصة جنوب نهر اليرموك (١).

والنصوص التي قدمتها الروايات العربية والرومية تتفق إلى حد كبير مع الطبيعة الأرضية لميدان المعركة، فلقد شغلت أرض المعركة المنطقة التي يحدها شرقاً وادي العلان، وغرباً نهر الرقاد، (وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولاً (٢).

تشكيل الجيوش المتحاربة

تشكلت القوات الرومية من الفرق النظامية والعديد من الفرق المرتزقة التي تكونت من الأقليات القومية بالامبراطورية. وكان من بينها فرقة يقودها جبلة بن الأيهم الملك العربي المسيحي، هـذا إلى جانب قوات مرتزقة من الأرمن واليونان واللان والروس. والمثير للدهشة أن يحارب روسيون في قوات هرقل، بينما المصادر التاريخية لم تكن قد ذكرتهم بعد كشعب.

وقاد الجيوش ثيودور الصقلاريليه في القيادة القائد الأرمني فاهان (باهان).
ويذكر الواقدي بأن قواد الروم كانوا خمسة قواد: وهم قناطر (بوقيناتير)

(١) عبد الرؤوف عون ـ الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة ١٩٦١ ص٢٢٦ ـ ٢٢٨.
(٢) الواقدي، ص ١٠٠، انظر الخريطة.

ملك الروسية ، وجرجير (جرجيوس) ملك عمورية ودرنجار القسطنطينية وماهان ملك أرمينية وخامسهم قورين ابن أخت هرقل . ويبدو أن قورين هذا هو تيودور الصاقيلار الذي اتفقت عليه جميع المصادر العربية والرومية (١) .

وقد شكلت القوات الرومية — حسب المصادر الوثيقة — ٢٠ كردوساً ضم إليها العرب المستنصرة من غسان ولخم وجذام ، يقودها جبلة بن الأيهم ، حيث كان في مقدمة باهان ، أي أمام قلب الجيش . وكان على الميسرة الدرنجار ، وعلى الميمنة بوقناطر الذي تضم قواته فرقة جرجير (جرجيوس جرجة) . وكانت ميمنة الروم تحتل موقعاً ضعيفاً من الناحية الاستراتيجية إذ كانت محاطة بالأهوية والأغوار ويحدهـا نهر اليرموك العميق ، لذلك دعمت بفرقة قوية من الرماة عسكرت في خنادق ، أما اقباض الروم فقد كانت في دير الجبل (٢) .

وكان تشكيل الجيش العربي على نظام الخمسة فرق ، أي القلب والميمنة والميسرة ، حيث ألحق بها الفرسان على شكل جناح ، وحيث شكلت معها وحدة متناسقة . وكان خالد بن الوليد على الفرسـان وهاشم بن عتبة على المشاة (٣) . وقباث بن الأشيم على المقدمة وعبد الله بن مسعود على الروعة (٤) أما أبو عبيدة فكان على القلب ، غير أنه اضطر إلى تسليم القيادة إلى سعيد بن نفيل عندما أجمع قواد الأجناد على ذلك ، بسبب بعض الاعتبارات النفسية إذ كان بالقلب وحول أبي عبيدة الكثير من أصحاب الرسول وحفظة القرآن الذين يخشى عليهم ضراوة القتال . غير أنه لم يتخل عن القيادة بل تأخر

(١) ابن حبيش ص ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، الواقدي : ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٩ .
(٢) الهامش السابق .
(٣) ابن حبيش : ص ٧٢ ، ٧٨ — الواقدي ص ١٢٥ .
(٤) ابن حبيش ص ٧٩ ، ٨٦ .

إلى مؤخرة القلب وسلّم سعيد اللواء ، وأشرف من هناك مع هذه النخبة الكريمة على سير المعركة [١] .

وقد اختلفت المصادر العربية والرومية في تقدير عدد القوات المتحاربة فمنها ــ العربية ــ ما ذكر بأن عدد الروم كان ٢٠٠ ألف [٢] يضاف إليها العرب المستنصرة والأرمن وهم فرقتان كل منهـا ١٢ ألف محارب [٣] بينما ذكرت بعض المصادر بأن الجيش العربي شكل قوة تبلغ الـ ٢٤ ألف محارب يضاف إليها مدد الخليفة عمر رضي الله عنه وهو ٧٠٠٠ محارب [٤] .

والمصادر الرومية تؤكد بأن القوات المتحـاربة الرومية تبلغ ٣٧ ألف محارب ، وتتفق هذه الرواية مع ابن حبيش نقلاً عن الواقدي في أن الروم قد صفوا ٢٠ كردوساً وبجوارها قوات العرب المستنصرة والأرمن .

والمرجح هو أن القوات العربية كانت في حدود ٣٧ ألف محارب والقوات الرومية ٧٠ ألف محارب [٥] .

سير المعركة

بدأت الالتحامات واللقاءات العسكرية التمهيدية في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ (٢٣ تموز ــ يوليو ــ ٦٣٦) ، وقد أطلق على سلسلة المعارك التي دارت بعد ذلك اسم معركة اليرموك . ومن أيامهـا الأخيرة الياقوصة

---

(١) الواقدي ص ١٢٥ ، ابن حبيش ص ٧٩ .

(٢) البلاذري ص ١٤٠ ، الياس النصيبي ص ١١٠ بينما ذكر ابن حبيش ص ٨٢ بأن الصقلار سار بمائة ألف مقاتل .

(٣) ابن حبيش ص ٨٢ ، دى غويه ص ١٠٧ .

(٤) ابن حبيش ٧١ ، ٨٢ ، الواقدي ١١٠ ، ١١١ .

(٥) اغابيوس ، كتاب العنوان ص ٢١٠ وجميع المراجع ورواية ابن اسحاق لدى الطبري .

(الواقوصة) حيث وقعت عند تتبع الفالة الرومية في أهوية اليرموك بالقرب من فيق .

وكان اللقاء الأول بالقرب من الجابية في صالح العرب وبعده هدأ القتال ، وبقيت الجيوش المتحاربة معسكرة حوالي الشهر بدون أي مواجهة (١) .

وبدأت المعركة في تطورها الثاني باللقـــاء الذي أورده الواقدي عن عبد الملك بن عبد الحميد « أولها شررنا وآخرها ضرام الحرب ، وإن كل يوم يأتي أصعب من اليوم الآخر » فلقد هـاجمت فرقة رومية مكونة من ١٠ كراديس بقيادة باهان العرب ، ولكن النصر كان من نصيب العرب ، ولم ينته اللقاء إلا بحلول الليل (٢) .

وبعد أسبوع من الانتظار ، جاء اللقاء الثاني الذي صحبته بعـد ذلك لقاءات يومية ، وكان ذلك في شهر رجب (لخمس مضين من رجب) . وقد أثبت العرب مهارة خطتهم وصوابها باختيارهم هذا اليوم للقاء مع الروم فقد بدأه العرب في يوم هبت فيه رياح جنوبية حارة ، أذت وأعمت عيون الروم بما تحمله من غبار وأتربة ، إلى جانب قيظ شمس آب القوية .

ولنتوقف لحظة ، لكي نتابع تفـاصيل اللقاءات التي دارت على أرض المعركة والتي استمرت بضعـة أيام ، وانتهت في الياقوصة ، عندما قضى العرب على فالة الروم الذين فروا في اتجاه الطريق الروماني الموصل إلى دمشق وفلسطين .

وكانت اللقاءات الأخيرة في أيام ثلاث ، يوم الضباب ، ويوم التعوير ثم يوم الياقوصة حيث تم النصر النهائي على الروم .

---

(١) الواقدي ، ص ١٢٩ .

(٢) ما قبله .

وبدأ يوم الضباب عندما هاجم الدرنجـار صاحب ميسرة الروم ميمنة العرب وفيها الأزد ومذحج وحمير وحضرموت وخولان ، فأزال المسلمين عن الميمنة ، فانحازوا إلى ناحية القلب [١] . وكانت قوات الدرنجار المهاجمـة ٣ كراديس ، واندفع كردوس منها عندما انكشفت طائفة من المسلمين إلى المسـكر ، وتبعتهم نحو الساقة ، غير أن قوة من ٥٠٠ رجل وفيها الحجاج ابن عبد يغوث بن عمرو بن الحجاج شدّت على الروم وشغلتهم عن اتباع من انكشف ، ودام في نفس الوقت خالد بن الوليد وهو على الفرسان المهاجمين الروم . وشكل تحرك الفرسان بقيادة خالد مناورة هدفهـا حصر الروم وعزلهم عن بقية القوات المهاجمة . لذلك أسرع الروم بالانسحاب ، فالتأم الصدع الذي أصاب الميمنة العربية [٢] .

وفي نفس الوقت هاجمت ميسرة العرب الميمنة الرومية حيث الرماة في خنادقهم ، فتعرض لها بوقناطر ، فشد عليه عمرو بن العاص بقواته وكشفه ، فاضطر إلى الفرار نحو قلب الجيش الرومي [٣] لذلك سارع جرجير (جرجيوس) وهاجم العرب لتغطية انكشاف الميسرة وقلب الجيش [٤] .

وخلال سير المعركة ، تعرض القلب العربي للانكشاف أثناء الشد والصدام ، إذ تمكنت بعض الكتائب الرومية (العربية) من التسرب إلى اقباض الساقة ، فتعرض لهم ثمامة بن الأشيم ، وشد العرب الصدام حتى لا يلقى بهم إلى النهر ، وسرعان ما تحول الدفاع العربي إلى هجوم مضاد بعد لم شمل الصفوف ، وسد

---

(١) ابن حبيش ، ص ٧٧ ، ٧٩ .
(٢) ما قبله ، الواقدي ص ١٢٧ .
(٣) ابن حبيش ص ٨ ، الواقدي ص ١٢٩ .
(٤) ما قبله .

الثغرات التي فتحت في خطوطهم ، فاضطرت القوات الرومية للمرة الثانية إلى الانسحاب لحرج موقفهم(١) .

ولعب الخلاف بين القواد الروم دوراً هاماً في سير المعركة وذلك لصالح العرب وسبب الاضطراب في صفوف الجيش الرومي . فلقد شب الخلاف والنزاع بين الفرق الرومية المرتزقة ، ومعظمهم بالميسرة الرومية وبين الفرق النظامية وقيادتها . وقاد الخلاف في الأيام التالية إلى هزيمة الروم المنكرة . إذ استفحل العداء والتذمر وعدم الرضا بين القواد الروم ، عندما ازداد النزاع الشخصي عمقاً بين بوقناطر وجرجيوس (جرجة) من جهة ، وبين القائد العام ثيودور وباهان من جهة أخرى(٢) . وتناول ثيوفانس المؤرخ الرومي أطراف هـذا النزاع ، غير أن المصادر العربية كانت أدق ووافية .

وفي يوم التعوير ، وهو ثاني أيام اليرموك ، صفت القيادة العربية قواتها وصفوفها ، طبقاً للخطة المتبعة في الصفوف الثلاثة ، ووجهوا عنايتهم بشكل خاص إلى الرماة ، فلقد أثبتت وقائع اليوم الأول أهمية اتباع هذا التكتيك الجديد ، لذلك قسّم العرب إلى ثلاثة أقسام ووزعوها على أقسام الجيش الثلاثة وألحق بكل قسم ٥٠٠ رام(٣) .

وبدأ الصدام عندما شنّ الروم هجومهم على ميمنة العرب ، إذ أنهم قد فطنوا إلى ضعف ميمنتهم وتعرضها لهجوم الفرسان العرب ، لذلك عززوها بصفوف من الرماة ذوي الأسلحة الثقيلة ، والتي ألهبت ميسرة العرب برمايتها وخلال ذلك اليوم انكشفت الميمنة العربية مراراً عدة بسبب تركيز الهجوم

---

(١) الواقدي ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .

(٢) ما قبله .

(٣) الواقدي ، ص ١٣٢ .

عليها ، غير أن العرب أقحموا فرسانهم في خطوط الميسرة الرومية الهاجمة ، بينما غطت كتيبة أخرى من الفرسان العرب الانفراج الذي حدث بالميمنة العربية . وشددت النكير على الروم ، فاضطرتهم إلى الانسحاب تاركين ميسرتهم مكشوفة [١] .

وأوردت المصادر العربية الكثير من التفاصيل عن هزيمة ميسرة الروم ، وعن فرارها أمام هجوم العرب . هذا في الوقت الذي أمطرت فيه ميمنة الروم بسهامها ورماحها الميسرة العربية ، ملحقة بها أفدح الأضرار ، مما جعل العرب يطلقون على هذا اليوم يوم التعوير ، وفيه نكب أبو سفيان بفقد عينه [٢] . وكثرت الروايات العربية عن يوم التعوير ، واختلطت أحداثه بأحداث يوم الياقوصة ، غير أن معظمها اتفق على أن العرب ارتدوا ثلاث مرات ، من شدة الطعن والرمي ، إلى أن تمكنوا من الخلاص بعد أن كادت تلحقهم الهزيمة [٣] وذلك بتركيز هجومهم ، فاضطر الروم إلى التجمع على ضفاف اليرموك [٤] .

وجاء اليوم الثالث بالشؤم وسوء الحظ للروم ، فكلما تغلغلوا في الصفوف العربية ، وكادوا يصلون إلى مرحلة النصر الحاسمة ، جوبهوا ببطولة وبسالة النساء العربيات اللواتي تعرضن لهن بكل ما وقع تحت أيديهن من سلاح ، واشتركن بذلك في الدفاع وفي طرد منهزمة المسلمين ودفعهم إلى ميدان القتال [٥] .

---

(١) الواقدي ، ص ١٢٨ ، وابن حبيش ص ٨١ .
(٢) الواقدي وجميع الروايات بكتب التاريخ ، واقدي ص ١٢٨ .
(٣) الواقدي ص ١٢٨ – ١٣١ .
(٤) الواقدي ما قبله : « وانحازت الروم إلى جانب اليرموك » .
(٥) جميع كتب التاريخ .

وباشتداد ضرام الحرب والطعان ، وضع الروم في السلاسل ، حتى يشكلوا حائطاً يصد الهجوم العربي . ولكنهم سرعان ماصاروا هدفاً للرماة العرب ، حيث أمطروهم بوابل من السهام ، ومن لم يلق منهم الموت بالسلاح ، لقيه عند فراره في قاع الهاوية التي تحف بالوادي ، وبدأت الفوضى تتغلغل في صفوف القوات الرومية ، وقد استفحل العداء بين قواتهم ، وأخذت قواتهم في الارتداد أمام القوات الصغيرة العربية ، الكبيرة في قوة الهدف . فهلك الصقلار ثيودور ، أما فاهان (باهان) فانه آثر الفرار ناجياً بحياته .

وترجع أسباب هزيمة الروم إلى ضعف خططهم الحربية الرامية إلى توسيع جبهة القتال ، في الوقت الذي كدسوا فيه رماتهم بالميمنة الضعيفة من الناحية التكتيكية ، لذلك تعرضت الميمنة طوال القتال لهجوم الخيالة العربية التي كانت تدهسهم وتفصل بينهم وبين بقيسة الجيش الرومي ، إلى أن توصلت أخيراً إلى حصرهم بعد القيام بعملية التفاف ، ودفعتهم نحو ضفاف النهر والأودية والأهوية العميقة ، حيث لقي الكثير منهم حتفهم ، ومن بينهم العديد من القواد الروم ، مثل حاكم نابلس وملك اللان (١) . بينما تركز الخلاف والنزاع بالميمنة الرومية ، وهذا ماجعل القواد يتنازعون في إصدار الأوامر والخروج عن تعليمات القائد العام . لذلك فقدت القيادة العامة السيطرة على قواتها ، التي سرعان ما انهارت فأسرعت بالانهزام والفرار للتحصن بالمناطق المنيعة ، غير أن فرسان العرب تتبعتهم وطاردتهم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة حيث أبيدت معظم القوات الرومية (٢) .

---

(١) الواقدي ص ١٣٤ ، وقد سماه ماريوس ، وثيوفانس يذكر بين قواد الروم قائداً سمي بهذا الاسم .

(٢) الواقدي : نفس المكان ، وراويه سيف بن عمر لدى الطبري .

ونعود هنا لنناقش كلمة الرماد التي أشار اليها دي غوية من قبل ، فلقد أفضى الواقدي إلى قصة طويلة ، حاول فيها أن يبرر الأسباب التي دعت إلى فناء الروم وقص حكاية شخص موتور قاد القوات الرومية أثناء فرارها إلى مكيدة سقطوا بسببها في الأهوية العميقة (١) . غير أن هناك من الروايات ماتفيد بأن الروم اضطروا إلى خوض مياه الأنهار والمستنقعات حيث أبادتهم العرب ، وهـذه الحقيقة لاتتفق مع فرضية دي غوية في أن وادي الرماد يقع في الواقوصة . فنحن نعرف بأن الرماد هو تحريف لفظي المرقاد ، وهو النهر الذي سقط فيه الكثير من الروم . ومن ثمّ فإن العرب طاردوا فالة الروم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة ، وهناك أفناهم العرب عن بكرة أبيهم . ومن هنا عمّم يوم الياقوصة وأطلق على يوم اليرموك ، بينما الياقوصة هي إحدى أيام اليرموك .

وكان تمام انتصار العرب على الروم في ١٢ رجب ١٥ هـ الموافق لـ ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦ م وفقدت الامبراطورية بهزيمتها في اليرموك الأمل في استرداد سورية التي ضاعت منها إلى الأبد ، بل وتعرضت الامبراطورية الرومية للهجمات العربية إلى أن سقطت . وتحقق بذلك قول هرقل عندما ودع سورية بقوله : « عليك السلام يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ، ويا ليته لا يولد من أجل فعله وأمر عاقبته على الروم » .

ولم يعد الروم إلى الشام إلا مع الحروب الصليبية ، وخرجوا منها بعد زمن بسبب وحدة الصف العربي ، وتحقق الشطر الأخير من وداع هرقل ، وصارت الشام أرض العروبة ومنبرها طوال العصور ، وكذلك فلسطين إلى أن وقعت فريسة الصهاينة .

(بودابست) الدكتور عبد المنعم مختار أمين

(١) كتب التاريخ ـ الواقدي ـ الطبري ـ ابن حبيش .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٦ —

١٧٠) الرواجب

ف ، ز
. . . . . .

في الأصل . — عصب ظاهر الكف . [قَصَب ظاهر الكف] .

ملاحظتي . — قوله (عصب) خطأ والصحيح (قصب) بالقاف وهي الرواجب .

في (ق) . — الرواجب واحدتها راجبة ورُجْبة : مفاصل أصول الأصابع ، أو بواطن مفاصلها ، أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها ، أو ظهور السلاميات ، أو ما بين البراجم من السلاميات أو المفاصل التي تلي الإبهام .

قلت : ومثلها : [البَراجِم وهي مفاصل الأصابع كلها أو ظهور القَصَب من الأصابع أو رؤوس السلاميات إذا قبضتَ كفك نشزَتْ وارتفعت] .
هذا التعريف يكاد ينطبق على (مُشْط اليد وهو السِّنْع : métacarpe) ؛ وعلى (مُشط القَدَم وهو الوظيف métatarse) .

★ ★ ★

١٧١) الإبْهام

ف Pouce (m.)

ز Thumb

في الأصل . — أقصر الأصابع وأغلظها .

في (ق) . — الإبهام بالكسر ، في اليد والقدم أكبر الأصابع . وقد يذكَّر . ج أباهيم وأبَاهِم .

في (ل) . — أكبر أصابع اليد وأقصرها بالنسبة للأصابع الأخرى ، في الإنسان والقِرَدَة .

ما أضفته :

١ — إبهام القَدَم

ف Gros orteil

ز Big tœ

٢ — إبهام أرْوَح

ف Hallux varus

ز Pigeon tœ

٣ — إبهام أفْحج

ف Hallux valgus; orteil en equerre

ز Hallus: hallux valgus

٤ — إبهام صَميل

ف Hallux rigidus

ز Stiff tœ

٥ — إبهام مُنْشَطِر أو منشقّ

ف Pouce bifide

ز Bifid thumb

★ ★ ★

١٧٢) المُسَبِّحة (= السَّبَّابة)

ف Index , doigt indicateur

ز Index ; forefinger

في الأصل . — المسبّحة ، التي تلي الإبهام .

في (ق) . — السبابة ، تلي الإبهام [ولا ذكر للمسبحة في مادة سبح] .

في معجم المتن . — السبابة والمسبحة : الاصبع التي تلي الإبهام . والسبابة ، التي بين الإبهام والوسطى (صفة غالبة) .

في (ل) . — الإصبع الثانية من اليد ، الأقرب إلى الإبهام .

ملاحظتي . ـ الصفة الغالبة لهذه الاصبع والمشهور عنها : (السبابة) . أما المسبحة فلا ذكر لها في (ق) . فهي إطلاق خاص على ما يبدو .

فالسُّبْحة بالضم خرزات تُعدّ للتسبيح (مولّدة) . وفي رأيي أن المؤلف ، اختار لهذه الاصبع ـ تبديلاً من السبابة لما فيها من معنى الشتم والعار ـ اختار لها « المسبحة » لما فيها من معنى التقديس ومن التنزيه لله تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته . هذه التسمية ؛ على التغليب لأن التسبيح بها وبالإبهام بل وبالوسطى كما لا يخفى . هذا وفي شرح (الفِتْر) وجدت في (ق) ما يلي : [الفتر ، بالكسر ، ما بين طرف الإبهام وطرف المُشيرة] .
قلت : وكأن كلمة Index الإفرنجية لهذه الإصبع مأخوذة ـ ترجمةً ـ عن العربية لأنها هي وحدها التي يشار بها إلى شيء ما (من بين أصابع اليد) . وعلى هذا أرى أن كلمة (المُشيرة) أجدر استعمالاً من (السبّابة) و (المسبّحة) وأصلح إشاعةً ، لمطابقتها للواقع .

★ ★ ★

١٧٣) الوسطى

ف Medius; doigt majeur

ز Middle finger

في الأصل . — التي تلي المسبّحة .

في (ل) . — الإصبع التي في منتصف اليد .

* * *

١٧٤) البنصر (اصبع اليد الرابعة)

ف Annulaire ; quatrième doigt de la main

ز Ring finger

في الأصل . — التي تلي الوسطى .

في (ق) . — البنصر ، الإصبع بين الوسطى والخنصر . مؤنثة .

في (ل) . — الإصبع الرابعة ، من اليد (سميت بالفرنسية كذلك لأنها هي التي تلبس فيها الحلقة أو الخاتم) .

* * *

١٧٥) الخنصر

ف Auriculaire (m.)

ز Little finger

في الأصل . — التي تلي البنصر .

في (ل) . — أصغر أصابع اليد (سميت بالفرنسية كذلك لأنها لصغرها يمكن إدخالها بالأذن) .

ما أضفته :

١) أصْبُع

ف Doigt (m.)

ز Finger

٢ً) اصبع كالمُسَوَّد (خزب مخاطي)

ف Doigt en boudin (myxœdème)
ز Swelling of the fingers in myxœdema

٣ً) اصبع مُذَلة (ميتة)

ف Doigt mort
ز Dead finger

٤ً) اصبعي

ف ، ز Digital

٥ً) اصبعي الشكل

ف Doigt (en forme de)
ز Digitated

ومن أشكالها :

١ — أصابع إبقراطية

ف Doigts hypocratiques
ز Clubbed , drumstik , hypocratic fingers ; clubbing of the fingers

٢ — أصابع عنكبوتية

ف Arachnodactylie
ز Arachnodactily ; spider fingers

٣ — أصابع القدم

ف Orteil ; doigts du pied
ز Tœs

٤ — خنصر القدم

ف Cinquième orteil
ز Small tœ

٥ — أصابع مِحْجَنية

ف Gampsodactylie
ز Hammer toe

من مرادفات الكلمة الفرنسية :

(أصابع كعنق الأوز orteil en cou de sygne) ،
و (أصبع قدم مطرقية الشكل orteil en marteau) .

٦ — أصابع كمِقْفاص الطَّبْل

ف Doigts en bagutte de tambour
ز (انظر أصابع ابقراطية — ١)

٧ — أصابع اليد أو الكف

ف Doigts de la main
ز Fingers

٨ — قِصَر الأصابع

ف Brachydactylie
ز Brachydactylia

ملاحظة . — في كلامه على الأصابع لم يذكر المؤلف شيأ عن (الشِّبْر) ولا (الفِتْر) اللذين يستعملان مقياسين للأطوال . فرأيت أن أضيفها في هذا الرقم على النحو التالي :

آ — الشِّبْر

ف Empan (m.)
ز Span (hand - span)

[الشبر يقيس ٢٢ — ٢٤ سنتمتراً ويقابله ٩ أنش] .

ب — الفِتْر

ف Petit empan
ز Small span

في (ق) . — فأما الشِّبْر : ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر ، مذكر

ج أشبار . والشَّبر بالفتح : كيل الثوب بالشبر . وأما الفِتر ، بالكسر : ما بين طرف الإبهام وطرف المُشيرة . (قلت المشيرة هي السّبابة = index) انظر (الرقم ١٧٢) أيضاً .

في (ل) . — الشبر : المسافة بين الإبهام والخنصر ممتدّين .

★ ★ ★

١٧٦) القَصَبات

في الأصل . — واحدتها قَصَبَة ، في كل اصبع ثلاث قصبات إلا الإبهام ففيها قصبتان .

في (ق) . — . . . والقَصَب عظام الأصابع ، وشُعَب الحلق ومخارج الأنفاس . . . الخ .

ملاحظتي . — على اعتبار (عظام الأصابع) يقابلها phalange . وعلى اعتبار (شُعب الحلق . . الخ) يقابلها bronche . سأذكر أولاً ما يوافق شعب الحلق (قصبات) ثم أذكر ما يوافق الأصابع .

أولاً . — القَصَبة
(شُعب الحلق)

في (ل) . — القصبة كل من المجاري ، ينتهي إلى الرُّغامى [١] — الشريان وبالمجاري هذه يدخل الهواء الرئتين ، وأما الرغامى فتنقسم قصبتين رئيستين وكل منها إلى قصبات فصّية (٣ في اليمين ، ٢ في الشمال) . هذان القسمان يتفرعان في داخل الرئة الموافقة إلى قصبة خارج الفُصَيْص [٢] وهذه بدورها إلى قصبة داخل الفُصَيْص أي إلى قُصَيْبة [٣] .

١) Trachée-artère ٢) Eextralobulaire
٣) Bronchiole

القصبة

ف Bronche (f.)
ز Bronchus

ما أصفته :

١ – قصبة تحت الشِّرْيان

ف Bronche hypartérielle

ز Hyparterial bronchus

٢ – قصبة داخل الرئة ، أساسية

ف Bronche intrapulmonaire , principale

ز Intrapulmonary , main bronchus

٣ – قصبة داخل الفُصَيص ، قُصَيْبة

ف Bronche intralobulaire ; bronchiole

ز Intralobular bronchus ; bronchiole

٤ – قصبة رئيسة

ف Bronche souche

ز Main bronchus

٥ – قصبة فوق الشريان

ف Bronche épartérielle

ز Eparterial bronchus

٦ – قصبة قلبية

ف Bronche cardiaque

ز Cardiac bronchus

٧ – قصبة قِمّية

ف Bronche apicale

ز Apical bronchus

ثانياً — القَصَبة (*)

(عظام الأصابع)

ف Phalanges

ز Phalanx

في (ل) . — كل من العظام الصغار التي تتألف من مجموعها أصابع اليد وأصابع القدم [انظر الرقم — ١٧٠] .

★ ★ ★

١٧٧) السُّلامَى

ف Phalange

ز Phalanx

في الأصل . — هي القصبة .

في (ق) . — كل من قصبات الأصابع سُلامَى ج سُلامَيات ؛ وعظام صغار طول إصبع وأقل ، في اليد والرجل .

في (ل) . — كل من العظيمات التي تتألف منهن أصابع اليد وأصابع القدم .

ما أضفته :

١ً — سُلامى ثانية

ف Phalangine

ز Second phalanx

٢ً — سُلامى صغيرة ، سلامي ظُفْرية

ف Phalangette; phalange unguéale

ز Distal, terminal, ungual phalanx; phalangette

★ ★ ★

(*) القصبة ، أُطلقت أيضاً على عظم الأنف الخاص . (انظر الرقم ٥٦) .

١٧٨) الرواجب

ف ، ز . . . .

في الأصل . — بطون عقد الأصابع .

في (ق) . — مفاصل أصول الأصابع أو بواطن مفاصلها أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها ، أو ظهور السلاميات ، أو ما بين البراجم من السلاميات ، أو المفاصل التي تلي الأنامل . واحدتها راجبة ، ورُجْبَة بالضم .

قلت : أي المعاني مع كثرتها ، يخصص له ما يقابله بالفرنجية . وقد تقدم ذكرها في (الرقم ١٧٠) لقصب ظاهر الكف .

★ ★ ★

١٧٩) البراجم

ف Articulations (des doigts)

ز Knucle ; finger - joint

في الأصل . — ظهور عقد الأصابع .

في (ق) . — البُرْجُمة ، المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، والأصابع الوسطى من كل طائر ؛ أو هي مفاصل الأصابع كلها ، أو ظهور القصب من الأصابع ، أو رؤوس السلاميات إذا قبضت كفك نشزت وارتفعت .

في (ل) . — هي مفاصل أو مواصل الأصابع . انظر (الرقم ١٧٠)

★ ★ ★

١٨٠) الأنامل

ف Bouts des doigts

ز Finger - tips

في الأصل . — أطراف الأصابع وهي القصبة العليا .

في (ق) . — الأَنْمُلَة بتثليث الميم والهمز ، التي فيها الظفر .
ج أنامل وأنملات .

في (ل) . — الأنملة الطرف السائب من الاصبع .

قلت : على تعريف (ق) يوافق phalangette وهي القصبة النهائية التي تحمل الظفر كما في (ل) .

★ ★ ★

١٨١) الحِتار ، الإطار

ف Bord

ز Border

في الأصل . — ما أحاط بالظُّفر (وكذا الإطار) .

في (ق) . — ... والحتار من كل شيء كفافه وحرفه ... والإطار ، للبيت هو كالمنطقة حوله وما أحاط بالظفر من اللحم ، وطرف الأبهر .

قلت : الأصلح التخصيص (حتار أو اطار الظُّفر) باضافة (الظُّفر) .

★ ★ ★

١٨٢) الزِّنْقير (= الفَسيط)

ف Rongeure d'ongle

ز Parings; clipping of nails

في الأصل . — الزِّنيقر قلامة الظفر ، ما يُقلَّم من الأظافر .

في (ق) . — ما سقط من الظفر حين تقليمه أي قطعه .

وفي متن اللغة . — الزنقير كلة دخيلة هي قلامة الظفر .

ملاحظتي . — في الأصل المخطوط توجد كلة (المنسنيط) وهي تصحيف كما يقول المحقق وصححها بكلمة (الزنيقر) . قلت : وهذا خطأ مطبعي على ما أظن والصحيح (الزنقير) بالياء بعد القاف ـ لا قبلها ـ كما وضعتُها مصححةً

(في الرقم ١٨٢) إلى جانب الكلمة (الفَسيط) التي صححتُها كذلك عن (العنسنيط) الوارد ذكرها في المخطوطة . (فالمنسنيط) هذه هي في الحقيقة مصحَّفة كما يقول المحقق ، لكن ليس (الزنقير) بصحيحها وإن كان يدل على قلامة الظفر . فالكلمة الصحيحة التي وجدتُها بعد تقليب وجوه التصحيف هي (الفسيط) كأمير [وكذا الفصيط بالصاد] وهو التُفروق (*) ، وقلامة الظفر كما في القاموس . فالناسخ ـ لانزياح نقطة الفاء إلى اليسار قليلاً ـ توهّمها (ـعـ = عين وسط) والنقطة بعدها حسبها (ـنـ = نون وسط) فصارت معه (العنسنيط) بإلحاقها بنقطةٍ ثانيةٍ بعد السين . فتأملْ إلى أي مدى يبلغ المسخ في النسخ ! .

★ ★ ★

١٨٣) النَّمَش

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — البياض في ظهور الأظافر .

في (ق) . — نُقَط بيض وسود أو بُقَع تقع في الجلد تخالف لونه ؛ وخطوط النقوش من الوشي وغيره .

قلت : النمش ليس بخاص للبياض في الأظافر بل هو عام كما في (ق) . وما يقع في الجلد خاصةً هو (الكَلَف ، بفتحتين) بالفرنجية هو :

ف Tâches de rousseur : éphélide

ز Freckles (ephelis)

★ ★ ★

(*) قلت : التفروق كعصفور : قمع التمرة ، والثفروق بالثاء كذلك ، أو ما يلتزق به قمعها . ج تفاريق .

١٨٤) الخَلَل

ف ، ز Interdigital

في الأصل · — ما بين الأصابع .

في (ق) · — منفرج ما بين الشيئين ، ومن السحاب مخارج الماء كخِلاله .

قلت : الأخص هو (الفَوْت . ج أفوات وهو الفُرْجة بين اصبعين) .

★ ★ ★

١٨٥) القَلْت

ف ، ز . . . . .

في الأصل · — النقرة في أصل الإبهام .

في (ق) · — النقرة في الجبل ، والقليل اللحم كالقَليت ككَتِف .

في متن اللغة · — القلت : النقرة في الجبل تمسك الماء . ج قِلات .

[والرجل القليل اللحم وهو قليت ككتِف . ومن العين : نقرتها . وما بين الترقوة والعنق . ومن الكف : ما بين عصبة الإبهام والسبّابة . والمطمئن في الخاصرة] (كل هذا مجازاً) ، ونقرة الترقوة . والموضع الذي يدور فيه رأس الورك المستدير كأنه جوزة (لسان العرب : ك ر م) وكل هزمة في عضو قَلْتٌ .

★ ★ ★

١٨٦) الضَّرَّة (ضرَّة اليد)

ف Éminence hypothénar

ز Hypothenar eminence or prominence

في الأصل · — اللحمة التي تحت الخنصر من باطن .

في (ق) · — الضرة أصل الثدي ، واللحمة تحت الإبهام ، أو باطن الكف ، وما وقع عليه الوطء من لحم القدم مما يلي الإبهام .

في (ل) . — البَرْزة أو الناشزة التي تحدثها في باطن الكف ، ثلاثُ عضلات قصار محرِّكات الاصبع الصغيرة .

★ ★ ★

١٨٧) الأَلية (ألْية اليد)

ف Eminence thénar

ز Thenar eminence or prominence

في الأصل . — اللحمة التي تحت الإبهام من باطن .

في (ق) . — الألية : العجيزة أو ما ركب العجُز من شحم أو لحم ج أليات وألايا ، واللحمة في ضرة الإبهام . وحماة الساق ، والجماعـــة والشحمة .. الخ .

في (ل) . — البرزة في ظاهر راحة الكف .

قلت : الأَلية — إطلاقاً — العجيزة ، وما ركب العجز من شحم أو لحم وهو الشائع الاستعمال من معانيها الكثيرة . فالأصلح أن يقال (ألية اليد) باضافة (اليد) ، تخصيصاً وتمييزاً لما يوافق أعضاء الإنسان .

★ ★ ★

١٨٨) النَّاق

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — الخط الذي بين الضرة والأَلية .

في (ق) . — شِبْه مَشَقّ بين ضرة الإبهـام وأصل ألية الخنصر مستقبَلَ بطن الساعد بلزق الراحة ؛ وكل موضع مثله في بطن المرفق وفي أصل المصمص .

في متن اللغة . — كما في (ق) ويزيد عنه : والناق الحزّ الذي في مؤخر حافر الفرس ج نَيْوق .

★ ★ ★

١٨٩) الأسرار

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — خطوط في الراحة .

في (ق) . — أسرار الكف واحدها السِّرّ كالسُّرر والسِّرار بالكسر . جمع أسارير . والأسارير محاسن الوجه ؛ والخدان والوجنتان . [انظر الرقم ٢٩]

★ ★ ★

١٩٠) الراحة

ف Paume (f.)

ز Palm (of the hand)

في الأصل . — باطن الكف .

في (ق) . — الراح والأكف كالراحات واحدتها راحة .

في (ل) . — جوف اليد ، باطن اليد . [انظر الرقم – ١٦٨]

ما أضفته :

١ — راحي كفّي

ف Palmaire

ز Palmar ; volar

٢ — كفي

ف Palmé

ز Palmated ; webbed

٣ — تشنج الكف أو اليد

ف Palmospasme

ز Palmospasm

★ ★ ★

١٩١) البَنان

ف Doigts de la main
ز Fingers

في الأصل . — الأصابع كلها (الواحدة بَنانة) .

في (ق) . — الأصابع أو أطرافها .

في (ل) . — كلٌّ من اللواحق (أو الملحَقات) المتمفصلات التي تنتهي بها اليد والرجل في الإنسان وفي الفقريات ذوات الأربع . اعتيادياً كل اصبع (أو بنانة) مؤلفة من ثلاث قصبات (انظر الرقم ١٧٦) .

ما أضفته :

مُطَرِّف

ف Manucure (= manicure)
ز Manicure

[من طَرَّفت المرأة بنانها : خضبته . لمن يقوم بتطريف اليد والبنان . والكلمة الفرنسية تعني الإخصائي بتطريف اليد] . ومثله من يعتني بالأقدام ويقابله بالافرنجيتين :

ف Pédicure
ز Pedicure ; chiropodist

(انظر رقم ٢٥٥ – القَدَم – ١٢ : أقدامي) .

★ ★ ★

١٩٢) البَرْك = الصَّدْر

ف Poitrine (f.) : thorax (m.)
ز Breast ; thorax ; Chest

في الأصل . — البرك بفتح فسكون ، صدر الإنسان (= الكَلْكَل والصدر .) ج بُرُوك .

في (ق) . — البرك باطن الصـــدر والبِرْكة ظاهره . والكلـكل والكَلْكال الصدر أو ما بين الترقوتين أو باطن الزَّوْر .

في (ل) . — الصدر ، قسمٌ من الجذع بين العنق والبطن ، الذي يضم الرئتين والقلب . والزَّوْر جوف الفقاريات تحده الأضلاع والحاجز ويحتوي على الرئتين والقلب .

قلت : الزور هو بالفرنسية والإنكليزية (thorax) .

ما أضفته :

١ — صدر جُؤْجُؤي

ف Thorax en carène

ز Chiken, pigeon breast; keeled chest

٢ — صدر زَوْرَقي

ف Thorax en brèche

ز (كما في الرقم ١) .

٣ — صدر قِمَعي

ف Thorax en entonnoir

ز Funel chest; cobbler's chest

٤ — صدر كُرَوي

ف Thorax en tonneau, globuleux

ز Harrel-shaped thorax; barrel chest

٥ — صدر مَرْكَبي أو فُلْكي

ف Thorax en bateau

ز Boat-shaped, scaphoid chest

٦ — صدري

ف Poitrinaire ; thoracique

ز Consumptive ; thoracic

★ ★ ★

١٩٣) البَلْدَة

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — وسط الصدر (أو الصدر ج بلاد) .

في (ق) . — الصدر ، وراحة اليــــد ، ومنزل للقمر . . . . الخ .

قلت : هو الزَّوْر (انظر ١٩٢) .

★ ★ ★

١٩٤) البُهْرَة

ف Cavité du pharynx

ز Cavity or hollow of pharynx

في الأصل . — النقرة التي في الصدر (= من كل شيء وسطه ج بُهَر) .

قلت : استعمل المؤلف (البهرة) على المجاز للنقرة التي في الصدر .

في (ق) . — من الليل والوادي ، والفرس ، والحَلْقة : وسطه .

ملاحظتي . — يغلب على الظن أن يكون المقصود من نقرة الصدر (ثغرة النحر) فيوافقها ما وضعته لها بالافرنجيتين .

★ ★ ★

١٩٥) التَّرْقُوتان

ف Clavicule (f.)

ز Collar - bone ; clavicle

في الأصل . — العظمان اللذان بينهما ثغرة النجر .

قلت : (النجر ، بالجيم) خطأ . والصواب (النحر) بالحاء . ونحر الصدر : أعلاه أو هو موضع القلادة .

في (ق) · — الترقوة مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس .

في (ل) · — كل من المظمين الطويلين القليلي الانحناء على شكل S المؤلفين قسماً من الزنار الكتفي ويمتدان من القص إلى اللوح (= عظم الكتف) .

★ ★ ★

١٩٦) الحاقنة

ف ، ز . . . .

في الأصل · — نقرة الترقوة .

في (ق) · — المعدة ؛ وما بين الترقوتين ؛ وحبلي العاتق ؛ وما سفل من البطن .

قلت : لم أتبين ما القصد من النقرة في الترقوة ، هذه . . فالأصح أن يقال (الحاقنتان) واحدة لكل من العاتقين الأيمن والأيسر وهي : الجوف الذي يحدث إذا رفعتَ ذراعك إلى الأعلى وأدنيت زندك من وجهك .

★ ★ ★

١٩٧) التَّرائب

ف ، ز . . . . .

في الأصل · — عظام الصدر .

في (ق) · — عظام الصدر ، أو ما إلى الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين ، أو أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ، أو موضع القلادة .

قلت : عظام الصدر هي الأضلاع . والشائع عن (الترائب) : ما بين الثديين وموضع القلادة على وجه خاص وهو النحر أو البرك على وجه عام . ويقابلها بالفرنسية Poitrine .

★ ★ ★

١٩٨) الثَّدْي

ف Mamelle (f.); glande mammaire; sein (m.)
ز Breast; mammary gland

في الأصل . — ثدي المرأة ، الذي تسق منه اللبن .

في (ق) . — الثدي ويكسر ، والثَّدى كالثَّرى خاص بالمرأة أو عام . ويؤنث . ج أثْدٍ وثُدِيّ كحُلِيّ .

في (ل) . — هو غدة مرتكزة فوق البطن من جذع اناث الثدييات ، وينهدُ في سن البلوغ ، ويفرز بعد الولادة اللبن الذي يغذي الصغار (عدده يختلف بحسب النوع) .

ما أضفته :

١ — ثَدْيي

ف Mammaire, mamelaire
ز Mammal, mammary; mammilary

٢ — أسْحَمي (ذو حلَمَيْات)

ف Mamelonné
ز Mamelonated; mammilated

٣ — التهاب الثدي ، ثُداء

ف Mammite; mastite
ز Mammitis; mastitis

٤ — امرأة ثدياء (عظيمة الثديين)

ف Femme à grosses mamelles; mamelue
ز Full - breasted

★ ★ ★

١٩٩) حلمة الثدي

ف Tétin; tette; mamelon
ز Teat; nipple (in animals); mamilla

في الأصل . — رأس الثدي .

قلت : هي الشَحْمة ، والأَسْحَم (mamelon) .

في (ل) . — رأس الثدي . وكلة (tette) خاصة بالحيوانات الثدية .

★ ★ ★

٢٠٠) السَعْدانة

ف Aréole du mamelon

ز Areola mammae

في الأصل . — كالدرهم أشد حمرةً من لون الثدي .

قلت : هي (اللَمْوة) كذلك وهي السواد حول حلمة الثدي .

في (ل) . — تشريحياً ، هي الدائرة المصطبغة التي تحيط بالثدي .

★ ★ ★

٢٠١) الثُنْدُوَة

ف Mamelle (chez l'homme)

ز Man's breast

في الأصل . — اللحمة التي حول الثدي .

في (ق) . — الثندوة كسنبلة وبفتح أوله ، لحم الثدي أو أصله .

في متن اللغة . الثُندأة ، الثَندوة (إذا ضمت الثاء همزت وإذا فتحت لم تهمز) للرجل ، كالثدي المرأة ، أو هما مترادفان أو هي مغرز الثدي أو اللحم حوله . ج ثنادٍ وثنادة .

في (ل) . — في كلامه على mamelle يقول : وفي الرجل ، الجزء الذي يحاكي ـ ما في المرأة ـ ولكن بدون إفراز اللبن .

قلت : في لغتنا العربية الثندوة للرجل ، والثدي للمرأة . ولا فرق بين ما عند المرأة وما عند الرجل إلا باضافة كلة (الرجل) إلى الثدي .

وما جاء في (ق) و (ل) و (المتن) يسمح بوضع ما يقابل (الثندوة) بالفرنجيتين على نحو ما وضعته في (الرقم ٢٠١) .

★ ★ ★

٢٠٢) الأضلاع

ف Côtes (f.)

ز Ribs

في الأصل . — الأضلاع الجوانح . في الصدر ١٢ ضلعاً .

في (ق) . — الضلع كعنب وجذع ، معروف . مؤنثة . ج أضْلُع وضُلوع وأضلاع .

في متن اللغة . — ضلَع بفتح اللام ، بلغة الحجاز ، محنيّة الجنب مؤنثة وتذكر . وهي الضلْع بسكون اللام بلغة تميم . جج أضالع .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — الضلع ، قوس عظميـــة مسطحة بطول مختلف تؤلف مع العمود الفقاري زاوية حادة في الأسفل . مُجماع الأضلاع يؤلف القفص الصدري (١) . ففي الإنسان ١٢ زوجاً من الأضلاع تتمفصل من الخلف مع الفقار الظهرية ، ومن الأمام تستمر بغضروف ينتهي إلى القص (٢) إلا غضاريف الأضلاع ٨ – ٩ – ١٠ فهن يتحدن قبل وصولهن إلى القص . أما الضلعان ١١ – ١٢ فلا غضروف لهما ورأس كل منهما حر (سائب) .

١) Cage thoracique ٢) Sternum

أهم ما أضفته :

١ً — ضلع رَقَبية

ف Côte cervicale

ز Cervical rib

(٢) القص ، يدعى أيضاً العمود القصّي Colonne sternébrale .

٢ً — ضلع سائبة (= خَلْف)

ف Côte flottante

ز Floating rib

٣ً — ضلع تَرْقُوي

ف Costo - claviculaire

ز Costoclavicular

٤ً — ضلعي جَنْبي

ف ، ز Costo - pleural

٥ً — ضلعي قصّي

ف ، ز Costo - sternal

٦ً — ضلعي فِقَري

ف ، ز Costo - vertebral

٧ً — أضلاع حقيقية

ف Vraies côtes

ز True ribs

٨ً — أضلاع قصّيّة

ف Côtes sternales ; vraies côtes

ز True ribs

٩ً — أضلاع لاقصّيّة (= خُلُوف)

ف Côtes asternales ; fausses côtes

ز False ribs

١٠ً — ضلعي

ف Costal

ز Costal ; costo -

١١ — وَرْب ، فضاء بين ضلعين

ف Intercostal ; espace intercostal

ز Intercostal ; intercostal space

★ ★ ★

٢٠٣) الشّراسيف

ف ، ز Cartilages

في الأصل . — سقاط الأضلاع مما يشرف على البطن. (الواحد شُرْسُوف) .

في (ق) . — غضروف معلّق بكل ضلع ، أو سقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن .

ملاحظتي . — هذا التعريف ينطبق على غضاريف الأضلاع .

في لاروس ذي المجلدين . — الغضاريف نسيج أبيض مطاط يوجد في الأطراف السائبة من العظام وبتقدم العمر يتعظم أكثر الغضاريف (= يتحول إلى عظم) .

قلت : الشّرْسُوف مما خصصته لجنة المصطلحات الطبية لما يقابل épigastre (وهي الحفرة الشّرسوفية creux épigastrique) وهو القسم الفوقاني من البطن بين السُّرّة والقَصّ .

وبالانكليزية :

Epigastric region ; epigastrium ; pit of the stomach

★ ★ ★

٢٠٤) المَسْرَبة

ف Poil de la poitrine

ز . . . . . .

في الأصل . — الشعر النابت وسط الصدر سابلاً على البطن .

في (ق) . — الشُّرْبة كالمَسْرَبة ، الشعر وسط الصدر إلى البطن .

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

لا يحضرني الآن المكان الذي وقعتُ فيه على ذكر شهرة الصنوبري بِرَوْضيّاته كَشُهْرَةِ أبي نواس في خمريّاته وابن المعتزّ في تشبيهاته . على أيّ حال ، فقد كانت الجماعة تُشير إليه ، كما يبدو ، من خلال قصائده في الرياض ، أو قُلْ وصفه للطبيعة ومفاتنها عامةً . ولا يكتفي أبناء عصره بأن يقرنوه بالطبيعة في شعره ، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك فيُلَقِّبُونه بلقبٍ مستمدٍّ من الطبيعة . بيد أن هذا لا يُضيره من قريب أو بعيد ، بل إنه يَنْبَري يدافع عن هذه النسبة الجديدة إلى الطبيعة ويصوّر اعتزازه بها ويظهر إعجابه فيها فيقول :

وإذ عُزِينا إلى الصنوبر لم نُعْزَ إلى خاملٍ من الخَشَبِ

لا بَلْ إلى باسقِ الفروع علاً مناسباً في أرومة الحسبِ

فالحمد لله إن ذا لقبٌ يزيدُ في حسنه على النسبِ !

ولِمَ لا يطلق عليه اسمٌ يوحي بالطبيعة البكر وهو صاحب دعوة شعرية لها حين يقول :

وصف الرياض كفاني أن أُلِمّ على وصف الطلول ، فهل في ذاك من بأس

ولا يبدو الأمرُ غريباً أن يدعو شاعر إلى العزوف عن هذا الضربِ من الوصف إلى ما هو بمثابة النقيض له ، إلى وصف الرياض . لقد انْتَصَبَ أبو نواس هذا المعين داعياً إلى ترك وصف الطلال والوقوف عليها وبكاء

الدِمن وما شاكل ، بيد أنه لم يُصَرِّح التصريح كلّه ولم يَدعُ مباشرةً إلى العناية بالطبيعة . وإنما قال بشرب الخمر المعتقة ووصفها ، وقد أغرق وأفحش . بل إنه لم يزد على ما أعلم أكثر من السخرية حين قال :

قُلْ لمن يبكي على رسم درسْ   واقفاً ، ما ضرّ لو كان جَلَس

وأحسب أن ذلك كان كذلك ، لأن دعوته إلى التجديد انبثقت من شعوبية دفينة ! لكنّا نرى عند شاعرنا الصنوبري دعوة إلى الأخذ بوصف الرياض ومحاسنها .

وتتحوّل هذه الدعوة بعد ذلك إلى عاطفة جيّاشة غيورة على الطبيعة . يقف الصنوبري موقفاً يصف الطبيعة وما فيها ، فيبذل من قلبه ومن عصبه فلذةً شعرية حتى يستخفّه الطربُ ، فإذا به غَيران على تلك الرياض غَيُور على هذه المرابع ، فلا يتمالك نفسه من أن يتوعّد ولو بحسرةٍ كلّ معتدٍ أثيم يحاول أن يَجْرُؤَ على هذه الجنائن ، وإذا به يخرج إلى عاطفة صادقة مشبوبة فيقول :

لو كنت أملك للرياض صيانةً   يوماً ، لَمَا وطىء اللئام ترابها

* * *

فما شأن شعر شاعرٍ كهذا ؛ يُعرف بروضيّاته ، ويلقّب باسم من الطبيعة ، ويدعو لها ، ويقفُ يذبُّ عنها ؟

* * *

يلاحظ الناظر في شعر الطبيعة الذي نظمه الصنوبري والذي نُعْنَى به في هذا البحث أن له قصائد ينسجُ فيها على هذا المنوال :

أرأيت أحسن من عيون النرجسِ   أم من تلاحظهنّ وسط المجلسِ ؟

... مغرورقاتٌ من ترقرق طَلّها ترنو بعين الناظر المتفرّس

وحكى تداني بعضها من بعضها يوماً ، تداني مؤنسٍ من مؤنسِ

وإذا نَعِسْنَ من المدام رأيتها ترنو إليك بأعين لم تَنْعَسِ

وأيضاً حين يتكلّم على نهر حلب ، قُوَيق :

وقد عابَهُ قوم وكلّهمُ له على ما تعاطوه من العيبِ عُشّاقُ

يَهاب قويقٌ أن يُمَلّ فإنما يقيمُ زماناً ثم يمضي فنشتاقُ

وحين يقول في الربيع :

قد تجلّى الربيع في حُلَلِ الزهرِ وصاغ الحَمَامُ حلي الأغاني

زُيّنت أوجه الرياضِ فأضحت وهي تُزهى على وجوه الحسان

ألبستها يَدُ الربيع من الألوان بُرداً كالأتحميّ اليماني(1)

فلو تأمّلنا هذه المقاطع من حيث الصور المتحرّكة لوجدنا مثلاً : صورة أعين النرجس وهي تتلاحظ ، أو صورة أعينها مغرورقة بالدمع من الندى ، أو صورة تداني بعضها من بعض ، ولوجدنا كذلك هذا النهر الذي يُكثر الهجر كَيْلا يُمَلّ ، ولوجدنا الرياض وُجُوهاً تحاسن الغانيات ، أو ألفينا يَدَ الربيع تُلبس هاتيك الرياض البرود اليمانية الملوّنة . وظاهر للعيان أن شاعرنا في هذا يُضْفي على الجمادات أو الأشياء غير العاقلة صفاتٍ إنسانيةً ، وهذا الضربُ من التصوير يعرف لدى الأكثرية بالتصوير الوجداني .

وهو شائع في شعر صاحبنا شيوعاً كثيراً . فلو تصفحتَ مجموعة شعر الصنوبري التي في ذيل البحث لَمَا رقيَ الشك إليكَ في أنّ الشاعر يتوكأ

(1) التّحمة شدة السواد والأتحم : الأدهم ، والأتحميّ : ضرب من البرود .

على الوجدانية في الشعر توكّؤاً كبيراً . قد يعود ذلك في المقـــام الأوّل إلى استعداد نفسيّ عند الشاعر ، وقد يعود ثانياً إلى نوع من المشاركة الفعلية بينه وبين مظاهر الطبيعة حتى يُتاح له هذا التعاطف المنسجم . إذ أن المصادر تخبرنا بأنه كان شديد الشغف بالرياض يرتادها ويؤمّها ويقضي فيها الليالي متنزّهاً قاصفاً لاهيا .

ويلاحظ الناظر ثانية أن للصنوبريّ أشعاراً يذهبُ فيها هذا المذهب :

وحظّي من نُقْلٍ إذا ما نَعَتُّــهُ نعتُّ لعمري منه أحسن منعوتِ

من الفستق الشاميّ كلّ مصونةٍ تُصَانُ عن الاحداق في بطن تابوتِ

زبرجدة ملفوفةٌ في حريرةٍ مُضَمَّنَةٌ درّاً مغشّىً بياقوتِ

وهذا النحو :

ونرجسٍ مُضَعَّفٍ تضاعف منه الحســـــنُ في أبيضٍ وفي أصفرْ

الدرُّ والتبرُ فيه قد خُلطا العين والمسكُ فيه والعَنْبَرْ

وعلى هذا النحو أيضاً وهو في وصف هرٍّ :

قُنفُذٌ في ازبراره وهو ذئبٌ في اغترارٍ[1] وحيّة في انسيابِ

ناصبٌ طرفه إزاء الزوايا وإزاء الســقوف والأبوابِ

يَنْتَضِي الظُّـفرَ حين يظفر في الحر بِ ، وإلا فظفره في قِرابِ

يسحبَ الصيدَ في أقلّ من اللمـــــح ولو كان صيده في السحابِ

(١) في الروضيات للطباخ ص ٦٦ : في افتراس .

فلو أمعنّا النظر في هـــذه الأمثلة السالفة وحاولنا استخراج الصور المتحرّكة منها كما فعلنا سابقاً ، لرأينا في صورة الفستق صورةً جامدةً ، ولرأينا في صورة النرجس سكوناً لا حركة فيه ، وللَمحنا في وصف الهرّ صوراً وتشابيه بأشياء أخرى من مرتبته ، لم ترفعه ولم تُضْفِ عليه صفةً وجدانية ، فبقيَ حيواناً . وهذا النوع من الوصف موضوعيّ . فالشاعر لا يُعْنَى فيه بشيء سوى التصوير الدقيق ، كأدقّ ما يمكن . بيد أنّه قليل الورود عند شاعرنا على استقلال ، ولولا اجتزاء الرواة وأصحاب كتب الشعر القدامى أبياتاً معدودات من قصائد طويلة ضاع أكثرها ، لأمكننا أن نقول بأن الصنوبري لم يضرب بسهمٍ كبير في هذا الموضوع وإنما جاء ضمن الاطار الوجداني كَلَمْحَةٍ انفلاتية خاطفة من عجلة الوجدان الدائرة .

تُقسَمُ أوصاف الصنوبري الموضوعية ثلاثة أقسام . أوّلها الوصف البنائي وهو وصْفٌ يبني به الشاعر الموصوف بناءً . فيبدأ بأجزاء الموصوف يركّبها تركيباً ويؤلّف ما بين هذه التراكيب . ففي مقطوعته في وصف الفستق الآنفة الذكر ، يراه يبدأ باللب ثم بما يحيطه ثم بما يحيط المحيط حتى يجتمع لديه بعد هذا التركيب فستقة شامية . وهذا النوع من الوصف على طرافته ورقّته وصفٌ جدّي . فالشاعر يُعيد خلق ما يصوّره . كأنما يبدع هذا الشيء مجدّداً تاركاً ما يكره منه مضيفاً إليه ما يرغب فيه محسّناً مجمّلاً . من أوصاف البناء أو التركيب وصفه للباقلاء :

فصوص زمرّد في غُلْفِ درٍّ بأقمــاع حكت تقليم ظُفْرِ
وقد خاط الربيــع لهـا ثياباً لها وجهان من خُضْرٍ وصُفْرِ [1]

---

(١) وفي رواية : بديع اللون من خضر وصفر .

وتوفيق الشاعر في هـــذا الوصف متوقّفٌ على الموصوف وتركيبه الطبيعيّ ، فهو إمّا متناسقٌ متراكم وإمّا منبسط متوازن . والشاعر يأخذ من كليهما بما يريد، فيصف التفاحة مثلاً منبسطة متوازنة كما يصف النرجسة .ويصف الشقيقة ساعة منبسطة وساعة متراكمة . فمن وصف الشقيق المتراكم التركيب :

جُمَمٌ سُرِّحت بلا مُشُطٍ أو طُرَرٌ قُصِّصَت بلا مقراضِ
حمرةٌ فوق خُضْرَةٍ وسوادٌ بين هـــذين معلمٌ ببياضِ

فلو وضعنا إزاءه وصف النيلوفر :

كدبابيس[1] عسجدٍ نصفها من زبرجدِ

لاتضح لنا معنى المنبسط المتراكم إذ أن الثاني منه .

ونستطيع أن نجعل ثاني أقســـام الوصف الموضوعي عند الصنوبريّ الوصف التحليلي : أي تحليل الموصوف بدل تركيبه . وهذا الوصف له زعيم — هو ابن الرومي — لا بُدّ وأن الصنوبري قـد تأثّر به . فمن أوصاف الصنوبريّ التحليلية وصف النرجس ، وما أكثر ما وصفه :

دررٌ تشقّق عن يواقيتٍ على قُضُبِ الزبرجدِ فوق بُسْطِ السندسِ
أجفانُ ياقوتٍ خفقن بأعينٍ من زعفرانٍ ناعمات المَلْمَسِ
وكأنها أقمار ليلٍ أحدقت بشموس أُفقٍ فوق غصنٍ أملسِ

كذلك وصفه للسوسن وهو وصف تحليليّ كما يُلاحظ :

كأنّه ملاعقٌ من فضّـــة[2] قد خُطّ فيها نقط العنبر[3]

---

(١) في الروضيات للطباخ ص ٢٢ : كدنانير . (المجلة)
(٢) وفي رواية : من ذهبٍ .
(٣) نرى أن يكون الشطر الثاني هكذا : قد خط فيها نقطٌ من عنبر . ليستقيم البيت بشطريه .

كذلك وصف الأقحوان الأصفر (البهار) والشقيق وغيرهما مما يجده القارئ في ذيل هذا البحث .

وأما القسم الثالث من وصف الصنوبري الموضوعي فهو الوصف العام الذي يباشره من أيّ جهة أو صوبٍ تاركاً التحليل والتركيب آخذاً الموصوف كما يراه من الخارج ، كأن يصف روضةً مثلاً فيذكر غدرانها ومياهها وزهرها وشجرها ، دون أن يبين أيها يحيط بالآخر أو أيها فوق الثاني أو تحته . وأوصاف الصنوبري في هذا الباب كثيرة ، وأكثر ما تردُ خلال وصفه الوجداني المشار إليه آنفاً . وكأني به عندما لا يقدر أن يحيط بالموصوف وجدانياً ينفلت إلى مثل هذا النوع وهو وفي هذا الوصف إمّا أن يشبّه الموصوف بشيء آخر ، أو يصف حركته وهيئته ، أو يصفه في حالٍ من أحواله .

* * *

ولا يتبادرنّ إلى الأذهان أنّ هذه التقاسيم مستقلةٌ قائمةٌ بذاتها وأن الحدود بينها فاصلة قاطعة كأنها حدود رياضيّة ؛ كلاّ بل إن هنالك خاصيّة التمازج والتداخل . وقلّما تجد هذا الفصل القاطع وحيداً في غير المقاطع الصغيرة والتي أشرنا إلى اجتزاء الرواة والمؤلفين لها من قصائد طويلة ضاعت . ومن الخطل أن يزعم أحدٌ غير هذا لأن هذه التقسيمات إنّما هي نظرية بحت ، مستمدّة من الشعر الذي بين أيدينا ، فمنها ما نجد له الشاهد أو الشاهدين ، فلم نستبعده وإنما أبقيناه لمنطقية السياق ، ولمحاولة الإلمام بكلّ جوانب الموضوع . وأنا لعلى يقين أن ديوانه يحوي العديد من الشواهد .

* * *

من قبيل ترتيب شعر الصنوبري في أبواب موضوعية تتوقّف على ستّة حقول موضوعية رئيسيّة . فسيساعدنا هذا على تحليل بعض النماذج من شعره والتكلّم على بعض مزاياه .

* * *

أوّل هذه الحقول ، شعره في الرياض الطبيعيّة والصناعية . فعندما يتكلّم الصنوبري على الرياض الطبيعية يكون شبح الربيع بادياً بجلاء . فكأن الربيع فنّان همّه الأول تزيين الأرض وإنبات النبت والزهر وإحياء أعراس الطبيعة . والربيع ليس كباقي فصول السنة ، فاختلافه عنها شديد وبيّن . هذه فكرة الصنوبري عن الربيع . تبرز هذه النزعة جليّة واضحة في مطلع قصيدة رائعة ، يعرض في الأبيات الثلاثة الأولى شأن الجوّ والأرض في فصول السنة الثلاثة ما عدا الربيع . وأما الفصل الأخير ، فبنظر الشاعر ، هو الحياة بأجمعها ، بل هو « الدهر » :

إن كان في الصيف ريحان وفاكهة فالأرض مستوقد والجوّ تنّورُ
وإنْ يكُنْ في الخريف النخل مخترفاً فالأرض محسورة والجوّ مأسورُ
وإنْ يكن في الشتاء الغيث متّصلاً فالأرض عريانة والجوّ مقرورُ
ما الدهرُ إلّا الربيع المستنير ، إذا جاء الربيع أتاك النَّورْ والنُّورُ
فالأرض ياقوتةٌ والجوّ لؤلؤةٌ والنبتُ فيروزج والماءُ بلّورُ

لو تفحّصنا الأبيات الثلاثة الأولى ورأينا وجه التشابه والتركيب فيها ورأينا ما يريد الشاعر أن يشير إليه ، وهو شرط وجود شيء مستحسنٍ في كل فصل يَنْسَخُهُ عن الروعة والكمال شيئان وهما حال الأرض وحال الجوّ

آنئذٍ ، اتّضح لنا أنّ الربيع عند الصنوبري فصلُ الروعة والكمال . حتّى إن العطاء الشعري لدى الشاعر حين تكلّم على الربيع ازدان بالبديع المجوّد ، وارتفعت المعاني الشعرية فجأة ؛ فاذا الربيع إنسان يأتي ويروح وتأتي في ركابه الأفراح والبهجة متمثّلةً بالنور والزهر ، وتروح في إثره مخلّفةً الحرّ والقرّ . ويُلاحظ أيضاً الترتيب الطبيعيّ لسياق الفصول : إذ يبدأ بالصيف فالخريف فالشتاء ، ثم الربيع . وقبل أن ينتقل إلى وصف الربيع يُجْمِلُ ذلك كلّه في البيت الأخير مستعيراً الألوان من ألوان الجواهر .

وليست مظاهر الربيع تأتي معه من تلقاء نفسها عند شاعرنا ، بل الربيع نفسه هو الذي يُعْمِل يده في إخراج هذه المباهج والمفاتن :

يا ريم قُومي الآن ويحك فانظري ما للرّبى قد أظهرت إعجابها
كانت محاسن وجهها مستورة فالآن قد كشف الربيع حجابها

وتتجلّى هذه الدعوة على أشدّها في هذا البيت :

إنّ آذار لم يذر تحت بطن الأر ض شيئاً أكنّــه كانون

وعلى توفّق الشاعر في الجناس هنا ، نرى صورة مستطرفة رائقة : كأنّ الشتاء (متمثّلاً بشهر كانون) والربيع (متمثّلاً بشهر آذار) جاهدان على تعطيل الواحد عمل الآخر : وشتّان ما بين عمل الشتاء والربيع .

أما البساتين التي جالت بها يدُ الإنسان لتزيد في حسنها ، فلا يختلف وصف الصنوبري لها عن وصفه للمرابع الأخرى ؛ غير أننا نرى ازدياد عدد الأشياء المذكورة وتعدّد المسمّيات . ويرافق هذا الوصف عادةً ثلاثة معان

تتردّد دائماً . فالمعنى الأول فكرة الحب والحنين إلى هذه المآلف والشوق إليها ووجود هذا يستتبع وجود الثانية وهي فكرة وصل الرياض ، والمعنى ههنا أمُّ الرياض . أما المعنى الثالث ففكرة تعاطي الخمر والقصف . والأبيات التالية المقتطفة من قصيدة طويلة تمثّل ما ذهبنا إليه أصدق تمثيل :

أما الرياض فقد بدت ألوانها ... صاغت فنونَ حُليِّها ألوانُها

رقّت معانيها ورقّ نسيمها ... وبدت محاسنها وطاب زمانها

واهاً (لراقفة) الجنوب محلّةً ... حفّت بها أنهارها وجنانها

وكأنّ أيام الصّبا أيامها ... وكأنّ أزمان الهوى أزمانُها

حُثّ الكؤوس فإن هذا وقتُها ... وصلِ الرياضَ فإنّ ذا إبّانها

* * *

والمعنى الرئيسيّ الثاني الذي سنقف عنده هو وصف الأزهار والرياحين . وقد ضرب الصنوبري بسهمٍ كبير في هذا الباب . ولم تعدم كلّ قصيدة تقريباً في موضوع الطبيعة عامةً وصفاً أو ذكراً لزهر « أو ريحان » . على أنّ هنالك أنواعاً من الزهر أولاها عناية خاصةً : منها النرجس . والمعاني التي وردت عنده في ذكر النرجس تتردّد ما بين الوجدانية والموضوعية . وقد أجاد الصنوبري في كلا النوعين . والمعاني الشائعة عنده تشبيهها بالعيون وما يدخل في هذا الباب من تلاحظٍ ورنوٍ ونظرٍ ، ومن جفنٍ وحدقةٍ ودمعٍ وما إلى ذلك . بيد أنّ ألطف ما توصّل إليه في هذا المعنى :

وردٌ بدا يحكي الخدود ونرجسٌ ... يحكي العيون إذا رأت أحبابها !

فقد مزج ما بين التشبيه والتَّصرُّف . فالنرجسة كالعين حال رؤية الحبيب ، حين تلتمع بالبهجة وتطرق خجلاً واستحياءً . وهذا البيت إذا أمعنّا النظر فيه نرى أن الجملة الظرفية الأخيرة ، « إذا رأت أحبابها » يمكن أن تنطبق على العيون والخدود ، أي النرجس والورد ، وما يرافقها من إطراق وتورّد ، ولا أزيد قائلاً : إنه بيت رائع .

ومن وصفه النرجس بيتان رائعان أيضاً غاية في التشبيه . ولا بأس في إيرادهما بالحرف :

كأنما النرجس في روضه إذا ثنته الريح عن قُرْبِ
أقداح ياقوتٍ تعاطيكها أناملٌ من لؤلؤ رَطْبِ

فهذه الكأس الصفراء ، وربما كانت هنالك يواقيت صفر ، تخيّل الشاعر أنامل مطبقةً عليها ، بيضاء من غير سوء ، فيها رقّة اللؤلؤ وصفاؤه ، ومن لا يستطيع أن يرى نرجسةً أمام ناظريه بعد قراءة هذين البيتين ، لا يستطيع أن يرى شيئاً .

وتكتمل هذه الصورة الرائعة لشاعرنا في حبّه للنرجس حين يفضله على الورد ، سلطان الأزهار ، ويقيم مساجلةً بينهما ينتصر فيها الوردُ بحجّة دامغة على النرجس استقاها من حسن الأخير . وما ذنب هذا الزهر البديع أن يلام إذا كانت عيونه مريضة ، أو ليست العيون التي في طرفها مرضٌ تقتلُ ذا اللب حتى لا حراك به ؟ وتتفاقم الحال وتتأزّم ؛ وإذا الروض ينقلب إلى « ديوان سلطاني » وإذا بالنرجس يتغلّب على الورد مرّةً ثانية في الحسن حتى يخجله :

خجل الورد حين لاحظه النر جس من حسنه وغار البهار

لاحظ ههنا إيحاآت الأفعال (خجل وغار) باللون . فالخجل يولّد الاحمرار وهو لون الورد . والغيرة تولّد الصفرة وهي لون البَهار ، أي الاقحوان الأصفر .

وهل خجل الورد وحده من النرجس ؟ كلاّ ، لقد انقلب الروض بزهره إلى شعب يجلّ أميره ويودّ لو يفتك بهذا النرجس . وتتوافق الأزهار كلّها وتستجيش على محاربة النرجس الغضّ وتأتي دارعةً سائفةً بجحفلٍ جرّار يثير الغبار . بيد أن الشاعر يتدخّل ليحل الأزمة إشفاقاً على الزهرة المستضعفة المطّهدة ... وينجح في سعيه ، ويعود السعد يكسو الروض ثانيةً .

مع أن هذه المعارك والمفاضلات بين الزهر قد طُرِقت من قبل ، وكان أوّل من عمل في ذلك ابن الروميّ ، فإنّ الذي يدفع الصنوبري صعداً في هذا الحقل ويشفع له ، إحسانه التعبير وتوفيقه في النظم . وهذا الضربُ من النظم منتهى التشخيص وغايته . ولا أظنّ أن الوجدانية تتعدّى ذلك . فالتشخيص ههنا تعدى مرحلة إضفاء صفات إنسانية على الزهرة ، بل غدا هذا ثانوياً . انقلب الأمر إلى سلطان ورعيّة يأمرها فتطيعه ، وإلى مساجلات ومعارك وإشفاق ووساطات تؤدي إلى الصلح .

من المستحسن ههنا أن يُرجع إلى القصيدتين في هذه النزعة حيث توجدان في ذيل هذا البحث ، اقتصاداً للمقالة هذه ، إذ أن اجتزاء أبيات قليلة منها هنا للتمثيل يُعدّ جناية في حقها .

ومن الأزهار التي كثر قول الصنوبري فيها الشقيق . وإذا كانت قصيدته النرجس التي مطلعها « أرأيت أحسن من عيون النرجس » تُعَدّ القصيدة الأم في وصف النرجس وما سواها يتفرّع عنها في المعاني والصور ، فإنّ قصيدته في الشقيق التي مطلعها « وجوه شقائق تبدو وتخفى » تُعَدّ القصيدة

الأم في هذا الموضوع وسواها تفرّع عن معانيها. وتتجلّى النزعة الإنسانية الوجدانية فيها على أشدّها حين يقول :

إذا طلعت أرتك السرجَ تذكى وإن غربت أرتك السرج تطفا

ومن بليغ تشابيهه في الشقيق بيتان قصيرا البحر سريعا الوزن، ينقلان الفكرة إلى القارىء بعنف وسرعة :

وكأنّ محمرّ الشقيـــــق إذا تصوّب أو تصعّدْ

أعلام ياقوتٍ نشر ن على رماحٍ من زبرجدْ

والسريّ الرفّاء، معاصر الصنوبري، بيتان في وصف الشقيق بها نفس السرعة في الأداء على أن المعنى يشبه معنى الصنوبري في وصف النرجس بالقدح كما مرّ معنا :

وشقيق جـــاده الغيـــث رواحاً وابتكارا

مثلما أترع ساقي الرا ح أقداحاً صغارا

وكلا المعنيين بليغ التشبيه .

والورد لا يقف عند حدّه مرّة ثانية بل يظهر غيرته من الشقيق أيضاً ويشق عليه أن يكتسي بالحمرة المحبّبة كحمرة الخدود أكثر منه :

شقيقة شقّ على الورد ما قد أخذت من كثرة الصبغ

كأنّما في حسنها وجنةٌ يلوح فيها طرف الصدغ

هذا مع أن الشقيق قد لطم خدّه انتصاراً للورد في المعركة السالفة الذكر :

عندها أبرز الشقيق خدوداً صار فيها من لطمه آثارُ

على أنَّ المكانة الأولى تبوَّأها النرجس مستأثراً بشغف الشاعر نائلاً منه اهتماماً أزيد ، والتفاتاً أكثر . ويتفرّع اهتمام الشاعر في الأزهار الباقية ، إمّا ذكراً وحسب ، وإمّا وصفاً موجزاً مقتضباً .

ويدخل في هذا الباب أيضاً وصف الخضار والفواكه . بيد أن الصنوبري لم يضرب بسهمٍ كبير في هذا الموضوع حسب النماذج التي عثرنا عليها . كما أنه لم يُعنَ بوصف الأشجار عنايته بوصف الأزهار . ولعلّ ذلك عائد إلى طبيعة النوعين لما في الزهر من شؤون تثير الحواس ، فتبعث على الاهتمام أكثر من سواها . ففي الزهر اللون والرائحة والدقة واللطف ولكنّ أطرف معنىً ورد عنده في وصف الشجر جاء في قصيدته التي مطلعها « يا ريمُ قومي الآن ويحكِ فانظري » وهي قصيدة من عيون شعره ، قال فيها يصف السرو :

والسرو تحسبه العيون غوانياً قد شمّرت عن سوقها أثوابها
وكأنّ إحداهنّ من نفح الصّبا خودٌ تلاعبُ موهناً أترابها

* * *

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى ظاهرة بارزة تستوقف النظر . فقد رأينا في وصف الصنوبري للزهر ضروباً كثيرة من التشبيه وذكر الألوان وما إلى ذلك ، بيد أننا لم نقع على ذكرٍ لرائحة الزهر بحيث نجعلها من موضوعات شعره ، وهذا غريب عجيب منه ، لم يصرّح ولم يلتفت إلى الروائح التفاته وتصريحه بالألوان والأشكال الزهرية والشجرية والخضرية . فهل هنالك سبب مباشر أو غير مباشر لهذه الظاهرة ؟

* * *

وما دمنا في حديث الأزهار والأشجار ، ننتقل إلى الحقل الثالث ، إلى شيء يتّصل بالأشجار اتصالاً وثيقاً ، ألا وهو الطير . ولقلّة ورود

الأطيار نسبياً أحببنا أن ندرج معه كذلك ذكر الحيوان على اختلاف نوعه وجنسه . فيدخل في هذا المقام قصيدته في وصف الهر ، وقصيدته الأخرى في وصف الديك والتي هي من فرائد شعره .

نلاحظ من المواقف التي ورد بهـا ذكر الطير أن ما يفتنه منه هو تغريده . وهذا التغريد يضفي على الرياض روعة وجمالاً في عُرْف شاعرنا ويأتي ليزيد في حسنها . وإذا ما أشرقت الرياض بزهر الخيري والنسرين وحفّ بالبستان مُسْتَكْمَل اللون وأصفاه :

صاح فيه الهزار ، ناح به القمري ، غنّى في جوّه الشفنين[1]

وأمّا أنتَ أيها الآمُّ الرياضَ فـَ :

حيث التفتّ فقمريّ وفاختةٌ يغنّيـان وشفنين وزرزورُ

إذا الهزاران فيه صوّتا فهُما بحُسن صوتهما عودٌ وطنبورُ

وهل الكمال بآلات الطرب وحدها ، أفلا يريدُ السعيد غناءً وما فائدة العود والطنبور مغرّدين ؟ لذلك :

غنّى عليها (الخازباز)[2] تطرّباً فعلَ القيان تجاوبت ألحانُها

فأيّ روعة تفوق هذا[3] وأيّ جنّةٍ تفوق هذا :

ما أتى الناسَ مثلَ ذا العام عامٌ لا ولا جاء مثلُ ذا الحين حينٌ

ويفتنُ شاعرنا لون الطير كذلك ، وما أشدّ افتتان صاحبنا بالألوان . فالورشان طائر إذا غنّى جعل نزهتك في الرياض نزهتين : أسمعك ما تشاء

(١) الشفنين : نوع من الحمام أو هو : اليمام وجمعه : شفانين .

(٢) الخازباز [بكسر الجزءين] وهو الذباب البرّي يكون في الأرض أو يطير على الشجر ، قال المتنبي : ومن الناس من يجوز عليه شعراءٌ كأنها الخازباز (المجلة)

(٣) قال ابن الرومي :

فكانت أرانين الذباب هناكم على هوات الطير ضرباً موقعا

وما لا تشاء ، أضف إلى ذلك ارتداءه برداءٍ من السوسن ، و :

قد تغشّى لونَ السماءِ قَراهُ(١) وتراءى من جيده الفرقدانِ

ولا نزال نقع للصنوبري هنا وهناك على ذكر لطير أو حيوان . على أن أروع ما جادت به قريحته هو وصف الديك ، ومن الأفضل الرجوع إلى القصيدة كاملةً في الذيل .

أوّل ما يدهشنا به الشاعر في القصيدة ذلك الحِسُّ الوجداني الخالص الذي يجعل من الديك منادياً للفجر كأنه بندائه يُبْزِغُه :

مغرّد الليل لا يألوك تغريدا ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

أرأيتَ أرقّ من هــذه الـ « ملّ الكرى » ! ثم أرأيت أرقّ من ديك يضجر من النوم فيجهد ينادي الصبح . انّه لمغرّد يثير إشفاقاً على نفسه . كفى هجوعاً ، يقول الديك لنفسه أين الصبح ، يزيد متأفّفاً ويَبْزغُ الفجر فيطرب الديك ، ويهزّ أعطافه وتمدُّ جيده كي يطيل مدّ صوته ... وتَتكشّفه البهجة بالصبح حتى يبدو :

كلابسٍ مِطْرَفاً مُرْخٍ ذوائبه تضاحك البيضُ من أطرافه السودا

وهو ديك كأنه من ملوك الديكة ، له قلادة حمراء يقصّر الورد عنها حمرةً ، وعيناه ترى ما ليس يحدّ ، وله تاجٌ كأنه تاج كسرى ، وكأنّ ظُفْرَيْه اللّذين في عقب رجليه ، بعد ذكر التيجان والملوك ، أوحيا لشاعرنا ممنىً يرافق ذلك ، فقال :

أو فارسٍ شدّ مهمازيه حين رأى لواء قائده في الحرب معقودا

* * *

(يتبع) فوّاز أحمد طوقان

(١) القرا : الظهر .

مجتمع الهمذاني

من خِلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من وسائلها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

– ٣ –

أخبار المجون في التاريخ :

كان المجون يعيش إلى جانب الورع والزهد في مجتمع واحد ، وقد رأينا أن لا عجب في ذلك ، وأنه تناقض معقول ؛ إن الزهد إلى جانب المجون لايعني أكثر من أن قوماً متديّنين رأوا طغيان الماجنين وتجاوزهم حدود العقل أو الطبع ، فخافوا على أنفسهم فتنة الغيّ وفرّوا بدينهم إلى الله إنقاذاً لنفوسهم ، وتحريراً لها من عبودية الشهوة والمتعة .

وليست أخبار المجون في كتب التاريخ بسرّ مصون ولا حديث مكتوم ، بل لقد وجدت هذه الأخبار خاصة من يبحث عنها ويُعنىَ بنشرها على الناس ، إنها وجدت في عصرنا هذا من يختار أمثلة منها ، وينفخ فيها من خياله ، تهويلاً وتضخيماً ، وينشرها في كل مناسبة ، بغية التشويه لقداسة أيام ماضية ، أو بغية الإفساد لحاضر يغريه بالتقليد ، أو يغويه بالمثل السيء . وأي تشويه أو إفساد هذا الذي بلغ من نفوس أبناء الجيل « الصاعد » أنه إذا أراد أحدهم أن يتخذ مثلاً لخلاعة ملك ماجن ، أو فجور ثري مستهتر ، اتخذه من أكرم شخصيات تاريخنا ، فمثّل بالخليفة هارون الرشيد ، مغفلاً ما قاله عنه التاريخ من أنه كان يحجّ سنة ويغزو أخرى ، وأنه كثيراً ما كان يبكي بين أيدي الوعّاظ والناصحين .

لقد غلب على عقول الجيل مانفثته الشياطين، وما زينته النفوس المغرضة حتى امحت الأمثولة الصالحة والقدوة الحسنة . وأي فجيعة أبلغ من فجيعة الأمة بتاريخها ؛ حين يفتح أبناؤها عيونهم فإذا الذي كان من أبطال الجهاد والتُّقى مثَل للخلاعة والاستهتار والفجور ؟

نعم إنه يجب أن نعرف خطأ الحاكم وانحراف الراعي ، ليؤتي تدريس التاريخ أُكُلَه ويحقق غايته ؛ لنعرف ماوقع السلف فيه من الخطأ فنجتنبه ، ونرى الباب الذي تسرّب منه الانحراف فنسدّه ، ولكنه شتان ما بين الذي ينشر أمام أجيالنا صفحات المجد الماضي لتكون لهم في أبطالها أسوة ، أو ينشر أمثلة من أخطاء الحكام وسوء تصرّفهم ، إنْ في السياسة أو في الحرب أو في الأخلاق ، ليبصّر بنتائج ذلك وما كان له من آثار في حياة دولهم وشعوبهم ، وبين من ينشر الماضي فلا يقف إلا على المخازي والآثام .

ونعود إلى أهل القرن الرابع لنقول إنهم عرفوا اللهو والمجون ، وكانت لهم حلقات يجتمعون فيها على الغناء والوتر والشراب والسمر ، وأن ذلك كان معروفاً بينهم ، وحسبك أن ترى مثالاً من حياة الترف والتبذير في أخبار المقتدر (ت ٣٢٠ هـ) وأخبار الوزير المهلبي (ت ٣٥٢ هـ) [١] ، وأن تسمع إلى عضد الدولة ينشد :

ليس شرب الكأس إلا في المطر ... وغناء من جوارٍ في السحر
غانيـات سالبـات للنُّهى ... ناغمـات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها ... ساقيات الراح من فاق البشر

على أنه ليس من غرضنا في هذا المقام أن نستعرض ما جاء عن مجالس اللهو والطرب في قصور الأمراء ومجالس الأغنياء ، ولكن الذي نحب أن ننبه عليه هو أن بديع الزمان الهمذاني قدّم لنا في مقاماته ما يشبه أن

---

(١) انظر يتيمة الدهر ٢ : ١٠٦ .

يكون صورة لهذا الجانب العابث من الحياة ، وهو لم يقصر حديثه على طبقة الأمراء والأغنياء ، وإنما تمدّى هؤلاء ، كما تمدّاهم في سائر أحاديثه — إلى طبقات أخرى من أهل مجتمعه ؛ لقد حدّثنا الهمذاني عن شباب القوم ومجالس لهوهم وعبثهم ، كما حدثنا عن الوعّاظ وما كان في وعظهم من نصح وإرشاد وحثّ على الزهد ... بل وما كان في أحاديث بعضهم أيضاً من مداهنة واحتيال وخداع .

وقد كثر الوعظ في المقامات ، وكثر اتخاذه وسيلة للكدية أو الخداع حتى أصبحنا نعجب إذا رأينا في مقامة من المقامات وعظاً صادقاً ليس للمقامة غرض آخر سواه ، على غير ما تعوّدنا في جميع المقامات . وذلك هو الوعظ الذي نسمعه في المقامة الأهوازية حيث نفاجأ بجواب الواعظ للذين سألوه في آخر وعظه : ما حاجتك ؟ فقال : « أطول من أن تحدّ وأكثر من أن تعدّ » قلنا : سانح الوقت . قال : ردّ فائت العمر ، ودفع نازل الأمر . قلنا : ليس ذلك إلينا ، ولكن ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها . قال : لا حاجة لي فيها وإنما حاجتي بعد هذا أن تخِدُوا(١) أكثر من تمشوا(٢) . »

إنها فلتة من أبي الفتح الإسكندري الواعظ ، وإن لم تكن غريبة عن المجتمع الذي يصوره أدب الهمذاني .

المجون في المقامات : وكما حدثنا بديع الزمان عن الجانب الزاهد في المجتمع ، كذلك حدثنا عن الجانب الآخر ، جانب اللهو والمجون ، ولم يُغفل تصوير الحياة العابثة اللاهية ، بل أخذ بأيدينا إلى بعض مجالس القوم ، وأطلعنا على ما يدور فيها من أسباب اللهو والمتعة ، وهو لا يقف بنا وقفة التاريخ أمام أبواب الخلفاء ، وقصور الأمراء ، أو يمرّ ببعض هذه الأخبار

---

(١) الوخد : ضرب من السير السريع .
(٢) المقامة الأهوازية : ٦٣ .

مرور المؤرخ يشير ويلمح ، ولكنه يفصّل ويصرّح ، بل يلج بنا مجالس القوم وحاناتهم ، ويرفع لنا الستار عن اجتماعهم على الخمرة والوتر .

قال عيسى بن هشام : « جعلت النهار للناس والليل للكاس ، واجتمع إلي في بعض لياليّ إخوان الخلوة ، ذوو المعاني الحلوة ، فما زلنا نتعاطى نجوم الأقداح ، حتى نفد ما معنا من الراح ، واجتمع رأي النُّدمان على قصد الدنان فأسلنا نفسها وبقيت كالصدف بلا درّ أو المصر بلا حرّ ، ولما مسّتنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة إلى حان الخمّارة والليل أخضر الديباج مفتلم الأمواج [1]. »

وهو لا يكتفي بأن يجمعنا إلى « إخوان الخلوة » وأن يشير إلى قصدهم حان الخمّارة وإنما يمضي بنا ــ لنرى كيف انقضت تلك الليلة ــ فيقول : « ولما حشرج النهار أو كاد ، نظرنا فاذا برايات الحانات أمثال النجوم في الليل البهيم ، فتهادينا بها السرّاء وتناشرنا بليلة غرّاء . ووصلنا إلى أفخمها بابا ، وأضخمها كلابا ، وقد جعلنا الدينار إماما ، والاستهتار لزاما ، فدفعنا إلى ذات شكل ودلّ ووشاح منحلّ ، إذا قتلت ألحاظها أحيت ألفاظها ، فأحسنت تلقّينا وأسرعت تقبّل رؤوسنا وأيدينا ، وأسرع من معها من العلوج إلى حطّ الرحال والسروج وسألناها عن خمرها فقالت :

خمر كريفي في العذوبـــة واللذاذة والحــلاوة
تذر الحليمَ وما عليـــه لحلمه أدنى طُلاوة

كأنما اعتصرها من خدّي أجداد جدّي ، وسربلوها من القار بمثل هجري وصدّي ، وديعة الدهور وخبيئة جيب السرور ، وما زالت تتوارثها الأخيار ويأخذ منها الليل والنهـار ، حتى لم يبق إلا أرج وشماع ووهج لذّاع ، ريحانة النفس وضرّة الشمس . فتاة البرق عجوز الملق ، كاللهب

(١) المقامة الخمرية : ٢٤٤ واغتلم : هاج .

في العروق ، وكبرد النسيم في الحلوق ، وصباح الفكر وترياق سمّ الدهر ، بمثلها عزّر الميت فانتشر ، ودووي الأكمه فأبصر .

قلنا : هذه الضالّة وأبيك . فمن المطرب في ناديك ؟ ولعلها تشمشع للشرب بريقك العذب ! قالت : إنّ لي شيخاً ظريف الطبع طريف المجون ، مرّ بي يوم الأحد في دير المربّد فسارّني حتى سرّني ، فوقعت الخلطة وتكررت الغبطة ... وسيكون لكم به أنس وعليه حرص (١) .. » .

فأي شيء فاتنا بعد هذا الوصف من مجالس الخمرة ؟ لقد رأينا الحانة ودخلناها وعرفنا بابها وكلبها ومستخدميها من العلوج ، ورأينا صاحبتها ذات الشكل والدلّ والوشاح المنحلّ ... وتخيّلنا خمرتها وعتقها ولونها ، وعرفنا مؤنس الندمان ومطربهم ...

بل إن الهمذاني استطاع في المقامة أن يصوّر لنا الجانبين جميعاً ؛ وذلك حين رسم صورة الشباب المنكبين على الخمرة ، وصورة الأتقياء المحافظين على الصلاة في مساجدهم ، وجعل المصلّين يتألّبون على المخمورين بعد أن فاحت منهم ريح الخمرة في المسجد ، قال ابن هشام : « ... واجتمع إليّ في بعض لياليّ إخوان الخلوة ذوو المعاني الحلوة ، فما زلنا نتعاطى نجوم الأقداح حتى نفد ماممنا من الراح ، واجتمع رأي الندمان على قصد الدنان فأسلمنا نفسها وبقيت كالصدف بلا درّ أو المصر بلا حرّ ، ولما مسّتنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة إلى حان الخمّارة ، والليل أخضر الديباج مغتلم الأمواج . فلما أخذنا في السّبْح ثوّب منادي الصبح ، فخنس شيطان الصبوة وتبادرنا إلى الدعوة ، وقمنا وراء الإمام قيام البررة الكرام ، بوقار وسكينة وحركات موزونة ، فلكل بضاعة وقت ولكل صناعة سمت ، وإمامنا يجدّ في خفضه

(١) المقامة الخمرية : ٢٤٧ .

ورفعه ، ويدعونا بإطالته إلى صفعه ، حتى إذا راجع بصيرته ورفع بالسلام عقيرته ، تربّع في ركن محرابه وأقبل بوجهه على أصحابه ، وجعل يطيل إطراقه ويديم استنشاقه ، ثم قال : أيها الناس ، من خلط في سيرته وابتُلي بقاذورته ، فليسمه دِيماسه (١) دون أن تنجسّنا أنفاسه ، وإني لأجد منذ اليوم ريح أم الكبائر من بعض القوم ، فما جزاء من بات صريع الطاغوت ثم ابتكر إلى هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع ويدابر هؤلاء أن يقطع ، وأشار إلينا فتألّبت الجماعة علينا حتى مزّقت الأردية ودميت الأقفية ، وحتى أقسمنا لاعدنا وأفلتنا من بينهم وما كدنا (٢) » .

فجمع الهمذاني في هذه المقامة بين أهل المسجد وأهل الحانة ، وبين من في المحراب يركع ويسجد ومن مع الدنّ يقوم ويقعد ، فكان منصفاً لهؤلاء وأولئك جميعاً ، وأعطى كلاً منهم حقه من الوصف ، فكانت مقامته ممثلة لطائفتين في مجتمعه ، وهما طائفتان ما زالتا موجودتين إلى اليوم جنباً إلى جنب في كل مجتمع .. وكانت أخبار الهمذاني عن الوعظ والزهد واللهو والمجون لاتقلّ وضوحاً عن أخبار التاريخ إن لم تكن أكثر تفصيلاً وتصويراً في بعض الأحيان .

عقليّة العامة : أما عقلية القوم في القرن الرابع فقد حدثنا عنها التاريخ بما يرفع رأس أمتهم فخراً واعتزازاً ؛ كانت عقلية جبّارة نشيطة مبدعة خاضت كل علم ، وألّفت في كل فنّ ، واستوعبت ما ورد إليها من قرائح العقليات الغريبة عنها كالفارسية واليونانية والهندية . . . وحسبنا أن نتذكر أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع لنعلم مدى ماوصلت إليه تلك العقلية من نضج ورقيّ . ولكن هل القوم كلهم علماء ؟ وهل القوم كلهم ذوو عقليات

---

(١) الديماس : الكن ، ويعني به البيت .

(٢) المقامة الخمرية : ٢٤٥ .

راقية تسبر الأغوار ؟ لا بدّ من ترك العلماء جانباً للبحث عن الصّفات العقلية للسّواد الأعظم من الناس .

إيمانهم بالأحراز : لعل من أبرز خصائص « عقلية العامة » سرعة التصديق؛ فهم يؤمنون بادي الرأي ، ويصدّقون بسرعة عجيبة كل ما يقال لهم ، كما رأينا في الحديث عن دجل بعض الوعاظ ، واتخاذهم الوعظ مطيّة لبلوغ المآرب الخاصة والغايات الدنيا ، وكيف كان الناس يصدّقونهم ويقبلون عليهم . ولعل لنا في المقامة الحرزية مثالاً أوضح لتبيان ما كانت عليه العامة من سرعة الإيمان وسلامة الطويّة ، ومن أسرع إيماناً وأسلم طوية ممّن يعتقد أن حُرزاً يُنجي من الغَرَق ؟ وليته كان حرزاً متصلاً بأسباب الدين ، أو كان آيات من القرآن الكريم ، إذاً لكان للقوم عذرهم لما يوحي به الإيمان بالدين من الاطمئنان ، وما يلقيه في النفس من السكينة ، ولكنه حرز مصون بالديباج والعاج ، يتلقّاه القوم مؤمنين ، قبل أن يعلموا حقيقة ما يحتويه ! قال عيسى بن هشام يصف عودته من السفر : « ولمّا ملكنا البحر وجُن علينا الليل ، غشيتنا سحابة تمدّ من الأمطار حبالاً وتحوز من الغيم جبالاً ، بريح ترسل الأمواج أزواجاً والأمطار أفواجا ، وبقينا في يد الحَيْن بين البحرَيْن ، لا نملك عدّة غير الدعاء ، ولا حيلة إلا البكاء ولا عصمة غير الرجاء .

وطويناها ليلة نابغية ، وأصبحنا نتباكى ونتشاكى ، وفينا رجل لا يخضلّ جفنه ولا تبتلّ عينه ، رخيّ الصدر منشرحه نشيط القلب فرحه ، فعجبنا والله كل العجب ، وقلنا : ما الذي أمّنك من العطب ؟ فقال : حرز لا يغرق صاحبه ، ولو شئت أن أمنح كلاّ منكم حرزاً لفعلت . فكلّ رغب إليه وألحّ في المسألة عليه . فقال : لن أفعل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم ديناراً الآن ويعدني ديناراً إذا سلم ، فنقدناه ما طلب ووعدناه ما خطب ،

وآبت يده إلى جيبه فأخرج قطعة ديباج فيها حُقّة عاج ، قد ضُمّن صدرها رقاعا ، وحذف كل واحد منا بواحدة منها »[1] والطريف أن يستمر خداعه وأن ينقدوه ما وعدوه بعد سلامتهم من الغرق ، « فلما سلمت السفينة وأحلّتنا المدينة اقتضى الناس ما وعدوه فنقدوه . » ! !

إيمانهم بشياطين الشعر : ويحدثنا الهمذاني في مقامة أخرى عن إيمان بعض الناس بشياطين الشعر ، أولئك الذين يوحون إلى الشعراء بأشعارهم ، وليس بعيداً أن تكون لهذه الأسطورة الجاهلية ذيول في أذهان بعض الناس ؛ في المقامات أن عيسى بن هشام يدهش حين يسمع أن قصيدة :

بان الخليط ولو طووعت ما بانا وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا

ليست لجرير ، وإنما هي لرجل آخر هو أبو مُرّة . . ، وتجري بينهما محاورة يتهم ابن هشام فيها أبا مرة بالانتحال ، فيكشف أبو مرّة أمره ويقول : « وكنت أكتمك حديثي وأعيش معك في رخاء لكنك أبيت فخذ الآن : فما أحد من الشعراء إلا ومعه معين منا ، وأنا أمليت على جرير هذه القصيدة ، وأنا الشيخ أبو مُرّة ، قال عيسى بن هشام : ثم غاب ولم أره . »[2]

ولسنا نريد استقصاء الأمثلة الدالة على خصائص عقلية العامة ومعتقدهم ، إذ سيمر بنا كثير من ذلك حين نتحدث عن خصائص القوم عامة وسذاجتهم وحين نتحدث عن الكدية والمكدين وما كانوا ينصبون للقوم من شراك وغير ذلك مما يدل على النفس السليمة والعقل الساذج ، وللكدية والمكدين في المقامات حديث طويل سنخصّه ببيان من التفصيل .

---

(١) المقامة الحرزية : ١٢٤ .

(٢) المقامة الإبليسية : ١٩٣ .

لغتهم : لغتهم أو كلامهم لا نعني به هنا أسلوبهم ذلك الذي عرفناه في إنشاء القرن الرابع وأدبه ، وإنما نريد به ما كان يدور على ألسنتهم من حكاية مرتجلة وحوار غير مشذّب ، وكلام عام وشتائم .. مما لم يذكره التاريخ ؛ لأنه لم ينطق به عظيم ، ولم يحفظه الأدب ، لأنه بعيد أحياناً عن « الأدب » .

أما الحكايات والقصص فإن أردنا معناها أو محتواهـا فهو في المقامات واضح جليّ ، وقد رأينا ذلك حين استعرضنا موضوعات المقامات ، وأما إن أردنا منها أسلوبها ، وهو الذي كنا نودّ معرفته ، فلن تفيدنا المقامات في معرفته شيئاً لأن صاحبها كما نعلم كتبها بأسلوبه المصطنع ، وأنطق الأشخاص فيها بكلامه المسجّع . على أن البديع حاول أن يُنطق كل شخص بما يناسب مقامه ، فكان لصاحبة الحانة أسلوب ، وللحمّاميّ أسلوب ، وللسَّوادي أسلوب ..

شتائمهم : وأما شتائمهم فالهمذاني لا يخجل من نقلها إلينا ، وهي ليست أقل قذارة من شتائم رعاع اليوم إن لم تفقها إفحاشاً وإقذاعاً .

وقد مرّ معنا أن في المقامات ما يستحي الأديب من قراءته ويخجل من شرحه وأن الكتّاب أغفلوا المقامة الشامية وبعض المقامة الرصافية لما فيها من بذاءة وإفحاش[1] .

وقد يكتفي الهمذاني في بعض الأحيان بالإشارة إلى السباب والشتم دون توضيح أو تفصيل ، كأن يقول : « فعمد إلى أعراض يسبّها . »[2] وقد يصرّح ويفصّل كما فعل حين نقل ملاسنة جرت بين اثنين من المستخدمين في أحد الحمّامات[3] وانتهت بانسلال عيسى بن هشام وهو « يسبّ الغلام بالمصّ والمصّ » . بل إن بديع الزمان يجعل من إحدى مقاماته مسرحاً

---

(١) مقدمة المقامات : ص ٧ وانظر ما سبق في ص : ٦٠٥ العدد ٣ المجلد ٤٣ .
(٢) المقامة الأرمينية : ١٩٧
(٣) المقامة الحلوانية : ١٨٠ .

لاثنين من أبطال الشتيمة يتنافسان فيها ويأتيان بكلام اضطررنا إلى حذفه من المقامة ؛ وذلك في المقامة الدينارية التي يعد عيسى بن هشام فيها أن يهب ديناراً لأمهر الرجلين في السبّ والشتم وقال : « ليشتم كل منكما صاحبه فمن غلب سلب ومن عزّ بزّ . »(١) وكانت منافسة حامية بين أبي الفتح الاسكندري الذي قذف حممه سائلة وصلبة ، حارّة وباردة . . وبين خصمه الذي قذفه بسيل دافق من السباب المرّ والشتم القبيح حتى عجز عيسى بن هشام عن تفضيل أحدهما على الآخر ، فقال : « فوالله ما علمت أي الرجلين أوثر ، وما منهما إلا بديع الكلام عجيب المقام ألدّ الخصام ، فتركتهما والدينار مشاع بينهما وانصرفت وما أدري ما صنع الدهر بهما . »(٢)

على أننا إذا لم ننقل الكثير من كلامهم لفحشه ، فلا بدّ لنا من الإشارة إلى أنهم ما كانوا يجدون في قوله واستعماله شيئاً من الحرج ، وكما قيل : لكل مقام مقال ، فكذلك لكل يوم كلام . وليس أدلّ على شيوع اللفظ المستهجن والكلمة الفاحشة على ألسنتهم وعدم استنكارهم لها من استعمال أكابرهم لها وصدورها عنهم ، يؤيد ذلك ويؤكده ما نقله الثعالبي من هجاء الصاحب بن عباد لخصومه(٣) ، ومن كلام الصابي في الهجاء أيضاً(٤) ، فإذا كان أمثال الصاحب والصابي لا يترفعون عن اللفظ البذيء والمعنى السافل فلا عجب في قذارة شتائم العامة وفحشهم في السّباب .

هيئاتهم : قد لا يكون هناك اختلاف في الهيئات العامة للناس بين عصر وعصر أو بين مكان ومكان ، ولكن الهيئات الخاصة والملابس تختلف باختلاف

(١) المقامة الدينارية . ٢٢٥ .
(٢) المقامة الدينارية .
(٣) يتيمة الدهر ٣ : ٢ ١ .
(٤) يتيمة الدهر ٢ : ٦٣ ـ ٦٥ .

الأزمنة والأمكنة ، وباختلاف المراتب والأعمال . ونحن نستطيع الآن أن نميز شعباً من شعب من أشكال أفراده أو لباسهم أو لباس رؤوسهم ، بل ربما نستطيع أن نستدل على شيء من أذواقهم إذا استطعنا أن نعرف أنواع ثيابهم وألوانهـا . ولننظر الآن كيف كانت هيئات الناس الخاصة ؟ وكيف كانت ملابسهم في المجتمع الذي عاش فيه الهمذاني ؟

الحق أننا لانجد في المقامات صورة كاملة للهيئات والملابس في ذلك العصر ، وقد كنا نودّ لو عني الهمذاني بوصف الثياب وأشكالها والأردية وألوانها ... أكثر مما فعل ، إذاً لكانت عندنا صورة واضحة ملوّنة لإنسان ذلك العصر من تاريخنا . على أن أبا الفضل لم يغفل ذلك إغفالاً تاماً وإنما قصّر فيه ، وما عليه في ذلك لأنه لم يكن يريد من مقامـاته إذ ذاك ما نريده نحن منها اليوم .

لقد ذكر الهمذاني في مقاماته كثيراً من الصفات الخارجية لأناس مختلفين من قضاة ، كانوا يضعون على رؤوسهم قلانس كبيرة كالدنان ، وكان بعضهم يدير فضل العمامة من تحت حنكه كقاضي نيسـابور الذي ذكره عيسى بن هشام فقال « اجتاز بي رجل قد لبس دنّية وتحنّك بسنيّة [١] . » وقد يفصّل أكثر من ذلك في موضع آخر فيقول : « وقد لبس دنّيّته وسوّى طيلسانه وقصّر سباله وبيّض لحيته [٢] ... » . وقد يذكر صفات عامة تكفي لبيان شخصية صاحبها من خلال مظهره ، كأن يقول عن أحد الشباب إنه في « زيّ ملكي » ليدلّ بذلك على أنه ليس من رجـال العمائم بل هو ثريّ أنيق .

(١) المقامة النيسابورية : ٢٠٧ .

(٢) المقامة النيسابورية : ٢٠٨ .

ويبدو أن العمامة هي لباس الرأس الشائع عندهم ، فلقد مرّ ذكرها في أكثر المقامات وضعتها شخصيات مختلفة ، والفرق بين الأشخاص إنما هو بالنسبة إلى العمامة ، في شكلها أو حجمها ... وأما لباس القدم فالخفّ ، وكثيراً ما ذكره وذكر حداثته أو قدمه ... وذكر بعض مايتصل به من عادات ، كإخفاء السكّين فيه وذلك حين قال في المقامة الأسدية : « ثم دنا إليّ لينتزع الخفّ ومددت يدي إلى سكّين كان معي في الخفّ »[1] .

وأما أهل اليسار فهم من الثياب في « حبَر وشاء »[2] ، وكثيراً ماوقف عندهم ووصف آثار النعمة عليهم .

ويمرّ الهمذاني بأصحاب الصناعات المختلفة فلا يغفل عن إلقاء نظرة سريعة مجملة تبيّن الشكل أو ترسم الخطّ العريض من الصورة ، فها هو ذا حلاّق « لطيف البنية مليح الحلية في صورة الدمية »[3] . وتلك صاحبة حانة « ذات شكل ودلّ ، ووشاح منحلّ ، إذا قتلت ألحاظها أحيت ألفاظها[4] » ..

وأما المكدّون فقد كان نصيبهم في المقامات أكبر من نصيب غيرهم ، وذلك لكثرة ما تعرّض الهمذاني لهم ولأخبارهم ، وهو يقدّم لنا صوراً مختلفة لهم ؛ فمنهم من « لفّ رأسه ببرقعٍ حياءً ، ونصب جسده وبسط يده ، واحتضن عياله وتأبّط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره والحرَض في ظهره[5] .. » ومنهم من « يخبط الأرض بعصا على إيقاع

(١) المقامة الأسدية : ٤١ .

(٢) المقامة البصرية : ٦٧ .

(٣) المقامة الحلوانية : ١٨٣ .

(٤) المقامة الخمرية : ٢٤٨ .

(٥) المقامة الأزاذية : ١٤ .

لايختلف ... وهو حَزُقَّة كالقَرَنْبَى أعمى مكفوف ، في شملة صوف ، يدور كالخدروف ، متبرنساً بأطول منه ، معتمداً على عصا فيها جلاجل ، يخبط الأرض بها على إيقاع غنج ، بلحن هزج ، وصوت شج من صدر حرج .. »(١) ومنهم « ذو طمرين قد أرسل صِوانا ، واستتلى طفلاً عُريانا ، يضيق بالضر وسعه ، ويأخذه القرّ ويدعه ، لا يملك غير القشرة بردة .. »(٢) ومنهم من « طلع برُكوة قد اعتضدها ، وعصا قد اعتمدها ، ودنيّة قد تقلّسها ، وفوطة قد تطلّسها ، يرفع عقيرته .. »(٣)

ومن المكدّين طائفة يسير أفرادها في الطرقات والأسواق مجتمعين وحدّهم الغرَض ، يتقدّمهم واحد منهم « قد لفّوا رؤوسهم وطلوا بالمغرة(٤) لبوسهم ، وتأبّط كل واحد منهم حجراً يدقّ به صدره ، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يراسلونه ويدعو ويجاوبونه(٥) . »

والهمذاني لا ينشغل بأزياء القضاة والأثرياء وأصحاب المهن والشحّاذين عن سواهم ؛ فالقضاة بقلانسهم الكبيرة وأثوابهم الفضفاضة ولحاهم البيضاء ... ، وأصحاب الصناعات وما اتخذ كل منهم من ملبس يلائمه .. ، والشحّاذون وهزالهم وأطمارهم وعصيّهم وبراقعهم ... ، كل ذلك لا يشغل أبا الفضل عن تصوير أهل الريف أو السَّواد حين يغدون إلى المدينة وقد حملوا ما تنتجه أراضيهم على دوابّهم ليبيعوه في أسواق بغداد ، ويعودوا بالفضلات سماداً للأرض... ، ومن يقرأ المقامة البغدادية يتعرّف إلى سواديّ من هؤلاء ، ويراه وقد بلغ

(١) المقامة المكفوفية : ٨٣ .
(٢) المقامة البخارية : ٨٧ .
(٣) المقامة الأذربيجانية : ٤٩ .
(٤) المَغْرة : الطين الأحمر .
(٥) المقامة الساسانية : ١٩٧ .

به الجهد والمشقة ، وبدت عليه سيماء البساطة والسذاجة ، بل يرى جانباً من صورته وطرفاً من إزاره .. ويرى تلك العقد التي انعقدت على المال في طرف الإزار على نحو ما يفعل بعض أهل الريف في عصرنا الحاضر ؛ إنه « سوادي يسوق بالجهد حماره ، ويطرّز بالعقد إزاره[١] » وأما ابن هشام فلم يكن « معه عقد على نقد[١] » .

وأما إذا كان الريقيّ من ذوي الغنى واليسار ، فإن عُقد الإزار لا تكفي لحفظ المال وإنما يضعه في جراب أو كيس كذلك الذي أقبل ومعه « جراب دنانير[٢] » أو الذي قبض من كيسه قبضـــة الليث[٣] ، أو الذي أحال المشكلة إلى الكيس وقال : يحلّ الكيس ما شئت[٤] .

وهكذا صوّر لنا الهمذاني بعض أفراد مجتمعه ومرّ بهم من أمامنا بأشكالهم وملابسهم ...

٣ ـــ المجالس الأدبية ـــ المناظرات والجدل ـــ القصص

أخبار المناظرات في كتب التاريخ : من أبرز مظاهر النشاط الفكري في القرن الهجري الرابع تلك المناظرات والمحاورات التي كان القوم يعقدونها ويخصونها بنصيب وافر من اهتمامهم ووقتهم . ومن تلك المناظرات ما كان متصلاً بالأدب ؛ نثره وشعره ، ألغازه وأحاجيه ، ومنها ما كان ذا صلة بالعقائد والمذاهب الدينية ..

(١) المقامة البغدادية : ٦٤ .
(٢) المقامة الصيمرية : ٢١٥ .
(٣) المقامة الكوفية : ٣١ .
(٤) المقامة السجستانية : ٢٨ .

وقد كان القرن الرابع فترة صراع عنيف بين أفكار كثيرة وفرق متعددة ، والتاريخ إنما يذكر من هذه المناظرات ما كان في حضرة خليفة أو وزير ، أو ما اشترك فيه واحد من هؤلاء وأولئك ، أو ما ترك أثراً يدعو إلى ذكره ، ويغفل ما دون ذلك .

وفي كتب الأدب وتراجم الأدباء ما يدل على أن المناظرات كانت أمراً منتشراً بينهم ، وأنها لم تكن في بعض الأحيان لغير الطموح إلى الشهرة وشهوة النصر ، وأن المتناظرين كثيراً ما كانوا يحشدون لها الأنصار والأتباع على نحو ما نرى اليوم في المباريات الرياضية ، بل لقد كانت تلك أيضاً مباريات رياضية إلا أن السلاح المتبارَى به كان لساناً مبيناً ولفظاً معبّراً وفكراً سديداً .

ومن تلك المناظرات المشهورة في التاريخ مناظرة الكسائي وسيبويه في بغداد حول مسألة من مسائل النحو[(١)] . والمناظرات التي دارت حول مشكلة خلق القرآن . ولعل من أطرفها تلك التي دارت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متّى بن يونس في المفاضلة بين النحو والمنطق[(٢)] ، وقد جرت سنة ٣٢٠ هـ[(٣)] . ومن تلك المناظرات ما دار بين الخوارزمي وبديع الزمان ممّا سبق ذكره[(٤)] .

ولنسأل هل استطاع الهمذاني أن يقدم لنا في مقاماته صورة عن ذلك الصراع الفكري الذي دار في مناظرات القوم الأدبية والمذهبية ؟

---

(١) وهي المسألة المعروفة في النحو باسم المسألة الزنبورية . انظر مغني اللبيب ١ : ٩٣ .

(٢) تجد أخبار هذه المناظرة في كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ١ : ١٠٧ ـ ١٢٨ .

(٣) لأنه كان عمر السيرافي أربعين سنة ، ومولده في سنة ٢٨٠ هـ . وانظر الامتاع والمؤانسة ١ : ١٢٨ .

(٤) انظر ص : ١٣٠ وما بعدها من الجزء ١ المجلد ٤٣ .

المناظرات الأدبية في المقامات : أما المناظرات الأدبية في المقامات فمنها ما يتصل بأسلوب الهمذاني وفنه في التلاعب بالألفاظ ، كتلك التي تدور حول الأحاجي ، ومنها المقامة الشعرية التي حدثنا فيها عيسى بن هشام فقال «كنت ببلاد الشام وانضمَّ إليَّ رفقة ، فاجتمعنا ذات يوم في حلقة ، فجعلنا نتذكر الشعر ، فنورد أبيات معانيه ونتحاجى بمعاميه ...» وكان بينهم فتى سألوه وسألهم فقـــال «أين أنتم من تلك الأبيات وما فعلتم بالمعمَّيات ، سلوني عنها . فما سألناه عن بيت إلا أجاب ولا عن معنى إلا أصاب ... ثم عطف علينا سائلاً وكرَّ مباحثاً فقال : عرِّفوني ببيت شطره يرفع وشطره يدفع ؟ وأي بيت كله يصفع ؟ وأي بيت نصفه يغضب ونصفه يلعب ؟ وأي بيت كله أجرب ؟ وأي بيت عروضه يحارب وضربه يقارب ؟ وأي بيت كله عقارب ؟ وأي بيت سمُج وضعه وحسن قطعه ؟ وأي بيت لا يرقأ دمعه ؟؟ ..»[1] ثم يستطرد فيسألهم نحو خمسين سؤالاً كلها من هذا الطراز العجيب ، ويمهلهم للجواب عنها أياماً مما يدلّ على تكرار مثل هذه الاجتماعات ، وهو لا يمتنع عن الإجابة عن بعضها على سبيل المثال فيقول : «اختاروا من هذه المسائل خمساً لأفسّرها واجتهدوا في الباقي أياما ، فلعل إناءكم يرشح ولعل خاطركم يسمح ، ثم إن عجزتم فاستأنفوا التلاقي لأفسّر الباقي[2] .»

ولعل هذا المجلس يعطينا فكرة عن حب القوم للمجالس الأدبية والتنافس في حلّ المعمَّيات الشعرية ، مما يحتاج إلى اطلاع واسع وحفظ كثير .

وكذلك الأمر في المقامة العراقية إذ يسأل عيسى بن هشـام أبا الفتح الاسكندري : «بأي العلوم تتحلَّى ؟ فقال : لي في كل كنانة سهم ، فأيها تحسن ؟ قلت : الشعر ، فقال : هل قالت العرب بيتاً لا يمكن حلّه[3] .. ؟» ويتابع أمثلته وهي كلها من هذا النوع .

(١) المقامة الشعرية : ٢٣٠ .
(٢) المقامة الشعرية : ٢٣٣ .
(٣) المقامة العراقية : ١٥٠ .

ومن المقامات الأدبية ما يتصل بآراء الهمذاني في الأدب والنقد كأن يوضح لنا رأيه في امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وجرير والفرزدق والجاحظ وابن المقفع ... وذلك من خلال بعض المحاورات التي دارت في مجالس أدبية وصفتها المقامات .

رأي الهمذاني في امرئ القيس: يسأل عيسى بن هشام صاحبه أبا الفتح في المقامة القريضية فيقول : ما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجد القول راغبا ، ففضل من تفتّق للحيلة لسانه وانتجع للرغبة بَنانه .

النابغة : قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : يثلب إذا حنق ويمدح إذا رغب ويعتذر إذا رهب . ولا يرمي إلا صائبا .

زهير : قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يذيب الشعر والشعر يذيبه ، ويدعو القول والسحر يجيبه .

طرفة : قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تفتح أغلاق خزائنه .

جرير والفرزدق : قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ فقال : جرير أرق شعراً وأغزر غزرا ، والفرزدق أمتن صخراً وأكثر فخرا ، وجرير أوجع هجواً وأشرف يوما ، والفرزدق أكثر روما وأكرم قوما . وجرير إذا نسب أشجى وإذا ثلب أروى وإذا مدح أسنى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى وإذا احتقر أزرى وإذا وصف أوفى . »[١]

---

(١) المقامة القريضية : ١٠ .

القدماء والمحدثون : وينتقل الهمذاني بعد ذلك إلى الموضوع الذي طالما تناوله الكتّاب وتباينت فيه الآراء ، فيسأل على لسان ابن هشام قائلاً « قلنا : فما تقول في المحدّثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرف لفظاً وأكثر من المعاني حظا ، والمتأخرون ألطف صنماً وأرق نسجا ...[1]

الفرزدق وذو الرمّة : ويُجري الهمذاني ، في مقامة أخرى ، مقابلة بين الفرزدق وذي الرمة ، ويحدثنا من خلالها عن احتقار الفرزدق لغيلان وازدرائه لشعره واستصغاره لشأنه ، كما يحدثنا فيها أيضاً عن احتقار الفرزدق وجرير للصلتان العبدي والبعيث فيقول في المقامة الغيلانية : « بينا نحن بجرجان في مجتمع نتحدث ، ومعنا يومئذ رجل العرب حفظاً ورواية وهو عصمة بن بدر الفزاريّ ، فأفضى بنا الكلام إلى ذكر من أعرض عن خصمه حلماً ، ومن أعرض عن خصمه احتقاراً ، حتى ذكرنا الصلتان العبدي والبعيث وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما ، فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ولا أحدثكم عن غيري [2] . . . » ويحدثهم أنه اجتمع بغيلان في إحدى سفراته ، وبينا هما في الطريق يستريحان يشعر ذو الرمة أن الفرزدق منه على مدى الصوت فيرفع صوته بهجائه حتى يبلغ قوله :

تعاف الأكارم إصهارَهم فكلّ أيامـامُ عـانس

فلما بلغ هذا البيت تنبّه ذلك النائم – يعني الفرزدق – وجعل يمسح عينيه ويقول : أذو الرميمة يمنعني النوم بشعر غير مثقّف ولا سائر ؟ فقلت : يا غيلان من هذا ؟ فقال : الفرزدق ، وحمي ذو الرمة فقال :

وأما مجـاشع الأرذلون فلم يسق منبتَهم راجس

سيعقلهم عن مساعي الكرام عقـالٌ ويحبسهم حابس

---

(١) المقامة القريضية : ١٢ .

(٢) المقامة الغيلانية : ٤٣ .

فقلت : الآن يشرق فيثور ويعم هذا قبيلته بالهجاء ، فوالله ما زاد الفرزدق على أن قال : قبحاً لك ياذا الرميمة أتعرض لمثلي بمقال منتحل ، ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرمة وسرت معه وإني لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا (١) .. »

الجاحظ وابن المقفع : يخص الهمذاني الجاحظ بمقامة يسميها « المقامة الجاحظية » يتعرّض فيها للجاحظ ويحاول أن ينال منه ، وكأن تنافس أهل الصناعة قد أوغر صدره عليه ، وكأن الهمذاني يرى في الشعر الذي نظمه ميزة يمتاز بها عن الجاحظ الذي انفرد بالنثر دون الشعر !!

يرد ذكر ابن المقفع والجاحظ في إحدى الولائم ، ويقص الهمذاني ذلك بلسان راويته فيقول « ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذكر الجاحظ وخطابته ، وابن المقفع ودرايته . ووافق أول الحديث آخر الخوان ، وزلنا عن ذلك المكان . فقال الرجل : أين أنتم من الحديث الذي كنتم فيه ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولَسَنه وحسن سَنَنه في الفصاحة وشننه فيما عرفناه . فقال : يا قوم لكل عمل رجال ولكل مقام مقال ، ولكل دار سكان ولكل زمان جاحظ ، ولو انتقدتم لبطل ما اعتقدتم . فكلّ كشر له عن ناب الإنكار وأشمّ بأنف الإكبار ، وضحكت له لأجلب ما عنده وقلت : أفدنا وزدنا ، فقال : إن الجاحظ في أحد شقّي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصّر نظمه عن نثره ، ولم يُزرِ كلامه بشعره . فهل تروون للجاحظ شعراً رائعاً ؟ قلنا : لا ، قال : فهلمّوا إلى كلامه فهو بعيد الإشارات قليل الاستعارات قريب العبارات ، منْقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من معتاصه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسموعة ؟ قلنا : لا »(٢) .

(١) المقامة الغيلانية : ٤٧ .

(٢) المقامة الجاحظية : ٧٩ .

وغير خاف أن الهمذاني يهاجم الجاحظ بأسلوب المدافع عنه ، وأنه يريد الطعن على أسلوبه في النثر بعد أن جرّده من الفضل في الشعر .. وما أحسب وراء ذلك إلا اعتقاد الهمذاني بأن « لكل زمان جاحظاً » كما قال (١) .

تحصيل العلم : ويحدثنا بديع الزمان عن رأيه في اكتساب العلم ووسيلة تحصيله فيقول « طلبته فوجدته بعيد المرام ، لا يصطاد بالسهام ، ولا يقسم بالأزلام ، ولا يرى في المنام ، ولا يضبط باللجام ، ولا يورث عن الأعمام ولا يستعار من الكرام ، فتوسلت إليه بافتراش المدر واستناد الحجر ، وردّ الضجر وركوب الخطر ، وإدمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر (٢) .. » ويستطرد معدّداً ما يعتقده من وسائل تحصيل العلم من بحث وتحقيق ودراسة وتدقيق ...

على أننا لن نتعرّض لآراء بديع الزمان في الأدب والنقد وما إليها ؛ فهذا كله إنما جاء في سياق الكلام على مجالس القوم ومناظراتهم الأدبية ، ولكننا نرى أن بديع الزمان نجح في التعبير عن آرائه ، أياً كانت ، فجاءت صريحة واضحة جريئة دالّة على تذوّق صاحبها وسعة اطلاعه ، هذا بغضّ النظر عن قيمتها الأدبية ومدى انطباقها على الواقع أو موافقتها للأحكام التي أطلقها الأدباء والنقاد في تلك المسائل .

المناظرات والجدل المذهبيّ : لم يقف الهمذاني في مقاماته عند حدود المناظرات الأدبية ، ولم يكتف بالمناظرات التي كان الأدب أو الأدباء موضوعاً لها وإنما تجاوزها إلى المناظرات الفكرية الجدلية التي تتخذ من العقائد والمذاهب موضوعاً تدور حوله ؛ فعرض علينا في مقاماته طائفة طريفة من تلك

(١) لم يترك شارح المقامات الأستاذ الشيخ محمد عبده هذا الرأي بدون تعليق ، وإنما عقب عليه وسفّه رأي الهمذاني فيه . المقامات حشية الصفحة : ٨١ .

(٢) المقامات العلمية : ٢١٠ .

المناظرات ؛ إنه يردّ في المقامة المارستانية مثلاً على المعتزلة ، ويسفّه آراءهم ولكنْ على لسان مجنون في « المارستان » ، فكانت مقامة ذات حدّين ؛ ينطق المجنون فيها بالحكمة ، مخاطباً ـ وهو الذي لا عقل له ـ طائفة تزعم أن العقل إمامها وقائدها .. !!

يقول مجنون في « المارستان » بعد أن عرف أن أمامه عيسى بن هشام وأبا داود العسكري أحد متكلمي المعتزلة : « شاهت الوجوه وأهلها ، إن الخَيرة لله لا لعبده ، والأمور بيد الله لا بيده ، وأنتم يامجوس هذه الأمة تعيشون جبرا وتموتون صبرا وتساقون إلى المقدور قهرا . و ﴿ لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [١] أفلا تنصفون إن كان الأمر كما تصفون ؟ وتقولون : خالق الظلم ظالم ، أفلا تقولون : خالق الهلك هالك ؟ أتعلمون يقيناً أنكم أخبث من إبليس دينا ، ﴿ قال : رب بما أغويتني ﴾ [٢] ، فأقرّ وأنكرتم ، وآمن وكفرتم . وتقولون : خُيّر فاختار ! وكلاّ فإن المختار لا يبعج بطنه . . . يا أعداء الكتاب والحديث بم تطيّرون أبالله وآياته ورسوله تستهزئون ؟ إنما مَرَقت مارقةٌ فكانوا خَبَث الحديث ، ثم مرقتم منها فأنتم خَبَث الخبيث ، يا مخانيث الخوارج . » [٣]

ولا يكتفي الهمذاني بكل هذا الإزراء ، وإنما يشير بخبث إلى حرمة الزواج منهم ، وهو يترك المجنون ينصح بذلك فيقول : « وأنت يابن هشام تؤمن ببعض وتكفر ببعض ؛ سمعت أنك افترشت منهم شيطانة ، ألم ينهك الله عــزّ وجلّ أن تتخذ منهم بطـانة ، ويلك هلاّ تخيَّرت لنطفتك ونظرت لعقبك . . . » [٤]

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٥٤ .
(٢) آية تتمتها (لأزيّنَنّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين . إلا عبادك المخلصين) الحجر ١٥ : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٣) المقامة المارستانية : ١٢٧ .
(٤) المقامة المارستانية : ١٣١ .

وكذلك نجد في المقامة الوعظية وغيرها كثيراً من الأحاديث التي عقدها بديع الزمان بلسان ابن هشام مما يتصل بالردّ على الملحدين ومنكري البعث .

وبعد ، فهذه طائفة من مجالس القوم الأدبية والجدلية ، وأحاديثهم ومناظراتهم وبعض آرائهم في الأدب والنقد ، قدمها لنا الهمذاني ، وقد ضمنها آراءه في مسائل لاشك أنها كانت مدار البحث في عصره .

أخبار القصة والقصاصين : للقصة أثر عظيم في التوجيه ، ولأصحابها ذكر قديم في التاريخ . وقد كان لبعض القصاصين منازل رفيعة وأخبار عجيبة ، وهم منذ القديم يحضرون مجالس الخلفاء والوزراء ؛ يقصّون ويسلّون ويعظون ؛ فكان منهم ندمان ، ومنهم قضاة ، وكان منهم في صفوف العامة موجّهون ومعلّمون ومخلصون ومتكسّبون .

وذكر المقريزي أن القصص قصصان : قصص العامة ، وقصص الخاصة ، وذكر أن القاص في النوع الأول يجتمع الناس إليه فيعظهم ويذكّرهم ، وأما القاصّ في النوع الثاني فيعيّنه الحاكم وربما كان القاضي نفسه .(١)

ونقل آدم متز أن القُصّاص « في القرن الرابع نزلوا إلى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الدينية والأساطير والنوادر في المساجد والطرق ، وينالون منهم مالاً كثيرا ، وكان الرجال والنساء يجتمعون حول القاص فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويمدّون أيديهم ، وكان العامة يحبون القصاص حباً شديداً . ويحكى عن الطبري أنه أنكر على قاصٍّ في بغداد فرمى العامة باب داره بالحجارة حتى سدّوه وصعب الخروج منه . وكان القصاص من أكبر مثيري الفتن القديمة بين أهل السنة والشيعة . ويضع الهمذاني القصاص ، في المقامة الساسانية ، بين طبقة المشعوذين المخرقين من بني ساسان »(٢) .

(١) الخطط والآثار ٢ : ٢٥٣ .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٢ : ٧٧ .

وما نقله آدم متز يدل على نزول القصاص إلى العامة ، وأما رأيه في وضع الهمذاني للقصاص بين المشعوذين المخرقين فغريب ، إذ ليس في المقامة الساسانية التي أشار إليها ذكر للقصة ولا للقصاص ، ولست أدري كيف وهم في ذلك !

ويبدو أن القصاص كثروا كثرة جعلت الصالح القليل منهم يضيع في زحمة الفاسد الكثير ، فلم نعد نستطيع أن نميز بيسر بين الواعظ الصادق والقاصّ المتكسّب حتى اضطر بعض العلماء إلى تنبيه الناس على ضرورة التمييز بين الصالحين وغيرهم ، وهذا ما فعله السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥ هـ حين ذكر القصاص وفصّل في بيان الصفات المستحسنة فيهم .[١]

أما القصة من الوجهة الفنية فإن الهمذاني نفسه ـ بما كتب من مقامات ـ مثال صالح لما وصلت إليه القصة من مستوى فنيّ . والهمذاني في مجال القصة إنما يحوز إعجابنا بما حلّل من نفسيات وصوّر من شخصيات ، بل بما وصلت إليه بعض مقاماته من مستوىً فني جيّد .

يقول الأستاذ مارون عبود « وتمرّ بمقامات البديع فتعجب بالمقـــامة المضيرية إذ تراها قصة عصرية تنوء عن مضارعتها اليوم قصة في تحليل الشخصيات ودرس النّفسيات . . . . والمقامة الأسدية والبشرية تعدّان من الأقاصيص ذوات العقد ، وإن كان إلى جانب هذه قصص كالمقامة الأزربيجانية التي تبدو كأنها كتبت بلا استعداد »[٢] ويجيب الأستاذ عن سؤال كثيراً ما يرد ، وهو : هل المقامة قصة ؟ فيقول : « نعم ، إنها قصة ، والفرق بينها وبين قصص اليوم كالفرق بين هنداماك أنت وهندام جدّك رحمه الله . . »[٣] .

(يتبع) الدكتور مازن المبارك

(١) الحضارة الاسلامية : ٧٨ نقلاً عن « بيان العارفين على هامش تنبيه الغافلين » : ٢٥ .
(٢) بديع الزمان : ٣٦ .
(٣) بديع الزمان : ٣٧ .

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

— ٣ —

هذه أشهر الصور التي رسمها شعراء العرب في الجاهلية في وصف آثار الديار . ونرى في هذه الصور الاهتمام بعنصر اللون كبيراً جداً . ثم يأتي الاهتمام بعنصر الشكل في الدرجة الثانية . ونقصد بالشكل هنا أشكال آثار الديار بخطوطها المتعرجة ، وأشكال الحروف والسطور المكتوبة ، والأشكال في النقوش والزخارف بخطوطها المتداخلة المتعرجة أيضاً . على أنه يصعب علينا الفصل بين الألوان وبين الأشكال حين النظر إلى هذه الصور .

وكذلك نرى في هذه الصور الإيجاز الشديد ، والاكتفاء بالإشارة السريعة إلى عناصر الصورة ، والانصراف عن التفصيل والاستقصاء في بيان الألوان والأشكال في معرض التصوير . وهذه صفة من صفات طريقة التعبير والتصوير عند شعراء الجاهلية . فهم يقفون على الخطوط العامة والنواحي التي تلفت انتباههم في نظرتهم إلى الأشياء ، دون الأجزاء الدقيقة ، والنواحي الخفية فيها . ويكتفون دائماً بالتلميح السريع ، والإشارة البليغة ، في وصف هذه الأشياء .

* * *

هذه الصور التي بيناها آنفاً ، وحللناها هي أشهر الصور التي رسمها الشعراء لآثار الديار ، وأجملها في شعر الوقوف على الأطلال ، وأكثرها دوراناً في هذا الشعر . وهناك إلى جانب هذه الصور صور أخرى لا تقل عنها جودة وجمالاً . ولكنها أقل منها دوراناً في شعر الوقوف على الأطلال . وفي مُكْنتنا أن نقول إن الصورة منها لم ترد إلا مرة أو مرتين في هذا الشعر . وهي مع ذلك جميلة طريفة ، ولا يحسن بنا أن نمضي دون أن نذكر عدداً منها ، ونقف عندها وقفة قصيرة .

وأولى هذه الصور وأشهرها هي تشبيه آثار الديار بظهر الأرقم ، وهو الثعبان المنقط . قال بشر بن أبي خازم الأسدي في ذلك (١) :

لمن الديارُ غَشِيتُها بالأَنْعُمِ تبدو معارفُها كلون الأرقمِ (٢)
لعبتْ بها ريحُ الصَّبا ، فتنكَّرتْ إلا بقيـــةَ نُؤْيِها المتهدِّمِ (٣)

هذه صورة طريفة في وصف آثار الديار . ولكن الشعراء لم يرددوها كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال على الرغم من طرافتها . وهي تشبه في تركيبها الصور المشهورة التي رأيناها آنفاً . إلا أن عنصر التشبيه ضعيف في هذه الصورة ، لقلة الشبه بين آثار الديار وبين ظهر الثعبان الأرقم . وهذا هو السر في قلة دوران هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال ، فيما نرى .

* * *

(١) ديوانه ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) غشيتها : أي أتيتها . والأنعم : اسم موضع . ومعارف الديار : آثارها التي يعرفها الشاعر ، والأرقم : الثعبان المخطط أو المنقط ، مأخوذ من الرقم ، وهو النقش .

(٣) تنكرت : تغيرت ولم تعد معروفة . والنؤي : حفيرة كالخندق تحفر حول البيت لتمنع عنه ماء المطر وتدفع السيل .

وهذه صورة ثانية طريفة أيضاً ، شبَّه فيها جرير آثار الديار بريش الحمام . قال جرير (١) :

لما أتَيْنَ على حطّابتيْ يَسَرٍ أبدى الهوى من ضمير القلب مكنونا(٢)
وشبَّهَ القومُ أطلالاً بأَسْنُمةٍ ريشَ الحمام، فزِدْنَ القلبَ تحزينا(٣)

يشبِّه جرير في البيت الثاني آثار الديار بألوانها الكامدة على وجه الأرض ، وخطوطها المتعرجة ، بريش الحمام الأورق المتراكب بعضه فوق بعض في خطوط متتابعة . هذه الصورة فريدة غريبة في شعر الوقوف على الأطلال ، لم أجدها إلا في شعر جرير دون غيره من الشعراء في الجاهلية والإسلام . وما أرى لذلك سبباً سوى أن شعراء الجاهلية لم يعرفوا هذه الصورة . فلما جاء بها جرير لم يتبعه فيها الشعراء . فظلت لذلك غريبة فريدة .

* * *

ومن الصور الطريفة في هذا المجال تشبيه آثار الديار بالمذاهب (٤) ، وهي جلود مزينة منقوشة ، فيها خطوط مذهبة ، متتابعة بعضها في إثر بعض . وهي من أدوات الزينة عند النساء ، ينتطقن بها .

قال قيس بن الخطيم في ذلك (٥) :

أتعرفُ رسماً كاطِّراد المذاهبِ لعَمْرةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ (٦)
ديارُ التي كادت ، ونحن على مِنىً ، تحُلُّ بنا ، لولا نَجاءُ الركائبِ (٧)

---

(١) ديوانه ٥٣٢ .
(٢) أتين : أي الأظعان أتين .
(٣) أسنمة : اسم موضع . وزدن : أي الأطلال زدن القلب تحزيناً .
(٤) واحدها مُذْهَب .
(٥) ديوانه ٣٣ ــ ٣٥ .
(٦) اطراد المذاهب : أي تتابع الخطوط المذهبة التي تزين المذاهب . وحشاً : أي خالياً . وغير موقف راكب : أي هي خالية إلا من وقوف أحد المسافرين بها بين حين وآخر ، ويريد الشاعر بهذا المسافر الراكب نفسَه .
(٧) تحل بنا : تجعلنا نحل وننزل . ونجاء الركائب : سرعة سير الركائب ، وهي الإبل .

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجبٌ منها ، وضنَّتْ بحاجبِ

والتشبيه واقع في هذه الصورة بين رسوم الدار بألوانها وأشكالها وبين هذه الجلود المزينة الملونة ذات الخطوط المتتابعة . وهي صورة قليلة الورود أيضاً ، لم يتداولها الشعراء كثيراً في مجال وصف آثار الديار .

* * *

ووجدت صورة نادرة غريبة أيضاً ، شبَّه فيها النابغة الذبياني آثار الديار وأثر هبوب الرياح عليها بالحصير المنمق المزين . قال النابغة (١) :

توهَّمتُ آياتٍ لها ، فعرفتُها لِستَّة أعوام ، وذا العامُ سابعُ (٢)

كأن مَجَرَّ الرامساتِ ذُيولَها عليه حصيرٌ نمَّقَتْه الصوانعُ (٣)

على ظهر مَبْنَاةٍ جديدٍ سُيورُها يطوفُ بها وَسْطَ اللَّطيمة بائعُ (٤)

وقف النابغة على الديار بعد سبعة أعوام من الفراق ، فعرف آثارها وآياتها بعد نظر وتوهم . ورأى أن الرياح قد نسفتها ، وجرَّت فيها ذيولها ، وسفت عليها الرمال والغبار . فأحدثت فيها خطوطاً متتابعة متعرجة . فبدت لعينيه لذلك كأنها قطعة حصير صنعته النساء الصوانع ، ونمقت صنعه .

هذه صورة نادرة وجميلة حقاً ، وهي مع ذلك فريدة ، لم يتداولها الشعراء كثيراً ، ولم أجدها إلا في شعر النابغة الذبياني . وما أظن ذلك إلا لانعدام عنصر اللون في هذه الصورة . فالتشبيه فيها قائم على عنصر الشكل وحده . وذلك أن الحصير يشبه آثار الديار بخطوطه المتتابعة المتعرجة . ولكنه لا يشبهها

(١) ديوانه ٥٠ .

(٢) آيات لها : أي علامات للديار . لستة أعوام : أي بعد ستة أعوام .

(٣) الرامسات : الرياح التي ترمس الآثار ، أي تطمسها وتدفنها .

(٤) المبناة : النطع الذي يلف على الحصر حين عرضها للبيع . واللطيمة : تعني السوق التي فيها طيب .

في اللون ، لأن الحصير لا يكون ملوناً ، وإنما لونه هو لون القصب أو القش الذي يصنع منه .

وقد يكون لندرة هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال سبب آخر ينضاف إلى السبب الأول ، وهو قلة استعمال العرب الحصيرَ في بيوتهم في البادية . فهو لم يكن لذلك من مرئيات الشعراء المألوفة في حياتهم . ويكثر صنع الحصير واستعماله في العراق ، لكثرة القصب فيه . والنابغة قد عاش طويلاً في العراق على صلة بالنعمان ملك الحيرة . ونرى أنه قد شاهد الحصير هناك ، وتكررت مشاهدته له ، حتى انطبعت صورته في ذهنه ، ثم بدت في شعره .

وصف بقايا الديار

اهتم الشعراء ببقايا الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، واعتنوا بوصفها وتصويرها ، وأكثروا من ذلك ، كما فعلوا في وصف آثار الديار وتصويرها بجملتها .

وبقايا الديار قليلة محدودة على العموم . ومع ذلك كان الشعراء يهتمون ببعض البقايا دون بعض ، على الرغم من قلتها . وكانوا يختارون بعضها ، فيخصونه بالوصف والتصوير ، ويهملون بعضها ، فلا يذكرونه إلا قليلاً . ويبدو لنا أن السر في هذا الاختيار هو العناية بالبقايا التي تساعد الشعراء على الوصف ، وتثير قرائحهم ، وتفسح مجالاً لأخيلتهم في التصوير .

ونحن ، على طريقتنا المألوفة في البحث ، نعرض عن إحصاء هذه البقايا التي عُني بها الشعراء ، ونقتصر في الدراسة على البقايا والأجزاء التي أكثروا من ذكرها ووصفها في شعر الوقوف على الأطلال ، وتداولوها بالتصوير . ونكتفي بذلك عن التفصيل والاستقصاء .

* * *

وأهم بقايا الديار ، وأكثرها دوراناً في الشعر هو الرماد ، أي رماد النار الذي يخلفه الراحلون وراءهم في الديار . فقد أكثر الشعراء من ذكر الرماد في شعر الوقوف على الأطلال ، ووصفوه في صور كثيرة . وتمتاز هذه الصور جميعاً بهدوء وسكون غريبين ، يبعثان في نفس الإنسان الحزن والكآبة ، ويثيران فيها الأسى .

وينظر الشعراء في هذه الصور جميعاً إلى شيئين اثنين في الرماد دائماً ، هما لونه أولاً ، ومكانه بين الأثافي ثانياً . وهذان الشيئان هما مواد تصوير الرماد ، ومداره في شعر الوقوف على الأطلال .

أما في مجال التصوير الذي يدور على لون الرماد فقد جرى الشعراء على تشبيهه إما بالكحل ، وإما بطير أورق ، حمامة أو قطاة .

قال الأسود بن يعفر النهشلي في تشبيه الرماد بالكحل (١) :

هل بالمنازل إن كلَّمْتَها خَرَسُ ... أم ما بيانُ أثافٍ بينها قَبَسُ (٢)

كالكحل أسودَ ، لأْياً ما يكلّمنا ... مما عفاه سحابُ الصَّيِّفِ الرَّجِسُ (٣)

يقصد الشاعر بالقبس ها هنا الرماد بين الأثافي . وهو يُعْنَى بلونه كما نرى ، ويصوره بتشبيهه بالكحل الأسود . هذه الصورة قليلة الورود في شعر الوقوف على الأطلال ، لم يُلِحَّ عليها الشعراء كثيراً . وليس فيها مزيد جمال ، ولا كبير غناء . ولعل هذا هو السبب في قلة ورودها في هذا الشعر وانصراف الشعراء عنها .

---

(١) شعره في ملحقات ديوان الأعشى ٣٠٠ .

(٢) القبس : هو قبس النار في الأصل ، ويريد به الرماد هنا .

(٣) لأياً : بطيئاً . الصيف : مطر الصيف ، وهو الربيع عند العرب . والرجس : التي ترتجس بالمطر .

وأشهر من هذه الصورة وأجمل ، وأكثر منها دوراناً في شعر الوقوف على الأطلال ، الصورة التي رسمها الشعراء في مجال تصوير الرماد بتشبيهه بالطير الأورق . قال الحطيئة في ذلك (١) :

لمن الديارُ كأنهنَّ سطورُ بلِوَى زَرُودَ سَفَى عليها المُورُ(٢)

نُؤْيٌ ، وأطلسُ كالحمامة ماثِلٌ ومُرَفَّعٌ شُرُفاتُه محجورُ(٣)

يقصد الحطيئة بالأطلس في البيت الثاني الرمادَ الأطلس ، أي الأسود الذي يشوبه بياض . وهو يُعْنَى بلونه وشكله ، ويصوره بتشبيهه بالحمامة من حيث اللون أولاً في قوله « وأطلس كالحمامة » ، ومن حيث الشكل ثانياً في قوله « ماثل » . والحمامة حين تجثم على الأرض تبدو بارزة عنها قليلاً ، كما تبدو كومة الرماد . وهذا معنى قول الحطيئة « ماثل » .

والعلاقة في هذه الصور بين الرماد وبين الأشياء التي يشبهونه بها حين التصوير هي دائماً علاقة اللون . وهو اللون الأبيض الذي يشوبه بياض خفيف على الأغلب ، وهو لون الرماد . وهذا اللون يبعث الهدوء والسكينة في النفس ، بسبب توسطه بين اللون الأسود الوقور وبين اللون الأبيض البهيج ، فهو يأخذ من هذا ، ويأخذ من هذا ، ويكون وسطاً بينهما ، فيه من الوقار شيء ، وفيه من البهجة أثر . وهذا المزيج بين الوقار والبهجة هو الذي يبعث الهدوء والسكينة في نفس الإنسان . وتنضاف إلى ذلك المعاني الأخرى التي تأتي قبل الصورة وبعدها في شعر الوقوف على الأطلال ، فتزيدها هدوءاً وسكينة ، حتى يصل الأمر بالإنسان إلى الشعور بالحزن والكآبة والأسى في تأمل هذه الصور .

---

(١) ديوانه ٣٢٦ .

(٢) المور : الغبار الذي تذروه الريح . وسفى عليها : هبَّ عليها مع الريح .

(٣) النؤي : حفرة حول البيت كالخندق تمنع عنه ماء المطر . والمرفع شرفاته : المسجد .

وأما في مجال تصوير الرماد نظراً لمكانه وموقعه بين الأثافي الثلاث فقد سار الشعراء على تشبيهه بالبَوّ (١) بين النوق العواطف ، أو تشبيهه بالرجل السقيم بين النساء العائذات (٢) .

قال عبد الله بن الدمينة في الصورة الأولى (٣) :

فلم يبقَ من آياتها غيرُ مسجدٍ ومُسْتَوْقَدٍ كالبَوّ بين العواطفِ (٤)

يصف ابن الدمينة الرمادَ بين الأثافي هنا والشبه قريب في الواقع بين الرماد في مكانه ، وقد أحدقت به الأثافي الثلاث ، وبين البو في مكانه أيضاً ، وقد أحاطت به النوق العواطف تشَمُّه ، وتعطف عليه والهة ، وتحن حنيناً موجعاً .

هذه الصورة محسوسة ، يستمدها الشاعر من واقع الحياة اليومية في بيئة البادية . فكثيراً ما يلجأ الأعراب ، ولا سيما في أيام الربيع حين نتاج الإبل ، إلى إقامة تمثال البو ، ويعمدون إلى خداع النوق عن اللبن بهذا التمثال إذا انتُزِعَتْ منها أولادها بالموت أو بالذبح .

وقال كُثَيِّر عزَّةَ في الصورة الثانية (٥) ، وهي تصوير الرماد بالرجل السقيم بين النساء العائذات :

أمِنَ آلِ قيلةَ بالدَّخول رسومُ وبحَوْملٍ طللٌ يلوح قديمُ

---

(١) البو : جلد ولد الناقة الصغير يحشى بالتبن أو الحشيش اليابس ، ويعرض على النوق التي تموت أولادها أثناء الولادة أو بعدها بقليل ، فتعطف عليه ، وتدر باللبن ، وهي العواطف .

(٢) النساء اللواتي يعذن المريض ويرقينه لشفائه من المرض ، وطرد الجن أو الأرواح الشريرة عنه .

(٣) ديوانه ١٣٥ .

(٤) المستوقد : المحترق ، وهو يريد به الرماد ها هنا .

(٥) ديوانه ١/٢٥٣ .

لعبَ الرياحُ برسمه ، فأجَدَّه جُونٌ عواكفُ في الرماد جُثومُ(١)
سُفْعُ الخدود، كأنهن ، وقد مضتْ حِجَجٌ ، عوائدُ بينهن سقيمُ(٢)

جعل الشاعر في هذه الصورة الرمادَ كالرجل السقيم، وقد قامت النساء العوائد من حوله ، فأطفن به لمعالجته وتعويذه . ونرى في الصورة الأثافي ، وهي حجارة القِدْر ، وقد بدت قائمة محيطة بالرماد كالنساء المطيفـــة بالرجل السقيم .

وعناصر هذه الصورة عناصر محسوسة كما نرى ، يستمدها الشاعر من واقع الحياة اليومية في بيئة البادية . فعجائز النساء هن اللواتي يقمن بمداواة المرضى ومعالجة الجرحى في البادية . حتى إن بعض النساء يتخذن ذلك مهنة يزاولنها بين أبناء القبيلة ، ويُعْرفن بها . ومن أساليبهن في المداواة الرُّقية والتعويذة ضد الشياطين والأرواح الشريرة ، وتعليق بعض الأشياء والأدوات على المريض أو الأشياء القريبة منه لرد العين الصائبة .

* * *

والشيء الثاني الذي أكثر الشعراء من ذكره ووصفه في شعر الوقوف على الأطلال هو الأثافي ، وهي الحجارة التي تنصب عليها القدر . وعددها ثلاثة أحجار ، توضع اثنتان منها متقابلتين من يمين وشمال ، وتوضع الثالثة في الخلف . وتوقد النار تحت القدر بين الأثافي الثلاث .

(١) أجده : أي جدده . والجون : جمع جَوْن ، وهو الأسود هنا ، ويريد بها الأثافي التي اسودَّت بالنار . وعواكف : أي قائمة ثابتة .

(٢) سفع الخدود : أي سود الخدود ، محترقة من أثر النار ، يصف بهذا الأثافي . والحجج : جمع حِجَّة ، وهي السنة .

وقد درج الشعراء منذ الجاهلية على وصف الأثافي وتصويرها في شعر الوقوف على الأطلال . وتتابعوا جميعاً على تشبيهها بالحمائم الجاثمة ، في هذا التصوير . قال زهير بن أبي سلمى في ذلك (١) :

غشيتُ الديارَ بالبقيع فثهمدِ دوارسَ قد أقوَيْنَ من أم معبدِ (٢)
أربَّتْ بها الأرواحُ كلَّ عشيةٍ فلم يبق إلا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ (٣)
وغيرُ ثلاثٍ كالحمام خوالدٍ وهابٍ مُحيلٍ هامدٍ مُتَلَبِّدِ (٤)

والثلاث في البيت الأخير هن الأثافي الثلاث . وقد صورها زهير ، وشبهها في تصويره بالحمام كما نرى .

والشبه واقع فعلاً بين أثافي القدر وبين الحمام في عنصرين اثنين ، يلفتان النظر ، ويدعوان أخيلة الشعراء إلى تشبيه الأثافي بالحمام . هذان العنصران هما اللون ، والشكل أو المظهر الخارجي . فأما من حيث اللون فالأثافي والحمام سفع الألوان غبراء ، أي أنها سود ، يشوب سوادها بياض قليل ، فتضرب إلى الغُبْرة . وهذا هو لون الحمام البري ، وهي القماري التي يقصدها الشعراء في مثل هذه الصور . وهذا هو أيضاً لون الأثافي الذي تكتسبه بعد أن تحرقها النار ، وتسوّد جوانبها .

وأما من حيث الشكل أو المظهر الخارجي فالأثافي تبدو في أماكنها مجتمعة لاصقة بالأرض ، ساكنة هادئة ، في وضع معين . وكذلك الحمام ، فهو عندما يقع على الأرض يجثم عليها ، ويبدو لاطئاً بها ، لا يبدي حراكاً .

(١) ديوانه ٢١٩ ـ ٢٢٠ .
(٢) أقوين : أي خلون من أم معبد ، من أقوى المكان ، إذا رحل عنه أهله وخلا .
(٣) أربت : أقامت . والأرواح : الرياح . وآل الخيمة : خشباتها ، واحدها آلة .
(٤) الهابي : الرماد الذي عليه هَبْوة ، وهي الغبار ، من طول القدم .

وهـذه أبيات لحسان بن ثابت يصور فيها الأثافي أيضاً . وهي أوضح وأجمل من الصورة التي أتى بها زهير في أبياته . قال حسان [١] :

أشـاقك من أم الوليد ربوعُ   بلاقعُ ما من أهلهن جميعُ [٢]
عفاهنَّ صيفيُّ الرياح ، وواكفٌ   من الدَّلْو رجّافُ السحاب هَموعُ [٣]
فلم يبقَ إلا مَوْقدُ النار حوله   رواكدُ أمثالُ الحمـام وُقوعُ [٤]

ونرى الأثافي الثلاث ، في هـذه الصورة ، ساكنة هادئة حول موقد النار ، كأنها بألوانها وأشكالها حمائم جاثمة على الأرض .

هـذا وقد رأينا آنفاً في معرض كلامنا على الرماد ووصفه ، في هذا الموضوع ، أن الشعراء قد صوروا الأثافي ، وشبهوها في أماكنها حول الرماد بالنوق المواطف التي تطيف بالبوّ ، وتعطف عليه . ورأينا كذلك أنهم شبهوها في هذا المجال بالنساء الموائذ اللواتي يطفن بالرجل السقيم ، ويَمْدُدْنه لشفائه من السقم . ولا نريد الوقوف عند هاتين الصورتين ، ونكتفي بما قلناه في شرحها آنفاً .

* * *

وهناك شيء ثالث ردّد الشعراء ذكره كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، وهو النُّؤْيُ [٥] من بقايا الديار . والنؤي حفير أو خندق صغير يحفر حول

---

(١) ديوانه ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
(٢) بلاقع : أي خالية . وجميع : مجتمعون .
(٣) واكف من الدلو : أي مطر من برج الدلو . والهموع : الذي يسيل .
(٤) رواكد : أي ساكنة ، ويريد بها الأثافي الثلاث الساكنة حول موقد النار . ووقوع : أي واقعة على الأرض جاثمة .
(٥) ويجمع النؤي على النُّئيّ .

بيوت الأعراب في البادية ، لدفع مياه المطر والسيل ، ومنعها من دخول البيت . وذلك أن المياه حين تجري تنحدر في هذه الحفرة ، وتسيل فيها ، وتتفرق في الأرض بعد ذلك بعيداً عن البيت .

وقد وصف شعراء العرب النؤي ، وأكثروا من وصفه وتصويره . وشبهوه في أثناء هذا الوصف بحوض الماء ، ولا سيما حوض الماء المهدم . قال النابغة الذبياني في ذلك (١) :

توهمتُ آياتٍ لها فعرفتُها لستة أعوام ، وذا العام سابعُ (٢)
رمادٌ ككحل العين لأياً أبينُه ونؤيٌ كجِذْمِ الحوض أثلمُ خاشعُ (٣)

يذكر النابغة النؤي بين بقايا الدار كما نرى ، ويصوره ، فيشبهه في هذا التصوير بطرف الحوض ، لاستدارة النؤي حول البيت ، كما يستدير الحوض ، ثم لارتفاع حافة النؤي عن الأرض لحبس الماء ، كما ترتفع حافة الحوض لحبس الماء أيضاً . وهاتان هما العلاقتان بين النؤي وبين الحوض في التصوير ، أي الاستدارة وارتفاع الحافة عن الأرض .

والحوض الذي يذكره الشعراء في مجال التصوير هنا هو حوض الماء الذي كان الأعراب يقيمونه قريباً من بيوتهم ، ويجمعون فيه الماء المستخرج من الآبار التي يبنى الحوض بالقرب منها ، أو الماء المستجلب على ظهور الإبل من الغدران التي تتجمع فيها ماء المطر . وكان الأعراب يبنون هذه الأحواض بالطين والحجارة ، وحين يرحلون عن الدار كانوا يتركونه كما هو ، كما

(١) ديوانه ٥٠ .
(٢) الآيات : العلامات . لستة أعوام : أي بعد ستة أعوام .
(٣) لأياً : أي بطيئاً . وجذم الحوض : أصل حائطه الذي يبقى بعد أن يتهدم . وخاشع : لاصق بالأرض من الخراب .

يتركون سائر البقايا . فيتهدم مع الزمن ، وتتثلم أطرافه ، كما ذكر النابغة في شعره . فالصورة مستمدة من بيئة الأعراب في البادية كما نرى .

وقد رسم شعراء العرب صورة أخرى للنؤي حين وصفهم له ، وهي تشبيه النؤي بسوار من العاج . قال كثير عَزَّة في صفة نؤي (١) :

عرفتُ لسعدى بعد عشرين حِجَّةً بها دَرْسَ نؤيٍ في المحلة منحني(٢)

قديمٍ كوقف العاج، ثُبّتَ حوله مغارزُ أوتاد ، برَضْمٍ مُوَضَّنِ(٣)

والعلاقة بين النؤي وبين سوار العاج في هذه الصورة ، أو وجه الشبه بينهما ، هو الاستدارة وارتفاع الحافة أيضاً ، كما في الصورة الأولى التي شبَّه الشعراء فيها النؤي بحوافي الحوض .

والأسورة المصنوعة من العاج أو الذَّبْل من الحلي التي كان نساء الأعراب في البادية يتزيَّنَّ بها . وهن إلى اليوم يتحلين بحُليٍّ لا تختلف كثيراً عن هذه الأسورة التي ذكرها الشعراء في القديم .

* * *

وأخيراً نصل إلى الوتد ، وهو الشيء الرابع من بقايا الديار الذي اهتم به الشعراء في شعر الوقوف على الأطلال . فذكروه في شعرهم ووصفوه وصوروه . ولكنهم لم يكثروا من ذكره مثلما أكثروا من ذكر الأشياء الأخرى . وقد شبهوه في أثناء الوصف والتصوير بالشجيج أو المشجوج ،

(١) أمالي المرتضى ٢/٣٤ ، وديوانه ٢/٥٨ .

(٢) الحجة : السنة . بها : أي بالدار . ودرس : أي دارس .

(٣) وقف العاج : سوار العاج . برضم موضن : أي النؤي مركوم بحجارة بعضها فوق بعض .

وهو الرجل الذي شُجّ رأسه . قال حسان بن ثابت في ذلك [١] :

لمن منزلٌ عافٍ كأن رسومَه خياعيلُ رَيْطٍ سابريٍّ مُرَسَّمِ [٢]

خلاءُ المبادي ، ما به غيرُ رُكَّدٍ ثلاثٍ كأمثال الحمائم جُثَّمِ [٣]

وغيرُ شجيجٍ ماثلٍ حالفَ البِلى وغيرُ بقايا كالسحيق المنمنمِ [٤]

والعلاقة بين عصا الوتد وبين الرجل الشجيج هي أن الوتد قد ينكسر حين يدق في الأرض ، فينفصم إلى شطرين تكون بينهما فرجة ضيقة ، تبدو كالشجة في رأس الإنسان ، فتنبه الشعراء لذلك ، أي التشابه بين الشجة في رأس الإنسان وبين الشق في رأس الوتد ، وجعلوه وجهاً للشبه ، واتخذوه عنصراً للتصوير كما نرى .

وهناك عنصر آخر نفسي في هذه الصورة ، وهي مسألة الضرب والدق . فالشجة في رأس الإنسان أثر من آثار الضرب ، والانكسار والانفصام في رأس الوتد أثر من آثار الضرب والدق أيضاً . وهذا هو الدافع النفسي الذي جعل الشعراء يقيمون هذا التشبيه في أثناء تصوير الوتد إلى جانب التشابه في الشكل أو المظهر الخارجي . فالعلاقة بين عناصر التصوير في هذه الصورة علاقة مادية ونفسية معاً .

وهناك صورة أخرى رسمها الشعراء للوتد في أثناء تصويره ، وهي تشبيهه بالرجل الأشعث ، وهو الذي قد تشعث شعره ، أي تفرق .

---

(١) ديوانه ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(٢) خياعيل : أي قطع ، واحدها خيعل . والريط : ثوب لين طويل الذيل . والسابري : المنسوب إلى سابور ملك الفرس . والمرسم : المزين بالرسوم .

(٣) المبادي : الظواهر . والركد الثلاث : الأثافي الثلاث .

(٤) الشجيج : يريد به الوتد الذي انكسر أعلاه وانفرق فرقين . والماثل : القائم البارز . والسحيق : الثوب السحيق ، وهو البالي . والمنمنم : المزين بنقوش صغيرة .

قال حسان بن ثابت في ذلك أيضاً (١) :

أهاجكَ بالبيداء رسمُ المنازلِ نعم، قد عفاها كلُّ أسْحَمَ هاطلِ (٢)
وجرّت عليها الرامساتُ ذيولهَا فلم يبق منها غيرُ أشعثَ ماثلِ (٣)

والعلاقة بين الوتد وبين الشعر المشعَّث هي أن أجزاء الخشب وأليافه في رأس الوتد تتفرق من أثر الضرب والدق ، وينفصل بعضها عن بعض دون أن تتقطع ، فتبدو على شكل خيوط متفرقة متشابكة في أعلى الوتد القائم ، كما تبدو اللمة الشعثاء على رأس الرجل .

* * *

هذه أهم الأشياء التي ذكرها الشعراء من بقايا الديار ، وصوروها في شعر الوقوف على الأطلال . وقد عرضنا للصور أو التشبيهات التي أوردوها في معرض الوصف والتصوير . وحاولنا أن نبين أجزاء هذه الصور ، والعلائق التي وجدوها بين هذه الأشياء من بقايا الديار وبين الأشياء التي شبهوها بها . وقد رأينا أن معظم هذه الصور مستمدة من حياة الأعراب في بيئة البادية .

ولقد كانت طريقتنا في هذا العرض والبيان هي طريقة الإيجاز ، والإشارة إلى الأمور العامة ، وترك الأمور الصغيرة التي تدخل في الدقائق ، لأن الاهتمام بها ، والبحث فيها يطول ولا ينتهي . وهو بعد لا يغني كثيراً في مثل هذه الدراسة .

(يتبع) الدكتور عزة حسن

(١) ديوانه ٣١٣ .
(٢) الأسحم : السحاب الأسود .
(٣) الرامسات : الرياح التي تثير التراب فترمس به الآثار ، أي تدفنها . والأشعث : يريد به الوتد الذي قد تشعث أعلاه .

التعريف والنقد

كتاب الديانة

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

اداب — سورية (صفحاته ١٠٠)

إن خير عمل يقوم به رجال الدين والإصلاح في هذا العصر هو تنوير أذهان العامة ، وتهذيبهم تهذيباً إسلامياً مقتبساً من نور الحنيفية السمحة ، وتفهيمهم أصول الإسلام الراسخة ، وعقائده الصحيحة ، وأحكام العبادات والمعاملات ، وما تضمنته الديانه من الحِكم والأسرار ، على وجه يشرب قلوبهم حب التدين ، ويبعث فيهم روح النشاط والاغتباط به .

وهذا (كتاب الديانة) يبحث في أركان الإسلام ، من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وما اشتملت عليه هذه الأركان من الأحكام ، ففي هذا المؤلَّف بيان لهذه العبادات ، وتفصيل لأحكامها ، وهو ـ كما قال الأستاذ المؤلف ـ قد قرّب البعيد ، ويسّر العسير ، وسهّل الصعب . وجعله في متناوَل أيدي المسلمين يقطفون ثماره ، فجزى المولى تعالى الأستاذ الجليل حمّادة خير الجزاء .

محمد بهجة البيطار



رسالة : صحّح صلاتك

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

ادلب — سورية

هذه رسالة مهداة إلى الآباء والأمهات ، والمعلمين والمعلمات ، الذين يجب عليهم تعليم أبنائهم وبناتهم أحكام الصلاة وفوائدها ، حتى يكونوا مخلصين لأمتهم ولوطنهم ، وبذلك رفع مستوى الأمة ، وتقدّم حضارتها » .

هذه شذرة من كلام الأستاذ المؤلف في الصفحة الأولى من رسالته الزاهرة تحت عنوان (هدية ثمينة) وقد قدّم ـ حفظه الله في طليعة رسالته ـ التي تبلغ ما يقرب من مائة صفحة بقطع الربع ـ مقدمات نافعة في مدرسة الحياة الإجبارية بعنوان : (الدين النصيحة) ثم بدأ رسالته ، وجعلها محاورة قيّمة بين طالبين ، أحدهما يسأل ، والآخر يجيب . ومن الأسئلة والأجوبة ما هو عامّ ، ومنه ما هو خاصّ بالصلاة وأحكامها ؛ فمن العامّ السؤال عن التقوى وفوائدها ، وجواب المجيب : التقوى هي فعل العبادات ، واجتناب المحرّمات ، وفوائدها كثيرة ، وأورد شواهد من الفوائد منها قوله تعالى : « وَمن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

وهذا الكتاب (صحّح صلاتك) يزيل عمّن تدبره كلّ إشكال وسؤال ، ويجعله ملتزماً للأحكام ، بصدق وإيمان .

م . ب .

كتاب القضاء والقدر

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

الطبعة الثانية فيها زيادات مهمة على الطبعة الأولى

عدد صفحاته (١٣٠) صفحة طبع بحلب

هذا الكتاب الجليل ، لمؤلفه الأستاذ الشيخ عبد الغني حمّادة الإدلبي ، ألفه داعياً إلى الإيمان بالقدر ، لأنه أحد الأركان الستة ، وهي الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

وقد ذكر القضاء والقدر في آي الذكر الحكيم ، في سورة البقرة : « بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » أي إذا أراد إيجاد أمر فإنما يأمره أن يكون موجوداً فيكون ، وفي آل عمران : « قال كذلكِ اللهُ يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » .

وفي الحديث الصحيح : استعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك أمر فقل : قدر الله وما شاء فعل ، ولا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، فإنّ (لو) تفتح عمل الشيطان .

والكتاب كلّه فوائد وفرائد ، فهو يروي عن الرسول الأمين ، وعن أصحابه والتابعين ، وعن علماء الأمة وحكمائها ، وفيه حكمة إرسال الرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) ومباحث إرادة العبد وقدرته ، وفيه الرحمة والدعاء والسعادة والشقاء ، وعوامل الخير والشر في نفوس العباد ، وهداية الله للناس ، والقضاء المعلّق ، وبحث الضلال والإضلال ، وختَمه بمناظرات خمس ، وبعدها خاتمة الكتاب . وجملة ما بيّنه الأستاذ حمّادة في هذا

الكتاب أن القضاء والقدر ، ليسا هما العجز والكسل ، بل هما الجدّ والعمل ، إلى أن تحين ساعة الأجل ، ومصداقها قول القائل :

مطالب تدعوني وأدعو المطالبا فلا زلت مطلوباً ولا زلت طالبا

نزيد على ما استدركه المؤلف ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٩	١	لا تبديل لخلق	« لخلق الله »
٧٢	١١	فهديناه	« فهديناهم »
٧٣	١٤	الارض	« في الأرض »
٧٤	١	يريد بكم	« يريد الله بكم »
٨٨	٤	صوفة	صدفة
٩٤	١٤	لا تهتدى	« لا تَهدي »
٩٧	٢١	ازاغوا	« زاغوا »
١٠٧	١٠	أحد	« أحداً »
١٠٧	١٣	من ان	« من قبل أن »
١٠٨	٦	والاحسان وينهى	«والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى »

ص . ب

⁂

أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

ادلب — سورية

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أكبر من أن يوصف ، وأشهر من أن يُعرّف ، فقد كان صَديق رسول الله ﷺ ، وصِدّيقَه فيما جاء به عن ربه عزّ وجل ، وكان المثلَ الإنسانيّ الكامل في محاسنه وخصائصه ومزاياه التي انفرد بها عن غيره ففي تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي (١) أنه لمّا استخلف ألقى كلّ دينار ودرهم عنده في بيت المال ، وقال : قد كنت أتجر فيه وألتمس به ، فلمّا وليتهم شغلوني . وقد تمت بيعته من غير قتال ولا جدال وبايعه من بعد المهاجرون والأنصار ، ولمّا مرض الرسول صلوات الله عليه أمره أن يصلي بالناس ، فكان ذلك أعظم إشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده . وفي السيرة النبوية لابن هشام (٢) ، قال النبي عليه الصلاة والسلام انظروا هذه اللافظة في المسجد (النافذة إليه) فسدّوها إلاّ باب أبي بكر فإني لا أعلم أن أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه . وقال يومئذ في كلامه هذا : فاني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان ، حتى يجمع الله بيننا عنده .

ولمّا توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة تقول : صار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ حتى جمعهم الله على أبي بكر .

وبعد فهذه سيرة أبي بكر الصديق (رض) كتبها الأستاذ الجليل الشيخ عبد الغني حمّادة الادلبي ، قد اشتملت على عبقرية الخليفة ، وانعقاد الإجماع

(١) ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) ج ٤ ص ٢٩٩ و ٣١٦ .

على خلافته ، وأوصاف الخلفاء الراشدين ، وزهدهم في الدنيا ، وبعدهم عنها ، وعدلهم وفضلهم ، وبهذه المناسبة تذكرت كلمة الأستاذ الكبير فارس الخوري الشهير ، قال لي مرة : الخلفاء الراشدون لا نظير لهم في الدنيا ، ففي عهدهم غنيت الأمة كلها إلاّ الخلفاء فقد آثروا الفقر على الغنى اهـ . مادلّ على خلافة الصديق من آي الذكر الحكيم ، وسنة النبي الكريم ، علمه الجم ، ورعه الأتم ، فضله الأعم ؛ ترجمة الإمام النووي له ، شهادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب له ، خصوصياته التي انفرد بها ، شجاعته التي امتاز بها ، حياته وأعماله في زمن خلافته . إسناد أبي بكر الأعمال ، إلى الأكفياء من الرجال ، قادة الجيوش في عهده لفتح الشام ، حروب النساء في الإسلام المبايعة على الموت ، انقضاض الأبطال على الأعداء الاثام ، حرب الصاعقة ، ولايات الإسلام في عهده ، شذرة من عبقرية عائشة أم المؤمنين وحسن تدبيرها ، عود إلى وصف الصدّيق والصحابة الكرام . الدعوة إلى إحياء ذكرى سلفنا الصالح ودراسة تاريخهم المجيد ، وهذا هو حُسن الختام . فالشكر العطير للأستاذ المؤلف على هذا التأليف الجامع أثابه المولى أجزل الثواب .

استدراك : جاء (ص ١١٦) في وصف الصديق ما نصه : ويستند في أعماله إلى الله ، لا إلى نبيه ورسوله ، بدليل أنه حين توفي رسول الله لم يطش كما طاشت عقول الصحابة » أقول : لا يخفى أن الإحياء والإماتة هما من أفعال الله تعالى ، فلا تسند إلى غيره ، قال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » وأما بيان المجمل في القرآن ، فموكول إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : « لتبين للناس ما نزل إليهم » وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » وهل عُلم من آي الذكر الحكيم عدد ركعات الصلاة ، ومقادير الزكاة وأحكام الصيام ، ومناسك

الحج ؟ أم الذي بيّن ذلك كلّه هو قول النبي وفعله ؟ لا شك إنه لولا بيانه صلوات الله عليه لبقي الأمر مبهماً علينا .

نضيف إلى جدول الخطأ والصواب ، ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠	١٢	وليستخلفنهم	« ليستخلفنهم »
٩٠	٢	خاضمو ها	خاضوها
١١٢	١	أظهروا	أظهرن
١١٣	١١	بنيب أبيها	ينيب أباها

م . ج .

المختار من أحاديث سيد الأبرار

بقلم جواد الرابط

إنّ خير عمل يقوم به رجال العلم والإصلاح ، هو تنوير أذهان جماهير الأمّة ، وتهذيبهم تهذيباً مقتبساً من نور الحنيفية السمحة ، وتفهيمهم أصول الإيمان الراسخة ، والعقائد الصحيحة ، وأحكام العبادات والمعاملات ، على وجه يحملهم على العمل بأحكامه ، والإذعان بأن جميع ما أوجبه الشارع الحكيم أو حرّمه ، هو مبني على جلب المصالح للأمة ، ودرء المفاسد عنها ، وبذلك يكون الله ورسوله أحبّ إليهم مما سواهما ، ويكون امتثالهم للشرع فعلاً وتركاً ـ امتثالاً مبنياً على الإذعان بأن الشريعة أبرّ بالإنسان وأرفق به من أبيه وأمه ، وأن جميع ما شرعه الله للناس ، فهو لخير مجتمعهم الإنساني ولدفع الشرور والغوائل عنهم .

وهذا كتاب (المختار من أحاديث سيد الأبرار) تأليف الأستاذ السلفي الصوفي ، السيد جواد المرابط ، الجامع بين هدي الدين ورقي العصر على أكمل الوجوه .

وقد جاء في طليعة كتابه قوله « وبعد : فهذه مجموعة من الأحاديث النبوية ، تعتبر – بعد المرجع الأعلى ، والدستور المحكم ، وهو القرآن الكريم – ، أرفع ما حوته لغة ، أو وضعه كتاب ، وهي إذ تهدي لسعادة الدارين ، وتجمع بين ما يحتاجه الإنسان في حاجاته الجسمية ، ومطالبه الروحية ، وبما تتضمنه من علاج النفوس ودواء للعقول ، ووسيلة لرقي المجتمع الإنساني ، تعدّ أسمى ما يرشد إلى الحياة الكريمة والعيش الرضي » .

وقد استهلّه بمقدمات بيَّن فيها كون السنَّة المصدر الثاني للشريعة ، وبأنه أتى منها في كتابه بما يسهل حفظه ويعظم نفعه ، وبما يرغب في سعادة الجنس البشري كله ، وأوضح أن أول من استجاب للدعوة الإسلامية هم أهل الإنصاف والإخلاص ، لجمعها بين الحكمة والرحمة ، وضرب لهذا مثلاً بما سمعه من كلام النبي أحدُ حكماء قريش وحلمائها وأصحاب الرأي فيها ، فكان ذلك من أقوى أسباب إسلامه ، وبوحي الله المعجز وبسنة نبيه الهادي زالت السخائم والأحقاد من قلوب الأوس والخزرج ، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً ، وبأسلوب السنة العالي الغالي بعد أسلوب الكتاب المنزل ، اهتدى الصحب الكرام للتفريق بين فضائل الحلال ورذائل الحرام ، ثم نقل الأستاذ الجواد ثمانية قوانين من تلمود اليهود ، وفيها الهلكة للعالم كله ، واستباحة دمائهم وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم ، وتقديمها للشعب المختار ! وهم جميعاً لا يبلغون على وجه البسيطة كلها أكثر من بضعة عشر مليوناً ! ثم ذكر ما للأحاديث النبوية من توجيهات رفيعة للإنسان ولمجتمعه ولحكومته ، وأبان إحكام الرابطة الدينية بين أهلها ، وأنها أعدل الروابط وأفضلها .

وبعد أن أتم الأستاذ المرابط هذه المقدمات النافعة الرافعة ، أخذ يورد الأحاديث الشريفة ، وجعل لكل طائفة منها عنواناً يشير إليها ، ويدلّ عليها ، فالأولى أدعية مبدوءة بقوله عليه أزكى التحية (اللهم) ، والثانية بعنوان : حقيقة المسلم ، ثم الإيمان ، فأحَد أحَد ، فتمام البر ، فتعلّموا ، فاسعَوا ، فنظام البيت ، فخير الناس ، فاتحدوا ، فآداب اجتماعية ، فالأوامر ، فالنواهي ، فطرق الخير ، فالجهاد ، فأولياء الأمر ، فحُرمة الملكية والتضامن الاجتماعي ، وعقد فصلاً بعنوان (من الحِـكَم) فقواعد صحية ، ثم عنوان : ارفقوا بالحيوان ، فأصول فقهية ، ثم : لدوا الموت ، فمواعظ ، فمن الأذكار ، ومن المأثورات ، ثم كلمة الختام .

وقد جمع الكتاب فأوعى من هذه المقاصد والفوائد ، وفي كلمته الختاميّة يوجّه الأنظار والأفكار ، إلى ما حـــلّ بجوار الدار من الأرض المحتلة بالصهيونية ، ودعا إلى التضامن والتعاون على تحقيق الرجاء بكشف البلاء والانتصار على الأعداء .

وهذا الكتاب يبلغ مع فهرسه المفصَّل نحو مائتي صفحة .

وفي تعليقات الحكيم الجواد وفرائده ونقوله عن حكماء الغرب ما لا يستغني عن مطالعته مَن ألقى السمع وهو شهيد .

وقد كتب على غلافه (يوزع مجاناً) أحسن الله عمله ، وحقق أمله ، بمنه وكرمـــه .

م . ب .

عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة

تأليف : محمد عزة دروزة

الطبعة الثانية ـ عدد الصفحات ٨٤٨
(عن دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت)
(١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م)

عنوان هذا الكتاب جذاب يستهوي القلوب والألباب ، لما في هذا العصر قبل البعثة وبعدها من الإرهاصات العجيبة والحوادث الغريبة ، انتهت بانتصار الدعوة الإسلامية وتآلف المسلمين كتلة واحدة جبارة ، فكانت خير أمة أُخرجت للناس ، بلغت ذروة العز والمجد ، وحملت مشعل العلم والعدالة أجلى بنوره الساطع ظلمات الجهل والظلم ، وكان من هذه الأمة ما كان من المفاخر الخالدة على الدهر .

أتيح لي أن اطلع على هذا الكتاب لمؤلفه الفاضل محمد عزة دروزة ، الذي أضاف إلى مكتبة العالم الديني تحفة جديدة جيدة .

ولقد اعتدتُ ألاّ أباشر قراءة كتاب — أيّ كتاب — إلاّ بعد أن أصحح ما وقع فيه من أخطاء مطبعية مذكورة في جدول التصويب .

وهذا ما عملته قبل مطالعتي هذا الكتاب ، وبعد أن انتهيت من هذا العمل ، أخذت أُطالع المتن بإمعان ودقة لطرافة الموضوع الذي تناوله المؤلف ، وأخذ على عاتقه معالجته شرحاً مستفيضاً ، مستلهماً البراهين دعماً لنظرته ، من الآيات البيّنات الواردة في القرآن الكريم ، التي نزلت على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، كما جاء ذلك في الأرقام (٧ ـ ٨ ـ ٩) من المقدمة المسهبة . وقد ذكر المؤلف فيها الحافز الذي دفعه إلى هذه المحاولة

الحميدة ، في رسم صورة لعصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ، لتكون هذه الصورة الجديدة تنويراً للنشء العربي الجديد عامةً والمسلم منه خاصةً ، آملاً أن تكون هذه الصورة صلة بينهم وبين القرآن الكريم الذي هو كتاب الدين « الذي إليه ينتسبون ، ومناط الفخر الذي به يفخرون ويعتزون » . فليس كل من يتلو القرآن « يقرأه قراءةَ فهمٍ وإمعان ، ولا يقف عند آياته وقوف التمعن والاستبصار » لتتجلى أمام بصره وبصيرته تلك الصور العديدة الأخّاذة بحسن بيانهـــا ، وروعة أسلوبها ، وبلاغة تعبيرها ، وقوة حجتها .

هذا وشهرة المؤلف في مجال التأليف تغني عن بيان قيمة كتابه الجديد ، هذا الذي أضـاف إلى مكتبة المؤلّفات العربية مؤلّفاً ثميناً ببحثه الطريف المستفيض ، بأسلوب سلس مستساغ ، خصوصـاً والموضوعات ـــ بأبوابه الأربعة (١) ـــ شيّقة ماتعة .

وقد لفتَ نظري في خـلال المطالعة ما كنتُ أجده في نص الآيات الكريمة من الأخطاء التي لم تذكر أصلاً في جدول التصويب وكان الأجدر أن تُولّى العناية التامة بتصحيحها في جدول خاص ، قبل جدول تصويب الأخطاء المطبعية التي حدثت في متن الكتاب . ويغلب على ظني أن يكون المؤلف قد عهد إلى أحد أصدقائه بتصحيح (بروفات الملازم) فكان على هذا الصـديق أن يبالغ في تصحيح (بروفات الملازم) التي فيهـا الآيات القرآنية بوجهٍ خاص ، مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر حتى تخلو من الأخطاء وهي تُقدَّم إلى نشءٍ جديد ، وإلا كان لا بد من ذكر هذه الأخطاء في جدول تصويب خاص ليصححها القارىء ، حرصـاً على سلامة الآيات من الخلل ، قبل مطالعة الكتاب لتنطبع في ذهنه سليمةً صحيحة .

(١) الباب الأول في الاقليم والسكان ومعايشهم ؛ الثاني في الحياة الاجتماعية ؛ الثالث في الحياة العقلية ؛ الرابع في الأديان والعقائد .

فكيف سها عن البال وضع مثل هذا الجدول الضروري جداً ، ولا يخفى ما للقرآن الكريم وآياته البيّنات من المقام السامي في نفوس المسلمين وما يولونها من الاحترام والحرص على سلامتها من أيّ خطأ من وجهتي الطباعة والتلاوة .

ولهذا كنت أبادر إلى تصحيح ما أجده في نص الآيات — (التي أحفظ أكثرها والحمد لله) — من الخطأ الطبعي زيادةً أو نقصاً أو في تشكيلها مما يُخلّ بالمعنى كل الإخلال ، ثم أؤكده بالرجوع إلى السُّوَر في مصحف والدي رحمه الله وأجزل ثوابه ، الذي جعل على أطرافه تفسيراً مختصراً بخط يده الجميل من الخط الفارسي (= التعليق) والذي كنت أتلو آياته بتمعن واستبصار في حال حياة والدي وأطلب منه المزيد من التفسير لي ، ثم بعد وفاته احتفظت به وأقرؤه مراراً وتكراراً ، أقول وبعد التأكد من التصحيح كنتُ أسجّل الصواب ، وإلى جانبه صفحة الكتاب والسطر ، في ورقة خاصةٍ جعلتها لهذا الغرض بغية إطلاع المؤلف الفاضل عليها ليتلافاها في طبعة « ثالثة » إذا يسر الله له ذلك ؛ وقد أتاحت لي مجلة مجمعنا تحقيق بغيتي هذه . وإني على يقين من أن المؤلف الفاضل يتقبل هذه الملاحظة الخالصة لوجه الله تعالى بقبول حسن بصدره الرحب ، وأقدّر ما بذله من جهد في تأليفه هذا الكتاب الجديد ، وإخراجه إلى عالم المطبوعات بهذه الحلة البهيجة ، راجياً للنشء الجديد مزيد الانتفاع به علماً وثقافةً ويقيناً .

وفيما يلي جدول بأهم ما بدا لي تصحيحه اختصاراً ، دون الإشارة إلى الخطأ .

صفحة	سطر	
٣٥	٩	بِمُعَذَّبِينَ
٣٥	١٦	يَحْسَبُ
٣٨	٧	مُحَصَّنَةٍ
٤٨	٥	ضَرٌّاً
٥٦	١٦	دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
٥٦	١٧	وَهٰرُونَ
٥٦	١٨	وَإِلْيَاسَ...وَإِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ
٥٧	١٦	وَكُلٌّ
٦١	٨	لِيُنْذِرَ
٨٨	١٤	وَحَلُّوا
١٠٢	١٣	مَانَفِدَتْ
١١٢	١١	رَأَيْتَهُمْ
١١٢	١٣	خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
١٢٤	١	أُهِلَّ بِهِ
١٣٣	١٤	ذَاتِ حَمْلٍ
١٣٤	٥	يُنْزَفُونَ
١٤٧	٢	عَالِيَهُمْ ... وإِسْتَبْرَقٌ
١٥١	٢	لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ
١٦١	٩	رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنا
١٦٢	٩	الْحَقَّ ... صِرَاطِ
١٦٢	١٦	تحذف : (ولكم لنا أعمالنا)

صفحة	سطر	
١٧٠	١٤	وَكَفَرْتُمْ
١٧٦	١	وَآتَيْنَا
١٧٦	١٤	مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ... أَنْفُسُهُمْ أَنْ
١٨٤	٦	وَلَيَزِيدَنَّ
١٨٥	١٩	مَا عَنِتُّمْ
١٨٦	٢	تُحذف : (وَتُؤْمِنُونَ)
١٨٦	٧	كَيْدُهُمْ شَيْئاً
١٨٧	١٢	الْمُلْكَ
١٨٩	١٣	مُحَصَّنَةٍ
١٩٣	٨	ذَرُونا
١٩٣	١٣	وَيَهْدِيَكُمْ
٢٠٤	٨	تُحذف : (إنْ)
٢١٢	٩	ثَلاثَةٍ
٢١٢	السطر الأخير	والنَّصارى
٢١٣	١٢	يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ
٢١٤	٣	أن يُتِمَّ
٢٢١	١٣	أو يَعْفُوَ الَّذي
٢٢٢	١	فَانْكِحُوا
٢٢٦	١٣	يَنْكِحْنَ
٢٢٧	٤	كَرْهاً
٢٢٨	٦	أُمَّهَاتُهُمْ
٢٢٩	١	لا يَحْتَسِبُ
٢٣٣	٣	يُنْشَأُ

صفحة	سطر	
٢٣٣	٨	قِسْمَةٌ
٢٣٨	٨	مِنْ لَدُنْكَ
٢٤٢	١٠	الْمَحِيضِ ولا ... حَتَّى يَطْهُرْنَ
٢٤٦	١	فَيَسْتَحْيِي مِنْكُم ... لا يَسْتَحْيِي
٢٥١	٣	فاسْتَشْهِدُوا
٢٥٣	١٠	تَذَكَّرُونَ ... فيها أحَداً
٢٥٣	١١	قيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا
٢٥٥	٥	الإرْبَةِ
٢٥٧	٦	فَرَضَ اللهُ لَهُ
٢٥٧	١٠	النَّبِيِّينَ ... بِكُلِّ
٢٦١	١٤	(ولَآمُرَنَّهُمْ ... الآية ١١٩)
٢٦٥	٩	أنْ يَكْبَرُوا
٢٦٦	٧	فأنَّ
٣٦٩	٢٠	أن تجْعَلوا لِلهِ
٢٧٠	١٢	آوَوْا ونَصَرُوا
٢٧٧	٤	يَوْمَئِذٍ
٢٨٦	١٤	لا يَتَّخِذِ
٢٩١	٢٠	أُدْعُوهُمْ
٢٩٤	٦	يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ
٣٠٩	١٤	حِجُّ البَيْتِ مَنِ
٣١٠	١٢	وأذانٌ

صفحة	سطر	
٢٥٩	١٤ - ١٥ - ١٧	اسْتُضْعِفُوا
٣٦٠	٣	لَيَسْجُنُنَّهُ
٣٧٠	١	مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ
٣٨٠	٦	امْرَأَةُ العَزِيزِ
٣٩٧	٨	إنْ كُنْتُمْ
٤٠٤	١٠	خَلَقْتُ ... وجَعَلْتُ
٤١١	٢	[تحذف : « كيف » الثانية لأنها مكررة]
٤١١	٣	[تحذف « فعل » لأنها مكررة]
٤٢٠	١٥	لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ
٤٢٣	١٦	خَرَقَها
٤٢٤	٣	نَفْساً زَكِيَّةً
٤٢٥	٨	لَيَأْتِيَنِّي
٤٢٦	٨	بَلْ أنْتُمْ
٤٣٦	٢٠	الأُمِّيِّ الَّذي
٤٤٣	١٧	تُديرُونَها بَيْنَكُمْ
٤٥٦	١	يَعْلَمَهُ ... إسْرائيلَ
٤٥٦	٣	عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ [تحذف « أهْل »]
٤٦٢	١٤	مُوسى فأَمْلَيْتُ
٤٦٣	٧	قُوَّةً وأثارُوا الأرْضَ
٤٦٣	١١	لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ
٤٧٤	١٤	عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ

صفحة	سطر	
٤٩٣	١١	لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئِكَ كانَ
٥١١	١٠	ما هذا إلاَّ إفْكٌ
٥١٣	٥	شَاءَ اللهُ
٥١٥	٣	بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
٥١٥	٨	ما يَزِرُونَ
٥٢٥	٤	وإذا أُنْزِلَتْ
٥٢٧	٦	لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ
٥٤٤	٤	مِنْ بَعْدِ أنْ
٥٤٥	١٦	يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ
٥٤٩	يحذف السطر الأول كله لأنه مكرر	
٥٤٩	٢	[يحذف « إن هذا لشيء »]
٥٦٦	١٢	بَعْدَ أنْ
٥٨٥	١	فالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
٦٠٣	٥	(وإنَّ مِنْهُمْ)
٦١٢	٨	أنْبِئْهُمْ بِأسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أنْبَأهُمْ بِأسْمَائِهِمْ قالَ
٦٢١	١٩	اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ
٦٢٢	٣	وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا
٦٢٢	٥	اللَّذَيْنِ
٦٤٥	١	وَكُلا مِنْهَا رَغَداً
٦٤٧	٢	[تحذف : « قال لم »]

صفحة	سطر	
٦٤٧	٢	مَعَ السَّاجِدِينَ قالَ يا إبْلِيسُ مالَكَ ألاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قالَ لَمْ
٦٤٧	٥	قالَ رَبِّ فَأنْظِرْنِي
٦٧١	١٧	لِيَحْكُمَ
٦٧٨	٢	لَيَكُونُنَّ
٦٧٨	١٠	سُخْرِيّاً
٦٨٠	٣	لَنَسْفَعَنْ
٧٠٣	١٠	مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً
٧٠٧	٧	قالَ أسْلَمْتُ لِرَبِّ
٧٠٧	٧	بَنِيهِ ويَعْقُوبُ
٧٠٧	٨	يا بَنِيَّ إنَّ
٧٠٧	٩	الْمَوْتُ إذْ قالَ
٧٠٧	٩	ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي
٧٠٨	١	إلى إبْرَاهِيمَ ... وَالأسْباطِ
٧٠٨	١٣	فَلِمَ تُحاجُّونَ
٧٠٨	السطر الأخير	الَّذِينَ
٧١٣	١	أراغِبٌ أنْتَ
٧١٧	٤	قِيَماً
٧٢٩	١١	والعاكِفِينَ
٧٣٤	٦	فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ... الحَرَامِ
٧٣٥	١	وما أنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ

صفحة	سطر	
٧٣٥	٢	وما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ
٧٣٩	٤	وَمَنْ يُرِدِ اللهُ
٧٤١	٨	لِتَحْسَبُوهُ
٧٤٤	٢	آيَةً
٧٥٣	٥	الرَّسُولَ النَّبِيَّ
٧٦١	٢٢	بَشَرٌ
٧٦٦	١٣	يا أُخْتَ ... سَوْءٍ
٧٧٢	٧	لَيَكُونُنَّ
٧٨٥	٤	بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ
٦٨٧	٩	إِذْ قالَ
٧٩٣	٤	فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ
٧٩٣	١١	وَآتُوا الزَّكاةَ
٧٩٩	٣	أَوْ لامَسْتُمْ
٧٩٩	٦	وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ
٨١٨	٦	خالِصَةٌ
٨٢٣	١٧	مِنْ عِنْدِ
٨٢٦	٣	تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ
٨٣٤	٤	أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها
٨٣٥	١١	اليَوْمَ عَلَيْكَ
٧٣٧	٥	لِيُثْبِتَ
٨٣٨	١	الرُّوحَ

الكواكبي

ذكرياتي عن وادي الفرات

عام ١٩١٦ م

بقلم : أحمد وصفي زكريا

تحقيق : عبد القادر عياش

عدد صفحاتها ٥٦

من منشورات مجلة صوت الفرات ـ دير الزور ١٩٦٨ م

ولد صاحب هذه المذكرات سنة ١٨٨٩ م ، وتخرج بالمدرسة الزراعية العليا في استانبول سنة ١٩١٢ ، وعين مدرساً في المدرسة الزراعية بسلمية من أعمال محافظة حماة ، فمديراً لها ، ثم نقل إلى دار الحرير ببيروت سنة ١٩١٤ ، فمديراً للمدرسة الزراعية في الأطرون بفلسطين سنة ١٩١٦ . وكلف في السنة نفسها بمهمة مكافحة الجراد في دير الزور حاضرة وادي الفرات الأعلى ، وكان ضابط احتياط في الجيش العثماني برتبة ملازم .

ولما تألفت الحكومة العربية الفيصلية ، كلف بمديرية مدرسة سلمية الزراعية ، وكانت قد عطلت فأعاد فتحها ، ومكث فيها خمس سنوات .

وفي عام ١٩٢٤ عين مفتشاً لأملاك الدولة ، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٣ ، ثم عين مستشاراً فنياً للشئون الزراعية باليمن ، وقد مكث فيه سنتين .

وكلف سنة ١٩٣٨ من قبل حكومة العراق ليدرس الزراعة في مدرسة دار المعلمين الريفية ببغداد ، وبقي في هذا المنصب إلى عام ١٩٤١ .

وأخيراً عينته الحكومة السورية مفتشاً لوزارة الزراعة ، وبقي في هذه الوظيفة إلى أن أحيل على التقاعد بمناسبة بلوغه السن القانونية . وتوفي بدمشق في ٢١ نيسان ١٩٦٤ .

ولم تقتصر حياة المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا العلمية على المباحث الزراعية بل تعدى ذلك ، فبحث في التاريخ والآثار والجغرافية والرحلات الخ . . من الابحاث التي لها صلات وثيقة بمجتمعنا القديم والحديث .

ومن آثاره المطبوعة : الدروس الزراعية ، المفكرة الزراعية ، زراعة المحاصيل الحقلية ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، عشائر الشام ، والريف السوري ، ولا يزال بعض مؤلفاته مخطوطاً ككتابه عن الطيور .

وأما ذكريات الاستاذ وصفي زكريا عن وادي الفرات قبل خمسة وأربعين عاماً ، فوصف فيها كيف تلقى الأمر بالسفر عن دير الزور ، وكان يقضي دور النقاهة من الحمى النمشية (والتيفوس) ، فركب القطار من محطة العفولة متوجهاً الى دمشق ، فحلب ، ومنها استقل مركبة متواضعة تابعة لدائرة البريد ، فوصف الطريق وصفاً رائعاً ، وتمثل ببعض الأبيات الشعرية ، وذكر القرى والمراكز التي صادفها بطريقه ، فذكر النيرب ، وبرية خساف ، ودير حافر ، وخان الشعر ، ومسكنة ، وقرية أبي هريرة ، وموقع الحمام ، وتل الثديين ، والرقة ، والسبخة ، ومخفر معدان ، وسهل الحادي ، ومخفر التبني . ثم ختم بحثه بوصوله إلى دير الزور ومقابلته متصرفها علي سعاد ، ثم وصف مدينة دير الزور وصفاً دقيقاً لمعالمها ، فأحسن الوصف وأجاد . رحمه الله وجازاه خير جزاء على ما قدم من خدمات لأمته في العلم والأدب ، كما نقدم الشكر للأستاذ المحامي عبد القادر عياش على ما بذله من جهد في تحقيق هذه الذكريات .

عمر رضا كحالة

بلاد العرب

تأليف : الحسن بن عبد الله الأصفهاني

تحقيق : حمد الجاسر وصالح العلي

عدد صفحاته ٥٢٧

من منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

يعد هذا الكتاب من أقدم آثارنا القديمة ، فهو يرجع إلى الربع الأول من القرن الثالث الهجري ، وقد نقل عنه عدد من قدماء الباحثين في جغرافية بلاد العرب ، ومنازل القبائل كنصر بن عبد الرحمن الاسكندري الفزاري ، والزمخشري ، وياقوت الحموي .

ففي هذا المؤلف تحديد أجزاء كثيرة من منازل العرب التي كانت تقطن وسط شبه جزيرة العرب ، وقد حاول مؤلفه أن يذكر ما لهذه القبائل من مناهل وجبال وأمكنة .

وحوى هذا السفر معلومات طيبة تتعلق بالقبائل كأنسابها وأسماء شعرائها ولهجاتها ومنازلها وغير ذلك من معلومات قيمة ، ومتممة لما بين أيدينا من مباحث وموضوعات في هذا المضار . وقد اعتمد المؤلف في تحديد المواضع على المشاهدة والخبرة مما جعل بحثه سليماً ودقيقاً .

وورد في الكتاب المذكور بعض المعلومات عن معادن قلب شبه جزيرة العرب ، مما تساعد الباحثين في دراسة التاريخ الاقتصادي لجزيرة العرب .

وفي الكتاب ذكر للمواضع التي تتفق في الاسم ، ولكنها تختلف باختلاف القبائل التي كانت تسكن في تلك النواحي .

وقد وضع المحققان الفاضلان للكتاب فهارس قيمة وهي : مباحث الكتاب ، أسماء الأودية والجبال والمياه والأمكنة ، المعادن ، القبائل والعشائر والأفخاذ

والأسر ، الرجال والنساء ، أسماء الشعراء ، الشعر ، النبات ، الأيام ، كلمات لغوية ، والمصادر التي ورد ذكرها في الهوامش ، مما سهل على الباحثين والمطالعين عملهم ؛ وحبذا لو عمل المحققان المدققان للكتاب مخططات للبلدان ومنازل القبائل ، مما يساعد على كشف غامض نص الكتاب ، ولم شعث مباحثه .

وبالختام نشكر الأستاذين الفاضلين على ما بذلا من جهد في تحقيق هذا الكتاب القيم ، الذي يعد من أقدم المراجع التي وصلت إلينا بعد الرواة القدماء أمثال الأصمعي وغيره من العلماء ، متمنين لهما كل توفيق ونجاح .

ع . ك

تاريخ خليفة بن خياط
رواية : بَقي بن مَخْلَد
تحقيق : سهيل زكّار
القسم الأول : عدد صفحاته ٤٥٣

من منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق ١٩٦٧ م

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عمرو خليفة بن خياط العُصْفري التميمي البصري ، الملقب بشباب ، محدث إخباري نسابة ، وهو سليل أسرة علم وفضل ، بجده الذي يحمل اسمه ، كان من رجال الحديث الثقات عند البخاري وابن أبي حاتم الرازي ، وقد أخذ خليفة الحفيد العلم عن عدد من الشيوخ كيزيد بن زُرَيع الذي كان خليفة ألصق به سواه ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ وكان من أبناء الثمانين .

له من الكتب الطبقات ، التاريخ ، تاريخ الزَّمن والعرجان والمرضى والعميان ، وأجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته .

وقد ترجمه عدد من أصحاب التراجم كالذهبي في سير النبلاء وتذكرة الحفاظ والميزان ، وابن النديم في الفهرست ، وابن حجر في تهذيب التهذيب وغيرهم ، وقد عده البخاري من الثقات ، كما فعل ذلك الذهبي ووثقه في معظم كتبه .

وأما تاريخ خليفة فهو من أقدم ما انتهى إلينا من كتب التاريخ ، فهو يتناول فترة من تاريخ الإسلام تمتد حتى اثنتين وثلاثين ومئتين ، وقد استهل كتابه عن وضع التاريخ وميلاد الرسول ﷺ ، ثم أخذ يسوق أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الأولى للهجرة ، باسطاً ما جرى فيها من أحداث ومغاز وثورات ، حتى إذا فرغ من ذلك ذكر من أدركتهم الوفاة في تلك السنة .

وإذا استوفى الحديث عن عهد خليفة من الخلفاء اتبع ذلك ذكر من ولوا كل اقليم من أقاليم الدولة على عهده ، ثم من ولوا القضاء في الأمصار ولا سيما في المدينة ومكة والبصرة والكوفة ، ثم من تولوا حجابة الخليفة ، والشرطة والكتابة وبيوت المال والخاتم والبريد ، ثم يذكر أسماء الرسل والسفراء .

ويذكر المؤلف عقب الحديث عن كل معركة كبيرة هامة ، كبدر وأحد الحرة وقديد أسماء الذين لقوا حتفهم في هذه المعارك .

ونجد في هذا التاريخ وفيات كثير من أئمة الحديث ورجال الإدارة والحكم ، كما أولى المؤلف أخبار الدولة الأموية عناية خاصة .

وأما راوي هذا التاريخ فهو أبو عبد الرحمن بَقي بن مَخْلَد بن يزيد القرطبي ، وقد كان محدثاً حافظاً ، فقيهاً مجتهداً ، ولد في رمضان سنة ٢٠١ هـ ،

ورحل إلى مكة والمدينة ومصر والشام وبغداد ، وروى عن مائتين وأربعة وثمانين شيخاً ، منهم أحمد بن حنبل ، ورجع إلى الأندلس فملأها علماً وتوفي بها سنة ٢٧٦ هـ ، وقيل غير ذلك . له من الآثار : تفسير القرآن ، كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم وعدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث عن النبي ﷺ .

وقد ترجمه عدد من أصحاب السير والتاريخ كالذهبي في سير النبلاء وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن الفرضي في تاريخ العلماء والرواة وياقوت في معجم الأدباء والمقري في نفح الطيب . والحميدي في جذوة المقتبس والسيوطي في طبقات المفسرين .

وأما النسخة التي اعتمدها المحقق فهي من مخطوطات الخزانة العامة في الرباط وهي جيدة وقديمة نسخها أحمد الأشعري سنة سبع وسبعين وأربعمائة للهجرة ، وعليها مقابلة تمت عام تسع وسبعين وأربعمائة ، وبلغت دقة صاحبها أنه أثبت في هوامشها ما وقف عليه من إختلاف بين النسخ ، كما علق عليها بعض التعليقات المفيدة .

ولا بد لنا قبل أن نختم كلمتنا من الشكر للمحقق الفاضل على ما بذل من جهد في تحقيق هذا التاريخ متمنين له كل تقدم ونجاح .

ع . ك

الدر المنتثر

في رجال القرن الثاني والثالث عشر

تأليف : علي علاء الدين الآلوسي

تحقيق : جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري

عدد صفحاته : ٣٦٠

من منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م

ولد مؤلف هذا الكتاب عام ١٢٧٧ هـ = ١٨٦١ م ، وأخـذ العلوم النقلية والعقلية عن أبيه نعمان خير الدين وابن عمه محمود شكري الألوسي واسماعيل الموصلي ، ورحل إلى القسطنطينية ، وتعلم اللغتين التركية والفارسية وانتظم في سلك طلاب مدرسة النواب (القضاة) ، ونال شهادتها .

وعين قاضياً مدة من الزمن ، وانتخب عضواً في المجلس العمومي لولاية بغداد ، وتوفي سنة ١٣٤٠ هـ = ١٩٢٢ م . من آثاره : نظم الاجرومية ، فوائد وتعليقات في النحو ، منظومة في الظاء والضاد ، منظومة في علاقات المجاز ، نظم سور القرآن الكريم ، وديوان شعره .

وقد قدم المحققان الفاضلان لهذا الكتاب مقدمات بلغت ٨٤ صفحـة ، أوردا فيها الأبحاث الآتية : نظرة تاريخية عامة ، الثقافة الدينية والأدبية في القرن التاسع عشر ، الأسرة الألوسية ، أبو الثناء محمود شهاب الألوسي ، نعمان خير الدين الألوسي ، مخطوطات الكتاب ، ومراجع تراجم رجال القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

وأما الدر المنتثر الذي نحن بصدد تعريفه ، فقد ترجم فيه الأشخاص الآتية : محمد أمين السويدي ، محمد أمين الواعظ ، اسماعيل أفندي مدرس

جامع الصياغين ، أحمد بن علي شرف الأعمى ، عبد السلام الشواف ، ابراهيم البصري ، عبد الغفار الأخرس ، أحمد النقشبندي الخالدي ، صالح التميمي البغدادي ، عبد الجليل البصري ، الملا عبد الرحمن أبو بكر الشافعي موسى الطالقاني الشجعي ، حماد الكواز الحلي ، أوسطا علي البناء البغدادي محمد سعيد أفندي مفتي بغداد ، حسين الايراني ، عمر الخضيري البغدادي ، رفعت بن أحمد آغا ينكجري اغاسي ، صالح جلبي بن محمد سعيد الشابندر داود بن جرجس العاني النقشبندي ، حسن بن أحمد آغا الكولة مند ، يوسف ضياء باشا الكردي ، علي السويدي البغدادي ، أحمد شاكر الالوسي احمد قاضي قصبة الزبير ، عبد الوهاب بن عبد القادر أمين الفتوى ، حيدر الحلي ، وخالد النقشبندي .

وأتبع المحققان الكتاب عدة فهارس سهلت على المطالع والباحث عمله ، وهي فهارس للاعلام والملل والقبائل والأمكنة والبقاع والكتب والقوافي والمراجع والتصويبات والموضوعات .

وقد عثرنا أثناء مطالعتنا الكتاب على بعض الأخطاء ، نرجو تصحيحها في الطبعة الثانية وهي : قولها : خير الدين الزركلي ولد سنة ١٨٩١ م ، والصواب : ولد ليلة ٩ ذي الحجة ١٣١٠ هـ ٢٥ حزيران ١٨٩٣ م في بيروت .

وقولها : عبد الرزاق البيطار توفي سنة ١٣٢٥ هـ ، والصواب أنه توفي سنة ١٣٣٥ هـ .

وقولها : أدهم الجندي ولد في دمشق سنة ١٩٠٥ م ، والصواب : ولد في حي أبي الهول بحمص سنة ١٩٠٢ م .

وقولها : أحمد الجندي ولد بدمشق سنة ١٩٠٦ م ، والصواب : ولد بسلمية من مناطق محافظة حماة سنة ١٩١٠ م .

وبالختام نشكر المحققين الفاضلين على ما بذلا من جهد في نشر هـذا الكتاب متمنين لهما التقدم والنجاح .

ع . ك

الاسلام والثقافة العربية
في مواجهـة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب

تأليف : أنور الجندي

عدد صفحاته ٤٠٠

طبع بمطبعة الرسالة بالقاهرة

قال المؤلف في فاتحة كتابه : منذ سنة ١٩٦٠ م وسمت أبعاد دراستي ، فلم تعد قاصرة على الأدب العربي المعاصر والصحافة العربية « تاريخها وتطورها واعلامها » وأوغلت في مجال أوسع أفقاً وأرحب ، ذلك هو مجال الفكر العربي المعاصر في لقائه مع الفكر الغربي بشقيه ، ومن هنـــا أصبحت دراساتي تضم الاجتماع والدين والفلسفة والحضارة والتراث ، بدا ذلك بكتابي « الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية » ثم توسع بدراسه في جزأين ، معالم الفكر العربي المعاصر ، الثقافة العربيـــة في معركة التغريب والشعوبية .

ثم قدمت دراستين متكاملتين : (١) أضواء على الفكر العربي الإسلامي (٢) وصفحات من أمجادنا .

ثم كان لا بد من استقصاء كامل لما وجه للفكر العربي الإسلامي من شبهات واتهامات يتمثل ذلك في هذا الكتاب .

ويتألف الكتاب الذي نعرفه من الموضوعات الآتية :

مقاومة الاستعمار ، معركة الفكر ، التجديد والبعث وفتح باب الاجتهاد ، تياران في الفكر الاسلامي : الثورة السياسية والتربية ، خطان متوازيان : السلفية والصوفية ، الاجتهاد والتقليد ، الإسلام بين المقاومة والتمدد ، تحديات في وجه الفكر الإسلامي ، الدفاع ورد الفعل ، الاستعمار والتغريب ، حركة التبشير ، حركة الاستشراق ، حملة الغرب على الإسلام والعرب ، مقاومة التغريب ، شبهات حول محمد ﷺ ، شبهات حول الإسلام والمدنية ، هل الإسلام عائق عن الثقافة ، الإسلام والتقدم ، الإسلام وحرية الفكر ، الإسلام والعالم ، الإسلام والعلم ، عقائد الإسلام ، الإسلام والفكر العربي القديم ، أخطاء الفكر ، الإسلام والفروسية ، الإسلام والتصوير والرسم ، الإسلام ونفسيات الشباب ، النفسية العربية ، الفكر العربي الإسلامي فكر تجديدي ، مدنية الإسلام والعناصر غير العربيـة ، جوهر الفكر العربي الإسلامي ، شبهة التعصب ، المستشرقون والسنة ، شبهات حول الشريعة الإسلامية والفكر الروماني ، بين الشريعة والفكر الروماني ، شهادات للشريعة الإسلامية ، شبهات حول القرآن الكريم ، شبهات حول اللغة العربية ، شبهات حول الأدب العربي ، شبهات حول التاريخ العربي الإسلامي ، الدين والضمير ، مفهوم الجهاد ، تحرير البحث الأدبي من الدين والقومية ، الخلاف بين التاريخ والقصة في القرآن ، جذور الشعوبية ، دور الشعوبية في التاريخ ، وفلسفة التاريخ .

وقد دافع المؤلف الفاضل في كتابه هذا عن العرب والإسلام وما دار حولهما من شبهات ، وفند أقوال المغرضين والمتقولين بأسلوب مبين ومنطق سليم فجزاه الله خير جزاء .

ع . ك

كتاب النساء الحاكمات في الدول الاسلامية

تأليف الدكتورة بحرية اوچ اوق

مدرّسة تاريخ الإسلام في كلية الإلهيات بجامعة أنقرة

مطبعة مجمع التاريخ التركي في أنقرة ١٩٦٥

موضوع هذا الكتاب بحث جديد وطريف في تاريخ الإسلام . درست فيه مؤلفته الدكتورة بحرية تاريخ النساء الحاكمات اللواتي اعتلين سدة الحكم في الدول الإسلامية . وهو يُعَدّ بحق بحثاً جامعياً Académique جيداً ومحكماً . وقد عرفتُ الدكتورة بحرية في أنقرة حين كنت أدرس اللغـة العربية في كلية الإلهيات هناك . وعرفت فيها الجد والذكاء والمعرفة . وكتابها هذا مصداق لما عرفته عنها .

ولم يطرق هذا الميدان في تاريخ الإسلام أحد من المؤرخين القدامى ، أو الباحثين المحدثين قبل الدكتورة بحرية . ولم أجد بحثاً أو كتاباً مفرداً في هذا الموضوع قبل كتابها .

رجعت المؤلفة في أثناء بحثها إلى عشرات من المصادر جاوز عددها المائة ، بين مطبوع ومخطوط ، كتبت في عدة لغات غربية وشرقية ، منها اللغات العربية والتركية والفارسية ، وهي أمهات اللغات الشرقية التي كتب بها تاريخ الإسلام ، وصيغت فيها الثقافة الإسلامية . ثم أقامت كتابها على مقدمة جعلتها مدخلاً لبحثها ، وعلى أحد عشر باباً درست فيها تاريخ النساء الحاكمات في الإسلام ، وعلى خاتمة ختمت بها الكتاب .

* * *

بيَّنت المؤلفة في المدخل أن تولي النساء الحكم أمر معروف في تاريخ الإنسانية . وذكرت مثالاً على ذلك بعض شهيرات النساء الحاكمات في التاريخ .

منهن بلقيس ملكة سبأ ، وزنوبيا ملكة تدمر ، وكليوبترة ملكة مصر ، وتيودورا امبراطورة بيزنطة ، وغيرهن . كما ذكرت بعض النساء الحاكمات في أيامنا الحاضرة ، مثل أليزابيت الثانية ملكة بريطانية ، وجوليانة ملكة هولندة . ثم عرضت مسألة الامتناع عن تولية النساء الحكم في الإسلام استناداً إلى الحديث المروي عن الرسول ﷺ وهو : « لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملّكوا ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة [1] » . وقالت إن النساء قد تولين الحكم مع ذلك في بعض الدول الإسلامية .

* * *

وفي أبواب الكتاب ذكرت النساء الحاكمات في الدول الإسلامية ، ودرست تاريخهن ، وهن :

١ — السلطانة جلالة الدين رضية بنت السلطان شمس الدين إيلْتُتْمُش ، التي تولت الحكم سنة ٦٣٤ في دولة المماليك الأتراك في شمالي الهند .

٢ — الملكة شجرة الدر التي تولت الحكم سنة ٦٤٨ في مصر . وهي أول سلاطين المماليك البحرية الذين خلفوا الأيوبيين .

٣ — قتلغ تركان خاتون التي تولت الحكم سنة ٦٥٥ في دولة الأتابكة من آل براك في إقليم كرمان .

٤ — صفوة الدين پادشاه خاتون التي تولت الحكم سنة ٦٩٣ في دولة الأتابكة من آل براك في إقليم كرمان أيضاً .

٥ — أبش خاتون التي تولت الحكم سنه ٦٦٣ في الدولة السلغرية في إقليم فارس .

٦ — دولة خاتون التي تولت الحكم سنة ٧١٦ في دولة الأتابكة من آل خورشيد في إقليم لورستان .

(١) فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٣/٤٦ (طبعة بولاق سنة ١٣٠١) .

٧ ـ السلطانة ساتي بك خان التي تولت الحكم سنة ٧٣٩ في الدولة الإيلخانية في إيران والعراق .

٨ ـ تندو (دوندي) خاتون التي تولت الحكم سنة ٨١٤ في الدولة الجلائرية في العراق .

٩ ، ١٠ ، ١١ ـ الملكة خديجة بنت جلال الدين عمر ، والملكة مريم بنت جلال الدين عمر ، والملكة فاطمة داين بنت محمد ، اللواتي تولين الحكم بالتوالي من سنة ٧٤٨ إلى سنة ٧٩٠ في جزائر مالديف (ذيبة المهل) في المحيط الهندي .

١٢ ـ السلطانة فاطمة بيكم التي تولت الحكم سنة ١٠٨٨ في إمارة قاسم في روسية .

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ـ الملكة صافية الدين تاج العالم ، والملكة نقية الدين نور العالم ، والملكة زاكية الدين عناية شاه ، والملكة زينة الدين كمالات شاه ، اللواتي تولين الحكم بالتوالي من سنة ١٠٥١ إلى سنة ١١١١ في مملكة أتجة بجزيرة سومطرة .

* * *

وفي الخاتمة بينت المؤلفة أن تولي النساء الحكم في الدول الإسلامية قد بدأ في أواسط القرن السابع من الهجرة . وعلّلت ذلك بضعف الخلفاء العباسيين ، وإيذان دولتهم بالسقوط والاضمحلال ، واستغناء الملوك والسلاطين في الأطراف عن رسم الخليفة بتوليتهم الحكم ، ثم سقوط الخلافة العباسية أخيراً باستيلاء هولاكو المغولي على بغداد سنة ٦٥٦ . وكان الخلفاء العباسيون لا يرسمون بتولية النساء الحكم استناداً إلى قول الرسول ﷺ الذي ذكرناه آنفاً .

وذكرت المؤلفة سبباً آخر لبدء تولي النساء الحكم في الدول الإسلامية في هذا الزمن الذي عينته . وهو أن النساء اللواتي تولين الحكم في الدول

الإسلامية ، ما عدا الدول التي قامت في جزائر المحيط الهندي ، ينتسبن جميعاً إلى سلالات تركية ومغولية ، دخلت العالم الإسلامي ابتداء من القرن الرابع ، وأمسكت بزمام الأمور فيه ، وأقامت الدول في أنحائه . وكانت لهم تقاليد وعادات وآراء جديدة في الحقوق العامة ، حملوا آثارها معهم . وتعتبر المؤلفة كون النساء الحاكمات في الإسلام جميعاً من هـــذه السلالات دليلاً على إعطائهم المرأة قيمة خاصة في الحقوق العامة عندهم .

والخلاصة أن هذا الكتاب دراسة جامعية قيمة . وهو الكتاب الوحيد في موضوعه ، في القديم والحديث ، كما قلنا في أول كلامنا .

الدكتور عزة حسن

***

حول ديوان ابن النقيب

١٠٤٨هـ — ١٠٨١ هـ

كان المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية اليوم) قد تكرّم بنشر ديوان ابن النقيب السيد عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الحسيني الشامي المعروف بابن حمزة .. وأناط مهمة المراجعة والإشراف على الطبع بالأستاذ الفاضل أحمد الجندي ، وصدر الديوان في عام ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

وقبيل صدوره ، بادرت بجمع جملة من الهفوات التي ندّت عن الخاطر وبعثت بها إلى المجمع الموقر ، لجعلها لحقاً بالديوان أو مستدركاً له ، غير أن تنفيذ هذه الرغبة لم يحقق ، لظروف أحسبهـا قامت حائلاً دون ذلك ، وأغلب هذه الهفوات طباعية ، على الرغم من الجهـد الجليل الذي أنفقه الأستاذ الجندي ، وفي أثناء زيارتي لديار الشام في ربيع عام / ١٩٦٧ م ،

أشار عليّ بجمع هذه الملاحظات ثانية ، الأخ الأستاذ عبد المعين الملوحي ، وعند عودتي إلى بغداد ، أخـذت بتأليفها تمهيداً لإرسالها إلى مجلة المجمع الغراء ، فكانت ماهو مرقوم ، وقد كُتِب لها ألاّ تنشر في حينهـا ، لما أصاب الأمة الصابرة المصابرة ما أصابها من ويلات لا أودّ التصريح باسمها لمرارتها الأليمة ...

صفحة

١٨ تكون الأبيات ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، كما يلي :

وإذا صحّف مقـلو بأ لخرز الخلفـاء

ومن الياقوت والمر جان حلي للنســاء

ما اسم ثلاثيّ ترا هُ حين تقلبه ثنائي

١٩/ البيت ٤ . صوابه ، لو أنسَ

١٩/ س ١٠ . من الهامش « مرابعُ » .

٢١/ س ١١ . من الهامش ، عمامة ، (بالعين المهملة) .

٢١/ س ١٤ . من الهامش ، تحُلُّ ، (بضم الحاء) .

٢٣/ ٥ ،

وابتكار إلى مزاهر أبحا ث غنها لواقح الألباب

٢٣/ ٨ فلسطين خير .

٢٣/ ٩ ،

سيّد لم تزل مآثره تز داد مرّ الشهور والأحقابِ

٢٤/ ٥ ،

نرتجي منكم الإجازة في المر وي مهراً فتلك أقصى الطلاب

صفحة

٢٤/ ٩ ،

وابق واسلم مرقّه البال ما خطّ يراعٌ حرفاً بصدر كتاب

٣٣/ ١٠ ، الإطراب .

٣٦/ ٦ ، خليط .

٣٧/ ٧ ، نهّاب .

/ ٦ الأخير من الهامش ، ميصنّع .

١٦/ ٢ لم أقف على مبهم كلمة (عرادة) حيث لم يعرف أبو الطيب بهذا النعت .

٣٨/ ١ من الهامش ، المتفنين .

٣٨/ ٥ تضاف « للخليع » . . . ديوانه ، صفحة ٢٧ ، نشره ، أحمد عبد الستار فراج .

٣٩/ ١ خلّفت .

٣٩/ ٢ من الهامش ، يحذف لسقوط تمام العبارة .

٤٢/ ٤

يكاد يسحر إن فا هَ بالقريض القلوبا

٤٣/ ٧ يهدي .

٤٣/٣ من الهامش ، يحذف .

٥٥/٩ من الهامش ، وإنّا .

٥٧/١ لستُ .

٥٨/٥

ثم للقراصيا مثلتهـــا من صفاها كأنه مثبوتُ

صفحه	
٥٨/٣	الهامش ، تضاف « أبي » بعد (للامام) .
٥٩/٤	عارضُه .
٦٠/٥	بلآل .
٦٦/٥	الهامش ، حبير ، جمع حِبَرة .
٧٣/١	داريّة .
٧٥/٣	من الهامش ، الأرجح حذفه .
٧٥/١	صوابه ، يشير إلى معاذ بن مسلم الهراء ، المتوفى سنة/١٨٧ هـ ، الشاعر المعمَّر ، وفيه يقول ، سهل ابن أبي غالب الخزرجي ، قل لمعاذ إذا مررت به قد ضجّ من طول عمرك الأمد
٧٨/٩	لامَى وَنَجا ، ويحذف الهامش رقم (٢) .
/٧٨	الأخير مِنْفَح .
٨٤/٧	يفدّى .
٨٩/٤	المضنان ، وتضاف إلى أول التعليق رقم (٤) وهما زيد بن الحرث النمري ودغفل بن حنظلة الذهلي ، عالما العرب بحكمها وأيامها ، يضرب بهما المثل في الفصاحة ، فيقال : « أفصح من المضنين » . وقد ورد ذكرهما في الديوان ، في أكثر من موضع .
/٩٢	ترجمة : كوبريلي أحمد باشا ، في قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي (٥ / ٣٩٠٧) .
١٠٥/٨	يضاف « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب » . وهو مطبوع غير مرة ، والمقّري هو أحمد بن محمد التلمساني المتوفى سنة/١٠٤١هـ .

صفحة	
/١٣٤	الأخير ، لعلها ، لهجته .
٢/١٣٦	الهامش ، يضاف ، كتاب الديارات للشابشتي ، تحقيق الأستاذ كوركيس عواد .
٣/١٣٧	الهامش ، يحذف .
٢/١٦٩	يريد ، يا منازل ، حذف اللام ، للترخيم .
٣/١٨٩	الهامش ، يحذف .
٢/١٩٠	لعلها ـ الإعارة .
٤/١٩١	الصواب ، بسكون الياء المثناة
٣/١٩٦	لا أنسَ ، والنجاشي ، لعله يريد به ، الصائد .
١٠/٢٠١	تنساح (بالمهملة) .
١/٢٠٣	ينظر صفحة/٧٥ ، (من هذا الثبت) .
٤/٢١٧	المطرزيّ ، ولعله يشير إلى مسألة نحوية .
١٠/٢٢١	ينظر عنها مراصد الاطلاع (١/١٥١ و ٢/٩٢٥) .
١/٢٢٤	ترجمته في خلاصة الأثر (٣/٢٣) .
٣/٢١٩	جلّق .
٩/٢٣١	البيت مدوّر ، والمجادة ، من الفعل ، مجد ـ ككرام ، مجداً ، ومجادة . فهو ماجد ومجيد .
٢/٢٣٩	من الهامش ، يحذف .
٢/٢٤٠	تحذف الياء ، ويحذف الهامش رقم/١ .
٩/٢٤٠	بالي .

صفحة

٧/٢٤١
انه فضلُ كأس فضل تحسّنا ه دواء فاستبشرت آمالي

١٠/٢٤١ جُنيّبَتْها .

٢/٢٤٢ ٣٢ .

٦/٢٤٧ الراجح انها « قطاة » .

٤/٢٥٦ الهامش ، تحذف عبارة « والشطر الثاني وزنه مضطرب » .

١٤/٣٣٧ الكرملي (ت ـ ١٩٤٧ م) .

هذا ما أسعفني بصيده الخاطر ، من ملاحظات حول ديوان ابن النقيب ، مكرراً الحمد ، لقلمة العـلم والأدب ، « المجمع العلمي العربي » وللأستاذ الجندي .

(بغداد) عبد الله الجبوري

آراء وأنباء

المعْرِضُ حسْبُ (١)

قرأت في الجزء الأول من المجلد الثالث والأربعين من مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً أي مجلّة مجمع اللغة العربية بحثاً للأستاذ القانوني الكبير عارف النكديّ عنوانه « المعرِض أم المعرَض أو كلاهما » خلصَ منه إلى أن الوجهين جائزان ، والنصوص اللغوية التي أوردها لم تؤيد رأيه ـ حفظه الله تعالى ـ فالذي وجده في لسان العرب ـ كما قال ـ « المعرض (بفتح الراء) : المكان الذي يَعرِضُ فيه الشيء » . قال : « وزيد في الهامش على المتن « قوله : المعرَض : المكان ... في شرح القاموس هو كمقعد » .

فقوله : « يَعرِضُ فيه الشيء » هو يَعرِضُ مضارع عَرَض اللازم مع أنّ « المعرِض » مشتق من « عَرَضَ » المتعدّي بنفسه ، جاء في لسان العرب « وعرض الشيءَ عليه يعرضه عَرْضاً : أراه إياه » ثم قال : « وعرضتُ عليه أمرَ كذا وعرضتُ له الشيءَ أي أظهرته له وأبرزتُه إليه » ثم قال :

---

(١) قول العلامة السيد مصطفى جواد : « إن المعرِض بكسر الراء ، وليس له وجه ثان ، وخصوصاً بعد أن عُلِم أن العرب تميل إلى الكسر في عدة أسماء يوجب القياس فتح العين فيها » .

نعلق عليه بملاحظة سبق أن أشرنا إليها معززة بنصوص من دواوين اللغة تجيز اللغتين . فاختيار إحداهما يعود إلى أخفهما في الاستعمال وعلى السمع . وهو ما جرى عليه العرب غير مقيدين أنفسهم بالقياس دائماً . وهو ما قاله الأستاذ الكبير إلا أنه غلب الميل إلى الكسر ، على أنه وقع منهم أن فتحوا في ما يوجب الكسر ، وكسروا في ما يوجب الفتح .

وفي علم الأستاذ الجليل ، ما يغني عن التطويل . عارف

« وعرضتُ الكتاب وعرضتُ الجندَ عرض العين إذا أمررتهم عليك ونظرت ماحالهم وقد عرض العارض الجند » . ولم يَرد « المعرَضُ » من المتعدي إلا في قولهم : « عرضَ العُودَ على الإناء والسيفَ على فخذه يعرِضُه عَرْضاً ويَعرضُه » كما في لسان العرب ، أي وضعَه عَرضاً وهو معنى آخر استشهد له مؤلف اللسان بالحديث الذي نصُّه « خمّرُوا آنيتكم ولو بعُود تعرضونه عليه [١] (كذا) أي تضعونه معروضاً عليه أي بالعرض » وإلا في قولهم : « الغنمُ تَعرض الشوكَ [٢] .

وأمّا اللازم الذي ورد في استشهاد الأستاذ الكبير فاسم المكان منه أيضاً « المعرِض » إلا لغةً على وزن « فَرِحَ » جاء في اللسان أيضاً « عَرَضَ لي يعرِضُ وعرِضَ يعرَضُ لغتان » فالمعْرَض الذي أورده بمعنى « المكان الذي يَعْرِضُ فيه (لايُعرَضُ) هو من اللغة الثانية لهذا الفعل اللازم ، وفي اللسان « وَعرَضَ له أمرُ كذا أي ظهر . . . والعَرَض ما يعرِضُ للانسان من الهموم والأشغال » . وهذه اللغة الثانية هي التي نقل شاهدَها من المصباح المنير ، وهو « وفي الأمر [٣] لا تعرِضُ له بكسر الراء وفتحها أي لا تعترض له فتمنعَه باعتراضك أن يبلغ مراده » . والأصل : هو « وَعرَض له أمر إذا ظهر ... وما عرضت له بسُوء أي

(١) أي تتناولُ منه وتأكلُهُ وكأنها تأتيه من العَرَض .

(٢) هذا قول صاحب المصباح عاقلاً لا ناقلاً ، لأن الصواب « وفي النهي : لا تعرِض له .. » . فالجلة في صيغة النهي لا في صيغة الأمر .

(٣) في المقاييس لابن فارس « هلا خمّرتَه ولو بعُود تعرضه عليه » .

ما تعرضت وقيل : ما صرت له عُرضة بالوقيعة فيه ، والجميع (١) من باب ضرَب . وعرِضتُ له بالسّوء أعرِضُ من باب تعِبَ ، لغة ... » .

ومع ذلك صرّح الفيومي بوجوب كسر الراء في المعرض الذي نريدُه قال : « والمعرِض وِزانُ مسجد : موضع عرض الشيء وهو ذكرُه وإظهاره . وقلتُه في معرِض كذا أي موضع ظهوره ، فذكر الله ورسوله إنما يكون في معرِض التعظيم والتبجيل أي موضع ظهور ذلك والقصد إليه وهـذا لأن اسم الزمان والمكان من باب ضرب يأتي على مَفعِل بفتح الميم وكسر العين ، يقال : هـذا مصرِفه ومنزِله ومضرِبه أي موضع صرفه ونزوله وضربه الذي يضرب فيه وسيأتي تقريره في الخاتمة إن شاء الله تعالى » .

فالفيوميّ يوجب كسر الراء في كلا المعنيين ولا يعترف باللغة الثانية وإن كان قد أوردها وكانت خارجة عن المعنى المراد بالمعرض اليوم ، وخلاصة الأقوال أن « المعرِض » لموضع عَرْض الشيء يبقى « مَعْرِضاً » حَسْبُ وليس له وجه ثان ، وخصوصاً بعد أن عُلِم أنّ العرب تميلُ إلى الكسر حتى في عدّة أسماء يوجبُ القياسُ فتح العين فيها وهي غير خفية على الأستاذ الكبير .

مصطفى جواد



(١) أراد المتعدّي واللازم ، فمن المتعدّي الذي ذكره « عرضت الكتاب عرضا : قرأته عن ظهر قلب . وعرضت المتاع للبيع : أظهرته لذوي الرغبة ليشتروه ؛ وعرضت الجند : أمررتهم ونظرتُ إليهم لتعرفهم ... » وغير ذلك .

تعليقات واستدراكات

كنت كتبت في الأستاذ تقي الدين الراصد مقالاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١) بينت أن للراصد كتاب (الكواكب الدرية) . وهذا هو صواب اسم الكتاب مأخوذ من الآية الكريمة « كأنها كوكب دري » . وليس بصحيح تسميتها بـ (الكواكب الدورية) . ألفه سنة ٩٦٦ هـ — ١٥٥٦ م ، ونقلت ما جاء عنه في كشف الظنون .

ومنه كتاب نشرته الدكتورة الاستاذة سويم تكه‌لي في الساعات المطبوع سنة ١٩٦٦ م في مطبعة الجامعة بأنقرة توجد نسختان احداها في باريس برقم ٢٤٧٨ والأخرى نسخة بودليان برقم ١٩٦٨ إلا ان الاستاذة المحققة لم نعرف اعتمادها على أي نسخة لينسب الغلط إلى إحداها . وان نسخة كتبت في استنبول والأخرى في مصر .

وتكملة عنوان الكتاب (الكواكب الدرية في البنكامات الدورية) . وهناك تشريح للفظ البنكامات . وأعتقد أنه مقلوب نبك بتقديم النون ، ويراد به الأصل فيقال (النبك) الأصل كما في القاموس المحيط . وعندنا في العراق لا تزال اللفظة مستعملة فيقال (نبك حرام) أي أصل حرام .

ويهمنا أن ترد النسخ المذكورة أعلاه ليكون التحقيق بمحله ومستوعباً البحوث المطلوبة .

وعلى كل حال نشكر الأستاذة سويم تكه‌لي على إحياء أثر الأستاذ تقي الدين معروف الراصد باطلاعنا على نسخ منه .

عباس العزاوي

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ ص ٨٥٩ .

رأي حول الجالية والجزية

تفضلت لجنة المجلة مشكورة ، فأوضحت ما قد يبدو غير مألوف للقارىء بالنسبة لاستخدامي لفظ جالية في دراسة نُشرت لي بالجزء الثاني من المجلد ٤٣ لهذه المجلة الموقرة ، وعلّقت المجلة بأن الجالية كما ورد في المعاجم هم أهل الذمة أنفسهم وليس ما يفرض عليهم كما يفهم من استخدامي لها .

ومما يؤسفني انني استخدمت هذه العبارة في غير موضعها عند حديثي عن فرض الجزية على عهد رسول الله ﷺ ، إذ لم يشع استخدامها آنذاك وكان معروضاً علي الأخذ بهذه العبارة عند الحديث عن فرض الجزية من عهد الخلفاء الراشدين . ولكنني لسبب ما أودّ إيضاحه عممت استخدامها بدلاً من الجزية .

فلقد أخذت جالية ، في الواقع ، دوراً هامّاً في أدب الخراج والنظم الإدارية الإسلامية ، إذ استخدمت منذ القرن الأول الهجري لتوضيح العديد من الاصطلاحات الإدارية ، لم يكن من بينها المعنى الذي ورد بالمعاجم . وبالرجوع إلى الوثائق البردية التي تناولت مسائل الخراج والإدارة ، يتبين بأن هذه العبارة استخدمت بشكل رسمي ، وقبل أن يشيع مفهومها الذي أخذت به المعاجم في وقت متأخر .

وقد فضلت استخدام جالية بدلاً من جزية لاقتراب مفهومها (أي الإجلاء) من المضمون الإنساني العادل للتشريع الإسلامي السمح ، وذلك حتى لا أضطر إلى ترجيح مضمون كلمة جزية المرتبطة بمعاني العبودية ، والخضوع التي خلفتها لنا الأنظمة السابقة على الاسلام . هذا بينما حاولت العمل على إحياء عبارة كريمة شاع استعمالها في عهود الاسلام الأولى ،

بدلاً من الأخذ بكلمة بغيضة تحمل معنى الجزاء والخضوع ، وأنا أتحدث عن عدالة الإسلام .

فمنذ فجر الفتح الإسلامي ، كثر استخدام كلمة جالية وجوالي وجالية الرأس في وثائق الخراج بمصر ، وكذلك بأدب الخراج نفسه . وحملت العبارة ثلاث معان ترتبط بأهل الذمة ، غير أن المعنى الذي قدمته المعاجم القديمة ، أي أهل الذمة أنفسهم ، كان من الندرة بمكان .

وأول وثيقة رسمية وقعت في يدنا ترجع إلى عام ٩١ هـ ، استخدمت فيها عبارة جالية وجالي لتحمل مفهوم الذمي الفار من أداء جالية الرأس (أي الجزية) . فقد بعث قُرّة بن شريك والي مصر ، في جمادى الآخرة ٩١ هـ ، خطاباً إلى باسيل صاحب كورة أشقوة يهدده فيه بالمقاب لأنه تجاهل تعليمات الادارة المركزية بالنسبة للفارين ، وجاء بالخطاب : [أما بعد ، فإن هشام بن عمر كتب إليّ يذكر جالية له بأرضك ، وقد تقدمت إلى العمال وكتبت إليهم الا يؤوا جالياً ... فاذا جاءك كتابي هذا فادفع إليه من كان له بأرضك من جاليته ...] وبعد ذلك يوصيه بعدم جباية جالية هؤلاء الفارين لأنهم ينتسبون إلى كورة أخرى . وقد عثر على العديد من الوثائق البردية التي تحمل نفس المعنى ، وبقلم قرّة بن شريك إلى عمال الكور المصرية ، أثناء القيام بتعداد النفوس الذي تم خلال ولايته على مصر(١) . وقد كانت العادة أن يرجع الذمي إلى الكورة التي ينتسب إليها وقت التعداد حتى لا يتكرر فرض الجالية عليه .

(١) Bell H. J : Greek Papyri in the British Museum : Vol. IV. The Aphrodito Papyri , Oxford . 1910, p. XL. Journal of Hellenic Studies , vol . XXXVIII , 1908 , pp.107-112 . Grohmann A : Arabic Papyri in the Egyptian Library, vol. III , pp. No. 150 - 151 .

واستخدمت عبارة جالية ، وجالية الرأس من المئات العديدة من الوثائق الخراجية ، وسجلات جباية الخراج والجالية منذ القرن الأول ـ أي قبل أن يظهر اول معجم ـ لكي تفي بمضمون الجزية . وهذه الوثائق متناثرة في جميع المتاحف وخزائن الكتب بالعالم ... ومنها بعض البرديات اقتطف منها بعض العبارات لإيضاح مضمون الكلمة . (١) وهذه البرديات بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

بردية رقم ٢١٢ وهي عبارة عن سجل لتقسيط الجزية والخراج في إحدى قرى صعيد مصر ، وجاء التقسيط كالتالي : $\frac{١}{٢} + \frac{١}{٣} + \frac{١}{١٢}$ [دينار] جالية ... [فلان] .

$\frac{١}{٣}$ جالية ...

بردية رقم ٢٣٨ وهي عبارة عن قائمة لسداد أقساط الخراج والجزية ٣٢ من أهل الذمة ، وكان بيان الأقساط المسددة عن : المثلة والمروج والجالية والمراعي ، والبردية رقم ٢٥٤ وهي سجل للجباية من عام ٢٨٠ هـ [٨٩٣ م] لإحدى القرى ورد بها . . . من جالية رأسه .

(١) Grohmann A : Ibid . pp. No. 202 - 211 , 212 , 238 , 245 , 254 , 275 . 283 , 287 .

Collection of the Papyrus Erzherzog Rainer . Vienna . Arabic Papyri . No . 2578 .

Papyrus Erzherzog Rainer , Wien 1894 , pp. 897 .

Mitterlungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzug Rainer , Vol . II/III . 1887 . 164 .

Papyri in the University Library Strassbourg , Arabic. pp. 80 .

أما البردية ٢٤٥ فهي تبين أقساط الجزية المحصلة وبيانها كالتالي .

[. . . . . ومن جالية كفر دير شتورة وكفور . . . . ٣٦ — ١٨ — ١

والبرديه ٢٤٥ فهي تبين أقساط الجزية المحصلة وبيانها كالتالي :

] . . . . ١/٢ + ١/٨ + ١/٢ + ١/٨ الجوالي . . . .

هذا بينما استخدم ابن عبد الحكم كلمة الجالية لتحمل معنى الجزية وذلك في كتابه عن فتوح مصر [١] .

أما المعاجم المتنوعة الحديثة . . ومنها ما طبع بالشرق ، ومنها ما طبع بالغرب ، فقد ورد بها معنى كلمة جالية لتوضيح المفاهيم التالية .

١ — الغرباء هاجروا أوطانهم .

٢ — أهل الذمة .

٣ — الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة .

٤ — ثم استعملت في كل جزية .

وإذ أشكر المجلة جميل جهدها لإيضاح المعنى الذي قد يبدو غير واضح لبعض القراء ، فإنني لأرجو التفضل بنشر هذا الرأي حتى تعم الفائدة المرجوة ويتحقق هدف المجلة بإتاحة الفرصة للمناقشات الهادفة .

وإنني أترك للجنة الموقرة حرية البت في أمر نشر هذا الرأي إن كان يتفق والهدف النبيل للمجلة . . . وإلا فإنني أفوض لها أمر عدم نشره حسب مايتراءى لها وشكري .

(بودابست)

الدكتور عبد المنعم مختار
المحاضر بجامعة بودابست

(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر . صفحة ١٥٢ .

الرباعيات
أو
الدوبيتات

لفت نظري في عدد سابق من مجلة مجمع اللغة العربية الزاهر (١) تعليق الأخ الدكتور علي جواد طاهر على الموسوعة العربية الميسرة ، واستوقفني حديثه عن فن الدوبيت ، أحد الفنون المعروفة في عصور الدول المتتابعة ، وقد نقلها العرب عن الفرس ، وسمّوها الرُّباعيات ، وأطلقوا على المقطوعة الواحدة رباعية كما هو مأثور مشهور في الكتب التي أرّخت العصور المذكورة

أنكر الدكتور علي هذه التسمية العربية كل الإنكار ، وتساءل متعجباً : « ومتى سمّاه العرب الرباعي ؟ وأين ؟ لم يكن للمصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في هذه التسمية !! » (٢) .

وليسمح لي الدكتور علي أن أنكر عليه ما ذهب إليه ، وسيكون إنكاري مقتصراً على الإجابة عن هذه التساؤلات التي أثارها والتي أدخلت الشك في التسمية العربية لفن الدوبيت .

سمّى العرب الفن المذكور باسم الرباعي منذ وُجـــد ، وقد عرفناهم يستخدمون اللفظين معاً ، فمن الذين استخدموا اللفظ الأصلي أي الدوبيت ابن خلكان الذي ذكر لنا أنه رأى ديواناً خاصاً نظمه فتيان الشاغوري « جميع مافيه دوبيت » (٣) ؛ واستخدمه أيضاً في حديثه عن ديوان آخر

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد الثالث والأربعون ، الجزء الأول سنة ١٩٦٨ .
(٢) الجزء المذكور ، الصفحة ١٠٨ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

للعماد الكاتب، وقال : « ديوان صغير جميع ما فيه دوبيت »[١] ، وقد أورد أبو شامة أمثلة من هذا الديوان في معنى الجهاد قالها على لسان الملك العادل نور الدين محمود[٢] ؛ كما أورد التسمية المذكورة ابن أبي أصيبعة في ترجمة حكيم الزمان الجلياني ، صاحب القدسيات المشهورة ، وأشار إلى وجود ديوان مشهور له في « الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيتي وما يتصل به »[٣] .

لقد سبق العماد الكاتب صاحب الخريدة ، أحد أعلام القرن السادس الهجري غيره ممن ذكرناهم ، فاستخدم في معظم الأحيان التسمية العربية كما هو الحال في ترجمته عرقلة الدمشقي الذي آثرنا ذكره تمثيلاً لا إحاطة كما في قوله : « وقوله رباعية »[٤] و « له رباعية »[٥] و « قوله رباعية »[٦] . ويشير في ترجمة ابن قسيم الحموي إلى رباعية رابعة كما في قوله : « وقال رباعية »[٧] إلى آخره ....

هذه هي أربع رباعيات ذكرها العماد الكاتب في خريدته وهو صاحب ديوان مشهور في الفن المذكور ، ولكنه مفقود مع الأسف ، وقد اطلعتنا على استخدام التسمية العربية .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٤) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٥) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٦) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٧) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ .

تلك هي الفقرة الأولى من تساؤله : (ومتى سمّاه العرب الرباعي ؟) ، ولعلنا أجبناه أيضاً عن الفقرة الثانية : (وأين ؟) ، وهكذا نكون قد استكملنا الزمان والمكان معاً .

أما الفقرة الثالثة من تساؤله : (لم يكن المصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في التسمية) . وغريب حقاً مثل هذا القول ، فهو لا يستقيم مع المأثور والمشهور في تعريف هذا الفن . يقول المحبي : « والدوبيت أول من اخترعه الفرس ، ونظموه بلغتهم ، ومعناه بيتـــان ، ويقال له : الرباعي لأربعة مصاريعه .. »[١] .

أظن أن هذا القول غنيّ عن كل تعريف وبيان ، ففيه محكم الجواب وفصل الخطاب ، وفيه النص القاطع على المصاريع الأربعة التي كانت سبب التسمية . كما أحب أن أذكر أخيراً أن الخفاجيّ أورد التسمية العربية في تعداده أقسام النظم : « واعلم أن المولدين كما غيروا الأبنية غيروا هيئة التركيب وأوزان الشعر ؛ فأقسام النظم عندهم سبعة : الشعر ، والموشح ، والرباعي ، والزجل ، وكان كان ، وقوما ، والحماق »[٢] .

أكتفي بهذا القدر من النصوص والشواهد المأثورة والتعريفات المشهورة تأكيداً لما ذهبت إليه ، وقد اختتمتُها بقول الخفاجي ففيه شفاء الغليل .

وهكذا عرفنا الآن متى سمي الدوبيت بالرباعي ، ورأينا أين سمي ، وأدركنا أثر المصاريع الأربعة في تسميته .

وحبّذا لو استمع معنا إلى رأي الجنيد المتصوف المشهور لنعرف أن الرباعيات معروفة عند فقراء المتصوفة ، فهي كلام المحبين والعشاق « ... قيل :

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٢) الخفاجي : شفاء الغليل ، ص ١٠ .

فما بالهم لا يطربون إذا سمعوا القرآن ، قال : لأنه كلام الحق ما فيه ما يوجب الطرب ، نزل بأمر ونهي ، ووعد ووعيد ، فهو يقهر ؛ قيل : فما بالهم لا يطربون عند القصائد ؟ قال : لأنها ممّا عملت أيديهم ؛ قيل : فما بالهم يطربون عند الرباعيات ؟ قال : لأنها كلام المحبين والمشاق »[١] .

هذه هي الرباعيات ، عرف العرب هذه التسمية قديماً حينما عرفوا هذا الفن الفارسيّ ، وهي كما رأينا ذات صلة بالتصوف وفقرائه ومريديه ، ولعلنا استطعنا تبيان وجه الحق والصواب كما تقتضيه الأمانة العلمية في البحث والتحقيق ، والله من وراء القصد ، يسدد خطانا ، ويهدينا سواء السبيل .

الدكتور محمد موسى باشا

نسخة فريدة من « الجواهر المكلّلة في الاخبار المسلسلة »

للسخـــاوي

كم خبايا في زوايا ، عثرت أخيراً في زاوية الشيخ صاحب العلَم (بيرجهندا ، كما يقولون باللغة الأهلية) بالقرب من حيدر آباد عاصمة إقليم السند الحالية ، (بالباكستان الغربية) على نسخة فريدة من كتاب « الجواهر المكلّلة في الأخبار المسلسلة » للسخاوي بخط المرتضى فخر الدين أبي بكر السلميّ المكّي الشافعي سماعا من لفظ مؤلفه ، علقها لنفسه في مدة آخرها

---

(١) انظر رسالة (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) لبدر الدين محمد الغزي ، وقد قمنا بتحقيقها وتفضل المجمع الزاهر مشكوراً بطبعها ونشرها سنة ١٩٦٨ .

تاسع من شعبان المكرم سنة ست وثمانين وثمانمائة ، تجاه الكعبة المعظمة (١) وثبت بطرّتها خط السخاوي شاهداً بالإملاء وبآخرها إجازة بخطّه أيضاً لأبي بكر السلمي المذكور بروايتها عنه مع سائر مروياته ومؤلّفاته ، يتلوها فهرست شيوخها في نسق واحد بخط السخاوي أيضاً .

يقع الكتاب في ٩٧ ورقة مكتوبة على الجانبين ومسطر الكتابة ١٣ ½ سم × ١٠ ½ سم ، واحد وعشرون سطراً في الصفحة ، يضاف إليها ٢٠ ورقة (١٣/١٥ سطراً في الصفحة) بخط السخاوي إجازة منه لأبي بكر السلمي وفهرست شيوخها ، يمتاز الخط بالإتقان والوضوح ، المتن بالمداد الأسود والعناوين بالمداد الأحمر ، وكذلك العلامات في مواضع الفصل .

وقد جاء في الضوء اللامع ٨/١٦ أنّ « الأحاديث المسلسلات وهي مائة استفتحها (السخاوي) أيضاً بمن سبقه لجمع المسلسلات مع انفراده بما اجتمع فيها وسماها « الجواهر المكلّلة في الأخبار المسلسلة » .

كذلك قال في مقدمة الكتاب (الجواهر المكلّلة) ق ٣ الف :
« فأحببت جمع مائة مما عندي منها في ديوان ، ملتزماً فيها البيان مع الترتيب الحسن ، والتبويب المقرّب للمراجعة في القريب من الزمن ، فابدأ بأول أقسامها البهية ، وهو المسلسل بتاريخ الرواية كالأولية والأخروية ، أو بزمنها كالعيد والخميس ، أو لمحلّها كالملتزم النفيس ، أو كونه وحده ، حين التحمل عن شيخه العمدة ، ثم بثاني الأقسام وهو المسلسل بصفة الراوي الحالية المعروفة بين الأعلام كالحفظ والفقه والثقة والتعمير ، وكونه مصريّاً أو شاميّاً ، أو اسمه محمداً على الراجح الشهير ، أو ممن ذُكر بكنيته أو عُنيت نسبته ، أو كانت روايته عن أبيه الذي به شهرته ، ثم بصفته القولية ،

(١) يؤكد الضوء اللامع ٨/١٤ أنّ السخاوي « حج سنة خمس وثمانين وجاور سنة ست ثم سنة سبع وأقام منها ثلاثة أشهر بالمدينة المنورة » .

كقراءة « الصف » وإني أحبّك ، للهيئة الرضيـة ، ثم بصفته الفعلية ، كالكتابة بالمروي والمصافحة والمشابكة الملية ، ثم بصيغة الراوي التي بهـا اسيدْت ، كسمعت وقرأت وأنشدْت ... » .

هذا وقد جاء الكتاب وفق الخطة المرسومة أعلاه تماماً ، فانّ فيها مائة حديث مسلسل بأنواعها المختلفة بزيادة حديث واحد (الحادي بعد المائة) لايخلو كثير منها من الطرافة كالحديث الخامس عشر وهو المسلسل بالشعراء والنسخة سليمة من الآفات إلاّ أنها تحتاج إلى العناية بحفظها ، فقد انفصلت الورقتان الأوليان عن التجليد ، وأيضاً أصابتها يد عابث طمس اسم الكاتب بآخرها لغرض ما ، مع أنّ ذلك لا يريب قط في عزوها إلى من هي له بشهادة الملي ، أعني إجازة السخاوي بخطه ، وهي الآن في حوزة السيد محب الله شاه ، صاحب العلم السادس ، وهو رجل مثقف يقدر العلم ويحفل بالعلماء ، يرجى منه الحفظ وتيسير الإفادة من تراثه العلمي إلى جانب الإفاضة الروحية ، وأنا أشكر له حسن صنيعه بي ، وإجابته لطلباتي بشأن إعارة المخطوط وتصويره .

ويسعدنا أن نتحف القراء بالصور الآتية :

(أ) صفحة العنوان (ب و ج و د) الصفحات الثلاث [٢و٣و٤] من الكتاب ، وهي التي سرد فيها أسماء الذين عُنوا بجمع المسلسلات قبله ، وهي مما يهم الدارسين الباحثين في عصرنا (ه) الصفحة الأخيرة من الكتاب (و) الإجازة بخط السخاوي (ز ح ط) الصفحة الأولى والسادسة والأخيرة من فهرست الشيوخ .

الدكتور محمد يوسف
القسم العربي بجامعة كراتشي

الجواهر المكللة في الاخبار المسلسلة

من املا العصر الي الحجر محمد عبد الرحمن

السخاوي الشافعي لطف الله به

رواية الشيخ الفاضل المرتضى محمد ابن ابي بكر

الشامي المالكي فتح الله عليه

سماعا من لفظ مؤلفه

ب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي اتصل فضله فتسلسل، وتطول نعم هالة الفاضل والمفضول

والأفضل، ونتوسل للقربات من يليهم إليه نبينا المرسل صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه الموصوفين بكل مكمل مفضل، وبعد فإن من الأنواع الشريفة

والأوضاع العلية المنيفة الأحاديث المسلسلات التي [illegible] مزيد ضبط

رواتها من الدلالات، وكون من فوائدها الاقتداء بالرسول عليه أفضل الصلاة

والسلام في أقواله وأفعاله المحروسين عن السهو والأوهام، وإبعاد عن

التدليس والانقطاع فيما أتى منها بصريح التحديث أو القراءة أو السماع، أو وصف

رواتها أو أوطانهم بحالة منفردة لكونهم ثقات وحفاظ عمن أو معمرين

أو دمشقيين، مرادهم في غاية التدقيق والحسن، كما قاله النووي [illegible]

ولكن قد كثر فيها الدخيل، وتطرق إليها بالزيادة والنقص والتحريف والتبديل،

فإن تهم بالوضع وغيره من أسباب التعليل، وحينئذ من مهمات العمل،

إذا كان الجمع الأصح في فيما فيها من علله، والإفصاح عن المقبول منها وما به خلل،

وقد جمعها الأعيان من أئمة الشأن، فكان من جمع منهم الآن

ولي محمد بن إسماعيل بن العباس المستملي الوراق

وأبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب

وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن فنجويه

وأبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان

والأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي

والحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني

وابن بشران شيخ الإسلام عبد الملك بن زياد الله [illegible]

وأبو [illegible]

ج

و ابو بكر محمد بن علي المطوعي الغازي تلميذ الحاكم وشيخ ابي عبد الله حمدون بن
علي بن هلال القزويني ه المطوعي من تلامذة القرن الخامس
و الحافظ ابو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري ه جمادى الاولى
و ابو عصمة نوح بن نصر بن محمد [illegible] من فقهاء [illegible] اخذ الكتب [illegible] قبل
و الحافظ ابو سعد اسمعيل بن علي بن الحسين الرازي ابن السمان شعبان
و ابو القسم عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن فوزان رجب
و ابو المظفر هناد بن ابراهيم بن [illegible] ه [illegible] ابو سعيد [illegible]
و ابو محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد الكتاني ه جمادى الآخرة
و ابو الحسن علي بن محمد بن نصر الدينوري اللبان سنة [illegible] شوال [illegible]
و ابو القسم عبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن منده الحافظ ابن الحافظ شوال [illegible]
و ابو محمد عبد الله بن عطاء بن عبد الله الابراهيمي الهروي سنة [illegible] شعبان
و ابو بكر احمد بن علي بن زكريا الطريثيثي البغدادي سنة [illegible]
و ابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي الملقب ابي [illegible] جمادى [illegible]
و ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد ابن الاكفاني ه محرم
و ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الحنفي يعرف بسكاك المحرم [illegible]
و ابو القسم اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمي ه [illegible]
و القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي ه ربيع الآخر
و الحافظ ابو العلاء الحسن بن احمد بن الحسن العطار ه جمادى الاولى
و ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن اسمعيل العثماني الديباجي ه شوال [illegible]
و ابو محمد المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن الطباخ الحنبلي ه شوال [illegible]
و الحافظ ابو القسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ه رمضان [illegible]

و الشرف ابو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون الشافعي

و ابو الثناء حمد بن اسمعيل بن يوسف الطالقاني القزويني ه

و ابو الفضل محمد بن يوسف بن علي بن محمد الغزنوي الحنفي ه

و الحافظ ابو الحسن علي بن المفضل المقدسي المالكي ه

و الحافظ الضياء ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي الحنبلي ه

و ابو اسحق ابرهيم بن محمد بن عبيد الله الاوسي القرطبي ه

و الحافظ ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدي ه

و البرهان ابو اسحق ابرهيم بن سعد الله بن جماعة ه

و الكمال ابو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن خلف الهمداني المصري ه

و التاج ابو القسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي السعدي ه

و ابو عبد الله محمد بن جابر الوادياشي ه

و محمد بن مسعود بن محمد الخوارزمي ه

و الحافظ صلاح الدين ابو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي ه

و المجد محمد بن سالم بن ابرهيم بن علي اليماني ه

و ابرهيم بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن سعد الله بن جماعة ه

و ابو الثناء محمود بن خليفة المنبجي ه

و الجمال يوسف بن محمد بن مسعود التستري وهي عشرة احاديث

و ابو الحسن علي بن احمد بن اسعد الكفوري ه

و الشمس ابو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري المقرئ لاوجه منها اشياء في بعض مجاميعه

و الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابي بكر عبد الله بن محمد ناصر الدين الدمشقي ه

و صاحبنا محدث الحجاز و مسنده النجم ابو القسم عمر بن فهد الهاشمي المكي ه

و ممن جمعها ايضا ابو المحاسن الدلكي كما قال ابن الصلاح ه

هـ

الحديث الحادي بعد المائة [illegible]

أنشدنا الإمام أبو الفتح المراغي أنشدنا الإمامان أبو الطاهر محمد بن [illegible] والمجد الشيرازي الشافعي قالا أنشدنا الحافظ صلاح الدين العلائي ح وأنا زين الدين عبد الرحمن القباني عن العلائي قال أنشدنا أبو محمد القاسم بن المظفر ابن عساكر عن [illegible] أنشدنا عمي أبو عبد الله محمد بن أحمد [illegible] أنشدنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي لنفسه

واظب على جمع الحديث وكتبه ✽ واجهد على تصحيحه في كتبه ✽
واسمعه من أربابه نقلاً كما ✽ سمعوه من أشياخهم تسعد به ✽
واعرف ثقات رواته من غيرهم ✽ كيما تميز صدقه من كذبه ✽
فهو المفسر للكتاب وإنما ✽ نطق النبي لنا به عن ربه ✽
وتفهم الأخبار تعرف حله ✽ من حرمه مع فرضه من ندبه ✽
وهو المبين للعباد بشرحه ✽ سير النبي المصطفى مع صحبه ✽
وتتبع العالي الصحيح فإنه ✽ قرب إلى الرحمن تحظ بقربه ✽
وتجنب التصحيف فيه فربما ✽ أدى إلى تحريفه بل قلبه ✽
واترك مقالة من لحاك بجهله ✽ عن كتبه أو بدعة في قلبه ✽
فكفى المحدث رفعة أن يرتضى ✽ ويعد من أهل الحديث وحزبه ✽

قال الشيخ أبقاه الله في خير وعافية ونفع [illegible]
أحسن ما [illegible] الأربعين المسلسلات [illegible]
[illegible] وسائر [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم [illegible]
[illegible]

[illegible]

و

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
سمع مني جميع صفة المسلسلات كله تنبيه الشيخ
الفاضل المرضي المحصل المفيد فخر الأماثل ابو [illegible]
المذكور [illegible] نفع الله تعالى به وسمع منه
[illegible] الوارد [illegible] وتسلسل له على الغالب
ما بعد واجزت له ان يرويها عني مع سائر مروياتي
ومؤلفاتي [illegible] ان [illegible] وانا [illegible]
وان [illegible] واسهى ذلك في
[illegible] سنة ٩٦٢ [illegible] المحرم
[illegible]
[illegible]
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما [illegible]

ز

الحمد لله الذي شرح صدور أهل السنة لأبي بكر وطرح
الفتنة عمر [illegible] بالعفو والغفر والصلاة
والسلام على سيد ولد آدم وأهل العترة
وبعد فإن [illegible] العبد الفقير إلى مولاه والعفو
إلى لطف ربه [illegible] علم وقضاه الشيخ الأفضل
والعز الأجل المشتهر [illegible] الواصل الماهر
الواصل الزاهد المرتضى الرضي [illegible] المستفيد
ذا الهمة [illegible] والنهمة الوافر والفتوة
والمروة فخر الدين أبا بكر [illegible] المرحوم علم الدين
[illegible] أبي الحسن [illegible] الشلبي المكي
الذي [illegible] والده بالشلبي أعزه الله [illegible]
وأبقاه ومن السوء وقاه وإلى السعادة الدنيوية
والأخروية رقاه [illegible] على نظر [illegible] والأكابر
ووصل [illegible] الكشف عن المآثر

بيت

ح

ولما حضر بعض الشيوخ في ... وبالجامع الأزهر في
مجالس الحديث كثيراً أو سمع من لفظي وعلماً من بعضها شيخ
وغيرها اشتغالاً وحضر ما حضر من بعضها شيء من القول
البديع والأحاديث المشتهرة والمسلسلات
وبعض الذي بالشهادة وغير ذلك وقال الشيخ معي
بخطه وكان مما سمعه من بعضها شيء من القول البديع في
فضل الصلاة على الحبيب الشفيع والجواهر
المكللة في الأخبار المسلسلة والبلدانيات والجلسات
والمورد الروي في ترجمة النووي وفتح المغيث
بحديث تصنيف النووي الأربعين وختم البخاري والشفا
في ختم صحيح البخاري الجامع والابتهاج بأذكار المسافر والحاج
والقول [illegible] في [illegible] والمذموم
وغنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج والجليس [illegible]
شرح [illegible] الجزء في [illegible] النووي [illegible]
الصلاة والسلام [illegible] مما [illegible] في إجازة

[illegible]

ط

الشيخ [illegible] الزهوري رحمه الله اذا [illegible]
الله ان لم يعرف بهما عني ولو لحقها [illegible]
واجزت [illegible] [illegible]
الحمد لله [illegible] [illegible] الدارين
[illegible] [illegible] ذلك الاعلى [illegible]
جميع مروياتي ومولفاتي مصاحبا في ذلك الاكمل
التحري والضبط والاعلان فذلك من اهم
ما ادى الانسان واسال له الاعالي
[illegible] الذالي [illegible] الصلاة والحمد
[illegible] [illegible] والسنن [illegible]
منهما [illegible] ذلك في مدة اخرها في ذي
القعدة الحرام سنة ثمانين وثلاثمائة والف
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

عبد الغني النابلسي

١٠٥٠ — ١١٤٣ هـ

١٦٤١ — ١٧٣١ م

صاحب كتاب « الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز »

الشيخ عبد الغني النابلسي بن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسي الدمشقي النقشبندي القادري الشيخ العلامة الشهير . ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤١ م وتوفي سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م .

قال المرادي في « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » « هو أعظم من ترجمته علماً وولاية وزهداً وشهرة ودراية وهو أستاذ الأساتذة . وجهبذ الجهابذة . الولي العارف . ينبوع العوارف والمعارف . قطب الأقطاب العارف بربه ، الفائز بقربه وحبه . ذو الكرامات الظاهرة ، والكاشفات الباهرة . توفي والده وهو ابن اثنتي عشرة سنة فنشأ يتيماً واشتغل بقراءة العلم ، فقرأ الصرف والنحو والمعاني والبيان والفقه والتفسير وسائر العلوم على مشاهير علماء عصره . كالشيخ محمود الكردي ، والشيخ عبد الباقي الحنبلي ، والشيخ محمد المحاسني ، والنجم الغزّي ، والشيخ ابراهيم الفتال . وكثيرين غيرهم .

وأجاز له من مصر الشيخ علي الشبراملسي . وأخذ طريق القادرية عن الشيخ السيد عبد الرزاق الحموي الكيلاني . وأخذ طريق النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي . وابتدأ في إلقاء الدروس والتصنيف لما بلغ العشرين . وأكثر المطالعة في كتب الشيخ محي الدين بن العربي [١] . وكتب السادة الصوفية ،

(١) المشهور ابن عربي .

كابن سبعين ، والعفيف التلمساني . فنظم بديعية في مدح النبي ﷺ فاستبعد بعض المنكرين أن تكون من نظمه ، فاقترح عليه أن يشرحها فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد ، ثم نظم بديعية أخرى والتزم فيها تسمية النوع . وشرع في إلقاء الدروس في الجامع الأموي . قال : وصدر له في أول أمره أحوال غريبة ، وأطوار عجيبة ، واستقام في داره بقرب الجامع الأموي في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات لم يخرج منها .

وأسدل شعره ، ولم يقلم أظفاره ، وبقي في حالة عجيبة ، وصارت تعتريه السوداء ، وتكلم الحساد فيه بكلام لا يليق به ، من أنه يترك الصلوات الخمس ، وإنه يهجو الناس بشعره . وهو رضي الله عنه بريء من ذلك . وقامت عليه أهالي دمشق وأساؤوا إليه حتى أنه هجاهم ، وتكلم بما فعلوه معه ، ولم يزل حتى أظهره الله للوجود ، وأشرقت به الأيام ، ورفل في حلل الإقبال والسعود .

من الكتب والرسائل المفيدة الممتعة ، التي ألفها الشيخ عبد الغني النابلسي ـ رحمه الله ـ رحلته في بلاد الشام وإلى مصر والحجاز . وهو كتاب جمع كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية ومن « أبحاث علمية ، ومسائل فقهية ، واصطلاحات حديثة ، ومطارحات أدبية ، ومساجلات شعرية ، وكلام نافع ونصائح إيمانية ، وإرشادات إلهية ، ومذكرات وتفسيرات في العلوم الدينية (١) .

هذا ، إلى وصف ما زاره ، أو مرّ به في رحلته هذه من مشاهد ومعابد ، وجوامع ومساجد ، ودور وقصور ، ومن مراسم ومعالم ، ومزارات ورباطات . وذكر من لقيهم من رجالات أهل البلاد ، ذوي العلم والمكانة ، أو من سمع بهم ، أو جرى الحديث عنهم ، وما قالوه فيه ، وما قاله فيهم من شعر . دوّن ذلك بلغة أكثرها سهل يغلب عليها السجع ، بعضه مقبول .

---

(١) هذا ما قاله المؤلف نفسه .

غير أن ما أورده من الشعر جله ان لم يكن كله يجري صاحبه ـ وسط المعمعة ـ ومنه ما لا تشتهي أن تسمعه . شعر عصر الركود اللغوي ، والانحطاط الشعري .

وعدا هذا ، فالرحلة على ما وصفها صاحبها في كلامه الذي وضمناه بين قوسين (١) وعقبنا عليه بالموافقة ، رحلة جامعة ، وهي سجل حقائق ، وديوان وثائق ، فيها القيم المفيد ، وفيها النوادر والأقاصيص .

وقد رأى المجمع العربي ان ننشر هذه الرحلة لما فيها من فرائد وفوائد ، جرياً على ما أخذ به نفسه من إحياء آثار السلف تنويهاً بفضلهم ، وتخليداً لذكرهم ، وكلفني أن أتولى هذا العمل ، بالإشراف عليه ، والتدقيق فيه . وها أنا نزولا عند هذه الرغبة المخلصة ، أبدأ بترجمة المؤلف نقلاً عن « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي » .

وبادرت الناس للتملي باجتلاء بركاته . والترجي لصالح دعواته . ووردت عليه أفواج الواردين ، وصار كهف الحاضرين والوافدين ، واستجيز من سائر الأقطار والبلاد . وارتحل أولاً إلى دار الخلافة سنة ١٠٧٥ هـ فاستقام بها قليلاً ، وسنة ١١٠٠ هـ ذهب إلى زيارة البقاع ، وجبل لبنان . وسنة ١١٠١ هـ ذهب إلى زيارة القدس والخليل ، وسنة ١١٠٥ ذهب إلى مصر ، ومن ثمة إلى الحجاز وهي رحلته الكبرى ، ولكل من هذه الزيارات رحلة سيجيء ذكرها . وسنة ١١١٢ ذهب إلى طرابلس الشام ، نحو أربعين يوماً ، وصنف فيها رحلة صغيرة لم تشتهر . وانتقل من دمشق من دار أسلافه إلى صالحيتها ، سنة ١١١٩ وبقي فيها إلى أن مات . وتآليفه ومصنفاته كثيرة ، وكلها حسنة متداولة مفيدة ونظمه لا يحصى لكثرته .

---

(١) لا أدري : لماذا درج بعضهم على استعمال « الحاصرة » بدلاً من القوس . وكانت القوس قد اشتهرت وصحت لفظاً ومعنى .

وكان عالماً ، مالكا أزمّة البراعة واليراعة ، غواصاً في المسائل ، ذا طبع منقاد ، وبديهة مطواعة مصون اللسان عن اللغو والشتم . لا يخوض في ما لا يعنيه ، ولا يحقد على أحد . يحب الصالحين والفقراء وطلبة العلم يكرمهم ويحبهم ويبذل جاهه بالشفاعات ، رحيب الصدر ، كثير السخاء ، وله كرامات لا تحصى . وكان لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه ، هذا مع إقبال الناس عليه ومحبتهم له ، واعتقادهم فيه . ورأى في أواخر عمره من العزّ والجاه ورفعة القدر ما لا يوصف . ومتعه الله بقوته وعقله فكان يصلي النافلة من قيام ، ويصلي التراويح في داره إماماً بالناس إلى أن مات . ويقرأ في الخط الدقيق ، ويكتب في تصانيفه بعد أن جاوز التسعين . وشعره ينشد في المحافل ، ويحفظه الناس . وتوفي على أثر داء اعتراه بضعة أيام . وأغلقت أسواق البلد يوم موته . وانتشرت الناس في جبل الصالحية . وبنى حفيده الشيخ مصطفى النابلسي إلى جانب ضريحه جامعاً حسناً ، والآن يتبرك به ويزار سيما في صبيحة السبت ، وقد صنف ابن سبطه العالم كمال الدين محمد الغزي العامري في ترجمته كتاباً مستقلاً سماه « الورد القدسي والوارد الانسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي » .

عارف النكدي



أبو عبد الرحمن السُّلمي

كنا نشرنا في الجزء الثالث من سلسلة « رسائل ونصوص » التي ننشرها كتاب « تنزيل القرآن » لابن شهاب الزُهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ [١] .
وهذا الكتاب من أقدم النصوص التي وصلت إلينا من القرن الثاني الهجري .

وكنا ذكرنا أن نص الكتاب وصل الينا عن طريق راويه أبي عبد الرحمن السُّلمي ، المتوفى سنة ٤١٢ هـ . وهو رواه عن ابراهيم بن الحسين الهمذاني عن عبد الله بن محمد الهذلي عن الوليد بن محمد الموقري المتوفى سنة ١٨٢ هـ عن الزهري .

وقد شككنا يومئذ بهذا السند ، إذ لا يمكن أن يكون بين السلمي المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، والوليد المتوفى سنة ١٨٢ هـ رجلان فقط .

ثم تبيّن لنا أن السلمي راوي الكتاب هو رجل غير الذي كان في القرن الخامس . بل كان رجلاً من رجال القرن الأوّل ، ومن معاصري الزهريّ . فقد نبّهنا صديقنا العلاّمة الدكتور ماخ مدير المخطوطات العربية في جامعة برنستون إلى أن السلمي هذا مذكور في كتاب « مشاهير علماء الأمصار » لابن حبّان البستي . ففي ص ١٠٣ من الكتاب المذكور جاء ما يلي :

أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب . من قرّاء القرآن وأهل الورع في السرّ والاعلان . مات سنة أربع وسبعين » .

وقد أوضح لنا هذا النصّ الابهام الذي وقعنا فيه . وتبين أن السلمي هذا كان من قراء القرآن ، وروى كتاب تنزيل القرآن من الزهري المعاصر له .

وقد أحببنا نشر هذا التوضيح تنويهاً بعون الدكتور ماخ وتصحيحاً لما سبق أن ذكرناه في مقدمة الكتاب .

(بيروت) صلاح الدين المنجد

(١) انظر رسائل ونصوص ، الجزء الثالث . دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٣ .

المرتضى كالمهنّد : لاينكر معدنه

كم ابتهجنا نحن معشر المشتغلين بالآداب العربية في البلاد النائية لإعادة طبع تاج العروس في حلّة قشيبة وشكرنا لوزارة الارشاد والانباء في الحكومة الكويتية سعيها الحثيث في نشر التراث العربي الاسلامي ، كما قدّرنا كلّ التقدير المجهود الذي بذله ولا يزال يبذله المحقق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج في هذا الصدد ، الاّ أننا فوجئنا بمحاولة منه أثناء التقديم والتعريف لإنكار مولد السيد المرتضى ببِلْكِرام (الهند) مع عدم استطاعته ذكر أي بلد آخر مسقطاً لرأسه ، ولما جرى الكلام عن هذه المحاولة في مجلس شيخي العلاّمة عبد العزيز الميمني استنكرها بشدّة وعهد إليّ بالرّد عليها دفاعاً عن الحق ونصرة للأمانة العلمية ، ثم تفضّل عليّ بتزويدي بجميع المصادر الهامّة والمراجع النادرة من خزانة كتبه العامرة ، واتبع الدلو رشاءها فأنار الطريق أمامي بتوجيهاته حتى إذا امتثلت أمره وقدّمت بين يديه ماسوّدته شملني برضاه وأجاز لي تبييضه ونشره ، فهاكم ، أيّها القرّاء ، مايتعلق بنسب السيد المرتضى ومولده عسى أن ينكشف الغبار ويعود الأمر إلى نصابه .

نسبه

السيد محمد المرتضى بن [أبي الفلام] [1] محمد بن [القطب الكامل أبي عبد الله] [1] السيد محمد القادري بن [الولي الصالح الخطيب أبي الضياء محمد] [1] السيد ضياء الله بن السيد خانّ محمد بن السيد عبد الغفار

---

(١) كذا في إجازات المرتضى بخطه ، انظر فهرس الفهارس . وزاد فيها « أبي الضياء محمد بن عبد الرزاق » لعلّ عبد الرزاق هو جدّ القبيلة (السيد تاج الدين) إلا اني لم أجد هذا الاسم في المصادر الأخرى – توفى السيد ضياء الله سنة ١١٠٣ هـ والسيد القادري سنة ١١٤٥ هـ .

ابن السيد تاج الدين (جدّ القبيلة) . إحدى القبائل الأربعة النازلة بحيّ سيد وارة (= حيّ السادات) بن السيد حسين المعروف بسيد دُولارَه [١] ابن السيد حسن بن السيد محمود بُدهن بن السيد بدُه بن السيد جمال الدين ابن السيد إبراهيم بن السيد ناصر بن السيد مسعود بن السيد سالار بن السيد محمد صغرى [٢] بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد أبي الفرج الثاني بن السيد أبي الفراس (؟ فراس أو الفوارس) بن السيد أبي الفرج الواسطي بن السيد داود بن السيد حسين بن السيد يحيى بن السيد زيد بن السيد علي بن السيد حسن بن السيد علي العراقي بن السيد حسين بن السيد علي بن السيد محمد بن عيسى مُوتِم الأشبال [٣] بن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين بن الإمام حسين الشهيد السبط بن الإمام الهمام أسد الله الغالب علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ (مآثر الكرام ١ / ١١ و ٢٢٥ و ٢٣٩ و ٢٦٩ — ٢٢٠) .

مولده

إنّ مير غلام علي آزاد (١١١٦ — ١٢٠٠ هـ) أعرف الناس بمآثر أجداده وأهل بيته من سادات بلكرام ومن حسن الحظّ أنه معاصر للسيد المرتضى (١١٤٥-١٢٠٥ هـ) وبلديّه له اذن هو أوثق مصدر للخبر بشأن نسب السيد المرتضى ومولده وحياته إلى مغادرته بلگرام وتنقّله بين اليمن

(١) أي المحبوب باللغة الهندية .
(٢) أي صاحب الدعوة الصغرى — مآثر الكرام (ط حيدر آباد دكن ، ١٣٢٨ هـ) ١ / ١٢ — وهو أول من نزح إلى بلگرام من جهة خراسان ومعه صاحبه جدّ الشيوخ الفرشورية الذين ينتهي نسبهم إلى أبي بكر الصديق — المصدر نفسه ص ١٥ .
(٣) في اجازات المرتضى بخطه . « من قبيل أبي عبد الله محمد المحدث الكبير بن أحمد المختفي بن عيسى مُوتِم الأشبال » — فهرس الفهارس .

والحجاز في طلب العلم ـ وقد سجّل في مآثر الكرام تاريخ بلگرام (بالفارسية) ص ١٤٩ كما يلي :

« ومن أبنائه [١] (أي أبناء السيد القادري) السيد محمد المرتضى [٢] بن السيد محمد بن السيد القادري المترجم له ، درس الكتب العربية ووُفّق في حداثة سنّه لزيارة الحرمين الشريفين حتى سعد بها في سنة ١١٦٤ ، ودرس علم الحديث في المقامات المقدسة ، وهو في أيامنا هذه نازل بزَبيد اليمن ، يتخرّج في فن الحديث على الشيخ عبد الخالق الزبيدي . أطال الله عمره وأوصله إلى أعلى درجات الدين » . (انظر التعريب أيضاً في أبجد العلوم ص ٧٢١)

وجاء في نزهة الخواطر لعبد الحي (حيدر آباد ، ١٩٥٩ م) ٤٧١/٧ :

« ولد (السيد المرتضى) بمحروسة بلگرام سنة خمس وأربعين ومائة وألف واشتغل بالعلم على أساتذة بلدته زماناً ثم خرج منها فجاء إلى « سنديلة » و « خير آباد » وقرأ على أساتذتها ثم سافر إلى « دهلي » وأخذ عن الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ثم ذهب إلى « سورت » وأخذ عن الشيخ خير الدين بن زاهد السورتي وأقام عنده سنة ثم سافر إلى الحجاز سنة أربع وستين وأقام بزبيد ... [٣] » .

---

(١) في أبجد العلوم « نبائره » جمع « نبيرة » أي الحفيد بالفارسية .

(٢) المرتضى « على الصواب في أبجد العلوم مكان « مقتدى » مصحفاً في طبعة مآثر الكرام التي رجعت إليها .

(٣) هكذا قال السيد باسط علي ، ابن أخي المرتضى ، عن عمّه بعد زيارته له بمصر . انظر « قضاء الارب من ذكر علماء النحو والأدب » (بالأردوية) لذي الفقار النقوي . آكره ، ١٣١٦ هـ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ دلّني على هذا المرجع زميلي الأستاذ محمد جميل بالقسم العربي بجامعة كراتشي فله الشكر على ذلك .

وفي المرجع نفسه ٧/٤٧٦ وقد ذكر المرتضى بن محمد المترجم له في «برنامجه» الذي كتبه للسيد باسط علي بن علي بن محمد بن القادري البلكرامي بمصر نحواً من ثلاث مائة شيخ له الذين أخذ عنهم العلم ومسّى منهم من علماء الهند: الشيخ فاخر بن يحيى العباسي الاله آبادي والشيخ المسند ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي. قال وحضرت بمنزله في دهلي ...» (وهكذا أيضاً في أبجد العلوم ٧٢١) .

هذا وقد صرّح عبد الحيّ الكتاني في فهرس الفهارس ١ / ٩٩ - ٣٩٨ بأنّه ابن السيد المرتضى : « الواسطي العراقي أصـــلاً ، الهندي مولداً ، الزبيدي علماً وشهرة ، المصري وفاة ، الحنفي مذهباً ، القادري ارادة ، النقشبندي سلوكا ، الأشعري عقيدة ، هكذا يصف نفسه في كثير من إجازاته التي وقفت عليها بخطه ، (مسقط رأسه) أصله من بلگجرام قصبة على خمسة فراسخ من قنوج وراء نهر جنگج الهندو بها ولد سنة ١١٤٥ كما أرخ هو نفسه ولادته في آخر إجازته لعمر بن حمودة الصفتار التونسي وهي عندي بخطّه ، واشتغل على المحدث محمـد فاخر بن يحيى الإله آبادي والشاه ولي الله الدهلوي فسمع عليه الحديث وأجازه ثم ارتحل لطلب العلم فدخل زبيد ... » .

ثم هو أي السيد المرتضى ذكر في معجمه الصغير ضمن شيوخه الذين لقيهم :

١ — محمد فاخر بن محمد يحيى العباسي .

٢ نور الحق بن عبد الله الحسني نزيل مكة .

٣ - ولي الله الدهلويّ .

٤ — ياسين العباسي نزيل أكبر آباد [1] .

(فهرس الفهارس ١/٤٠٣)

ومما وقف عليه الشيخ أحمد أبو الخير المكّي العطار من مشايخ آخرين للشيخ المرتضى : « العلامة المحدث نور الدين محمد القبولي نسبة إلى قَبولة بالفتح حصن منيع بالهند ، لقيه بدهلي ، وبها توفي سنة ١١٩٠ .

(المرجع نفسه ١/٤٠٤ نقلاً عن « النفح المسكي ») .

أما تلميذه الجبرتي فانما عُني بحياة شيخه في مصر واتصالاته العلمية الوثيقة المستمرّة الباقية مع شيوخ اليمن ولذلك لا يُستغرب منه أن يقتصر في الإشارة إلى مولده ومنشأه على قوله : ونشأ ببلاده وارتحل في طلب العلم وحجّ مراراً ... « أيّ البلاد تكون هي غير الهند ؟ لا شك أنها كانت معلومة لدى الجبرتي وأقرانه .

على كلّ حال لئن كان لغير المدققّين في الزمن الغابر بعض العذر من عدم الاطلاع على المصادر والمراجع وما إلى ذلك في الجهل عن مولده ومنشأه حتى قال صاحب أبجد العلوم بهدوء وسماحة : « قلت وقد أقام رحمه الله بزبيد حتى قيل له الزبيدي واشتهر بذلك واختفى على كثير من الناس كونه من الهند ومن بلگرامها » (ص ٧٢١) .

١ — يقول المحقّق (الأستاذ عبد الستار فراج) . « فقد ذكروا أنه (المرتضى) ولد ببلد هندي هو بلجرام ... أو الواسطية التابعة لبلجرام »

---

(١) قرأها الأستاذ عبد الستار أحمد فراج « اكبرآباديس » مع أنّ « ليس » علم لشيخ آخر كما جاء في فهرس الفهارس على نسق . « ... نزيل اكبرآباد ليس ابن محمد الحيلي » أما « اكبرآباد » فقد سميت به متأخراً مدينة « اكره » المشهورة بشمال الهند لما اتخذها السلطان اكبر المغولي مقراً له .

(تقديم وتعريف) « والواسطية » ، ليست مدينة كبلجرام ، انما هم السادات الواسطية الذين نزحوا إلى بلجرام ثم يستغرب المحقق اهمال الزبيدي لذكر بلجرام في تاج العروس في المستدركات ، كأن الزبيدي التزم بذكر مولده مع انّه لم يُعن بالإشارة إلى أنّ أصله من واسط حينما عدّد الأماكن المسماة من مادة وسط « وهو » الواسطي العراقي الأصل ، عند المحقق من غير شك . وهل يخفى على الباحث السليم أنّ الزبيدي انما تعرّض لذكر الأمكنة التي يكثر ذكرها في الآداب العربية وليست بلجرام منها ؟ - كألوف من بلاد الهند وأنهارها وجبالها .

٢ - يخلص المحقق إلى القول . « نحن لا نجد نصّاً واضحاً في كلامه (المرتضى) يدلّ على أنه من الهند » (زي) والنص مثبت في فهرس الفهارس (٣٩٨/١) كما مرّ ، إلا أنّه يغمض عينه ويجترىء على اتهام الكتاني ، بـ « مبالغة واستنتاج غير قوي لا لشيء إلا لأنه ذكر عالمين هنديّين ضمن شيوخ المرتضى بناءً على ما جاء في معجمه الصغير ، والأسماء الواردة هناك (فهرس الفهارس ٤٠٣/١) أربعة كما فصلنا آنفاً ، يجعل الأستاذ المحقق من (١) محمد فاخر ... و (٢) نور الحق ... نزيل مكة رجلاً واحـــداً ، كذلك من (٣) ولي الله الدهلوي و (٤) ياسين العباسي نزيل أكبرآباد . رجلاً واحداً أيضاً ، ليستطرد من ذلك إلى استنتاج واه لا أساس له . ثم قرأ « أكبر آباديس » مع أنّ ليس علم لشيخ آخر هو « ليس بن محمد الجيلي » .

٣ - وأخيراً يشك الأستاذ المحقق في كون « السيد القادري » جدّ المرتضى (حي) ، ولو أنه تحرّج من نقل كلام غلام على آزاد ناقصاً مبتوراً من الآخر لوجد فيه ما يقطع بذلك ، فان آزاد يتكلم عن فتى « يتخرج في فن الحديث على الشيخ عبد الخالق الزبيدي .

(انظر تعريبنا أعلاه) ثم انّ « السيد القادري » هو المعنيّ بـ « القطب أبي عبد الله محمد » في اجازات المرتضى بخطّه التي وقف عليها الكتاني (٣٩٨/١)

و « القطب الكامل السيد محمد » كما ورد في معجمه الصغير ، وانما لقّب السيد القادري بذلك لأنه أخــــذ الطريقة القادرية عن شيخه السيد ايتّس الحموي ، قطب القادرية بحماه ، وحصل على الإجازة في التجويد والحديث من قِبَل سلطان بن ناصر بن أحمد الخابوري ، الذي يقول في اجازته . « لما كان في حدود سنة خمسة عشر (كذا) ومائة وألف قدم دار السلام بغداد الإمام العالم والحبر الهمام الكامل الزاهد الورع العابد ... السيد محمد القادري بن السيد ضياء الله الحسيني الواسطي ثم الهندي البلكرامي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وقد جاور حرم الغوث الصمداني والقطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز ... » (عن مآثر الكرام ١٤٦/١) هـذا ولنقرن بذلك نسب « السيد باسط علي بن علي بن محمد بن القادري البلكرامي وهو ابن أخي المرتضى ، زاره بمصر واستكتبه برنامجه الذي اقتطف منه صاحب أبجد العلوم وصاحب نزهة الخواطر كما أوردناه من قبل .

فخلاصة القول أنّ السيد المرتضى من السادات الواسطية ، نزح جدّهم السيد محمد صغرى إلى بلكرام وفتحها واستقرّ بها واستوطنها في سنة ٦١٤ هـ . ونبغ من ذريته عبر الأجيال المتعاقبة أقطاب وعلماء ورجال الحكم والفروسية حتى اشتهرت بلكرام كمعقل للعزّ ومعدن للعلم ، وبها ولد السيد المرتضى في سنة ١١٤٥ هـ ، وأُشرب حب العلم فتنقل دارساً بين مدن الهند حتى إذا لم يجد ما يشفي غلّته رحل إلى الحجاز في سنة ١١٦٣/١١٦٤ وبقي في الحجاز واليمن إلى أن ألقى عصا التسيار بمصر في سنة ١١٦٧ ـ فبلكرام أول أرض مسّ جلده ترابها وبالهند عقّ الشباب تميمته ، لم يخرج منها إلا في الثامنة عشرة من عمره ، وكذلك المهنّد يستخرج من معادن الهند ويطبع بها ثم لا يبقى منه للهند إلا نسبته إليها .

القسم العربي بجامعة كراتشي
(الباكستان)

الدكتور محمد يوسف

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها)

ـ ٣ ـ

ر ع ب رَعَبَ الحَوْضَ : مَلأَهُ ، ورَعَبَ السَّيْلُ الوَادِي : مَلأَه ،
وفي لسان العرب : رَعَبَ فِعلٌ مُتَعَدٍّ وغيرُ مُتَعَدٍّ ، تقولُ :
رَعَبَ الوادي فهو راعِبٌ إذا امْتَلأَ بالمَاء ، ورَعَبَ السَّيْلُ
الوادي إذا مَلأَه ، ويقال : أصابَهم مَطَرٌ راعِبٌ .
وفي الأساس : ومن المجاز : حَمَامٌ راعِبِيٌّ : شديدُ الصَّوْتِ
يَرُوعُ بصَوْتِه أو يملأُ به مَجارِيَه .

ر غ ب أرضٌ رَغَابٌ : تأخذُ الماء الكثير ، أو لا تسيلُ إلاَّ من مطرٍ
كثير ؛ ويقال : وادٍ رَغيبٌ : واسعٌ كثيرُ الأخذِ للماء .
المِرْغابُ : نهرٌ بالبصرة ، ونهرٌ بمَرْو .
ورَغْبَاء : بئرٌ معروفة .

ر ق ب الرَّقُوب : النَّاقةُ التي لا تدنو إلى الماء من الزِّحام . سُمِّيَتْ بذلك
لأنَّها تَرْقُبُ الإبل فإذا فرغت من شربها شربت .

ر ن ب أُرَيْنِبَةُ : اسم ماء وبالقرب منها الأوْدِيَة .

ر هـ ب الإرْهاب : قَدْعُ الإبل عن الحوض وذِيادُها .

روب رابَ اللَّبَنُ : خَثُرَ ، ولبنٌ رَوْبٌ ورائبٌ : ما مخض وأخرج زبدُه . الرَّوْبَةُ والرُّوبةُ : خميرة اللَّبن وجِمَامُ ماء الفَحل .
وراَبَ دَمُهُ : حانَ هلاكُهُ ، وفي الأساس : شُبِّه بلبنٍ خَثُر وحانَ أن يُمْخَض .

زأب زأبَ الرجُل إذا شرب شُرْباً شديداً . وزَأَبْتُ : شَرِبْتُ .
الزَّآنِبُ : القَوَارِيرُ .

زبب زَبَّ القِرْبة زَبّاً : ملأها إلى رأسها فازرَبَّتْ ، وعامٌ أزَبُّ . مُخصِب كثير النَّبات .
الزَّبَّاءُ : اسم لمياهٍ وعيون عديدة .
الزَّبيبُ : يابسُ العِنب ، وزبدُ الماء . وزَبَّب فَمُ الرَّجلِ أي خرج الزَّبدُ منه .
الزَّبْزَبُ : ضَرْبٌ من السُّفُن .

زرب زَرِبَ الماء : سال ، والزِّرْبُ : مسيلُ الماء .
والمِزْراب : الميزاب .
زَرْدَبَهُ : رماهُ في زِرْداب ، وهو ما انحدر من السُّيُول .

زعب زَعَبَ الإناء : ملأه ، وزعبَ السَّيْلُ الوادي : ملأه ، وهو سَيلٌ زاعبٌ وزَعُوب .

زغب أزْغَبَ الكَرْم : جرى فيه الماء وبدأ يُورق .
زُغَيْبَةُ : ماء .
الزَّغْدَب : من أسماء الزَّبد ، أو الزَّبدُ الكثير ، كالزُّغادِب .
الزَّغْرَب : المـــاء الكثير . وبحرٌ زَغْرَب ، وبئر زغْرَب وزَغْرَبةٌ ، وعَيْنٌ زَغْرَبةٌ ، كثيرةُ الماء .

ز ك ب زَكَبَ الإناءَ ، ملأه ، والزَّكْبُ : المَلْءُ .

ز ل ب ازْلعبَ السَّحابُ : كَثُفَ ، وازلعبَ السَّيلُ : كثُرَ وتدافع .

ز ن ب زُنْقُبٌ : ماءٌ .

ز و ب زابَ : انسل هَرَباً . وزاب الماء : جرى .

والزَّاب : اسم لأنهار عديدة .

ز ي ب الأَزْيَبُ : المـــاءُ الكثيرُ ، يُقال : جاشَ أَزَبُ البحر وهو كثرةُ مائِه .

س أ ب سَأَب : روِي . وسَأَب السِّقَاءَ : وَسَّعَه . والسأبُ : الزِّقُّ .

والمِسْأَب : الرَّجلُ الكثير الشُّرب للماء .

س ب ب تَسَبْسَبَ الماء : جرى وسال . وسَبْسَبَ : أسال .

السَّبْسَب : الأرض القَفْر لا ماءَ بها .

س ح ب سَحَبَ : شَرِب شرباً شديداً ، فهو أُسْحُوبٌ أي شَرُوبٌ .

السَّحابَةُ : الغَيْمة التي يكون عنها المطر .

رجلٌ سَحْبانٌ : جُرافٌ يجرف ما مَرَّ به .

والسُّحْبَةُ : المُوَيْهَةُ أو فَضْلَةُ ماءٍ تبقى في الغَدِيرِ كالسُّحابة .

س ر ب سَرِب : سال . والسَّرَبُ : الماء السائل . والسَّرابُ ، ما يُرى نصف النهار لاطِئاً بالأرض كأنّه ماءٌ .

تَسَرَّبَ : تَملأَ .

السَّرَبُ : القناة يدخل منها الماء الحائطَ .

السِّرْداب : بناءٌ تحت الأرض للصَّيف ، وهو معرب عن سَرْدآب .

س ط ب المَساطيب : المياه السُّدْم المندفقة .

س ع ب سعب وانسعَب الماء إذا سال .

س غ ب سَغِب : عَطِش ، والسَّغَبُ : العَطَش .

س ك ب سَكَبَ : صَبَّ . وماءٌ سَكْبٌ وسَاكِب وسَكُوبٌ وسَيْكَبٌ : جارٍ ، والسَّكْبُ : الهَطَلانُ الدَّائِمُ كالأُسْكُوب .

س ل ب المُسْلَئِب : المطرُ الكثير .

س ه ب أسْهَبَ : إذا حفر بئراً فبلغ الماء . وبئرٌ سَهْبَةٌ : بعيدة القَعْر ، والسَّهْباءُ : بئرٌ ورَوْضَةٌ .

س ي ب ساب : جرى فانساب . والسيبُ : الماءُ يَجرى أو مَجْري الماء ، والسَّيْبُ : نَهرٌ . والمَسيب : وادٍ .

ش أ ب الشُؤْبُوب : الدَّفْعَةُ من المطر وغيره .

ش ج ب الشَّجْبُ : السِّقَاءُ اليابس .

ش خ ب الشَّخْبُ : السَّيَلان . والشُّخْبَةُ : الدُّفعة من ابن الضَّرْع انْشَخَبَ : سال وانفجر .

ش ر ب شَرِب : جَرَعَ . والشِّرْبَ : الماءَ يُشرَب والمَوْرِد . والشَّراب : اسمٌ لما يُشرب .

أشرَب الرجل : سَقى إبلَه ، وأشرب : عطش .

الشَّارِبَةُ : القومُ يسكنون على ضِفة النهر .

الشَّرْبَةُ : مقدار الرِّي من الماء . والشَّرْبَةُ : الحويض حول الشجرة يُملأ ماءً . وشَرَّبَ قَصَبُ الزَّرع إذا صار الماءُ فيه .

ش ز ب شَزِب : يَبِس . والشَّازِبُ : اليابس .

ش س ب شسِب يبِس . والشَّاسِبُ : اليابس .

ش ص ب الشَّصْبُ والشَّصَبُ : اليُبْسُ .

الشَّصِيبَةُ : قَعْرُ البئر .

ش ط ب الشَّطْبُ : الأخضَرُ الرَّطب من جَرِيد النخل .

انشَطَبَ الماءُ وغيره : سال . والمُنْشَطِبُ : السائل .

ش ع ب الشِّعْبُ : مسيل الماء في بطن الأرض .

والشُّعْبَةُ : المسيل في الرَّمل ، أو صَدْعٌ في الجبل يأوى إليه المطر . شَعْبَان : شَهْرٌ ، من تَشَعَّبَ ، إذ كانوا يتَشَعَّبُون فيه في طلب المياه .

ش ن ب الشَّنَبُ ، ماءٌ ورقَّةٌ في الأسنان .

والشَّنْبَاءُ من الرُّمان : ليس لها حَبٌّ ، إنما هي ماءٌ في قِشْر .

الشُّنْظُبُ : كلُّ جُرُف فيه ماءٌ .

ش و ب الشَّوْبُ : ما شُبْتَه من ماء أو لبن فهو شَوْبٌ ومَشِيبٌ .

ش هـ ب أرضٌ شهباءُ : جَدْبَةٌ لا خُضْرة فيها لقلة المطر . وسنةٌ شهباءُ : لا مطر فيها .

الشَّهَابُ : اللَّبَنُ الذي ثُلثاه ماء ، كالشُّهَابَة .

ش ي ب يوم أشْيَبُ وشَيْبَانُ : فيه بَرْدٌ وغيمٌ وثَلْجٌ .

ص أ ب صَئِبَ : رَوِيَ وأكثَرَ من شرب الماء ، فهو مِصْأَبٌ .

ص ب ب صَبَّ : أراق وسكب ، فَصَبَّ وانصَبَّ واصطبَّ وتصبَّبَ .

والصُّبَّةُ : البَقِيَّةُ من الماء واللَّبن كالصُّبَابة .

الصَّبَبُ : تَصَوُّب نهر أو طريق يكون فيه حَدُور .

الصَّبِيب : الماءُ أو الدَّمُ أو العَرَقَ المَصْبُوب .

صحب اصْحَبَ الماء : علاه الطُّحْلب ، فهو مُصْحِبٌ .
المَصْحَبِيَّةُ : ماءٌ .

صخب صَخِبَ : جاش ، وعَيْنٌ صَخْبَةٌ : مُصْطَفِقَةٌ عند الجَيَشان .
صَخِبَ واصْطَخَبَ البحر تلاطمت أمواجُه .

صرب الصَّرْبُ : اللَّبنُ الحامِضُ . وصَرِبَ اللَّبَن : اجتمع في الضَّرْع .
المِصْرَب : إناءٌ يُصْرَبُ فيه .

صعب الصَّعْبِيَّة : ماءٌ .

صلب صَلُبَ : غَلُظَ واشـــتد . وصَلَبَ اللحمَ : شواه . وصَلَبَه الحرُّ : أحرَقَهُ .
الصُّلْبُ والصُّلَب من الأرض هي التي لم تزرع زمناً .
صَلَّبَ : يَبِسَ . مَطَرٌ مُصَلِّبٌ شديدٌ .
تَصْلَبُ : ماءَةٌ .

صوب الصَّوْبُ : الانصبابُ والإراقَةُ . صاب المطر وانصابَ : انصب .
يقال : مطرٌ صَوْبٌ وصَيِّبٌ وصَيُّوبٌ .
الصَّيِّبُ : السَّحَاب ذو الصَّوْب .
التَّصَوُّب : الانحدارُ والمجيءُ من علٍ .
الصَّاب : شَجَرٌ إذا شُقَّ سال منه الماءُ .

صهب الصَّيْهَبُ : كل موضع تحمى عليه الشَّمس حتى ينشوي اللحم عليه .
الأصهب : عَيْنٌ . والأُصَيْهِبُ : ماءٌ .

ضبب ضَبَّ : سال . والضَّبُّ : السَّيَلان غير الشديد .
وضَبَّ الناقة : حلبها . والضَّبُّ : الحلْبُ واللصُوق بالأرض .

وأضَبَّ السِّقاءُ : هُرِيقَ ماؤه .

أَضَبَّ اليوم : صار ذا ضباب يغشى الأرض .

ضُبَيْبٌ : ماءٌ .

ض ر ب ضَرَبَ اللبنَ : خلَطَه ، وضَرَبَ في الماء : سبح .

الضَّرْبُ : المطرُ الخفيف . الضَّرْبَةُ : الدفعة من المطر الخفيف .

اضطرب الموجُ : ضَربَ بعضُه بعضاً .

الضَّريب : الثَّلْجُ والصَّقيعُ يقع بالأرض ، أو يضرب بالشهد .

ضَرَّب : شرب الضريب .

أضربت الريحُ الأرض : أنشفتها من الماء .

ط ب ب طَبْطَبَ الوادي : سالَ بالماءِ .

الطَّبْطَبَة : صوتُ الماءِ إذا اضطرب وتلاطم بعضه بعضاً .

ط ح ب الطَّحْلُب : خُضْرَةٌ تعلو الماء المُزْمِن . وعينٌ مُطَحْلَبَةٌ وماءٌ مُطَحْلَبٌ : كَثُرَ طُحْلُبُه .

ط ر ب الطَّرْطَبَةُ : اضطرابُ الماء في جَوْف .

ط س ب المَطاسيبُ : المياهُ السُّدُم المندفنة .

ط ل ب بئرٌ طَلُوبٌ : بعيدةُ الماء . وأطْلَبَ الماءُ : إذا بَعُدَ . وماءٌ مُطْلِبٌ : بعيدٌ .

ط ن ب أطْنَبَ النهر : بَعُدَ ذَهابُه .

ط ي ب طابت الأرض : أخْصَبَتْ وأكْلأتْ .

واسْتَطابَ القومَ : سألهم ماءً عَذْباً .

الطَّابَةُ : الخَمْرُ والعَصير . واستطابَ الرجلُ . شربَ الطَّابةَ .

ع ب ب العَبُّ : شُرْبُ الماء .

العُبَابُ : معظم السيل ، وعباب البحر : موجُه .

العُنْبَبُ : كثرةُ الماء .

اليَعْبُوب : الجَدْول الكثير الماء أو الشَّديدُ الجِرْيَةِ ، أو المكان الحَائِرُ (١) .

العُبُبْ : المياه المُتدفّقة .

وعَبّت الدّلو : صَوّتت عند غرف الماء .

عُبَاعِبْ : ماءٌ .

ع ث ب عَثْلَبَ الماءَ : جَرَعَه شديداً .

عَثْلَبْ : اسم ماء .

ع ذ ب العَذْبُ : الماء الطَّيِّب . وأَعْذَب القومُ : عَذُبَ ماؤهم .

العَذَبُ : القَذَى يعلو الماء ، أو هو الطُّحْلُب نفسُه ، وماءٌ عَذِبٌ : مُطَحْلِبٌ .

وأعْذبَ الحوضَ : نزع طُحْلُبَه ومافيه من القذى .

اعذَوْذَبَ : احْلَوْلى .

العَذيب والعذيبة : ماآن .

ع ر ب عَرِب النهر : غَمَر فهو عارِبٌ ، وعَرِبت البئر ، كَثُر ماؤها .

العَرَبَةُ : النهرُ الشَّديدُ الجري .

العَرَبُ : الماء الكثير الصَّافي ، ويُكسر راؤُه وهو الأكثر ، يقال : ماءٌ عَرِبٌ : كثيرٌ . ونهر عَرِبٌ : غَمْر . وبئرٌ عَرِبَةٌ : كثيرةُ الماء .

التَّعْريب : الإكثار من شُرْب العَرَب .

---

(١) الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف ، يكون فيه الماء أو المطر ، وجمعهُ حوران .

العِرْبُ : يَبيسُ البَقْل ، والواحدة : عِرْبَة .

عَرَبَةُ : ناحيةٌ قربَ المدينة ، وأخرى في بلاد فلَسْطين .

قال الأزْهري : وأقامت قُرَيشُ بعَرَبَة فنُسبتِ العَرَبُ إليها (١) .

العَرَبات : بلاد العرب ، وسُفُنٌ رواكدُ كانت في دَجْلَة .

(يتبع) عدنان الخطيب

***

(١) يؤكد كثير من العلماء في عصرنا هذا ، أن شبه الجزيرة العربية كانت في الأزمان الغابرة العريقة في القدم ، بلاداً ترويها مياه الأنهار التي تتدفق ينابيعها في مختلف أرجائها ، كما كانت جبالها مكسوة بالأحراج وسهولها عامرة مشجرة ، ثم أخذت الطبيعة تتحول ، والعيون تغور والمياه تنضب ، حتى أصبحت الجزيرة بلاداً جافة صحراوية وجناتها قفاراً قاحلة .

ولعل هذا ، الذي تؤكده الدراسات الطبقية (الجيولوجية) وبعض الكشوف الأثرية ، يعلل للعلماء المعاني التي أوردتها معاجم اللغة في مادة (ع ر ب) .

تسمية شارع باسم المرحوم الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

اتخذت أمانة العاصمة قراراً مؤرخاً في ١٩٦٨/٨/٢٤ يحمل الرقم ١/١٩ بتسمية أحد شوارع العاصمة (دمشق) باسم العلامة المرحوم الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق . والشارع المسمى هو الممتد بين شارع الملك العادل وشارع جول جمال .

* * *

شكر

كان المرحوم الأمير مصطفى الشهابي الرئيس الراحل لمجمع اللغة العربية بدمشق قد أوصى باهداء خزانة كتبه وأثاث مكتبه إلى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقد حفلت مكتبة الفقيد بالكتب العلمية والأدبية الثمينة كما وجد فيها بعض المخطوطات القيمة ، ولقد قام ورثة الفقيد بتنفيذ هذه الوصية تنفيذاً كاملاً ، والمجمع إزاء هذا العمل النبيل يرى من الواجب أن يستمطر شآبيب الرحمة على الفقيد الكبير وأن يسجل شكره الخالص لأسرة الفقيد التي قامت بتنفيذ الوصية خير قيام .

* * *

بشارة الخوري
(الأخطل الصغير)
(١٨٨٠ — ١٩٦٨ م)

امتدت يد المنون في صيف هذا العام ١٩٦٨ إلى الشاعر العربي الكبير والأديب الشهير الأستاذ بشارة الخوري عضو مجمع اللغة العربية في دمشق، وكانت وفاته بعد ضعف أصابه وألزمه الفراش حقبة طويلة من الزمن.

لقد فقد عالم الشعر بالأستاذ بشارة الخوري ـ الأخطل الصغير ـ شاعراً كبيراً طالما هز المنابر وصفق له الناس إعجاباً بشعره، وإكباراً لشاعريته.

اشتهر الأخطل الصغير برقة شعره وعاطفته وأسلوبه الأخاذ حتى كان شعره أشبه بالغناء، ولقد بدأ حياته الأدبية في بيروت فصحب الأدباء ممن تقدموه، ثم عمل في الصحافة فأسس جريدة «البرق» وأخذ ينظم القصائد التي اشتهر منها قصيدته: عروة وعفراء، والهوى والشباب، والمسلول، وشارك في الحفلات الكبرى وخاصة حفلات التأبين لعظماء العرب من مثل سعد زغلول وشوقي وحافظ وفوزي الغزي والياس فياض، وقد أقيمت له منذ سنوات قليلة حفلة تكريم اعترف له الشعراء فيها بالتقدم والسبق في مضمار الشعر.

ولن ينسى هذا الجيل الأدبي قصائد الأخطل في: عمر ونعم، وفي: «الهوى والشباب» وفي: «جفنه علم الغزل» فقد تهافت عليها الملحنون يلحنونها كما تغنى بهـا المطربون لأن شعر الشاعر الكبير كان أقرب الشعر إلى الغناء والإنشاد.

ومجلة المجمع التي تربطها بالشاعر الكبير الفقيد صلة وثيقة لن تنسى مواقفه الشعرية الرائعة في قاعة المحاضرات من المجمع، كما لا تنسى مشاركته القيمة في بناء المجد الأدبي للغة العربية.

رحم الله الفقيد الكبير وعوض الشعر العربي عنه خير العوض.

* * *

تصويبات لأخطاء وقعت في

الجزء الثاني من المجلد ٤٣

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠٢	١	تعليلية	والصواب لعنوان البحث هو تحليلية
٤٠٢	٦	هي	زائدة وتلغى
٤٠٤	٨	يها	بها
٤٠٦	٥	يقضي	يفضي
٤٠٦	٧	والعتوة	والعنوة
٤٠٧	الهامش ٢	أبن جيش	ابن حبيش
٤١١	١	أساس	أساسي
٤١٢	٣	عشروية	عشورية
٤١٢	٩	خرّجت	خرّجت
٤١٦	٩	سرر	سرد
٤١٧	١٣	لابن عبيد	لأبي عبيد
٤١٩	١٠	لاصطلاح	الاصطلاح
٤١٩	١٧	لوكفارد	لوكفارد
٤٢٢	٢	«	«
٤٢٣	١٩	«	«
٤٢٥	١١	«	«
٤٢٥	١	بفرض	بغرض
٤٢٦	هامش ٤	أغايندس	أغانيدس
٤٠٣	٢	تم	تتم

****

فهرس المجلد الثالث والأربعين

الجزء الأول

صفحة

التعريف والنقـــد

آراء وأنبـــاء

*

صفحة

الجزء الثاني

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثالث

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الرابع

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء